مثنوى

مولانا جلال الدين الرومي

الكتاب الخامس

ترجمه وشرحه وقدم له

دكتور

إبراهيم الدسوقي شتا

١٤١٨هـ.

١٩٩٧م .

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

مقدمة المترجم

الإرادة الإلهية والحرية الإنسانية

لن أخوض في تاريخ هذه المشكلة وفي أصولها من القرآن والسنة عامدا ، إذ يكفي للقاريء الذي يريد أن يلم بهذه التفصيلات أن يفتح كتابا من كتب علم الكلام الإسلامي ليجد فيه بغيته من التفصيلات حول المشكلة التي قتلت بحثا في علم الكلام : مشكلة الجبر والإختيار .

ولا يوجد مفكر عرفاني دق على مشكلة الحرية الإنسانية في مقابل الإرادة الإلهية مثل مولانا جلال الدين ، فمبحث الحرية عند مولاناجلال الدين الرومي من المباحث الجديرة بأن تجلى وحدها وتفرد لها الأبحاث . وتتميز آراؤه في هذا المجال بالشمول والعرض الحيوي الذي يتقصى جوانب الموضوع ويقدم التعبير عن الفكرة في أكثر من مستوى ، كما كان يحرص على تقديم أمثال هذه القضايا في صورة حوار بين معتنقي وجهات نظر مختلفة حول نفس الموضوع أو نفس الفكرة ، وكان هذا التناول في حد ذاته ينقل القضية من مجرد قضية كلامية جافة وجامدة إلى قضية حية ، فلا شك أن القضايا تظل حية ما دامت تشغل أذهان الناس وتثير الحوار بينهم ، فإذا كفت أذهان الناس عن الإنشغال بها، وكفت ألسنتهم عن التحاور حولها ، إنقلبت إلىقضايا كتب يناقشها الصفوة في مجالسهم الخاصة .فضلا عن أن مولانا عندما كان يختار الشخصيات التي تناقش قضية ما، كان يختار معارض وجهة النظر التي يتبناها هو نفسه من نفس درجة مؤيدها ومستواه وذلك من ناحية الثقافة والقدرة على الجدل . وربما لم تأخذ قضية كلامية أخرى من مولانا جلال الدين كل هذا الإهتمام الذي أخذته منه قضية

الجبر والإختيار أو قضية الحرية الإنسانية ، وكأن مولانا كان يستشرف بنظرته المستقبلية النفاذة أن هذه القضية سوف تكون من قضايا المواجهة بين الشرق والغرب ، وأن الغربي عندما سيتسلط على المسلم سوف يقدمه كشخصية مستكينة إلى الجبر ، قشة في مهب الريح ، معدوم الحركة والإرادة في مواجهة قوة عاتية عمياء ، كما أن وقتا سوف يأتي يتهم فيه الفكر الإسلامي بأن قضية الحرية لم تطرح فيه أساسا . ولا يكاد كتاب واحد من كتب المثنوي الستة يخلو من حديث عن مشكلة الجبر والإختيار ، حديثا لا يتصل بأبعادها الكلامية فحسب ، بل يتناولها كعادة مولانا عند تناوله لكل مشكلاته أبعادها الحياتية المعاشة ، فكأن مولانا في طرحه لقضية الجبر والإختيار يطرح في الأصل قضية الحرية على النحو التالي :

١- ينطلق مولانا جلال الدين في تناوله لقضية الجبر والاختيار من أن الله سبحانه وتعالى عندما خلق الكائنات كلها ، منح الإنسان وحده من بينها منحة الحرية ، فالحرية بالنسبة له عطية إلهية . ولم يكن جلال الدين الرومي أول من وضح هذه الفكرة ،إذ وردت من قبله عند كل الصوفية ، فالفكرة تكاد تكون موجودة بنصها عند سنائي الغزنوى الذى قال :

- إن الإنسان مختار بين العقل والهوى ، وهذا هو تفسير آية " كرمنا " .

- فلا تذل الإنسان ، ولا تشعره بالهوان ، فهو في الغيب ، صار جوهرا من بين الناشئين في العيب .

- ومن بين العباد الذين وراء الحجاب ، إختارك أنت الإختيار .-إلا أنك عن طريق الغضب والاحتيال ، تصبح وحشا ، أو تصبح دابة .(١)

---

(١) سنائي الغزنوي : حديقة الحقيقة وشريعة الطريقة - الترجمة العربية لكاتب هذه السطور - الأبيات ٥٤٦١-٥٤٦٤ وشروحها - القاهرة - دار الأمين للطباعة والنشر- ١٩٩٥

فكأن الصوفية كانوا يجمعون بين الاختيار والكرامة التي منحها الله للإنسان ، وأن مما يترتب على هذا التكريم الإلهي ألا يتعرض الإنسان للمهانة والإذلال من إنسان ، أو تسلب منه هذه الحرية التي منحها له الله تعالى . لخص سنائي وجهة نظره في عدة أبيات . لكن جلال الدين كعادته في الاستفاضة وكشف نقاط جديدة في القضايا التي تناولها الصوفية من قبله ، ينطلق إلى آفاق أبعد وأوسع ، فالاختيار عنده هو ملح العبادة ، فما فائدة عبادة يكون الإنسان مجبرا عليها وتكون قدرا عليه :

- والاختيار هو ملح العبادة ، وإلا فالفلك وحده يدور بالرغم منه .

- فإن دورانه لا طمعا في ثواب ولا خوفا من عقاب ، والاختيار فضلٌ عند الحساب.(١)

بل بقدر جهد الإنسان تكون رحمة الله به :

- إن هذا الجهد والدعاء بقدر الهمة ، وليس للإنسان إلا ما سعى .(٢)

ويطيب لمولانا جلال الدين أن يبين دائما أن أول من قال بالجبر هو إبليس اللعين ، وأن أول من قال بالاختيار هو آدم عليه السلام :

- وتعلم من أبيك يا وضاء الجبين ، إذ قال قبل الآن " ربنا ظلمنا أنفسنا " .

- فلا هو تعلل ، ولا هو احتال ، كما أنه لم يرفع لواء المكر والحيلة .

- ثم إن إبليس هو الذي بدأ الجدل قائلا : لقد كنت أحمر الوجه " عزة " وجعلتني أصفره " ذلا " .

---

(١) مثنوى :٣/٣٢٨٧-٣٢٨٨

(٢) مثنوى : ٢٩١٢/٤

– فاللون منك وأنت الذي قمت بصباغتي ، وأنت إذن أس جرمي وآفتي وجرحي .

– فانتبه ، وأقرأ " رب بما أغويتني " ، حتى لا تتحول إلى جبري ، وحتى تقلل من طوافك بالإلتواء .

– فحتام تقفز على شجرة الجبر ، وحتام تلقي باختيارك جانبا .

– مثل إبليس وذرياته ، فهو مع الله – جل وعلا – في حرب وجدال ؟

– وكيف يكون إكراه وجبر وأنت بسعادة بالغة ، لا زلت تشمر رداءك في العصيان ؟

– فهل يمكن أن يمضي أحد سعيدا هكذا فيما هو مجبر عليه ؟! وهل يمكن أن ينغمس أحدٌ راقصا في الضلال ؟

– وكنت تقاتل بقوة عشرين رجل في ذلك الأمر ، بينما كان الآخرون يقومون بنصحك .

– وكنت تجادل قائلا : هذا هو الصواب ، وهذا هو الطريق الحق فحسب ، فمن الذى يعيب علي ، إلا ذلك الذي لا يساوي شيئا .

– ومتى يقول الشخص الذي يكون مكرها مثل هذا ؟ وكيف يقاتل هكذا الذي لا يملك طريقه ؟

–إن لك الاختيار في كل ما طلبته نفسك ، وكل ما أراده عقلك ، فأنت مضطر فيه !!(١)

٢– ويرى مولانا جلال الدين أن الإنسان نفسه يحس في داخله بأنه مختار ، والدليل على هذا تردده بين أمرين ، وهذا الإحساس يسميه مولانا الإدراك الوجداني:

---

(١) مثنوى :١٣٨٩/٤-١٤٠١

- يكون هناك إدراك وجداني بدلا من الحس ، وكلاهما يجريـــان في جدول واحد ياعمـــــاه .

- وبهذا يلطف الأمر والنهي والتكليف ، وما يجـــري ، وما يقـــال .

- وقول: ترى ماذا أفعل غدا ؟ أأفعل هذا الأمر أو ذاك الأمـر ، هو دليلٌ على الاختيار أيها الوسيم الحسن .

- وذلك الندم الذي يعتريك أنك أكلت من ذلك " الطعام" السيء ، قد صرت مهتديا إليه من جراء إختيارك أيضـــــا .

- وكل القرآن أمر ونهي ووعيـــــد ، فمن ذا الذي رأى حجرا من المرمر قد وجه إليه أمـــــر ؟

- ولا يوجد عاقل أو عاملٌ قط يغضب على حجر أو مدر ، أو يحقد عليـــــه .

- قائلا لهما : لقد قلت لكم : إفعلوا هذا أو إفعلوا ذاك ، فكيف لم تقوموا بفعله أيهـــا الأموات العجزة ؟!

- ومتى يحكم العقل على الحجر أو على الخشب ، ومتى ينشب الإنسان مخاليه في صورة مخلب ؟!

- أو أن يقول : أيهــا الغلام مقيد اليد والقدم ، هيا خذ الرمح وتعال صوب الوغـــى !!

- والخالق الذى يخلق الكواكب والأفلاك ، كيف يقوم بأمر أو نهي يدل على جهـــل ؟!

- لقد محوت إحتمال العجز عن الحق ، ثم اعتبرته - جل وعلا - جاهلا ذاهلا سفيهـــا . !!- والعجز لا يكون من القادر وإن نسبته إليـــه ، فإن الجهل يكون أقبح من العجز .(١)

---

(١) مثنـــوى : ٥/٣٠٢٢-٣٠٣٣

أثمة عجز وجهل ، ثم يكون أمر ونهي ؟ كيف يمكن أن يكون ذلك متأتيا من العدالة الإلهية ؟ وكيف تجيز على الخالق تعالى ما تستنكف نسبته إلى بشر ممن خلق ؟!

– والعدل قسام وجدير بالقسمة وقابل لها ، وهذا هو العجب ، فلا جبر ولا ظلم .

– فإن كان ثم جبر ، متى كنت نادما ؟ ، وإن كان ظلم ، متى كان حافظا ؟[1]

ويعود مولانا إلى هذه النقطة كثيرا يتناولها من جوانب متعددة ، فقد كان يرى أن شعور الندم والحياء من الحق والتضرع إليه والتوبة والإنابة هي الدليل الأكبر على أن الإنسان مختار في فعله ، ويقدم تفصيلا وافيا لها في الأبيات التالية :

– وأعد من القرآن تفسير البيت ، في قوله تعالى ﴿ وما رميت إذ رميت ﴾ .

–فإن أطلقنا السهم فليس هذا منا ، فنحن القوس والرامي هو الله .

– وهذا ليس جبرا ، لكنه معنى الجبارية ، والجبارية تعن عند ذكر العجز والمسكنة .

– وصراخنا ونواحنا دليل على الاضطرار ، وخجلنا صار دليلا على الاختيار .

– وإذا لم يكن اختيار ، فما هذا الخجل وما هذا الأسف وهذا الندم ؟

– ولماذا يعاقب الأساتذة تلاميذهم ؟ ، ولماذا يكون تحويل الخواطر عن تدابيرها ؟

---

(١) مثنوى : ٤/١٦٤٣-١٦٤٤

- وإذا قلت أنه آنذاك يكون غـافلا عـن جبره ، وأن قمـر الحقيقـة يكـون مختفيـا خلف سحابه ؛

- فإن لي على هذا الاعتراض جوابا حسنـــــا ، إن استمعت إليه ، تترك الكفـر وتدخل في الدين .

- فالحسرة والضراعة تكون عند المرض ، وأوان المرض كله يقظـــة .

- وأنت عندما تسقط مريضـــا ، تقوم بالاستغفار عن جرمك .

- ويبـدو فـي داخلـك قبـح الذنـب ، وتنـوي قـائلا : سوف أرجـع إلـى الطريـق القويـــم .

- وتأخذ على نفسك العهود والمواثيق وتقول : لا يكـون لـي اختيـار فـي الأمـور من بعد إلا الطاعة .

- ومن ثم صار من المؤكد أن مرضك يهبك الوعي واليقظـــة .

- فاعلم هذا الأصـــل إذن يا باحثا عن الأصـــول ، إن كل من أحس بالألم ، ظفر برائحة " تقوده إليه ".

- وكل من هو أكثر يقظة ، يكون أكثر ألمـــا ، وكل مـن هـو أكثـر وعيـــا ، يكون أكثر شحوبـــا .

- فإذا كنت منتبها إلـى جبره ، فمـا ضـراعتـك ؟ ، وأيـن رؤيتـك لغـل الجباريـة الحديدي ؟

- وكيف يفرح المقيد بالغل الحديدي ؟ وكيف يزاول نزيل السجن الحريـــة ؟

- وإن كنت ترى أن قدمك قد قيدت ، وأن عسكر الملك قد وقفوا على رأسك ؛

- لا تزاول إذن مع العاجزين ما يفعله العسكر ، فليس هـذا مـن طبـع العـاجز أو من شيمـــه .

– فـــإذا كنت لا تـرى جبره ، لا تتحدث عنـه ، وإن كنت تـراه ، فـأين دليـل الرؤية ؟

– وفي كل أمر تكون ميالا إليـــــه ، لا تفتأ ترى قدرتك عيانا ؛

– وما لاميل لك فيه أو رغبة ، تجعل نفسك جبريا ، وتقول أنه من الله .

– فالأنبياء جبريون في أمور الدنيـــــا ، والكفار جبريون في أمور العقبى .

– وللأنبيـاء اختيـــــار فـي أمــــور العقبـى ، وللجهـال احتيـار فـــي أمــور الدنيـــــا .(١)

ويكرر مولانا نفس هذا المثــــال في الكتاب الذى بين أيدينـــــا :

– لقد قمت بحرفة ما طوعـــــا واختيارا قائلا : إن لي اختيـــــارى وفكرى ؛

– وإلا كيف اخترت هذه الحرفة من بين الحرف يا عينا من الأعيــــــان ؟!

– وعندما تأتي نوبة النفـس والهـوى ، يكـون عنـدك اختيـار بقـدر مـا يكـون مـن عشرين رجل .

– وعندما يبخسك رفيقك مقدار حبة ، فإن اختيار العراك قد تفتح في روحك .

– وعندما تأتي نوبة شكر النعم ، فلا اختيار لك ، وتكون أقل من حجر .

–ويقينا إن الجحيم سوف يعتذر لك قائلا : أعذرني في حرقي إياك هكذا .(٢)

ويفسـر مولانـا هـذا النـدم تفسيرا منطقيـــــا آخـر ، إن هـذا النـدم هـو الآخـر قضـــــاء مثل الحمل الأول الذى كان قضـــــاءً بدوره ، وأن هناك أمـورا تتدخـل في اختيارك ، وأمورا أخرى تتدخل في ندمك علـى هـذا الاختيـار ، والأمـر هنـا يشبه موقفا آخر اتخذه مولانا جـلال الديـن قد يكـون قدريـــــا فيـه ، وإن كـانت

---

(١) مثنــــــوى : ١/٦١٩-٦٤٢

(٢) مثنــــــوى : ٥/٣٠٦٩-٣٠٧٤

النظرة النفاذة في هذه الأبيات توحي بأن " الاختيار اختيار الله والقضاء قضاء الله " :

- والأمر الذى تندم عليه في نهايته، لو كان هذا حاله من البداية ، متى كنت تسرع في أثره ؟

- ومن ثم فقد أخفاه في البداية عن أرواحنا ، حتى نقوم بهذا الأمر كما قضي علينا " أن نقوم به " .

- وعندما نفذ حكم القضاء ، فتحت العين لكي يحدث الندم .

- وهذا الندم قضاءٌ آخر ، فاترك الندم إذن ، وكن عابدا للحق .

- وإن تتعود على الندم ، تصير من هذا الندم أكثر ندما .

- فيمضي نصف عمرك في التشتت والاضطراب ، ويمضي نصفه الآخر في الندم .

- فاترك هذا النمط من الفكر والندم ، وابحث عن حال أفضل ورفيق أفضل وعمل أفضل .

- وإن لم يكن في يدك عملٌ أفضل ، لفوت أى شيء إذن يكون ندمك ؟

- وإن عرفت طريقا طيبا فاسلكه واعبد الله ، وإن كنت لا تعرف ، فكيف تعرف أن هذا " الذى أنت فيه" سيء ؟

- إنك لا تعرف الشر ما لم تعرف الخير ، إن الشيء يمكن رؤيته بضده أيها الفتى .

- وما دمت عاجزا عن التفكير في ترك هذا الندم ، فأنت آنذاك عاجز عن ترك إرتكاب المعصية.

- وإذا كنت عاجزا ، فمم يكون الندم ؟ ابحث ثانيـــــة جذب من كان ذلك العجـــــز . (١)

هكذا تطور مولانا جلال الدين ببيانه المقنع ليصل إلى النقطة التي يدق عليها : هب أن الأمور قضـــاءً ، فلماذا الندم ؟ وإذا كنت عاجزا وكانت المعصيـــة مفروضة عليك ، فلماذا إذن الندم عليها ؟ وهل يندم المرتعش الذى تهتز يداه من مرض مثلما يندم الذى يهز يديه عمدا وقصـــدا ؟(٢)

٣- وفي هذا المجال من الممكن أن تقسم كل مظاهر الخليقة إلى قسمين : ما هو قابل للتغير ، وما ليس قابلا للتغير ، والإنسان في تعامله مع ما ليس قابلا للتغير مجبـــور ، لكنه مختار في الأمور التي تقبل التغيير ، بل ومطالب بتغييرها إلى الأفضل . وعندما يسوق مولانا حوارا بين الأنبيـــاء الذين يقولون أن الإنسان مختار والكفار الذين يقولون أن كفرهم قدر مقدور ، ويضربون الأمثال بأن الحجر يظل حجرا والقديم يظل قديمـــا والماء على صفاته منذ الأزل والطين أيضـــا على صفاته ، وكل شيء قد خلق هكذا كقدر مقدور لا يقبل التحول :

-قال الأنبيـــاء : أجل ، لقد خلق الله صفاتٍ لايمكن تحويلها أو تبديلهـــا .

- كما خلق - جل شأنه - صفات عارضة ، بحيث يصير المبغوض محبوبـــا

- فإن قلت للحجر كن ذهبا فهذا عبث ، أما أن تقول للنحاس كن ذهبـــا ، فهناك سبيل .

---

(١) مثنـــوى : ١٣٣٦/٤-١٣٤٧

(٢) مثنـــوى : ١٥٠٦/١-١٥٠٩

- وإن قلت للرمل كن زهـــــرا فهو عاجز ، أما أن تقول للتراب : كن زهـرا ، فهذا جائـــز .(١)

فالأنبياء وإن اعترفوا بأن كل شيء ليس قابلا للتغيير والتبديل ، إلا أنهم قالوا بأن الأمراض الموجودة في النفس البشريـــة قابلة للعلاج ، والواقع أن الصوفية جميعا كانوا من أنصار الاختيار ، لأنه لو كان ثم جبر ، لما كان هناك طريق أو سلوك أصلا ، وهذا ما يسميه همائي بالفرق بين جبر العوام وجبر الخواص ، ففي الطريق ، وأثناء السير والسلوك إلى الله سبحانه وتعالى يظل السالك مشغولا بالجبر أو الاختيار ، لكنه عندما يصل إلى المعية والفنـــاء ، حيث تفنى تعيناته ويستهلك في المطلق ، لا يبقى له اختيـــار ، بل يكون وجوده هو عين وجود الحق ، كقطرة لحقت ببحرهـــا ، وهذا هو جبر الخواص (٢) :

-وكل من كان حائرا مستغرقا في تردده ، همس الحق في أذنه بلغز من الألغـــاز .

- وذلك حتى يجعله سجينا بين ظنين ، قائلا : ترى أأفعل ما همس لي به أو أقوم بعكســه ؟

- ومن الحق أيضا يرجح أحد الظنين ، ومن كنف لطفه ، يختار واحدا من الإثنين .- وإذا لم تكن تريد أن يظل لب الروح في هذا التردد ، فقلل من ضغطك على هذه القطنة في أذن الروح .

- حتى تفهم كل ألغـــازه ، وحتى تدرك المعميات والواضحـــات .

---

(١) مثنـــوى : ٣/٢٩١١-٢٩١٤

(٢) جلال الدين همائـــي : مولوى نامـــه ١/٩٨-٩٩

– فتصبح الأذن موضعا لوحي الحق ، وما هو الوحي ؟ إنه الجدير بالقول عن طريق الحس الخفي .

–فعين الروح وأذنها غير هذه الحواس الظاهرة ، وعين العقل وأذن الظن يفتقران إليه .

– ولفظ الجبر جعل العشق مني نافد الصبر ، ومن ليس بعاشق سجين في نطاق الجبر .

– إنها معيـــــة مع الحق وليست جبرا ، إنها تجل للقمر ، وليست سحابا .

– وإن كان هذا جبرا فليس جبر العامة ، وليس جبر تلك الأمارة تابعة هواهـــــا

– وهم يعرفون حقيقة الجبر يا بني ، فقد فتح الله أبصــــار قلوبهم .

– ولقد صار الغيب والآتي ظاهرين لهم ، وصار ذكر الماضي هباءً عندهم .

– واختيارهم وجبرهم من نوع آخــــر ، فالقطرات في الأصداف تتحول إلى درر .

– وهي خارج الصدف مجرد قطرات صغيرة أو كبيرة ، لكنها في الصدف درر صغيرة وكبيرة .

– وهؤلاء القوم يتصفون بطبع نافجـــــة الغزال ، ظاهرهم دم ، والمسك في بواطنهـــــم .

– ولا تتســــاءل : إنه من الواضح أن هذه المادة دم ، فكيف تصبح مسكا عندما تصل إلى النافجـــة ؟

– ولا تقل : لقد كان نحاسا ، وإن إختفى ظاهره ، وإلا فكيف يتحول في قلب الأكسير إلى جوهر ؟

- فالاختيار والجبر كانا فيك مجرد خيـــــال ، وعندما إنتقلا إليهم ، تحولا إلى نور لذي الجلال .(١)

والإنســـان الذي لا يدرك الاختيـــار يكون في عدم إدراكه لهذا الاختيـــار أقل من حيوان :

- ولو أن جمالا قام بضرب جمـــــل ، فإن ذلك الجمل يهاجم الجمال الضارب

- ولا ينصب غضب الجمل على العصــــا التي ضربتـه ، إذن فقد فهم البعير شيئا عن الاختيـــار .

- وهذا الكلب إن رميته بحجر ، فإنه ينثني عليك أنت بالهجوم .

- وإن أبدى بعض الغضب على الحجر ، فلأنك بعيد ، ولا تنالك يداه .

-وإذا كـان عقل الحيوان قد فهم الاختيـــــار ، فلا تقل هذا القول يا عقل الإنســـان ، واخجـــل .

- إن هذا شديد الوضـــوح ، لكن طمعــــا في السحور ، يغمض ذلك الآكل عينيه عن النور .

- ولما كان كل ميله منصبا على تناول الطعـــام ، فإنه يتجه إلى الظلام قـائلا : لم يطلع النهار .

- وإذا كان الحرص يخفي الشمس ، فأى عجب أن يعطي ظهره للبرهان ؟!(٢)

٤- ويجد الجبر مصداقيته ما دام متوافقا مع القوانين الإلهية ، وهناك اختيـــــار فردى وليس الأمر قدرا مقدورا ، وصورة الشريعة أى كلياتها لا تتغير لكن محتواها حر وقابل للتغيير ، وفي هذه المصالحة بين الشريعة والاختيار نلتقي

---

(١) مثنــــــوى : ١/١٤٦٦-١٤٨٤

(٢) مثنـــــوى : ٥/٣٠٥٠-٣٠٥٧

بأكثر التصورات في فلسفة إقناعا ومنطقية . فالدين وهو الجوهر الأصلي لتصور الشرع أبدي ولا يتغير ، وطبيعته دائما ما هي على نسق واحد ، ومن هنا فهي بلغة العرفان " خارجة عن حدود الزمان والمكان " وبلغة علم الأديان"مقدرة وجبرية " ، ومن هنا فإن البنية التحررية للشخصية تكون في حاجة إلى نسقية معنوية وعلمية وعلية معنوية ، ولقد كتب قلم التقدير مرة واحدة وإلى الأبد أن لكل عمل جزاء خاصا به ، فإن إخترت طريقا معوجا ، فإن القانون الأزلي الذى لايرحم للقضاء سوف يأخذك إلى طريق الخطأ ، والحق والباطل كلاهما مطيع لهذا القانون ، فإن قلم التقدير لا تحركه إرادة مستبدة ، فمن المقدر أن يكون للخير والشر نتائجهما التي لابد منها ، الميزان الإلهي يزن الذرة ، والكتاب لا يغادر كبيرة ولا صغيرة إلا أحصاها .(١)

ويتجلى هذا المعنى في تفسير مولانا جلال الدين للحديث النبوي [جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة ، رفعت الأقلام وطويت الصحف] ويضيف مولانا : جف القلم ألا تستوى الطاعة والمعصية ، لا تستوى الأمانة والسرقة ، جف القلم ألا يستوى الشكر والكفران ، جف القلم أن الله لا يضيع أجر المحسنين :

– وهكذا أيضا تأويل قد جف القلم ، إنها من أجل التحريض على الشغل الأهم .

– إذن فقد كتب القلم إن لكل فعل ما يليق به من تأثير وجزاء .

– تسير معوجا ، يأتيك الإعوجاج ، جف " بهذا " القلم ، وإن أتيت بالصدق والآستقامة ، تتولد لك السعادة.

---

(١) خليفة عبد الحكم : عرفان مولوى – ترجمة أحمد محمدى وأحمد مير علائي – تهران١٣٥٢صـ ١٠١وصـ١٠٢

- وإن ارتكبت الظلم فأنت مدبر" سيء الحظ ، جف القلم بهذا ، وإن عدلت ، فأنت ذو نصيب من هذا "العدل" ، جف القلم .

- وعندما يسرق أحد ، فقد ضاعت يده ، جف القلم ، ومن يشرب الخمر فقد ثمل ، جف القلم .(١)

ثم يعود مولانا إلى الفكرة في موضع آخر :

- إن هذه الأحزان هي فعلك لحظة بلحظة ، هذا هو معنى جف القلم .

-فلن تجد لسنتنا تبديلا من الرشد ، فالخير يجازى بالخير ، والشر بالشر .

- بل الشر للشر ، جف القلم ، والوفاء للوفاء ، جف القلم .(٢)

الحق والباطل إذن كلاهما مطيع لقانون ، وحكم التقدير لا يجري كيفما أُتفق ، والاختيار موجود وكامن وفي حاجة إلى من يحركه ، داعي الخير أو داعي الشر :

- وهناك اختيار كامن في باطنك ، ما لم ير مثيلا ليوسف ، لا يقوم بجرح اليد .

-كان الاختيار وكان الداعي موجودا في النفس ، ورأى وجهه ففتح الجناح والقوادم .

- والكلب قد نام وضاع منه اختياره ، وعندما رأى السقط ، بصبص بذنبه .

- والحصان يصهل عندما يرى الشعير ، والقطة تموء عندما يتحرك اللحم

- فإن الرؤية تحريك لهذا الاختيار ، كالنفخ يثير من النار الشرار .

- ومن هنا فقد تحرك اختيارك ، عندما صار إبليس رسول غرام ، وأتاك برسالة من محبوبك .

---

(١) مثنوى : ٥/٣١٣١-٣١٣٥

(٢) مثنوى : ٥/٣١٨٢-٣١٨٣

- وعندما يُعرض الشيء المشتهى على امريء ما ، فإن الاختيار النائم يتمطى، وتتفتح أعطافه .

- ثم إن ملائكة الخير برغم أنف الشيطـــــان ، تعرض هي الأخرى " ما لديها " وتقيم ضجة في القلب .

- حتى يتحرك اختيار الحق لديك ، فقبل العرض تكون هاتان الخصلتان نائمتين داخلك .

- إذن فالملاك والشيطــــــان كلاهما عارض " عليك " ، وذلك من أجل أن تتحرك عروق الاختيار فيك.(١)

الإنســـــان إذن ليس مترددا بين مستحيلين ، بل إن كل واحد منهما ممكن ، ومعروض ، بل ومعروف العاقبة ، تأمل الإنسان بينهما ، تلك اللحظة الفاصلة قبل الاختيار ، قدرته على شيء وعدم قدرته على شيء ، وهو في هذه الفجوة ، هذا هو خير دليل على الإختيار ، إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر ، وإن قلت أن اختيارك للشر قضاء ، فإن هذا لن يعفيك من المسئولية والعقاب ، فالله تعالى أمر بأن يعاقب الشرير :

- قال لص للشرطي : أيها العظيم ، إن ما ارتكبتــــــه ، كان من حكم الإلــــــه .

- قال الشرطي : وما أفعلــــه أنا من عقاب ، هو حكم الله أيضـــــا يا نور عيني .(٢)

---

(١) مثنـــــــــوى : د/٢٩٧٥-٢٩٨٤

(٢) مثنـــــــوى :د/٣٠٥٨-٣٠٥٩

وهكذا ، فإن أكل أحدهم ثمرة من شجرة على أساس أن " عبد الله يأكل من حديقة الله " ، فإن حبل الله أيضا موجود ليوثق بــــه ، وعصا الله موجودة ليضرب بها ، جبرك في الشر من الممكن أن يُقابل بجبر في العقاب(١) هذا هو منطق العدالة الإلهيـــــة .

٥- ولكن : هل يعني الاختيـــــار هنا أنه اختيــــار على إرادة الله ؟ وهذا يعني أن الله يريد وأن الإنســـــان يريد ، وما دام الإنســـان مختارا فإن له بالفعل إرادة مستقلـــة ؟ بالتأكيد لا يستطيع مسلم فضلا عن صوفي وعارف أن يجيب على هذا السؤال بالإيجاب . وخروجا من هذا التناقض يجيب مولانا بأن اختيار البشر جزءٌ من اختيـــــار الخالق ، وهو اختيار أصغر أمام الاختيار الأكبر ، ويفسر هذا ببيانه العظيم قائلا:

- إن اختياره هو الذي اختار كل أنواع الاختيــــــار ، واختياره كالفارس " مخفي" في الغبار .

- وإن اختياره هو الذي يقوم باختيارنا ، ومن ثم صار الأمر مستندا علـى الاختيــــار .

- والتسلط على صورة بلا اختيار ، موجود عند كل مخلوق عند قدرته عليها .

- حتى ليُجــــر الصيد دون اختيار من هذا الصيـــد ، وحتى يسحب أحدهم زيدا جارا إياه من أذنيه .

- لكن صنع الصمد " يستطيع " بدون آلة قط ، أن يجعل اختياره وهقـــا له .

- فإن اختياره يقيد زيدا ، ويصيده الحق دون كلب أو فخ .

---

(١) مثنــــــوى :٥/٣٠٧٧-٣٠٨٤

– والنجار يكون مسلطـــا علـى الخشب ، وذلك المصـور يكـون حاكمـا علـى الجمال الذى صوره .

– كما أم الحداد قيم على الحديد ، والبناء مسيطر على آلة عملـــه .

– والعجيب أن كل هذه الاختيارات ، تسجد أمام اختياره هو كالعبيد .

– وقدرتك على الجمادات في صراعك " مع الحياة " ، متى نفت الجمادية عن أى منها .

– ومن ثم فقدرته على المخلوقات المميزة ، لا تقوم بنفي الاختيــار عنها .

– فداوم على القول بأنها مشيئة الله على وجه الكمال ، فليس فيها نسبة الجبر والضلال .(١)

لكن إياك – إستنادا على هذا القـول – أن تقـول إن كفـري مشيئـــته ، إنـه مـن مشيئتـــه ، وهو أيضا من مشيئتك ، فلا كفر بلا مشيئـــة :

– وما دمت قد قلت : إن كفري مشيئتـــه ، إعلم أن مشيئتك أيضـــا موجودة

– ذلك أن كفرك لا يكون دون مشيئـــة منـك ، إن الكفـر بـلا مشـيئة منـك قـول متناقض .

–فالأمر للعـاجز قبيـــحٌ وذميم ، والغضـب " عليـه " أقبـح ، وبخاصـة عندمـا يكون من الرب الرحيم .

– إن الثـــور الذى لايقبل النير يتعرض للضرب ، لكن ثورا قط لم يُحقر ، لأنـه لم يطر .

– وإن لم يكن الثور معـذورا فـي فضـول الفعـل والقـول ، فمـن أى شـيء يكـون صاحب الثور الوقح معذورا .(٢)

---

(١) مثنـــــوى : ٥/٣٠٨٧-٣٠٩٩

(٢) مثنـــــوى :٣١٠٠-٣١٠٣

نعم : قد يتدخل اختيـــــار الله سبحانه وتعالى ، فينقـض مـا اختـار العبـد ، وهـو المعروف " بفسخ العزائم ونقضها من أجل إعـلام الإنســــان أنـه هـو المـالك والقاهر " يقول مولانا تحت هذا العنوان :

- إن العزائم والمقاصـــد في الحوادث ، تصح لك بين الحين والآخـــر .
- حتى يلوى قلبك طمعـــا ، ثم يحطم قلبك مرة أخـــرى .
- ذلك أنه إذا جعلك بلا مراد كلية ، لصرت قانط القلب ، فمتى غرسـت غـرس الأمــل ؟
- فهو وإن كان ينقش الأمـل في قلـب كـل إنســان ، فمتـى كـان قهـره يبـدو عليـــه من إنتفاء هذا الأمل ؟
-لقد صار العشـــاق من صدهم عن مرادهم عارفين بمولاهم .
- وصارت الخيبة دليلا إلى الجنة ، فاستمع إلى "حفت الجنة" يا حسن الجبلة .
- وكل مراداتك كسيرة القدم ، ومن ثم يلزمك شخص" موفق الخطـــى .
- ومن ثم صار هؤلاء الصادقون كسيرين ، لكن أين هو انكسار العاشقين .
- وإن العقـلاء كسـيرون لـه اضطـرارا ، لكـن العشـاق كسـيرون لـه بمائـة اختيـــار .(١)

وهكذا عندما يصل مولانا جلال الدين إلى نقطة الصعوبـة فـي القضيـــة ، يقدم حله المعهـود : العشق ، عندما تكون عاشقـا ، لن تقول إرادتي وإرادتـــه ، بـل سوف تذوب الإرادات كلها ، إن صار لك ثم إقتران بالنور الإلهي ، فلا جبر ولا اختيار ، بل ذوبان تام في كل ما اختاره اللــــه :

- وجاهد حتى تجد جرعة من كأس الحق ، فتكون آنذاك متجردا عـن ذاتـك بـلا اختيـــار .

---

(١) مثنــــــوى : ٣/٤٤٦٥-٤٤٧٣

–وعندما تصبح تلك الخمر هي اختيارك الكلــــــي ، تكـون معـذورا علــى الإطلاق ، كالثمـــل .

– وكل ما تدقه يكون مدقوقـــا بتلك الخمر ، وكل ما تكنســـه ، يكون مكنوسا بهـــا .

– ومتى يفعل ذلك الثمل إلا العدل والصـــــواب ، لقد شرب من كـأس الحـق الشراب .(١)

اختيار البشر في هذه الحالة موجود ، لكن كظل لما اختاره اللـــــه [ومن أشرف على حسن اختيار الله ، لم يتمـن إلا مـا اختـار الله لـه] فـي قـول منسوب إلـى الحسين بن علي رضي الله عنهمـــا .(٢) وهذا يتفق مع نظريـة جلال الدين الرومـي الشاملة التـي تعتبر كـل الموجـودات ظــلا لشـمس الحقيقـة الكـبرى ، والمقصـود بـالطبع أن الإرادة الإلهيـة عندمـا تغلـب ، لا يكـون هنـاك اختيــــار لمخلوق ، ومن ثم تتكرر عند مولانا دائمـا عبارة " إن جـاء القضـــا ، ضـاق الفضـــا " :

– وعندما يحم القضـــاء ، تضيـق هـذه الدنيـــا ، ومـن القضــــاء تصـير الحلوى ألما للفم .

–لقد قيل : إذا جاء القضاء ضاق الفضا، تحجب الأبصــــار إذ يأتي القضــــاء .

– وعندما يحـم القضــــاء ، تعمـى الأبصـــــار ، بحيـث لا تـرى العيـن كحـل العين .

---

(١) مثنـــــوى : د/٥، ٣١٠٥-٣١٠٨

(٢) الهجويـــــرى : كشف المحجوب – الترجمة العربية بمشـــاركة كاتب هذه السطور – صـ ٢١١

-إن مكر ذلك الفارس أنه أثـــار الغبار ، وذلك الغبار هو الذى أبعدك عن الاستغاثـــة .

-فامض نحو الفارس ، ولا تمض نحو الغبـــار ، وإلا أطبق عليك مكر هذا الفارس .(١)

يريد مولانا أن يقول : حذار أن تتبجح وتترك الضراعة ، وأن تظن أنك مسلط على مصيرك ، وأن يرديك هذا الظن فتنصرف عن العبودية والتضـــرع والعبادة :

– وأمام النور المستقر ، ماذا يكون في حد ذاته ، كر اختيار أبي البشر وفره ؟

-وموضع السمع فيه قطعتان من العظـــام ، وموضع إدراكـــه قطرتان من الدم ، أى القلب .

– وقطعة من اللحم أداة للحديث عنـــده ، وقطعة من الشحم هي موضع بصـــره .

– إنه مجرد دودة صغيـــرة مليئة بالأقذار ، لكنه ملأ الدنيا بالضجيج والصخب .(٢)

والمقصود بالطبع أن تكريم الإنســان بالاختيار ، لا ينبغي أن يكون سببا في تجبره وادعائه ، وأن يدعي أنه " خلف شغاف القلب محبوب معتز برأيـــه "(٣) هذا الاختيار اختيار غير كامل ، يعبر عنه مولانا بأنه اختيار ذو شقين ، أى بين طريقين من الشك والخوف والهول والتردد الذي يعذب البشر في أعمالهم

---

(١) مثنـــوى :٣/٣٨٠-٣٨٤

(٢) مثنـــوى : د/١٨٥٢-١٨٥٥

(٣) جلال الدين همائـــي : مولوى نامه – ١/٩٠

وأفعالهم ، ومن ثم يجد المرء نفسه – بالرغم من الكرامة التي أعطيت له – متضرعا إلى الخالق أن ينجيه من شر هذا الاختيار ، هي مسئولية الحرية التي لا تزال تعذب الحر ، لكن المناجي هنا يطلب من الله سبحانه وتعالى أن يصطفي روحه ويجعلها له ، ويسقيها من دن الغيب شرابا ينقلها إلى قدرية الجنون والسكر الإلهي[١] :

– ومن أكون أنا ؟ إن هذا الفلك ذا المئات من أنواع الحشمة والجلال ، قد صرخ أكثر من هذا الحقير من جراء الاختيار .

– قائلا : أيها الإله الكريم الحليم ، ارحمني من هذا الاختيار ذى الشقين .

– إن الجذب إلى طريق واحد هو الطريق المستقيم ، أفضل من طريقي التردد أيها الكريم .

– ومهما كنت أنت المقصود من هذين الطريقين ، لكن انتزاع الروح جاء من الإثنينية .

– وليكن لي أى هذين الطريقين بعزمك أنت ، لكن القتال فيك لم يكن قط كاللهو .

– واستمع إلى بيانها من القرآن الكريم ، في الآية الكريمة ﴿ أشفقن منها ﴾ .

– وهذا التردد في القلب كأنه جمر الوغى ، أى الأمرين بالنسبة لي أفضل ، يا ترى .[٢]

---

(١) المصدر السابق : صـ ٩١

(٢) مثنوى : ٦/٢٠٢-٢٠٨

وحتى في هذه الحالة ، تظل العظمة الإلهية منوطة بكون الإنسان مختارا ليس مجبرا هذا كما تقاس العظمة الحقيقية لأى حاكم بأنه يحكم شعبا من الأحرار لا شعبا من العبيد ، فأية مزية حقيقية للحكم والسلطة على مخلوقات كقطع الشطرنج . وهذا أمر شديد الوضوح ،. والاختيار على مراحل ، وهو ظاهرة ليس لها وجود عيني كالأجسام في الخارج ، ظاهرة - والرأى لمحمد تقي جعفرى صاحب التفسير الكبير لمثنوي جلال الدين -(١) ذات حالتين : الحالة الأولى وهي القوة الموجودة قبل اختيار العمل والقيام به ، وفي هذه الحالة لا يتنافى الإختيار ولا يصطدم بأى اختيار آخر ، ما دام لم يدخل في حيز العمل بعد ، وهناك تتنافس مئات الأنواع من الاختيارات مادامت كلها لم تنتقل إلى حيز العمل أو تنتقل من القوة إلى الفعل أو من الفكرة إلى التنفيذ هذه الحالة تشغل حيزا من الوجود لا يمكن لفكرة أخرى أن تشغله ، ومن البديهي أن النقيضين لا يجتمعان ، ومن ثم فإن كون الله سبحانه وتعالى مختارا مطلقا فوق اختيارات الإنسان ، لا يتنافى مع اختيار الإنسان ، لأن الاختيار الإلهى ليس حقيقة عينية تتصادم مع حقائق عينية أخرى ، وهذا يشبه تماما قولنا أن وجود الله وإحاطته بكل الوجود لا يتنافى مع كون الإنسان موجودا ، بل إن اختيار الله سبحانه وتعالى يستلزم وجود اختيار آخر لكي يجرى مشيئته عليه ، وهو ما عبر عنه مولانا بأن قدرة الإنسان على الجماد لا تنفي جمادية الجماد(٢) وهو ما سبق أن ذكرناه ، ليس هذا

---

(١) محمد تقي جعفرى : تفسير ونقد وتحليل مثنوى جلال الدين محمد مولوى - جـ١٢- صـ ٤٠٧-٤٠٩- تهران - اسلامي -١٣٦٣هـ.شـ.

(٢) المصدر السابق : صـ ٤٠٨

فحسب ، بل إن منتهى الاختيار أن يمحى هذا الاختيار الجزئي الإنساني في الاختيار الكلي الإلهي :

- قال داودﷺ : لقد كنت مغلوبا لك ، ثملا بك ، كانت يداى مقيدتين بيدك .

- أليس كل مغلوب للمليك مرحوما ؟ وأليس المغلوب كالمعدوم ؟

- قال سبحانه وتعالى : أين ذلك المعدوم المغلوب ؟ أيقنوا أنه ليس معدوما إلا بشكل نسبي .

- إن مثل هذا المعدوم الذي غاب عن وعيه ، هو أفضل الموجودات وأعظمها .

- إنه فان في صفات الحق ، وفي الحقيقة فإن البقاء له في هذا الفناء .

- وكل الأرواح فى تدبيره ، وكل الأشباح في مرمى سهمه .

- إن من هو مغلوب فى لطفنا ، ليس مضطرا " مجبورا" ، بل هو مختار بالولاء والمحبة .

- ومنتهى الإختيار يصبح لمن يكون اختياره مفتقدا هنا .

- وليست هناك لذة عند المختار ، إن لم يصر له محو الأنية في نهاية الأمر .(١)

وكما أن " جف القلم " لا تعني استسلاما ، بل تعني أن هناك ثوابت في الحساب الإلهي ، فإن القول الآخر [ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن] لا يعني أن يترك الإنسان نفسه مثل قشة في مهب الريح ، فالمشيئة مشيئته تعني أن الرضا رضاه سبحانه وتعالى والغضب غضبه ، فالزم طاعته ، ولا تطلب رضا الآخرين ، واطلب رضاه :

---

(١) مثنوى : ٤/٣٩٥-٤٠٤

- إن قول العبد " ماشاء الله كان " ، ليس من أجل أن تتكاسل على أساســـه .

- لكنه تحريض على الإخلاص والجد ، أى زد في العبادة ، وكن مستعـــدا .

- فإن قيل لك أن الأمر أمرك أيها العظيم ، والفعل فعلك ، فقم به حسب هواك .

- يجوز حينذاك أن تكاســـل ، فإن كل ماتريده أو تقوله هو الذى يصير .

- وعندما يقال : ماشاء الله كان ، يعنى أن الحكم حكمه تعالى وإلى الأبد .

- وإلا فلماذا أنت في ورده وذكره كمائة رجل ، وكيف لا تطوف بعبودية حول بابـــه ؟

- لقد قلت هذا الكلام وصرت كســـولا ، وصرت معكوس الخاطر والإدراك .

- فالأمر أمر السيد فلان ، ماذا تعني ؟ تعني قلل الجلوس مع غيـــره .

- وطف حول السيد مادام الأمر لـــه ، إنه يقتل العدو ، وينجي الصديق .(١)

٦- ولا يعني الجد أو السعي الذى يدق عليه مولانا جلال الدين كثيرا أن على الإنسان أن يقاوم ما لا سبيل إلى مقاومته ، أو أن يحاول الخروج عن نطاق القضـــاء ، أو بتعبير خليفة عبد الحكم " أن يدق رأسه في جدار القضاء" فالجد والسعي والكدح في حد ذاته جزءٌ من قدر الإنســـان (٢) :

- والجهاد ليس من قبيل مغالبـــة القضـــاء ، فهو أيضـــا ما كتبه علينا القضـــاء .(٣)

كما يرى خليفة عبد الحكم أن التصور الأصلي للواحديـــة الذى يعزى إلى فلسفة فيختـــه ، جاء به مولانا جلال الدين من قبله ، وفحواه أن ما يبدو

---

(١) مثنـــــوى : ٥/٣١١١-٣١١٦و٣١٢٠-٣١٢١

(٢) خليفه عبد الحكم : عرفـــان مولوى - صـ ١٠٤

(٣) مثنـــــوى : ٩٨٠/١

لأنظارنا مما نسميه مقاومة خارج حدود النفس هو في الواقع ينبع من النفس ، والنفس تبسط في هذه المقاومة عن طريق المغالبة الدائمة ، وما ورد في القرآن الكريم عن ابتلاء الله البشر وتمحيصه إياهم عن طريق المصائب ، انعكس في نظرية مولانا بشأن الشر ومقاومته كوسيلة لتحقيق إمكانات الذهن البشرى وما يمكن أن يقوم به من معجزات ، والمقاومة فحسب والصبر هما اللذان يهيان الوجود الإنساني استعدادات جديدة ، وهذا هو مصير الإنسان ، لكنه في الوقت نفسه لا يناقض الاختيار . من هنا لا يكون الاختيار هدفا في حد ذاته ، بل يكون وسيلة لاتخاذ قرارات حرة جديرة بالنفس الإنسانية وعلوها وتساميها . الهدف من الاختيار سمو الانسان وعيشه حرا ، وكون الإنسان مجبوراهوفي حد ذاته عبودية ، إنه يتربى ويتسامى ويسلك الطريق حتى يصل إلى أن يصبح جديرا بالاختيار، وكرامة الاختيار أنه يجد حريته باختياره[1] ومن هنا فالاختيار يبين نوعية البشر ، وهو المحك :

– فالحق يسلط الحار والبارد والتعب والألم على أجسادنا أيها الرجل الشجاع

– فالخوف والجوع ونقص الأموال والبدن ، كلها من أجل ظهور نقد الروح .

–ولقد وجه كل هذا الوعد والوعيد ، من أجل هذا الخير والشر اللذين مزجهما معا .

– وما داموا قد مزجوا الحق بالباطل ، فقد صبوا في الهميان الصحيح والزائف .

– ومن ثم ينبغي له محك منتقى في الحقائق ، اجتاز كثيرا من الامتحانات .

---

(١) خليفة عبد الحكم : عرفان مولوى – صد ١٠٥

– حتى يصبح فارقـــا بين هذه الأمور المـزورة ، وحتـى يصبح دسـتورا لتلـك التدابيـــــر .

– فلـترضعي موسـى يا أم موسـى وألقـي بـه فــي اليــــــم ، ولا تخشــين مــن البـــــلاء .(١)

الاختيـــار إذن هو قدر الإنســـان الحقيقي ، والإنســـان يقـدر اختيـــاره ، وهو السبيل إلى بيان الزائف مـن الصحيح والتبـن مـن القمـح ، ويكـون الإنسان إنسانا بقدر اختياره ، ويعطى رحمة الله بحسب هذا الاختيـــار ، وتظل العطايـا بقدر القابليات ، والقابليات بقدر الجهد ، فكرة تتردد كثيرا عند مولانا جلال الدين وهو يلاحظ الإنسان ميدان عمله الأول بين ضعفه وقوته وتساميـــه وتدنيـــه

– إن هناك بين الخلائق أرواحا طاهرة ، كما أن من بينهـا أرواحـا كـدرة علاهـا الطين .

– وهذه الأصداف ليست كلها في مرتبة واحـدة ، فبعضهـا يحتـوي علـى الـدر ، وبعضها الآخر ليس فيه إلا سبــــــه .

– ومن الواجب أن تفصل بين الصالح والطالح ، مثلما تقـــوم أنت بفصل القمـح عن التبن .

– لقد خلق هذا العالم من أجل إظهـــار " هـذه الحكمـة " ، وذلـك حتـى لا تبقـى كنوزها مدفونة مخفيـــة .(٢)

---

(١) مثنــــــوى : ٢٩٧٤/١-٢٩٨٠

(٢) مثنــــــوى : ٣٠٢٥/٤-٣٠٢٨

الإنســـــان الحر كنز ، والامتحـــــان الإلهي كنز ، والمسئوليـــــة هي الوجـه الآخـــــر للحريـــــة ، فليس هناك عبد مسئـــــول ، والامتحان يكون لبيان صدق اختيار المرء :

– وإذا لم يكـن هنـاك امتحان لكـل شـرير ، لكـان كـل مخنـث بطـلا فـي الوغـى كرستـــــم .

–فافترض أن المخنث مدرع فـي الحديـد ، لكنـه عندمـا يـرى الطعـــــان يسـقط كالأسيـــــــر .

– وكيف يصير ثمل الحق مفيقـــا من ريح الدبـــــور ، إن ثمل الحق لا يفيـق ولو بنفخ الصور .(١)

وصور هذه الامتحانات كثيرة التردد في المثنوى ، حيـث يصـور مولانـا آفــــة الإدعاء ، وافتضاح المدعين في بيان قل أن يوجـــــــد مثلـه عنـد شـاعر صـوفـي آخـــــر .

٧– ويعالج مولانا التناقض الظاهر في بعض الأحـاديث النبويـــــة بشـكل أدبـي لكنـه شـديد العمـق ، فهنـاك حـــــديث [الرضـــا بـالكفر كفـر] وهنـاك حديــث آخـــــر [من لم يرض بقضائـــي فليبحث عن رب سواى]

–بالأمس سألني سائــــــل كان مغرمــــا بالجدل .

– قال : هناك حديث يقول : الرضا بالكفر كفـر ، وقد قالـه المعصـوم ، وكلامـه ختم " لكلام الأنبيـــــاء " .

– لكنه قال في موضع آخر : على المسلم أن يكون راضيـــا بقضــــاء اللــــه

– أليس الكفر والنفاق من قضـــــاء اللــــه ؟ وإن رضيت بهما ، فهذا شقــــاق

---

(١) مثنـــــــوى : ٣/٦٨٦–٦٨٨

- وإن لم أرض بهمـــــا فهــذا هو الخسران ، فمـا حيلتـي إذن بيـن هذيـن الحديثين ؟

- فأجبت : إن الكفر مقضيٌ وليس قضـــــاء ، فهـذا الكفر حقيقـة مـن آثــــار القضــــاء .

- ولتعلم إذن القضـــــاء من المقضي أيهـــا السيـــــد ، حتـى يرفـع الإشكال لديك في التو واللحظـــة .

- فأنا أرضى بالكفر من حيث أنه قضـــــاء ، لا مـن حيث يكـون نتيجـة جدالنـا وخبثنـــــا .

- والكفر من حيث إنه قضـــــاء ليس كفرا ، فلا تسم الحق كافرا ، فهذا أمر جلل

- فالكفر جهل ، والقضـــــاء بالكفر علــــم ، ومتى كانا سواءً الحلم والجهل ؟

- وقبح الخط لايعني قبح الخطاط ، لكنه أبدى القبح من ناحيتـــــــه .

- والقــــوة في النقاش أنـه يستطيـــــع أن يصـور القبح كمـا يستطيـــــع أن يصور الجمــــال .(١)

ومولانا يعني بالمقضي نفاذ قضـــاء الله تعالى في العبد بما يتناسب مع أعمـال العبد وأفكاره واتجاهاتـــــه ، أى أن القضـاء هو مـافي علـم اللــــــه ، فـإذا نفذ سهمه أصبح مقضيـــــا ، ومـن هنـا قد يتغير مصيرالعبد بالدعـاءأو بـــالعمل الصالح أو بالتوبة أو ما إلى ذلك من أعمال العبد التي تجعل منه شريكا في قـدره محددا لمصيره ، وهذا ما جعل مولانا جـلال الدين يرفـض تلـك الفكـرة الجبريـة الممعنة في الجبر التي تجعل من الإنســـان مجرد بعير أعمى مرخي الزمــــــام

---

(١) مثنــــــــوى : ٣/١٣٦٣- ١٣٧٤

وهي في رأيـــه تسد الطريق إلى الخالق جل شأنه تماما ، وتقطع العلاقة بين الخالق والمخلوق وتضيـــع قيمة العمـــل ويضيع الأمـــل :

– فهل تجيز وهل يكو في الأصــــل جائزا أ يكو الحق معزولا عن حكمه الذى سبق ؟

– أو أن يقول لك : لقد خرج الأمر من يدى ، فلا تلجأ إليّ كثيـــرا وكفاك تضرعا إلي ً .

– لكن معنى جف القلم أنهما ليسا عندى سيـــان ، العدل والظلـــــم .

– ولقد فرقت ما بين الخير والشـــــر ، لكني أيضـــا فرقت ما بين السيء والأســـوأ منه .

– فلو أن عندك ذرة من الأدب أكثر مما لدى رفيقك ، فإنما يعلمهـــا فضل الرب .

– فيعطيك الزيادة بقدر هذه الذرة ، وتظهر هذه الذرة وكأنها الجبـــل .

– والملك الذى لايكون هناك فرق أمام عرشه بين الأمين وبين الظلوم " الخئون "

– ولا يكون هناك فرق بين من يرتعد خوفـــا من أن يرد لديـــه ، وبين ذلك الذى يسخر حتى من جده " وإقبالـــــه" .

– وكلاهما يكونان عنده ســـواء ، لايكون ملكا ، بل أحثُ التراب الكدر على رأســـه .

– فلو أن مثقـــال ذرة تزيـــد من جهدك ، فإنها تكون موزونـــة في ميزان اللـــه .(١)

(١) مثـــــوى : د/٣١٣٦-٣١٤٥

ومن ثم فالمسئوليـــة عمل يقابلها في الطرف الآخـــر عدالـــة مطلقـــة ، ينالها العبد مهما تأخرت فليس عنـــد الله زمــــان .

٨-وهناك قضية أخرى ذات ارتباط بقضية الجبر والإختيار هي قضيـة " الكسب والتوكل " . والقضيـة ذات أصـول من القرآن والسنة والمـوروث الصوفـي ، ويصل فيها التناقض في المواقف حدا جعل الإمام الغزالي يقول " التوكل وهو في نفسه غامض من حيث العلم ثم هو شاق مـن حيث العمـل ، ووجـه غموضـه من حيث الفهم أن ملاحظة الأسباب والاعتماد عليها شرك في التوحيد ، والتثـاقل نها بالكلية طعن في السنة وقدح في الشرع " ويقول التسستري " من أنكر الكسـب فقد أنكر السـنة ، ومـن أنكـر التوكـل فقـد أنكـر الإيمـان " أو كمـا يقـول السـرى السقطي ما معناه أن المرء يستطيع أن يكون فـي السـوق دون أن يشـغل لحظـة واحدة عن الله تعالى .(١) وهكذا فبالرغم من أنه " لا رهبانية في الإسـلام " إلا أن نظرات الصوفية تختلف فـي هـذا المجـال اختلافـا يصـل إلـى حـد التنـاقض ، فالدنيا خلقت بالحق وعلى وجـه الحكمـة ، وتسير وفقـا لنظـام منطقـي مرسوم ، وليست عبثا أو لهوا أو لعبا ، ومع ذلك توجد آيات أخرى تتحدث عن الدنيا كلهـو ولعب ومتاع غرور . وفي الواقع أن التناقض هنا تناقض صـوري ، فلفـظ الدنيـا يوحـي بتصـورات مختلفـة ، إذ يمكـن اعتبـار الدنيـا مكانـا جديـرا بـالعيش برغـم كراهة أهل الدنيا المتمسكين بها المتكالبين عليها ، وهناك دنيا للبشـر ودنيـا للـه ، وما هو مرفوض حقيقة هو الدنيـا التـي فـي سبيلها يـداس علـى كـل شـيء حتـى

---

(١) عن خليفة عبد الحكم : عرفان مولوى صـ ١٠٨-١٠٩

علىأوامر الله ونواهيه ، الدنيا الخالية من الله ، والحياة " بدون الله "(١) أو ما عبر عنه مولانا بالماء تحت السفينة وليس الماء في السفينة .(٢)

وهناك ملمح جدير بالإهتمام في فكر مولانا جلال الدين وهو أن نفس هذه الروح الصوفية التي يعتبرها الجميع تحث على ترك الدنيا وهجر كل نشاط فيها ، هي عند مولانا جلال الدين من أعظم عوامل حث الفرد على النشاط والبناء ، وأنواع الذنوب تحط بأدرانها على النفس وعلى حرية الإنسان في نفس الوقت ، فهي عامل تدمير بالنسبة لتربية الشخصية الإنسانية . والمثنوى في هذا المجال وثيقة صوفية ضد ترك الدنيا وضد الجبر ، وسجل حافل بعوامل تربية الشخصية وتربية الإرادة الإنسانية الحرة(٣) .

---

(١) المصدر السابق : صـ ١١٣

(٢) مثنوى : ١/ ٩٩٠ . والتعبير مأخوذ من سنائي : حديقة الحقيقة الأبيات ٥٩٩٩-٦٠٠١

(٣) في ندوة أقامتها مجلة كيهان فرهندى " كيهان الثقافية " شارك فيها عدد من أساتذة الجامعات الإيرانية المهتمين بالتصوف وكاتب هذه السطور ، وجه لي أحدهم سؤالا هو : من دراستك لجلال الدين هل تراه من القائلين بوحدة الوجود أو القائلين بوحدة الشهود ؟ وأجبت : عندما بدأت قراءة جلال الدين لم أهتم بوحدة الوجود أو وحدة الشهود ، وإنما كان أول ما لفت نظري ذلك السعي الدؤوب في تربية الشخصية الإسلامية المثالية ، وتتبع أمراض النفس الإنسانية ، والإهتمام بمصير الإنسان على الأرض كمرحلة أولى وأساسية من مراحل عروجه إلى السماء . وتأكد لي أن الغرب قدم لنا جلال الدين قدم لنا جلال الدين الرومي الغائب التائه المغرب في الحديث عن وحدة الوجود ووحدة الشهود لكي يصرفنا عن الاستفادة منه ، ليس الاستفادة منه وحده بل من التراث العرفاني كله ، وإلا هل يستطيع أحد أن يقول أن سنائي والعطار ومولانا جلال الدين كانوا غائبين في ملكوت الله ؟ . وكان الأستاذ جعفر

ويقف مولانا جلال الدين كثيرا عند الأحاديث التي تحض على العمل ، والحرص على قوام الشخصية في المجتمع ، والدنيا لازمة تماما ، فبدونها لا عروج ولا تصفية ولا تنقية ، وسخر مولانا من أولئك الصوفية والزهاد الذين يتنطعون في التوكل ، ويتظاهرون ، ويبالغون في محاولة الخروج عن الطبيعة البشرية وما تقتضيه الحياة (١) والاهتمام بالدنيا في رأى مولانا مهم من أجل عمار سوق هذه الدنيا:

- إن شهوة الدنيا على مثال المستوقد ، يكون حمام التقوى مشتعلا منه .
- لكن نصيب المتقي من هذا المستوقد هو الصفاء ، فهو موجود في الحمام وفي النقاء .
- والأغنياء مثل حملة البعر والقمامة ، من أجل إشعال النار عند الحمامي .
- لقد وضع الله الحرص في نفوسهم ، حتى يبقى الحمام رائجا معمورا .(٢)

طبيعة الحياة نفسها في حاجة إلى كل هذه المتناقضات ، ولولاها ما قامت :

- وإذا لم يوجد جاه فرعون وكبرياؤه ، فمن أين تجد جهنم ما يغذيها ؟

= شهيدى من حضور الندوة ، فقال : أوافقك تماما ، نحن في حاجة إلى قراءة جديدة لتراثنا نابعة منا نحن ، ولم يوجهنا فيها أحد .

(١) حكاية الدرويش الذى نذر ألا يأكل إلا من الثمار التي تسقطها الريح في الكتاب الثالث ، وحكاية الدرويش الذى نام متوكلا في حضن جبل ناء عن الناس الواردة في الكتاب الخامس " البيت ٢٤٠١وما بعده .

(٢) مثنوى : ٤/٢٣٨-٢٤١

- فسمنـــــه ثم أقتله أيهــــا القصـــاب ، وذلك أن الكلاب في جهنم بقيت بـلا زاد .

- وإذا لم يكن هناك خصم وعدو في الدنيـــا ، لمات الغضب إذن بين الناس .

- وذلـك الغضـب هـو جهنـم ، ويلزمـهُ خصـم حتـى يعيـش ، وإلا قتلتـــه الرحمـــة .

- ولبقي إذن لطفٌ بلا قهر أو شر ، ومتى كان كمال الملك يتـــم آنذاك ؟! (١)

ويستمر مولانا في هذه الفكـــرة : العالم قائم علـى الأضـداد ، علـى الصـراع ، ومن الطبيعي أن يحتوى على عدة ألوان ، ومـن المحـال أن يكـون لونـا واحـدا ، والغفلة مكروهة ، ولولاها ما قام هذا العالم :

- وأنت جمل أعمـى مشـدود الزمـام ، فـداوم النظـر إلـى الجـذب ولا تنظـر إلـى الزمـــام .

- ولو صـار الجـذب محسوســا والزمـام ، لمـا ظلـت الدنيـا توصـف بأنهـا دار الغـــرور .

- ولرأى المجوسي أنه يسير فـي أثـر كلـب ، لكـي يصبـح مسـخرا للشيطــان الأكبـــر .

- ومتى كان يمضي في أثره إذن كالمخنث ؟ بـل لكـان المجوسـي قـد إرتـد عـن متابعته سريعــا .

- وإذا كانت البقرة تفهم ما يريده منها القصابـــون ، فمتـى كـانت تتبعهـم حتـى الحانوت ؟

- وتأكل النخالة من أيديهـــم ، وتدر لهم اللبن عندما يتحسسون ضرعها ملقا

---

(١) مثنـــوى : ٤/١٠٧٥-١٠٧٩

- ومتى كانت تهضم علفها إن أكلت ؟ إذا فهمت ما هو المقصود من هذا العلف

- ومن هنا فإن عماد هذه الدنيـــا هو الغفلة ، وما هي الدولة المسماة بالفارسية " دُولَت " ، إنها من "دو" بمعنى السعي ثم " لت " بمعنى الضرب .(١)

وهل يمكن أن تثبت حرية اختيـــار إن لم يكن ثم ما يمكن الاختيار من بينه ؟ فما قيمة الجهاد إذن إذا اختفى الشر من الدنيـــا ؟

- وعندما لا يكون عدو فالجهـــاد محـــال ، وإن لم تكن شهوة ، لا يكون هناك امتثـــال .

- ولا يكون صبر عندما لا يكون لديك ميـــل ، وعندما لا يوجد خصم ، ما الحاجة إلى قيامك بالإحتيـــال

-فانتبـه ، ولا تجعل من نفسك خصيـــا، ولا تصر راهبـــا ، ذلك أن العفة رهينة بوجود الشهوة .

- ولا يمكن النهي عن الهوى إن لم يوجـــد هوى ، ولا يمكن القيـــام بالغزو ضد الموتـــى .

- لقد قال " أنفقـــوا " إذن " فاكسبـــوا " أولا ، ذلك أنه لا نفقـــة دون أن يسبقها دخـــل .

- فإذا كان قد قال " أنفقوا " على الإطـــلاق ، فاقرأها أنت اكسبوا ثم انفقوا .

- وكذلك عندما قال إصبـــروا ، ينبغي أن تكون هناك رغبـــة ، حتى تشيح عنها بالوجـــه .

- إذن فإن " كلوا " من أجل شراك الشهـــوة ، وبعدها " لا تسرفوا " وهذه هي العفـــة .(٢)

---

(١) مثنـــوى : ٤/١٣٢٣-١٣٣٠

(٢) مثنـــوى : ٥/٥٧٥-٥٨٢

مولانا جلال الدين إذن – في رأى الخليفة عبد الحكم – هو الوحيد من بين الصوفيـــة الذى جاهد في إدراك طبيعة الشر من نواحيه الأخلاقية والمادية والاجتماعيـــة ، فالشر مهما كان نسبيـــا ، له وجود حقيقي ، والأمور في حد ذاتها ليست خيرا محضـــا وليست شرا محضـــا ، فلا قيمة للأشيـــاء في حد ذاتها ، لكنها تقيم من ناحية تلقي البشر لها ، والأمر الواحد ربما يكون لأحدهم خيرا وللآخر شرا [١] ويكون شرا في ظروف معينـــة وخيرا في ظروف أخـــــرى :

– ومن هنا فليس هناك شـــر مطلق في هذه الدنيا ، إعلم إذن أن الشر نسبي .

– ولا يكون أبدا سم وسكر في وقت واحـــــد ، لا يكونان قوة لأحد وقيدا لآخـــر .

– فما يكون قوة لأحد يكون قيدا لآخر ، يكون سما بالنسبة لأحد ولآخر كأنه السكـــر .

– وسم الحية يكون حياة لتلك الحيـــــة ، لكنه بالنسبة للإنسان موت .

– والبحر بالنسبة لأحيـــــاء البحر كالحديقة ، لكنه لمخلوقات الأرض موت ومصيبـــــة . [٢]

حتى المعرفة ليست خيرا في حد ذاتها ، بل تكون خيرا إن وضعت في خدمة الروح ، وشرا إن أُتخذت وسيلة لكسب الجاه والتسلط على الخلق :

---

[١] الفكرة وردت أيضا عند سنائي في الحديقـــــة لبيت ٤٦١:

الموت لهذا هلاك ولذاك مثونة ، والسم لذاك غذاء ولهذا موت .

[٢] مثنـــــــوى : ٤/٦٥-٦٩

- إن علوم أهل الدين حاملة لهـــــم ، وعلـوم أهـل الحـس أحمـال علـى كواهلهــــم .

- والعلم حين يطـــرق القلب يكون معينـــا ، والعلم حين يحط علـى الجسد يكون وقـــرا . (١)

كل ما في الكون ضـــروري ، ولا يهم أن تكون بعض السلع معيبة ، فهذا العيب ضروري من أجل أن تتبين جودة السلع الأخرى ، بل إن الله - بتعبير سنائي- عندما خلق الكون لم يخلق شرا على الإطلاق (٢)

ويقـــول مولانـــا :

- وإذا لم تكن البضائـــع المعيوبة موجودة في الدنيـــا ، لكان كل التجار بلهـــاء .

- ولكانت معرفة البضائـــع إذن أمرا شديد السهولة ، فإن لم يكن ثم عيسى ، فسواء العزيز والخسيس .

- وإن كانت كلها ذات عيوب ، فلافائدة للمعرفة ، فما دام كله خشب ، فليس ثم عود هنا .

- وذلك الذى يقول كلهم على الحق أحمق ، وذلك الذى يقول كلهم على باطـــل شقي .(٣)

فالحيوان وهو أدنى من البشـــر لامفهوم عنده للخير والشر ، والملاك لا يعرف ما هو الشر ، الإنسان فحسب هو الحر في الاختيـــار بين أن يكون ملاكا أو

---

(١) مثنـــوى : ١/٣٤٦٠-٣٤٦١

(٢) حديقة الحقيقـــة : الأبيات ٤٥٤-٤٦٠

(٣) مثنـــوى : ٢/٢٩٥٠-٢٩٥٣

يكون شيطانا ، وهذه هى الجدلية الرئيسية في العرفـــان ، وكل ما يتعرض لـه الإنســـــان محك له وضبط لعيـــاره وبيان لحقيقته واختبار لأصلـــه ومدى قابليتـــه :

- وكل إنســـــان يدعي الحسن والملاحة ، فإن حجـر المـوت بالنسبة لـه محك ملاحــــة . (١)

- وعندا اختفى المحك بين الرجال والنســـــاء ، أدخل في الصف أيها الزيـف ، وتتفج الآن بالادعــــاء .

- وما دام المحك غائبا أثناء تتفجك وادعائك ، فافهم أنهم يحملونك معززا يدا بيد

- ويقول الزيف بعنجهيـــــة : متى كنـت أقـل منـك أيهـا الذهـب فـي أيـة لحظـــــــة ؟

- فيقـول الذهـب : بلـى أيهـا الرفيـق ، لكـن اسـتعد فـالمحك قـــــادم فــي الطريـــــق .(٢)

ولعل سائلا يتســــاءلأ : أين مفهـــوم الحرية عـــند جلال الدين ؟ لقد كان كل ما عرض هنا قضية كلاميـــة ليس أكثر ، أين الحريات المكفولة في المجتمعات الحديثة ؟ حرية الاعتراض على الحاكم وحرية الرأى والتعبير ؟ أين الحريات المنصوص عليها في الإعلان العالمي لحقوق الإنســـــان ؟ والـرد : أيمكن أن يوجد فكر يعترف بحرية الإنســـــان وحقه في الاختيـــار تجاه خالقــــه ، ثم يحـاول أن يثبت قضيـة بدهيـة هـي حريـة الإنســـــان فـي مواجهـة مخلـوق مثلــــه ؟

---

(١) مثنــــــوى :٤/١٦٧٤

(٢) مثنــــــوى : ٤/١٤٧٧-١٤٨٠

كان مولانا جلال الدين يرى أن حرية الإنسان لا يتم لها التحقق إلا إذا كان حرا من الداخل مسيطرا على نفسه التي بين جنبيه وعلى شهواته ومطامعه التي تحد من انطلاقه الروحي ، فعبد الشهوة أسوأ من العبد الرقيق :

– وعبد الشهوة أسوأ عند الحق ، من الغلمان والعبيد المسترقين .

– فإن هؤلاء يصيرون أحرارا بلفظ واحد من السادة ، وذاك يعيش عيشا حلوا ، ويموت ميتة شديدة المرارة .

– وعبد الشهوة لا يجد خلاصا في حد ذاته ، إلا بفضل الله وبإنعام خاص .[1]

حرية الإنسان الحقيقية إذن تنبع من داخله، وحلم الإنسان المستمر هو الحرية ، ولا يستطيع أى طاغية أن يسلب من الإنسان حريته إن كان حرا من الداخل . أما أولئك الذين يريدون رأى مولانا في طغيان السلطة فليلتمسوه من مقدمة الترجمة العربية للكتاب السادس .

---

(١) مثنوى : ١/٣٨٣٠-٣٨٣٢

النــص

بسم الله الرحمن الرحيـــــم

وبه نستعين ، وعليه نتوكل ، وعنده مفاتيح القلوب ، وصلى الله على خير خلقه محمد وآله وصحبه أجمعين .

هذا هو المجلد الخامس من دفاتر المثنوي والتبيان المعنوى في بيان أن الشريعة كالشمع تبدي الطريق ، ودون أن تحصل على الشمع لا تصبح سالكا للطريق ، وعندما تسير في الطريق، فسيرك هذا هو الطريقة، وعندما تصل إلى المقصود ، تكون الحقيقة . ومن هنا قيل : لو ظهرت الحقائق بطلت الشرائع ، فلو كان النحاس قد تحول إلى ذهب ، أو كان المعدن ذهبا في الأصل ، لما كانت به حاجة إلى علم الكيميـــاء الذى هو بمثابة الشريعة ، أو أن يعرض على هذا العلم ، وعرضه هذا هو الطريقة ، كما قيل : [طلب الدليل بعد الوصول إلى المدلول قبيح ، وترك الدليل قبل الوصول إلى المدلول مذموم] .. . الخلاصة أن الشريعة بمثابة تعلم علم الكيمياء من أستاذ أو من كتاب ، والطريقة هي استخدام الأدواء وتعريض النحاس للكيميـــاء ، أما الحقيقة فهي تحول النحاس إلى ذهب . وعلماء الكيمياء فرحون قائلون : نحن نعلمها ، والعاملون في علم الكيمياء فرحون قائلــون : ونحن نمارسهـــا ، ومن وجدوا الحقيقة سعداء بالحقيقة قائلون : لقد صرنا ذهبا وتحررنا من علم الكيمياء أو العمل به ، فنحن عتقـــاء الله ﴿ كل حزب بما لديهم فرحـــون ﴾ .... أو أن مثل الشريعة كمثل تعلم الطب ، ومثل الطريقة كمثل التطبب والتوقي على مقتضى الطب ، والحقيقة هي إدراك الصحة الأبديـــة والفراغ من التعلم والممارســة ،. وعندما يمضي المرء عن هذه الحياة ، تنقطع عنه الشريعة والطريقة وتبقى الحقيقة ، فإذا كانت لديه الحقيقة فهو لا يفتأ يصيح ﴿ يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي ﴾ ، وإن

لم يدركها صاح ﴿ يا ليتني لم أوت كتابيه ، ولم أدر مـا حسابيه ، يـا ليتهـا كـانت القاضيـــة ، مـا أغنـى عنـي ماليـه ، هلـك عنـي سـلطانيه ﴾ فالشـريعة علـم ، والطريقة عمل ، والحقيقة هي الوصول إلى الله، ﴿ فمـن كـان يرجـو لقـاء ربـه ، فليعمل عملا صالحا ، ولا يشرك بعبادة ربـــه أحدا ﴾ . وصلى الله على خير خلقه محمد وآله وعترته وسلم تسليمـــا.

– إن الملك حسام الدين وهو نور الأنجم ، طالبٌ لبدء السفـــــر الخامس .

– يا ضيـــاء الحق ، ويا حسام الدين العظيم ، يا أستاذا لأساتذة الصفـــــاء .

– لو لم يكن الخلق محجوبين مدنسين ، ولو لم تكن الحلوق ضيقة ضعيفـــــة؛

– لأعطيت الكلام حقـــه في مدحك ، ولتفوهت بغير هذا المنطق .

٥– لكن طعام البازى لا يكون لتلك الصعوة ، وما من حلٍ الآن سـوى أن يمـزج الماء بالزيت .

– وإن شرح أحوالك مع أهل الدنيا يكون مـن قبيـل الغبـن ، فلأكتمـه فـي داخلـي كأنه سر العشق .

– فالقيام بمدحك مع السجناء إهدارٌ لـــه ، فعليّ أن أنطلـق فـي هـذا المديـح فـي محفل أهل الروح .

– وما المـدح إلا تعريـف وكشـف للحجـاب ، والشـمس فـي غنـى عـن التوضيـح والتعريف .

– ومادح الشمس هو في الحقيقة مادح لنفسه ... كأنه يقول: إن عينـيّ مبصـرتـان وليستا بالرمداوين .

١٠– وتوجيه الذم إلى شمس الكون هو ذم للنفس،كـأنك تقـول : عينـاى عميـاوان مظلمتان كليلتان .

– ولنلتمس العذر لإنسان يكون في هذا الكون حاسدا للشمس المضيئـــة .

– فهل استطاعت عين قط أن تخفيها بأن تغمض " أمامها " ، أو هل قدرت علـى منعها من منح النضرة للأشياء المهترئـــــة .

– أو أن تقلـل مـن نورهـا الـذى لاحـدود لـــــه ، أو أن تنهـض منكـرة سـطوتها وجاههـــــا ؟

- إن من يكون حاسدا للكون ، يكون هذا الحسد له بمثابة الموت الأبدى .

١٥- لقد جاوز قدرك إدراك العقول ، وكل ما يبديه العقل في تفسير أحوالك ، مجرد فضول .

- فإذا كان العقل عاجزا عن البيـــان ، وجبت الحركة بعجز في هذا المجال .

- " إن شيئا كله لا يدرك ، إعلموا أن كله لا يتـــرك " .(١)

- فإذا كـــان لا يمكن شرب طوفان السحاب ، فكيف يمكن ترك شرب المـــاء ؟(٢)

- وإذا كنت لا تستطيع أن تعبر عن الســـر في بيان ، فهيا جدد المدارك من مجرد قشوره .

٢٠- إن أنواع المنطق بالنسبة لك كلها قشور ، لكنها بالنسبة للآخرين لباب طيب

- والسماء بالنسبة للعرش شديدة الدنو ، لكنها بالنسبة لأكداس للتراب شديدة العلو

- وأنا أتحدث واصفا إياك ليسلكوا الطريق ، قبل أن تأخذنهم الحسرة من فواته .

- فأنت نور الحق ، وأنت حقيقة جاذب الروح ، والخلق "تائهـون" في ظلمات الوهم والظن .

- ولكي يصير هذا النـور الطيب مكحلة للعميـــان ، عليهم فـي البدايـــة أن يقوموا بتعظيمه .

٢٥- وإنما يجد النور ذلك المستعد حاد السمع ، ذلك الذى لا يكون عاشقا للظلام وكأنه الفأر .

---

(١) بالعربية في المتن الفارسي .

(٢) ج ١١/١٢٠- محمد تقي جعفرى - تفسير ونقد وتحليل مثنوي جلال الدين محمد مولوى - مجلد ١١- ط ١١ -تهران ١٣٦٣ هـ ش. : وإذا لم يكن في الإمكان شرب ماء البحر ، يمكن لك أن تشرب منه بقدر ما يسد ظمأك .

- وضعاف البصر الذين يتجولون ليلا ، متى يمكن لهم الطواف حول مشعلة الإيمان .

- والنكات المشكلة دقت على فهم رهين الطبع ، ذلك الذى عمي " بصره " عن الدين .

- والعين لا تستطيع أن تحملق في ضوء الشمس ، ما لم يزين الفضل سداها ولحمتها .

- وذلك الذى حفر الأرض جحورا كأنه الفأر ، لا يستطيع أن يتسامق بفروعه كأنه النخل .

٣٠- وهناك أربعة أوصاف ضاغطة على قلوب البشر ، والعقل قد صار مصلوبا على هذه الأربعة .

تفسير ﴿فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك﴾

- إنك خليلُ زمانك يا ساطع الذكاء ، فاقتل هذه الطيور الأربعة قاطعة الطريق .

- ذلك أن كل طائر منها وكأنه الغراب ، يقوم بسلب العقل ، واختطافه من العقلاء .

- وإن ذبح هذه الأوصاف الأربعة في الجسد كطيور الخليل ، يعطي الروح " نحو الارتقاء" السبيل .

- فيا أيها الخليل ، من أجل الخلاص من خيرها وشرها ، قم بذبحها حتى تزال السدود من أمام قدمك.

٣٥- إنك كل ، وكلها أجزاء منك ، أطلقها ، فإن قدمك مشدودة إلى أقدامها .

- وعالم الروح في عذاب منك ، وفارس واحد يكون ظهيرا لمائة جندى .

- ذلك أن هذا الجسد قد أصبح موطنا للخصـــال الأربعة ، وصارت أسماؤها لطيور الأربعة الباحثة عن الفتنة

- وإذا كنت تريد الحياة الأبدية للخلق ، فاقطع رؤوس هذه الطيور الأربعـة المشئومة السيئة .

- ثم أحيها بعد ذلك ، نشأة جديدة ، نشأة لا يكون منها بعدها ضرر .

٤٠- وهذه الطيور الأربعة المعنوية قاطعة الطريق ، قد اتخذت لها في قلوب الخلق موطنـــا .

- وما دمت أميرا على كل القلوب السوية ، فأنت خليفة الحق في هذا العصـــر؛

- فاقطع إذن رؤوس هذه الطيور الأربعـــة ، واجعل العمر العابر سرمديـــا

- إنها البط والطاووس والغراب والديك ، إنها مثال على هذه الخصال الأربعة في النفوس .

- فالبط هو الحرص ، والديك هو الشهوة ، والجاه كالطاووس ، والغراب هو الأمنيـــة .

٤٥- إن منيته أن يكون راجيا صانعا للرجاء ، طامعا في التأييد أو العمر الطويل

- والبط هو الحرص لأن منقاره " دائما" في الأرض ، لا ينفك يبحث عن الدفين في الأخضر واليابس .

- ولا يتوقف حــلقه هذا لحظـــة واحــدة ، إنه لا يسمع من حكم الإله إلا أمره ﴿كلـــوا﴾ .

- إنه مثل لص يقتحم منزلا ، ويأخذ في ملأ خرجه بكل ما أوتى من سرعة .

- ويكدس في كيسه الغث والسمين ، حبات الدر وحبات الحمص معا .

٥٠- حتى لا يفاجـــأ بمجيء لص آخـــر ، يأخذ في تكديس الأخضـر واليـابس في كيسه .

- إن وقته ضيق ، ومهلته قصيرة ، والخوف " طـاغ " عليـه ، فهـو يضـع تحـت إبطه كل شيء دون توقف .

- وليست لديه ثقة في سلطانه ، وأن لصـــا آخر لن يجـرؤ علـى الهجـوم عليـه والتصدى له .

- لكن المؤمن - إعتمادا على الحياة الأخرى - يهجم حين يهجم بتمهل وأناة .

- فهو آمن من أن يفوته شيء ، ومن مغير آخر ، فهو يعلم قهر مليكه لعدوه .

٥٥- وهو أيضا آمن من الأتباع الآخرين ، ومن أن يأتوا منافسين له ومنتفعين .

- لقد رأى عدل المليك في ضبط الحشم حيث لا يجرؤ أحد على ظلم أحـــــد .

- فلا جرم أنـه لا يتعجــــــل ، ويكـون سـاكنا ، وهـو آمـن تمامـا مـن أن يفوتـه حظـــــه .

- ومن هنا فهو يتأنى ، ويصبر ويصابر ، فهو شبع العيـن ، يؤثـر علـى نفسـه ، وطاهر الجيب .

- فهذا التأني نورٌ من الرحمن ، وتلك العجلة من هزة الشيطـــــان .

٦٠- ذلك أن الشيطان يخوفـــــه من الفقر ، فيقوم بعقر مطيــــة الصـــــبر .

- واستمع من القرآن أن الشيطان في وعيده ، يقوم بتخويفك من الفقر الشديد .

- حتى تختطف كل قبيح وتأكله من عجلتك ، فلا مروءة ولا تأن ولا ثواب .

- فلا جرم أن الكافر يأكل في سبعة بطون ، فإن قلبـه ودينـه واهيـان ضعيفـان ، والبطن ضخمة .

في سبب ورود هذا الحديث للمصطفى صلوات الله عليه وهو { الكافر يأكل فى سبعة أمعاء، والمؤمن يأكل في معى واحد}

– نزل بعض الكفــــار ضيوفا على الرسولﷺ ، وجاءوا إلى المسجد وقت العشاء

٦٥– وقالوا : لقد نزلنا أيها المليك ضيوفا عليك ، يا من أنت المضيف لكل سكان الأفق .

– فنحن بـلا زاد وجئنـا مـن طــــريق بعيـد ، فهيـا أنـثرعلى رؤوسـنا الفضــــل والنور .(١)

– فقال : القسمة يا صحـابتي ، فـأنتم ممتلئـون بـي ، ومـن ديدنـي ، وعلـى نفس خصالـــــي .

– إن أجساد الجنود تكون ممتلئـة من الملك ، ومـن هنـا فهـم يضربـون بسـيوفه أعداء جاهه .

–إنك تضرب بهذا السيف بغضب الملك ، وإلا فأى غضب عندك على إخوانك ؟

٧٠– وتضرب أخا بريئا بدبوس الحـرب ذى الأمنـان العشـرة ، إنعكاسـا لغضب الملك .

– فالملك روح واحدة ، والجيش ملـيء بـه ، والـروح كالمـاء وهـذه الأجســـــاد كالجدول .

– وإذا كانت روح الملك حلوة عذبة ، فإن كل الجداول تمتليء بالماء العذب .

–فالرعية على دين ملوكها فحسب ، هكذا قال السلطان الذى نزلت عليه " عبس "

---

(١) ج :١٣١/١١ واستعلامي :١٢/٥ بيت زائد : – إلتفت إلى صحابته ذلك السلطان العظيم ، الآخذ بأيدى كل الملوك والعباد .

- واختار كل صحابي ضيفا من الضيوف ، وكان من بينهم رجل ضخم لا نظير له "في جرمه ".

٧٥- كان ضخم الجسد ، فلم يستضفه أحد ، وبقي في المسجد كما تبقى الثمالة في قاع الكأس .

-فاصطحبه المصطفىﷺ عندما تخلف عن الجميع ، وكان في قطيعه ﷺ سبع من الماعز الحلوب .

- وكانت الماعز موجودة في الدار ، وذلك من أجل الحلب عند الطعام .

- وأكل ذلك الجدير بأن يسمى " أبو قحط عوج بن غز " كل ما نتج عن هذه الماعز السبعة من حساء ولبن وخبز.

- فغضب كل أهل البيت ، فقد كانوا في حاجة إلى بعض لبن الماعز .

٨٠- لقد جعل معدته الشرهة الأكول كأنها الطبل ، وأكل وحده نصيب ثماني عشرة شخصا .

- وعند النوم مضى وجلس في الحجرة ، فأغلقت الجارية الباب عليه من الغضب .

- لقد أغلقت الباب بالسلسلة من الخارج ، فقد كانت غاضبة عليه متألمة منه .

- وفي منتصف الليل أو قبيل الفجر ، عندما عنت لذلك المجوسي حاجة ، وتحرك ألم بطنه ؛

- أسرع من فراشه نحو الباب ، وعندما حاول فتح ، وجده مغلقا .

٨٥- وجرب كل أنواع الحيل ذلك المحتال لكي يفتح الباب ، لكن الباب لم يفتح

- واشتدت حاجته ، وكثرت مطالبه ، والمنزل ضيق ، فبقي حائرا مسكينا ، قد أسقط في يده .

- فلجأ إلى النوم كحل أخير ، ورأى نفسه في المنام كأنه في خرابـــــة .

- ذلك أن الخرابة كانت في خاطـــــره ، فعن له نفس منظرها عندما راح في النوم .

- وعندما رأى نفسه في خرابة خاليـــة ، وكان في شدة الحصر ، غاط في التو واللحظـــة .

٩٠- واستيقظ من النوم ، ورأى ملابسه وفراشه مليئين بالغائط ، وجن من الإضطراب .

- وخرجت من باطنه مائة صيحة ، من مثل هذه الفضيحة ، التي لا يغطيها التراب .

- وقال : إن نومي أسوأ من يقظتي ، فأنا آكل من هذه الناحية ، وأغوط من الأخرى .

- وأخذ يصرخ : وا ثبوراه ، وا ثبوراه ، كأنه الكافر في قاع القبر .(١)

- وظل منتظرا متسائلا : متى تنقضي هذه الليلة ؟ حتى يتصاعد صوت فتح الباب .

٩٥- وحتى ينطلق هو كما ينطلق السهم من القوس ، وحتى لا يراه أحد وهو على هذه الحال .

- إن القصة طويلة ، لكنى أختصر فيها ، ولقد انفتح الباب ، وخلص هو من الألم والكرب .

---

(١) عند جعفرى : ١١/١٣٢: كا يفعل الكفار يوم النشور وهو أصح .

فتح المصطفى عليه السلام باب الحجرة للضيف ، واخفائه صلى الله عليه وسلم نفسه ، حتى لا يرى الضيف خيال من فتح الباب ، ولا يخجل ويخرج بجـــــــرأة

– لقد جاء المصطفى ﷺ في الصباح وفتح الباب ، وعندما أسفر الصبـح ، أعطـى الطريق لذلك الضال .

– فتح المصطفى الباب واختبأ ، حتى لا يخجل من رؤيته ذلك المبتلى .

– وحتى يخـرج ، ويمضــي بجرأة ودون تردد ، ولا يرى وجه من فتـح البـاب أو ظهره .

١٠٠– فإما أن المصطفىﷺ قد اختبأ خلف شــيء مـا ، أو أن سـتر اللـه قـد أخفـاه عنه .

– إن صبغـة اللـه تقـوم أحيانـا بالستر ، وتضـع حجابـا لا كيفيـة لــه أمــام ذلــك الناظـــر .

– بحيث لا يرى الخصم إلى جواره ، وقدرة الله سبحانه وتعـالى أكـثر مـن ذلـك بكثير .

– كان المصطفىﷺ يرى أحواله بالليل ، لكن أمر ربه كان يمنعه ؛

– من أن يفتح الباب قبـل اكتمـال الفضيحـة ، وقبـل أن يسـقط ذلـك الضيـف مـن الفضيحة في البئر .

١٠٥– كانت الحكمة وأمر السماء ، وحتى يرى الضيف نفسه على ذلك الحال .

– وما أكثر العداوات التي تكون عونا ، ورب هدم يكون تعميـــــرا .

- وجاء أحد الفضوليين إلى الرسول ﷺ ، بفراش النوم المليء بالحدث .

- قائلا : أنظر ، ماذا فعل ضيفك ، فضحك " الذى أرسله الله " رحمة للعالمين .

- وقال : آتنا بهذه المطهـــــرة ، حتى أغسل هذا الفراش كله بيدى .

١١٠- فأخذ كل من في المكـان يهب واقفا صائحـــــا : بالله ، لتكن أرواحنا وأجسادنا فداءً لك ؛

- لنقم نحن بغسل هذا الحدث فاتركه لنا ، فهذا العمل من أعمال الأيدى ، لا من أعمال القلوب .

- ولعمرك ، أليس الله قد أقسم بعمرك ، ثم جعلك خليفة ، وأجلسك على كرسي " النبوة " ؟

- إننا نعيش من أجل خدمتك ، وعندما تخدم أنت ، فماذا نكون نحن ؟

-قال : إنني أعلم ذلك ، لكن قيامي بنفسي بالغسل هذه اللحظة فيه حكمة .

١١٥- فانتظروا ، لأن القول قول نبي ، حتى تتكشف هذ ه الأسرار ، وماذا تكون .

- وأخذ يغسل بجد ذلك الغائط ، بأمر من الله ، لا تقليدا ، ولا ريــــاءً .

-فقد كان قلبه يقول له : قم أنت بغسلـــــه ، فهنا تكمن حكمة مضاعفة .

سبب رجوع ذلك الضيف إلى منزل المصطفى ﷺ في تلك اللحظة التى كان فيها المصطفى ﷺ يغسل فيها فراشه الملوث بيده ، وخجله ، وقيامه بتمزيق ثوبــه ، ونواحه على نفسه ، وعلى أحوالــــه

- كان للكويفر تعويذة على سبيل التذكار ، افتقدها فاشتد اضطرابه .

- وقال : لقد تركت التعويذة من غفلتي في تلك الحجرة التي قضيت فيها الليل .

١٢٠- وبالرغم من أنه كان خجلا ، فإن الحرص قد قضى على خجله ، والحرص أفعى ، وليس بالشيء الهين

- ومن أجل التعويذة أخذ في العدو مسرعا ، وعاد إلى منزل المصطفىﷺ ، ورأى ما يجرى .

- رأى أن يد الله يغسل الغائط بيده ، وهو سعيد راض ، ألا فلتبتعد عنه عين السوء .

- فنسي تعويذته ، وأصابه هياجٌ شديد ، وشق جيبه .

- وأخذ يلطم وجهه ورأسه بيديه ، ويدق رأسه بالجدار والباب .

١٢٥- بحيث سال الدم من أنفه ورأسه ، فرق له ذلك العظيم .

- وجأر بالصياح ، وتجمع الخلق حوله ، والمجوسي يصيح : يا أيها الناس احذروا .

- أخذ يلطم رأسه قائلا : يا رأسا بلا عقل ، ويضرب صدره قائلا : يا صدرا بلا نور .

- وطفق يسجد قائلا : يا كل التراب ، لتخجل من هذا الجزء المهين منك .

- إنك وأنت كل خاضع لأمره ، وأنا الجزء ظالم وقبيح وغوى .

١٣٠- إنك وأنت كل ذليل ومرتعش من الحق ، وأنا الجزء منبت وفي خلاف .

- وأخذ كل لحظة يتجه إلى السماء قائلا : ليس لي وجه يا قبلة العالم .

- وعندما جاوز الحد في ارتعاشه وخفقانه ، أخذه المصطفى ﷺ بين أحضانه .

- هدأه ، وزاد في ملاطفته ، وفتح عينيه ، ووهبه المعرفة .

- فما لم يبك السحاب ، متى تضحك الرياض ؟ وما لم يبك الطفل ، متى يجيش اللبن ؟

١٣٥- إن الطفل الذى يبلغ من العمر يوما واحدا يعرف الطريق، ويقول لنفسه : لأبكِ حتى تجيء المرضعة الحنون .

- وأنت لا تعرف أن حاضنة الحواضن ، قليلا ما تعطيك اللبن مجانا وبلا بكاء .

- لقد قال الله : فليبكوا كثيرا ، فاستمع ، حتى ينصب عليك لبن فضل الخالق .

- وإن بكاء السحاب وحرقة الشمس ، هما عماد الدنيا ، نفس هذان الخيطان المجدولان .

- فإن لم تكن حرقة الشمس ، وإن لم يكن بكاء السحاب ، فمتى كانت الأجساد والأعراض ضخمة عظيمة ؟

١٤٠- ومتى كانت تعمر هذه الفصول الأربعة ، إن لم تكن تلك الحرقة ، وذلك البكاء الأصلي .

- وما دامت حرقة الشمس وبكاء سماء الدنيا يجعلان منها حلوة الفم ؛

- فاجعل شمس العقل في حرقة دائما ، واجعل العين كالسحاب ، شارقة بالدمع .

- وتلزمك عين باكية كالطفل الصغير ، وقلل إذن من أكل هذا الخبز ، فإنه يضيع ماء وجهك .

- وعندما يكون الجسد ذا زاد منه ليل نهار ، فإن أغصان الروح تكون متساقطة الأوراق ، في خريف .

١٤٥- وزاد الجسد نقص في زاد الروح ، فعليك أن تقلل منه سريعا ، وتزيد في زاد الروح .

- و﴿ أقرضوا الله ﴾ تعني : أقرض الروح من زاد الجسد ، حتى تنبت روضة في قلبك على سبيل العوض .

- فاقرض ، وأنقص هذه اللقيمات في جسدك ، حتى يبدو لك ما لا عين رأت .

- وعندما نخلص الجسد نفسه من بعره ، يملؤه بالمسك والدر الإجلالي .

- إنه يعطي هذه الأوضـــار ويأخذ الطهر ، ويصبح الجسد ذا نصيب من قوله تعالى ﴿ يطهركم ﴾ .

١٥٠- لكن الشيطـــان لا يفتأ يخوفك ، ويقول لك : إنتبه ، سوف تحزن وتندم إن فعلت .

- إنك تذيب البدن في سبيل هذه المهاوس ، وسوف يحل بك الندم والحزن الشديد

- هيا ، كل هذا ، فهو حار وعلاج للمزاج ، واشرب ذاك من أجل النفع والعلاج

- وهذا الجسد أيضا بمثابة المركب ، وما اعتاد عليه ، هو الأصوب له .

- فهيا ، لا تغير العادة ، فمن ذلك يتأتى الخلل ، وتتولد في القلب والدماغ مئات العلل .

١٥٥- وهذه التهديدات يأتي بها الشيطـــان الدني ، وهو ينفث في آذان الخلق مئات الوساوس .

- ويجعل من نفسه جالينوس في " وصف " الدواء ، حتى يخدع نفسك الضعيفة المريضة .

- قائلا: في هذا الشيء نفع لك و"علاج" من الألم والحزن ، وبالنسبة لحبة قمح ، قال نفس الشيء .

- وهو لا يفتأ ينفث وسوسته في أذنيـــك ، وبالخطـــام يلوي شفتيـــك ؛

- كشفتي الفرس عند تركيب سنابكه ، وذلك ليبدى لك الحجر الرخيص كأنه الياقوت .

١٦٠- وهو يأخذ بأذنيك ، كما يؤخذ بأذني الفرس ، ويجرها صوب الحرص ، وصوب الكسب .

- ويضع في قدمك سنبكا خطـــأ ، بحيث تعجز في الطريق من الألم الذى يسببه لك .

- أتدرى ما هو هذا السنبك ؟ إنه التردد بين أمرين ، فلا تزال قائلا : أفعل هذا أو أفعل ذاك ، فانتبه .

- فافعل ما فعله المختار من النبي ، ولا تفعل ما فعله المجنون أو الصبـــي .

- لقد حفت الجنة ، فبأى شيء صارت محفوفة ؟ بالمكاره التي منها زاد المحصول .

١٦٥- وإن له مائة وسوسة من حيلته ودهائه ، مثلها ما ينطلق من سلة مملوءة بالأفاعي .(١)

- وإن كان هناك ماء جار سد الطريق أمامه ، وإن كان ثم حَبر زمان ، ضحك عليـــه .

- فاجعل العقل رفيقا لعقل صديق ، واقرأ ﴿ أمرهم شورى بينهم ﴾ ثم اعمـــل .

ملاطفة المصطفى ﷺ لذلك الأعرابي الضيف وتهدئته إياه من إضطرابه وبكاء ذلك الأعرابي ونواحه على نفسه خجلا وندما وبتأثير نـــار القنـــوط

-- إن هذا الكلام لانهاية لـــه ، وذلك الأعرابي بقى مندهشا من ألطاف هذا الملك .

---

(١) ج/١١-١٤٣:- فإن كان ثم جبل اختطفه كأنه قشة ، وذلك حتى يبدى لك سلطانه وتسلطـــه .

- وكاد يجن ، وفر عقله من رأســـــه ، لكن يد المصطفي ردته .

١٧٠- وقال له : أقبل على ، ففعـل مـا أمـر بـه ، وكأنـه شـخص يقـوم مـن نـوم ثـقيـل .

-قال له : عد إلى هنا ، لا تفعل ، عد إلى وعيك ، فمن هنا تحدث أمور معكوسة

- ورش وجهه بالماء ، فانطلق في الحديث قائلا : يا شاهد الحق ، إعرض علـى الشهادة .

- حتى أشهد ، وأخرج منطلقا في هذه الصحراء ، فلقد سئمت من الوجـــــود .

- إننا مقيمون في دهليز قاضي القضاة ، من أجل قضية " ألست " و " بلـــــى "

١٧٥- فإذا كنا قد قلنـا لـه بلـى علـى سبيل الإمتحـان ، فأقوالنـا وأفعالنـا شـهود وبيــــــان .

- وإلا فلأى شيء نستسلم في دهليز قاضي القضـاة ؟ أليس لأننـا جئنـا هنـا مـن أجل الشهادة ؟

- فحتام تظل محبوسا في دهليز قاضي القضاة أيها الشاهد ، هيا قدم شهادتك عند انبلاج الصبح .

- ولقد دعيت إلى هنا لكي تعطي هذه الشهادة ، ولا تبدي عتوا " واستكبارا " .

- ومن عنادك ، قبعت في هذا المضيق ، وقد عقدت يدك ، وضممت شفتيك .

١٨٠- ومـا لـم تـؤد الشـهادة أيهـا الشهيــــد ، متـى تكتـب لـك النجـاة مـن هـذا الدهليـــــــز .

- إنه عمل لا يستغرق سوى لحظـــــة ، قم به وانطلق ، ولا تجعل العمل اليسير صعبا على نفسك .

- وأد هذه الأمانـــــة ، سواءً في مائة عام أو في لحظة واحدة ، وهيـــــا ، أنـجُ بنفسك .

بيان أن الصلاة والصوم وكل الأعمال الظاهرة شهود على النور الباطنـــــــي

- إن هذه الأعمال من صلاة وصيـــام وحج وجهاد ، هـي شـهود أيضـا علـى الإعتقـــاد .

- وهذه الزكاة والهـــدى وترك الجسد ، شهود أيضـــا على سرك .

١٨٥- والمائدة والضيافة من أجل إظهار الحق ، وهي تعنى : أيها العظـام ، لقد صرنا صادقين معكـــــم .

- وأنواع الهدى والعطايا والصـــلات ، كلها دليل يقول : لقد صرت معك طيبـا مؤتلفا .

- وكل إنســـان يجاهد بمال أو بمجرد قول لا جدوى منه ، لـم ؟ لكـي يقـول : لدى جوهر في داخلي .

- لدى جوهر من التقوى أو من السخاء ، وهذه الزكاة والصوم كلاهما دليل على الخصلتين .

- فالصوم يقول : لقد اتقى الحلال ، فاعلم إذن ألا صلة له بالحــــرام .

١٩٠- وقالت زكاته : إنه يعطي من ماله ، فكيف يسرق من أهل مذهبـــه ؟

- وإن كان ما يفعله رياءً وحيلة،فإن هذين الشاهدين قد جُرحا فـي محكمـة عـدل الإلـــه .

- والصياد إذ ينثر الحب ، لا يكون من الرحمـة والجـــود ، بل من أجـل الصيـــد .

- والقطة النائمـــة في صيامها ، قد تناومت من أجل صيد " الفأر " الساذج .

- ولقد جعل مائة قوم سيئي الظـن مـن هـذا الإعوجـــاج ، وجعـل أهـل الجـود والصوم سيئي السمعة .

١٩٥- وفضل الحق ينصب على ذلك الذى يمشي باعوجاج ، ويطهره من ألـوان اعوجاجه في النهايـــة.

- ولقد سبقت رحمته ، ووهب ذلك الغدر نورا لا يكون للبـــــــدر .

- ولقد طهر الحق جهاده من هذا الإختـلاط ، وغسلته الرحمـة من هـذا التخبط والتواء .

- وحتى يبدى " الإله " غفرانه ، بحيث يكون مغفره غافرا لرأســـــه .(١)

- ومن هنا فقد سقط المطــــــر مـن أعـالي السماء ، حتـى يطهـر الدنسين مـن الخبث .

تطهير الماء لكل أنواع الدنس ، ثم تطهير الله سبحانه وتعالى للماء من القذر ، فلا جرم أن الله سبحانه وتعالى هو القدوس

٢٠٠- عندما سعى الماء ، وصار نجســـــا ، بحيث أن الحس صـار يـرد هـذا الماء " النجس" .

- حمله الحق مرة ثانية إلى بحـر الصـواب ، حتـى غسله مـن كرمـه مـاء المـاء "ذاك" .

- وفي العام التالي ، عاد " الماء إلينا " مطيعا ، و" سألناه" : أين كنت ؟ "فأجاب": في بحر الطيبين .

- لقد مضيت من هنا نجســـا وعدت طـاهرا ، تلقيت خلعـة " الإكـرام " وعـدت نحو التراب .

- فهيا ، هلموا إليّ أيها الدنسين ، فإن طبعي قد أخذ من طبع الإلـــه .

٢٠٥- إنني أتقبل منكم كل قبحكم ، وأطهر الشيطان ، فيصبح كالملَك .

---

(١) عند جعفرى : ١٥٢/١١: بحيث تغفر كل ذنوبه . ويبدو أصـــح .

- وعندما أصير قذرا أعود إلى ذلك المكان ، وأمضي إلى أصل أصل الطهر .
- وهناك ألقي بالدلق الملوث من فوق رأسي ، فيهبني من جديد الخلعة الطاهرة .
- إن هذا هو عمله ، وعملي هو هذا ، إنه من زين العالم ، رب العالمين .
- فلو لم تكن هذه الأقذار " عالقة " بنا ، متى كان منهاج الماء يكون هكذا ؟
٢١٠-- إنه يسرق أكياس الذهب من الأحد ، ويسرع في كل صوب صائحا : هل من مقلس ؟
-فإما أن ينصب على نبات ينمو ، أو يغسل وجه من لم يغسل وجهـــه .
- أو يحمل على رأســـه كالحمال ، سفينةً لا قدم لها ولا يد ، فوق البحار .
- وهناك مئات اللآلاف من الأدواء كامنة فيه ، ذلك أن كل دواء يشتق منـــه .
- وهو روح كل ذرة ، وقلب كل حبة وبذرة ، يمضي في الجدول ، وكأنه خزانة الدواء .
٢١٥- ومنه تكون التربية والرعاية ليتامى الأرض ، والسير والمشي لأولئك المقعدين المتيبسين .
- وعندما يصبح بلا قيمة ويتكدر ، ويصبح حائرا مثلنـــا فوق الأرض ؛

استعانة الماء بالحق جل جلالـــه
بعـــد تكدره

- يطلق " آنذاك " الأنين من أعماقـــه مناديا : يا الله ، لقد أعطيت ما أُعطيت ، وبقيت متسولا .
- لقد صببت كل ما عندى على الطاهر والدنس ، فأعد إليّ رأسمالي ، أيها المليك ، هل من مزيد ؟

– فيقول للسحاب : احمله إلى موضعه الطيب ، وأنت أيتها الشمس ، اجذبيه إلــى أعلى .

٢٢٠– ويسوقه من طرق مختلفــــة ، حتى يبلغ به البحر الذى لاحد له .

– إن غرضي من هذا الماء هـو أرواح الأوليــــاء ، فهـي التـي تغسـل الأكـدار عنهــــم .

– وعندمـا تصـير كـدرة من غدر أهـل الأرض ، تعـود إلـى واهـب الطهـر "المستوى" على العرش .

– فيردها من تلك الناحية راضية جارة أذيالها، قد وعت درس الطهر من موطنه

– ومن اختلاطها بالخلق تصاب بالاعتلال ، فتبحث عن ذلك السفر ، " وتهتف" : أرحنا يا بلال .

٢٢٥– يا بلالا حسن النغم حلو الصــــوت ، اصعد فوق المئذنــة ، ودق طبـول الرحيل .

– فلقد سافرت الروح والجسد في قيام ، ولذلك فهي تقول عند رجعتها : السلام .

– فتقوم : أرواح الأولياء " بتحرير الجميع من التيمم ، و" تخلص " طلاب القبلة من التحري .

– إن هذا المثل كأنه الواسطة أثناء الكلام ، والواسطة ضرورة من أجل أن يفهم العوام .

– فكيف يمضي إلى النار أحدٌ دون واسطة ، اللهم إلا السمندل الذى خلـص مـن العلائق .

٢٣٠– إنك تتخذ مـن دخولـك الحمـام واسـطة ، حتـى يستطيب طبعـك السخونة والنـار .

- وما دمت لا تستطيع الدخول إلى النار " مباشرة " كالخليل ﷺ ، فقد صار الحمام رسولا للماء إليك ودليلا .

- والسير من الحق ، لكن أهل الطبع ، متى يحسون بالشبع دون واسطة من الخبز ؟

- واللطف من الحق ، لكن أهل الجسد ، لا يجدون اللطف دون رياض ، وهي "مجرد" حجاب .

- وعندما لا تبقي واسطة الجسد بلا حجاب ، يجد المرء النور من جيبه ، كما حدث مع موسى ﷺ .

٢٣٥- وكل هذه الفنون التي يبديها الماء ، شاهدة على أن باطنه مليء بلطف الرب .

دلالة الفعل والقول الخارجيين على الضمير والنور الداخلي

- إن القول والفعل شاهدان على الضمير ، فاستدل من هذين على ما يوجد في الباطن .

- فإن لم يوجد لسرك نفاذ إلى الباطن ، فانظر إذن من الخارج إلى بول المريض

- والفعل والقول بمثابة البول من المريض ، فهو برهان للطبيب الذى يعالج الأجساد .

- لكن طبيب الروح ذاك يمضي إلى داخل روحه ، وعن طريق الروح ينفذ إلى داخل إيمانه .

٢٤٠- فلا حاجة به إلى الفعل والقول الظاهريين ،" ومن هنا قيل : إحذروهم هم جواسيس القلوب " .

– فاطلب دليل القول والفعل من ذلك الذى لا يكون متصلا بالبحر وكأنه الجدول .(١)

في بيان أن النور في حد ذاته مضيء من داخل المرء دون أن يفسره قول أو فعل ويدل على نوره

– لكن نور السالك الذى فاق الحد ، امتلأت بضوئه الصحارى والأودية .

– وإن شهوده لفارغ من الشهود ، ومن أنواع التكلف ومن التضحية بالروح في الوجود .

– ونور هذا الجوهر عندما تلألأ على ظاهره ، فرغ من كل التدرج والتسلسل .

٢٤٥– إذن لا تطلب منه دليل الفعل والقول ، فقد تفتحت الداران منه ، كالوردة .

– وما هو هذا الدليل ؟ إنه إظهار الخفي ، سواء بالقول أو بالفعل ، أو بغيرهما من الوسائل .

– فالغرض هو إظهار سر الجوهر ، فالوصف ثابت ، وهذا العرض ، عابر غير مستقر.

– وعلامة الذهب لا تبقى فوق المحك ، ويظل الذهب ، حسن الاسم ، خاليا من الشك .

– وهذه الصلاة ، وهذا الجهاد ، وهذا الصيام ، أمور لا تبقى ، وتبقى الروح حسنة الاسم .

---

(١) ج/١١–١٦٢:–فقوله وفعله شاهدان عليه ، ذلك الذى يكون متصلا بالبحر كأنه الجدول .–فانظر إلى قوله وفعله ، وماذا يوجد في ضميره وسره .– وما هي مراتب نوره ، وهل هو سخي أو ينثر الحب من أجل الصيد .– فإن كان صيادا ابتعد عنه ، ولا تستمع إلى وساوسه وقوله وفعله . – وإن كان صديقا ، لا ترفع يدك عنه ، حتى يبلغ بك البحار .

٢٥٠- ولقد أبدت الروح مثل هذه الأفعال والأقوال على محك الأمر ، وسحقت جوهر " الدليل " .

- قائلة : إنني صادقة الاعتقاد ، وهاك الدليل ، لكن هناك في الأدلة اشتباهات .

- فاعلم أن الجواهر في حاجة إلى تزكية ، وتزكيتها الصدق الذى يكون موقوفا عليها .

- وفي الدليل عن طريق القول ينبغي أن يحفظ اللفظ ، أما في الدليل عن طريق الفعل ، فينبغي حفظ العهد .

- فإن كان ثم اعوجاج في دليل القول فهو مردود ، وإن كان ثم سعي باعوجاج في دليل الفعل ، فهو مردود .

٢٥٥- وينبغي أن يكون قولك وفعلك خاليين من التناقض ، حتى تحصل على القبول في التو واللحظة .

- إن سعيكم لشتى ، وأنتم في تناقض ، إنكم تخيطون في النهار ، وتمزقون ما خطتم ليلا .

- ومن ذا الذى يستمع إلى شاهد متناقض ، اللهم إلا إذا زاول الحلم من لطفه ؟

- والفعل والقول إظهار للسر والضمير ، كلاهما يظهر السر الخفي المستور .

- وعندما زكى دليلك فقد قبل ، وإلا حبس في المهلة والتلكؤ والنكوص .

٢٦٠- وما دمت تعاند ، فهم يعاندون أيها الحرون ، فانتظرهم ، إنهم منتظرون .

عرض المصطفى عليه السلام الشهادة على ضيفه ذاك

- إن هذا الكلام لا نهايـــــة له ، لقد عرض المصطفىﷺ الإيمان على هذا الفتـــى وقبلـــــه .

- وتلك الشهادة التي كانت مباركة عليــــه ، قد فكت القيود المعقودة "عليـــــه "

- صار مؤمنا ، وقال له المصطفى ﷺ : كن ضيفـــا علينا الليلة أيضـــا .

- قال : والله إنني ضيفك إلى الأبد ، حيثما أكون وحيثمـــا أمضـــــي .

٢٦٥- إنني عتيقك ، وحارس بابك ، ومن صار حيا منك ، وأنا على مائدتك فـي الدنيا والآخرة .

- وكل من يختار سوى هذه المائدة المختارة ، فإن حلقه يتمـزق فـي النهايـة مـن العظام .

- وكل من يمضي صوب مائدة غير مائدتك ، اعلم أن الشيطان قد صــار جليسـه وشريكه في طعامه .

- وكل من يمضي عن جوارك ، يصبح الشيطان بلا جدال جارا له .

- وإن مضى بدونك إلى سفر بعيــــد، يكون الشيطان رفيقا له وجليس طعامه .

٢٧٠- وإن ركب جوادا أصيــــلا ، ويكون حاسدا للقمر ، فإنه يردف الشـيطان خلفه .

- وإن تحمل منه قرينته المدللة ، فإن الشيطان يكون شريكا له في نسلــــه .

- فإن الحق قد قال له في القرآن – يا شفقا" مليئا بالنور"- ﴿شاركهم في الأموال والأولاد﴾ .

- ولقد قال الرسول ﷺ هذا جليا من الغيب ، في أقواله النادرة المثال مع علي ﷺ

- يا رسول الله ، لقد أبديت لنا الرسالة بالتمام ، وكأنها شمس بلا غمام .

٢٧٥- وإن ما فعلته لم تفعله مائتا أم ، ولم يفعله عيسى ﷺ مع عازر .

-ألم تنقذ روحي الآن من الأجل ؟! وإذا كان عازر قد بعث حيا فقد مات لتوه .

- وصار ضيفا على الرسول ﷺ تلك الليلة ذلك الأعرابي ، فأكل نصف لبن ماعز واحدة ، وضم شفتيه .

-فألح عليه قائلا : كل الرقاق واشرب اللبن ، فقال : لقد شبعت والله ، بلا نفاق

- وليس هذا تكلفا أو حياءً أو تفضلا ، لقد صرت أكثر شبعا مما كنت بالأمس .

٢٨٠- فتعجب كل أهل البيت ، لقد امتلأ هذا القنديل بنقطة من الزيت .

- وما هو قوت لطير الأبابيل ، هل يملأ معدة مثل هذا الفيل ؟

- وكثر الهمس بين الرجال والنساء ، إن هذا الفيلي الجسد يأكل قدر ما تأكل بعوضة .

- لقد انتكس حرص الكفر وهمه ، وشبعت الأفعى من قوت نملة .

- ولقد ذهب عنه طمع المتكدين الموجود عند الكفار ، فسمن دسم إيمانه وتضخم .

٢٨٥- وذلك الذى كان يرتجف من الجوع الشديد المستمر(١) ، رأى ثمار الجنة مثلما رأتها مريم .

- لقد أسرعت فاكهة الجنة صوب جسده ، فسكنت معدته التي تشبه الجحيم .

- والإيمان في حد ذاته نعمة ودسم عظيم ، يا من قنعت من الإيمان بالقول .

---

(١) حرفيا : جوع البقر .

بيان أن النور الذي هو غذاء الروح يصبح غذاءً لأجسام الأولياء، حتى يصبح قرينا للروح مصداقا لقول الرسول ﷺ: أسلم شيطاني على يدي

- بالرغم من أنه – أي النور – طعام الروح والنظر، فإن للجسد نصيبا منه أيضا يا بني.(١)

- وإن لم يكن شيطان الجسم آكلا منه، لما قال الرسول ﷺ: أسلم شيطاني.

٢٩٠- وما لم يأكل الشيطان من ذلك الدسم الذي يحيي الموتى، فمتى كان له أن يصير مسلما.

- إن الشيطان عاشق للدنيا وأعمى وأصم، وربما يقضي على العشق عشق آخر.

- إنه عندما يتذوق "قوتا" من منزل اليقين الخفي، فإنه يحمل أحمال عشقه إليه قليلا قليلا.

-" يا حريص البطن عرج هكذا، إنما المنهاج تبديل الغذا.

- يا مريض القلب عرج للعلاج، جملة التدبير تبديل المزاج

٢٩٥- أيها المحبوس في رهن الطعام، سوف تنجو إن تحملت الفطام

- إن في الجوع طعاما وافرا، افتقدها وارتج يا نافرا.

- اغتذ بالنور كن مثل البصر، وافق الأملاك يا خير البشر " (٢)

- وكالملك، اجعل غذاءك تسبيح الحق، حتى تنجو من الأذى كالملائكة.

---

(١) ج/١١-١٧٤:- حتام يا قانعا بالخبز والكراث، عد إلى وعيك وتغذ بالنور.

(٢) ما بين القوسين بالعربية في المتن الفارسي.

– وإذا كان جبريل لا يحوم حول الجيف ، فهو في قوته ليس ضاريا أقل من نسر (١) .

إنكار أهل الجسد لغذاء الروح وارتجافهم من أجل الغذاء الخسيس

٣٠٠– حبذا مائدة موضوعة في الدنيا ، لكنها خفية جدا عن عيون الأخساء .

– وإن صارت الدنيا بستانا مليئا بالنعمة ، فإن نصيب الفأر والحية منها هو التراب " فحسب " .

– إن نصيبها هو التراب ، سواءٌ في الشتاء أو الربيع ، فكيف تأكل التراب يا أمير الكون ، كأنك الحية ؟

– وفي قلب الخشب ، تقول دودة الخشب : لمن تكون يا ترى مثل هذه الحلوى الطيبة ؟ (٢)

– ودودة البعر بين ذلك الحدث ، لا تعرف نُقلا في الدنيا سوى الخبث . (٣)

مناجاة

٣٠٥– أيها الإله الذي لا نظير له ، آثرنا ، ما دمت قد أعطيت الأذن حلقة من هذا الكلام .

---

(١) ج/١١–١٧٤:– والفيل وإن كان وقورا على الأرض ، قل لي ، متى نجا من بعوضة ؟

(٢) ج/١١–١٧٩:– والحشرة الصغيرة تقول وسط التراب ، إن أحدا في العالم لم يأكل مثل هذه الحلوى .

(٣) ج/١١–١٧٩: ولا يعرف الغراب شيئا قط سوى النجاسة ، لقد صارت له النجاسة " عزيزة" كالعين والمصباح .

- خذ بآذاننا وجرها نحو ذلك المجلس ، فمن رحيقك ، يشرب أولئك المنتشون .

- وما دمت قد أوصلت إلينا رائحة منه ، لا تغلق فوهة تلك القربة ، يا رب الدين .

- إنهم جميعا يشربون منك ، من ذكور وإناث ، ذلك العطاء بلا انقطاع أيها المستغاث .

- يا من يستجاب منك الدعاء الذى لم يقل ، لقد أعطيت القلب في كل لحظة كثيرا من الفتوح .

٣١٠- ولقد نقشت بضعة حروف ، و"جعلتها" كتابة ، فصارت الحجارة من عشقها في " ليونة " الشمع .

- ولقد صورت الحاجب مثل حرف النون والعين مثل حرف الصاد والأذن مثل حرف الجيم ، وجعلتها فتنة للعقول والألباب .

- ومن حروفك هذه صار العقل يجدل الخيوط الرقيقة ، فداوم على نسجها أيها الأديب الذى يحسن الخطوط .

- وخليق بكل فكر ارتبط بالعدم ، لحظة بلحظة ، صورة خيال حسن الرسم .

- والحروف العجيبة على لوح الخيال ، إنما كتبتها العين ، وصفحة الخد ، والخال .

٣١٥- فلأكن ثملا بالعدم ، لا بالموجود ، وذلك لأن معشوق العدم أكثر وفاءً .

- ولقد جعل العقل قارئا لتلك الأشكال ، حتى يطوى من جرائها كل التدابير .

تمثيل اللوح المحفوظ وإدراك كل إنسان من ذلك اللوح بالنسبة للأمر وقسمته ومقدار رزقه ، بإدراك جبريل ﷺ كل يوم من اللوح الأعظـــــــم

- إن ذلك العقل يحمل كل صباح الدرس اليومي من اللوح المحفوظ ، وكأنه الملَك .

- فانظر من العدم إلى كتابات بلا بنـــان ، ومن علمها تحير أرباب الشهوات .

- فصار كل إنسان مغلوبا مضحكا بالنسبة لخيال ، صار طلعة " دؤوبا" من اشتهائه لكنز ما .

٣٢٠- فمن خيال صار أحدهم ممتلئا بالعظمـــة ، متجها إلى مناجم الجبال .

- ومن خيال ، اتجه أحدهم بجهده المرير إلى البحر من أجل الدر .

- وثالث قبع من أجل الترهب في كنيســـة ، ورابع انطلق حريصـــا نحو الحقل .

- ومن خيال ، صار هذا قاطع طريق لمن نجا ، ومن خيال صار ذاك مرهما لكل جريح .

- وفي استدعاء الجن فقد هذا قلبه ، وفوق النجوم وضع آخر سنابك جواده .(١)

٣٢٥- وهذه الخيالات المختلفة ترى الظهـــور ، من تلك الخيالات المتنوعة الموجودة في الباطن .

- وهذا حائر : ترى على أى شيء عكف آخـــر ، وكل ذائق لشيء ، ينفي ما ذاقه آخـــر .

---

(١) ج/١١-١٨٣:- وآخر في السفينة من أجل الربح ، وأحدهم فاسق ، والآخر ذو صلاح .

- ولأن تلك الخيالات كلها غير مؤتلفـــــة ، فإنها عندما ظهرت ، صارت مختلفة .

- وعندما خبئت قبلة الروح عن الأنظار ، فإن كل جماعة قد اتجهت إلى ناحية مــــا .

تمثيل الأساليب المختلفة والهمم المتباينة باختلاف تحري المتحرين للقبلة في الظلام ، وبحث الغواصين في قاع البحر

- إن مثلهم كمثل القوم الذين يتحرون عن القبلـــــة ، ويمضون على الظن نحو جهـــة ما .

٣٣٠- وعندما تسفر الكعبة عن وجهها في الصباح ، يتكشف لهم أنهم قد ضلـــوا الطريق .

- أو كالغواصين في قاع البحر ، يجمع كل منهم شيئا ما بعجلة .

- وعندما يخرجـــون من قاع البحر العميق ، يتكشف من هو صاحب الدر العظيـــم .

- وأن آخر قد حمل درا صغيـــرا ، وثالثا قد حمل حصى وسبـــه .(١)

٣٣٥- " هكذا نبلوهـــم بالساهـــرة ، فتنة ذات افتضاح قاهـــرة " (٢) .

- وهكذا فإن كل قوم كأنهم الفراش ، خافقون بأجنحتهم حول شمعة من شموع الدنيا .

- وإنهم ليكبون أنفسهم في النيران ، ويطوفون حول شموع النفس .

---

(١) سبـــه معرب شبه حجر رخيص وقيل الجزع اليماني .

(٢) بالعربية في المتن الفارسي .

- وذلك على رجاء نار موسوية الإقبـال ، من لهيبها يشتد اخضرار الأشجار .

- لقد سمعت كل جماعة عن فضل تلك النيران ، وظنوا جميعا كل شرارة إياها .

٣٤٠- وعندما يسطع فجر نور الخلود ، يبدو لكل منهم أى شمع كـان " يطـوف حوله " .

- وكل من أحرق جناحه من شمع الظفر ذاك ، يعطيه ذلك الشمع السعيد ثمـانين جناحاً .

- وطائفة الفراش التي أغمضت كلتا العينين ، وبقيت تحت شمع السـوء محترقـة الجنـــاح .

- تتقلب في الندم والحرقـــة ، وتطلق الآهات من الهوى الذى يغمض العينين

- ويقول له الشمع : مادمت أنـا نفسـي قـد احـترقت ، فمتـى أنجيـك مـن الحرقـة والجـــور .

٣٤٥- إن شمعه باكٍ لايفتأ يقول : إنني محترق الرأس ، فمن أين لي أن أضـــيء للغير ؟

تفسيـــــر : يا حسرتا على العبـــاد

- إنه لا يزال يقول لـــه : إنني مـن منظـرك قـد اغـتررت ، لكـن مخـبرك قـد رأيته متأخرا .

- والشمع الميت الذى أضاعه الريح ، والذى سلب قلوبنا ، قد تمزق من اعوجاج رؤيتنـــا .

- " ظلـت الأرواح خســـــرا مغرمــــــا ، تشـتكي شكــــوى إلـى اللـــه العمـــــى

- حبذا أرواح إخوان ثقـــــــات ، مسلمــــات مؤمنـــات قانتات "(١)

٣٥٠- إن كل جماعة قد اتجهت إلى ناحيـــــة مــا ، وأولئك الأعـزاء قـد اتجهــوا إلى لا صوب .

- وكل حمامة تطير نحو جهة مــــا ، وهذه الحمامة تطير نحو الجهة التي لا جهة فيهـــــا .(٢)

- فلسنا نحن بطيـــور الهواء ولا طيـــور المنازل ، وإن حبوبنا هي تلك الحبوب التي لا حبوب فيها .

-ومن هنا فقد صـــار رزقنا واسعـــا ، ذلك أن خياطة القباء بالنسبة لنا هي تمزيقنا إياه .

سبب تسميــة الفرجية بهذا الاسم من البدايــة

- مزق أحد الصوفية جبته عند حرج ، فحدث له من بعد هذا التمزيق الفرج .

٣٥٥- فسمي تلك الجبة الممزقة بالفرجيـــة ، فشاع هذا اللقب من ذلك الرجل النجي .

- لقد شاع اللقب ، وأخذ الشيخ صفاءه، أما الذى بقى في طبع الخلق فهو اللفظ ، وهو الثمالـــة .

-وهكذا فكل من كان له اسم صاف ، ترك هذا الاسم وكأنه الكدر .

- وكل آكل للطين قد أخذ الثمالـــة ، ومضى الصوفي حو الصفاء دون دهشة أو عجب .

---

(١) بالعربية في المتن الفارسي .

(٢) ج/١١-١٩٠:- وكل عقاب يطير من مكان إلى آخـــر ، وجزاء هذه العقبان حقيقة هو اللامكان .

- وقال : لابد للكدر من صفـــاء ، ومن هنا فإن القلب يدل على الصفاء ، ويمضي إليـــه .

٣٦٠- إن الكدر عسر ، وصفاؤه هو اليسر ، والصفاء كالرطب ، والكدر كالبســـر .

- واليسر مع العسر ، فانتبه ولا تكن قانطـــا ، وفي هذا الممات ، لك طريق إلى المعاش .

- فإذا كنت تريد الرَوْح مزق الجبـــة ، حتى تطل برأسك من ذلك الصفاء سريعـــا .

- والصوفي هو الذى يكون طالبـــا للصفاء ، ليس الصوفي من لباس الصوف وحياكته واللواطـــة .

-لقد صار الصوفي عند أولئك اللئـــام : " الخياطة واللواطة والسلام "(١)

٣٦٥- وعلى خيال ذلك الصفاء والاسم الطيب ، يكون ارتداء الألوان طيبـــا ، لكن :

- إذا مضيت على خيالـــه نحو أصلـــه ، لا على مثال عباد الخيـــال ، مرحلة بعد مرحلة " من الخيال"

- فالخيـــال هو حارس الغيرة ، يـــدور حول مريـــم الجمـــال .

- وقد منع كل باحث ، قائلا له : لا طريق ، ، وكل خيال يقف دونه قائلا : قف

- اللهم إلا ذلك الحاد السمع الحاد الذهن ، الذى يكون له التأييد من جيش نصرته

٣٧٠- إنه لا يهلع من الخيالات ويصير ملكـــا ، يبدى سهم الملك ، ثم يمضي في الطريق .(٢)

---

(١) بالعربية في المتن الفارســي .

(٢) ج/١١-١٩٢ :- كل من يكون في يده سهـــم الملك ، يجد الطريق ويمضي نحو المنزل . ثم عنوان " مناجاة " يليه بيت :-=

- فدبر من أجل هذا القلب الحائـــر الضال ، وهب تلك الأقواس المنحنيـــة سهمـــا .

- لقد سكبت جرعة من هذه الكأس خفيــــة ، على أرض التراب " من كأس الكرام " .(١)

- وعلى الوجه والجدائل دليل من جرعتــــه ، والملوك يلعقـــون التراب من جرائهـــا .

-إن جرعة الحسن في هذا التراب الجميل ، هى التي تقبلها أنت ليل نهار بمائـــة قلب .

٣٧٥- والجرعة الممتزجة بالتراب ، إذا كانت تصنع أمثال المجنون ، ماذا تفعل بك إذا كانت صافية "دون تراب " ؟!

- وكل امريء ممزق الثياب " وجدا وولها " أمام قطعـــة من المدر ، فإن هذا المدر تجرع جرعة من الحسن - فجرعة على القمر والشمس والحمـــل ، وجرعة على العرش والكرسي وزحـــل .

- أتسميها جرعة ويا للعجب أو كيميـــاء ؟! فمن تأثيرها يوجد العديد من البهـــاء !!

- فاطلب تأثيرها بجد يا ذا الفنون ، لا يمس ذاك إلا المطهـــرون .

٣٨٠- فجرعة على الذهب وعلى الياقوت والدرر ، وجرعة على الخمر وعلى النُقل والثمـــر .

- وجرعة على وجوه الحســـان الجميلات ، فما بالك إذن بما يكون رائقا صافيـــا ؟!

=أيها القديم ذو المنن العالم بالســـر ، نحن في طريقك عاجزون وممتحنـــون .

(١) ما بين القوسين بالعربية في المتن الفارسي .

- فإذا كنت تلعق هذه بلسانك ، فكيف بك إذا رأيتها دون طين ؟!

- وعند الموت عندما تنفصـــل جرعة الصفاء هذه عن الجسد بالموت ؛

- فإن ما يتبقى بعدهـــا تقوم بدفنه سريعــــا ، فكيف كان مثل هـذا القبح مع هذا " الجمال " ؟!

٣٨٥- وعندما تبدى الروح جمـالها بدون هـذه الجيفــــة ، فإنني لا أستطيع أن أعبر لك عن لطف ذلك الوصال .

- وعندما يبدى القمر لطفــــه بدون هـذا السحاب ، فإنـه لا يمكـن التعبير عـن شأنه وأبهته .

- فما أجمله من مطبخ ، ذلك المليء بالشهد والسكر ، ويكون السلاطين لاعقين للأطباق فيــــه .

- وحبذا بيادر صحراء الدين هذه ، والتي يكون كل بيدر بالنسبة لها لاقط حب .

-وما أجمله من بحر للعمر هذا ، خالٍ من الأحزان ، والذى تكون البحار السبعة بالنسبة له قطرة طل .

٣٩٠- وعندما صب ساقي يوم العهد جرعة على هذا الحمأ المسنون الدني ؛

- جاش ذلك التراب وجشنا من ذلك الغليان ، فجرعة أخرى - ياإلهي - فقد قل منا الجهد .

- فلو كان جائزا لي ، لشكوت مر الشكوى من العـدم ، وإن لـم يكـن هـذا بـالذى يقال ، فقد سلمت .

- إن هذا هو بيان البط المنثني من الحرص ، فتعلم من الخليلﷺ أن البط جديـر" بالقتل .

- وفي البط غير هذا كثير من الخـير والشر ، لكنـي أخشـى أن يفوتنـى الحديث "عن الطيور الأخرى" .

وصف الطاووس وطبعه وسبب قتل إبراهيم ﷺ إياه

٣٩٥-لقد جئنا الآن إلى الطاووس ذي اللونين ، الذى يتجلى بالنسبة للشرف وبالنسبة للعار .

- إن همته هى صيد الخلق من طيبين وأشرار ، لكنه غافل عن نتيجة هذا الصيد وفائدته .

- والشبكة لا علم لها عدما تأخذ الصيد ، فأى علم للشبكة بالمقصود من العمل ؟

- وأى نفع للشبكة من الصيد وأى ضـــــر ؟ إنني في دهشة من أخذها هذا الذى لانفع فيه !!

- أيها الأخ ، لقد اتخذت كثيرا من الأصدقـــــاء ، بأنواع كثيرة من التحبب ، (١) ثم تركتهم ومضيت .

٤٠٠- وكان هذا عملك منذ أن ولدت ، كان صيد الناس بشبكة الوداد .

- ومن كل هذا الصيد ، والتكديس ، والكبرياء والوجود ، ابحث بيدك فيـــــه ، لن تجد خيطا واحدا ذا سدى ولحمة .

- لقد مضى أكثر الوقت ، واليوم في آخـــــره ، وأنت لا تزال تجد في صيد الخلق .

-فهيــــا داوم على أخذ هذا في شبكتك وترك ذاك ، وهيا صد ذلك الآخر مثل اللئـــام .

- ثم اترك هذا وابحث عن آخر ، وهاك لعب الأطفــــال الغافلين .

---

(١) حرفيا : بمائتي تحبب .

٤٠٥- ويحط الليل ، ولا صيدٌ واحدٌ في شبكتك ، وليست شبكتك إلا صداع لـك وقيـــــد .

- بل تكون قد صدت نفسك بالشبكة ، وبقيت حبيسا محروما من أمانيــــك .

- فهل يمكن أن يكون فــي هذا الزمـان أحمـق مثلنــــا يكـون صـاحب شبكة ، ويقوم بصيد نفســـه ؟

- ولما كان صيد العوام كصيد الخنازير ، بعد تعب لا حد له ، يكون الأكل منـه حراما .

- وإن ما يستحق الصيد هو العشق فحسب ، لكن متى تسعه شبكـــة أحد ؟

٤١٠- اللهم إلا أن تأتي أنت وتصبح صيدا لـــــه ، وتترك شبكتك ، وتمضـي إلى شبكته .

- وإن العشق لا يفتأ يهمس لـي فـي أذنـي: أن تكـون صيـدا خـير مـن أن تكـون صيادا .

-فاجعل نفسك مخدوعـــا بي ، واغتر ، ودعك من تصور نفسك شمسا ، وكـن ذرة .

- كن ساكنا على بابي ، وكن بلا دار ، ولا تدع أنك شمعة ، وكن فراشـــة .

- وذلك حتى ترى طعم الحيـــاة ، وترى السلطنة مستترة في العبودية .

٤١٥- وإنك لترى الأمور مقلوبة في الدنيـــا ، وقـد لقبـت مـن هـم فـي الجبيرة بالملوك .

- فكثير من الحبال في عنقـه ، والتـاج مشنقة ، وحولـه جماعـة مـن النـاس فـي صياح : هاكم الملك المتوج .

- إنه مثل قبور الكفار ظاهره مزدان بالحلل ، لكن في باطنه قهر الله عز وجل

- وعندما زينوا قبورهم بالجص ، أسدلوا عليها حجبا من الظن .

– وطبعك المسكين عليه قشرة جص من الفضل ، كأنه نخلة من الشمع ، لا وُرْقٌ ولا ثمـــرُ .

في بيان أن كل إنسان يعرف لطف الحق وكل إنســـان يعرف قهر الحق ، وكلهم متعلقون بلطف الحق هاربون من قهر الحق ، لكن الحق تعالى أخفى أنواعا من القهر في لطفه وأنواعـــا من اللطف في قهره ، فهو قلب للزهر، ومكر من الله حتى يميـــز أهل التمييز الذين ينظرون بنور الله من الناظرين إلى الحاضـــر والظاهـــر ، مصداقا لقولـــه تعالى :﴿ ليبلوكم أيكم أحسن عمـلا ﴾

٤٢٠– قال أحد الدراويش لدرويش آخر : كيف رأيت حضرة الحق ؟ أخبرنـــي .

– قال : رأيتها بلا كيف ، لكن من أجل التعبير بالمقال ، لأذكر نبذة عنها ، وعلى سبيل المثـــال .

– رأيت على يساره نارا ، وعلى يمينه نهرا من الكوثـــر .

– على يساره ، رأيت نارا محرقة للدنيا ، وعلى يمينـــه ، رأيت نهرا من السعادة .

– ورأيت جماعة مدت الأيدي نحو تلك النيران ، وجماعة أخرى في سرور ونشوة من أجل ذلك الكوثر .

٤٢٥– لكن هناك لعبة مقلوبـــة تماما ، موجودة أمام قدم كل شقي وسعيد .

– فكل من كان يمضي صوب النار والشرر ، كان يرفع رأسه من بين الماء ،

– وكل من كان منهم يمضي نحو النهر ، كان يتواجد في النار في التو واللحظة .

– وكل من كان يمضي صوب اليمين والماء الزلال ، أطل برأسه من النار من ناحية الشمال .

– وكل من مضى صوب الشمال النارى ، أطل برأسه من ناحية اليمين .

٤٣٠– وقليل ما هم أولئك الذين أدركوا هذا السر المستتر ، فلا جرم أن قليلا هم الذين مضوا صوب تلك النار

– اللهم إلا ذلك الذى انصب على رأسه الإقبال ، فترك الماء وأسرع نحو النار .

– لقد جعل " الله " لذة الحاضر معبودة عند الخلق ، فلا جرم أن أصابهم الغبن من ذلك المكر .

– لأنهم من الحرص والغفلة محترزون من النار ، هاربون صوب الماء ، طائفة بعد طائفة ، وصفا بعد صف .

– فلا جرم أن أطلوا برؤوسهم من النار ، فيا أيها الغافل ، اعتبر ، اعتبر من هذا .

٤٣٥– وكانت النار تنادي : أيها الذاهلون المخدوعون ، إنني لست النار ، إنني نبع القبول .

– لقد وضعوا كمامة على العيون يا عديمي النظر ، هلموا إليّ ، ولا تهربوا من الشرر .

– أيها الخليل ، لا شرر هناك ولا دخان ، ليس ما تراه هنا إلا سحر النمرود وخداعه .

- وإذا كنت أريبـــا ذكيا كالخليل فالنار ماءٌ بالنسبة لك ، وأنت فراشـــة " تلك النار " .

- وروح الفراشة لا تفتأ تنادى وتهتف : وآسفاه ، ليته كان لي مائة ألف جناح .

٤٤٠- إذن لاحترقت كلها في النـــار بلا استغاثـــة ، برغم أنوف من ليسوا بأهل وقلوبهـــم .

- إن الجاهل يشفق عليّ من حماريتــه ، بينما أشفق عليه أنا ، من قوة بصيرتـــي .

- خاصة تلك النار التي هي روح المـاء ، وإن أمر الفَراش على عكس أمورنـــا .

- إنها ترى النور فتمضي إلى النـــار ، والقلب يرى النار ويمضي صوب النـــور .

- ومثل هذا المكر يأتي من الرب الجليـــل ، حتى تعرف من هو من آل الخليـــل .

٤٤٥- لقد جعلوا النار على شكـــل الماء ، وفجروا عين ماء من داخـــل النيـــران .

- وإن الساحر ليبدى بفنه طبقا مليئا بالأرز كأنه مليء بالدود على رؤوس الأشهاد .

- ويبدى الدار مليئة بالعقارب من نفثات سحـــره ، ولا وجود فيها لعقرب واحد .

- وما دام الساحر يبدى هذا ومئات من أمثالـــه ، فكيف يكون إذن مكر خالق السحرة ؟!

- فلا جرم أنهم من سحر الخالق ، قد سقطوا قرنا بعد قرن مستسلمين ، استسلام المرأة لزوجها .

٤٥٠- وكان سحرتهم عبيدا وغلمانا ، وقد سقطوا كما تسقط الصعوة في الشبكة .

- فهيا ، واقرأ من القرآن ، وشاهد السحر الحلال ، وانقلاب أنواع المكر الذى كالجبال .

- ولست بفرعون حتى آتي نحو ماء النيل ، ولأمض نحو النيران كأنني الخليل .

- فهي ليست بنار ، إنها الماء المعين ، أما ذلك الماء فمن المكر ، تحول إلى ماء نارى .

- ومن ثم فما أطيب ما قاله ذلك الرسول الذى أحل الطيبات ، ذرة من العقل أفضل من الصوم والصلاة .

٤٥٥- ذلك أن العقل جوهر فيك وهذان عرضان ، ومن المفروض أن يكمل العقلَ هذان .

- حتى يكونا كالصقل بالنسبة لتلك المرآة ، فإن الصدر يشرح من الطاعة بالصفاء .

- لكن المرآة إن كانت فاسدة من الأساس ، فإن الصقل يؤتي أكله فيها متأخرا .

- لكن تلك المرآة المختارة حسنة الأصل ، يكفيها قليل من الصقل .

تفاوت العقـــول من أصل الفطرة خلافا للمعتزلـــة الذيـن يقولون أن العقول الجزئيـــة في الأصل متساوية ، وأن هذه الزيادة والتفاوت من التعلم والرياضـــة والتجربـــــــــة

– إعلم جيـــدا أن تفاوت العقول هذا " موجود " ، ومراتبه من الأرض حتى السمـــاء .

٤٦٠– فهناك عقل مثـــل قرص الشمس ، وهناك عقل أقـل مـن الزُهـرة والشهـــاب .

– وهناك عقل كمصبـــاح عند ثمـــل ، وهناك عقل مثل نجـــم من النار .

– ذلك أن السحاب عندما ينقشع من أمام " المرء " ، فلينظـــر إلى نور الله ، يهب " الناس " العقول.(١)

– ولقد أساء العقل الجزئي إلى العقل " الكلي " ، وشهـــوة الدنيـــا جعلت المرء محروما .

– فذاك العقل رأى من الصيـــد حسن الصيـــاد ، وهذا العقل لكونه صيادا يحمل هم الصيـــد .

٤٦٥– وذاك العقل من الخدمـــة ، وجد الدلال من المخدوم ، وهذا لكونه مخدومـــا ، حاد عن طريق العز .

– وذاك العقل من فرعونيته صار أسيرا للماء ، وهذا من معاناته الأسـر ، صار من الأسياط وسيدا عليه .(٢)

---

(١) ج/١١–٢١٤:– وإن عقول الخلق على عكس عقله ، إن عقله مسك وعقول الخلق رائحته .– والعقل الكلي والنفس الكلية هو رجل الله ، فلا تعتبرن العرش والكرسي شيئا غيره .– وذاته الطاهرة هي مظهر الحق ، فاطلب الحق منه لا من غيره .

(٢) الترجمة هنا من نسخة جعفري لأنها أكثر وضوحا ومنطقية من نسخة نيكلسون .

– إن اللعب معكوس هنا ، وحصان " الشطرنج " مقيد تماما ، فقلل من احتيالك ، فالأمر أمر إقبال وحظ .

– وقلل نسج سدى " أعمالك " ولحمتها على المكر والحيلة ، فإن الغنى قليلا ما يعطي الطريق للماكر.

– ولتمكر ، لكن في سبيل حسن الخدمة ، حتى تجد " دور" النبوة في الأمة .

٤٧٠– ولتمكر حتى تتخلص من هذا المكر ، ولتمكر حتى تتفصل عن الجسد .

– ولتمكر حتى تصبح أقل العباد ، وتمضي في التواضع والقلة لتصبح سيدا .

– ولا تقوم بأعمال الثعالب أيها الذئب العجوز ، لا تقم بها أبدا قاصدا السيادة .

– لكن كن كالفراشة ، واهجم على النار ، ولا تتجاوز هذا الأمر ، والعب بطهر .

– واترك القوة ، وكن عاكفا على الضراعة ، فإن الرحمة تنصب على المتضرع أيها الفقير .

٤٧٥– ضراعة المضطر الظمآن إلى المعاني ، لا ضراعة ذلك الغوى الباردة الكاذبة .

– وإن بكاء إخوة يوسف ﷺ مجرد حيلة ، لأن بواطنهم كانت مليئة بالحسد والمرض .

حكاية ذلك الأعرابي الذي كان كلبه يموت جوعا ، بينما خرجه مليئ بالخبز ، وأخذ ينوح على الكلب وينشد فيه الشعر ، ويبكي ويلطم رأسه ووجهه ، بينما يبخل عن إعطاء الكلب لقمة من الخرج

– كان ذلك الكلب يحتضـــر ، وذلك الأعرابي كان منهمكا في البكاء ، كان يذرف الدمع ويصيح : واكرباه(١)

– فمر به أحدهم وســـأله : ماهذا البكاء ؟ ولماذا تنـــوح وتصـــرخ ؟

– قال : كان عندى كلب حسن الخصـــال ، وها هو الآن يحتضـــر وسط الطريق .

٤٨٠– كان صيادى في نهارى وحارسي في ليلي ، فهو حاد البصر ، آخذٌ للصيد ، خبير باللصوص .(٢)

– قال : مم يشكـــو ؟ وهل طعنه أحـد ؟ قال : بل الجوع قد هد من قـــواه .

– قال : فاصبـــر إذن على هذا الألم والخسارة والحَرَض ، فإن فضل الحق يهب الصابرين العوض .

– ثم قال له : أيها السيـــد الحر ، ما هذا الخرج المليء في يدك ؟

– قال : إنه خبز وزاد ولحم كتف من أجلي ، أحمله معي لكي يتقوى به بدني .

٤٨٥– قال : وكيف لا تعطي ذلك الكلب الخبز والزاد ؟ قل : إلى هذ الحد لم يبلغ بي العطاء والوداد .

– فالحصول على الخبز لا يتأتى دون دراهم ، أما دمع العينين فبالمجـــان .

---

(١) ج/١١–٢١٧:– ماذا أفعل ياترى ؟ وما التدبير يا رب ، وكيف أستطيع الحياة بدونك بعد ذلك ؟

(٢) ج/١١–٢١٧:– كان يصيد الصيد ويحتفظ به من أجلـــي ، ولم يكن يترك لصا يقترب منـــي .

- قال : ليفضحك الله أيتها القربة الممتلئة بالريح ، فإن لقمة الخبز أفضل لديك من الدمـــع !!

- والدمع دم ، حوله الحزن إلى ماء ، وألا يساوى الدم المسفوك هدرا التراب " الذى سفك عليه " ؟

- لقد جعله كله ذليلا مثل إبليس ، والجزء من هذا الكل ، لا يكون إلا خسيســـا

٤٩٠- وأنا غلام لذلك الذى لا يبيــــع الوجود ، إلا لذلك السلطان ذى الأفضال والجود .

- وعندما يبكي ، تكون السماء باكية من أجلـــه ، وعندما يشكو ، يكون الفلك داعيا معه .

- وأنا غلام لذلك النحاس العابد للهمة ، ذلك الذى لاينكسر ، إلا إذا عرض على الكيمياء .

- فارفع في الدعاء يدا كسيـــرة ، ذلك أن فضل الله يمضي طائرا نحو الكسيــــر .

- وإذا كنت تريد النجـــاة من هذا الجب السحيق ، فامض أيها الأخ فوق النار دون تأخيـــر.

٤٩٥- وانظر إلى مكر الله ، ودعك من مكرك ، يا من مكره يزرى بمكر الماكرين .

- وعندما يفنى مكرك في مكر الرب ، فإنك تفتح كمينا شديد العجب .

- وأقل ما في هذا الكمين يكون البقـــاء ، وتظل إلى الأبد في عروج وارتقـــاء .(١)

---

(١) ج/١١-٢١٨:- وابذل جهـدا ما من أجل هذا الكمين ، حتى تشم شذى من العلم اللدنى .- وإن كنت تعلم أحوال عروجك جيـــدا ، فإن هذا يكون خيرا بالنسبة لك .

في بيان أنه لا توجد عين مؤذية للإنسان بقدر العين التي ينظر بها إلى نفسه بعجب ، اللهم إلا إذا بدلت عينه بنور الحق مصداقا لـ: بي يسمع وبي يبصر ، وصارت نفسه بلا نفس

– لا تنظر إلى جناح طاووسك وانظر إلى قدمه ، حتى لايفتح لك " سوء النظر" كمينا .

– فإن الجبل ينزلق من عيون الحاسدين ، واقرأ من القرآن ﴿ يزلقونك ﴾ واعلم .

٥٠٠– ومن نظرة انزلق أحمد ﷺ وهو كالجبل ، وذلك في طريق لا طين فيه ، ولا مطر .

– ولقد بقي مندهشا " متسائلا " : من أى شيء هذا الإنزلاق ؟ إنني لا أظن هذا الحال يخلو " من سر " .

– حتى نزلت الآية ، وعلم أن ذلك الذى حدث له من عين السوء ، ومن الحقد والحسد .

– " وخاطبه ربه قائلا " : لو كان غيرك لفنى في التو واللحظة ، ولكان صيدا للعين وسخرة للفناء .(١)

---

(١) ج/١١-٢٢٢:– فاعلم معنى عين السوء آخر الأمر ، ومن عين السوء ، اقرأ﴿ وإن يكاد﴾

– لكن عصمة ساعية سابغة خفت إليك ، أما انزلاقك فكان من أجل إعطاء العلامة والدليل .

٥٠٥– فاعتبر ، وانظر إلى ذلك الجبل ، ولا تعرض قدرتك ، يا أقل من قشــــة .

تفسير ﴿وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم﴾

– يا رسول اللــه ، إن في هذا الجمع أناســا ، يصيبون النسور " الطائرة " بعيونهم الحسود .

– ومن نظراتهم تنشق رأس أسد العرين ، بحيث يئن ذلك الأسد ويتوجــع .

– إن أحدهم ليصب نظرة على الجمل كالحِمــام ، ثم يرسل غلامــه في أثره .

– ويقول له : إمض ، واشتر من شحم هذا الجمل ، فيرى الجمل وقد سقط في عرض الطريق .

٥١٠– وقد ذبح ذلك الجمل من مرض " عارض " ، وكان يسابق الجواد في عدوه .

– ومن الحسد ، ومن عين السوء بلا شك ، يحول الفلك سيره وطوافه .

– والماء خفي والساقية ظاهــرة ، وفي الدوران يكون الماء هوأ صل العمل .

– والعين الطيبة دواء للعين الشريرة ، فإنها تفني عين السوء وتدوسها بالأقدام .

غ

- وسبق الرحمة حق وصدق ، وهي أى عين الرحمة من الرحمة ، وعين السوء نتيجة للقهر واللعنة .

٥١٥- ورحمته تصير غالبة على نقمته ، ومن هنا انتصر كل نبي على خصمه .

-ذلك أنه من نتاج الرحمة ، وخصمه ذلك القبيح الخصال من نتاج القهر واللعنة .

- وإن حرص البط لحرص واحد ، وحرص ذلك " الطاووس" خمسون طبقة ، والحرص على الشهوة حية ، أما الحرص على المنصب فأفعوان .

- وحرص البط من شهوة الحلق والفرج ، وفي الرياسة يضمر عشرون ضعف لهذا " الحرص " .

- وإنه ليدعي الألوهية من جاهه لاهيا وعابثا ، ومتى يُعافى ذلك الطامع في الشركة ؟

٥٢٠- ولقد كانت زلة آدم من البطن والباه ، أما زلة إبليس فكانت من التكبر والجاه .

- فلا جرم أن آدم قد سارع في الاستغفار ، بينما استكبر ذلك اللعين عن التوبة .

- إن حرص الفرج والحلق سوء جبلة ، لكنه ليس تعاليا واستكبارا ، إنه تنزل .

-"ولحرص" الرياسة هذا جذور وفروع ، إن تحدثت عنها تفصيلا ، للزم لها دفتر خاص .

- ولقد سمى العرب الجواد الشموس شيطانا ، وليس الدابة التي تبقى في مرعاها

٥٢٥- والشيطنة لغة هي العصيـــان والاستكبار ، ومن هنا استحقت هذه الصفة اللعينة .

- وإن مائة من الآكلين يستطيعون الجلوس حول مائدة واحدة ، لكن الدنيا لاتسع اثنين من طلاب الرئاسة .

- فكلاهما لايريد للآخر أن يظل على وجـــه الأرض ، حتى أن الملك ليقتل والده خوفا من منازعته إياه .

- ألم تسمع ما قيل من أن الملك عقيـــم ، إن طـالب الملك ليقطعن رحمه من الخوف .

- إنه عقيم ، لا نسل له ولا إبن ، كأنه النار لا علاقة له بأحـــد .

٥٣٠- وكل ما تجده تحرقـــه وتشتته بددا ، وعندما لا تجد ما تأكله ، تأكل نفسها .

- فكن هباءً ، وانجُ من بين مخالبها ، وقلل طلب الرحمة من قلبها الذى يشبه السندان .

- وما دمت قد صرت هباءً ، لاتخش السندان ، وخذ الدرس كل صباح من الفقر المطلق .

- والألوهيـــة رداءُ ذى الجلال ، وكل من يرتديه ، ينقلب عليه وبالا .

- والتاج لـــه ، ولنا حزام " الخدمة " ، وويل لذلك الذى يجاوز حـــده .

٥٣٥- وهو فتنة لك ذلك الجناح الطاووسي ، إنه " يقول لك " : لقد وجبت لك الشركة ، وجاز لك التقدس .

قصة ذلك الحكيم الذى رأى طاووسا ينـزع جناحه الجميل بمنقــاره ، ويجعل جسده عاريا أقرع قبيحا ، فسألــــه متعجبــا : ألن تندم ؟ قال : لأندم ، لكن الروح عندي أعـــز من الجنـــاح ، وهو عدو لروحــــي

– لقد أخذ طاووس ينزع ريشه في واد من الوديان ، وكان أحد الحكماء قد ذهب متنزها إلى ذلك المكان .

– فقال : أيها الطاووس ، كيف تنزع هذا الجناح السنى من أساســـه دون أن يعتريك ندم ؟

– وكيف يطاوعك قلبك على خلع هذه الحلل ، ثم تلقي بها هكذا في الوحل ؟

– إن كل ريشة منه يضعها الحافظون في المصحف إعزازا لها وقبولا .

٥٤٠– ومن أجل الاستـرواح بـالهواء النـافع العليـل ، يصنعون مـن ريشـك هـذا المراوح .

–فما كل هذا الجحود ؟ ومـا كـل هـذه الجـرأة ؟ ألا تعلم من هـو الـذى صـورك ونقشك ؟

– أو أنك ربمـــا تعرف ، لكنك تبدى الدلال ، وتقوم عـامدا بإزالـة الزينـة التـي عليك !!

– وما أكثر المدللين الذين أسقطهم هذا الذنب من عين المليك .

– وإبداء الدلال يكون في طعمه أحلى من السـكر ، لكـن قلـل مـن قضمـه ، ففيـه مائة خطــــر .

٥٤٥– وطريق الضراعــة ذاك عمـران آمـن ، فـاترك التدلـل ، وتـواءم مـع هـذا الطريق .

– وما أكثر المتدللين الذين قطعوا أجنحتهم وقوادمهم ، وصار ذلك في النهاية وبالا عليهم .

– وإذا كانت لذة التدلل قد رفعتك لحظة ، فإن الخوف والرعب الكامنين فيها لا يلبثا أن يذيباك .

– وهذه الضراعة بالرغم من أنها تصيبك بالنحول ، فإنها تجعل الصدر كأنه البدر الأنور .

– فإذا كان " الله سبحانه وتعالى " يخرج الحي من الميت ، فكل من صار ميتا ، صار له الرشد .

٥٥٠– فصر ميتا ، حتى يخرج الحى من هذا الميت ، المخرج الحي الصمد .

– وما دام يخرج الميت من الحي ، فإن نفْس الحي لا تفتأ تطوف حول الموتى .

– ولتصبح شتاءً لترى إخراج الربيع ، ولتتحول إلى ليل لترى ايلاج النهار .

– ولا تنزع هذا الجناح فهو لا يقبل الرفو والرتق ، ولا تخمش وجهك حدادا يا جميل الوجه .

– فإن مثل ذلك الوجه الذى يشبه شمس الضحى ، من الخطأ أن يتعرض للخمش .

٥٥٥– فإن آثار الأظافر على مثل ذلك الوجه من قبيل الكفر ، ذلك الوجه الذى يبكي فيه وجه لقمر من فراقه

– أولست ترى إذن وجهك هذا ؟ فاترك الطبع الباحث عن الجدل واللجاج .

في بيان أن صفاء النفس المطمئنة وبساطتها تصبح مشوشة من الفِكَر ، كما أنك إن كتبت شيئًا على وجه مرآة أو رسمت شيئًا عليـــه ، يبقى أثر عليها ونقصان ، مهما قمت بمحـــــــــــوه

– إن وجه النفس المطمئنـــــــة فـي الجســـــد ، تقـوم بخمشهــــا أظـافر الفكــــر .

–فاعلم أن الفكـــرة السيئة أظـافر مليئـة بالســــم ، وهـي تخمش وجـه الـروح بعمق .

– وهو مـن أجـل أن يفك عقـدة المشكـــتلات ، جعـل القـوادم الذهبيـة ملقـاة فـي الحدث .[1]

٥٦٠– فاعتبر العقدة محلولة أيها المنتهي ، إنها عقدة صعبة وشـديدة علـى كيـس فارغ .

– ولقد شخت في حل العقد ، فاعتبر عددا آخر من العقد قد حُل .

– والعقدة التي تصبح صعبة علىحلوقنــــا ، هى أن تعلم : هل أنـت خسـيس أو صاحب إقبـــال .

– وحل هذا الإشكال إذن إن كنت آدميــــا ، واجعل أنفاسك مصروفة على هذا ، إن كنت من نفَس آدم .

– واعتبر حدود الأعيــــان والأعراض أمورا معلومـــــة ، لكنْ اعرف حدك ، فلا مناص لك من هذا .

---

(١) كما عند جعفرى " ٢٣٣/١١" وهي عند نيكلسون : ٣٨/٥" القأس الذهبية ولا معنى لها ، كما أنه أمال كلمة بال بمعنى جناح لتكون بيل أى فأس دون داع من الوزن أو القافية .

٥٦٥- وعندما تعرف حدك، عليك بالفرار من هذا الحد، حتى تصل إلى اللاحد ، يا ناخلا للتراب .

- لقد ضاع العمر في الحديث عن المحمول والموضوع ، ويا فاقد البصيرة ، لقد ضاع عمرك في " المنقول " والمسموع .

- وكل دليل لا نتيجة منه ولا أثر له باطل ، فأمعن النظر فيما نتج عنك .

- وإنك لم تر صانعا إلا عن طريق مصنوع ، وأنت قانع بقياس إقتراني .

- والمشتغل بالفلسفة يزيد في الوسائط ، لكن الصفي على عكسه فيما يتعلق بالدلائل .

٥٧٠- فهو يفر من الدليل ومن الحجاب ، ولقد طأطأ متفكرا ، رأسه في جيبه ، من أجل المدلول .

- وإذا كان الدخان دليلا على النار ، فأولى بنا الدخول في نار بلا دخان .

- خاصة تلك النار التي هى من القرب والولاء ، تكون أقرب إلينا من الدخان .

- ومن ثم فمن سواد الفعل ، المضي عن الروح صوب الدخان ، من أجل تصورات هذه الروح .

في بيان قول الرسول ﷺ : لا رهبانية في الإسلام

- لا تقتلع الجناح ، بل اصرف قلبك عنه ، ذلك أن شرط هذا الجهاد هو " وجود العدو " .

٥٧٥- وعندما لا يكون عدو فالجهاد محال ، وإن لم تكن شهوة ، لا يكون هنـاك إمتثـــــال .

- ولا يكون صبر عندما لا يكون لديك ميل ، وعندما لا يوجد خصم ، ما الحاجة إلى قيامك بالإحتيال .

-فانتبه ، ولا تجعل نفسك خصيـــــا ، ولا تصر راهبا ، ذلك أن العفة رهينـة " بوجود " الشهوة .

- ولا يمكن النهي عن الهوى إن ام يوجد هوى ، ولا يمكـن القيـام بـالغزو ضـد الموتى .

- لقد قـال " أنفقوا" ، إذن " فاكسبوا " أولا ، ذلك أنه لا نفقة دون أن يسبقها دخـــــل .

٥٨٠- فإذا كان قد قال " أنفقوا" علــى الاطـلاق ، فاقرأها أنـت " إكسبوا " ثـم أنفقوا " .

- وكذلك عندما قال " اصبروا " ، ينبغي أن تكون هناك رغبة ، حتى تشيح عنهـا بالوجه .

- إذن فإن " كلوا " من أجل شراك الشهـــــوة ، وبعدها " لا تسرفوا " وهذه هـي العفـــــة .

- وعندما لا يكون هناك محمول بـه لـدى " المرء " ، لا يكـون ممكنـا أن يوجـد المحمول عليه .

- وعندما لا تكون لديك مشقة في الصبر ، ليس شرطا أن ينزل عليك الجزاء .

٥٨٥- حبذا ذلك الشرط ، وما أسعده ذلك الجزاء ، ذلك الجزاء الذى يلاطـف القلب ويزيد في الروح .

في بيان أن ثواب عمل العاشق من الحق هو الحق نفسه

– إنه هو فرح العاشقين وترحهم ، وهو أيضا الأجر ، وثواب الطاعة والخدمة

– وإذا كان غير المعشوق قابلا للرؤية ، لا يكون هذا عشقا ، بل شهوة عابثة

– والعشق هو تلك الشعلة التي عندما تشتعل ، تحرق كل ما تبقى غير المعشوق

– لقد سل سيف "لا" في سبيل قتل ما سوى الحق ، فانظر ماذا تبقى من بعد " لا"

٥٩٠– لقد تبقى " إلا اللـه " ، ومضى كل ما هو سواه ، فلتهنأ أيها العشق العظيم ، يا مهلك الشرك .

– بل إنه هو نفسه الذى يبقى أولا وأخيرا ، ولا تعتبر الشرك إلا من نظرة الأحول .

– فواعجبا ، هل ثم حسن دون أن يكون انعكاسا من حسنه ؟ فليس للجسد حركة من غير الروح .

– وذلك الجسد الذى تكون في روحه الخلل ، لا يكون حلوا ، وإن نقعته وربيته في العسل .

– ويعلم ذلك الشخص أنه كان حيا ، في ذلك اليوم الذى اختطف فيه كأسا من كف روح الروح .

٥٩٥– وذلك الذى لم تر عيناه ذلك الوجه ، تكون حرارة الدخان روحا بالنسبة له

– وما دام لم ير عمر بن عبد العزيز ، فإن الحجاج يكون أيضا عادلا في رأيه .

– وما دام لم ير ثبات حية موسى ﷺ ، فإنه يظن حياة في حبال السحر .

– والطائر الذى لم يشرب من الماء الزلال ، يخفق بجناحيه في الماء المالح .

– ولا تمكن معرفة الشيء إلا بضده ، وعندما يـذوق " المـرء" الجـراح ، يعـرف الملاطفـــة والإكرام .

٦٠٠– فلا جرم أن الدنيا قد قُدمت ، حتى تعرف قدر إقليم " ألست " .

– وعندما تنجو من هذا المكان تمضـي إلـى هنـاك ، وتصـير شـاكرا فـي مصنـع سكر الأبد .

– فتقول : لقد كنت هناك أقوم بنخل التراب ، وكنت هاربا نفورا من هـذا العـالم الطـاهر .(١)

– وآسفاه ، ليتـه كـان قـد عجـل لـي فـي الأجـل ، حتـى يقـل عذابـي فـي الوحـل والوجل .(٢)

في تفسير قول الرسولﷺ : ما مات من مات إلا وتمنى أن يموت قبل ما مات ، إن كان برا ليكون إلى وصول البر أعجل ، وإن كـــان فاجرا ، ليقل فجــوره

– ومن هنا قال الرسول الخبير : إن كل من مات وترجل عن " مطية " الجسد ؛

٦٠٥– لا تكون لديه حسرة الانتقال والموت ، بل يحس بحسرة التقصير والفوت

– وإن كل من يموت ، تكون لديه هذه الأمنية ، وهي ليت أنـه قبـل هـذا قـد نقـل مقصده ومقامه .

– ليكون قد قلل من شره إن كـان شريـــرا ، وليكـون مجيئـه أسـرع إلـى دار " القرار" إن كان تقيا .

---

(١) ج/١١–٢٤٥: – كنت قانعا من الكنز بالحية ، وكنت سعيدا من البستان بشوكـــة .

(٢) عند نيكلسون "د/٤٠" وحل وعند جعفرى "٢٤٥/١١" وجل فجمعتهما معا .

– فيقول ذلك الفاجــــر : لقد كنت غافـــلا ، وكنت أزيد من الحجب لحظة بعد لحظة .

– فلو كان قد بُكــر لي في العبور قليلا ، لكانت حجبي وأستارى أقل .

٦١٠– فقلل إذن من تمزيق الوجْه القنوع حرصــا ، وكفـاك أيضـا تمزيـق الوجـه الخشوع كبرياءًا .

– وكفاك تمزيقـــا لوجه الجود بخلا ، ومن الإبليسية كفاك تمزيقا لوجه الســجود الطيب .

– ولا تنزع ذلك الجنـاح المزيـن للخلـد ، ولا تقتلـع ذلـك الجنـاح الــذى يطـوى الطريق .

– وعندمـا سـمع " الطـاووس " النصيحـة نظـر إليــــه ، ثـم شـرع فـــي العويـل والبكـــاء .

– نواحا وبكاءا متصلين بألم ، فبكى لبكائه كل من كان حاضــــــرا .

٦١٥– وذلك الذى كان يسأل عن سبب نزع الجناح ، حـار جوابـا ، وأخـذ يبكـى ندما .

– قائلا : لماذا سألته من الفضول ؟ لقد كان حزينا ، وهيجت أحزانــــه .

– أخذ يذرف الدمع من العين الباكية فوق التراب ، وفي كل قطـرة ، أدرج مائـة جواب .(١)

– إن البكاء الصادق يصادف الروح ، ويجعل الفلك والعرش يبكيــــان .(٢)

– والعقول والقلوب عرشيــــة بلا جدال ، تحيا في حجاب من نور العرش .

---

(١) ج/ ١١–٢٥٠:– أخذ يذرف الدمع من عينيه على التراب ، وكان التراب يتحول إلى طين من الدمع الهتون

(٢) ج/١١–٢٥٠:– والبكاء الذى لاصدق فيه لا وجد فيه ، ومن هنا يضحك منه الشيطان .والبكاء الذى لاصدق فيه يكون بلاضياء ، إنه كالمخيض لا دسم فيه .

في بيان أن العقل والروح محبوسان في الماء والطين مثل هاروت وماروت في جب بابل

٦٢٠- إن هذين الطاهرين - مثل هاروت وماروت - قد قيدا هناك في الجب المريـــع .

- إنهما في العالم السفلي والشهواني ، من الجرم ، صارا رهينة في هذا البئر.

- فالأطهار والأشرار يتعلمون منهما السحر وابطال السحر دون اختيار منهما .

- لكنهما في البداية يقومان بنصحه قائلين ، انتبه ، لاتتعلم السحر منا ، ولا تقتبسه .

- إننا نعلم هذا السحر يا فلان ، من أجل الابتلاء والامتحان .

٦٢٥- فشرط الامتحان هو الاختيـــار ، ولا اختيار هناك بلا إقتدار .

- والميول كالكلاب النائمة ، قد كمن فيها خيرها وشرهـــا .

- وما لم تكن قدرة فهي نائمة في صفوف ، ومثل حزم الحطب ملقاة في استسلام

- حتى تبدو جيفة في الأفق ، فينفح على تلك الكلاب في صور الحرص .

- وعندما نفق حمار في تلك الحـــارة ، فقد استيقظ مائة كلب نائم من أجله .

٦٣٠- وأنواع الحرص المخفية في كتم الغيب ، بدأت في الهجوم ، وأطلت برؤوسها من جيوبها .

- وصارت كل شعرة من كل كلب أسنانا ، وكل كلب من الاحتيال ، صار ميصبصا بذنبه .

- فنصفه الأسفل من الحيلة ، ونصفه الأعلى من الغضب ، كالنار الضعيفة عندما تجد الحطب .

- فتتواصل الشعل شعلة شعلة من اللامكان ، ويمضي دخان اللهيب حتى السماء

- إن مائة من أمثال هذا الكلب قد ناموا في الجسد ، واختفوا ، مالم يكن لهم صيد .

٦٣٥- أو مثل طيور البازى قد خيطت أعينها ، واحترقت في حجاب من عشق الصيد .

- حتى ترفع الكمامة وترى الصيد ، فتقوم آنذاك بالتحليق حول سفوح الجبال

- وشهوة المريض تكون ساكنة ، لكن خاطرها لا يفتأ يمضي صوب الصحة

- وعندما ترى الخبز والتفاح والدابوق ، يتقاتلان معا لذة الطعام وخوف الضرر .

- فإن كان " المريض" صبورا ، تكون الرؤية نافعة له ، ويكون ذلك التهيج نافعا لطبعه العليل .

٦٤٠- وإن لم يكن صبر فالأولى عدم الرؤية ، ومن الأولى أن يكون السهم بعيدا عمن لادرع له .(١)

جواب الطاووس على ذلك السائل

- وعندما فرغ من البكاء ، قال له : إمض ، إنك عاكف على اللون والرائحة .

- ألست ترى أنه ينصب على مائة بلاء من كل صوب من أجل هذه القوادم ؟

- وما أكثر الصيادين الذين لا رحمة عندهم ، ويضعون الفخاخ في كل صوب من أجل هذا الريش .

- وكثيرا ما يقوم الرامي بالسهام ، بإطلاق السهام حولي في الفضاء من أجل هذه القوادم.

---

(١) ج/١١-٢٥٥:- عد وأتمم الحكاية ، وتحدث عما قاله الطاووس في جوابه . ثم بيت بعد العنوان "٢٥٥/١١" واستمع الآن من الطاووس إلى الجواب ، حتى تعلم أن هناك خطايا لكل طيب .

٦٤٥– وما دامت لا قوة لدى ولا ضبط نفس ، أمام هـذا القضـاء والبـلاء وهـذه الفتن ؛

– فمن الأفضـــل أن أكون قبيحا كريهــــا ، حتى أكـون آمنـا فـي هذا الجبل وهذه الصحراء .(١)

– لقد كان هذا سلاح عُجبي أيها الفتــى ، ومـن العُجـب حـاق بـالمعجبين بأنفسهم ألف بــــلاء .

بيان أن الفضائل والمواهب ومال الدنيا مثل ريش الطاووس أعداء للـــروح

– ومن ثم فإن الفضــــل هلاك للساذج الغُفل ، الـذى مـن أجـل الحبـة ، لا يـرى الفخ .

– والاختيار يكون خيرا لذلك الذى يكون مالكا لنفســه ، " منفـذا لأمـره تعـالى " : اتقــــوا .

٦٥٠– وعندما لا يكون حفظ وتقوى فحذار ، ولتبعد الآلة إذن ولتنبذ الاختيار .

– إن موضع التجلى والاختيار عندى هـو هـذا الجنـاح ، فلأنـتزع هـذا الجنـاح ، الذى يكون خطرا على الرأس .

– والصبور يعتبر جناحه عدما ، حتى لا يلقى به جناحه هذا في الشر والعناء .

– ومن ثم فلا ضرر في الجناح في حد ذاته ، فـلا تنزعـه ، وإن رميت بسـهم ، تلقه بالدرع .

---

(١) ج/١١–٢٥٥: فلأنزع ريشي ريشة ريشة ، حتى لا تسقطني في الفخ كل حيلة . – فالروح عندى أغلى من المال والريش ، فالروح باقية ، والجسد أبتر .

- لكن الجناح الجميل عدو لي ، ذلك أنه لا صبر لي عن الظهور والتجلي .

٦٥٥- ولو كان الصبر والحفظ مرشدين في طريقي ، لزاد الإختيار في عظمتي وحشمتي .

- إنني كالطفل أو كالثمل في أوان الفتن ، لا يصح أن يوضع السيف في يدى .

- ولو كان لي عقل ومزدجر ، لكان السيف في يدى هو عين الظفر .

- فينبغي عقل يهب النور وكأنه الشمس ، حتى يضرب بالسيف الذى لا يكون إلا صوابا .

- وما دمت لا أملك عقلا مستنيرا وصلاحا ، لماذا لاألقي السلاح إذن في البئر ؟

- فلألق الآن في البئر بالسيف والمجن ، فسوف يكونان سلاحا " في يد" خصمي

- وما دمت لاأملك القوة والعون والسند ، فسيأخذ الخصم السيف من يدى ويضربني به .

- وبرغم هذه النفس القبيحة التي لاتستر الوجه ، لأقم بخمش هذا الوجه .

- حتى يقل هذا الجمال وهذا الكمال ، وعندما لا يبقى هذا الوجه "الجميل" ، يقل سقوطي في الوبال .

-وما دمت أخمش وجهي على هذه النية فلا جُرم ، فإن الخمش إخفاء لهذا الوجه

٦٦٥- فإذا كان في قلبي هذا صفات النساء " من عفة وحياء " ، لما كان وجهي الجميل ينشر إلا الصفـــاء .

- وعندما لم أر فـي نفسي قوة أو فضلا أو صلاحا ، فإني سرعان ما ألقيت السلاح ، عندما رأيت الخصم .

- حتى لا يصير سيفي كمالا له ، ولا يصير خنجرى وبالا عليّ .

- وعليَ أن أواصل الفرار ما دام فيّ عرق ينبض ، ومتى كان الفرار من النفس سهلا يسيرا ؟!

- ذلك أن الذى يهرب من غيره ، عندما يبتعد عنه يقر قراره .

٦٧٠- وأنا الذى خصمي هو نفسي في هـروب حتـى الأبـد ، وديدنـي هـو قولـي لنفسي : إمض ، إنهض .

- فهو لايكون آمنـــا حتى ولو مضى إلى الهند وخُتن ، ذلك الذى يكون خصمه هو ظلـــه .

في وصف اولئك الذين انسلخوا عن أنفسهم فأمنوا شر أنفسهم وفضل أنفسهم ، فهم فانون في بقاء الحق ، كالنجوم التـــــي تفنى في الشمس نهارا ، ولا يكون عند الفاني خوف من الآفة والخطر

- عندما يكون لفناء " المرء " زينة من الفقر ، يصبح مثل محمدﷺ لاظـــل له .

- لقد صار قولهﷺ الفقر فخرى زينة للفنـــاء ، وصار هو مثل لهب الشمع بـلا ظل .

- صار بأجمعه لهبا كالشمعة من أخمص القدم إلى قمة الـرأس ، لا يكـون للظـل منفذ إلى الطواف حوله .

٦٧٥-ولقد هرب الشمع من نفسه ومن الظل في الشعاع ، من أجله ، ذلـك الـذى أراق الشمع .

- ولقد قال هو : لقد صببتك من أجل الفناء ، فقال : وأنا أيضا هربت في الفناء

- إن هذا الشعاع الباقي هو المفترض ، وليس شعاع الشـمس الفـاني ، الـذى هـو عرض .

- وعندما فنى الشمع بكليته في النار ، فإنك لن ترى أثرا للشمع ولا أثرا للشعاع

- إنه واضح فحسب عند دفع الظلمة ، إنها نار صورية ، قائمة على شمعة .

٦٨٠- وشمع الجسم على خلاف هذا الشمع ، فهو كلما ذاب وقل ، زاد نور الروح .

- وشعاع هذا النور باق ، وذلك الشعاع فان ، ذلك أن شمعة الروح ذات شعلة ربانية .

- وذلك اللهب النارى لأنه نور ، فإن ظل الفناء يكون بعيدا عنه .

- ويكون للسحاب ظل يسقط فوق الأرض ، ولا يكون الظل جليسا للقمر .

- والإنسلاخ عن الذات هو انقشاع السحاب يا راغبا في الخير ، إنك في الإنسلاخ عن الذات تكون مثل قرص القمـــــــر .

٦٨٥- ثم إنه عندما تأتي سحابـــــة مزجـــــاة ، فقد ذهب النور عن القمر ، وبقي خيـــال منه .

- فقد صار نوره ضعيفـــا من حجاب السحاب ، وصار ذلك البدر الشريف أقل من هلال .

- وإن القمر ليبدى خيالا من السحاب والغبـــار ، وقد جعلنا سحاب الجسد مغرقين في الخيـــال .

-فانظر إلى لطف القمر - وهذا أيضا مـن لطفه - حين قال إن السحب عدوة لنـــا .

- والقمر فارغ من السحاب ومن الغبار ، وله على قمة الفلك المدار .

٦٩٠- لقد صار السحاب عدوا لنا خصما لروحنا ، فهو الذى يخفي القمر عن أعيننا .

- وهذا الحجاب يجعل الحورية عجوزا شمطاء ، ويجعل البدر أقل من هلال .

- ولقد أجلسنا القمر إلى جوار العز ، واعتبر عدونا عدوا لــــــه .

- وإن نور هذا السحاب وبهاءه مأخوذان - في الأصل - من القمـر ، وكـل مـن سمى السحاب قمرا ، هو شديد الضـــــلال .

- وعندما سطع القمـــر بنوره على السحاب ، تبدل وجهه المظلـــم مـن تـأثير هذا القمر .

٦٩٥- وبالرغم من أنه في لون القمر وذو صولة ودولة ، فإن هـذا النـور للقمـر في السحاب ، نور مستعار .

- وفي القيامة تعزل الشمس ويعزل القمر ، وتُشغل العين بأصـــل الضياء .

- حتى تعلم ما هو مملك وما هو مستعـــار ، وتعـرف هـذا الربـاط الفـاني مـن دار القرار .

- وتكون المرضعة مستعارة لأيام ثلاثة أو أربعة ، فخذينا أيتها الأم في أحضانك

- إن جناحي " أنــا الطـاووس" سحاب وحجـاب كثـيف ، لكنـه صـار لطيفـا مـن انعكاس لطف الحق .

٧٠٠- فلأنزع الجناح وحسنه من الطريق ، حتى أرى حسن القمـر مباشـرة مـن القمـــر .

- أنا لا أريد المرضعــة ، إن الأم أفضل منهــا ، أنـا موســى ، ومرضعتـي هـي أمي

- وأنا لاأريد لطف القمر من الواسطة ، فإن ارتباط القوم بها قد صار هلاكا لهـم

- أو ربما يصير السحاب فانيا في الطريق ، حتى لايصـير حجابـا علـى وجـــه القمر .

- بل يبدى صورته في صفات العدم ، وكأنه أجساد الأنبياء والأولياء .

٧٠٥- فلا يبقى مثل ذلك السحاب عاقدا للحجب ، يكون ممزقا للحجـب ، ومفيـدا في المعاني .

-مثلما حدث ذات صباح صحو ، أن سقطت قطرات مطر ، ولم يكن هناك سحاب في السماء.

– كانت تلك السقاية معجزة من معجزات الرسول ﷺ ، فلقد صار السحاب من المحو في لون السماء .

– كان هناك سحـــاب ذهب عنه طبع السحاب ، وهكذا يصير جسد العاشق بالصبر .

– يكون جسدا ، لكن صفات الجسدية قد انتفت عنه ، فلقد بدل ، وذهب عنه اللون وذهبت الرائحة .

٧١٠– إن الجناح من أجل الغير ، لكن الرأس من أجلي أنا ، ومنزل السمع والبصر عمادٌ للجسد .

– والتضحية بالروح من أجل صيد الغير ، اعلم أنه كفر مطلق ، وقنوط من الخير!!

– هيا إنتبه ، لا تصبح كالسكر أمام طيور الببغاء ، لكن كن سما ، وصر آمنا من الخسران .

– فكأنك من أجل أن تجعل نفسك محمودا في الخطاب ، جعلت نفسك جيفة أمام الكلاب .

– من أجل هذا خرق الخضر عليه السلام السفينـــة ، حتى نجت تلك السفينة ممن كان يأخذ كل سفينة غصبا .

٧١٥– ومن هنا وردت الفقر فخرى عن هـذا السني ، حتى أهرع من حرص الطامعين إلى الغني .

– ومن هنا أيضـــا تخبأ الكنوز في الخرائب ، وذلك حتى تنجو من حرص أهل العمران .

- وإذا كنت لا تعلم كيف تقتلـع الجنـاح فـامض واخـتر الخلـوة ، حتـى لا تصبـح بأجمعك نفقة لهذا وذاك .
- ذلك أنك طعام وآكلٌ للطعام ، إنك آكل ومأكول أيها الحبيب ، فانتبه .

في بيان أن كل ما سوى الله آكل ومأكول ، مثل ذلك الطائـــر الذي كان يمضي لصيد الجراد ، وكان مشغولا بصيد الجراد غافلا عن البازي الجائع الذي يقصد صيده من خلف ظهره ، والآن أيها الإنسان الصياد الآكل ، لا تأمن عن صيادك وآكلك ، وإن لم تكن تراه رأي العين ، فداوم النظر إليه بالدليل والاعتبار ، إلى أن تفتح عين السـر

- كان طويئر منهمكا في صيد دودة ، فاهتبل القط فرصة ، واختطفــه .
٧٢٠- لقد كان آكلا ومأكولا ، وغافلا في صيده عن صيـــاد آخــر .
- وبالرغم من أن اللص " منهمك " في صيد المتاع ، فإن الشرطة تجد فـي أثـره مع خصومه .
- إن عقله مشغول بالمتاع والقفل والباب ، وهو غـافل عـن الشـرطة ، وآهـات " المظلومين " في السحر .
- ويكون غارقا في شهوتـــه ، بحيث يكون غافلا عن طالبه الباحث عنه .
- وإذا كان العشب يروى بالماء الزلال ، فإن معدة الحيوان في أثره ترعى منه .
٧٢٥- فإن ذلك العشب آكل ومأكول ، شأنه شأن كل موجود ، إلا الله تعالى .
- ومصداقا للآية الكريمة ﴿ وهو يُطعِم ولا يُطعَـــم ﴾ [1] ليس الحق مأكولا ، بل هو آكل اللحم والوضم .

---

[1] في المتن وهو يطعمكم وليست موجودة في القرآن الكريم .

– ومتى يكون الآكل والمأكول آمنين من آكل آخر يترصدهما في مكمن .

– وأمن المأكولين جذوب للمأتم، فامض إلى تلك العتبة التى نزلت في شأنها ﴿ لايُطعَم ﴾ .

– وكل خيال يأكله خيـــال آخر ، وكل فكرة ترعى عليها فكرة أخرى .

٧٣٠ _ وإنك لا تستطيع أن تنجو من خيال أو تنام إل بعد أن تخلص منــــه .

– والفكر كالنحل وخيالك هذا كالماء وعندما تستيقظ يعود إليك كالذباب .

– ويطير حولك عدد من نحل الخيـــال ، يجذبك هذا الصوب وذاك ، ويحملك من ناحية إلى أخرى .

– إن هذا الخيال هو أكل الآكلين ، أما بقية الآكلين فهم في علم ذي الجلال .

– فهيا أهرب من جماعة الأكالين القساة الغلاظ إليه ، فهو القائل لك : نحن الحفظة لك .

٧٣٥– أو نحو ذلك الذى وجد الحفظ ، هذا إذا لم تستطع أن تمضى صوب ذلك الحافظ .

– وإياك أن تضع يدك إلا في يد الشيخ ، فإن الحق صار آخذا بتلك اليد معينا لها

– وإن شيخ عقلك قد اعتاد على الطفولة ، وذلك من جواره للنفس ، فهو في حجاب .

– فاجعل عقل الكامل قرينا لعقلك حتى يعود العقل عن تلك الخصلة السيئة .

– وعندما تضع يدك في يده ، تنجو آنذاك من أيدى الآكلين .

٧٤٠– وتصبح يدك من أهل تلك البيعة ، التى نزل في شأنها ﴿ يد الله فوق أيديهم﴾ .

– ما دمت قد وضعت يدك في يد الشيخ المرشد ، مرشد الحكمة الذى يكون عليما وخطيرا .

– فهو نبي زمانه أيها المريد ، مادام نور النبيﷺ ينبعث منـــه .

– وبهذا تكون قد صرت حاضرا فـي الحديبيـة ، وقرينـا لهـؤلاء الصحابـة الذيـن بايعوا .

– وصرت أيضا من الصحابة العشـرة المبشـرين بالجنـة ، وقـد صـرت خالصـا كالذهب كامل العيار .

٧٤٥– وحتى تصح لك المعيـــة ، ذلك أن المرء مع من أحب .

– يكون معه في الدنيا وفي الآخرة ، وهذا هو حديث أحمدﷺ طيب الخصال .

– لقد قال ﷺ " المرء مع محبوبه ، لا يفك القلب من مطلوبه " (١)

– وقلل الجلوس حيثما يوجد فخ وحَب ، وامض يـا آخـذا للضعيـف ،فـانظر إلـى آخذي الضعفـــاء .

– ويا مستقويا على الضعفـــاء ، اعلم هذا جيدا ، أن هنـاك يـدا فـوق يـدك أيهـا الفتى .

٧٥٠– إنك ضعيف وآخذ للضعفـــاء وهذا عجيـب ، فـأنت صيـد وآخذٌ للصيـد جاد في الطلب .

– ولا تكن كمن قيل فيهم﴿ وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا ﴾ بحيث لا ترى الخصم ، وهو شديد الظهور .

– وحرص الصيـــاد يصيبه بالغفلة عن أن يصـــــاد وأن فاتنـا سوف يسلب منه القلب .

– فلا تكن أقل من طائـــر في مرج ، رأى عصفورا من أمامه ومن خلفه .

– وعندما يقترب من الحبة ، يلتفت بوجهـه ورأسـه عدة مرات إلـى الأمـام فـي لحظة ، وإلى الخلف في الأخرى .

---

(١) ما بين القوسين بالعربية في المتن الفارسي .

٧٥٥- ويقـول : يـا للعجـب ، إن هنـاك صيـادا أمـامي وآخـــــر خلفي ، حتـى أصرف النظر عن هذه اللقمة خوفا منهمـــــا .

– فانظر أنت إذن إلـى قصـــــة الفجـــــار ، وانظـــــر أمـامك مـوت الرفيـق والجار .

– فقد أهلكهم بلا وسيلة أو آلــــة ، " فالموت " قرينك على كل حــــال .

– لقد عذب الحق ولا يد هناك ولا مقامع ، فاعلم إذن أن الحق حكم ولا آلــــة

– وذلك الذى كان يقول : إذا كان الحق موجودا فأين هو ؟ فإنه يقـر فـي العـذاب أنه هو .

٧٦٠- وذلك الــذى كان يقول : إن هذا بعـيد وعجيب ، يذرف الدمع ويقـول : يا قريب .

– وعندما رأيت أن الفرار من الشبكة واجب ولازم ، كانت شبكتك قد التصقت بجناحك .

– فلأقتلع أنا أوتاد هذه الشبكة المنحوسة ، ومن أجل شهوة لا أمرر فمي .

– لقد أعطيتك هذا الجواب بما يناسب عقلك ، فافهمه ، ولا تنصرف عـن البحـث والتقصي .

– واقطع هذا الحبل الذى هو الحرص والحسد ، وتذكـر ﴿ فـي جيدهـا حبـل مـن مسد﴾ (١)

---

(١) ج/١١-٢٧٣:- وانظر إلى أحوال فرعون وثمود ، وقوم لوط وقوم صالح وقوم ثمود .- وانظر إلى حال النمرود الظلوم ، وألق نظرة على مآل قوم نوح .- وتأمل في قصة شداد وعاد ، وانظر إلى حسرتهم يوم التناد -- حتى تعلم أن الحق سميع وعليم ،لا خوف لديه ولا بأس ولا خشية .

سبب قتل الخليل ﷺ للغراب وإشارته إلى قمع أية

صفة من الصفات الذميمة المهلكة في المريـــــد

٧٦٥- لا نهاية لهذا الكلام ولا فراغ منه ، فلماذا قتلت الغراب يا خليل الحق ؟

- من أجل أمر الحكمة . فماذا كان الأمر ؟ ينبغي أن تكشف لنا قليلا من الأسرار .

- إن نعيق الغراب المستمر وصياحـــه ، يكون دائما طالبا للعمر في الدنيـــا

- مثل إبليس ، طلب من الإله الطاهر الفرد عمر الجسد إلى يوم القيامة .

- فقال :﴿ أنظرني إلى يوم يبعثــــون﴾ ، وليته قال : تبنا يا ربنـــا .

٧٧٠- وإن العمر بلا توبة هو عين انتزاع الروح ، والموت الحاضر هو الغياب عن الحق .

- والعمر والموت كلاهما يكون طيبا مع الحق ، وبدون الحق يكون ماء الحياة نارا .

- وكان ذلك أيضا من تأثير اللعنة ، أنه في مثل تلك الحضرة ، ظل يبدو باحثا عن العمر " الطويل " .

- وطلب غير الله من اللـــه ، هو تزيد في الظن ، وعدم تقدير للكل حق قدره .

- خاصة ذلك العمر الغريق في الغربة ، إنه سلوك كسلوك الثعلب في محضر الأســـد .

٧٧٥- أعطنى عمرا أطول حتى أصبح أكثر تقهقـــرا ، وأمهلنى حتى أمضي في النقصـــان .

- وذلك حتى تكون اللعنة علامة عليـــه ، وسيء ذلك الشخص الذى يكون باحثا عن اللعنة .

– والعمر الطيب في القرب من رعاية الروح وتربيتها ، وعمر الغراب يكون من أجل أكل البعر .

– أعطني عمرا إذن لكي آكل الغائط ، واعطني هذا دائما ، فإن جوهري شديد السوء .

– وإن لم يكن آكلا للغائط ذلك المنتن الفم ، لكان قد قال : خلصني من طبع الغراب فيَّ .

مناجـــــــاة

٧٨٠– يا من بدلت التراب إلى ذهب ، وجعلت من تراب آخر أبا للبشـــــر .

– إن فعلك هو العطاء وتبديل الأعيان ، وفعلي أنا هو السهو والنسيان والخطأ .

– فبدل السهو والنسيـــــان إلى علـــــم ، وأنا بأجمعي خطل وجهل ، فاجعلني صبرا وحلما .

– يا من تجعل من الأرض البور خبزا ، ويامن تجعل من الخبز الميت ، روحـــــا .

– ويا مرشدا للروح الحائــــرة ، ويامن تجعل الضال رســــولا .(١)

٧٨٥– وتجعل قطعة من الأرض سماءً ، وتزيد في الأرض من عدد النجوم .

– وكل من يجعل من هذه الأرض ماء حياة ، يحيق به الموت مبكرا عن الآخرين .

---

(١) ج/١١–٢٨٣:– يا من أعطيت الروح للتراب الكدر ، وأعطيته العقل والحس والرزق والإيمـــان .– وتأتي بالسكر من البوص والثمر من الخشب ، ومن المنى الميت حسناء جميلـــة .– ومن الطين الورود ومن القلب الصفاء ، وتمنح الشحمة ضياءً ونورا .

- وبصيرة القلب الناظرة إلى الأفلاك ، ترى أنه يوجد هنا في كل لحظة خلقٌ وتصوير .

- وقلب للأعيان وأكسيرٌ محيط " بكل شيء " ، وإتلاف لخرقة الجسد دون أن تخاط .

- وأنت في ذلك الوقت الذى جئت فيه إلى الوجود ، كنت نارا أو ريحا أو ترابا .

٧٩٠- ولو كان لك بقاءٌ على هذا الحال ، فمتى كان هذا الإرتقاء يصل إليك ؟

- إن الوجود الأول لم يبق من " تأثير " المبدل ، بل وضع وجودا أفضل في موضعه .

- وهكذا حتى مئات الآلاف من الموجودات ، واحدةُ بعد الأخرى ، التالي خيرٌ من السابق .

- فانظر إليها على أنها من المبدل ، ودعك من الوسائط ، فمن الوسائط تبتعد عن أصولها .

- وحيثما زادت الواسطة ، انتفى الوصال ، والواسطة أكثر ازديادا عند من قلت لذته بالوصل .

٧٩٥- ومن معرفة السبب تقل حيرتك ، والحيرة هي التي تعطيك الطريق إلى الحضرة .

- لقد وجدت أنواع البقاء هذه من أنواع الفناء ، فلماذا أشحت بوجهك عن الفناء فيه ؟

- وأي ضرر كان قد أصابك من الفناء ؟ حتى تتشبث بالبقاء أيها النافق ؟

- وإذا كان ثانيك أفضل من أولك ، فابحث إذن عن الفناء ، واعبد المبدل .

- ولقد رأيت مئات الآلاف من أنواع الحشـر أيهـا العنـود ، حتـى هـذه اللحظـة ، ومن بدء الوجود .

٨٠٠- من الجمادية- وأنت غافل- حتى حـال النمـاء ، ومـن النمـاء نحـو الحيـاة والابتلاء .

- ثم نحـو العقـل والتمييزات الطيبـة ، ثـم خـارج هـذه " الحـواس " الخمســة و" الجهات " الستة .

- وآثار الأقدام هذه موجودة حتى ساحــل البحر ومن بعدها ، توجد آثار الأقدام داخل بحر العدم .

- ذلك أن منازل اليابسة تكونت على سبيل الاحتياط ، مـن القـرى والأوطـــــان والأربطة .(١)

-ثم إن منازل البحر عند التوقف ووقـت المـوج ، لا عرصـات فيهـا ولا سـقوف تحبس المسافر .

٨٠٥- ولا نهاية تبدو واضحة لتلك المراحــــل ، وهـذه المنـازل لا علامـة لهـا ولا اسم .

- وما هو بين المنزلين مائة ضعف لما هو موجود " بين منـازل الأرض " ، فـي ذلك الطرف بين النماء وبين تحول الروح إلى عين " من الأعيــــان .

- لقد رأيت أنواع البقاء هذه في أنواع الفناء ، فكيف تشبثت ببقاء الجسد ؟

- هيــــا ، وابـــذل هذه الروح أيها الغراب ، وكن مضحيـا بـالروح أمـام تبديـل الله .

- وداوم على أخذ الجديد ، ودعك من القديم، فكـل سـنة جديـدة أفضـل لـك مـن ثلاث سنوات سابقة .

---

(١) ج/١١-٢٨٤:- وذلك أن منازل البحر في ازدياد ، وعند موجه ، لا جدران هناك ولا عمــــد .

٨١٠- وإن لم تك مؤثرا على نفسك كالنخل ، ضع القديم فوق القديم ، واجعل منه مخزنـــا .

- واحمل هذا القـــديم المهترىء المتعفن ، وقدمـــه هدية إلى كل من لم ير "نعمة" .

- وكل من رأى الجديد لن يكون مشتريا منك ، إنه صيد الحق ، وليس فريســـة لك .

- وحيثما يكن هناك سربٌ من الطير العميــــاء ، فإنها تتجمع حولك ، أيها السيل المالح .

- حتى تزداد عمى من المياه المالحة ، وذلك لأن المياه المالحة تزيد في العمى .

٨١٥- وأهل الدنيا لهذا السبب عمي القلوب ، شاربون لمياه الجسد المالحـــة .

- فداوم على إعطاء المالح وشراء العمى في الدنيـــا ، ما دمت لا تملك ماء الحيوان في الخفاء .

- ومع مثل هذا الحال تريد البقاء والذكـــر ، وسعيدٌ في سواد الوجه ، كأنك الزنجي .

- والزنجي مستريح في سواده ، ذلك لأنه زنجي بأصله وميلاده .

- لكن ذلك الذى كان جميـــلا وضاء الوجــــه ، إذا اسود لونه يبحث عن علاج للأمـــر .

٨٢٠- والطائر المحلق عندما يبقى على الأرض ، يبقى في حزن وألم وحنين .

- لكن الطائر المنزلي يمضي هانئـــا على الأرض ، ويسرع لالتقاط الحب ، سعيدا نشطـــا .

- ذلك أنه في الأصـــل لا يطير ، لكن الطائر الآخر طيار محلق في الهواء .

قال النبي ﷺ: ارحموا ثلاثا، عزيز قوم ذل، وغني قوم افتقر وعالما يلعب به الجهال

- قال الرسول عليه السلام : إرحموا حال " من كان غنيا فافتقر ،
- والذى كان عزيزا فاحتقر ، أو صفيا عالما بين المضر"(١)

٨٢٥- قال الرسول ﷺ : ارحموا هؤلاء الثلاثة ، حتى وإن كنتم من صخر أو من جبل .

- ذلك الذى ذل من بعد الرئاسة ، وذلك الغني الذى صار بلا دينار .
- وثالثهم ذلك العالم ، الذى يكون مبتلى في الدنيا بين البلهاء .
- ذلك لأن الانتقال من العز إلى الذل ، كأنه قطع عضو من البدن .
- والعضو الذى يقطع من البدن يموت ، إنه يتحرك قليلا بعد بتره ، لكن ليس لفترة طويلة .

٨٣٠- وكل من شرب من كأس " ألست " في العام القائت ، يحس هذا العام بالألم والخمار .

- وذلك الذى يكون في الأصل ككلب الحظيرة ، متى يكون حريصا على السلطنة .
- إنما يبحث عن التوبة من ارتكب الذنب ، وإنما يتأوه من ضل الطريق .

(١) مابين القوسين بالعربية في المتن الفارسي .

قصة سقوط حشف غزال في حظيرة حمر ، وشتم تلك الحمر لذلك الغريب حينا على سبيل الشجار وحينا على سبيل السخرية ، وابتلائه بالقش الجاف الذي ليس طعامه ، وهذه صفة العبد المخصوص من الله بين أهل الدنيا وأهل الهوى والشهوة مصداقا لقول الرسولﷺ : الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا فطوبى للغرباء . صدق رسول الله

– لقد صاد أحد الصيادين غزالا ، فوضعه في الحظيرة بلا رحمـــــــة .

– وحبس الغزال في حظيرة مليئة بالحمر والبقر كما يفعل الظلمة .

٨٣٥– أخذ الغزال من خوفه يجرى في كل صوب ، وفي الليل وضع الصياد القش أمام الحمر .

– ومن الجوع أخذ كل حمار وكل بقرة في رعى القش وكأنه أحلى من السكر .

– وأخذ الغزال يسرع حينا هنا وحينا هناك ، وحينا كان يشيح بوجهه عن الدخان والغبار .

– وكل من وضعوه مع ضده ، " عاقبوه " بهذا العقاب على أنه مساو للموت .

– حتى أن سليمانﷺ قال : إن لم يقدم الهدهد عذرا مقبولا عن تأخـــــره وعجـــزه ؛

٨٤٠– فإنني سوف أقتله أو أسومه أشـــد العذاب ، عذابا شديدا يفوق الحسبان والتصور .

– هيـــا ، أى عذاب هذا أيها المعتمد ، قال : وضعه في قفص واحد مع غير جنســـه .

– والروح بـــازى والطبائع غربـــان ، فهي في جراح من الغربـان والبـــوم .

– ولقد بقى الغزال بينها في محنة وعذاب ، مثل من كان يسمى " أبو بكـر " بين أهل سبزوار .

حكاية محمد خوارزمشاه الذى استولى بالحرب على مدينة سبزوار وكل أهلها من الروافض ، فطلبوا الأمان لأرواحهم ، فقال : أعطيكم الأمان ، إذا أحضرتم لي كهدية واحدا من أهل هذه المدينـــــــة يسمـــى أبو بكـــــــــر

٨٤٥–ذهب محمد الب الغ خوارزمشاه لقتال أهل سبزوار المليئة بالحصون .

– فضيق عليهم جنده الخناق ، وأعمل جيشه القتل في الأعداء .

– فسجدوا أمامه قائلين : الأمان ، ضع حلقات "العبودية" في آذاننا ، وهبنا الحياة

– وكل ماتريده من عطاء أو خراج ، نعطيه لك ، وكل موسم يكون في ازدياد .

– وأرواحنا ملك لك أيضا يا من أنت في طبع الأسد ، فمر بأن تظل أمانـة لدينـا بعض الوقت .

٨٥٠– قال : إنكـم لن تخلصوا أرواحكم منى ، ما لم تحضـروا لـي أحدا يسـمى أبو بكر .

– ومـا لـم تحضـروا لـى كهديـة أحدا يسـمى أبوبكـر مـن مدينتكـم أيتهـا الأمـة الضـــــالة ؛

– فإننى سوف أحصدكم حصـــــاد الزرع أيها القوم الأدنياء ، ولا آخـذ خراجـا ، ولا أقبل رجاءً .

– فوقفوا في طريقه جارين جـوالا مليئا بالذهب ، قائلين : لا تطلـب مـن يسـمى أبو بكر من مثل هذه المدينة .

- فمتى يكون أبو بكر في سبزوار ؟ أتوجد مدرة جافة في قاع جدول ؟

٨٥٥- فأشاح بوجهه عن الذهب ، وقال : أيها المجوس ، ما لم تقدموا إلى من يسمى أبوبكر ؛

- فلا فائدة قط ، ولست طفلا ، حتى أقف أمام الفضة والذهب مندهشـــا !!

- فما لم تسجد لن تنجو أيها الضعيف المسكين ، حتى ولو قست المسجد بمقعدك

- فبثوا العيون في كل صوب ، سائلين : أين من يسمى أبوبكر في هذه الأرض الخربة ؟

- وبعد أن جدوا في البحث ثلاثة أيام بلياليها ، وجدوا شخصا يسمى أبو بكر ، لكنه شديد النحول .

٨٦٠- كان عابر سبيل أقعده المرض في زاوية خربة مليئا بالحرض .

- كان قد نام في ركن منعزل ، وعندما رأوه ، صاحوا به : أســـرع .

- إنهض فإن السلطـــان يطلبك ، وبك سوف تنجو مدينتنا من الذبـــح .

- قال : لو أن بي قوة أو كنت أستطيع القدوم ، لذهبت أنا بنفسي إلى مقصدى .

- ومتى كنت أبقى في ديـــار الأعداء هذه ؟ ولكنت قد أسرعت نحو مدينة الأحباب .

٨٦٥- فأحضروا محفة مما ينقل عليها الموتى ، ووضعوا عليها أبا بكر المجادل ذاك .

- وأخذ الحمالون يحملونه حملا إلى خوارزمشاه ، حتى يرى الدليل .

- إن سبزوار هذه هي الدنيـــا ، ورجل الحق فيها ضائع وممتحن .

- ومثل خوارزمشاه كمثل الرب الجليل ، إنه يريد القلب من هؤلاء القوم الأراذل

- لقد قال :" إنه لا ينظر إلى تصويركم ، فابتغوا ذا القلب في تدبيركم" .(١)

(١) مابين القوسين بالعربية في المتن الفارسي .

٨٧٠- وأنا أنظر إليكم من خلال صاحب قلب ، لا إلى صورة السجود ، وإنفاق الذهب .

- بينما ظننت أنت أن قلبك قلب ، وتركت البحث عن أصحاب القلوب .

- وقلب " الواحد منهم " لو حلت به سبعمائة من أمثال هذه السموات السبع ، لتاهت فيه واختفت .

- فلا تسم فتات القلوب هذه قلوبا ، ولا تبحث في سبزوار عمن يسمى أبو بكر .

- وصاحب القلب يصبح مرآة سداسية الجهات ، وينظر فيها الحق من الجهات الستة .

٨٧٥- وكل ما يوجد في الجهات الستة ، لا ينظر إليه الحق دون واسطة منه .

- فإن رد فإنما يرد من أجله ، وإن قبل ، فإنه يكون سندا للقبول .

- وبدونه لا يعطي الحق أحدٌ نوالا ، إن كل ما ذكرته هو نبذة عن صاحب الوصال .

- إنه يضع ما يهبه على كف يده ، ومن كف يده ، يعطيها لمن رحمهم

- فلكفه اتصال بالبحر الكلي ، على أتم وجه ، ودون شكل أو كيفية .

٨٨٠- إنه اتصال لا يستوعبه كلام ، وقوله يكون بالأمر والتكليف ، والسلام .

- وإنك لتأتي بمائة جوال من الذهب أيها الغني ، ويقول الحق : بل قدم القلب أيها المنحنى .

- فإن كان القلب راضيا عنك فأنا راض ، وإن كان معرضا عنك ، فأنا معرض .

- إنني لا أنظر إليك ، بل أنظر إلى ذلك القلب ، فقدمه هدية أيها الحبيب على بابي .

- إنني معك كما يكون هو معك ، مثلما توجد الجنان تحت أقدام الأمهات .

٨٨٥- إنه الأب والأم ، بل هو أصل الخلق ، وما أسعده ذلك الذى عـرف القلـب من القشر .

- وإنك تقول : ألست قد أتيت إليك بالقلب ؟ فيقول لـك : إن " قتـو" مليئـة بأمثـال هذه القلوب .[١]

- بل هات ذلك القلب الذى هو قطب العالم ، وهو روح روح الروح لروح آدم .

- ومـن أجـل ذلـك القلـب المليء بـالنور والـبر ، يكـون سـلطان القلـوب ذاك منتظـــرا .

- وإنك لتطوف لعدة أيام في سبزوار ، ولا تجد مثل ذلك القلب من الإعتبار .

٨٩٠- فتضـع قلبا ذابـلا مهـترىء الـروح علـى محفـة جـارا إيـاه إلـى تلـك الناحيـــة .

- قائلا : لقد أحضرت إليك قلبا أيها المليك ، وليس هناك أفضل من هـذا القلـب في سبزوار .

- فيقول لك : أهذه جبانة أيها المتجرىء حتى تحضر قلبا ميتا إليها ؟

- إمض وهات قلبا في طبع المليك ، فمن هذا القلب ، يكون الأمان ل" سبزوار " الكون .

- فتقول : إن هذا القلب خفـي عـن الدنيـــا ، وذلـك لأن الضيـــاء والظلمـة ضدان .

٨٩٥- إن العداوة لهذا القلب ميراث عند" سبزوار " الطبـــع منذ يوم " ألست "

- ذلك أنه بازى ، والدنيـــا مدينة الغربـــان ، ورؤية أحد لمن هـو مـن غير جنسه ، بمثابة الكي له .

---

[١] ج/ ١١-٣٠٥:- يقول لك : هذا القلب لا يساوى شروى نقير .

- إنه إن لاطف ، فإنما يفعل ذلك نفاقا ، إنه يستميل حتى يحقق الرفقة .

- إنه يوافق ، لا من أجل الحاجة ، بل من أجل أن يقصر الناصح في نصيحته الطويلة .

- ذلك أن ذلك الغراب الخسيس الباحث عن الجيفة ، لديه الآلاف من أنواع المكر ، بعضها فوق بعض .

٩٠٠- فإن قبلتم نفاقه هكذا أيها السالكون ، لصار نفاقه هذا هو صدق المستفيد بعينـــــه .

- وذلك لأن صاحب القلب ذى العظمة والحشمة ، هو في سوقنا كالحمار المعيوب .

-فابحث عن صاحب قلب ، إن لم تكن بلا روح ، وكن من جنس القلب إن لم تكن معاديا للسلطـــان .

- وذلك الذى يخيل عليك احتياله ومكره ، هو وليك أنت ، وليس ولي اللـــــه .

- وكل من عاش على طبعك وخصالك ، هو الولي والنبي عند طبعك .(١)

٩٠٥- فامض ، واترك الهوى ، حتى يصبح أرج "الحقيقة" لك ، وتكون لك تلك الشامة الطيبة الباحثة عن العنبر .

- ومن ممارسة الهوى ، تكون أنفك فاسدة ، ويكون المسك والعنبر كاسدين أمـام لبك .(٢)

- إن هذا الكلام لا نهاية لـــــه ، وغزالنا ، يهرب داخل الحظيرة من مكان إلى آخـــــر.

---

(١) ج/١١-٣٠٦:- وامض واهجر الهوى ، حتى يأتي إلى مشامك عبير الحق ، أيها العظيم .

(٢) ج/١١-٣٠٦:- إنك عاشق للنجس كالغراب ، ومن ثم فإن أنفك لا يتلقى رائحة المسك .

بقية قصة الغزال واصطبل الحمير

- ظل ذلك الغزال حسن النافجة لعدة أيام معذبـــا في حظيرة الحميـــر .

- كـان مضطربـا ، يجـود بـالروح ، كسـمكة علـى اليابسـة ، فعندمـا يحبسـا فـي صندوق صغير يعذبان : البعـــر والمســـك .

٩١٠- كان أحد الحمير يقول له : ها هو ذا أبو الوحوش ، إن فيـه طبـع الملـوك والأمراء ، فاصمت .

- وكان آخر يسخر قائلا : لقد أتى من الجزر والمد بجوهرة غالية ، فمتى يبيعها رخيصـــة ؟

- وطفق حمار ثالث يقــول : بهذه الرقة التي فيـك ، إمـض إلـى سـرير الملـك ، وقل : أين المتكأ ؟

- وحمار رابع أتخم حتى عجز عن الرعي ، فأخذ ينادى الغزال داعيا إياه " إلـى الطعام " .

- فهز رأسه بما يعني : لا ، إذهب عني يافلان ، لا شهية عندى ، ولا أقدر .

٩١٥- قال : أعلم أنك تسوق الدلال ، أو أنك تتجنب الطعام تكبرا عليه .

- فقال لنفسه : إن هذا هو طعامك ، فمنه تتجدد أعضاء جسدك ، وتحيا .

- لقد كنـت أليفـا للمـروج ، وكنـت مرفهـا فـي الريـاض ، و" إلـى جـوار " المـاء الزلال .

- فإذا كان القضاء قد ألقى بي في العذاب ، فمتى تمضي عني تلك الجبلة ، وهذا الطبع الطيب ؟

– وإذا كنت قد صرت شحاذا ، متى أصبح ملحاحا سمجا ؟ وإذا كانت ملابسي قد خلقت ، فأنا لا زلت جديدا نضرا .

٩٢٠– ولقد رعيت السنبل والشقائق والريحان ، مع الزهد فيها ، وأضعاف هذا الدلال .

– قال الحمار : هيا ، أنفج علينا نفاجا شديدا ، ففي الغربة يمكن الإدعاء الذى لا يستند على دليل .

– قال الغزال : إن نافجتي في حد ذاتها شاهد عليّ ، فإنها تزرى بالعود والعنبر .

– لكن متى يشمها صاحب شم ؟ ، لقد صارت حراما على الحمار عابد البعر .

– إن الحمار يشم بول الحمار على الطريق ، فكيف أعرض المسك على هذا الفريق ؟

٩٢٥– من أجل هذا قال النبي المستجيب ، سر { الإسلام في الدنيا غريب } .

– ذلك أن أهله أيضا ينفرون منه ، بالرغم من أن الملائكة قرناء لذاته .

– إن الأنام يرون صورته مجانسة لهم ، لكنهم لا يجدون من " حقيقته " حتى رائحتها .

– وكأنه أسد في إهاب بقرة ، أنظر إليه على البعد ، لكن إياك أن تشق عنه الإهاب .

– وإن شققته ففرط أولا في بقرة الجسد ، فإنه يمزق البقرة ، ذلك الذى فيه طبع الأسد .

٩٣٠– إنه يخرج من رأسك طبع البقر ، ومن الحيوان ينزع الطبع الحيواني

– وتكون بقرة فتنقلب لديه إلى أسد ، فإذا كنت سعيدا مع طباع البقر ، لا تبحث عن الأسد .

تفسير ﴿ إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبـــع عجاف ﴾

كان الله تعالى قد خلق تلك البقرات العجاف على صفة الأسود الجائعة ، حتى أنها كانت تأكل تلك البقرات السبع السمان بشهية ،و بالرغم من خيالات صور البقر أبديت في النـــــوم تأمـــل أنت في المعنـــى

– ذلك الذي كان عزيز مـصـر يراه فـي النـوم ، عندمـا انفتـح البـاب أمـام عيـن غيبه ؛

– رأى سبع بقرات سمان حسنة التسمين ، أكلتها تلك البقرات السبع العجـــاف

– لقد كانت تلك العجاف أسدا في الباطن ، وإلا لما كان لها أن تأكل الأبقـــار

٩٣٥– ومن هنا فإن رجل الأمـر قـد خلـق علـى صـورة الإنســـان ، لكـن فـي داخله أسدا خفيا مفترسا للرجال .

– إنه يبتلع المرء سعيدا ويجعله فردا ، ويصفي كدره ، وإن آلمــــه .(١)

– فهو بهذا الألم الواحد ينقيه من جملة الأكدار ، فيخطو فوق السها .(٢)

– فحتام تقول كالغراب شديد النحس : أيها الخليل ، لماذا قتلت الديك ؟

– أجاب : إنه الأمر ، فحدثنا إذن عن حكمـــة الأمر ، حتى تكون كل شعرة فيّ مسبحة له .(٣)

---

(١) ج/١١–٣١٥:– لتكن بقرة الجسد فداءً لأسد الله ، إذا كنت معه ذا صدق وصفـــاء .– وإن قتلت الضيف ظلت نفس مخرة الحمار ، فحتام تربي أيها السيد بقرة الجسد .

(٢) ج/١١–٣١٥:– يصبح ملكا ويترك العبودية ، ويجد في الموت حياة القلب .

(٣) ج/١١–٣١٧:– قال إنه الأمر ، فاقرأ علينا حكمة الأمر ، حتى أهلل له بالروح .

بيان أن قتل الخليل ﷺ للديك كان إشارة إلى قمع أية صفة من الصفات المذمومات المهلكات في باطن المريـــد

٩٤٠- إنه شهواني ، شديد في عبادة الشهوة ، وهو ثمل من ذلك الشراب المسموم الذى لا قيمة لـــه .

- ولو لم يكن النســل مطلوبا يا وصي " آدم" ، لكان آدم قد خصى نفسه من عارهـــا .

- لقد قال إبليس اللعين للخالق : أريد فخـــا عظيما من أجل هذا الصيـــد .

- فعرض عليه الذهب والفضة وقطعان الخيل " المسومة " قائلا لـه : إنك بهذا تستطيع أن تخطف الخلق.

- قال :حسنــا ، وعبس بشدقيـــه ، وصار عبوسا مليئا بالغضون وكأنه الأترجـــة .

٩٤٥- فقدم الحق لذلك المدبـــر الذهب والفضـة والجواهـر والمعـادن النفيســـة .

- قائلا : خذ هذه الشبكـــة الأخرى أيها اللعين ، فقال : زدني عليهـــا يا نعم المعين .

- فأعطاه " الطعام " الدسم والحلو والمشروبات الغاليـة وكثيرا من الثياب الحريرية .

- فقال : يا رب ، أريد أكثر من هذا المدد ، حتى أشدهم إليّ بحبل من مسـد .

- فإن الثملين بك من الأبطال الشجعـــان ، يقطعـــون كالرجال تلك الحبـــال .

٩٥٠- وحتى يكون رجلك أنت مميزا عمن ليسوا برجال بهذه الفخاخ وحبال الهوى .

- إنني أريد شبكة أخرى يا سلطان العرش ، شبكة شديدة الإحتيال ، تجندل الرجال .

- فأتى بالخمر وآلات الطرب(١) ووضعها أمامه ، فابتسم لها نصف ابتسامة ، ولم يفرح كثيرا .

- فأرسل " ابليس " رسالة إلى " مظهر قدرة الله " في الإضلال منذ الأزل قائلا: فلتجعل التراب يتصاعد من قاع بحر الفتنة .

- أليس موسى واحدا من عبيدك ، وقد عقدت له حجب الغبار من قلب البحر ؟

٩٥٥- وأطلقت للماء العنان من كل صوب ، وارتفع غبار من قاع البحر ؟(٢)

- وعندما أبدى له حسن النساء وفتنتهم ، التي تتغلب على عقول الرجال وصبرهم؛

- طرقع بأصابعه فرحا ، وانطلق راقصا ، وقال : أعطنيها سريعا فقد بلغت مرادي .

- وعندما رأى تلك الأعين المليئة بالخمار ، والتي تجعل العقول والألباب بلا قرار .

- ذلك الصفاء الموجود في خدود أولئك الفاتنات ، والتي تحترق عليها القلوب وكأنها البخور .

---

(١) حرفيا : الصنج وهو آلة موسيقية كالرباب .

(٢) ج/١١-٣١٧:- أعطني فخا قويا حتى يتم الأمر ، ألقيه في أفواههم كأنه اللجام .- وأضعهم في وهقي وأجرهم جرا ، بحيث لا يستطيعون عصيان ذلك الفخ .

٩٦٠- والوجه والخـــال والشفاة التي كاليـــاقوت ، وكأنما تجلى فيها الحق من خلف حجاب رقيق .[١]

- ولقـــد رأى هو هذا الغنـج والتثنـي اللطيـف ، كأنـه تجلي الحـق مـن حجـاب رقيق .[٢]

تفسير ﴿لقد خلقنا الإنســـان في أحسن تقويم ، ثم رددناه أسفل سافلين﴾ وتفسيـــــر ﴿ومن نعمره ننكسه في الخلق﴾

- إن الحسن الذى سُجد له كما سجدت الملائكة لآدم ، لـم يلبـث أن عـزل وطـرد كما طرد آدم .

- فقال : أواه ، أعدمٌ بعد وجود ؟ فقال : إن جرمك أنك عمرت طويـــــلا .

- كان جبريل يجره آخذا إياه بالنواصي قائلا له : إمض عن هذا الخلد وعن هـذه الطائفة من الحســـان .

٩٦٥- فقال له : ما هذا الإذلال بعد العز ؟ ، قال : هذا هو العدل وهذا هو الحكم

- يا جبرائيل ، كنت تسجد لي بالروح ، فكيف تطردني الآن من الجنـــــان ؟

---

(١) ج/١١-٣١٨:_ والقد الذى كأنه السرو المتبختر في الرياض ، والخد كالياسمين والزهور البيضاء .

(٢) ج/١١-٣١٨:- فصار عَالمٌ والها حائرا مبهوتـــــا ، من تلك النظرة والدلال الحلو والجمال .

- إن الحلل تتساقط من فوقي امتحانـــــا ، مثل تساقط الأوراق مـن الشـجر أوان الخريف .

- وذلك الوجه الذى كان يشع كضــوء القمـر ، صــار مـن الشـيخوخة كأنـه ظهـر الضب .

- وذلك الرأس وذلك المفرق الجميل الوضـــــــاء ، صار قبيحا وقت الشـيخوخة ، متساقط الشعر .

٩٧٠- وذلك القد الشاق لصفوف الحسان كالسنان ، صــار فـي الشـيخوخة محنيـا كأنه القوس .(١)

- لقد صــارت حمـرة الشقائق صفـرة زعفـران ، وقـوة الأسـد صــارت كخـور النســـاء .(٢)

- وذلك الذى كان يحمل الرجل تحت إبطه بفــن ، صــار يؤخـذ مـن تحـت إبطيـه عند القيـــام .

- وهذه في حد ذاتها هى آثـــــار الغـم والذبـول ، وكـل واحـد منهـــا رسـول للموت .

(١) ج/١١-٣٢١: صار الشعر الذى كان في سواد الزاغ كالبَرَد ، وصار الوجه من التجاعيد مليئا بالجراح والوسم .

(٢) ج/ ١١-٣٢١:- صارت العين التي تشبه النرجس ذابلة ، وحرارة الأعضـــاء تحولت إلى برودة .

تفسير ﴿ أسفل سافلين ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجـــر غير ممنـــــون ﴾

– لكن ، إن كان طبيبه نور الحق ، فليس له من الشيخوخة والحمى نقصان ونحول .

٩٧٥– يكون وهنه مثل وهن الثمل ، وفي هذا الوهم يحسده " من هو في قوة " رستـــم .

– وإن يمت ، تصبح عظامه غريقة في اللذة ، ويصبح ذرة ذرة في شعاع من نور الشوق .

– وذلك الذى لا يكون له " هذا النور" حديقة بلا ثمر ، يقلبها الخريف رأسا على عقب .

– ولا تبقى ورود ، بل تبقى الأشواك سوداء ، ولقد صارت صفراء دون ثمر كأنها تل من قش .

– فما هو الجرم الذى ارتكبته هذه الحديقة يا ألله ، حتى تجعلها هكذا مجردة من حللها ؟

٩٨٠– لقد نظرت إلى نفسها ، ورؤية النفس سم قتـــال ، فانتبه أيها الممتحن .

– وتلك الحسنـــاء التى بكى العالم من حبها ، أخذ عالمها يطردها عنه ، فما ذنبها ؟

– جرمها أن تلك الزينة كانت عارية عندها ، لكنها إدعت قائلة : هذه الحلل ملك لـــي .

– لقد قمنا باسترداده حتى تعلم على سبيل اليقين ، أن البيدر ملك لنا ، والحسان ملتقطات للحب منه .

- وحتى تعلم أن تلك الحلل كانت عارية ، كانت مجرد شعاع من شمس الوجـــود .

٩٨٥- وأن ذلك الجمال ، وتلك القدرة ، وذلك الفن ، قد انتقلت من شمس الحسن نحو هذه الناحية .

- ثم تعود أنوار تلك الشمس من فوق تلك الجدران ، و"تأفل " كأنها النجوم .

- لقد عاد شعاع الشمس نحو موضعـــه ، وبقي كل جدار أسود مظلمـــا .

- وذلك الذى جعلك ذاهلا أمام وجوه الحســـان ، هو نور الشمس " قد اخترق " زجاجا ذا ثلاثة ألوان .

- والزجاج الملون هو الذى يبدى لك ذلك النور الذى لالون له ، مختلفا ألوانه .

٩٩٠- وعندما لا يبقى الزجاج الملـــون ، يجعلك النور الذى لا لون له ذاهلا آنذاك .

- فتعود على رؤية النور بلا زجاج ، بحيث لاتبقى أعمى عندما ينكسر الزجاج

- وإنك لقانع من علم مكتسب ، وقد أضأت بصرك بمصبـــاح الغير .

- فيقوم بخطف مصباحـــه حتى تعلم أنك مستعير ، ولست بالفتى .

- فإذا قمت بالشكر وسعي المجتهد، لا تحزن ، فإنه يرد إليك أضعافا مضاعفة ، ما فقد .

٩٩٥- وإن لم تشكر ، فلتبك الآن دما ، فقد صار ذلك الحسن بريئا من الكافر ، " منتفيـــا عنه" .

- " أمة الكفران أضـــل أعمالهم ، أمة الإيمان أصلح بالهم "[١]

---

[١] بالعربية في المتن الفارسي .

– لقد ضاع الحسن والفضل لانعدام الشكر ، بحيث لا يرى " الكافر" أثرا منها أبدا .

– فلقد ضاع منه" كل إحساس " بالصلة والقرابةأو بانعدامهما، وبالشكر والوداد ، بحيث لم يعد يذكرها .

– فإن " أضل أعمالهم " أيها الكافرين ، تعنى ضياع الرغبة من كل من بلغ منيته

١٠٠٠– اللهم إلا من أهل الشكر وأهل الوفـــاء ، فإن الدولة تحل في أثرهم أينما يحلون .

– ومتى تعطي الدولة الزائلة القوة ؟ إن الدولة المقبلة هي التي تهب الخاصية .

– فاقترض من هذه الدولة مصداقا لقوله : أقرضوا ، حتى ترى مائة دولة أمامك

– وقلل من الشرب هنا ، من أجل نفسك ، حتى تجد حوض الكوثر أمامك .

– وذلك الذى صب جرعة على تراب الوفـــاء ، متى يستطيع صيد الدولة أن يفر منـــه ؟

١٠٠٥– إنه يسعد قلوبهم مصداقا لقوله ﴿أصلح بالهم ﴾ ، و" رد من بعد النوى أنزالهم "(١)

– قائلا : يا أيها الأجـــل ، يا أيها التركي المغير على القريـة ، رد على هـلاء الشكورين ما أخذته منهم .

– فيقوم برده إليهم ، لكنهم لا يقبلونه ، ذلك أنهم نعموا ببضاعة الـــروح .

– ويقولون : نحن مــن الصوفيـــة ، وقد مزقنا الخرق ، ولا نأخذها ثانية ، ما دمنا قد قامرنا بها .

---

(١) ما بين القوسين بالعربية في المتن الفارسي .

- لقد عوضنا ، فما هو هذا العوض آخـــــرا ، لقد ذهبت عنا الحاجة والحرص والغرض .

١٠١٠- ولقد خرجنا من المــاء المـالح المهلك ، وتقاطرنـا علـى الرحيق وعين الكوثـــــــر .

- وما قمت بفعله أيتها الدنيا مع الآخرين من غدر ومكر ودلال ثقيـــــل ؛

- نصبه نحن على رأسك جزاء وفاقا لك ، فنحن شهداء قدمنا إلى الغزو .

- حتى تعلمين أن للإلـه الطـاهر عبـادا ، ديدنهم الهجوم والجدال والمعارضة والمراء معك .

- إنهم ينتزعون شوارب مكر الدنيـــــا ، وينصبـــون خيامهم على قلاع النصر

١٠١٥- لقد صار هؤلاء الشهداء غزاة من جديد ، وهؤلاء الأسرى أوشكوا من جديد على النصر .

- ولقد أطلوا برؤوسهم مرة ثانيـة مـن العدم ، قـائلين : أنظـر إلينـا إن لـم تكن أكمــــه .

- حتى تعلم أن هناك شموســـا في العدم ، وأن ما يسمى شمس هنا ، هي هنـاك نجمة سها .

- وكيــف يكون الوجود في العدم أيهـا الأخ ؟ وكيـف يكـون الضـد مكنونـا فـي ضده ؟

- فاعلم أنه يخرج الحي من الميت ، حتى صار العدم أملا عند العابدين .

١٠٢٠- وذلك الزارع الذى تكون أهراؤه خالية ومـع ذلـك يكـون سـعيدا ، أليس ذلك على أمل ما هو" موجود" في العــــــــدم ؟!

- فإن ذلك " الزرع " ينبت من العدم ، وافهم ، إن كنت واقفا على المعاني .

-إنك تكون منتظرا لحظة بلحظة " ما يأتي " من العدم ، وأن تجد الفهم ولذة السكينة والبر .

- وليس هناك إذن بكشف هذا السـر ، وإلا لجعلت كل" كفرة " الأبخاز من " مؤمني " بغداد .

- ومن ثم فإن خزانة صنع الحق هي العدم ، فهو يأتي منها بالعطايا ، لحظة بلحظـة .

١٠٢٥- فالحق مبدع ، والمبدع هو الذى يأتي بالفرع ، دون أن يكون له أصل أو سند .

مثال لعالم الوجود الذى يبدو عدما ، وعالم العدم الذى يبدو وجودا

- لقد أبدى العدم وجودا شديد الإحترام ، وأبدى الوجـود على شكل العدم .

- لقد أخفى البحر وجعل لك الزبد ظاهـرا ، وأخفى الريح وأبدى لك الغبار .

- " أبداه لك " كمئذنة من التراب الملتف المتصاعد ، فكيف يصعد التراب من تلقاء نفسـه ؟

- لكنك ترى التراب متصاعدا أيها العليل ، ولا ترى الريح إلا بتعريف الدليل .

١٠٣٠- ترى الزبد رابيا من كل صوب وناحية ، والزبد لا يتحرك دون وجود البحـر .

-إنك ترى الزبد بالحس والبحر بالدليل ، والفكر خفي ، وما هو واضح هو القال والقيل .

- ولقد كنا نظن النفى إثباتا ، وكانت لنا عيون ترى ما ليس موجودا .

– وذلك الذى ظهر لنا في نوم ونعاس ، مـاذا يمكـن أن يكـون إلا خيـال ، وليـس برؤية حقيقية ؟

– فلا جرم أننا صرنا دائري الرؤوس من الضـلال ، وعندمـا اختفـت الحقيقـة ، ظهر الخيـــال .

١٠٣٥– وعندما وضـع هذا العدم أمـام النظـر ، كيـف أخفـى تلـك الحقيقـة عـن البصـــــر ؟

– فالثناء عليك ، أيها الأستاذ الساحر ، الذى أبديت الكدر للمعرضين صفاءً .

– إن السحرة يقيسون على وجه السـرعة ضـوء القمـر أمـام التـاجر ، ويقبضـون الذهب ربحا .

– ويختطفون الفضة على هذا النسق أكداسا أكداسا ، وضاعت الفضة مـن اليـد ، ولا كرباس هناك .

– وهذه الدنيا ساحرة ونحن تجار ، نشترى منها ضوء القمر الذى تم قياســـه

١٠٤٠– إنها تقيس على وجـه السـرعة خمسمائة ذراع مـن الكربـاس ، وبشـكل ساحر ، من ضوء القمر .

– وعندما سلبت فضة عمرك أيها السالك ، هل تحولت الفضة إلى كرباس ؟ لا ، والكيس فارغ .

– وينبغي لك أن تقرأ﴿ قل أعوذ ﴾ أيها الأحد ، هيا أبد شـكواك مـن النفاثـات فـي العقد .

– إن أولئك الساحرات ينفثن في العقد ، فالغياث أيها المستغاث من سوء المآل .

– لكن فلتقرأ أيضا بلسان العقل ، فإن لسان القول لسان واهن ، أيها العزيز .

١٠٤٥– وهناك ثلاثة رفاق لك في العمر ، أحدهم وفي والآخران غادران .

- أحدهما صحبتك ، وثانيهما متاعك ومالك ، وثالثهما الوفي هو حسن فعالك .

- إن المال لا يخرج معك من القصور ، ويأتى معك الصاحب حتى " باب " القبر

-ذلك أنه في يوم مماتك يقول لك ذلك الصاحب بلسان حاله :

- لست رفيقا لك أكثر من هذا ، ولأقف برهة على قبرك .

١٠٥٠- لكن فعلك هو الوفي فالزمه ، فهو الذى يدخل معك إلى قاع اللحد .

في تفسير قول المصطفى ﷺ : لابد من قرين يدفن معك وهوحي وتدفن معه وأنت ميت ، إن كان كريما أكرمك ، وإن كان لئيما أسلمك ، وذلك القرين عملك ، فاصلحه ما استطعت . صـــــدق رسول اللـــــه

- ومن هنا قال الرسول ﷺ : من أجل هذا الطريق ، ليس هناك من رفيق أوفى من العمـــــل .

- فإن كان طيبا ، يكون رفيقا لك إلى الأبد ، وإن كان سيئا ينقلب عليك حية في اللحد .

- وهذا هو العمل والكسب فى طريق السداد ، ومتى يمكن فعله - أيها الأب - دون تعليم من أستاذ ؟

- وأدنى حرفة تجرى في هذه الدنيا ، لا تكون أبدا دون إرشاد أو أستاذ .

١٠٥٥- إن أولها علم ومن بعدها يأتي العمل ، حتى تعطي الثمر من مهلة أو أجل .

- " استعينوا في الحرف ياذا النهى ، من كريم صالح من أهلهـــــا

- أطلب الدر أخي وسط الصدف ، واطلب الفن من أرباب الحرف

- إن رأيتم ناصحين أنصفوا ، بادروا التعليم ، لا تستنكفوا "(١)

- وإن لبس المرء الملابس الخلقة عند قيامه بصنعة الدباغة ، فإن ذلك لا يقلل من سيادته ، إن كان سيدا .

١٠٦٠- وعند النفخ " في الكور " إن لبس الحداد الملابس الممزقة ، فإن احترامه لم يقل أمام الخلق .

- فاخلع إذن لباس الكبر عن الجسد ، وعند التعلم ، إلبس لباس الذل .

- والطريق إلى تعلم العلم هو القول ، لكن تعلم الحرفة يكون عن طريق عملي .

- وإن كنت تريد " علم " الفقر فهو قائم بالصحبة ، فلا لسانك يعمل " لاكتسابه" ولا يدك .(٢)

- إن معرفته تتلقاها الروح من الروح ، لا عن طريق الكتاب ولا عن طريق اللسان .

١٠٦٥- وإن كان موجودا في قلب السالك بشكل غامض ، فليس عند السالك معرفة بالرموز بعد .

- حتى يشرح قلبه ذلك الضياء ، ومن هنا قال تعالى :﴿ ألم نشرح لك صدرك ﴾ .

- أى أننا أعطيناك الشرح داخل الصدر ، ووضعنا نحن الشرح داخل صدرك .

- لكنك لا زلت تطلبه حتى الآن من خارجك ، وإذا كان لديك اللبن ، فكيف تحلبه من آخرين ؟

---

(١) مابين القوسين بالعربية في المتن الفارسي .

(٢) ج/١١-٣٣٧:- والمعرفة أنوار في أرواح الرجال ، لا عن طريق الدفتر والقيل والقال .

- وهناك عين لبن في داخلك بلا ضفاف ، فكيف تطلب ذلك اللبن " المصبوب في قدر ؟

١٠٧٠- وإن لديك منفذا إلى البحر يا طالب السقيـــا ، فاشعر بالعــار مـن طلبك الماءمن الغدير .

- فمن " ألم نشرح " لا شرح لك بعد ، ما دمت باحثا عن الشرح متكديا إيــــاه

- فانظـــر إلى شــرح القلـــب من داخـــلك ، حتـى لا يـأتينك الــوصف بـ "لا تبصـــــرون " .

تفسير ﴿ وهو معكـــــــم ﴾

- هناك سلة مليئة بالخبز فوق رأسك ، وأنت لا تفتأ تتكدى كسرة خـبز من بـاب إلى باب .

- فعرج على رأسك ، ودعك من دوار الرأس ، وامض ، واطرق بـاب القلـب ، لماذا أنت على كل باب ؟

١٠٧٥- إنك واقف في جدول ، ماؤه يصل إلـى ركبتيك ، وغـافل عـن نفسـك ، وباحث عن الماء من هذا وذاك.

- فالماء أمامك وخلفك ، وذو مدد ، لكن العيون من بين أيديها سـد ،ومـن خلفهـا سد .

- فالجواد موجـود تحـت الفخـذ ، والفـارس بـاحثُ عـن الجـواد ، وإن "سـئل " : ماهذا ؟ قال : جواد ، ولكن أين الجـــــــواد ؟

– إنتبـــه ، أليس هذا الذى يبدو تحتك جواد ؟ قال : نعم ، لكـن مـن رأى جـوادا قط ؟

– إنه ثمل بشيء ، وأمـام وجهـه ذلـك الشـيء ، وهـو غـافل عنـه ، وغـافل عـن تفصيلاته أيضا .

١٠٨٠–وهوثمل شوقا إلى الماء وهو أمام وجهه،إنه في الماء ، لكنـه غـافل عـن هذا الماء الجارى .

– كالدر في البحر ويتساءل :أين البـــحر ؟ وذلك خيال ، لأن، الصدف جدار أمامه "دون البحر"!!

– وتساؤله هذا يصبح حجابا له ، يصبح سحابا على شعاع شمس "حقيقته" .

– إن عينه الرمداء المريضة هي ختم بصـــره ، إن ما ينبغى أن يرفع السـدود من أمامه ، صار سدا لـــه .

– إن لبه نفسه قد صار ختما على سمعـــه ، فليكن لبك مع الحق ، يا حائرا في الآلـــه .

في تفسير قول المصطفى ﷺ : من جعل الهموم هما واحدا ، كفاه الله سائر همومه ، ومن تفرقت به الهموم ، لا يبالى الله في أي واد أهلكه

١٠٨٥– لقد وزعت لبك علـى " كثير " مـن الجهـات ، بينمـا لا تسـاوى شـروى نقير(١) تلك الترهات .

– وكل جذر لشوكة يمتص ماء لبك ، ومتى يصل ماء لبك إلى الثمـــار ؟(٢)

---

(١) حرفيـــا : فجلة واحدة .

(٢) ج/١١–٣٤٨:– إن كل نبات لاقيمة منه يجذب الماء منك ، ومتى يصل ماء ذهنك إلى الإله .

- هيا فلتقطع ذلك الغصن السيء ولتقم بتقضيبه ، ولترو هذا الغصن الحسن الطيب ، ولتجعله نضرا .

- إن كليهما أخضر في هذه اللحظة ، لكن أنظر إلى العاقبة ، فإن ذلك يذوى ، ومن هذا تنمو الثمار .

- وماء البستان لهذا حلال ولذاك حرام ، وسوف ترى الفرق في آخر الأمر ، والسلام .

١٠٩٠- وما هو العدل ؟ ؟إنه سقيا هذه الأشجار ، وما هو الظلم ؟ إنه إهدار الماء على تلك الأشواك .

- إن العدل هو وضع النعمة في موضعها ، لا أن تكون ساقيا لكل جذر يكون .

- وما هو الظلم ؟ إنه وضع الشيء فى غير موضعه ، وهذا في حد ذاته لا يكون إلا منبعا للبلاء .

- فأعط نعمة الحق للروح والعقل ، لا إلى الطبع كثير الهموم كثير العقد .

- ولتجعل أحمال الحزن كلا على " كاهل " جسدك، ودعك من وضعها على كاهل الروح ، فإنها تحطم روحك

١٠٩٥- لقد وضع " أحدهم " على أم رأس عيسى " الروح " حملا ثقيلا ، بينما يبرطع حمار " الجسد" في المروج .

- وليس من المعقول وضع الكحل في الأذن ، وليس من المعقول أن تطلب من الجسد أعمال القلب .

- فإذا كنت قلبا تبختر وتدلل ولا تتحمل الذل ، وإذا كنت جسدا ، لا تتلذذ بالسكر ، وتذوق السم .

- فالسم نافع للجسد ، لكن السكر ضار له ، ومن الأفضل للجسد أن يبقى بلا مدد .

– إن الجسد هو حطب جهنم ، فلتصبه بالنحول ، والحطب إن نبت ، إذهب واقتلعه .

١١٠٠– وإلا صرت حطبا وحمالا للحطب ، في الدارين مثل زوج أبي لهب .

– ولتميزن بين غصن سدرة " المنتهى " وبين الحطب ، وإن كان كلاهما أخضر ، أيها الفتى .

– فأصل ذاك الغصن هو السماء السابعة ، وأصل هذا الغصن من النار والدخان

– وهما يتشابهان في الصورة أمام الحس ، فإن عين الحس تخطيء النظر ، وهذا ديدنها .

– لكن الفرق شديد الوضوح أمام عين القلب ، وجاهد " ولو " جهد المقل ، وتعال نحو القلب .

١١٠٥– وإن لم يكن لك قدم ، فحرك نفسك ، حتى ترى كل قليل وكل كثير .(١)

في معنى هذا البيت :

إن مضيت في الطريق ، فإنهم يفتحون لك الطريق

وإن صرت عدما ، يتجهون بك إلى الوجود (٢)

– إذا كانت زليخا قد غلقت الأبواب من كل طرف ، فإن يوسف عليه السلام وجد من الحركة المنصرف .

– فانفتح القفل والباب ، واتضح الطريق ، عندما توكل يوسف عليه السلام وتحرك .

---

(١) ج/١١–٣٤٩:– فإن هذه الحركة قد صارت مفتاحا للبركة ، ومن الحركة تستفيد أيها القلب .

(٢) العنوان عند جعفري "١١–٣٥٦" : في معنى هذه الرباعية ، ثم بيت لإكمال الرباعية بعد البيت المذكور : وإن تواضعت لا يسعك العالم ، وآنذاك يبدونك لنفسك دون نفسك .

- وإن لم تكن فرجة واحدة ظاهرة وموجودة ، فينبغي السعي على العشواء ، كما فعل يوسف ﷺ .

- حتى يفتح القفل ، ويبدو الباب ، ويصبح لك منفذٌ إلى اللامكان .

١١١٠- لقد جئت إلى هذه الدنيا أيها الممتحن ، فهل تراك رأيت قط الطريق الذى جئت منه ؟

- لقد جئت من مكان ما ومن موطن ما ، فهل علمت طريق المجيء قط ؟ أبدا ، على الإطلاق .

- وإذا كنت لا تعلم ، وحتى لا تقول : لا طريق ، فإن من هذا الطريق الذى لا طريق فيه ، ذهابنا .

- إنك في النوم تمضي سريعا إلى اليسار وإلى اليمين ، فهل تعلمن على الإطلاق أين هذا الميدان الذى " تركض فيه " ؟

- فلتغمض هذه العين ، ولتسلم نفسك ، حتى ترى نفسك في تلك المدينة القديمة .

١١١٥- وكيف تغلق عينيك ومائة عين ذات خمار ، هى غرورا سد أمام عينيك من هذه الناحية .

-- وأنت شديد القلق والانتظار عشقا لأولئك الذين يشترون " ما تعرض " وأملا في العظمة والسيادة .

- وإن نمت ، فإنك ترى أولئك المرجوين في النوم ، ومتى تحلم بومة النحس إلا بالخرائب ؟!

- إنك تريد من يشترى منك كل لحظة ، وفي غاية السعى والقلق ، وماذا لديك لكي تبيع ؟ لاشيء على الإطلاق !!

- فلو كان لقلبك خبزٌ أو أُدم ، لفرغت تماما من أولئك المشترين .[1]

---

(١) ج/١١-٣٥٦: وإن كان ثم خبز في كيسك ، لفرغت تماما من مشتريي قلبك .

قصة ذلك الشخص الذي كان يدعي النبوة ، فقالوا له : ماذا أكلت حتى صرت أحمق تهذي ؟ فقال : لو وجدت شيئا آكله ، لما تحولت إلى أحمق ، ولما هذيت ، فإن أي كلام طيب لو قيل لغير أهله يكون من قبيل الهذيان ، وإن كانوا مأمورين بقول هذا الهذيان

١١٢٠- طفق أحدهم يقول " إنني رسول الله ، وأنا أكثر فضلا من كل الرسل والأنبياء .

- فقيدوا عنقه ، وأخذوه إلى الملك ، وقالوا : إن هذا يقول إنه رسول من الإله .

- وتجمع عليه الخلق، كالنمل والجراد، قائلين : ماهذا المكر ؟ ما هذا الاحتيال ؟ وما هذا الكيد ؟

- فإن كان رسولا ذلك الذي يأتي من العدم ، فنحن كلنا رسل وفي غاية الاحترام

- لقد جئنا كلنا من هناك ، ونحن هنا كلنا غرباء ، فلماذا خصصت أنت بها ، أيها البليغ المفوه ؟(١)

١١٢٥- ألم تأتوا أنتم إلى هنا كالأطفال النائمين ، وكنتم غافلين عن الطريق ، وعن المنازل .

- لقد مررتم بالمنازل نياما ثملين " بالنعاس " ، غافلين عن الطريق ومرتفعاته ومنخفضاته .

- لكننا غذونا السير في اليقظة سعداء " منتبهين " ، مما وراء " الحواس " الخمسة و" الجهات الستة " حتى أرضها وموضعها .

- ورأينا المنازل من الأصل والأساس ، مثل الأدلاء الخبراء العارفين بالطريق .

---

(١) ج/١١-٣٦٣: وأجابهم ذلك الرسول الطيب قائلا : ياجماعة من العمى والجهال وأرباب الفضول .- إنكم لم تعلموا أيها القوم أنه قد قضي عليكم بالوصول إلى هنا ، وهذا من عماكم .

– فقالوا للملك : قم بتعذيبـــــه ، حتى لايقول أحد على شاكلته هذا الكلام أبدا .

١١٣٠– فرآه الملك شديد النحول والضعف ، بحيث يمـوت مـن صفعـة واحـدة ، ذلك المسكين .

– فكيف يمكن تعذيبه أو ضربه ؟ وبدنه كان قد صار كالزجاج .

– " وقال في نفسه " : عليّ أن أتحدث إليه بالحسنى ، وأسأله : لماذا أنت آخذ في التجديف بالعصيان والكفر ؟

– فإن الشـدة لا تجدى هنـا نفعـا ، وبالحسـنى واللـين ، تطـل الحيـة برأسـها مـن جحرها .

– وأبعد الناس من حوله . كان ملكا رقيقا ، ديدنه اللطف والملاينـــــة .

١١٣٥– فأجلسه ، ثم سـأله عـن موطنـــه ، ومـن أيـن يتعيـش ؟ وإلـى أيـن يلجـأ ويأوى ؟

– قال : أيها الملك ، إنني من دار السـلام ، وجئـت مـن الطريـق إلـى هنـا ، دار الملام .

– وأنا لا دار لي ، ولا جليس واحـد أجالسـه ، ومتـى تتخـذ السـمكة مـن اليابسـة مسكنا ؟!

– ثم سأله الملك مازحا : إذن ماذا أكلت ؟ وبم ائتدمت ؟

– وهل تشتهي شيئا ؟ وماذا أكلت هذا الصباح ، بحيث إنك منتش إلى هذا الحد ، كثير النفاج شديد الكبرياء ؟

١١٤٠– أجاب : لو كان عندى خـبز ، جافـا كـان أو طريـا ، فمتـى كـان لـي أن أدعي النبوة ؟

– إن ادعاء النبوة مع هذا القبيل من الناس ، أشبه بطلب القلب من صخر أو مـن جبل .

- ولم يطلب أحد من جبل أو من صخر عقلا وقلبا ، ولم يسأله عن فهم نكتة من النكات أو ضبطها .

- فإن كل ما تتفوه به يردده الجبل بعينه ، يردده ترديد الرقية هازئا مازحا .

- فأين هؤلاء القوم من الرسالة ؟ ومن الذى يكون عنده رجاء الروح في جماد ؟

١١٤٥- فلو أنك جئت إليهم برسالة عن النساء والأموال ، لطأطأوا كلهم رؤوسهم طاعة أمامك ، ولسلموك أموالهم .

- ولو قلت لأحدهم إن في موضع كذا حسناء تدعوك ، فقد صارت عاشقة لك ، يعترف بك آنذاك .

- ولو أنك أتيت برسالة من الله كأنها الشهد ، داعيا : تعال إلى الله ، يا طيب العهد ؛

- وامض من دنيا الموت نحو الزاد ، وإذا كان البقاء ممكنا ، لا تصر فانيا

- فإنهم يهبون سعيا لسفك دمك وقطع رأسك ، لا حمية للدين ، ولا غيرة على الفضل .

سبب عداوة العوام لأولياء الله الذين يدعونهم إلى الحق وإلى ماء الحياة الأبدية .. وعيشهم غرباء عنهم

١١٥٠- بل إن ذلك يكون من التصاقهم بالمال والأهل ، ويكون سماع هذا البيان مرا بالنسبة لهم .

- إن خرقة قد التصقت التصاقا شديدا بجرح الحمار ، وعندما تريد أن تنزعها منه قطعة قطعة ؛

- فإن ذلك الحمار يرفس بقدميه يقينا من الألم ، وما أفضل من اتقاه وابتعد عنه .

– خاصة إذا كان هناك خمسون جرحا ، وفي كل موضع خرقة ، ملتصقة برأسه ، غارقة في العرق .

– وإن الأهل والأملاك كالخرقة ، وهذا الحرص هو الجرح , وكلما ازداد الحرص ، ازدادت الجراح .

١١٥٥– إن الأهل والأملاك بمثابة بومة " ملازمة " للخراب فحسب ، فهى لا تسمع أوصاف بغداد وطبس .

– ولو أن بازيا سلطانيا عاد من الطريق ، وأتى بمائة خبر لهذا البوم عن المليك

– وتحدث مفصلا عن دار الملك والبساتين والأنهار ، إذن لسخر منه آنذاك مائة عدو .

– قائلين : لقد أتى لنا البازى بأساطير الأولين ، وإنه يختلق الكلام هازلا مجدفـا .

– والأساطير القديمة هي هم ، وهم المهترئون إلى الأبـد ، وإلا فإن ذلك الحديث من البازى ، يجعل القديم جديدا .

١١٦٠– إنه يهب الروح للموتى الذين ماتوا منذ زمن ، ويهب تاج العقل ونور الإيمان .

– فلا تسرق القلب من الفاتن الذى يهب الروح ، فهو الذى يجعلك تمتطي ظهر الجواد الأصيل .(١)

– ولا تسرق الرأس من الرفيع العظيم الذى يهب التاج ، فهو الذى يفك مائة عقدة من حول قدم القلب .

– ومع من أتحدث ؟ فأين حي واحد في القرية ؟ وأين ساعٍ واحد نحو ماء الحياة ؟

---

(١) حرفيا : رخش وهو اسم جواد رستم .

– إنك بذلة واحدة هارب من العشق ، وماذا تعرف من العشق سوى الاسم ؟

١١٦٥– وإن للعشق مائة دلال واستكبار ، واليد لا تحصل عليه إلا بعد تدلل كثير منه .

– ولأن العشق وفي ، فإنه يشترى الوفي ، ولا ينظر أبدا إلى الرفيق الغادر .

– فالإنسان بمثابة الشجرة ، وجذورها العهد ، وينبغي للجذور أن تُتعهد بالرعاية وبجهد .

– وإن العهد الذى يكون فاسدا جذر مهترىء ، قد انقطع عن الثمار ، وعن اللطف .

– وبرغم أن فروع النخلة وأوراقها خضراء ، لا نفع فيها ، مادام جذرها فاسدا .

١١٧٠– وإن لم تكن فيها أوراق خضراء وجذرها موجود ، فإنها في النهاية تخرج مئات الأوراق .

– فلا تكن مغرورا بالعلم وابحث عن العهد ، فالعلم بمثابة القش ، والعهد بمثابة لبه .

في بيان أن الرجل الظالم عندما يتمكن في الشر ، ويرى آثار إقبال الطيبين ، ينقلب إلى شيطان ، ويصبح مانعا للخير من الحسد مثل الشيطان الذى احترق بيدره ، يريد أن يكون جميع الخلق محترقي البيادر ﴿أرأيت الذى ينهى * عبدا إذا صلى﴾

– وعندما ترى الأوفياء قد حازوا النفع ، تصبح آنذاك حسودا كالشيطان .

–وكل من ساء مزاجه ووهن طبعه ،لايريد لأحد قط أن يكون صحيح الجسد .

– فإن لم تكن تريد أن يكون لديك حسد إبليس ، فتعال من باب الدعوى إلى عتبة الوفاء .

١١٧٥- ومالم يكن لديك وفاء لاتتحدث ، فإن أغلب حديث الادعاء مكون من " أنا " و " نحن ".

- وهذا الكلام الموجود في الصدور بمثابة الدخل للألباب، ومن ثم ففي الصمت مائة نماء للب الروح .

- وعندما يتفوه به اللسان ، فقد صار إنفاقا من اللب ، فقلل الإنفاق حتى يبقى اللب ألمعيـــا .

- ولمن قل كلامه ذهن عبقرى ، وعندما زاد قشر الكلام ، فقد ضاع اللب .

- ذلك أنه عندما يزيد القشر يقل اللب ، ويرق القشر عندما يكتمـل اللب ويتضخم .

١١٨٠- فانظر إلى هذه الثمار الثلاثة فقد نجت من الفجاجة : الجوز واللوز والفسدق .

- وإن كل من يعصى يكون شيطانا ، ويكون حسودا لدولة الأخيار وإقبالهم .

- وما دمت قد وفيت بعهد اللــه ، فإن الله تعالى من كرمه يحفظ عهدك .

- وأنت مغمض العينين عن وفاء الحق ، ولم تسمع ﴿ اذكروني أذكركم ﴾ .

- وأنصت ، واستمع إلى ﴿ أوفوا بعهدى ﴾ حتى تأتي ﴿ أوف بعهدكم ﴾ من الحبيب .

١١٨٥- فأى عهد وأى قرض منا نحن أيها الحزين المسكين ، إنه من قبيل وضع الحبة المتيبسة في الأرض .

- لا يكون منها للأرض ضيـــاءٌ أو نعمة ، ولا لرب الأرض منها الدخل والغنى .

- اللهم إلا أن يتضرع إلى الله قائلا : يا إلهي ينبغي لي دخل من هذه الحبة ، فقدأعطيت أنت أصلها من العدم .

- لقد أكلت أنا " من المحصول " وأتيت بهذه الحبة كدليل ، فقد سقت هذه النعمة إلينا فسقها ثانية .

- فدعك إذن من هذا الدعاء الجاف الذى لامعنى له ، واعلم أن إلقاء البذرة في التراب يريد شجرة .

١١٩٠- وإن لم تكن لديك حبة ، فإن الله سبحانه وتعالى من هذا الدعاء ، يهبك نخلا ، فنعم سعيك الذى سعيت .

- مثل مريم البتول ، كان لديها الألم ، ولم يكن لديها حب، لكن صاحب الفضل ، جعل لها تلك النخلة خضراء .

- وذلك لأن تلك السيدة العظيمة كانت وفيـــــة ، فأعطاها الله مائة مراد ، دون أن تطلب .

- وتلك الجماعة التى كانت ذات وفاء ، زادهم الله في كل شيء عمن هم من جنسهم .

- لقد صارت البحار مسخرة لهم والجبال ، والعناصر الأربعة عبيد أيضا عند تلك الجماعة .

١١٩٥- إن هذا الإكرام في حد ذاته بمثابة الدليل ، حتى يراها أهل الإنكار عيانا بيانا .

- لكن كراماتهم الخفية لا تدركها حواس ، ولا يعبـــــر عنها بيان .

- إن هذا هو ديدنه ، ويكون هذا إلى الأبد ، على سبيل الدوام ، لا ينقطع ولا يستـــــرد .(١)

---

(١) ج/١١-٤٣١:- بل يبقى لحظة بعد لحظة في رقي ، ذلك أن واهبها صاحب كرم وعطـــــاء .

مناجـــــاة

– يا واهب القوت والتمكين والثبات ، ألا فلتخلصن الخلق يا إلهي من عدم الثبات هذا .

– وعلى ذلك الأمر الذى ينبغي الثبات عليه ، اجعل النفـس مقيمـة ، فهـي نزاعـة إلى الهوى .

١٢٠٠– وامنحهم –يا إلهي– الصبر وكفة الميزان الثقيلة ، وخلصهم –يا إلهي– من فن من يصورون لهم السوء .

– واشرهم ثانية من الحسد أيها الكريم ، حتى لا يتحول كل منهم من الحسـد إلـى شيطان رجيـــم .

– وفي النعيم الفاني للمال والجسد ، لا يفتأون يحترقون جميعا من الحسد.

– فانظر إلى الملوك الذين يجرون الجيوش ويسوقونها ، ويقتلـون أقـاربهم مـن الحســـــد .

–والعشاق للحسان المليئـات بـالقذر والدنـس ، أخـذوا يسـعون فـي دمـاء بعضـهم البعض وأرواحهم .

١٢٠٥– فاقرأ " ويس وراميـن " و "خسـرو وشـيرين " ، ومـاذا فعـل مـن جـراء الحسد أولئك البلهاء .

– ولقد فنى العاشق كما فنى المعشوق ، فهم ليسوا بشيء ، وهواهم ليس بالشـيء الذى يذكـــــر .

– والإله الطاهر الذى يضـرب العدم ببعضه ، هو الذى يجعل العدم عاشقا للعدم .

– ومن القلب الذى ليس بقلب تطل أنواع الحسـد ، وهكـذا يجعـل العـدم مضـطـرا إلى أن يبدو وجودا .

– وهؤلاء النساء اللائي هن أكثر شفقة ، أليس من الحسد تأكل إحداهما الأخرى عندما تكون ضرة لها ؟

١٢١٠– فما بالك بالرجال وهم بطبعهم قســــاة القلوب ، ترى في أى منزل هم من منازل الحسد ؟

– ولو لم يقدم من الشريعة رقية تلطف " هذا الجحيم " لمزق كل خصم جسد خصمـــه .

– فإن الشرع يشير بالرأى من أجل دفع الشر ، ويحبس الشيطان في قارورة الحجة .

– فلا يزال بالبرهان والأيمان والنكوص " عن الادعاء " ، حتى يدخل شيطان الفضول في القارورة .

– مثل الميزان الذى يجمع رضا الضدين ، على سبيل اليقين في الجد وفي الهزل .

١٢١٥– فاعلم أن الشرع بمثابة الميزان والمكيال على وجه اليقين ، فيه ينجو الخصمان من القتال ومن الحقد.

– وإن لم يكن ثم ميزان ، فمتى كان الخصم من الجدال ، يتخلص من وهم أنه " قد تعرض" للحيف والاحتيال .

–ومن هنا ففي هذه الجيفة القبيحة التي لا وفاء عندهـــــا ، يوجد كل هذا الحسد وكل هذه الخصومة وكل هذه القسوة .

–إذن فمن أين يكون فيها إقبالٌ ودولة ، والجنى والإنسي ماضيان في الحسد ؟

– وأولئك الشياطين أنفسهم حسودون قدماء ، وهم لا يتوقفون لحظة واحدة عن قطع الطريق .

١٢٢٠- وأولئك الآدميون الذين زرعوا العصيـــــان ، تحولوا بدورهم مــن الحسد إلى شياطين.

-فاقرأ من القرآن أن شياطين الإنس ، قد صاروا من مسخ الإله لهم ، من نفس جنس الشياطين .

- وعندما يصبح الشيطان عاجزاعن الفتنة ، فإنه يطلب العون من هؤلاء الإنس

- قائلا لهم : أنتم أعوان لــي ، فالعون العون ، وأنتم إلى جانبي، فقدموا لي المساعدة والتأييد .

- وإن قُطع الطريق على أحد في الدنيا ، فإن هذين النوعين من الشياطين يهبـــــان فرحين .

١٢٢٥- وإن نجا أحد بروحـــــه ، وصار عاليا في الدين ، فإنهما ينوحان ، كلا الحاسدين .

- وكلاهما يصر على أسنان الحســـــد ، على كل من وهبه الله العقل .

سؤال الملك مدعي النبوة هذا عن الرسول الصادق وماذا يكون معه يهبه لأتباعـــه وماذا يجدونه في حضرته وصحبته غير النصيحة التي يقولها بلسانه

- فسأله الملك : بماذا أوحى إليك ؟ وأى نفع يتــأتى أصلا من ذلك الذى يكون نبيـــــا ؟(١)

- قال : قل لي أنت ما الذى لم ينزل به الوحي بعد ؟ وأية دولة بقيت ، ولم يصل النبيﷺ إليها ؟

---

(١) ج/١١-٤٤٧:- وأى شيء يهبه للمرء في حديثه ؟ غير النصح وغير الأوامر والنواهي .

- وأى نفع من محضره وصحبته ، وفي أى رتبة ودرجة يكون من يتبعه ؟

– ولنفرض أن الوحى الذى نزل عليّ ليس هو وحي الرسول خزانة "المعرفة " ، إنه ليس أقل من الوحي الذى نزل على النحل .

١٢٣٠– وعندما نزلت ﴿ أوحى ربك إلى النحل ﴾ ، جعل منزل وحيه مليئا بالشهد .

– وهو بنور وحى الحق عز وجل ، جعل عالما مليئا بالشمع والعسل.

– وذلك الذى نزلت في حقه ﴿ كرمنا ﴾ ، وهو يمضي إلى أعلى عليين ، متى يكون وحيه أقل من وحي النحل – وألم تقرأ أنت ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾ ، إذن فلماذا بقيت جافا متيبسا ظمآنا ؟

– أو ربما كنت أنت فرعون ، والكوثر كالنيل ، قد تحول من أجلك إلى دم كدر أيها العليل .

١٢٣٥– فهيا ، تب ، وكن ضائقا نفورا من كل عدو ، ليس لديه ماء الكوثر في وعائه .(١)

– وكل من رأيته أحمر الوجه من ماء الكوثر ، فهو في طبع محمدﷺ قد تطبع بطبعه .

– حتى تأتى في حساب [أحبه الله] ، فإن معه تفاحا من الشجرة المحمدية .

– وكل من تراه ظاميء الشفة من الكوثر ، عاده كأنه الموت أو كأنه الحمى .(٢)

– حتى ولو كان أباك ولو كان أمك ، فإنه في الحقيقة شاربٌ لدمك .

١٢٤٠– وتعلم هذه السيرة من إبراهيم الخليلﷺ ، فقد صار في البداية ضائقا من أبيه ، نفورا من " مسلكه " .

---

(١) حرفيا : قرعته .

(٢) ج/١١-٤٤٧:- فقد صار لك كأبي جهل وأبي لهب ، ابتعد عنه حتى لا تسقط في الكرب .

– حتى تكون أمام الحق ممن قيل فيهم [ابغض لله] ، حتى لا يصيبنك حسد العشق بالنحول والسل .

– وما لم تقرأ " لا" و" إلا الله" ، فإنك لن تجد منهاج هذا الطريق .

قصة ذلك العاشق الذي أخذ يعدد لمعشوقه أنواع إخلاصه ووفائه والليالي الطويلة لليالي ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾ وقلة الزادو ظمأ الكبد في الأيام الطويلة . وأخذ يقول : لا أعرف وفاءً إلا هذا ، فإن كانت هناك خدمة أخرى وطاعة أخرى أرشدني إليها فأنا مطيع لكل ما تأمر به سواء كان الدخول في النار كالخليل عليه السلام أو السقوط بين فكي الحوت كيونس عليه السلام أو العمى من البكاء كشعيب عليه السلام أو التعرض للقتل سبعين مرة مثل جرجيس عليه السلام ، ولا حد لوفاء الأنبياء وتضحياتهم ولا حصر ... وجواب المعشوق عليه

– أخذ أحد العشاق يعدد أمام معشوقه ، أحواله وأموره والطاعات التي قام بها له .

– قائلا : لقد فعلت من أجلك كذا وكذا ، وتعرضت للسهام والرماح في هذه الموقعة .

١٢٤٥– وذهب المال وهدت القوة وفقدت السمعة ، وكم من الخسائر حاقت بي من عشقك .

– لم يرني صبح قط ضاحكا أو نائما ، ولم يرني مساء قط مستقرا ساكنا .

– وأخذ يعدد له ما احتساه من أجله من ألم وكدر ، واحدا واحدا وبالتفصيل .

– لا من أجل أن يمنن عليه ، بل كان يقدم على صدق محبته مائة شاهد .

– والعقلاء تكفيهم إشارة واحدة ، ومتى يذهب ظمأ العاشقين منها ؟

١٢٥٠- فهو يكرر القول بلا مـــــلال ، وبإشارة واحدة متى يكتفي الحوت من الماء الزلال .

- ولقد أسهب في القول عن هذا الألم القديـم ، ومـا زال يشكو قـائلا : لـم أنطق بكلمة واحدة !!

- كان يحس بنار لم يكن يعلم كنهها، لكنه كان يبكي من لهيبها وكأنه الشمع .(١)

- قال المعشوق : لقد فعلت كل هذا ، لكن افتح أذنيك تماما وافهم جيـــدا :

- إنك لم تفعل أصل أصل العشق والولاء ، وكل ما فعلته هو مجرد فروع .

١٢٥٥- قال له العاشق : قل لي ، ما هو هذا الأصـل ؟ قـال : إن أصلـه هـو أن تموت وتتحول إلى عدم .

- لقد فعلت كل هذا ولـم تمـت ، ومـازلت حيا ، فهيــــا مـت أيهـا الحبيـب المضحي بالروح .(٢)

- فاستلقى في التو واللحظة وأسلم الـروح ، وقـامر برأسـه كأنـه الـوردة ضاحكـا وسعيدا .

- فصارت هذه الضحكة وقفا عليه إلـى الأبـد ، مثـل عقـل العـارف وروحـه بـلا نصب ولا كبـــد.

- ومتى يتلوث نور القمر ، وإن سطع هذا النور على الصالح والطالح إلى الأبد.

---

(١) ج : ١١/٤٥١-٤٥٢ وبعد أن بكى قال : كل هذا مضى ، لكن أرشدني الآن يا صديقي الطيب -- إنني ممتثل بروحي لكل ما تأمر به ، إنني وفق أمرك ، فقد ألقيت بالرأس والقدم . فإن كان ينبغي على أن أمضي إلى النار كالخليل ، أو أن أجعل دمي مسفوكا مثل يحيى -- أو أن أصير أعمى من البكاء مثل شعيب ، أو أمضي إلى فم الحوت كيونس . أو ترسلني كيوسف إلى الجب والسجن ، أو تجعلني كعيسى بن مريم في فقره-- فإنني لا أحول الوجه عنك ولا أرجع ، فإن روحي وجسدى من أجل أمرك .

(٢) ج/١١-٤٥٢: عندما سمع ذلك العاشق المنسلخ عن ذاته ، أطلق آهة حزينة من روحه وقلبـــه .

١٢٦٠- إنه يعود صوب الإله بريئا طاهرا منهم جميعا ، كأنه نور العقل ونور الروح .

- وتظل صفة الطهر وقفا على القمر ، وإن كان سطوعه على أقذار الطريق .

- ومن نجاسات الطريق والأوضار الموجودة فيه ، لا فساد هناك يحصل للنور .

-.ولقد سمع نور الشمس نداء " ارجعي " ، فعاد إلى أصله على وجه السرعة .

- فلا بقي عليه عار من المزابل التي " سطع عليها " ، ولا بقى عليه لون من الرياض .[1]

١٢٦٥-وعاد نور العين إلى منبع الضياء ، وبقيت الصحارى والوديان في ولهها عليه .

---

(١) هنا بيت زائد عن جعفرى "١١-٤٥٢" وهو في رأيه ليس خاليا من الإبهام "١١-٤٥٧" وإن كنت أراه شديد الوضوح: وعندما عاد نوره من الأرض الخراب ، ظل منتظرا عودته إليها . أى أن سطوع النور على المزابل لايجعله ينفر منها بل يظل مشتاقا إلى العودة إليها .

سأل أحدهم عالما عارفا : إن بكى أحدهم في الصلاة بصوت مسموع وتأوه ونام ، فهل تبطل صلاته ؟ فأجاب : إن اسمه ماء العين وهو مرتبط بما رآه الباكي ، فإن كان قد رأى الشوق إلى الله سبحانه وتعالى ، أو بكى ندما على الذنب ، فإن صلاته لا تبطل بل تكتمل إذ لاصلاة إلا بحضور القلب ، وإن كان قد تذكر تعب البدن أو فراق الولد تبطل صلاته ، فأصل الصلاة ترك الجسد وترك الابن مثل إبراهيم ﷺ الذي كان يضحي بابنه من أجل تمام الصلاة وأودع جسده نار النمرود ،وقد أُمر المصطفى ﷺ بهذه الخصال في قول الله تعالى ﴿فاتبع ملة إبراهيم﴾ وقوله ﴿كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم﴾

– سأل أحدهم أحد المفتين في خلوة : هل إذا بكى أحدهم نائحا في الصلاة ؛

– ترى هل تبطل صلاته ؟ أو تكون كاملة ومقبولة ؟

– قال : فلماذا سمي إذن ماء العين ؟ أنظر إلى ما قد رآه ثم بكى !!

– ماذا رآه ماء العين في باطنه ؟ حتى صار هكذا سيالا من مآقيه ؟[1]

١٢٧٠– فإذا كان قد رأى تلك الدار ذلك الممتلىء ضراعة ، فإن تلك الصلاة تجد رونقها من النواح .

---

(١) ج/١١–٨٥٨:٤– فإذا كان يبكي طويلا من شوق إلى الحق ، أو يبكي في الصلاة ندما على الذنب .– أو كان البكاء خوفا من الحق فهو مستحب ، ذلك أن دمعك هذا ماءٌ دافعٌ للنار .– فلا شك أن صلاته تزدان بالكمال ، ولا جدال في أنه يجد القرب في طريق الحق .

– وإذا كان ذلك البكاء من أجل تعب في بدنه أو حداد عنده ، فقد تقطع الخيط وانكسر المغزل .[١]

دخل مريد في خدمة شيخ ، ولا أقصد بالشيخ كبير السن بل شيخ العقل والمعرفة ، وإلا فإن عيسى ﷺ كان شيخا في المهد ويحيى ﷺ كان شيخا في مكتب الأطفال ، ووجد المريد الشيخ باكيا ، فوافقه وبكى ، وعندما انتهى وخرج ، خرج خلفه مريد آخر كان أكثر فهما لحال الشيخ مسرعا بسبب غيرته على الشيخ ، وقال له : يا أخي يجب أن أقول لك ، ناشدتك الله ألا تفكر وتقول : مادام الشيخ يبكي فأنا أيضا أبكي ، إذ تلزم ثلاثون سنة من الرياضة التي لا رياء فيها ، وينبغي عبور عقبات وبحار مليئة بالتماسيح وجبال قاحلة مليئة بالأسود والنمور ، حتى تصل أو لا تصل إلى ذلك البكاء للشيخ ، فإن وصلت فكرر شطر " زويت لي الأرض كثيـــــرا " .

– لقد جاء أحد المريدين إلى الشيخ ، وكان الشيخ في بكاء وفي نواح .

– وعندما رأى ذلك المريد الشيخ باكيـــــا ، بكى بدوره وسال الدمع من عينيه .

– والسميع يضحك مرة واحدة ، لكن الأصم يضحك مرتين ، وعندما يقص أحد الناس فكاهة لرفيقه ؛

١٢٧٥– فإنه يضحك للمرة الأولى تقليدا وكما تملي عليه نفسه ، لأنه يرى القوم جميعا يضحكون .

---

[١] ج / ١١–٤٥٨:– وإذا كان ينوح من فراق الابن ، لأن قلبه وروحه في ألم حداد عليه .– فإن تلك الصلاة لا تساوي حبتي شعير ، وذلك لأنه يسلم قلبه إلى الأغيار .– فإن صلاته تبطل بلا شك ، ولكان بكاؤه أيضا بلا فائدة .– ذلك أن ترك الجسد هو أصل الصلاة ، وترك النفس ، وترك الولد ، هذه هي الضراعة .– فتعلم من خليل الله وضح بالولد ، واجعل جسدك معرضا لنار النمرود .– والخلاصة حتى تعلم أيها العظيم ، أن هناك فرقا بلا حد بين بكاء وبكاء .

- فهو وإن كان يضحك مثلهم جميعا في تلك اللحظة ، إلا أنـه يكـون غـافلا عـن حال الضاحكين .

- ثم يعود فيسأل : مم كان الضحك ؟ ويضحك ثانية بعد أن يسمع بأذنـــــه .

- ومن هنا فالمقلد مثل الأصم ، في مثل ذلك الفرح والسرور الذى في رأسه .

- فالشيخ هو الشعاع والشيخ هو المنهل ، وفيض السرور لا يكون من المريدين، بل من الشيخ .(١)

١٢٨٠- مثل سلة في الماء ونور على زجاج ، إذا اعتبراهما من ذاتيهمـا ، فهـذا من الغفلة .

- وعندما ينفصل عـن النهـر يعلـم ذلـك العنـود ، أن المـاء العـذب كـان فيـه مـن الجدول .

- وتعلم الزجاجة أيضـــا من غياب القمر (٢) أن تلك اللمع كـانت داخلهـا مـن القمر المنير الطيب .

- وعندما يفتح الأمر بـ" قم " عينيه ، يضحك إذن كالفجر للمرة الثانيـــــة .

- ثم يضحك من ضحكته الأولى تلك ، التي كانت تأتيه على سبيل التقليد .

١٢٨٥- ويقول : لقد كانت هذه الحقيقة وهذه الأسرار والرمـوز مـن عـدة طـرق نائيـــــة وبعيدة وطويلـــة

- وكيف كنت أنا في ذلك الوادى ، أقوم على البعد بإبداء السـرور علـى العميـاء ومن محض الحماس .

- وبأى شيء كنت أربط الخيال ، وماذا كان ذلك ؟ إن إدراكي الواهن كان يبـدى صورة باهتة .

---

(١) ج/١١-٤٦٢:- إن الشعاع هو الشيخ نفسه ، وما كان يفعله تقليد الشيخ ، إذ أنه يرى السرور من تأييد الشيخ .

(٢) حرفيا : الغروب .

- فأين لطفل الطريق فكرة الرجال ، وأين خياله من الحقيقة الصحيحة ؟!

- وإن فكر الأطفال يكـون في المـرضعة أو الرضـاع أو الزبيـب والجـوز ، أو البكاء والصياح .

١٢٩٠- وذلك المقلد يكون كالطفل العليل ، حتى وإن كان له بحث عميق ودليل

- وذلك التعمـق في الدلـيل والبحث في الإشكالات ، يسـوقه بعيدا عن بصـيرة " القلب " .

- لقد أضاع المادة التي تكون كحلا " لبصيرة " سره ، وقصر عمله على الحديث عن الإشكالات .

- فعد أيها المقلد عن بخارى " العلم الظـاهرى " ، وامـض صـوب الذلـة حتـى تصير أسد الرجال .

- حتى ترى بخارى أخرى في باطنك ، وأولئـك الذيـن يشـقون الصـفوف ، " لا يفقهون" في محفلها .

١٢٩٥- والرسول مهمـا كـان علـى الأرض سـريع الخطـو ، عندمـا يذهـب إلـى البحر يكون خائر القوى مقطـــوع العرق .

- إنـه إنمـا يتبـع " حملنـاهم فـي البـر" فحسـب ، وجديـر بـأن يسـمى رجـلا ذلـك المحمول في البحر ، فحسب .

- وإن الملك ليجزل له عطاءً غير ممنون ، يامن صرت رهنا للتصور والوهم .

- لقد كان ذلك المريد الساذج يبكي أيضـا ، لكن بكاءه كـان وفقـا لبـكاء ذلك " الشيخ " العزيز .

- لقد كان يتصرف تقليدا كالرجل الأصم ، كان يـرى البكـاء ، ولـم يكـن يعـرف سببـــه .

١٣٠٠- وعندما بكى كثيرا ، أدى فروض الاحترام ومضى ، فخرج في أثره سريعا مريد من خواص " الشيخ

- وقال له : يا باكيـــــا كالسحاب بلا علم ، ووفقا لبكاء شيخ النظـــــر؛

- ناشدتك الله مرار أيها المريد الوفي ، بالرغم من أنك مستفيد من التقليد ؛

- ألا تقول : رأيت هذا الملك يبكي ، وأنا بكيت مثله ، فهذا منكر .

- فبكاؤك مليء بالجهل والتقليد والظن ، وليس مثل بكاء ذلك المؤتمن .

١٣٠٥- ولا تقم بقياس بكاء على بكاء ، فمن هذا البكاء إلى ذاك طريق طويل وبون شاسع .

- فإنه حتى بعد ثلاثين سنة من الجهاد ، لا يستطيع العقل أن يصل إلى حيث يكون .

- فإن بينه وبين تلك الناحية من العقل مائة منزل ، فلا تعتبرن العقل واقفا على تلك القافلة .

- وإن بكاءه ليس من الحزن وليس من الفرح ، وتعلم الروح ذلك البكاء ، إنه من الأمور النادرة الطريفة .

- وبكاؤه وضحكه نابعان من تلك الناحية ، ومما يكون وهم العقل بريئـــا منه

١٣١٠- ودمع عينــه على مثـــال عينه ، ومتى تصبح العين التي لم تبصر عينا ؟!

- وما يراه هو من المحال أن يمس ، لا عن طريق قياس العقل ولا عن طريق الحواس .

- والليل يفر هاربا عندما يرى النور من على البعد ، فأى علم إذن لظلمة الليل بأحوال النور .؟!

- وإن البعوضة لتهرب من الرياح ذات الدهاء ، فمن أين تعلم البعوضة إذن طعم الرياح ؟

- وعندما يعن القديم يتحول الحديث إلى عبث ، فأى علم للحديث إذن بالقديم ؟!

١٣١٥- وعندما يقع القديم على الحديث يصيبه بالذهول ، وما دام قد حوله إلى عدم فقد جعله من نفس لونه .

- وإذا أردت فإنك تجد مائة نظير " لهذه الأمثلة " ، لكنى لا أجرؤ على قولها أيها الفقير .

- إن " الم " و" حم " وهي مجرد حروف ، تصبح كعصا موسى ﷺ عندما تتصدى " لغيرها من الحروف " .

- والحروف كلها تشبه في ظاهرها هذه الحروف ، لكنها تكون مفتقرة إلى صفاتها .

- وكل من يمسك بعصا على سبيل الامتحان ، متى تكون مثل عصا موسى ﷺ عند البيان ؟

١٣٢٠- وهذا النفس العيسوى ليس مثل كل ريح ونفس ، يتأتى من فرح أو من حزن .

- و" الم " و"حم" هذه أيها الأب ، قد جاءت من حضرة مولى البشر .

- ومتى تشبهها أى " ألف " وأى " لام" إذن ؟ فإن كنت صاحب روح ، لا تنظر إليها بعينيك هاتين .

- حتى وإن كانت في تركيبها مجرد حروف أيها الهمام ، فإن العوام أيضا يتشابهون في التركيب .

- وتركيب محمد ﷺ أيضا من لحم وجلد ، وبالرغم من أن تركيب كل جسد يكون من جنسه ؛

١٣٢٥- يكون فيه لحم وجلد وعظام ، فإن هذا التركيب لا يشبهها في قليل أو كثير .

- ففي هذا التركيب ، حلت المعجزات التي تجعل كل الأجساد لا تقوى على عمل .

- كذلك تركيب " حم" في الكتاب ، إنها شديدة العلو والارتفاع ، والحروف الأخرى شديدة الدنو .

- ذلك أن الحياة تتأتى من هذا التركيب ، إنها مثل نفخ الصور ، تفعل فعلها في العجز .

- تتحول إلى أفعى وتشق البحر ، عندما تكون عصا " حم" من عطية الله .

١٣٣٠- وظاهرها يشبه بقية الظاهر ، لكن قرص الرغيف بعيد تماما عن قرص القمر .

- وإن بكاءه وضحكه ونطقه أموريليست كلها منه ، إنها من خلق " هو " .

- وعندما أخذ الحمقى بالظاهر ، احتجبت عنهم تماما تلك الدقائق .

فلا جرم أن حجبوا عن الوصول إلى الغرض ، فقد فاتت النقاط الدقيقة في موضع الإعتراض .[١]

قصة تلك الجارية التي كانت تقضي وطرها مع حمار سيدتها وكانت قد دربته كما يدرب الماعز والدب على جماع الآدميين [٢]، وكانت تضع قرعة في عضو الحمار حتى لا يجاوز الحد ، وعلمت السيدة ذلك ، لكنها لم تر النقطة الدقيقة الكامنة في القرعة.. فصرفت جاريتها بحجة ما إلى مكان بعيد ، واجتمعت بالحمار بلا

---

(١) ج/١١-٤٦٧:- وأقول لك حكاية على مثال هذا الأمر ، حتى تنال حصة من بياني هذا.- وهي قصة طويلة وعريضة ومخيفة ، إنها بعيدة الغور ، لكنها قريبة تماما .

(٢) عند يوسف بن أحمد " ٣٠٣/٥" كما يدرب الماعز على الوقوف على قاعدة المصباح والدب على الرقص ، وكذا عند الأنقروى " ٣٢٥/٥" .

قرعة ، وهلكت مفتضحة . وعادت الجارية فجأة وناحت عليها قائلة : يا روحي ويا نور عيني : رأيت القضيب ولم ترى القرعة .. رأيت الذكر ولم ترى الآخر . كل ناقص ملعون وإن كان الناقصون في عين الظاهر مرحومين وليسوا ملعونين ، فاقرأ:

﴿ ليس على الأعمى حرج ﴾ فهي قد نفت الحرج ونفت اللعنة ونفت الغضب .

– لقد استلقت جارية تحت حمـــــار ، من فرط الشهوة ، ومرض الشذوذ ، والحرص " على الجماع " .

١٣٣٥– كانت قد دربت ذلك الحمار الفحل على مجامعتها ، وكان الحمار قد فهم جماع الآدمي .

– وكانت هناك قرعة وضعتها تلك المحتالة في ذكر الحمار ، من أجل الحد .

– ولقد وضعت القرعة في الذكر تلك الداهية ، حتى يولج نصف الذكر عند الإيلاج .

– ذلك أن ذكر الحمار إن أولج فيها بأجمعه ، لمزق رحمها وأمعاءهـــا .

– كان الحمار يزداد نحولا ، وعجزت السيدة " عن فهم " لم صار هذا الحمار في نحول الشعرة ؟

١٣٤٠– وقد عرضته على البياطرة قائلة : ما بال هذا الحمار ؟ وما هي علته تلك ، التي أدت إلى نحوله هكذا ؟

–لكن علة لم تظهر فيه قط ، ولم يعرف أحد قط سر ذلك .

– فبدأت في تفحص الأمر بجد شديد ، صارت لحظة بلحظة مستعدة للتفتيش والبحث .

– وينبغي أن تكون الروح أمة للجد ، ذلك أن الباحث بجد ، يجد في النهاية .

– وعندما تفحصت وتجسست عن أحوال الحمار ، رأت تلك الجارية نائمة تحت الحمـــار .

١٣٤٥- لقد رأت من فرجة الباب هذا الحال ، فتعجبت تلك العجوز كثيرا من ذلك الأمر .

- لقد كان الحمار يضاجع الجارية ، كما يفعل الرجال مع النساء ، بتعقل ونظام .

- فأحست نحوها بالحسد ، وقالت لنفسها : ما دام هذا الأمر ممكنا ، فأنا أولى ، فالحمار ملكي .

- لقد تهذب الحمار وصار مدربا ، والمائدة ممتدة ، والمصباح مضاء .

- وتجاهلت ما رأت ، ودقت باب الدار قائلة : أيتها الجارية ، حتام تنهمكين في كنس المنزل ؟

١٣٥٠- كانت تقول هذا الكلام على سبيل التعمية ،بما يعني : يا جارية ، لقد جئت ، فافتحي الباب .

- وصمتت ، ولم تفاتح الجارية ، وأخفت السر من أجل طمعها الخفي .

- ثم إن الجارية أخفت كل أدوات الفساد ، وتقدمت ،وفتحت الباب.

- وعبست بوجهها ، وعيناها مليئتان بالدمع ، وحكت شفتيها بما معناه : إني صائمة .

-وفي كفها مكنسة مبللة ، أى : لقد كنت أكنس الدار ، وأزيل عنها القذر .

١٣٥٥- وعندما فتحت الباب والمكنسة في يدها ، قالت السيدة هامسة لنفسها : أيتها الأستاذة ؛

- عبست بوجهك ، والمكنسة في يدك ، فما هذا الحمار الذى عافت نفسه الطعام ؟

- لقد أتم نصف العمل ، والغضب باد عليه ، ينظر نحو الباب متحرك الذكر منتظرا إياك .

- لقد همست بهذا خفية عن الجارية ، وعاملتها بإعزاز كما يعامل الأبرياء .

– ثم قالت لهـا : خـذى طراحتك ، واذهبى إلـى منـزل كـذا ، وبلغـي عنـى هـذه الرسالة ..

١٣٦٠– هكذا قولـي ، وهكـذا فـافعلي ، وكـذاك ، لقـد اختصـرت أنـا ثرثـرة النســـــاء .

– فخذ أنت لب ما هو مقصـــــود . وعندما صرفتها السيدة العجوز ؛

– كانت شديدة الفرح من نشوة الشهوة ، فأحكمت رتاج الباب ، وأخذت تقول فـي تلك اللحظة :

– لقد ظفرت بخلوة ، فلأصرخ شاكرة ، لقد خلصت من جماع الرجال قويهم وضعيفهم .

– ومن الطرب ، صارت تلك المرأة كالماعز ، بل ألف ماعز ، لا يقر لهـا قـرار في لهيب اشتهاء الحمار .

١٣٦٥– فيا لها من ماعز ، صادتها الشهوة صيد الماعز ، وليس من العجيب أن يصاد المذهول صيد الماعز

– إن الميل إلى الشهوة يجعل القلب أعمى وأصم ، حتى ليبدى الحمار "في جمال" يوسف ، والنار نورا .

– وما أكثـر الثملين بالنار الباحثين عن النـار ، والذيـن يعتبرون أنفسهم نـورا مطلقا .

– اللهم إلا أن يكون المرء عبدا للـــــه ، فيوضـع علـى الجادة بجذب الحـق ، ويتحول المصير .

– حتى يعلم أن ذلك الخيال النـارى ، ليس إلا مـن قبيـل الشـيء المستعار علـى الطريق .

١٣٧٠- وإن الشره ليبدين القبائح طيبات ، ولا يوجد أسوأ من الشهوة ، من آفات الطريق .

- لقد جللت بالعار آلافا من ذوى السمعة الطيبة ، وجعلت مئات الآلاف من الأذكياء حمقى مذهولين .

- وإذا كانت قد أبدت حمارا في جمال يوسف المصرى ، فكيف تبدى تلك اليهودية من هو في جمال يوسف

- لقد جعل سحرها البعر لك شهدا ، فكيف تبدى الشهد نفسه وقت الالتحام ؟

- والشهوة من الطعام ، فقلل الطعام ، أو فعليك بالنكاح ، واهرب من الشر

١٣٧٥- فإنك إن أكلت تقوم بجرك نحو الحرم ، ولابد للدخل من نفقة .

- ومن ثم فإن النكاح مثل نطقك " لا حول ولا قوة إلا بالله " ، حتى لا يلقينك الشيطان في البلاء .

- وإذا كنت حريصا على الطعام ، عليك بالزواج سريعا ، وإلا أتى القط ، واختطف منك الشحمة .

- وضع الحمل الثقيل سريعا على ظهر الحمار الذى يقفز ويبرطع ، قبل أن يلقي بك من فوق ظهره .

- وإنك لا تعرف فعل النار أيها البرّد ، فلا تحم حول النار بمثل هذه المعرفة .

١٣٨٠- وإن لم يكن لك علمٌ بالقدر والنار ، فلن تبقى القدر من النار ولا الحساء .

- فينبغي أن يكون الماء حاضرا وأيضا الدراية ، حتى يطبخ ذلك القدر ، ويخرج سالما من الغليان .

– وما دمت جاهلا بفن الحدادة ، فإنك تحرق شعرك ولحيتك عندما تمر بحانوت الحداد .

– ولقد أغلقت تلك المرأة الباب ، وسحبت الحمار سعيدة ، فلا جرم أن لقيت جزاءها .

– فأتت به ساحبة إياه إلى باحة الدار ، ونامت تحت ذلك الحمار الفحل ، الذى يصيد الحمير .

١٣٨٥– وعلى نفس ذلك المقعد الذى رأت عليه الجارية ، لتقضى وطرها أيضا تلك البغي .

– ورفعت ساقيها ، فأولج الحمار فيها ، واشتعلت فيها النيران من قضيب الحمار

– لقد أولج الحمار المدرب في السيدة في التو واللحظة حتى خصيتيه ، فماتت السيدة على الفور .

– ولقد تمزق كبدها من طعنة قضيب الحمار ، وتفسخت أمعاؤها ، كل عن الأخرى .

– ولم تنبس تلك المرأة ، وأسلمت الروح في الحال ، وسقطت المرأة في ناحية ، والمقعد في ناحية أخرى .

١٣٩٠– وامتلأ صحن الدار بالدم ، والمرأة منقلبة ، لقد ماتت ، وسلب روحها ريب المنون .

– وبهذا الموت السيء المقترن بمائة فضيحة أيها الأب ، فهل رأيت قط شهيدا لقضيب حمار ؟

– فاستمع من القرآن إلى ﴿ عذاب الخزى ﴾ ، ولا تضح بالروح لمثل هذا العار .

– واعلم أن هذه النفس البهيمية حمار" فحل ، وأن يكون المرء تحتها خاضعا لها أشد عارا .

- ولو مت في أنيتك عن طريق النفس ، اعلم حقيقة أنك مثل تلك المرأة .

١٣٩٥- إنه يجعل نفوسنا على صورة الحمار ، ذلك لأنه يجعل الصورة على وفق الطبع .

- وهكذا يكون إظهار السر في القيامة ، ناشدتك الله ، ألا فلتفر من الجسد الذى يشبه الحمار .

- لقد خوف الله سبحانه وتعالى الكفار من النار ، وقال هؤلاء الكفار : النار ولا العار .

- قال : بل إن هذه النار هي أصل أنواع العار ، إنها مثل تلك النار التي قضت على تلك المرأة .

- ومن حرصها لم تأكل لقمة مناسبة لها ، فغص حلقها بلقمة الموت السيئة .

١٤٠٠- فكل اللقمة المناسبة في حجمها أيها الرجل الحريص ، حتى ولو كانت اللقمة من الحلوى والخبيص .

- لقد أعطى الحق تعالى للميزان لسانا ، فانتبه واقرأ من القرآن سورة الرحمن .

- وهيا ، لا تترك الميزان من حرصك ، فإن الحرص والطمع خصمان مضلان لك .

- إن الحرص يبحث عن الكل ويتجاوز عن الكل ، فلا تعبد الحرص أيها المهين ابن المهين .(١)

- وأخذت تلك الجارية تروح وتجيء صارخة : أواه ، لقد صرفت أيتها السيدة أستاذتك .

١٤٠٥- لقد أردت القيام بالعمل دون أستاذ ، وأردت أن تقامرى بالروح بجهل .

---

(١) حرفيا : أيها الفجل بن الفجل .

- يا من سرقت مني علما ناقصا ، هل شعرت بالعار من السؤال عن أحوال الشراك ؟

- ولو كان الطائر قد التقط الحب من بيدره ، لما سقط " في الشراك " والحبل في عنقه .

- فقلل من أكل الحب ، ولا تقم برفو " الجسد " كثيرا " بالطعام " ، وما دمت قد قرأت (كلوا) فاقرأ (لاتسرفوا) .

- وما لم تأكل الحب ، لا تسقط في الشراك ، هذا هو ما يفعله العلم والقناعة ، والسلام .

١٤١٠- وإن العاقل يأكل النعمة من الدنيا ، ولا " يتجرع " الأحزان ، والجهلاء قد بقوا محرومين " غرقى" في الندم .

- وما دام حبل الشراك قد أخذ بأعناقهم ، صار إلتقاط الحب حراما على الجميع

- ومتى يلتقط الطائر الحب وهو ساقط في الشراك ، كما يفعل هؤلاء العوام في شراك الدنيا ؟

- ثم إن الطيور العاقلة الذكية ، قد منعت أنفسها عن الحب بشدة وحسم .(١)

١٤١٥- ففي هذه الشبكة حبوب مغموسة في السم ، وأعمى ذلك الطائر الذى طلب الحب من الشراك .

- وصاحب الشبكة قطع رؤوس البلهاء ، وأجلس" تلك الطيور " الظريفة في "صدور" المجالس .

- ذلك أن ما يفيد من تلك الطيور البلهاء هو لحومها ، أما ما ينفع من الطيور الذكية الأريبة ، فهو الغناء والتغريد .

---

(١) حرفيا : قيدت نفسها عن الحب بحبل شديد .

- لقد دخلت الجارية من خوخة الباب ، فوجدت السيدة ميتة ، تحت الحمار .

- فصاحت : أيتها السيدة البلهاء ، ما هذا بالذى كان يحدث ، لو كان لك أستاذ أبدى لك الأمور .

١٤٢٠- لقد رأيت ظاهره وبقى سره خفيا عليك ، ودون أن تتقني الصنعة ، فتحت الدكان .

- لقد رأيت القضيب كأنه الشهد وكأنه الخبيص ، فكيف لم ترى تلك القرعة أيتها الحريصة ؟

- أو أنك كنت مستغرقة في عشق الحمار ، فبقيت تلك القرعة خفية عن ناظريك

- لقد رأيت ظاهرا من الصنعة من الأستاذ ، فاحترفت الأستاذية فرحة سعيدة .

- ورب محتال مخدوع عديم فهم ، لم ير من طريق الرجال سوى الصوف .

١٤٢٥- وما أكثر الوقحاء من تعلم قليل واحتراف ، لم يتعلموا من ملوك "الطريق " إلا الثرثرة .

- وكل من في يده عصا ، صاح : إنى موسى ، وآخر ينفخ في " وجوه" البلهاء قائلا : أنا عيسى .

- وآهٍ من ذلك اليوم الذى يطلب فيه منك حجر الإمتحان صدق الصادقين .

- ولتسألن في النهاية عن الأستاذ الباقي ، فإن الحريصين كلهم عمىٌ وخرس .

- لقد بحثت عن الجميع وتخلفت عن الجميع ، وهذا القطيع الأبله صيد للذئاب .

١٤٣٠- ولقد سمعت صورة " كلام " فتحولت إلى ترجمان ، وأنت لا تفهم ما تقول ، وكأنك ببغاء .

تمثيل تلقين الشيخ للمريدين والرسول للأمة التي لاطاقة لها لتلقين الحق ولا ألفة لها مع الحق بالببغاء الذي لا ألفة له مع صورة الآدمي بحيث يلقن منه ، فالحق تعالى يضع الشيخ كما توضع المرآة أمام الببغاء ويلقنه من خلف المرآة ، مصداقا لقوله تعالى ﴿ لا تحرك به لسانك ﴾ و﴿ إن هو إلا وحي يوحى ﴾ وهنا بداية مسألة لا نهاية لها ، بحيث أن تحريك الببغاء لمنقاره في المرآة والذي تسميه خياله هو بلا اختيار ولا تصرف منه فالصورة هي قراءة الببغاء من الخارج وهو المتعلم لا صورة ذلك المعلم ذلك المعلم الذي وراء المرآة ، فقراءة الببغاء الظاهرة تحت سيطرة ذلك المعلم .. ومن ثم فهذا مثال لا مثل

– إن ذلك الذى يراه الببغاء في المرآة ، هو صورته هو وقد ظهرت أمامه .

– وخلف المرآة هناك مدرب خفي ، إنه يتحدث بلسان أديب حسن اللسان .

– ويظن الببغاء الصغير أن هذا الكلام الهامس ، هو كلام الببغاء الذى في المرآة

– ويظن أنه يتعلم الكلام من جنسه ، وهو غافل عن مكر ذلك الذئب العجوز .

١٤٣٥– فإنه يعلمه من وراء المرآة ، وإلا فإنه لا يتعلم إلا من جنسه .

– لقد تعلم الكلام من ذلك الرجل الفاضل المحنك ، لكنه غافل عن سره ومعناه .

– وأخذ منطقه من الإنسان كلمة كلمة ، وماذا يتعلم الببغاء الصغير من البشر سوى هذا .

– وكذلك ففي مرآة جسد الولي ، يرى المريد الممتليء " نقصا وأنية " نفسه

– لكنه متى يرى العقل الكلي عند الحديث والفعل كامنا خلف المرآة ؟

١٤٤٠– إنه يظن أن من يتحدث إليه بشر ، لكن الآخر سر وهو عنه بلا علم أو خبر .

– وهو يتعلم الحروف ، لكنه لا يعلم السر القديم الأزلي ، فهو ببغاء ، وليس بالنديم .

- والخلق أيضا يتعلمون صفير الطير ، ذلك لأن هذا الأمر من فعل الحلق والفم

- لكنهم غافلون عن المعاني التي تدور في " أفكار " الطيور ، ومن يعلمه إلا سليمان ﷺ صاحب الإقبال الذى بلا نظيـــــــر .

- ولقد تعلموا كثيرا من ألفاظ الدراويش ، وأضاءوا المحافل والمنابر بهـــــا .

١٤٤٥- فإما أن رزقهم قد اقتصر على تلك الألفاظ ، أو تحل بهم رحمة " الله" في النهاية فتبدى لهم الطريق .

رأى أحد أصحاب القلوب كلبة حبلى ، وكانت الجراء تنبح في بطنها ، فتعجب وقال لنفسه : إن الحكمة من نباح الكلاب هي الحراسة، والنباح في بطن الأم ليس من قبيل الحراسة ، كما أنه ليس طلبا للعون أو الرضاع أو ما إليها ولا شيء يوجد من هذه الفوائد قط. وعندم عاد إلى وعيه نادى حضرة الله ﴿ وما يعلم تأويله إلا الله ﴾فكوشف أن هذه حالة قوم لم يخرجوا من الحجاب ولم تفتح منهم أعين القلوب ، لكنهم يدعون البصيرة ، ويتحدثـــــون بالمقالات ، فلا قوة ولا عون تصل إليهم ، ولا تصل إلى مستمعيهم هدايــــة ولا يصل إليهم رشـــد

- كان أحدهم يرى فيما يرى النائم أثناء خلوة أربعينية ، أن ثمة كلبة حبلى في الطريق ؛

- وسمع فجأة نباح جرائها ، وكانت الجراءً لا تزال في بطنهـــا .

- فأصابه ذلك النباح بدهشـــة شديدة ، و" تساءل " : كيف نبحت الجراء في البطن ؟ يا ألله .

- إن أحدا لم ير قط في الدنيا ، جراءً نابحة وهي لا تزال في بطن " أمها " .

١٤٥٠- وعندما استيقظ من النوم ، ونجا من الواقعة ، وعاد إلى وعيه ، أخذت حيرته تزداد لحظة بعد لحظة

- ومن يستطيع في الخلوة أن يفسر هذا الأمر المعضل اللهم إلا أن يتوجه إلى الحضرة الإلهية ؟

- قال : يا رب ، لقد عجزت عن ذكرك في الخلوة من هذا الإشكال ، ومن القيل والقال .

- فهيا ، أطلق جناحي يا ألله حتى أحلق عليا ، وأمضي إلى روضة الذكر وحديقة التفاح .

- وفي التو واللحظة جاءه هاتف قائلا : إن هذا الأمر مثال على ثرثرة الجهال .

١٤٥٥- أولئك الذين لم يخرجوا بعد من الحجب والأستار ، ومع ذلك فهم متحدثون بالهذر ، مغمضو الأعين

- فنباح الجراء في البطن عمل لا فائدة منه ، فلا هي طاردة لصيد ، ولا حارسة بليل .

- إنها لم تر ذئبا لتمنعه ، كما أنها لم تبصر لصا لتنبحه .

- وأولئك من الحرص واشتهاء الرئاسة ، عندهم كلل في البصر ، وجرأة على الحديث والنفاج .

- وإن أحدهم من هواه في الأتباع والمريدين والمشجعين ثابت القدم في " إدعائه ونفاجه " .

١٤٦٠- وإنه ليعطي الأمارات العديدة عن القمر دون أن يراه ، وهو يضل الريفي الساذج بهذا الأمر .(١)

- وهو من أجل "الطالب المتابع" المشترى ، يتحدث عن مائة أمارة عن القمر دون أن يراه ، ومحض الجاه .

- إن المشترى الذى فيه النفع واحد " أحد" ، لكنهم بالنسبة له ، في ريب وشك .

- ومن أجل مشتر لا قيمة له ولا قدر ، أذهبت هذه الجماعة المشترى " الحقيقي" أدراج الرياح .

---

(١) ج/١١-٤٧٨:- وهو يقول مائة أمارة دون أن يرى طالبا واحدا ، ويهزل ويشرب المخيض مصفقا .

- وإن المشترى لنا هو من ورد في الآية الكريمة ﴿ إن الله اشترى ﴾ ، فهيا اسمُ واعلُ عن الهم من أجل أى مشترٍ .

١٤٦٥- وابحث عن المشترى الذى يبحث عنك ، والعالم بمبدئك ومنتهاك .

- وانتبه ، ولا تقم بجذب كل مشترٍ بيدك ، فإن ممارسة العشق مع معشوقتين أمر سيء .

- فإنك لن تجد من هذا المشترى نفعا وفائدة إذ يشتريك ، وليست له في حد ذاته قيمة العقل والنهى .

- وليس عنده أصلا ثمن فردة حذاء ، ومع ذلك تعرض عليه أنت الياقوت والعقيق .

- لقد أعماك الحرص ، ثم يصيبك بالحرمان ، ويجعلك الشيطان مثله رجيما .

١٤٧٠- كأصحاب الفيل وكقوم لوط ، جعلهم ذلك الممسوخ مرجومين مثله .

- لقد وجد الصابرون المشترى والطالب ، عندما لم يهرعوا إلى كل مشترٍ وطالب .

- لكن كل من حول وجهه عن ذلك المشترى " الفرد" ، قد برئ منه الحظ والإقبال والبقاء .

- وبقيت الحسرة للحريصين إلى الأبد ، مثل حال أهل ضروان " وما أصابهم " من الحسد .

قصة أهل ضروان وحسدهم للفقراء قائلين : كان أبونا من طيبته يعطي أغلب دخل الحديقة للمساكين ، فعندما كان العنب ينضج كان يعطي عشره ، وعندما كان يتحول إلى زبيب ودبس كان يزكي بعشره ، وعندما كان يصنع منه حلوى وفالوذج كان يعطي عشره ، وكان يعطي من القصيل "المحصول بالسنابل" العشر ، وعندما يجهز حبوبه في البيدر يزكي بعشرها ، وعندما كان يفصل القمح عن التبن ، كان يزكي بعشره ، وعندما كان يطحنه كان يعطي العشر ، وعندما كان يعجنه كان

يعطي أيضا العشر ، وعندما كان يخبزه ، كان يعطي العشر أيضا . فلا جرم أن الحق تعالى كان قد وضع البركة في هذه المزرعة والحديقة ، بحيث صار كل أصحاب الحدائق يحتاجون إليه سواءً في الثمر أو في المال ، ولم يكن هو محتاجا إلى أحد منهم ، وكان أبناؤه يرون إخراج هذا العشر المتكرر ، ولم يكونوا يرون تلك البركة .. مثل تلك المرأة الشقية التي كنت قد رأت ذكر الحمار ولم تكن قد رأت القرعة

- كان هناك رجل صالح رباني ، كان كامل العقل ، متدبرا للعواقب .

١٤٧٥- وكان شهيرا في قرية ضروان بالقرب من اليمن ، بالتصدق والخلق الحسن .

- كان الحي الذى يسكن فيه قبلة للفقراء ، وكان المحتاجون يفدون إليه .

- كان يعطي العشر من السنابل دون رياء ، كما كان يعطي العشر من القمح عندما يفصله عن التبن.

-وعندما كان يطحنه كان يعطي أيضاالعشر، وعندما كان يخبزه،كان يعطي العشر من الخبز .(١)

-لم يكن يغفل عطاء العشر من كل دخل ، كان يخرج "الزكاة " أربع مرات على كل ما يزرع .

١٤٨٠- وكان ذلك الفتى الجواد يكثر من وصاياه لأولاده كل لحظة وهم مجتمعين ؛

- ويقول لهم : الله بيني وبينكم في نصيب المسكين " بعد وفاتي " ، إياكم أن تمنعوه من حرص أنفسكم .

---

(١) ج/١١-٤٨٥:-كان يعطي العشر من العنب ثم من الزبيب ، وكان يعطي أيضاالعشر من الدبس .- وكان يعطي العشر من حلوه ومن الفالوذج ، ولم يكن يغفل شيئا قل أو كثر .

- حتى يبقى لكم الزرع وتبقى لكم الثمار ، دائمين ثابتين في حمى طاعة الحق .
- إن كل الثمار والدخول من الغيب ، لقد أرسلها سبحانه وتعالى دون ظن أو ريب .
- وإذا أنت أنفقت في موضع الكسب وفي أوانه فقد ربحت .
١٤٨٥- والتركي يقوم بغراس أغلب المحصول في مزرعته ثانية، فهو أصل الثمار.
-إنه يزرع معظمه ،ويأكل منه القليل ، فليس لديه أدنى شك في أنه سينمو ثانية ويربو .
- ومن هنا فإن التركي يفرط في البذار،ذلك أن تلك الغلة نتجت بدورها من تلك الأرض .
- والإسكاف يشترى الجلد والأديم والجلد غير المدبوغ مما يزيد على قوته
- إنه يقول لنفسه : لقد كانت هذه الأشياء هي أصول دخلي ، ومنها أيضا يحل قيد الرزق .
١٤٩٠- لقد جاء الدخل من ذلك الباب لاجرم ، ومن ثم فهو على ذلك الباب يقوم بالعطاء ، ويبدى الكرم .
- وهذه الأرض " للزارع " والجلد غير المدبوغ " للإسكاف " مجرد دريئة وحجاب فحسب ، واعلم أن أصل الرزق في كل نفس من الله.
- ذلك أنك تزرع في الأرض التي هي أصل العمل والزرع ، حتى تنبت لك من كل حبة مائة ألف حبة .
- فلأفرض أنك إذا قمت الآن بزراعة الحب ، في الأرض التي ظننتها سببا ؟

- مـاذا تفعل إن ظلـت عـامين أو ثلاثـة لا تنبـت ، إلا أن ترفـع كفيـك داعيـا متضرعـــــا ؟

١٤٩٥- وتضرب رأسك بكفيك أمام الإلــــه ، وهذه اليـد وهـذه الـرأس تكونـان شاهدتين على إعطائه الرزق .

- وذلك حتى تعلم أنه أصل الرزق ، حتى يبحث عنـه كـل مـن هـو بـاحث عـن الرزق .

- فاطلب الرزق منه ، لا مـن زيـد ومـن عمـرو ، واطلـب السـكر منـه ، لا مـن المخدر ولا من الخمر .

- واطلب الغنى منه ، لا من الكنز والمال ، واطلب النصرة منـه ، لا مـن العـم والخال .

-إنك سوف تفارق هؤلاء كلهم ، إنتبه .. من سوف تدعو في تلك اللحظــــة .

١٥٠٠- فادعـه مـن الآن ، ودعـك مـن البـاقين ، حتـى تصبـح وارثـا لملـك الدنيـــــا .

- فما دام يومٌ سوف يأتي يفر المرء فيه مـن أخيـــــه ، ويهـرب المولـود مـن أبيـــــه ؛

- ولذلك يصبح كل صديق آنذاك عدوا ، إذ كان صنمـا لـك ومانعـا فـي طريقـك" إلى الله " .

- وأنك كنت تشيح بوجهك عن الذى صور الوجه " الحسـن " ، لأنـك كنـت تجـد أنس القلب من صورة .

- والآن اذا إنقلب أصحابك أعداء لك ، وتحولوا عنك ، ولجوا في الخصومة ؛

١٥٠٥- فهيا قل : الآن سعد زماني ، أن ما كان سيحدث في الغد قد حدث اليوم

- لقد صار أهل الدار أعداءً لي ، حتى صارت القيامة بالنسبة لي واقعا مسبقـــا

– وذلك قبل أن أخســـــــر أيامي ، وأنهي عمرى وأنا بينهم .

– لقد كنت شاريا لبضاعة معيوبة ، والحمد لله أن اكتشفت عيبها مبكرا .

– وذلك قبل أن تضيع ثروتي من يدى ، وفي النهاية أفاجأ بأنها معيوبة .

١٥١٠– "ويقال لي" : لقد ضاع المال وضاع العمر أيها الحسيب النسيب ، لقد بذلت المال والروح من أجل سلعة فاسدة .

– و"أرى " أنني أعطيت المال وأخذت ذهبا مغشوشا ، وأخذت أمضي به فرحا سعيدا نحو الدار .

– فالشكر " لله" أن هذا الذهب المزيف قد كشف الآن ، وذلك قبل أن يمضي من عمرى أكثر" مما مضى".

– ويبقى الزائف في رقبتي إلى الأبد ، وأتحسر على أنني قد أضعت عمرى فيه

– وما دام الذهب قد أبدى زيفه لي مبكرا ، لأبتعد عنه إذن بأسرع ما يمكنني .

١٥١٥– وعندما يبدى صديقك لك العداوة ، ويطفح عليه جرب حقده وحسده .

– لا تصرخ أنت شاكيا من إعراضه هذا ، ولا تجعل نفسك بهذا جاهلا أبله .

– بل أشكر الله ، ووزع الصدقات(١) ، أنك لم تعمر معه طويلا في جوال واحد

– وأنك خرجت من جواله سريعا ، حتى تبحث عن رفيق الصدق السرمدى .

–ذلك الصديق المخلص الذى من بعد موتك ، يصبح حبل صداقته أكثر إحكاما وقوة .(٢)

١٥٢٠– وربما يكون ذلك الصديق سلطانا أو ملكا رفيع الشأن ، أومقربا لدى السلطان ، مقبولة شفاعته.

– لقد نجوت من المزور المحتال الماكر ، ورأيت زيفه عيانا بيانا قبل الأجـــــل

---

(١) حرفيا : الخبــــز .

(٢) حرفيا : ثلاثي الخيط .

– وذلك الجفاء الذى يبديه لك الخلق في الدنيا – لو تعلم – هو كنز ذهبي خفي من أجلك .

– ولقد جعل الناس يكونون معك على هذا النسق من سوء الخصال ، حتى تضطر إلى اللجوء إلى تلك الناحية .

– واعلم يقينا أنهم جميعا في النهاية ، سوف يتحولون إلى خصوم وأعداء ، وعصاة لك .

١٥٢٥– وتبقى أنت في صراخ وعويل وأنت في اللحد ، داعيا الأحد قائلا : ﴿ رب لا تذرني فردا ﴾.

– يا من جفاؤك أفضل من عهود الأوفياء ، كما أن شهد الأوفياء من عطائك أيضا .

– فاستمع إلى نصائح " عقلك " يا صاحب الأهراء ، وأودع قمحك أرض الله .

– حتى يأمن اللص ويأمن السوس ، واقتل شيطان " الهوى " سريعا وأرضة " العقل والتدبير " .

– فهو الذى يخوفك في كل لحظة من الفقر ، فصده كالقطا أيها الصقر الشجاع .

١٥٣٠– ومن العار لبازى السلطان العزيز الموفق ، أن يكون صيدا لقطاة .

– لقد أوصاهم " ذلك الأب " كثيرا وألقى ببذور الوعظ ، لكنه لم يجد نفعا ، فقد كانت أرضهم بورا .

– فإنه إن كان للناصح مائة " نصيحة " داعية ، ينبغي لنصحه أذن واعية .

– وإلا فإنك تنصح المرء بمائة تلطف ورقة ، وهو يهز كتفيه استهانة بنصحك .

– وإن إنسانا واحدا معرضا عن الاستماع من جدله ورفضه ، يصيب بالإحباط مائة من المتحدثين .

١٥٣٥- ومن يكون ألطف لهجة وأكثر نصحا من الأنبيـاء ، أولئك الذين أثـرت أنفاسهم الربانية حتىفي الحجر

- ذلك أن الجبل والصخر قد تأثروا بهم وجاوبوهم ، لكن قيد المدبر لم يفك عنه

- وكذلك تلك القلوب التـي ديدنهـا " الإحسـاس بـالذات " وقـول أنـاونحن ، صـار الوصف " الصادق" عليها أنها أشد قســــــوة " من الحجارة " .

بيان أن عطاء الحق والقدرة ليسا موقوفين على القابلية ، لأن العطاء قديم والقابلية حادثة ، والعطاء صفة الحق والقابلية صفة المخلوق ، ولا يكـــون القديم متوقفا على الحادث ، وإلا استحال الحدوث .

- والحل بالنسبة لذلـك القلـب " القاسـي " عطـاءٌ مبـدل ، والقابليـة ليست شـرطا لعطائه .

- لكن عطاءه هو الشرط للقابلية ، فالعطاء لب ، والقابلية هي القشـــــر .

١٥٤٠- وأن تصيير العصا لموسى عليه السلام ثعبانا، وتصيير كفه مشرقة كأنها الشمس ،

- ومئـات الآلاف مـن معجـزات الأنبيـاء ، تلـك التـي لا تسـتوعبها ضمائرنـا وعقولنــــا؛

- ليست من الأسباب ، لكنها من تصريف " المشيئة " الإلهيـــــة ، ومتى كـانت هناك قابلية للمعدومات ؟

- وإذا كانت القابلية شرطا لفعل الحق ، لما خُلق موجود قط من العدم .

- ولقد وضع سنة للطالبين تحت هذه الخيمة الزرقاء وأسبابا وطرقـــــا !!

١٥٤٥- والأمور بأغلبها تجرى طبقا لسـنة " اللـه" ، لكـن القدرة أحيانـا تخـرق السنة .

- لقد وضع سنة وعادة ذات نسق ونظام ، ثم خلق المعجزة كخرق للعادة و"السنة " .

- وإذاكان العز لا يصل إلينا دون سبب ، فإن القدرة على عزل السبب ليست منتفية .

- فيا أسير السبب ، لا تحلق بفكرك خارج السبب ، لكن لاتظن أن " فعله " عاجز عن الاستغناء عن السبب .

- فإن كل ما يشـــاءه هذا المسبب يفعله ويأتي به ، فإن القدرة المطلقة تمزق الأسباب .

١٥٥٠- لكنه يجعل " نفاذ" أمره جاريا على الأسباب ، حتى يعلم الطالب البحث عن المراد .

- فإن لم يكن ثم سبب ، فأى طريق يبحث عنه المريد ؟ ومن هنا ينبغي أن يكون السبب واضحا في الطريق .

- وإن هذه الأسباب مجرد حجب على صنعـــه ، فليست كل الأنظار جديرة بالنظر إلى صنعه .

- إذ تبتغي بصيرة نفاذة فيما وراء الأسباب ، حتى تقشع الحجب من جذورها وأصولها .

- حتى تبصر المسبب في اللامكان ، وتعتبر الجهد والكسب والتجارة من قبيل الهزل .

١٥٥٥- وأن الخير والشر كليهما يصلان من المسبب ، فلا أسباب هناك ولا وسائط أيها الأب .

- اللهم إلا خيالات وأوهام متراكمة على طريق الحياة ، حتى يبقى عهد الغفلة ردحـــا من الزمان .

في ابتداء خلق جسد آدمﷺ عندما أمر الحق سبحانه وتعالى

جبريل بأن يمضي ويأخذ من هذه الأرض قبضة من التــــــراب

وفي رواية : من كل ناحية منها قبضة من التراب

– عندما أراد الصانع الخالق خلق البشـــــــر ، من أجل ابتلائهــــــم بالخير والشر .

– قال لجبريل الصدق : إمض ، وخذ قبضة من تراب الأرض ، و" ايت به" كرهينـــــة .

– فشمر عن ساعد الجد ، ونزل إلى الأرض حتى ينفذ أمر رب العالمين .

١٥٦٠– ومد يده نحو التراب ذلك الحامل لأمر الله ، فجمع التراب نفسه وانكمش حذرا خائفـــــا .

– ثم انطلق في الحديث متضرعـــــا قائلا : بحق حرمة الخلاق الفرد .

– دعني وامض ، وهبني روحي ، وحول عني عنان جوادك الأشهب .

– فبالله دعني ، ولا تحملني في مزالق التكاليف والمخاطـــــــــر .

– بحق ذلك اللطف الذي به اصطفاك الحق ، وجعل علم اللوح الكلي مكشوفا لك

١٥٦٥– حتى أصبحت معلما للملائكة ، وكنت دائمـــــا متكلما مع الحق .

–و" بحق" أنك سوف تصير سفيرا للأنبيـــــاء ، وأنك حياة نور الوحي ولست بالبدن .

– والفضل لك على إسرافيل لأنه حياة الجسد وأنت حياة الروح .

– وإن نفخة الصور هي نشأة الأجساد ، لكن نفختك أنت نشأة للقلب الفريد .

– وروح روح الجسد حياة للقلب ، ومن ثم فإن عطاءك أفضل من عطائـــــه .

١٥٧٠– ثم إن ميكائيل هو الذي يوزع رزق الجســـــد ، لكن سعيك أنت يهب رزق القلب المنيـــر .

- إنه قد ملأ الحجر من عطاء يكال بالكيل ، لكن عطاء رزقك أنت لا يستوعبه كيـــــل .

- وأنت أيضـــا أفضل من عزرائيــــل صاحب القهر والغضب ، ذلك لأن الرحمة سبقت الغضب .

- وأنتم الأربعة حملـــــة العرش ، وبانتباهك ، أنت أيها المليك أفضـــــل هؤلاء الأربعة .

- ومن يحملون العرش يوم القيامة ثمانيـــــة ، وأنت أفضل الثمانية في ذلك الوقت .

١٥٧٥- وهكذا لأخذ يعدد "مناقبه" ويبكــــي ، وكان هو يفهم طرفا مــن المقصود من هذا " الرجاء" .

- وكان جبريل معدنا للحياء والخجل ، وسدت عليه الأيمـــــان السبل .

- ومن كثرة ما تضرع إليه " التراب" وأقسم عليه بالأيمـــــان ، عاد " جبريل" وقال: يا رب العبـــــاد ؛

- لم أكن أنا بالذى يهمل تنفيذ أوامرك ، لكنك أعلم بما جـــــرى .

- لقد ذكر الاسم الذى من هوله أيها البصيـــــر ، تتوقف الأفلاك السبعـــة عن المسير .

١٥٨٠- فاستحييت ، وخجلت من اسمك ، وإلا فنقل قبضة من الطين أمــر يسيـــــر .

- ذلك أنك قد وهبت الملائكـــــة ، قوة يستطيعون بها تحطيم هذه الأفلاك (١)

---

(١) ج/ ١١-٥٠١:- وأى قدر لقبضة التراب وأية قوة لهـــــا للوقوف أمامك ، لكن الرحمة غلبت .

إرسال ميكائيل لقبض حفنة من التراب من الأرض من أجل تصوير الجسد المبارك لأبي البشر خليفة الحق الذى سجدت له الملائكة الذين علمهم آدم عليه السلام

- قال لميكائيل : إهبط أنت ، واختطف من الأرض قبضة من التراب كالأسد .

- وعندما انتقل ميكائيل إلى الأرض ، مد يده لكي يختطف تلك القبضة .

-فارتعد التراب ، وأخذ يجد في الهرب ، وصار متضرعا نائحا ذارقا للدمع .

١٥٨٥- ولقد تضرع بجد وجهد وصدر محترق ، وأقسم عليه ، يسبقه دمعه الدامي .

- وقال : بحق الإله اللطيف الذى لا ند له ، والذى جعلك حاملا للعرش المجيد .

- ومشرفا على كيل الأرزاق في الدنيا ، ومغرقا " بالفضل " للظامئين إلى فضل الإله .

- ذلك أن اسم ميكائيل قد اشتق من الكيل ، ومن هنا صار كيال للرزق .

- " بحقه " هبني الأمان ، ودعني حرا ، وانظر إليّ أخاطبك وأنا مضرج بالدماء .

١٥٩٠- وقال الملاك " المخلوق " من معدن رحمة الإله : كيف أنثر الملح على هذا الجرح ؟

- وهكذا فكما أن الشيطان هو معدن القهر ، إذ يجعل بني آدم يجأرون بالصراخ .

- والرحمة قد سبقت الغضب أيها الفتى ، كما أن اللطف يغلب على وصف الإلـــــه .

- ولا بد لعبيده أن يتخلقوا بخلقـــــه ، ما دامت قربهم مليئة بمـــــاء جدوله .

- وذلك الرسول الحق مرشد السلوك قد قال : الناس على دين ملوكهـــــم .

١٥٩٥- فذهب ميكائيل صوب رب الدين ، خاوى اليد ، خالي الوفاض مما طلب منه .

- وقال: يا عالما بالســـــر ، أيها الملك الفرد ، لقد قيد التراب " يدى " ببكائه ونواحه .

- ودمع العين عندك - يا إلهــــي - ذو قدر ، وأنا لم أستطع تجاهل سماع " ضراعته " .

- وللآهـــــة والنواح عندك قيمة كبيـــــرة ، لم أستطع أنا التجاوز عن حقوقها

- والعين الدامعة ذات احترام كبير عندك ، فكيف أعاند أنا وأجادل بشأنها .

١٦٠٠- إن الدعوة إليّ لضراعة موجودة خمس مرات في اليوم ، إنها تقول للعبد : أدخل في الصـــلاة ، ونح ضارعا .

- وإن المؤذن ليصيح حي على الفلاح ، وهذا الفلاح هو التضرع ،واستجلاب الفضل .

- وذلك الذى تريد أن تؤلمه من حزنه وهمـــــه ، فإنك تسد طريق الضراعة أمام قلبـــــه .

- حتى ينزل به البلاء دونما شيء يدفعـــــه ، عندما لا يكون لديه شفيـــــع من الضراعة .

- وذلك الذى تريد أن تشريـــــه من البلاء ، تدفع روحه دفعا إلى التضرع والاستغاثـــــة .

١٦٠٥- وقلت في القرآن أن تلك الأمم التى حل بها ذلك الغضب الجبار "والعذاب الهون" .

- لأنهم لم يكونوا يتضـــــرعون في ذلك الوقت، " إلى الله" حتى يرد عنهم البـــــلاء .

- ولأن قلوبهم كانت قد قست ، كانت ذنوبهم هذه تبدو عبادة " للـــــــه " .

- وما لم يعرف نفســـه ذلك المجرم العنيـــد ، فمن أين له أن يعلم أن يجرى الدمع من عينيه .

قصة قوم يونس ﷺ بيان وبرهان على أن التضرع والنواح دافعان للبلاء السماوي ، والحق تعالى فاعل مختار ، ومن ثم يفيد التضرع والنواح لديه . ويقول الفلاسفة هو فاعل بطبع وعلة وليس مختارا، ومن ثم فإن التضرع لا يغير الطبـــع

- عندما ظهر البلاء لقوم يونس ﷺ ، انفصل عن السماء سحابٌ مليءٌ بالنار .

١٦١٠- وأخذ يلقي بالبرق والصواعق فيحرق الحجارة ، وأخذ السحاب يرعد فتشحب الوجوه .

- كانوا جميعا على سطوح " منازلهم " ليلا، عندما ظهرت تلك الكرب والكوارث من فوقهم .(١)

- فنزلوا جميعا من فوق السطوح ، ومضوا عراة الرؤوس إلى الخلاء .

- وأخرجت الأمهات أطفالهن ، حتى يقوموا جميعا بالضراعة والدعاء والاستغاثـــــة .

- ومنذ صلاة العشاء وحتى طلوع الفجــــر ، أخذ هؤلاء الناس جميعا يحثون رؤوسهم بالتراب .

١٦١٥- ومن بعد اليأس والآهات المرة ، أخذ السحاب في الانقشاع قليلا قليلا .

---

(١) ج/١١-٥١٢:- عندما كان يونس ﷺ قد مضى عنهم ، وذلك من جحودهم لله وحقدهم - لكنهم عندما رأوا أمارات البلاء ، بدأوا في الضراعة والدعاء ..

- إن قصة يونس ﷺ طويلـــة مفصلـــة ، والوقت وقت " قصة" تراب" آدم" والحديث المستفيض عنه .

- وإذا كان للتضرع هذه الاقدار عند الله ، ففى أى مكان آخر يكون للنواح قيمته هناك ؟

- فهيــا ، إنهض ، واستعد سريعا للرجاء والأمــل ، وانهض أيها الباكى ، واضحك دائما .(١)

١٦٢٠- فإن الملك المجيــد ، يسوى الدمع فى الفضل بدم الشهيد .(٢)

إرســال اسرافيل ﷺ إلى الأرض قائلا له : خذ حفنة من التراب من أجل تركيب جسد آدم ﷺ

قال إلهنـــا لإسرافيل : إمض ، واملأكفك من التراب ، وتعـــال .

- فجاء اسرافيل بدوره صوب الأرض ، وبدأت الأرض مرة أخرى فــي التوسـل قائلـــة :

- يا ملاك الصــور ، ويا بحر الحيـــاة ، ويامن نفخك الصور ، يجد الموتـى الحياة والنشـــور .

- ومن نفخة واحدة في الصور ينطلق صوت عظيم ، ويمتليء المحشر بـالخلائق ، بعد أن كانوا من الرميم .

١٦٢٥- إنك تنفخ في الصـــور مناديا : هلموا إليّ ، إنهضوا يا قتلى كربـلاء " الدنيــا " .

---

(١) ج/١١-٥١٢:- وكن ملازما للضراعة حتى تصبح فرحا ، وابك ، حتى تصير ضاحكا بلا فم .

(٢) ج/ ١١-٥١٢:- وكلتضرع يكون مع حرقة وألم يؤثر في المرء . لقد تضرع وذرف الدمع من عينيه ، فعلت الرحمة وسكنت ذلك الغضب.

- يا من هلكتم بسيف الموت ، أطلوا برؤوسكم من التراب " كما تطل " الأغصان والأوراق .

- وبرحمتك ونفختك الجذابة تلك ، يمتلىءالعالم بمن قد أحياهم " نفيرك " .

- إنك ملاك الرحمة ، فأظهر الرحمة ، وأنت حامل للعرش ، وقبلة للعطايــــا

- والعرش موضع لمعدن العطـــــاء والعدل ، وتحته أربعة أنهار من المغفرة .

١٦٣٠- نهر من لبن ونهر من عسل خالد ونهر من الخمر ونهر كدجلة من الماء الجارى العذب .

-ثم تجرى من تحت العرش داخل الجنـــــة ، ويظهر منها النذر اليسير في الدنيـــــا .

- بالرغم من أن هذه الانهار الأربعة ملوثة هنا ، مم ؟ من سم الفناء المهلك غير السائغ .

-ولقد صبت من تلك الأنهار الأربعة على التراب الكدر ، وأثيرت بذلك الفتنــة

-حتى يبحث عن أصولها أولئك الأخســاء ، لكنهم قنعوا بالأربعة الموجودة هنا ، هؤلاء الأدنيـــــاء .

١٦٣٥- ولقد أعطى اللبن من أجل تربية الأطفــــال ، وفجر عينا من صدر كل إمرأة .

- وجعل عينا من الخمر في الكرم ، لكى يجترىء بعضهم ، ويشربون منها لدفع الحزن والهم .

- وجعل من باطن النحل عينا للعســل ، وفيه شفاءٌ للأبدان المريضـــــة .

- وأعطى الماء للناس جميعــــا بأصولهم وفروعهم ، من أجل التطهر ومن أجل الشرب .

- حتى تتتبع آثارها حتى الأصول ، لكنك قنعت بما هو هنا يا ذا الفضول .

١٦٤٠- فاستمع الآن إلى قصة التراب ، ماذا يقول من رجاء يحرك " القلوب "

- لقد قطب وجهه وعبس أمام إسرافيل، وأخذ يقوم بمائة نوع من التشكل والنفاق

- وقال له : بحق ذات الجلال الطاهرة ، لا تجعل هذا القهر حلالا عليّ.

- إنني أشم رائحة ما من تقليبك إيـــــاى ، وثمة ظن سيء يسرع إلى ذهني .

- إنك ملاك الرحمة فارحم ، فإن الطائر الملكي لا يؤذى طائرا صغيرا .

١٦٤٥- يا شفاء ورحمة لأصحاب الألــــــم ، إفعل أنت أيضا ما فعله ذلك المحسنـــــــان .

- فعاداسرافيل سريعا إلى المليك ، وقص عليه ما حدث واعتذر لـــــه "قائلا" :

- إنك أمرت في الظاهر أن خذه ، لكنك ألهمت الضمير بعكس أمرك هذا .

- لقد كـــان أمرك لـلأذن أن إمـض واقبضـــــــه ، لكنـك نهيـت اللـب عـن القســـــوة .(١)

-والرحمة سبقت الغضب وغلبتـــــه ، يا بديع الأفعال ، ويا أيها المحسن الرب .

إرسال عزرائيل ملك الحزم والعزم لحمل حفنة من التراب من أجل أن يسوى منها سبحانه وتعالى جسم آدم ﷺ على وجه السرعة

١٦٥٠- قال الإلـــــه على وجه السرعة لعزرائيـــــــل ، أنظر ذلك التراب صاحب الخيال والأوهــــام .

- والحق بتلك الضعيفة الظالمة العجوز ، واحضر إليّ سريعا قبضة من التراب

- وذهب عزرائيل قائد القضـــــــــاء نحـو كـرة الـتراب مـن أجـل المطالبـة والاقتضـــــاء .

- فبدأ التراب على عادته في الصــــراخ ، وأقسم عليه ، وأغلظ في الأيمـــــان

---

(١) ج/ ١١- ٥١٦:- ورحمته بلا حد ولا نهايـــــــة ، إنه حكيم وكريم ورحيم .

– قائلا : أيها العبد المقرب ، يا حمال العرش ، ويا مطاع الأمر في العرش والفرش .

١٦٥٥– إمض بحق حرمة الرحمن الفرد ، إمض بحق ذلك الذى تلطف معك .

– بحق المليك الذى لا معبود سـوا ه ، والذى لا ترد عنده ضراعة أحد .(١)

– قال : إننى لا أستطيع بهذا الرجاء والدعاء ، أن أعصى آمر السر والعلن .

– قال " التراب " : إنه أمر بالحلم آخـرا ، وكلاهما أمـر ، فخذ الأمر بالحلم عن طريق العلم .

– قال " عزرائيل " : هذا تأويل وقياس ، وعليك في الأمر الصريح أن تقلل البحث عن الغموض والإلتباس .

١٦٦٠– ومن الأفضل لك أن تؤول ما يعن لك من فكـر ، من أن تقوم بتأويل غير المتشابه هذا .

– وإن قلبي ليشفق من ضراعتك ، ومن دمعك ، إمتلأ صدرى دمـا .

– ولست خاليا من الرحمة ، بل إنني أكثر رحمة من أولئك الثلاثة على ألم الذى يعانى ويقاسى .

– وبالرغم من أني أقوم بصفع ذلك اليتيم ، وبالرغم من أن ذلك "الرجل " الحليم يعطيه الحلوى ؛

– فإن هذه الصفعة ألذ من تلك الحلوى ، وإن خدعته الحاوى ، فالويل له .

١٦٦٥– إن كبدى ليحترق شفقة وتأثـرا بضراعتك ، لكن الحق لا يفتأ يعلمنى اللطف .

– وهناك لطفٌ خفي في أنواع القهر ، وهناك عقيق لا يقدر بثمن مخفيٌ في الحدث .

---

(١) ج/ ١١– ١٩ه:– وبحق حق الحق أن ترفع يدك عنى ، يا من لك من الحق فضائـل بلا عدد .

-وقهر الحق أفضل من مائة حلم منى ، ومنع الروح عن الحق ، هو بمثابة نـزع الروح .

– وأشد قهر منه أفضل من حلم الكونين ، فنعم رب العالمين ، ونعم العون .

– وهناك ألطاف مضمرة في قهره ، وتسليم الروح من أجله ، يمد في العمر .

١٦٧٠– فهيا ، إنتبه ، ودعك من سوء الظن والضـــلال ، واجعل الرأس قدمـا " ساعيا إليه " ما دام قد قال لك تعـــــال .

– والإستدعاء منـه يهب كثيرا مـن العلـو والسمو ، إنـه يهب النشـوة والقريـن والبسط والزرابي .

– وإنني لا أجرؤ على تجاهل هـذا الأمـر السـني أو الإستهانة بـه ، أو أن أكـون معوجا ضالا بشأنه .

– ولقد سمع التراب المسكين كل هذا ، لكن كـان فـي أذنيـه وقـر ، مـن الظـن السيء.

– ثم إن ذلك التراب أخذ يبكي ويتضرع بطريقة أخـرى ، ويسجد ويتمـايل كأنـه السكران .

١٦٧٥– قال : لا ، إنهض ، فلن يحيق بك ضرر من هذا الأمر ، وأناضامن لـك هذا برأسي وروحي .

– لا تفكر عبثا ، ولا تتضرع ثانية ، اللهم إلا إلى ذلك الملك الرحيم العادل .

– إنني عبد للأمـــــر ، ولا أجرؤ على مخالفـة أمـره ، ذلـك الأمـر الـذى أثـار الغبار من قلب البحر .

– ولا أسمع إلا من ذلك الخالق للسمع والبصر والعقـل ، ولا أسـمع – حتـى مـن نفسي – إلى الخير والشر .

– إن أذنـــي صماء إلا عن قولـــــه ، وهو عندى أعز من الروح الحلوة .

١٦٨٠- فقد وهبت الروح منه ، ولم يوهب هو من الروح ، وهو يهب مئات الآلاف من الأرواح بالمجان .

- وماذا تكون الروح حتى أختارها على الكريم ؟ وماذا يكون البرغوث حتى أحرق من أجله الكليم ؟

- فأنا لا أعلم خيرا إلا خيره ، وأنا بدونه أصم وأبكم وأعمى .

- وأذنى صماء عن أولئك الذين يستغيثون ، فأنا في كفه كأنني السنان .(١)

بيان أن المخلوق الذي يحيق بك ظلم منه هو في الحقيقة كالآلة ، والعارف هو الذي يرجع إلى الحق لا إلى الآلة ، وإذا رجع إلى الآلة فذلك في الظاهر فحسب ، ومن أجل مصلحة ، كما قال أبو البيزيد: لي سنوات لم أتحدث مع مخلوق ولم أسمع كلمة واحدة من مخلوق ، لكن الخلق يحسبون أني أتحدث معهم وأسمع منهم ، لأنهم لا يرون المخاطب الأكبر ، فهم عند حالي بالنسبة له كالصدى ، ولا يهتم المستمع العاقل بالصدى . كما يقول المثل المعروف قال الجدار للوتد لم تشقني ، قال الوتد : أنظر إلى من يدقني

- لا تطلب الرحمة بحمق من السنان ، بل أطلبها من ذلك المليك الذى يكون السنان في يده .(٢)

١٦٨٥- فما بالك تتضرع إلى السنان والسيف ، مع أنه أسير" في يد ذلك السني

- إنه " آزر" في صنعته وأنا الصنم ، والآلة التي يجعلنى إياها أكون إياها .

- فإن جعلني كأسا ، أكون كأسا ، وإن صنع منى خنجرا أصير خنجرا .

- وإن جعلنى نبعا فإنني أفيض بالماء ، وإن جعلني نارا ، أهب الدفء .

- وإن جعلني مطرا أهب البيادر ، وإن جعلني سنانا أنفذ في الأجساد .

---

(١) ج/١١-٥٢٠: الشطرة الثانية : وأمضي إلى فم الأفعى من أجله .

(٢) ج/١١-٥٢٠:- لا تطلب الرحمة من حد السيف ، بل من الملك الذى هو له في يده كالصولجان .

١٦٩٠- وإن جعلني حيـــــة أنفـث السـم ، وإن جعلنـى عونـا وسـندا أقـوم بالخدمـــــة .(١)

- إنني كالقلم بين الإصبعين ، ولست بالمتوسط في صف الطاعة .

- ولقد شغل التراب بالكلام ـ ثم اختطف قبضـــــة من ذلك التراب القديم .

- لقد اختطفها بسحر من موطـن الـتراب ، والـتراب يهذى بـالكلام كمـن فقـدوا الوعي .

- وحمل حتى حضرة الحق التراب الذى لاإرادة لـه ، حملـه كمـا يحمـل الطفـل الهارب من المكتب .

١٦٩٥- قـال اللـه سـبحانه وتـالى : بحـق علمـي المطلـق ، لأجعلـن منـك جـلادا لهؤلاء الخلق .

- قال: يا رب ، إن القوم سوف يعادونني ، عندما آخذ بحلوقهـــم عند الموت .

- فهــل ترضـى أيهــا الإلــــه السـني ، أن تجعلنـى عـدوا مبغوضـا كريـه الوجــــه ؟

- قال : بل لأجعلن " للموت" أسـبابا ظـاهرة للعيـــــان ، مـن الحمـى والقولنـج والدوار و" طعان " السنان .(٢)

- حتى أحول أنظارهم عنك ، إلى الأمراض والأسباب والعلل المتداخلة .

١٧٠٠- قال : يا رب ، هناك أيضا من العباد ، من يمزقون حجب الأسباب أيهـا العزيـــز .

- تتجاوز عيونهم الأسباب وتتجاوز الحجب من فضل الرب .

---

(١) ج/١١-٥٢٦:- وإن جعلني سكرا ، أصبح حلوا ، وإن جعلني حنظلا أمتليء حقدا .- وإن جعلني شيطانا أعصى وأتمرد ، وإن جعلني محرقا أصبح نارا .

(٢) ج/١١-٥٢٧:- ومن الصداع والورم الدموى والخناق ، والزكام والجذام والفواق .- والسدة والديدان والاستسقـــاء والسل ، وكسر ذات الصدر واللدغ ووجع القلب .

– ومن وجد كحل التوحيد من كحال الحال ، فقد خلص " مـن التفكير" فـي العلـة والاعتـــــلال .

– فهم لا ينظرون إلى الحمى والقولنج والســـــل ، ولا يتركون سبيلا لهذه الأسباب إلى قلوبهم .

– ذلك أن لكل واحد من هذه الأمراض دواءا ، وعندما لا يقبل المرض الـدواء ، فالفعل إذن هو فعل القضــاء.

١٧٠٥– فاعلم يقينا أن لكل داء دواء ، مثلما يكون علاج البرد بلبس الفراء .

– وعندما يريد الله لامريء أن يتجمد من البرد ، فإن البرد ينفـذ حتـى مـن مائـة فراء .

– ويضـــــع في جسده رعدة ، لا تذهب عنه بثوب أو بدار .

– وعندما يحم القضـــــاء ، يصبح الطبيب أبله لا يعي شيئا ، بل ويضل ذلك الدواء طريق النفع .

– بحيث يصبح إدراك البصير محجوبا ، عن هذه الأسباب التي هي خداعُ للأبلــــــه .

١٧١٠– وإن العين ترى الأصـــــل عندمـا تكون كاملـة ، وعندمـا يكـون المـرء أحول لا يرى إلا الفروع .

جواب الله على عزرائيل : إن من لاوجه نظره إلى الأسباب والأمراض والطعن بالسيف فإنه لا يقع عليك أيضا ، لأنك سبب مهما كنت أخفى من تلك الأسباب ، وربما يكون خفيا على المريض لقوله تعالى : وهو أقرب إليكم ولكن لا تبصـــرون (١)

– قال الله : ذلك الذى يكون عالما بالأصــــــل ، متى يراك إذن بيننــــا ؟

---

(١) هكذا في النص ، والآية الكريمة هي : (ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصـــــرون) . الواقعة /٨٥.

- وبالرغم من أنك أخفيت نفسك عن العوام ، فإنك أمام المستتيرين " مجرد" حجاب و "سيب" .

- وأولئك الذين يكون الأجل بالنسبة لهم كالسكر ، ما دامت أنظارهم نشوى بأنواع الإقبال .

- لايكون موت الجسد بالنسبة لهم أمرا مرا ، فإنهم يمضون من الجب والسجن إلى البساتين والرياض .

١٧١٥- لقد نجوا من الدنيـــا المليئة بالإلتواء والضلال ، ولا يبكي أحد على فوات هباء الهباء .

- فلو أن نقابا حطم برج السجن وهدمه ، لا يضيق بذلك أبدا قلب السجين .

- ولا يتحسر قائلا : وا أسفاه ، لقد حطم هذا الحجر المرمرى ، بحيث نجت نفوسنا وأرواحنـــا .

- ذلك الرخام الجميل وذلك الحجر الأصيل ، كان بهيا بالنسبة لبرج السجن منسجما معه .

- فكيف حطمه حتى نجـــا السجين ؟ ينبغي أن تقطع يده في هذا الجرم .

١٧٢٠- ولا يوجد سجين قط يتحدث بهذا الهـــراء ، اللهم إلا ذلك الذى يؤخذ من السجن إلى المشنقة .

- ومتى يكون مرا على الإنسان ، أن يُحمل من " موطن" سم الأفاعي إلى الشهد والسكر ؟

- لقد صارت الروح مجردة عن ضجة الجسد وضوضائـــه ، إنها تحلق بجناح القلب ، لاقدم الجسد .

- مثل ذلك السجين فى الجب ، الذى يقضى الليالى " الطوال " راقدا يحلم بالرياض والبساتين .

- إنه لا يفتأ يقول : إلهي ، لا ترجع روحي إلى الجسد ، حتى أصول وأجول في هذه الروضة .

١٧٢٥- فيقول الله له : لقد استجيبت دعوتك ، لا تعد ، والله أعلم بالصـــــواب

- فانظر إلى هذا الحلم كيف يكون حلوا ، أن يدخـل المـرء الجنـة دون أن يـذوق الموت .

- إنه لا يتحســـــر أبدا على اليقظـــــة ، وعلى الجسد المقيد بالأغلال فـي قـاع الجب .

- فادخل آخرا أيها المؤمن في المعمعــــــــة ، فـإن هنـاك فـوق السـموات حفـلا مقاما من أجلك .

- وقم آمــــلا في الطريق الأسمـــــــى ، " قيـام " الشـمع أمـام المحـراب ، أيهـا الغلام .

١٧٣٠- وداوم على ذرف الدمع والإحـتراق فـي الطلـب ، مثـل الشـمع مجـزوز الرأس ، طوال الليل .

- وأضمم شفتيك عن الطعــــام والشـــــراب ، واسرع نحو المائدة السماوية .

- وليكن ذلك الرجاء في السماء لحظة بعد لحظــــة ، "ولتكن" راقصا في هـوى السماء كأشجار الصفصاف .

- فإن الماء والنار يأتيانك لحظة بلحظة من السمــــاء ، فيزداد رزقك .

- وإذا حملك إلى هناك بعدها فـلا عجب ، ولا تنظـر إلـى العجـز ، وانظـر إلـى الطلب .

١٧٣٥- وهذا الطلب منك وديعــــة من الله ، لأن كل طالب جدير بما يطلب .

- وجاهد حتى يزيد - سبحانه وتعالى - في هذا الطلب ، حتى يخـرج قلبـك مـن جب الجســـد .

- ويقول الخلق : لقد مات فلان ..ذلك المسكين ، وتقول أنت : بل أنا حى أيهـــا الغافلين .

- وإذا كان جسدى قد ثوى كما تثوى الأجساد ، فإن الجنان الثمانية قد تفتحت في قلبي .

- وإذا كانت الروح قد استقرت بين الورد والنسرين ، فأى بأس وحزن أن يكون الجسد في ذلك البعر ؟

١٧٤٠- وأى خبر للروح الآمنة عن الجســـد ، سواء كان في روضة أو مستودع قمامـــة .

- ما دامت الروح في العالم السماوى تصيح : يا ليت قومي يعلمـــون .

- وإذا كـانت الروح لن تعيش دون هذا البدن ، فإيوان من إذن سوف يكون الفلك ؟

- وإذا كانت الروح سوف تعيش بدون البدن ، فرزق من إذن سيكون مصداقا لـ ﴿ وفي السماء رزقكم ﴾ ؟

في بيان وخامة دسم الدنيـا وحلوها ، ومنعه لطعام الله الوارد في [الجوع طعام الله يحيي به أبدان الصديقين] أى أن في الجوع طعام الله ، وقوله عليه السلام [أبيت عند ربي يطعمنــي ويسقينـــي] وقوله تعالى ﴿ يرزقون فرحين ﴾

- عندما تتخلص من فتات هذا الطعـــام الدنس ، فإنك تحصل على الدسم والقوت الشريف .

١٧٤٥- ذلك الذى إن أكلت من دسـمه آلاف الأرطـــال ، فإنك تمضـي خفيفـــا طاهرا كأنك الملاك .

- فلا هو يصيبك باحتباس الرياح أو القولنج ، ولا هو يؤدى بك إلى قعود " بألم " المعدة .

– وإنك إن أكلت " هنا" قليلا ، تظل جائعا كالزاغ ، وإن أكلت حتى امتلأت ، يأخذ التجشؤ بمجامع أنفك .

– فقلة الطعام تؤدى إلى ضيق الخلق واليبوسة والسل ، والشره إلى الطعام يؤدى إلى تخمة الجسد .

– ومن طعام الله والقوت المستساغ الهنيء ، صر كالسفينة ، طافيا على مثل هذا البحر .

١٧٥٠– وكن في الصوم صبورا صامدا ، منتظرا لحظة بعد أخرى قوت الله.

– فإن ذلك الإله الحكيم حسن الفعال ، يعطي الكثير من الهدايا في الإنتظار .

– والرجل الشبع لا ينتظر الخبز ، وهل يأتى قوته سريعا أو بطيئا متأخرا .

– لكن فاقد الزاد يقول في كل لحظة : أين ؟ وهو منتظر في جوعه في كد ونصب .

– وعندما لا تكون منتظرا لا يأتينك ذلك النوال من الدولة ذات السبعين ضعفا .

١٧٥٥– فالإنتظار الإنتظار أيها الأب ، من أجل المائدة العلوية كما يفعل الرجال

– وكل جائع قد وجد قوتا في نهاية الأمر ، وسطعت عليه شمس دولة ما .

– والضيف صاحب الهمة عندما يقلل في شرب الحساء ، يحضر له صاحب المائدة طعاما أفضل .

– اللهم إلا إذا كان صاحب المائدة فقيراً بخيلا ، فكفاك سوء ظن بالرزاق الكريم .

- واشمخ برأسك مثـــل جبل ، أيها " السـيد " السند ، حتـى يسطـع عليك أول شعاع من الشمس .

١٧٦٠- فإن قمة الجبـــل العالي المستقر ، هـي التـي تنتظـر الشـمس فـي أول سطوعها .

الجواب على ذلك المغفل الذي قال : ما أحلى هذه الدنيـــا لو لم يكن موت وما أحلى ملكها لو لم يكن إلى زوال . وعلى هذه الوتيرة من " الفشارات "

- كان أحدهم يقول : ما أحلى الدنيـــا ، إن لم يخطُ فيها الموت بقدميـــه .

- فقال آخر : إن لـم يكـن مـوت ، لمـا سـاوت هـذه الدنيـــا المليئـة بـالضلال قشـــة واحدة .

- وكأن بيدرا قد بُسط في واد ، وترك مهملا ، لم يُدرس ، ولم يُدق .

- ولقد اعتبرت الموت حيـــاة ، وألقيت بالبذور في الأرض البور .

١٧٦٥- والعقل الكاذب يرى الأمور علـى عكسهـــا ، ويـرى الحيـــاة موتـا أيها الظالـــم .

- فيا أيها الإله ، فلتبد لنا الأشيـــاء على حقيقتها في دار الخداع .

- ولا يوجد ميت قط يتحســـر بسبب الموت ، إنما تكون حسرته دائما من قلـة زاده .

- وإلا فإنه قد انتقل من بئـــر إلى خلاء ، بين ألوان الإقبال والمتعة والسعة .

- ومن موضع المأتم هذا والمقـــام الضيق ، قد نقـــل إلى الخلاء الواســـع

١٧٧٠- ومقعد الصدق لا إيوان الباطـــل ، وخمـر الخـواص ، لا السـكر مـن المخيض .

- لقد صار في مقعد الصدق وجليســـا للحق ، ونجا من معبد نار الجسد هذا .

- فإن لم تكن قد عشت حيــــاة مضيئـــة ، فقد بقيت فيها لحظة أو لحظتين ، فمت كالرجـــال .

فيما يرجى من رحمة الله تعالى ، معطي النعم قبل استحقاقها ﴿ وهو الذي ينـزل الغيث من بعد ما قنطوا ﴾ ورب بعد يورث قربا ، ورب معصية ميمونة ورب سعادة تأتي من حيث يرجى النقم ، ليعلم أن الله يبدل سيئاتهـم حسنات

- جاء في الحديث أنه في يوم القيامة ، يأتي الأمر لكل جسد أن : إنهـض " من جدثك " .

- ونفخ الصور أمر من الإله الطاهــــر ، معناه : أطلوا برؤوسكم أيها الخلائق من التراب .

١٧٧٥- وتعود روح كل امرىء إلى بدنه ، تماما كما يحدث في الصبـاح عندمـا يعود الوعي إلى البدن .

- وتعرف الروح جسدهـــا عندما يطلع النهـــار ، وتعـود إلـى خرائبهـا كمـا تعود الكنوز .

- إنها تعـرف جسـدها وتحـل فيـــه ، فمتـى تذهـب روح الصـائغ نحـو جسـد الخياط ؟

- وروح العــالم تمضــي صــوب العالـــم ، كمــا تسـعى روح الظــالم نحــو الظالـــم .

- فقد علمها كلها علم الإلـــه ، كما يميز -عند الصباح - الحملُ من الشاة .

١٧٨٠- والقدم تعرف نعلهـــا في الظــــلام ، فكيف لا تعـرف الـروح جسدها أيها الصنم .

- والصبح هو الحشر الصغير أيها المستجير ، وقس عليه إذن الحشر الكبير .

- وكما تطير الروح " عائدة" نحو الطين ، تحلق الكتب ذات اليسار وذات اليمين .

- ويوضع في كف " المرء" كتب البخل والجود ، وكتب الفسق والتقوى ، ما كان قد إعتاد عليه .

- وعندما يستيقظ من النوم عند السحر ، يرجع إليه ، ذلك الخير وذلك الشر .

١٧٨٥- فإذا كان قد عود خصاله على الرياضة ، فهى ما يأتى أمامه أوان يقظته .

- وإذا كان بالأمس غُفلا قبيحا في ضلال ، فإنه يجد كتاب العزاء الأسود في الشمال .

- وإذا كان بالأمس طاهرا تقيا ذا دين ، فإنه عند اليقظة يظفر بالدر الثمين .

- فإن منامنا ويقظتنا شاهدان على صفة موتنا وحشرنا .

- ولقد أبدى الحشر الأصغر الحشرَ الأكبر ، وفسر الموت الأصغر الموتَ الأكبر .

١٧٩٠- الكتاب هنا خفي و" مجرد" خيال ، ويصير ذلك الكتاب في الحشر عيانا بيانا .

-فهذا الخيال هنا خفي واضح الأثر ،ومن هذا الخيال تنبت هناك الصور .

- فانظر ، إن صورة الدار تكون في قلب المهندس ، كأنها بذرة في باطن التراب
- ثم تأتي تلك الصورة من الباطن إلى الظاهـــر ، كالأرض التى تلد من البـذر المدفون .
- وكل خيـــال يجعل من القلب موطنا ، سوف يتصـــور في يوم الحشـــر
١٧٩٥- مثل الخيال الموجـود عنـد ذلـك المهنـدس فـي الضمير ، وكالنبـات فـي الأرض القابلة للبذر .
- إن مأهدف إليه من الحديث عن هذين المحشرين موضوعا ما ، يكون في بيانه حصـــة للمؤمنين .
- وعندمـا تسـطع شـمس القيامــــة ، ينسلــــون مـن الأجـداث سـراعا ، الصالحون والطالحـــون .
- ويمضـــون ساعين نحو ديـوان القضــــاء ، ويدخـل النقد الصحيح والنقد الزائف إلى الكير .
- ويصبح النقد الصحيح الطيب سعيدا مكرمـــا ، أما النقد الزائف ، فيصير في عذاب وذوبـــان .
١٨٠٠- وتصل ألوان الامتحان لحظـة بعد أخرى ، وتبدو أسـرار القلوب فـي الأجســـاد .
- مثلما صار ظاهرا من القنديل الـماء والزيت ، أو كـالتراب الـذى ينبت " ما دفن فيه " من أســـرار.
- وإن يد الربيع لتبدى ما غرس في الشتـــاء ، من بصل وكراث وخس .
- فثمة ما يكون مخضرا نضـرا سعيدا مـن ﴿ نحـن المتقون ﴾ ،وآخـر كالبنفسـج ناكس الرأس .

– لقد جحظت العيون من " شدة " الخطـــــر ، وصار المطمئن شديد القلق[1] من الخوف المستقــــر .

١٨٠٥– وثمة عيون قد كلت مـن الإنتظـــــــار ، خوفا من تأتيها الكتب من الشمال .

– فالعيون دائرة ذات اليمين وذات اليســــار ، ذلك أن قدوم الكتاب باليمين ليس بالأمر السهـــل .

– وثمة كتاب يأتى إلى أحد العبــــاد ، أسود بأجمعـــه ، محشـو بالفسـق والفســـاد .

– ليس فيه حسنة واحدة أو عمل واحد موفق ، ليس فيه إلا ما يؤذى قلب الصديـــق .

– إنه مليء بالقبح والذنوب من بدايته إلى نهايته ، والسخرية والتصفيق استهزاءا من أهل الطريق .

١٨١٠– إنــه ملــيء بسـرقات ذاك وأنـواع إحتيالــه ومكــــره ، ويقـول هـذا كالفراعين " أنا " و" إنا " .

– وعندما يقرأ ذلك المثقل " بالذنوب " كتابـــه ، يعلم أن مآلـــه هو الرحيل إلى السجن .

– ثم يمضي إلى المشنقــــة كأنه اللصوص ، فجرمه ظاهر ، وقد سد طريق الإعتذار .

– وتلك الآلاف من الأعذار والحجج والأقوال المشينة ، صارت سدا لفمه كأنها مسمار السوء .

---

(١) حرفيا : ذا عشرة عيـــون .

- فالمتاع المسروق موجود على جسده وفي داره ، وقد كشف أمره ، وضاعت أسطورتـــــه .

١٨١٥- ثم يمضي سائرا نحو سجن السعيـــــــر ، فالشوك لا محيص لـه من النار .

- وهؤلاء الملائكة الموكلون من قدام ووراء ، كانوا في الدنيا مستورين ، فصاروا ظاهرين كالعسس .

- إنهم يحملونـه ويخزونـه بالمناخس قائلين : فلتمض أيها الكلـب نحـو حظائرك"الجديرة بك".

- وهو يجر قدمه في بداية كل طريق ، ربما ينجو من ذلك الجب " السحيق " .

- ويقف منتظـــــرا ، مستسلمـــــا ، ويتلفت حوله ، وينظر خلفه آمـــــــلا .

١٨٢٠- ويذرف الدمع " الهتون" كأمطار الخريف ، وأملـه واه الأساس ، وماذا لديه سواه ؟

- يتلفت كل لحظـة بوجهـــــه ، ويتوجه نحو العتبة المقدســــة .

- فيأتي الأمر من الحق من إقليـــــم النور ، أن قولوا له : أيها الفاسد العارى " من كل فضل " .

- ماذا تنتظر يا معدن الشـــــر ؟ وما إلتفاتك يا دائر الرأس .

- إن كتابك هو الذى جاء في يدك ، يا من قدمت الأذى لله والعبادة للشيطـــان

١٨٢٥- وما دمت قد رأيت كتاب أعمالك ، فإلى أى شيء تنظر ؟ أنظر إذن إلى جزاء عملك !!.

- ولماذا تتلكـأ عبثـــا ؟ وفي هذه الحفرة من الجحيم ، أى أمل في شعاع نور ؟!

– فإنك لم تقدم في ظاهر الأمر طاعة واحدة ، وليس لديك في باطنك نية " لفعل حسنة واحدة " .

– ولا أنت قدمت في الليل المناجاة والقيـــــام ، ولا كان لك في النهار تقى أو صيام .

– ولا أنت حفظت اللسان عن إيذاء الناس ، ولا كان لك نظرٌ باعتبار إلى ماهو قدامك وخلفك .

١٨٣٠– وماهو ذكرك لما هو قدامك ؟ إنه ذكرك لموتك ونزعك ، وما هو ذكرك لما هو خلفك ؟ إنه موت الرفاق من قبلك .

– ولا كان لك عن الظلم توبة " تجأر " فيها بالضراعة ، أيها الغشاش المحتال ، يا من تعرض القمح وتبيع الشعير .

– ومـــا دام ميزانك أنت كان مزيفا معوجا ، فأى إستقامة تطلبها من ميزان الجزاء ؟!

– وما دمت قد سعيت بشمالك في الغدر والخســــــران ، كيف يأتيك الكتاب إذن في يمينك ؟!

– ولما كان الجزاء بمثابة الظل يا محني القوام ، فإن ظلك يسقط أيضا منحنيا أمامك .

١٨٣٥– وعلى هذا المنوال يسمع موجع القــــول ، والذى منه يقصم ظهر الجبل .

– ويقول العبد : إن ما تفضلت به من بيان ، أنا " من السوء " مائة ضعف لـه ، مائة ضعف ، مائة ضعف .

– وأنت نفسك قد سترت ما هو أسوأ بحلمك ، وإلا فإنك تعلم فضائحي بعلمك .

- لكن خارج جهادى وخارج فعلـــــي ، ومن وراء الخير والشر والكفر والدين ،

- " وخارج " ضراعتي بعجز ، وما لا يدور في خيالي ووهمي أو وهم مائة مثلي ؛

١٨٤٠- كنت راجيـــا في محض لطفك ، بصرف النظر عن إستقامتى أو عتـــوى .

-" كنت أرجو " عطاءً محضا من اللطف الذى لا يعوضه " لطف " ، كنت آملا فيك يا مكرمـــا بلا غرض .

- ولقد إلتفت أنا إلى ذلك الكرم المحض ، وأنا لم ألتفت نحو " ما قدمت " من عمـــل .

- لقد إلتفت بوجهي نحو ذلك الرجـــاء الذى وهبني الوجود من قبل القبل .

- ووهبني خلعة الوجود بلا مقابل منى ، وكنت دائمـــا معتمـــدا على ذلك .

١٨٤٥- وعندما يعدد ذنوبه وأخطـــاءه ، فإن ذلك العطـــاء المحض يبدأ في العطـــاء .

- قائلاً : أيها الملائكـــة ، ردوه إلينـــا ، فإن عين قلبه كانت على الرجاء .

- ولننجـــه دون مـــبالاة منـــا ،" ولنتجاهل " كل هذه الخطايا ، ولنشطب عليها .

- فإن عدم المحاسبة إنما يباح لمن لا يصيبه نفع أو ضر من الغدر أو من الصلاح .

- ولنشعل نارا طيبة من كرمنا ، بحيث لا تبقى زلة أو ذنب ، قلا أو كثرا .

١٨٥٠- نارا من أقل شرر منها ، يحترق الذنب ، ويحترق الجبر والإختيـــار

- ولنضرم نارا في الأصل البشرى الإنساني ، ولنحول الشوك إلى روضة من رياض الروح .

- فنحن من الفلك التاسع قد أرسلنا كيمياء " تبديل " ، فحواها ﴿ يصلح لكم أعمالكم ﴾ .

- وأمام النور المستقر ، ماذا يكون في حد ذاته ، كر إختيار أبي البشر وفره .

- وقطعة من اللحم أداة للحديث عنده ، وقطعة من الشحم موضع البصر فيه

١٨٥٥- وموضع السمع فيه قطعتان من العظام ، وموضع إدراكه قطرتان من الدم ، أى القلب .

- إنه مجرد دودة صغيرة مليئة بالأقذار ، لكنه ملأ الدنيا بالضجيج والصخب

- لقد كنت نطفة من مني " يمنى " ، فاترك قولك " أنا" ، وتذكر يا إياز ذلك الرداء الجلدى .

قصة إياز وامتلاكه لحجرة ليحتفظ فيها بحذائه القديم وسترة الرعي الخاصة به ، وظن الحاشية أن له فيها كنزا مدفونا ، وذلك لإحكامه غلق الباب وثقل القفل

- لقد دفع ذكاء إياز إياه " على الاحتفاظ " بحذائه وسترته الجلدية " معلقين " على جدار .

- كان يمضى كل يوم إلى حجرة منزوية ، قائلا لنفسه : هذا حذاؤك القديم ، فلا تغتر .

١٨٦٠- فقالوا للملك : إن له حجرة " خبأ" فيها الذهب والفضة ، ودفن فيها الجرار .

- وهو لا يسمح لأحد بدخولها ، كما أنه يغلق بابها على الدوام .

– وقال الملك : عجبا لهذا الغلام ، ما الذى يخفيه عنا ويستره علينـــــــا ؟!

– ثم أمر أحد الأمراء قائلا : إمض فـي منتصف الليل ، فـافتح تلك الحجـرة ، وادخلهـــــا ؛

– وكل ما تجده فيهـــــا ، إنهبه ، وافش ســــــره للندمان .

١٨٦٥– فهو مع مثل هـذا اللطـف والإكـرام الـذى لاحـد لـــــه ، يخفـي الفضـة والذهب من لؤمه " وخستـــه " .

– ويظهر الوفـــــاء والعشـق والوجــــد ، فـي حين أنـه يعـرض القمح ويبيـع الشعير .

– وكل من يجد الحيـــــاة في العشق ، يكون كل ما سوى العبودية ، كفرا عنده .

– وفي منتصف الليل تشاور ذلك الأمير مع ثلاثين مـن خاصتـه فـي فتـح حجـرة إيــــاز .

– وحمل عدد من المقاتلين المشاعل ، ومضـــــوا نحو الحجرة فرحين .

١٨٧٠– قائلين : إن أمر السلطان هو أن نسطو على الحجــــرة ، ويحمـل كـل منا كيسا من الذهب .

– فكـان أحدهم يقـول : هـا ، أى ذهـب تقصد ؟ تحـدث عـن العقيـق واليـاقوت والجواهـــر .

– إنه كبير خواص خزانــــة السلطــــان ، بـل إنـه بمثابـة الـروح بالنسبــــة للملك .

– فأية قيمة عند ذلك المحظي المقرب للمرجان والياقوت والزمرد والعقيق ؟!

– لم يكن الملك يسيء الظن به ، لكنه كان يسخر ويهزأ ليمتحن "الأمـــــراء " .

١٨٧٥– لقد كان يعرف أنه برىء من الغل والغش ، لكنه كان مرتعد القلـب مـن ظنه أيضـــا .

– قائلا : ربما كان الأمر كذلك – لاقدر الله– ويتألم ، وأنا لاأريده أن يشعر بالخجل .

– إنه لم يفعل هذا ، وجائز له إن فعل ، قل له : إفعل ما تريد ، إنه محبوبنا .

– وكل ما يفعله محبوبي ، فقد فعلته أنا ، فهو أنا وأنا هو ، بالرغم من أنني محجوب عنه .

– ثم عاد يقول : إنه بعيد عن هذه الطباع والخصال ، ، ما هذا الخلط ؟ بل ما هذا الهذيان والخيال ؟!

١٨٨٠– إن هذا في حد ذاته يستبعد عن إياز ، بل هو محال ، إنه بحرٌ لا يسبر غوره .

– بل إن البحار السبعة قطرة واحدة منه ، وكل الوجود رشحة من موجه .

– وكل أنواع الطهر تُؤخذ من هذا البحر ، بل إن قطراته قطرة قطرة تقوم بكيمياء " التبديل .

– إنه ملك الملوك ، بل هو صانع الملوك ، وسمي " إياز " دفعا للحسد .

– بل إن العيون الطيبة لتحسده بدورها ، غيرة منه ، فإن حسنه بلا حد .

١٨٨٥– إننى أريد فما في سعة الفلك ، حتى أصف ذلك الذى يزرى بالملَك

– ولو أجد فما قدر هذا الذى أطلبه بل مائة ضعف ، فإن ما أحس به من حنين ، يضيق به الصراخ .

– ولو لم أقل هذا القدر أيضا أيها السند ، فإن زجاجة القلب تتكسر من الضعف .

- ولما رأيت زجاجة القلب رقيقة " هشة " ، لكي أسكن " ما بي " مزقت كثيرا من الأقبيـــة .

- وأنا – أيها المحبوب – ينبغي على أن أجن بلا جدال ، ثلاثة أيام على رأس كل شهـــر .

١٨٩٠- فانتبـــه ، هذا هو اليوم الأول ، إنه يوم النصر ، لا يوم الفيــــروز

- وكل قلب يحتوى على حزن المليك ، تكون كل لحظة كأول الشهر بالنسبة لـــه .

- وما دمت قد صرت مجنونا ، فإن قصة محمود وأوصاف إياز ، قد خرجت الآن عن إيقاع اللحن .

بيان أن ما نذكره هنا هو مجرد صورة القصة لكي تكون مناسبـة لمن يأخذون بالصورة وجديرة بمرآة تصويرهم ، ومن القدسية التي هي حقيقة هذه القصة يخجل النطق من مجرد التفوه بها ، ومن الخجل يضل الرأس واللحية والقلـــم والعاقـــل تكفيـــه الإشـــارة

- ذلك أن فيل " روحي " رأى هند " الجنان " في الحلم ، فاقطع الأمل إذن في الخراج ، فقد خربت القرية .

- " كيف يأتي النظـــم لي والقافيـــــة ، بعدمـــا ضاعت أصـــول العافيـــة

١٨٩٥- ما جنـــون واحد لي في الشجـــــون ، بل جنون في جنــون فــي جنــــــون

- ذاب جسمـــــي من إشارات الكنــــــى ، منـذ عـانيت البقـــــاءَ فــي الفنــــــا " (١)

- يا إيــــاز ، لقد صرت من عشقك " في نحول " الشعـــرة ، وعجزت عن إتمام قصتك ، فحدثنا أنت بها.

- ولطالمـا قـرأت أسـطورة عشـقك بـالروح ، ، فـاقرأني أنـت إذن ، فقـد صـرت أسطـــورة .

- إنك أنت الذى تقرأ لاأنا أيها المقتدى ، إنني الطـور وأنـت موسـى ، وهـذا هـو الصـــدى .

١٩٠٠- وأى علم للجبل المسكين بـالكلام والحديـث ، إن موسـى يعلـم أن الجبـل خال " من الفكر والقول " ..

- إن الجبل يعلم ، لكن ما أتيح له من علم ، والجسـد " يستمد " قليـلا مـن لطـف الروح .

- والجسد قد خلق كالإصطرلاب من أجـل الحســـاب ، وهـو آيـة مـن الـروح التي هي كالشمس الساطعــة .

- ولأن ذلك المنجم ليس حاد البصر ، يشترط أن يكـون هنـاك رجـل يصنـع لـه الإصطرلاب .

- وذلك حتى يصنـع الإصطـرلاب مـن أجلـه ، وحتـى يفهـم شيئــــا عـن حالـة الشمس .

---

(١) ما بين القوسين بالعربية في المتن الفارســـــي .

١٩٠٥- والروح التي تبحث عن الصواب عن طريق الإصطرلاب ، أى قدر تعرفه عن حالة الفلك والشمس ؟

- وأنت تنظر إذن بعين الإصطرلاب ، فأنت في رؤيتك للدنيا قاصر جدا علي وجه اليقين .

- لقد رأيت الدنيا بقدر رؤيتك ، فأين الدنيا إذن ؟ لماذا تتحسس شاربك " كبرياءً " ؟

- وإن للعارفين كحلا " يجلي البصر " فابحث عنه ، حتى تصير كالبحر هذه العين التي تشبه الجدول .

- ولو كان معي ذرة من العقل والوعي ، أى هوس هذا وتجديف في القول ؟

١٩١٠- وبما أن رأسي قد خلت من الوعي والذكاء ، فأى ذنب لي في هذا الخلط في الكلام ؟

-إن الذنب ذنبه هو ، ذنب من سلبني العقل ، وقد ماتت أمامه عقول كل العاقلين .

-" يا مجير العقل فتان الحجى ، ما سواك للعقول مرتجى

- ما اشتهيت العقل مذ جننتني ، ما حسدت الحسن مذ زينتني

- هل جنوني في هواك مستطاب ، قل : بلى ، والله يجزيك الصواب "(١)

١٩١٥- فسواء تحدث هو بالفارسية أو بالعربية ، أى أذن وأى لب يستطيعان فهم أعماقه ؟

- وليست خمره جديرة بكل وعي ، وحلقته ليست مبذولة لكل أذن .

---

(١) ما بين القوسين بالعربية في المتن الفارسي .

– ها أنا قد جننت مرة ثانيـــــة كالمجنون ، هيا إمض ، إمـض أيهـا الحبيـب ، وهات القيد سريعا .

– وفيما عدا ذلك القيد الذى هو من جدائـــــل حبيبي ، إن جئتنـي بمـائتي قيـد ، فإني أحطمها تحطيمـــا .(١)

حكمة النظر في الحذاء القديم والسترة الجلديـــة مصداقا لقوله تعالى ﴿فلينظر الإنســان مم خلـــق﴾

– عد بنا مرة أخرى إلى قصة عشق إيـــــاز ، فهي كنز مليء بالأســـرار .

١٩٢٠– لقد كان كل يوم يذهـب إلـى الغرفـة العليـا ، كـي يشـاهد الحـذاء القديـم والسترة الجلدية .

– وذلـك أن وجـود " النعمـة" يحـدث سـكرا شـديدا ، ويسـلب العقـل مـن الـرأس والحياء من القلب .

– ونفس سكر الوجود هذا قد قطع لطريق من مترصده علـى مئـات الآلاف مـن القرون السابقة.

– لقد صار عزازيل من هذا السكر إبليـس ، واعـترض قـائلا : لمـاذا يصبـح آدم رئيسا علىّ ؟

– إنني سيد وإبن سيد أيضـــــا ، وجدير" بمائة فضل مستعد لـــــه .

١٩٢٥– ولست بأقل من أحد في الفضـــــل ، حتى أقف احتراما أمام العدو .

– لقد خلقت أنا من النار وخلق هو من الوحـل ، ، ومـا قيمـة الوحـل إلـى جـوار النار ؟

---

(١) ج/ ١١–٥٧٣:– إن على قدم قلبي قيدا من العشق ، فبأى شيء يجديني هذا الوعظ والنصـــح ؟.– وقصة العشق لا مطلع لها ، وبالتالي لامقطــع لها أيضـــا .

– وأيـــن كان هو في ذلك الزمـــــــان الـذى كنـت أنـا فيـه صـدرا للعـالم وفخـرا للزمن ؟!

﴿ وخلق الجان من مارج من نار ﴾ وقوله تعالى في حق إبليس إنه ﴿ كان من الجن ففسق ﴾

– لقد كـانت نـار روح السفيـــــه تلقي بـاللهب ، فقد كـان ناريـا ، والولـد سـر أبيـــــه .

– لا ، لقـد أخطـــأت ، بـل كـان غضـب اللـه ، فلمـاذا تبحـث عـن العلـل والأسبـــــاب ؟

١٩٣٠– إن الأمر الذى بلا علـة مبرأ مـن العلـل ، إنـه مسـتقر ومتواصـل منـذ الأزل .

– وفي كمال الصنع المتواصل المستمر ، أى موضع للعلة الحادثة أو الحدث ؟

– وأى شيء يكون سر الأب هذا ، إن أبانا أيضا مـن صنعـه ، إن الصنـع لـب ، والأب الصورى هو القشر .

– فاعلم أن العشق – يا هش القشر كالبندق – هو رفيقـك ، وروحـك تبحـث عـن اللب ، وتدق القشر منك .

– وجهنمي ذلك الذى يكون القشر رفيقا له ، لقد أعطى جلده مصداقا لـ ﴿ بدلناهم جلودا ﴾ .

١٩٣٥– والمعنى واللب فيك مسيطران على النار ، لكن قشورك حصب جهنم .

– والقدر الخشبي الذى يكون فيه مـاء الجدول ، تكون قدرة النـار كلهـا علـى ظاهره .

– لكن معنى الإنســـان مسلط على النــار ، إنـه مـالك خـازن الجحيم ، فكيف يكون هالكا فيـــه ؟

– فلا تزد إذن في البدن ، وزد في المعنى ، حتـى تصير سيدا علـى النـار مثل مالك .

– وها أنت تقوم بزيادة القشر فوق القشـــــر ، فلا جرم أنك كالقشر في دخان .

١٩٤٠– ذلك أنه لا طعام للنيران إلا القشـــور ، وقهر الحق سـالخُ لجلد ذلك الكبريـــاء .

– وهذا الكبرياء نتيجة للقشور والجلد ، ومن هنا فالمال والجاه صديقـــان حميمان لذلك الكبرياء .

– وما هو هذا الكبريـــاء ؟ إنه الغفلة عن اللباب ، إنه متجمد غـافل غفلـة الثلـج عن الشمس " الساطعة " .

– وعندما يأتيه علم بالشمس ، لا يبقى ثلجا ، يصير لينا حارا ويجد في السير .

– وعندما يرى الجسد اللب يصير بجملته طامعا فيــــه ، ويصير ذليلا عاشقا ، إذ : ذل من طمع .

١٩٤٥– وعندما لا يرى اللب يقنع بالقشر ، ويصبح قيد " عز من قنـع " مطوقـا إياه في سجنه .

– والعز هنا " بالدنيا " هو مجوسية وذل للدين ، وما لم يفن الحجر ، متـى صـار فصبـــا ؟

– أتقول " أنا " وأنت في مقام الحجرية لا تزال ، إن الأوان هو أوان تحولك إلــى مسكين فان .

– ومن هنا يبحث الكبرياء دائمـا عن الجاه والمـال ، لأنـه من كـثرة " البعـر " يكون الكمال لمستودع القمامة .

-فإن هاتين المرضعتين تربيـــــانه ، وتحشـوانه بالشحم واللحم والكبريـاء والعنجهية .

١٩٥٠- ولم تمعنا النظـــــر في لب اللب ، ومن ثم فقد ظننا القشر لبـــا .

- لقد كان إبليس هو الإمام في هذا الطريق ، ، إذ سقط في شبكة الجـــاه .

- فالمال كالحية ، والجاه ذاك أفعى ، وظل الرجال بمثابة الزمرد لهذين .

- وذلك لأن الزمرد يقتلع عين الحيـــة ، فتعمى ، ويجد السالك الطريق .

- ولأن ذلك الـرئيس قد وضع هذه الشوكة في الطريق ، فكل مـن جـرح بـه ، قال : لعنة الله على إبليس .

١٩٥٥- يعنى أن هذا الحزن قد حاق بـي مـن غـدره وجحـوده ، وذلـك المقتدى سباق القدم في الغدر .

-ومن بعده ، جاءت القرون فـي أثـر بعضهـا ، كلها قد سارت علـى نهجـه ، واتبعت سنته .

- وكــل من يسن سنة سيئـــة أيها الفتـى ، حتـى يتخبط الخلـق مـن بعـده فـي العمى ؛

- فإن كل أوزارها تتجمع عليه ، فقد كان رأســـا ، والباقون مجرد ذيول " له "

- لكن آدم كان يضع أمامه ذلك الحذاء وتلك السترة ، قائلا : إنني من طين .

١٩٦٠- مثل إيــــاز ، كان حذاؤه مزارا لـــــه ، فـلا جـرم أن صـار محمـود العاقبــــة .

- إن الوجود المطلق إنما يقوم بكل أحواله في العدم ، ومـا هـو موضـع صنـع " كن" إلا العدم ؟

- وإن أحدا قط لا يكتب على ورقة مكتوبة ، كما أن أحدا لا يغرس غصنا فـوق غصن مغروس .

– " فالكاتب" يبحث عن ورقة " بيضـــاء " لم يكتب عليهـا شـيء ، و" الغـارس " يغرس بذرته في موضع لا بذرة فيه .

– فكن أيها الأخ موضعا لم يغرس فيه أحد شيئا ، وكن ورقة بيضـــاء لم يكتب عليها شيء .

١٩٦٥– حتى تصبح مشرفا بـــ﴿ نـون والقلـــــم﴾ ، حتـى يلقـي فيـك بـذره ذو الجود والكرم .

– وخذ من هذا الفالوذج الذى لم يُلعق ، وتجاهل ذلك المطبخ الذى رأيت .

– ذلـك أنـه يوجـد فـي ذلـك الفـالوذج أنـواع مـن السـكْر ، تذهـب الحـذاء القديـم والسترة الجلدية من ذاكرتك .

– وعندما يحين النزع والموت تتأوه ، وتذكر آنذاك السترة والحذاء القديم .

– ومـــا دمت غريقا في أمـــواج القبح ، حـــيث لا عون هنـاك مـن ظهيـــــر أو حميم ؛

١٩٧٠– ولا تذكـــــر سفينة الصدق ، فإنك لا تنظـر فـي الحـذاء القديم ولا فـي السترة الجلدية .

– وما دمت عــاجزا غريقـــا فـي دوامــــة الفنـاء ، فـإنك تجعـل مـن﴿ ظلمنـا أنفسنـــا﴾ وردا على الولاء .

– ويقول الشيطـــــان : انظروا إلى هذا الساذج ، واقطعوا رأس هذا الديك الـذى يؤذن في غير وقت .

– وإن هـذه الخصلـــــة بعيـدة عـن فضـائل إيـــــاز ، أن تبـدو صـلاتـه مجـرد مظهـــر ولا صلاة فيها .

– فلقد كان ديكا للسماء من قبل ، وكان أذانه دائما في وقته .

في معنى [أرنا الأشيـــاء كما هي] ومعنى [لو كشف الغطاء ما ازددت يقينـــا]

وقولـــه : في كل ما تنظر إليه بعين الســـوء

إنمـــا تنظـــر إليه من كـــوة وجـــــودك

و" الدرجة العوجاء تلقي ظـــلا أعـــــوج"

١٩٧٥- أيتها الديكـــة ، تعلمي الصيـــاح منه ، ، فهو يصيح من أجل الحق ، لا من أجل دانق .

- إن الصيح الكاذب يأتي ولا يخدعـــه ، والصبح الكاذب هو الدنيا بخيرها وشرهـــا .

- وأهل الدنيـــا أصحاب عقول ناقصة ، بحيث ظنوها صبحا صـــادقا .

- ولقد حطم الصبح الكاذب القوافـــل التي خرجت على أمل الصبـــاح .

- فلا كان الصبح الكاذب مرشدا للخلق ، فلقد أذهب كثيرا من القوافل أدراج الريـــاح .

١٩٨٠- ويا من صرت رهنـــا للصبح الكاذب ، لا تقل عن الصبح الصادق أنه أيضـــا كاذب .

- فإن لم يكن عندك أمان من النفاق والســـوء ، فمن أى شيء تظن برفيقك نفس الظن ؟

- وقبيح الفعل غالبا ما يكون سيء الظن ، إنه يقرأ في حق رفيقه كتابه هو .

- وأولئك الأخساء الذين ظلوا على ضلال ، سموا الأنبياء السحرة والضالين .

- وأولئك الأمراء الأخساء صناع الزيف ، ظنوا نفس الظن بالنسبة لحجرة إيـــاز .

١٩٨٥- وأن له فيها دفينـــة وكنزا ، فلا تنظر إلى الآخرين من مرآة " نفسك

- كان الملك نفســـــه يعرف براءته وطهره ، وكان هــذا البحث والتجسس مـن أجلهم هم .

- فأخذ يقول : أيها الأمير ، افتح باب تلـك الحجـرة فـي منتصـف الليـل ، عندمـا يكون غافلا عنها .

- حتى تظهـــر أنواع مكــــــره ومن بعد ذلك علينا نحن عقابـــه .

- لقد وهبتكـم أنـا ذلـك الذهـب والجواهـــــر ، ولا أريـد مـن تلـك الأمـوال إلا الخبـــر.

١٩٩٠ - لقد كان يقول ذلك القول وقلبه يخفق من أجل إياز الـذى لا نظيـــــر له .

- وكان يتســـاءل بينه وبين نفســـــه : هـل هـو أنـا الـذى يقـول هـذا الكـلام ؟! وإلام يصير حاله إذا سمع هذا الجفـــــاء ؟

- ثم يعود ويقـــول : بحق دينه ، إن ثباته ووقاره أعظـــــم من أن ؛

- يتطير أو يضيق من قولي القبيح ، أو يجهل الغرض الحقيقي من فعلي هذا .

- وعندما يرى المبتلى تأويلات الألـــم ، يـراه كسبـــــا ، فمتـى يصـير ذاهـلا منـــه ؟

١٩٩٥- وصـاحب التأويـــــل والتفسيـــــر إيـاز الصـابـــــر ، الـذى هـو ناظـــر" إلى بحار العواقب ؛

- مثل يوسفعليه السلام ، ورؤى صاحبي السجن ، تعبيرها أمامه واضح للعيــــان .

- وإذا لم يدرك الرجل الصالح تفسيـــــر رؤياه ، متى يكون واقفا علـى أسـرار رؤى الغير ؟!

- وإني إن ضربته مائة ضربة بالسيف على سبيل الامتحــــــان ، فلـن تضعـف علاقة ذلك الشفوق الرحيم بي .

- إذ أنه يعلم أنني أضـــــرب نفسي بهذا السيف ، إنني هو في الحقيقـة ، وهـو أنــــــا .

بيان اتحاد العاشق والمعشوق على وجه الحقيقة بالرغم من أنهما متناقضان تناقض الاحتياج والاستغنـــاء ، كالمرآة الخالية ولا صورة فيها ، وانعدام الصورة متناقض مـــع وجودهـــا ، لكن بينهما اتحادا في الحقيقة يطـــول شرحه والعاقل تكفيـــه الإشـــارة

٢٠٠٠- اشتكى المجنـــــون مرضـــا في جسده فجأة من جـراء الفـراق والهجـــــر .

- لقد جاش دمه من لهيب الشوق ، فظهرت عليه أعراض مرض الخناق .

- وجاء الطبيب ليداويـــه ، فقال : لابد من فصده .

- ينبغي فصده من أجل دفع الدم ، واستدعى فصادا بارعا في صنعتـــه .

- فربط ساعده ، وأمسك بمبضعـــه ، فصاح به على الفور ذلك العاشق بطبعه

٢٠٠٥- وقال : خذ أجرك ، ودعك من الفصد ، وإذا مت ، قل للجسد الذى اهترأ : ألا فلتمض .

- فقال له : ما الذى تخشـــاه آخر الأمر من هذا ؟ إنك لا تخاف من أسد العرين .

- فالأسد والذئب والدب ، وكل حمار وحش ووحش ، قد تجمعت حولك طوافة بالليل .

- فهي لا تشم فيك رائحة بشـــر ، من فرط الوجد والعشق الذى أدمى كبدك .

- إن الذئب والدب والأسد تعلم ما هو العشق ، وأقل من كلب ذلك الذى لايبصر العشق .

٢٠١٠- فإن لم يكن في الكلب عرق من العشق ، فمتى كان كلب أصحاب الكهف باحثا عن " أرباب " القلوب؟

- وهناك كلاب كثيرة على شاكلته في هذه الدنيا ، وإن لم تنل شهرته .

- وإنك لم تفهم النزر اليسير عن قلب من هو من جنسك ، فمتى تعرف شيئا عن قلوب الذئاب والنعاج ؟

- فإن لم يكن عشق ، متى كان الوجود يصبح وجودا ؟ ومتى تبدل الخبز إلى وجودك أنت ؟

- فمن أين صار الخبز لك ؟ من العشق والاشتهاء ، وإلا متى كان للخبز طريق إلى الروح ؟

٢٠١٥- إن العشق هو الذى يجعل الخبز الميت روحا ، وهو الذى يجعل الروح الفانية خالدة .

- قال المجنون : إنني لا أخاف من المبضع ، بل إن صبرى عليه أكثر من الجبل الراسخ .

- وأنا مشرد لا يستريح جسدى دون جراح ، إنني عاشقٌ أحوم حول الجراح .

- لكن وجودى ممتليء بليلى ، وهذا الصدف مليء بصفات ذلك الدر .

- وأخاف أيها الفصاد إن قمت بفصدى ، أن يخز مبضعك ليلى فجأة .

٢٠٢٠- ويعلم ذلك العاقل الذى نور قلبه ، أنه لا فرق هناك بيني وبين ليلى .(١)

---

(١) ج/١١-٥٩٧:- فمن أكون أنا ؟ أنا ليلى ، ومن ليلى ؟ هي أنا ، نحن روح واحدة سكنا بدنين .

سأل معشوق عاشقا : هل تحبني أكثر أو تحب نفسك؟ قال : لقد مت عن نفسي وصرت حيا بك ، وفنيت عن ذاتي وصفاتي وصرت موجودا بك ، ونسيت علمي وصرت عالما بعلمك ، ونسيت قدرتي وصرت قادرا بقدرتك ، فإن أحببت نفسي فكأني أحبك ، وإن أحببتك فكأني أحب نفسي :

كل من تكون له مرآة اليقين * يكون ناظرا إلى الله وإن كان ناظرا إلى نفسه أخرج من صفاتك إلا خلقي ، من رآك رآني ، ومن قصدك قصدني ، وعلى هذا المنوال

– ذات صبوح ، قال محبوب لمحبوبه على سبيل الاختبـــــار ، قل لي يا فلان ابن فلان ؛

– هل تحبني أكثر أو تحب نفسك ، هيـــا قل لي يا ذا الكرب ؟

– قال : لقد صرت فانيـــا فيك ، بحيث صرت ممتلئا بك من الرأس إلى القدم ،

– فلم يعد لي من وجودى إلا الاســـم ، وليس في وجودى إلاك يا حسن الثغر

٢٠٢٥– لقد فنيت بحيث صرت لك " قطرة " من خل ، ذائبا فيك أنت يا بحرا من عسل .

– مثل حجر يصير بأجمعه ياقوتا خالصـــا ، إذ يمتليء هو بصفات الشمس .

– ولا تبقى فيه صفات الحجـــر ، ويمتليء بصفات الشمس وجهـــا وظهـــرا .

– ومن بعد ذلك إن أحب نفســـه ، يكون حبه كله للشمس أيها الفتى .

– وإن أحب الشمس بكل كيانه ووجدانــــه ، يكون حبه لنفســـه دون " أدنى " شك .

٢٠٣٠– سيـــان إذن حب ذلك الياقوت الخالص لنفســـه ، وحبه للشمس .

– وبين هذين الحبين لا فرق هناك يذكـــر ، فلا يوجد في كلا الجانبين إلا الضيــــاء " النابع " من المشرق .

– إنه إن لم يصر ياقوتا فهو عدو نفسه ، لا تكون هناك آنية واحدة ، بل آنيتان .

– ذلك أن الحجر ظلماني أعشى في ضوء النهار ، والظلماني في الحقيقة عدو للنور .

– وإنه إن أحب نفسه آنذاك يكون كافرا ، ذلك أنه يكون جاحدا للشمس الكبرى .

٢٠٣٥– ومن ثم لا يليق بالحجر أن يقول أنا ، إنه ظلماني وفي معرض الفناء

– فقد قال فرعون : أنا ربكم الأعلى وصار ذليلا ، وقال ابن منصور : أنا الحق فنجا .

– فإن تلك الـ " أنا " (من فرعون) قد استتبعت لعنة الله ، أما هذه الأنا (من المنصور) فلها رحمة الله أيها المحب .

–ذلك أن فرعون كان حجرا مظلما ، وكان " منصور " عقيقا ، كان ذاك عدوا للنور ، وكان هذا محبا عاشقا .

– إن " أنا " المنصور هي " هو " في باطنها وحقيقتها أيها الفضولي ، إنها من اتحاد النور ، لا من الإعتقاد في الحلول .

٢٠٤٠– فجاهد حتى تقل فيك طبيعة الحجر ، وحتى يصبح حجرك منورا بـ " طبيعة " الياقوت .

– واصبر في الجهاد وفي الفناء ، وشاهد دائما البقاء في الفناء لحظة بعد أخرى .

– وكلما قل فيك وصف الحجرية ، ازداد فيك وصف الياقوتية ثباتا وإحكاما .

– يمضي وصف الوجود عن جسدك الفاني ، ويزداد وصف السكر في رأسك .

- فصـر بأجمعك سمعا وكأنك أذن ، حتى تجد قرطـــا من حلقة الياقوت .
٢٠٤٥- ومثل حفار الآبـــار ، داوم على إخراج التراب إن كنت إنسانا ، حتـى تصل إلى الماء من ذلك الجسد الترابي .
- وإن جذبة الحق لو وصلت إلى الماء المعيـن ، لانبثـق البئـر مـن الأرض دون حفـــر .
- لكن داوم على العمل ، ولا تعول على هذا الأمر كثيـرا ، وداوم على إخـراج التراب قليلا قليلا من البئر .
- فقد وجد الكنز كل من تجشـــم المشاق ، وكل من جد ، أتاه الجِـد والإقبال .
- فقد قال الرسولﷺ إن الركوع والسجود ، هو دق لحلقة الوجود على باب الحق.
٢٠٥٠- وكل من يقرع حلقة ذلك الباب ، ، يطل له الإقبال برأسه منه .(١)

مجيء ذلك الأمير النمام مع القواد والعسكر في منتصف الليل لفتح حجرة إياز ورؤيتهم للرداء الجلدي والحذاء القديم معلقين ، وظنهم أن ذلك حيلة ومكر وتعمية ،وحفرهم لأرضية الحجرة في كل ركن يعن لهم ، وحفر الحفر ونقب الجدران ، وعدم عثورهم على شيء ، وخجلهم وشعورهم بالخيبة ، كمن ساء ظنهم وتوهموا ما ليس بكائن عن الأنبياء والأوليـــاء ، إذ كانوا يقولـــون أنهم سحرة صنعوا أنفسهم ، وتصوروا عليهم ، وبعد البحث والتفحص يخجلون ويندمون ، حيث لا يجدي الخجل والندم

- لقد انطلق هـؤلاء الأمنــــاء " !!" إلـى بـاب الحجـرة ، طـالبين للكنز والذهب والجرار المدفونة .

---

(١) ج/١١-٥٨٩:- عد وأعد القول في قصته ، أقصد إيازا ، وماذا جرى من أحواله .

- وبشغف شديد أخذ هؤلاء الأشخاص المعدودون يفتحون القفل ، وبمائتي علم وفن .

- ذلك أن القفل كان صعبا ، وكان لسانه ملتويـــا ، كان قد أحسن اختياره .

- ليس بخلا بالفضة والمال والذهب الخالص ، بل من أجل كتم السر عن العوام

٢٠٥٥- " كان يقول لنفسه " : إن جماعــة تطـوف حـول ظـن السـوء ، وجماعـة أخرى تسميني المشعوذ المجتال .

- وصاحب الهمة تكون عنده أسرار الروح ، أكثر حفظ عـن العوام مـن يـاقوت المنجم .

- والذهب أغلى من الروح عند البلهـــــاء ، لكنه عند الملوك فداء الروح .

- كانوا يسرعون بنشاط من حرصهم على الذهب ، ، ومانت عقولهم تقول لهم : إمشوا الهوينـــى .

- إن الحرص يسرع عبثا نحو السراب ، فيقول له العقل : انظر جيدا ، ليس هذا بماء .

٢٠٦٠- ولقد غلب الحرص وصـار الذهـب كـالروح ، واختفت آنـذاك صيحـات العقل المحذرة .

- فصار حرص المرء أضعافا مضاعفة ، واختفت حكمة " عقله" وإشاراتـــه .

- وذلك حتى يسقط في بئر الغرور ، وحينذاك يسمع الملامة من " عقل " الحكمة

- وعندمـا تحطـم كبريـاؤه مـن قيـود الشـراك ، وجـدت النفـس اللوامـة السـيطرة عليـــــه .

- وما لم تصطدم رأســـه بجدار البلاء ، فـإن أذنـه الصمـــاء لا تسـمع نصيحـة القلب .

٢٠٦٥- والأطفال من حرصهم على حلوى الجوز والسكر ، يجعلـون كلتـا الأذنين أصمين عن النصح .

- وعندما تبدأ آلام القروح عند " الطفل " ، تتفتح كلتا أذنيه لسماع النصح .

- ولقد فتحوا الحجرة بحرص وبشغف شديد ، في تلك اللحظة ، هذا النفر .

- وتقاطروا من الباب متزاحمين ، تقاطر الهوام فى المخيض المتعفن .

- إنها تسقط فيه بعشق واندفـــاع ، ولا إمكان للأكل منه ، والجناحان مقيدان

٢٠٧٠- ونظروا إلى اليسار وإلى اليمين ، ووجدوا حذاءً ممزقا وسترة جلدية .

- لكنهم غادوا يقولون : إن هذا المكان لا يخلو من شبهة ، والحذاء لا يوجد هنـا إلا من أجل التعميـة .

- هيا هاتوا السفافيد الحادة ، وتحسسوا وجود الحفر والقنوات المغطاة .

- وقاموا بالحفر في كل موضع ، وجدوا فى البحث ، وحفرت الحفر العميقة والآبار .

- كانت الحفر تصيح بهم فى تلك اللحظة " نحن حفر خالية ، أيها الدنسين .

٢٠٧٥- فأخذوا يحسون بالخجل من ذلك التفكير ، وأخذوا يردمـون الحفـر ثانيـة .

- وأخذوا يحوقلون بينهم وبين أنفسهم كثيرا ، فلقد بقيت طيـور طمعهـم " محرومة " من الحب .

- ومن تلك الضلالات التى كانت تسوقهم عبثـا ، كان نقب " الجدران " و " كسر " الباب تشى بها .

- فلم يكن فى الإمكان دهان تلك الجدران ، ولا إمكان هناك للإنكار مع إيـاز

– فالجـــــدار وساحـة الحجرة يشـهدان عليهم ، إن تظـاهروا بـالبراءة بشـكل خادع .(١)

٢٠٨٠– أخذوا يرجعون إلى الملك خجلين صفر الوجـــــوه ، تعلو " وجوههـم غبرة " .

عودة النمامين من حجرة إياز إلى الملك وهم خلاة الوفاض خجلين مثل أولئك الذين أساءوا الظن في حق الأنبياء عليهم السلام عند ظهور براءتهم وطهرهم ، مصداقا لقوله تعالـى ﴿ يوم تبيض وجوه وتسود وجـوه ﴾ وقوله تعالى ﴿ وترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة ﴾

– قـال الملك قـاصدا : هـه ؟ مـا الأحـوال ؟ مـا بـال آباطكم خاليـة مـن الذهـب والفضـــــة ؟

– وإن كنتم قد أخفيتم الدنانير والدوانـق ، فـأين نضـرة الفـرح فـي الوجـه وعلـى الوجنتين ؟

– وإن كان كل جذر مختفيا ، فإن ورق ﴿ سيماهم فـي وجوههم﴾ يكـون أخضـر "منبئا عنه " .

– وكل ما امتصــــه ذلك الجسد من سم وشهد ، ينادى به الغصـن المرتفـع فـي التو واللحظـــة .

٢٠٨٥– فإذا كان الجذر بلا زاد خاليا من الغـذاء ، فمـا هـذه الأوراق الخضـراء الموجودة في الغصن ؟

---

(١) ج/ ١١– ٦١٠:– فأى عذر يقدمونه جميعا لاحتيالهم ، حتى ينجوا بأرواحهم من هذه الورطــــة .– وفي النهاية يائسين عاضين على الشفة وبنان الندم ، لاطمين رؤوسهم بأيديهم كالنســـاء ؛

- إنه يضـــع ختما على لسان من أصله من طين ، فتشهد عليه فروعه ، أي يداه وقدمــــــاه .

- فانطلق هؤلاء الأمراء جميعـــــا معتذرين ، وسجدوا كالظل أمام القمــــــر .

- واعتذارا عن هذا الاندفاع والتجديف والهذيان بالأنيـــــــة ، ذهبوا إلى الملك حاملين الأكفـــان والسيوف .

- كانوا جميعا من الخجل يعضـــــــون بنان الندم ، وأخذ كل منهم يقول : يا ملك العالم !

٢٠٩٠- إن سفكت دمنــــــا فهو لك حلال بلال ، وإن عفوت ، فهو إنعام منك علينا ونوال .

- لقد فعلنا ما نحن جديرون بفعله ، والأمر لك أيهـــــا الملك المجيد .

- فإن تجاوزت عن جرمنا يا مستنير القلب ، فقد فعل الليل أفعال الليل ، والنهار أفعال النهار .

- وإن عفوت ، فقد وجد القنوط الرجاء والسعة ، وإلا فليكن مائة من أمثالنا فداءً للملك .

- قال الملك : لا ، فإن هذا الحلم أو ذاك العقاب ، لن أفعله أنا ، فهو من حق إيـــــاز .

تحويل الملك إلى إياز مسألة قبول توبة النمامين ومقتحمي الحجرة أو عقابهم ، بما يعني أن هذه الجناية قد حدثت في حق عرضــــه

٢٠٩٥- إن هذه الخيانة في حقه وفي عرضـــــــه ، إنها طعنة في عروق ذلك المبارك القدم .

- وبالرغم من أننا - روحا - نفس واحدة ، إلا أننا منفصلان فيما يختص بظاهر النفع والضر .

- إن اتهام العبد ليس عارا على الملك ، وليست إلا زيادة في حلمه وتحمله .

- وقد يجعل الملك المتهم في غنى قارون ، فما بالك إذن بما يمكن أن يصنعه مع البريء !! .

- فلا تظنن الملك غافلا عن فعل أحد ، إنما يمنع حلمه إظهار هذا الفعل فحسب

٢١٠٠- فمن الذى يشفع عنده أمام علمه ، ومن الذى لايبالي " بإحسان أو إساءة " اللهم إلا حلمه ؟

- إن ذلك الذنب إنما يبدر " اعتمادا " على حلمه في البداية ، وإلا فمتى كانت هيبته تعطي له مجال " الظهور " ؟!

- ودية جرم النفس العاقلة لا تكون إلا على حلمه ، وذلك لأن [الدية على العاقلة] .

- ونفوسنا ثملة غائبة عن الوعي من حلمه ، وقد اختطف الشيطان القلنسوة من فوق رأسها " أى خدعها"في سكرها.

- وإن لم يكن ساقي الحلم صابا للخمر ، فمتى كان للشيطان أن يجادل آدم ويعاديه ؟

٢١٠٥- ومن كان آدمﷺ وقت أن وُهب العلم بالنسبة للملائكة ؟ " لقد جعله " أستاذا للعلم ، والنقاد للجواهر .

-لكنه عندما شرب في الجنة خمر الحلم ، صار أصفر الوجه من لعبة واحدة من الشيطان .

– إن تلك الأدوية المقوية (١) من تعليم الودود ، كانت قد جعلته ذكيـــا ماهرا عالما ؛

– ثم إن أفيـــون حلمه شديد التأثيـــر ، قد جذب اللص صوب متاعـــه .

– فيأتي العقل ناحية حلمـــه مستجيرا قائــــلا : لقد كنت ساقيـــا لي ، فخذ بيـــدي .

قول الملك لإياز : إختر بين العفو والعقاب ، فكل ما تفعله من عدل أو لطف صواب هنا ، وفي كل منها مصالح ، ففي العدل أدرج آلاف من اللطف ﴿ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب﴾ وإن من يستنكره القصاص إنما يأخذ في الحسبان حياة قاتل ، ولا ينظر في مائة ألف حيـاة سوف تعصم وتحقن في حصن الخوف من العقاب

٢١١٠– احكم على المجرمين يا إياز الطاهـــر ، احكم باحتراز وحذر شديدين

– وإني وإن كنت قد قمت بتجربتك في العمل مائتي مرة ، فإنني لا أجد في كفك الجلد خطأ واحدا .

– وخلق بلا عد ولا حصـر خجلون عند الامتحـــان ، لكن كل أنواع الامتحـــان خجلة منك أنت .

– فيا له من بحر لا يسبر غوره ، ليس العلم فحسب باللازم له ، ويا له من جبل ومائة جبل .. لا يلزمها الحلم فحسب .

– قال : إنني أعلم أن اللازم هو عطاؤك المحض ، وإلا فأنا ذلك الحذاء القديم وسترة الراعي .

٢١١٥– ومن هنا فإن الرسول ﷺ قد شرح هذا الأمـــر ، عندما قال : [من عرف نفسه ، فقد عرف ربه] .

---

(١) حرفيا : معجون الجوز المرقش وهو دواء مقوّ ومنبه لفاقدي الوعي .

- إن حذاءك هو النطفـــة ، ودمك هو سترة الراعي ، وكل ما تبقى أيها السيد ، هو محض عطائه .

- ولقد أعطى هذه العطية حتى تستزيد منها ، فلا تقل : ليس عنده سوى هذا القدْر .

- ومن هنا فإن البستاني يعرض عددا من ثمار التفاح ، حتى تعرف أشجار البستان وما تغله .

- والزارع يعرض كفا من القمح على المشترى ، حتى يعرف " نوعية " القمح الموجود في الأهراء .

٢١٢٠- والأستـــاذ يشرح نقطة واحدة من الموضوع ، حتى تعرف علمه الفياض ، وتستزيد منه .

- وإن قلت إن هذا هو ما عنده فحسب ، فإنه يبعدك عنه ، كما يبعد قشة علقت بلحيته .

- يا إياز تعال الآن واحكم ، وضع في العالم أساس العدل الذى يندر مثاله .

- إن الذين أجرموا في حقك يستحقون القتل ، وإن كانوا طمعا يحومون حول عفوك وحلمك .

- فهل يا ترى تغلب الرحمة أو يغلب الغضب ، وهل يا ترى يغلب ماء الكوثر أو اللهب ؟

٢١٢٥- وكلاهما موجودان من أجل اجتذاب الخلق منذ يوم العهد ، غصن الحلم وغصن الغضب .

- ومن هنا فإن لفظ " ألست " أيها الطالب للتفسير ، نفي وإثبات مقترنان في لفظ واحد .

- ذلك أن هذا الاستفهام للإثبات ، وإن كان لفظ " ليس " مدرجا فيه .

– ودعك من هـذا حتـى يظـل هذا الموضـوع غامضـــا ، ولا تضـع أطبــــاق الخواص على مائدة العوام .

– وهناك قهـر ولطـف كريـح الصبــــا وريـح الوبـا ، أحدهمـا يجـذب الحديـد ، والآخر يجذب القش .

٢١٣٠– والحق يجذب الصادقين حتى الرشـــــد ، وأصول البـاطل تجـذب أهـل الباطل إليهـــــا .

– والمعدة الجديرة بالحلو ، تجذب إليها الحلو ، لكن المعدة المصابـة بـالصفراء ، تجذب إليها الخل .

– والفراش الدافيء يقضي على برودة الجالس عليـه ، والفـراش البـارد المتجمـد يمتص الحرارة .

– وعندما ترى الحبيب تفيض منك الرحمـة ، وعندمـا تـرى العـدو ، تفـور منـك السطوة .(١)

– هيـــا يا إياز أنجز هذا الأمر على وجه السرعة ، فإن الانتظـار فـي حـد ذاتـه نوع من الانتقـــام .

تعجيل الملك إيازا قائلا : افصل سريعا في الأمر ولا تُنـظـــر ، ولا تقل : لتكن الأيام بينـنـــا ، فالانـتـظار هو الموت الأحمر ، وجـــواب إياز على الملك

٢١٣٥– قال : أيها الملك ، إن الأمر كله " يرجع " إليك ، وإن طلعـت الشـمس ، تفنى النجوم .

---

(١) ج/١١-٦٢٣:- وترى النور فينشر الضياء حوله ، وترى النار ذات الدخان فتزيد الظلمة .- وترى الخصم والرفيق والنور والنار والفخر والعار ، والعرش والمشنقة والبارد والحار والورد والشوك .- والنحلة والحية والسدى واللحمة والخفيض والجهير ، اعتبر كلا منها مجدا مع جنســـــه .

– ومن تكون الزهرة أو عطـــــارد أو الشهاب ، حتى تطلع " في حضور " الشمس ؟

– ولو كنت قد تجاوزت عن الاهتمـــام بالخرقة والسترة ، لما كنت قد زرعت هكذا بذور الملام .

– وما وضع قفل على باب الحجرة ، وسط مائة من الغرماء الذين يسرعون خلف خيالاتهم ؟

– لقد مدوا أيديهم داخل جدول المـــاء ، وكل منهم يبحث عن قطعة جافة من المدر .

٢١٤٠– ومتى تكون هناك مدرة جافة في قاع الجدول ؟ ومتى تكون السمكة عاصيـــة للماء ؟

– ومن قسوتهم يشكون فيَّ أنا المسكين ، والوفاء نفسه يخجل من وفائي .

– وإن لم يكن في هذا تحميل مشقة لمن لم يؤذن لهم ، لتحدثت ببضع كلمات عن الوفـــاء .

– وما دام عالمٌ بأسره باحثا عن الشبهة والإشكال ، فإننا نسوق من الكلام قشره الخارجي فحسب .

– وينبغي عليك أن تحطم ذاتك لتصبح لبـــا ، وآنذاك يمكنك أن تسمع الحكايات العميقة اللطيفة .

٢١٤٥– وللجوز عندما يكون في قشره ضجة وصخب ، فأين إذن صوت اللب وصوت الزيت ؟

– إن له صوتا ، لكنه ليس مناسبـــا للأذن ، إن صوته شهد خفي في الأذن .

– وإن لم يكن هناك للب صوت حسن ، فمتى يسمع أحد خشخشة أصوات القشور ؟

– وإنك لتسمع خشخشتها من أجل أن تسطو بصمت على اللب .

– فابق فترة من الوقت دون أذن ودون شفـــــة ، وآنذاك تصبح شـفتاك قرينتيـن لشهده .

٢١٥٠– لقد قلت كثيرا من النظم والنثـــــر على الملأ ، فجرب ولـو لمـدة يـوم واحد أن تكون أخرس .

حكاية في بيان هذا الكلام : إنك قد جربت الكلام كثيرا فلتجرب الصبر والصمت فتـــرة

– لقـد طبخت كـثيرا من المن الحـريف والمملح ، فجـرب هذه المـرة طـبخ " المن" الحلو .(١)

– وإن أحدهم لينتبهن يوم القيامة ، فيرى أن كتاب العصيـــان الأسود في كفه .

– وهـو مسـود الفاتحـة كخطابـات التعزيــــة ، ومليء بالمعـاصي فــي المتـن والحواشي .

– ولقد كان كله فسقا ومعصية ، كان كدار الحرب مليئا بالكفر .

٢١٥٥– ومثل ذلك الكتاب الدنس المليء بالوبال ، لا يأتى في اليمين بل يأتي في الشمال .

– فانظر بنفسك إلى كتابك وأنت لا زلت هنا ، هـل هـو جدير بالشـمال أو خليـق باليمين .

– والنعل الأيمن والنعل الأيسر كلاهما موجود في الحـانوت ، ونعرفهمـا قبـل أن تقوم بتجربتهما .

---

(١) ج/١١–٦٣٢:– وكم أكلت الدسم والحلو من الطعام ، فاختبر نفسك عدة أيـــام بالصيـــام .– ولليال طوال صرت أسيرا للنوم ، فقم ليلة واحدة ، واحصل على الإقبـــال .– ولقد قضيت أياما طويلة في الهزل والهذر ، فامض لأيـــام قليلة ، وكن مستعدا للجهد والعمل .

- وإن لم تكن يمينـــا ، فاعلم أنك شمال ، وكلاهما ظاهر ، زئير الأسـد ، وصوت القرد .

- وذلك الذى جعل الورد جميلا طيب الرائحة ، يستطيع فضله أن يجعل الشمال يمينا .

٢١٦٠- وهو الذى يعطي لكل شمال يمينـــا ، وهو الذى يسير الماء المعين في البحر .

- فإذا كنت شمالا ، كن يمينا مع حضرته ، حتى ترى مكاسب ألطافــه .

- وإنك لتجيز أن ينتقل هذا الكتاب المهين ، من الشمال ليستقر في اليمين .

- ومثل هذا الكتاب المليء بالظلم والجفاء ، متى يكون في حد ذاته لائقـا باليمين ؟

في بيان الإنسان الذى يقول كلاما لا يناسب حاله أو دعواه ، مثل الكفرة ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ﴾ وهم يقدسون الأوثان ويضحون من أجلها بالأرواح والأموال ، فأي تناسب بين هذا وبين الروح التي تعلم أن خالق السموات والأرض إله سميع بصير حاضر مراقب مستول غيور .... إلى آخــــره

- كان لأحد الزهاد زوجـة شديدة الغيــرة ، كما كان عنده جارية حسناء كأنها من الحور .[1]

٢١٧٥-- كانت الزوجة من " شدة" غيرتها لا تفتأ تراقب زوجها ، ولم تترك له فرصة يختلى فيها بالجارية .

- وظلت المرأة في مراقبتها فترة من الوقت ، حتى لا تعن لهما فرصة الخلوة كل بالآخــر .

---

[1] ج/ ١١- ٦٣٥:- كان للمرأة جارية قمرية الوجه ، أضرمت نار " عشقها " في قلب الزاهد .

– حتى حل حكم الإلـــــه وتقديره ، فضل عقل الحارس وفسد .
– ومـاذا يكـون العقـل عندمـا يحـل حكمـه وتقديـره ، وإن القمـر نفسـه ليصـــاب بـالخسوف .
– كانت تلك المرأة في الحمام ، وفجأة تذكرت الطست ، وكان في المنزل .
٢١٧٠– فقالت للجارية : هيا ، اذهبى في سرعة الطير ، وهاتي الطست الفضـــي من منزلنا .
– فأحست تلك الجارية بالحياة " تدب فيها " عندما سمعت هـذا القـول ، فسـوف يتم الوصال بينها وبين سيدها وشيكا .
– كان السيد وحيدا في المنزل في ذلك الوقت ، فأسرعت نحو المـنزل وهـي فـي شدة الفرح .
– ولقد كانت الجارية تشتهي منذ سنوات سـت ، أن تجـد السـيد فـي خلـوة كهذى الخلوة .
– فطارت طيرانا وأسرعت نحو الدار ، ووجدت السـيد فـي خلوتـه " قابعـا " فـي الدار .
٢١٧٥– ولقد اختطفت الشهوة العاشقين معـــــا ، بحيث إنهما لم يحتاطا ، ولـم يغلقـــا الباب .
– وامتزجا ، وتعانقا ، واشتبكا من السرور ، واتصلـت الـروح بـالروح فـي تلـك اللحظة من الامتزاج .
– وفي تلك اللحظـة تذكرت الزوجة وقـالت لنفسـها : ويلـي ، كيـف أرسـلتها إلـى الدار والمستقر ؟!
– لقد وضعت بنفسي القطن إلى جوار النار ، وألقيت بالكبش الفحل وسط النعاج

- وأزاحت حجر الطّفل غاسلة رأسها ، وأسرعت مسلوبة الروح في أثرها ، وهي تجرجر ملاءتها .

٢١٨٠- لقد كانت الجارية تسرع من أجل عشق الروح ، وأسرعت هذه خوفا ، وأين العشق من الخوف ؟! إن بينهما فرقـــا عظيمـــا .

- وسير العارف في كل لحظة يكون إلى عرش المليك ، وسير الزاهد في كل شهر طريق يوم واحد .

- ومهمـــا كان رزق الزاهد عظيمـــا ، فمتى كان يومه بخمسين ألفا ؟

- لكن قدر كل يوم من عمر العارف ، يساوى خمسين ألف سنة من سنين الدنيـــا .

- والعقول خارج باب هذا السـر ، وإن تمزقت جرأة الوهم ، فقل لها : تمزقـــي .

٢١٨٥- والخوف لا يساوى مقدار شعرة إلى جوار العشق ، وكلهـم ضحايا في مذهب العشق .

- إن العشق هو وصف للـــه ، أما الخوف ، فهو وصف للعبد المبتلى بالفرج والجوف .

- وما دمت قد قرأت من القرآن ﴿ يحبونه﴾ ، فقد قرأت معها ﴿ يحبهم﴾ في نفس الموضع .

- فاعلم إذن أن المحبة هي وصف للحق والعشق أيضـــا ، ولا يوصف الله تعالى بالخوف أيها العزيـــز .

- وأين صفة الحق من صفة حفنـــة من التراب ؟ وأين وصف الحادث من وصف الطاهر ؟

٢١٩٠- ولولا أني تحدثت في العشق على الدوام ، لمرت مائة قيامة وهو غير تام .

- ذلك أن تاريخ القيامة محدود بزمان ، وأين يكون الحد ، حين يكون وصف الإله ؟

- وإن للعشق خمسمائة جناح ، وكل جناح ، يمتد من فوق العرش حتى طباق الثرى .

- والزاهد يسرع على قدمه بخوف ، والعشاق أكثر تحليقا من البرق والهواء .

- ومتى يصل أولئك الخائفون إلى غبار العشق ؟ وألم العشق يجعل السماء أرضا .

٢١٩٥- اللهم إلا أن تأتي عنايات الضياء ، قائلة : تحرر من الدنيا ومن سيرها .

- وتخلص ثانية من أوهامك ورؤاك ، فإن ذلك الصقر الملكي قد وجد الطريق إلى المليك .

- إن هذا الوهم وتلك الرؤية جبر واختيار ، ومن وراءيهما معا ، هناك جذب الحبيب .

- وعندما وصلت تلك المرأة إلى المنزل ، فتحت الباب ، ووصل إلى سمعيهما معا صرير فتحه .

- فانفلتت الجارية مضطربة من الالتحام ، وقفز الرجل ، ودخل في الصلاة .

٢٢٠٠- ورأت المرأة جاريتها مشعثة الشعر مضطربة مرتبكة ذاهلة ؛

- ورأت زوجها قائما في الصلاة ، فارتابت المرأة من تلك الهزة .

– ورفعت طـرف ثـوب زوجهـا بـلا حـذر ، فرأتهـا ملوثـة بـالمني ، الخصيتيـن والذكر .

– كانت بقية المني تقطر من الذكــــــر ، وقد تلوث منها فخذه وركبته .

– فصفعتـه المـرأة فوق رأسـه قائلـة : أيهـا الحقير ، أهكـذا تكـون خصيــــــة المصلي ؟

٢٢٠٥– وهل يليق بالصلاة والذكْـــــر هذا الذَكــــــر ؟! ومثل هذا الفخذ وهـذه العانة الملوثتين بالقذَر ؟

– والكتاب المليء بالظلم والفسق والكفر والحقـــــد ، أيكون لائقــــا بـاليمين ؟ أنصف ، واصدقني القول.

– وإنـك إن سـألت المجوسـي : مـن خـالق هـذه السمـــــاء ، وهـذا الخلـق وهـذه الدنيــــا ؟

– ليقولن : خلقها الله ، وإن صنعه دليلٌ على ألوهيتــــه .

– فهل يكون كفره وفسقــــه وظلمه البين أمورا لائقة بإقراره هــــــذا ؟

٢٢١٠– وهل تليق بمثل هذا الإقرار الصادق تلك الفضائح وتلك الأفعال القبيحة ؟

– وإن فعله هذا قد كذب هذا القـــــــول ، حتـى صـار مسـتحقا للعـذاب البئيس ذى الهول .

– ففي يوم الحشر يظهر كل خفي ، وكل مجرم ، تقوم بفضحه نفســــه .

– فاليد والقدم تشهدان ببيان وحديث ، على فساده أمام المستعــــــان .

– تقول اليد : هكذا سرقت ، وتقول الشفة : هكذا قبلت .(١)

---

(١) في نسخة نيكلسون "سألت" وتبعتها بقية النسخ ، والبيت لا يوجد في نسخة قونيه ، والشطرة هنا مترجمة عن نسخة جعفرى " ٦٤٢/١١" .

٢٢١٥- وتقول القـــدم : وأنـا مشيت حتى مِنــــــى ، فيرد الفرج : وأنـا ارتكبت فاحشـــة الزنـــا .

- وتقول العين ، لقد نظرت نظرة إلى حرام ، وتقول الأذن : وأنـا استمعت إلـى النميمة .

- فيكون كاذبا من قمة رأســه إلـى أخمص قدميــــه ، إذ قام بتكذيبه حتـى أعضــاء بدنه .

- مثل ذلك الذى أثناء الصلاة التي تهب الضياء ، صار مفتضحــــا مـن خصيتيــــه .

- فقم إذن بذلك الفعل الذى يكون بلا لسان ، شهادة لك ، وعين البيــــان .

٢٢٢٠- فجسدك كله ، وبأعضائه عضـوا عضـوا يا بني ، يكون قائلا : إنني أشهد في النفع والضر.

- وسير العبد خلف السيـــد دليلٌ على أنه محكوم ، وأن هذا " السيد " هـو مولاه .

- وإذا كنت قد سودت كتاب عمرك ، فتب عما قد فعلت من قبل .

- وإذا كان العمر قد مر ، فارو جذره إن كان قد جف ، بماء التوبة على الفور .

- ولترو ذلك الجذر بمــاء الحيــاة ، حتى تصبح شجرة عمرك ذات أوراق وثمـــار .

٢٢٢٥- فيصير كل ما مضى على ذلك النسق حسنا طيبـــا ، والذى كان سما ، يصبح بهذا سكـــرا .

- ويقوم الحق بتبديل سيئاتك ، بحيث يتحول كل ما سبق منـك " من ذنـب " إلـى طاعــــة .

– فيا أيها السيد ، طف جيدا حول التوبـــــة النصوح ، وجاهد سواءً بالجسد وسواء بالروح .

– واستمع مني إلى بيان هذه التوبـــــة النصوح ، وإن كنت قد ملت إليها ، فمل من جديد .

حكاية في بيــان التوبة النصوح التي تشبه اللبن الذي يخرج من الثدي ولا يعود إليه ثانيــة .. فكل من تاب توبة نصوحا لا يذكر ذنبه أبدا فيميل إليــه ، بل يزداد كرها له كل لحظـــة ، وتلك الكراهية دليل على أنه قد وجد لذة القبول ، وأن تلك الشهوة الأولى قد صارت بلا لذة ، وحلت هذه اللذة محــل تلك اللذة كما قيـــل :

لايقضي على العشق إلا عشق آخــر * فلماذا لا تتخذ رفيقـــا أفضل

وذلك الذي يميل قلبه إلى ذلك الذنب مرة أخرى ، يكون دليلا على أنه لم يجــد القبول ، ولم تحل لذة القبــول محل لذة الذنب ، ولم تكن من نصيبه ﴿ سنيسره لليســرى ﴾ وبقيت عليه لذة ﴿ سنيســره للعســـرى ﴾

– كان هناك فيما مضــــى رجل يسمى نصــــوح ، تيسر له الرزق من القيام بتدليك النســـاء .

٢٢٣٠– كان وجهه كوجـــــوه النســــاء ، وكان " بالطبع " يخفي كونه رجــــلا .

– لقد كان دلاكا في حمام النســـاء ، ولم يكن في المكر والحيلة ، بالذى يشق له غبار .

– وظل لسنوات يقوم بهذا العمــــل ،دون أن يفهم أحد حقيقة هوســه وسره .

– وذلك لأن صوته ووجهه كانا " كما يكونان " عند النســـاء، لكن شهوته كانت كاملـــة يقظـــة .

– لقد لبس الملاءة والطراحــــة وتنقب بالنقـــاب ، لكنه كان رجـلا شهوانيـــا في شرخ الشباب .

٢٢٣٥–وعلى هذا النحو ، ظل ذلك الشهواني المحب ، يقوم بتدليك بنات السادة جيـــــدا .

– كان يتوب مرات، وينسحب " من هذا العمل " ، لكن النفس الكافرة كانت تمزق توبته .

– فذهب ذلك القبيح الفعال إلى أحد العارفين ، وقال له : اذكرنـــــا في دعائك.

– وعرف ســــره ذلك الرجل الحر ، لكنه لم يظهره لـــــه ، وكأنه حلـــم الله .

– فعلى فمه قفل ، وفي القلب أســـرار ، والشفة صامتــــة ، والقلب ملــيء بالضجيج .

٢٢٤٠– فالعارفـــون الذين شربـــوا من كأس الحق ، عرفوا الأســـرار ، لكنهم قاموا بإخفائها وسترها .

– وكل من قاموا بتعليــــمه أسرار الأمــــور ، ختموا على فيــــه ، وخاطوه " على ما فيه " .

– فتبســــم ضاحكا ، وقال له : يا سيء الأصـــل ، تاب الله عليك مما تعلمــــه .

في بيان أن دعاء العارف الواصل ، وطلبه من الحق ، مثل طلب الحق من نفسه مصداقا لـ [كنت له سمعا وبصـــرا ولسانا ويدا] وقوله ﴿ وما رميت إذ رميت ، ولكن الله رمــى ﴾ والآيات والأخبار في هذا كثيرة ، وشرح تهيئة الحق للسبب ، حتى يأخذ بأذن المجـــرم جارا إيـــاه إلى التوبـــة النصـــوح .

– لقد نفذ هذا الدعـــــاء من السموات السبـــــع ، فانصلح أمـــر هذا المسكين آخــــرا .

– فهو دعاء الشيخ ، وليس مثل كل دعــــاء ، إنه فان ، وقوله هو قـول اللـــه .

٢٢٤٥- وعندما يســـأل الله نفســـه ويطلب منهـــا ، كيف يرد إذن دعـــاء نفســـه ؟!

- ولقد هيأ صنع ذى الجـــلال سببـــا ، حتى يخلصـــه من اللعنة ومن الوبـــال .

- كان يملأ الطست في ذلك الحمام ، عندمـــا ضاعت جوهرة من بنت الملك

- وفقدت جوهرة من قرطها وهو في أذنها ، وأخذت كل امرأة في البحث والتفحص .

- ثم أحكموا رتاج باب الحمام ، لكي يبحثوا في البداية بين طيات الملابس .

٢٢٥٠- وبحثوا في كل الملابس ولم يجدوها ، ولم يكتشف ســـارق الجوهرة

- وجدوا في البحث وكيفما اتفق ، أخذوا في البحث في الأفواه والآذان وفي كل شق .

- في كل شق ، أسفل وأعلى ، وفي كل ناحية ، أخذوا يفتشون عن الدرة الغالية الثمينـــة .

- وتعالى هتاف بأن يخلعن جميعـــا ملابسهن ، كل من كانت عجوزا أو شابة

- وأخذت الحاجبة في تفتيشـــهن الواحدة بعد الأخرى ، لتجد الجوهرة الغالية الثمينـــة .

٢٢٥٥- وانتحى نصوح ركـنا من الخوف ، شاحب الوجه أزرق الشفـــة ، " خشية افتضاح أمره" .

- كان يرى الموت ماثـــلا أمام عينيـــه ، فأخذ يســير وهو يرتعد كأوراق " الصفصاف " .

- وقال : يا رب ، لقد نكصت مرات عديدة عن التوبـــة وحنثت بالعهـــد .

-ولقد ارتكبت يا إلهي ما كنت أهلا له ، حتى يحل بي مثـــــل هذا السيـــل الأسود .

- وإذا وصلت نوبـــة البحث إليّ ، ويلي ، أية مصائب سوف تحيق بـــي .

٢٢٦٠-لقد اندلع في كبـدى لهيب شديــــد ، فانظر في مناجاتي إلى لهيب كبــــدى .

- فلا أصاب كافرا مثل هذا الغــــم ، ولقد تعلقت بطرف رداء الرحمة ، فالغياث .. الغياث .

- و ليت أمي لم تلدنـــــي ، أو ليت ليثـــا افترسني في الأجـــم .

- فافعل أنت يا إلهي ما أنت أهل لـــه ، فمن كل حجر تقوم حيـــة بلدغـــي .

- وإن لي روحا ثقيلـــة وقلبـــا حديديـــا ، وإلا لصارا دما ، في هذه الشدة والضراعـــة .

٢٢٦٥- والوقت ضيق أمامي ، وأمامي لحظـــة واحدة ، فزاول ملوكيتك ، وأدركني .. أيها الإلـــه .

- ولو أنك سترتني هـــذه المرة ، لتبت عن كل ما لا ينبغـــي فعلـــه .

- فاقبـــل توبتي هذه المرة أيضـــا ، حتى أعقد مائة حـزام " جهدا " في التوبة .

- وإن قصرت وأذنبت ونكصت هذه المرة ، فلا تسمع من بعدها مني قولا أو دعاء .

- وهكذا أخذ يتضرع ودموعه تسيـــل ، قائلا لنفســـه : لقد سقطت في أيدى الشرطة والجلادين .

٢٢٧٠- فلا مات أحد - حتى من الفرنجة - هذه الميتــــة ، ولا اضطـــــر ملحد قط إلى هذا التضرع والأنين .

- وأخذ ينوح على عمــــره وهو يرى وجــــه عزرائيـــل يقترب منــــه

- فأخذ يردد : يا ألله .. يا ألله..ويكرر هاكثيرا، بحيث جارته في دعائه الأبواب والجدران .

- وأثنـــاء ندائه المستمر للعتبات الإلهيـــة ، ارتفع صوت من بين التفتيش والبحث .

وصول الدور في التفتيش إلى نصوح ، ونداء : لقد فتشنا الجميع ففتشوا نصوح أيضا ، وفقدان نصوح الوعي خوفا ، وانفراج حالــه بعد نهاية الشدة ، مصداقا لقول النبي ﷺ إذا أصابه مرض أو هم : [اشتدي أزمة تنفرجــــــــــي]

- " وقال الصوت " : لقد فتشنــــا الجميع ، فتقدم يا نصـــوح ، ففقد الوعي على الفور ، وطارت روحه شعاعا .

٢٢٧٥- وسقط كأنــــه جدار مهدم ، وضـاع وعيــــه وعقلـه ، وصـار كالجمـــاد .

- وعندما غادر وعيــــه جسده ، اتصــــل سره بالحق في تلك اللحظـــــة

- وعندما صار فارغا ، ولم يبق لـــــه وجود ، استدعى ذو الجلال بازى روحه إليـــــه .

- وعندما تحطمت سفينتــــه وباءت بالخذلان ، سقطت من البحر على شاطيء الرحمة .

- ولقد اتصلت روحه بالحق عندما فقد الوعـــــــي ، وجاشت أمواج الرحمـــة في تلك اللحظـــة .

٢٢٨٠-وعندما نجت روحـــه من عار الجســـد ، مضت فرحـــة سعيدة نحو أصلهـــــا .

–فالروح كالبازى ، والجسد بالنسبة لها كالنير والطوق الثقيـــــــل ، يكون منه مقيد القدم ، كسير الجنــــاح ، عبــــــدا ذليــــــلا .

– وعندما ذهب الوعي عنه ، وفك القيــــد من قدمــــــه ، يطيــــــر ذلك البازى صوب السلطان .

– وعندمـــــا جاشت بحار الرحمــــــــة ، شربت حتى الحجارة مـــــاء الحيــــــوان.

–وصــــــارت الذرة الضئيلــــــة عظيمة فخمــــة ، وصــــار الأديم الترابي ، أطلس مطرزا بالذهب .

٢٢٨٥– وخـــــرج من قبره ذلك الرجل من بعد مائـــــة عام ، وصار الشيطان الملعون يزرى في حسنــــه بالحــــور .

– وصـــــار كل وجــــه الأرض أخضـــــر يانعــــا ، وأنبت الخشب اليابس البراعم ، وصـــار نضـــرا لطيفــــا .

– وصار الذئب جليســــا للشاة في مجلس الصــــــراح ، وصار القانطون متهللين مقبلين .

العثـــور على الجوهــــرة واعتذار صاحبات الأميرة وجواريها لنصوح

– ومن بعد ذلك الخوف الذى كان هلاكــــا للروح ، وصلت البشارات صائحة : هاكِ الذى فقد منك .

– ووصل " هتاف " الهاتف فجأة أن : رُ فـــع الخوف ، لقد تم العثور علـى تلك الدرة اليتيمة الضائعـــة .

٢٢٩٠– لقد وُجدت ، وها نحن قد تقلبنا في السرور ، بشروا الجميع ، فقد وجدنا الجوهـــرة .

– ومن الصيـــاح والتهليل والتصفيق ، امتلأ الحمام ، فقد زال الحزن .

– وذلك " النصوح " الذى كان قد غاب " عن نفسه " عاد إلى وعيه ، ووجدت عينه نور مائة نهار أمامه .

– وأخذت كل منهن تعتذر له وتطلب منه السماح ، وأخذن في إمطار يديه بالقبل .

– قائلات : لقد أسأنا بك الظن فسامحينا ، وأكلنا لحمك بالقيل والقال .

٢٢٩٥– ذلك أن أكثر ظن جميعهن كان فيه ، إذ كان مقربا من " الأميرة " عن الجميع .

– لقد كان نصوح دلاكها الخاص وموضع سرها ، بل كانا كروح واحدة في جسدين .

– فإذا كانت الجوهرة قد سرقت ، فهو الذى سرقها فحسب ، فلم يكن هناك من هو ألصق بالسيدة منه .

– لقد كانت عندما قامت الضجة تريد تفتيشه أولا ، لكنها أخرت تفتيشه لاحترامها " له " .

– فربما يلقي بها في مكان ما ، وليخلص نفسه في هذه المهلة التي أعطيت له .

٢٣٠٠– فأخذن يطلبن منه العذر والسماح ، ونهضن جميعهن معتذرات له .

– فقال : إنه من فضل الله العادل ، وإلا فإنني أسوأ بكثير مما قيل فيّ .

– وأى عفو وسماح ينبغي أن يطلب مني ، وأنا أكثر أهل العصر إجراما .

– إن ما قلته عني من السوء ، واحد في المائة " مما أنا عليه" ، وعلى كشف هذا الأمر وتفسيره إن شك في صحته أحد .

– فما الذى يعلمه عني أحد إلا القليل ، ويعرف من آلاف الجرائم والقبائح جرما واحدا .

٢٣٠٥– إنني أعلم جرائمي وقبح فعالي ، كذلك يعلمها ذلك الذى ستـــــر عليّ

– لقد كان إبليس أستاذا لي من البدايـــــة ، ثم صار إبليس إلى جوارى مجرد هبـــــاء .

– ولقد رأى الحق كل هذا وتغاضى عنــــه ، حتى لا أصير من الفضيحــــة مصفر الوجه .

– ثم إن الرحمة أخذت ترتق ما " تمزق " من ردائـي ، وجعلت التوبـة الحلوة كالروح رزقـــا لي .

– وجعلنـي حـرا كـأنني شـجرة سـرو أو سوسـن ، وجعلنـي سـعيدا كـأنني الحـظ والإقبـــــال .

٢٣١٠– وكل ما ارتكبته واقترفته اعتبرني لم أفعله ، وما لم أقم به مـن طاعـة ، اعتبرني قد قمت بـــه .

– وكتب اسـمي فـي سـجل الأطهـار الأبـرار ، وكنـت مـن أهـل الجحيم فوهبنـي الجنـــــة .

– وقد تأوهت فصـــــارت آهتي كأنها الحبل المتين ، صارت حبلا مد من أجلي داخل البئــــر .

– فأمسكت بذلك الحبل وخرجت مـن بـئر " المعصيـــــة " ، سـعيدا سمينــــا متوردا .

٢٣١٥– كنـت مقيمـا فـي قعـر البـئر مسكينا فـاقد الحيلـــــة ، والآن أصبحـت بحيث لا يسعني العالم كله .(١)

---

(١) ج/ ١٢–١١٢: – فلتكن أنواع الثنـــاء لك يا رب ، فقد خلصتني فجـــأة من الحزن .

- فلو أن طرف كل شعرة مني تجد لسانا ، لا تتأتى أنواع شكرك في بيـــان

- وها أنا أصبح في هذه الروضـــة وهذه العيون ، هاتفا في الخلق ﴿ يا ليت قومي يعلمـــون ﴾ .

استدعاء الأميرة لنصوح لتدليكها بعد ثبات التوبة وقبولها " من الله " وتعالـــه ورفضـــه

- ثم أتاه من بعدها أحدهم قائلا : إن أميرتنا تدعوك راجية إيـــاك ؛

- إن الأميرة تدعوك قائلـــة : تعالي ، هيـــا ، واغسلي رأسي أيتها التقيـــة .

٢٣٢٠- فهي لا ترغب في أحد سواك لتدليكها ، ثم غسل شعرها بحجر الطّفل .

- فقال له : إليك عني ، وامض ، فقد كلت يدى من العمل ، وهذا النصوح قد مرض الآن .

- واذهب وابحث عن سواى سريعـــا ، فأنا والله قد كلت يدى من العمل .

- وقال لنفســـه : لقد جاوز الجرم الحد ، فمتى يمضي عن قلبي ذلك الخوف والحزن ؟

- لقد مت مـــرة ، ثم عدت ، ولقد تذوقت مرارة الموت والعدم .

٢٣٢٥- ولقد تبت توبة حقيقية إلى الله تعالى ، ولا أعود عنها حتى تغادر روحي بدني .

- ومن بعد هذه المحنة ، من الذى يمضي ثانية صوب المحنة اللهم إلا إذا كان حمارا .

حكاية في بيان أن الذي يتوب ويندم ، ثم ينسى ندمه ، ويجرب المجرب يقع في خســـارة الأبد إذ لايصل إلى توبتـــه مدد من الثبات والقـــوة والحلاوة والقبول ، تكون كشجرة بلا أصل تزداد اصفرارا وتيبسا والعياذ باللـــــه

– كـان هنـاك أحـد القصـارين ، وكـان لديـه حمـار جريـح الظهـر خـاوى البطـن هزيـــــل .

– كان يقضي يومه حتى الليل بين الصخور الخالية من العشب بلا زاد ولا ملاذ

– ولم يكن هناك من طعام إلا المـــــاء ، وكان الحمار فيـه ليـل نهـار كـالأعمى والتائـــه .

٣٢٣٠– وكانت هناك في تلك الأنحاء غابة وأجمـــــة ، وكان فيها أسد عملـــــه الصيـد .

– ووقعت معركة بين ذلـك الأســـــد وبيـن فيـل مفـترس ، فجـرح الأســـــد ، وعجز عن الصيد .

– وظل فترة عاجزا عن الصيد من الضعف ، فظلت الوحوش من حوله بـلا زاد تتبلغ به .

– ذلك أن كل ما كان يتبقي من الأســـــد ، يكـون مـن أجلهـا ، وعندمـا مـرض الأسد ، ضاق به الحال .

– فأمر الأسد أحد الثعالب قائلا : امض ، وصد من أجلي حمـــــارا .

٢٣٣٥– فإذا وجدت حمارا بين المروج ، فـاذهب ، واحتـل عليـه بحلـو الكـلام ، واخدعه ، وأحضره إلي َ .

– وعندما أسترد قوتي من لحم الحمار ، أصيـــــد حينذاك صيـــــدا آخـــــر

– فآكل منه القليل ويكون باقيه لكم ، فأنا بالنسبة لكم ، سبب من أسباب الرزق .

- فابحث لي عن حمار أو عن بقـــــرة ، واستخدم شيئا من تلك الخدع التي تجيدها .

- وبكلامك المنمق وألفاظك الحلـــــوة ، اسلبه عقله ، واسحبه إلى هذا المكان .

تشبيه القطب العارف الواصـــل في إعطاء الخلق الرزق من قوت المغفرة والرحمة على المراتب التي يلهمه الحق إياهـــا وتمثيله بالأسد الذي تكون الوحوش آكلة من قوتـــه ومن بقاياه على مراتب قربهم من الأســد ، ليس القرب المكاني بل قرب الصفـــــة ، وتفاصيل هذا كثيرة ، واللـــــه الهـــادي

٢٣٤٠- إن القطب هو الأسد وعمله الصيـــــد ، وبقية الخلق من أكلة بقايـــاه .

- فجاهد ما استطعت في رضـــــا القطب ، حتى يقوى ويقوم بصيد الوحوش .

- ثم إنه عندما يتعب يظـــــل الخلق بلا زاد ، وذلك لأن رزق الخلق بأجمعه يكون من كف العقل .

- ولأن وُجد الخلق يكون من باقي طعامـــــه ، فاحفظ هذا ، إن كان قلبك باحثا عن الصيـــــد .

- إنه كالعقل ، والخلق كأعضـــــاء الجسد ، وتدبير البدن منوط بالعقل .

٢٣٤٥- وضعف القطب يكون من الجسد لا من الروح ، إن الضعف يكون في السفينة ، لا في نوح عليه السلام .

- والقطب هو ذلك الذي يكون طوافه حول نفســـــه ، بينما يكون دوران الأفلاك حوله هــــو .

- فساعده إذن في مرمة سفينتـــــه ، إن صرت من خاصة غلمانه ومن عبيده .

- فإنك بعونك هذا تربو ولا يربو هـــــو ، لقد قال الحق ﴿ إن تنصروا اللـه﴾ فإنكم تنصـــــروا .

- وقم بالصيد كالثعلب ، واجعل " صيدك " فداءً له ، حتى تأخذ عوضا عنه آلاف الفرائس .

٢٣٥٠- فإن صيد المريد يكون كصيد الثعالب ، لكن الضبع الضخم لا يصيد إلا الميتة .

- وإنك لتجرن الميت إليه فيصير حيا ، والقمامة في المزرعة تقوم بإنبات النبات .

- وقال الثعلب للأسد : السمع والطاعة ، إنني سوف أحتال عليه حتى أسلبه عقله .

- فإن الاحتيال وتنميق الكلام هما عملي ، عملي هو الخداع بالقصص والحكايات ، والإضلال .

- ونزل مسرعا من قمة الجبل إلى جانب الجدول ، فوجد ذلك الحمار المسكين الهزيل .

٢٣٥٥- فألقى السلام عليه بحرارة وتقدم منه ، وذهب إلى ذلك الساذج الغفل الفقير .

- وقال له : كيف أنت في هذه الصحراء القاحلة ، بين الحجارة وفي هذا المكان الموحش ؟

- فقال الحمار : سواء كنت في حزن أو في إرم ، فهكذا قسم لي الحق ، وأنا شاكر له .

- إنني أشكر الحبيب في الخير وفي الشر ، فهناك في القضاء ما هو أسوأ من السوء .

– وما دام هو القســـام فالشكوى كفـــــــر ، إذ ينبغي الصبر ، والصبر مفتاح العطـــــاء .(١)

٢٣٦٠– وكل من هم غير الحق أعداء وهو الحبيب ، ومتى تكون الشكوى من الحبيب مستحبة أمام العدو ؟

– وإن أعطاني المخيض فلن أطلب العسل ، وذلك أن كل نعمة مقرونة بغـــــــم .(٢)

حكاية رؤية حمار الحطاب النعم التي فيها الخيول العربية الأصيلة في الإصطبل الخاص وتمنيه لذلك الإقبال ، وفي الموعظة أنه لا ينبغي التمني إلا في المغفرة والعناية ، فلو كنت في مائة شقاء وظفرت بلذة المغفرة تكون كلها حلوة ، أما فيما تبقى ، فكل حظ تتمناه بلا تجربة فهو قرين لشقاء لا تراه ، بحيث لا يظهر من كل فخ إلا الحب والفخ خفي وأنت في هذا الفخ تتمنى قائلا : ليتني أمضي إلى هذا الحب ، ظانا أنها حبوب بلا فخ

(٣)

---

(١) ج/ ١٢–١١٩:– ثم قال : الصبر مفتاح الفرج ، ومتى يحيق بالصابرين الجور والحرج ؟ – إنني راض بقسمة القســـام ، فهو إله الخواص ومن هم من العوام .– والخواص والعوام ذوو نصيب من نعمته ، وهو الذي يوصل الرزق للوحوش والهوام .– والطيور والأسماك كلها تأكل رزقها ، والنمل والحيات كلها تأكل من نعمته – ومائدته ممتدة للعالم بأجمعه ، وعلى مائدته يكون الخلائق في دهشة شديدة .– إنهم يأكلون ولا يقل شيء منها قط ، فدلني من ذلك الذي يكون بلا رزق في هذه الدنيا ؟! – فكن راضيـــا إن كنت ذا قلب حي ، فإنه هو الذي يوصل الرزق لكل عبد .

(٢) ج/ ١٢– ١١٩:– فاشكر حتى لا يأتينك ما هو أسوأ من السوء ، وإلا عجزت على حين غرة كحمار في وحـــــل .

(٣) ج/١٢–١٢٤:– أتذكر حكاية عن أبي ، إذ قال لي ذات يوم ناصحـــــا . ورغم أن العنوان ينص على حمار الحطاب فالحمار في النص لسقـــــاء ، ولعل مولانا كان قد وقف عند عنوان الحكاية ثم عاد إليه بعد فترة . وعلى كل فهذا لا يغير شيئا من لب الموضــــــوع .

– كان هناك أحد السقائين ، وكان عنده حمار ، صار منحنيا من المحن كأنه القوس .

– كان في ظهره مائة جرح من الحمل الثقيل ، وكان يتمنى يوم موته عاشقا له .

– فأين منه الشعير وهو لا يشبع من القش اليابس ، وفي أعقابه الضرب والمنخاس الحديدى .

٢٣٦٥– ورآه أمير الإصطبل وأشفق عليه ، فقد كان الرجل من معارف صاحب الحمار .

– فسلم عليه ، وسأله عن الحال ، ومن أى شيء صار هذا الحمار منحنيا كحرف الدال .

– فأجاب : من فقرى وتقصيرى في حقه ، فإن هذا الحيوان الأعجم لا ينال حتى القش .

– فقال له : سلمه لي لعدة أيام ، حتى يقوى في إصطبل الملك .

– فسلمه الحمار ، وذلك العاشق للرحمة ، ربطه في وسط إصطبل السلطان .

٢٣٧٠– ورأى الحمار في كل ناحية جوادا عربيا أصيلا ، منعما سمينا طيبا عليه نضرة " النعيم " .

– كان ما تحت أقدامها مكنوسا مرشوشا ، والتبن والشعير يقدمان في الموعد .

– ورأى حك الجياد وتدليكها ، فمد فمه رافعا إياه قائلا : أيها الرب المجيد ؛

– على فرض أني حمار ، ألست مخلوقا لك ؟ فلماذا أنا مسكين جريح الظهر نحيل ؟

– وفي الليل من ألم الجراح في الظهر ومن الجوع في البطن ، أتمنى الموت لحظة بلحظة ؟

٢٣٧٥- وما لهـذى الجياد فـي حـال مرفـه ومنعـم ، فـلأى شـيء خصصـت أنـا بالعذاب والبلاء ؟!

- وفجأة علا صياح الحرب والقتـــــال ، وآن للجياد أن تسرج وتعمـــــل .

- فتعرضت لطعنات السهام من العدو ، واخترمتها الرماح من كل صوب .

- وعادت تلك الخيول من ميدان القتال ، وسقطت كلها " علـى ظهورها " فـي الإصطبـــــــل .

- فشدت قوائمها بالحبال بإحكـــــام ، ووقف البياطرة صفوفـــــا .

٢٣٨٠- وأخـذوا يشـقون أجسـادها بالمباضــــــع ، لكـي يقومـوا بـإخراج النصـــــال منها .

- ورأى ذلـك الحمـار هـذا الأمـــــر فقـال : يـا ألله ، لقـد رضيـت بـالفقر والعافيـــــة .

- إنني رافض لذلك النعيم " تتلوه " تلك الضربات الموجعـــــة ، وكـل مـن أراد العافية ، نبذ الدنيا .

عدم قبول الثعلب قول الحمار " اني راض بما قسم لي "

- قال الثعلب : إن طلب الرزق حلال ، فرض من أجل الامتثـــــال .

- إنه عالم بالأسباب ، ولا يتأتى شيء بلا سبب ، والمهم إذن هو الطلب .

٢٣٨٥- وقـد أمرنـا سبحانه قـائلا :﴿ وابتغـوا مـن فضـل اللـه﴾ ، حتـى لا يـلزم الغصب ، كما يفعل النمر .

- وقد قال الرسول ﷺ : لقد أغلق على الرزق باب أيها الفتى ، وفوق هـذا البـاب أقفـــــال .

- وحركتنا وسعينا واكتسابنا بمثابة المفتاح لذلك القفل و" الكشف " لذلك الحجاب

– ولا سبيل لفتح هذا الباب دون مفتــــاح ، وليس من سنة الله أن يوجد خبز دو طلب .(١)

جواب الحمـــار على الثعلب

– قال : إن هذا يكون من ضعف التوكـــل ، وإلا فإن الذى يهب الـروح يعطيها أيضـــا الخبز .

٢٣٩٠– وكل من يبحث عن الملوكيــــة والظفــــر ، لن يعـدم لقمة خبز يا بني .

– والوحوش والحيوانات كلها آكلـــة للرزق ، لا هـي تسعى في كسب ، ولا أحد " يحمل " إليها الرزق .

– فالرزاق يرزق كل ما خلق ، ويضع قسمة " كل واحد " من الخلق أمامه .

– والرزق يصل إلى كل من صبـــر ، وكل ما تقوم بـه من سعي من انعدام صبرك .

جواب الثعلب على الحمـــار

– قال الثعلب : إن ذلك التوكل أمر نـادر ، وقليل مـا هـم ، أولئك الذين وفقوا فيـــه .

٢٣٩٥– وطلب النادر من قبيل الجهــــل ، ومتى كان طريق سلاطين " الدين" ميسرا لكل إنســان ؟

– وما دام الرسول ﷺ قد قال : القناعة كنز ، فمتى يصل الكنز المخبوء إلى كل إنســـان ؟

---

(١) ج/١٢-١٢٧:– وإنك إن قبعت في قاع بئر فمتى يأتيك الرزق يا ذا الفضل ؟ .

- فاعرف حدك ، ولا تحلق عاليـــــا ، حتى لا تسقط في هاويـــــة الفتنــة والشــــــــر .(١)

جواب الحمـــار على الثعلب

- قال الحمار : اعلم أنك تعكس الأمور ، فالفتنة والشر يجتمعان في الروح من الطمـــــع .

- فمن القناعة لم يسلم أحدٌ قط الروح ، ومن الحرص لم يصبح أحد قط سلطانا

٢٤٠٠- والخبز لا ينقطـــــع عن الخنازير والكلاب ، وليس من كسب النــاس ، هذا المطر وهذا السحاب .

- فكما يكون العاشق للرزق طالبا إياه متضرعا من أجلـــــه ، فإن الرزق أيضـــا يكون عاشقا لآكله .(٢)

في تقرير معنى التوكل .. حكاية ذلك الزاهد الذي كان يمتحن التوكل فخرج من المدينة ومن بين الأسباب ، وابتعد عن أماكن تردد الناس وطرق مرورهم ، ووضع رأسه على حجر في سفح جبل مهجور مفقود وهو في غاية الجـــوع ، ونام قائلا لنفسه : توكلت على خلقك للأسبـــاب ورزقك وانقطعت عن الأسباب ، حتى أرى أن التـــــــوكل سبب

- سمع أحد الزهاد أن المصطفى ﷺ قد قال ، إن الرزق يأتي يقينا للروح من قبـل اللــــــه .

- سواء أردت أو لم ترد ، فإن رزقك يأتيك مسرعا إليك من عشقـــــه إياك .

- ومن أجل الامتحـــــان ، ذهب ذلك الرجل ونام مسرعا في صحراء بالقرب من جبل .

---

(١) ج/١٢- ١٣٠ :- فجاهد واسع في طلب الرزق ، ما لم يكن لك صبر على التوكل .

(٢) ج/١٢-١٣١:- وإن لم تسـع يأتك حتى بابك ، وإن سعيت فلا نصيب لك إلا الصداع .

٢٤٠٥- قائلا : لأرى هل يأتيني الرزق ، حتى يقوى ظني وإيماني أن الرزق من الله .

- وضلت قافلة طريقها ، وسارت نحو الجبل ، فرأت ذلك الذى يمتحن " ربه " نائمـــا .

- فقالوا : كيف يكون هذا الرجل وحيدا في هذه الناحيــة ؟ في صحراء بعيدة عن المدينة وعن الطريق ؟

- عجبــا ، هل هو حي أو ميت ؟ وكيف لا يخاف من ذئب أو من عدو ؟!

- وتقدموا وأخذوا يتحسسونه بأيديهـــم ، فلم يتحدث ذلك الرجل عن عمد .

٢٤١٠- ولم يتحرك ، ولم يحرك رأســه ، ولكي يتم امتحانه ، لم يفتح حتى عينيه !!

- فقال " أحدهم " : إن هذا المسكين المحروم ، قد سقط هكذا بالسكتة من الجوع

- فأتوا بالخبز وبطعام في قدر ، حتى يصبـــوه في حلقه وفي فيه .

- فضم الرجل عامدا أسنانه بشـــدة ، حتى يرى صدق ذلك الوعـــد .

- فأشفقوا عليه قائلين : إنه شديد الجـوع ، وهو هالك " لا محالـة " من الجوع و" ماض " إلى الفناء .

٢٤١٥- فأتوا بسكين وأسرعوا إليـــه ، وفصلوا ما بين أسنانه التي أطبقهـــا .

- وصبوا الحســاء في فمه ، وأخذوا يدسون لقيمات الخبز في فيه .

- فقال : أيها القلب بالرغم من أنك آخذ في الاستسلام ، فإنك تعرف السر لكنك تتدلل .

- قال القلب : نعم ، أعلم ، وأفعل ما أفعله عن عمد ، فالرازق هو الله ، لجسدى وروحى .

– وكيف يكون هناك امتحان أكثر من هذا ؟ ، إن الرزق يمضي سعيدا إلى الصابرين .(١)

جواب الثعلب على الحمار وحثه إياه على الكسب

٢٤٢٠– قال الثعلب : دعك من هذه الحكايات ، واطرق أبواب الكسب ، ولو بجهد المقل .

– لقد أعطاك الله يدا ، فقم بعمل ما ، وقم بكسب ما ، وعاون العدو والصديق .

– فكل من يخطو خطوة نحو الكسب ، فإنه يقوم بعون أصدقاء آخرين .

– ذلك أن كل الكسب لا يتأتىمن شخص واحد ، فهناك نجار وهناك سقاء وهناك حائك .

– وهذه الدنيا قائمة على المشاركة ، وكل إنسان يختار عملا ما من افتقاره .

٢٤٢٥– وليس للخيال الساذج مجال هنا ، فإن سبيل السنة هو العمل والاكتساب .

جواب الحمار على الثعلب أن التوكل هو أفضل الكسب فكل إنسان محتاج إلى التوكل ، حتي يدعو : اللهم هيء لي هذا العمل ، والدعاء يتضمن التوكل والتوكل كسب لا يحتاج إلى كسب آخر قط ...... إلى آخره

– قال " الحمار " : إنني لا أعلم في الدارين كسبا أفضل من التوكل على الله " تعالى " .

(١) ج ١٢/ ١٣٣–١٣٤ :– حتى تعلم ذلك ولا تترك التوكل ، وماذا يكون الحرص ؟ من الحمارية والجهل .– ثم فتح بعد ذلك المسكين فمه ، وقال : لقد قمت بامتحان رزقي .– وكل ما قاله ذلك الرسول طاهر الجيب ، حق ، ولا يوجد فيه أدنى ريب .

- ولا أعرف نظيرا للكسب المتمثل في شكـــــره تعالى ، حتى يجذب شكر الله مزيدا من الرزق .[1]

- وطال بينهما الجدل والخطـــــاب ، حتى حارا سؤالا ، واحتارا في الجواب .

- ثم قال " الثعلب " : اعــلم أنه بشأن هذه المهلكـــــة ، قد ورد نهي الله فقال ﴿ لاتلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ .

٢٤٣٠- والصبر في صحراء قاحلة وبين الأحجار يكون من الحمق ، وذلك لأن ﴿ أرض الله واسعة ﴾ .

- فانتقل من هنا صوب المروج ، وارع الخضرة هناك ، إلى جوار النهر الجارى .

- والمرج " هناك " أخضــــر وكأنه الجنان ، والخضرة هناك ناميـــــة ، تصل حتى الوسط .

- وسعيد ذلك الحيوان الذى يمضى إلى هناك ، إن الجمل نفســــــه ليختفي بين الخضرة .

- وكل ركن فيه نبــــع فياض ، والحيوان منعم فيه وفي أمـــــان .

٢٤٣٥- ومن حماريته لم يقل له الحمار : أيها اللعيـن ، لقد جئت من هنـاك ، فلماذا أنت نحيل ؟

- وأين امتلاؤك ؟ وأين نضرة النعيم ؟ وأين بهاؤك ؟ وما هذا النحول في جسدك المهدود ؟

- وإذا لم يكن كلامك المفصل عن الروضة كذبا وبهتانا ، فلماذا لا أرى في عينيك النشوة ؟

---

(١) ج/١٢-١٣٩:- والتوكل في حد ذاته هو أفضل الكسب ، ذلك أنك في كل كسب ممدود اليد إلى الله .- داعيا : يا ألله هيء لي من أمرى رشدا ، وهذا الدعاء من قبيل التوكل إن فكرت جيدا .- ففي التوكل لا يكون ثم احتياج قط ، وهو الفراغ من نقص الدخل ومن الخراج .

- وهذا الإلحاح والطمع، وهذا العمى في البصر ، " نابعان " من كونك متسولا ، لا من أنك قد تبوأت الإمارة

- وإذا كنت قد جئت من النبع، فكيف تكون جافا هكذا ؟ وإذا كنت نافجة غزال ، فأين أريج المسك ؟!(١)

٢٤٤٠- وكيف لم تبدُ عليك أمـــــارة واحدة مما تتحدث عنه أو تفصـــــل فيه أيها المحترم ؟

ضرب الجمل للمثل في بيان أن المخبر عن دولة ونضرة ونعيم لا ترى أثرها عليه يكون موضع اتهامه بأنه مقلد في الحديث عنها

- ســـــأل أحدهم الجمل قائلا : ها ، قل لي من أين أنت قادم يا مبارك الخطـــــى ؟

- قال من الحمام الساخن الموجود في حيك ، قال : هذا واضح من ركبتيك !!

- لقد رأى فرعون العنود حية موسى ، فأخذ في طلب المهلـــــة وإبداء اللين

- وقال الأذكياء : كان ينبغي عليه أن يكون أكثر حدة وغضبـــــا مادام هو رب الدين .

٢٤٤٥- وسواء كانت المعجزة أفعى أو حيـــــة ، ترى ماذا حدث لألوهيته وكبريائـــــه ؟

- لقد كان يهتف ﴿ أنا ربكم الأعلـــــى ﴾ عند جلوســــــه ، فما هذا الهلع الذى يبديه من أجل دودة ؟

- وما دامت نفسك ثملة بالنقل والنبيذ ، فاعلم أن روحك لم تبصـــــر العناقيد من الغيب .

---

(١) ج/١٢-١٣٩:- وإذا كنت قادما من الجنان ، فأين باقة الورد التي جئت بها كهديـــة ؟!

- فهناك أمارات تدل على هذا النور ، هي " التجافي منك عن دار الغرور " .(١)

- وعندما يطوف الطائر حول الماء الأجاج ، فذلك لأنه لم يجد المدد من الماء العذب .

٢٤٥٠- بل إن إيمانه يكون تقليدا ، وروحه لم تر وجه الإيمان .

- ومن هنا يكون المقلد في خطر عظيم ، في الطريق من قاطع الطريق ، الشيطان الرجيم .

- وعندما يرى نور الحق يصير آمنا ، ويصبح ساكنا مطمئنا من اضطرابات الشك .

- فإن زبد البحر يكون دائما في اضطراب وجيشان ، ما لم يصل إلى أصله أى التراب .

- إن هذا الزبد ترابي الأصل وغريب عن الماء ، ولا بد من وجود الاضطراب في الغربة .

٢٤٥٥- وعندما تتفتح عيناه ويبصر صورة " الحق " ، لا يجد الشيطان عليه بعد يدا .

- وإذا كان الثعلب قد تحدث إلى الحمار بالأسرار ، فقد ألقى بها على عواهنها ، وتحدث بها كالمقلد .

- لقد مدح الماء ، لكنه لم يكن تواقا إليه ، وخمش وجهه ومزق ثوبه ، ولم يكن عاشقا .

- والعذر من المنافق مردود وليس طيبا ، ذلك أنه صادر من الشفة لا من القلوب .

---

(١) ما بين القوسين بالعربية في المتن الفارسي .

- إن فيه رائحة التفـــاح ، لكنه ليس جزءًا من التفاح ، وهذه الرائحة فيه ليست إلا من أجل الأذى .

٢٤٦٠- وإن هجوم المرأة في قلب المعركة ، ليس شاقا للصفوف ، بل يجعل الأمر خرابا .

- وبالرغم من أنك تراها تحمل على الصف حملة الأسد ، إلا أنها إذا أمسكت بالسيف ، ارتعد كفها .

- فويلـــه ذلك الذى يكون عقله في طبع الأنثى ، وتكون نفسه القبيحة ذكرا مسلطا على هذا العقل .

- فلا جرم أن عقله هذا يكون مهزومـــا ، ولا ينقله إلا صوب الخســران .

- وما أسعد ذلك الذى يكون عقله ذكرا ، وتكون نفسه القبيحة أنثى تحت سيطرته .

٢٤٦٥- يكون عقله الجزئي ذكرا وغالبـــا ، ويكون سالبا " لسطوة " النفس الأنثى .

- وهجوم الأنثى جريء أيضا بصورته وظاهـــره ، لكن آفته من طبعه الحمارى ، مثل ذلك الحمار .

- والوصف بالحيوانية يزداد في حق المرأة ، ذلك لأنها تركن كثيرا إلى الألوان والروائح .

- لقد سمع ذلك الحمار " وصف " ألوان المروج ورائحتها ، ففرت كل الحجج التي ساقها من طبعه .

- لقد احتاج الظمـآن المطر ولا سحاب ، وأحست النفس بالجوع الشديد ولا صبـــر .

٢٤٧٠- والصبر يكون درعا حديديا أيها الأب ، وقد كتب الحق على الدروع : جاء الظفر .

- والمقلد يسوق مائة دليل في بيانه ، لكنه يبديها على سبيل القياس ، لا عن طريق العيان .

- إنه يبدو مضمخا بالمسك ولا مسك ، إنها مجرد رائحة مسك ، وليس لديه إلا البعر .

- وحتى يتحول البعر لديك إلى مسك أيها المريد ، ينبغي أن ترعى سنوات في هذه الروضة .

- فلا ينبغي أكل التبن والشعير كالحمير ، بل ارع الأرجوان في " ختن " كالغزلان .

٢٤٧٥- ولا ترع إلا القرنفل أو الفل أو الورد ، فامض إلى صحراء ختن مع هذا النفر " من الأولياء " .

- واجعل المعدة معتادة على ذلك الريحان والورد ، حتى تجد الحكمة وقوت الرسل .

- وحُل ما بين المعدة وهذا التبن والشعير ، وابدأ في أكل الريحان والورد .

- ومعدة الجسد تجر المرء نحو مزود التبن ، ومعدة الروح تجذبه نحو الريحان .

- وكل من يأكل القش والشعير يصير أضحية " للذبح " ، وكل من يكون غذاؤه نور الحق يصبح قرآنا .

٢٤٨٠- فانتبه ، إن نصفك من المسك ، ونصفك من البعر ، فهيا ، لا تزد في البعر ، وزد في مسك الصين .

- إن ذلك المقلد يأتي بمائة دليل ومائة بيـــــان ، لكم من طرف اللسان ، ولا روح .

- وعـندما لا يكـون لدى القـائل روح وبهـــاء ، متى يكـــون لقولـه ورق أو ثمــــــر .

- إنه يتوقح على الناس في الطريق ، لكنه في روحه وداخلــــه أكثر ارتعادا من القشـــة .

- ومن ثم ، فبالرغم من أن حديثه يكون ذا رواء شديد ، فإن الرعدة تكون مستترة فيـــه .

الفرق بين دعوة الشيخ الكامل الواصل وبين كلام الناقصين الذين يدعون الفضل لتعلقهم بفضلات العلم التحصيـــلي

٢٤٨٥- إن الشيخ النوراني يخبر بالطريق ، ويجعل النور لحديثه " نعم " الرفيق

- فجاهد حتى تصير ثملا ونورانيـــا ، وحتى يصير نوره لحديثك رفيقـــا .

- وإن كل ما يغلي في الدبس ، يكون له في الحقيقة طعم الدبس .

- وإنك لتجد منه لذة الدبس ، سواء كان من الجزر أو من التفاح أو السفرجل والجوز .

- وعندما صـــار العلم مخمرا بالنور ، يجد القوم اللد من علمك النــــور .

٢٤٩٠- وكل ما تقولــــه يكون منورا ، ذلك أن السماء لا تمطر أبـدا إلا الطاهـــر .

- فصر سحابا ، أو صر سماءً وأمطر ، فإن المطر يجعل القناة بلا فائدة .

- والماء في القناة على سبيل العارية ، لكنه فطرة في السحاب وفي البحر .

- والفكر والظن على مثال القنـــاة ، والوحي والكشف سحاب وسمــــاء .

– وماء المطر يجعل الحديقة ذات مائة لون ، لكن القناة تجعل الجيران يتشاحنون " على الماء " .

٢٤٩٥– لقد جادل الحمار الثعلب مرتين أو ثلاث مرات ، ولما كان مقلدا في الأصل ، فقد تجرع الخديعة .

– لم تكن لديه عظمة الإدراك ورؤيته ، فما لبثت فيهقة الثعلب أن أسكتته .

– ولقد جعله الحرص على الطعام ذليلا بحيث هزمه " وأفحمه " وهو يمتلك خمسمائة دليل .

حكاية ذلك المخنث وسؤال اللوطي له أثناء اللواطة : من أجل ماذا هذا الخنجر الذى معك ؟ فقال : من أجل أن أمزق بطن كل من أرادنى بسوء فكان اللوطي يروح ويجيء وهو يقول : الحمد لله أنني لاأريدك بسوء إن بيتي ليس بيتا ، إنه إقليم * وهزلي ليس هزلا ، إنه تعليم ﴿إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها﴾ أى ما فوقها في تغيير النفوس بالأفكار ، فإن سأل أحدهم ﴿ماذا أراد الله بهذا مثلا﴾ فيجيب حينذاك : هكذا أردت ﴿يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا﴾ فكل فتنة كالميزان ، تحمر منها وجوه كثيرة ، ويصبح كثيرون محرومين ، ولو تأملت فيه قليلا وجدت من نتائجه الشريفة كثيرا

– أخذ لوطي مأبونا إلى منزله ، وقلبه و أولج فيه .

– ثم رأى على منطقته خنجر ذلك اللعين ، فسأله : ما هذا الذى على خاصرتك ؟

٢٥٠٠– فقال : إنه معي بحيث إن أرادني شرير بسوء ، مزقت به بطنه .

– فقال اللوطي : الحمد لله على أننى لم أقصدك بسوء ، وهذا من حصافتي وذكائي .

- فإن لم تكن ثم رجولة ، فما فائدة الخناجر ؟ وإن لم يكن ثم قلب ، فما جدوى المغفر والخوذة ؟

- إنك " قد" ترث عن علي ﷺ سيفه المسمى ذا الفقار ، فإن كان لك ساعد أسد الله ، فأيت به .

- وإذا كنت تعلم دعاء إحياء الموتى من المسيح ﷺ ، فأين شفتا عيسى وأسنانه أيها القبيـــح .

٢٥٠٥- وإنك لتصنع سفينة مما جمعت من صحبك وفتح " الله به عليك " ، فأين ملاح السفينة مثل نوحﷺ؟

- ولنفرض أنك قمت بتحطيـــم الأصنام مثل إبراهيم ﷺ ، فأين التضحية بصنم الجسد في النار ؟

- وإن كان لديك دليل ، استخدمه ، واجعل سيفك الخشبي " في مضاء " ذى الفقار .

- وإن ذلك الدليل الذى يمنعك من العمل ، إنما يكون نقمة من الله " لا نعمة " .

- ولقد جعلت الخائفين في الطريق شجعانا ، وأنت في الحقيقة أكثر ارتعادا ورعبا منهم جميعـــا .

٢٥١٠- وتقوم بإلقاء الدروس في التوكل على الجميع ، وأنت تقصد البعوضة في الهواء" من حرصك".

- ويا أيها المخنث ، لقد تقدمت على الجيش ، لكن ذكرك " العاطل " يكذب وجود اللحية " في وجهك " .

- وما دام القلب ممتلئا بانعدام الرجولـــــة ، تكون لحيتك وشاربك من أسباب السخرية منك .

- فتب ، واذرف الدموع مدرارا كالمطر ، وخلص لحيتك وشاربك من السخرية ، واشترهما ثانية .

-واشرب دواء الرجولة في العمل ، حتى تصير شمســـــا حامية في " برج الحمـــل .

٢٥١٥- ودعك من المعدة ، وتبختر صوب القلب ، حتى يأتيك السلام من الحق دون حجاب .(١)

- وامض خطوة و خطوتين ، وتكلف بفن ، وآنذاك يأخذ العشق بأذنيك جارا إياك .(٢)

غلبة حيلة الثعلب على إستعصـــام الحمار وتعففه

وجر الثعلب الحمار نحو عريـــن الأســــــد .

- كان الثعلب ثابتــــا في احتيالـــــه ، فأخذ بلحية الحمار ، واصطحب ذلك الحمــــــار .

- فأين مطرب تلك الزاويـــــة حتى ينقر على الدف بنشاط ويغني : ضاع الحمار ، ضاع الحمار .

- ومـــا دام أرنب قد جر أسدا نحو البئر ، فكيف لا يأتي ثعلب بحمار نحو العشب ؟

٢٥٢٠- فسد أذنيك ، ولا تتجرع وساوس الشيطــــــان ، ولا تسمع إلا وحي ذلك الولي العادل .

- فإن كلامـــــه ذاك ألذ من الحلوى ، ذلك الذى تكون كل الحلوى ترابا لقدمه .

- والدنان الخسروانية المليئة بالخمـــر ، قد أخذت مادتها من خمر شفتيــــه .

---

(١) ج/ ١٢-١٦٥:- وإذا كنت تريد البطولة كرستم ، فاحمل الخنجر ، وإذا كنت ميالا إلى الخنوثة ، فالبس طراحة .

(٢) ج/ ١٢-١٦٥:- وكن ثابتا في الميدان كالرجال ، حتى لا تصبح مبتلى أسفل لمشنقة .- وحتام تتحدث عن الثياب كالنســـــاء ، ادخل في صفوف الرجال كأنك السنــــــان .

– وتكون عاشقة للخمر تلك الروح المبعدة ، التي لم تبصر خمر شفتيه الياقوتيتين

– وما دام الطائر الأعمى لا يرى الماء العذب ، كيف لا يطوف إذن حول الماء الأجاج ؟

٢٥٢٥– وموسى الروح يجعل الصدر " في قدسية" سيناء ، ويجعل الببغاوات المصابة بالعمى قوية الإبصار .

– ولقد حلت نوبة خسرو عاشق شيرين الروح ، فلا جرم أن السكر قد صار رخيصا في المدينة .

– وأمثال يوسف يحملون بعسكرهم من الغيب ، ويجرون معهم أحقاق السكر.

– وحولت إبل مصر وجوهها نحونا ، فاسمعوا أيها الببغاوات صليل الأجراس .

– فإن مدينتا سوف تصبح في الغد مليئة بالسكر ، والسكر رخيص ، لكنه سيصبح أرخص .

٢٥٣٠– فهيا ياباعة الحلوى ، تمرغوا في السكر ، كأنكم الببغاوات ، وأنوف المصابين بالصفراء راغمة.

– ودقوا قصب السكر ، فهذا هو عملكم فحسب ، وضحوا بالأرواح ، فهذا هو الحبيب فحسب .

– ولم يبق عابس واحد في مدينتنا ، ذلك أن " شيرين " بلغت من هم أمثال " خسرو " مرادهم .

– فالنُقل فوق النُقل ، والخمر على الخمر ، فهيا ، واصعد المئذنة ، وقم بدعوة الناس إلى العطاء.

– فالخل الذى عتق تسع سنوات يصير حلوا ، ويتحول حجر المرمر إلى ياقوت مطعم بالذهب .

٢٥٣٥- والشمس فوق الفلك تقوم بالتصفيق ، والذرات لاعبة في الجو ، وكأنها العشاق .

- والعيون صارت ناعســـة من المروج ، والورود تتفتح فوق الأغصـــان .

- وعين الإقبال والدولة تقوم بالسحر المطلق ، وصار المنصور روحا ، فهو لا يفتأ يصيح " أنا الحق " .(١)

- فإذا كان الثعلب يقوم بخداع الحمــــار ، قل له : فلتأخذه ، ولا تكن أنت حمارا ، ولا تغتـــم .

حكاية ذلك الشخص الذي من خوفه على نفسه ألقى بنفسه في دار شاحب الوجنتين كالزعفران ، أزرق الشفتين كالنيلة مرتعد اليدين كأوراق الشجرة ، فسأله رب الدار : ما الخبر ؟ وماذا حدث ؟ قال : إنهم في الخارج يأخذون الحمير للسخرة ، قال : مبارك عليهم ، إنهم يأخذون الحمير ولست حمارا ، فلماذا تخاف ؟ قال : إنهم يجدون في أخذها ، وقد زال التمييـــز وأخشى اليوم أن أُعتبر حمـــارا

- أخذ أحدهم يمضي هاربا داخل منزل ، شاحب الوجه ، أزرق الشفة ، مخطوف اللـــــون .

٢٥٤٠- فقال له صاحب الدار : خيرا ؟! ما بالك ترتعد هكذا كيد العجوز ؟

- ما الخبر ؟ ولماذا هربت ؟ ولماذا أنت شاحب الوجه هكذا ؟

- قال : إنهم يأخذون الحمير خارج الدار من أجل السخرة للملك الطاغية .

---

(١) ج/١٢-١٦٩:- وصارت زليخا من " وصال" يوسف شابة من جديد ، فابدأ اللهو من جديد سعيدا هانئا .- وأضرم نارا داخل القلب ، وأحرق عليها البخور لدفع عين السوء .- وكن " منغمسا" في حالك مقيما عليه سعيدا ، حتى تجد المراد في عالم الروح .

- قال : فليأخذوها ، فأين الحمـــار ياروح عمك ؟ وما دمت لست حمارا ، فامض ، فما عليك من بأس .

- قال : إنهم في منتهى الجد ، ويأخذونها بحماس ، وليس من العجيب أن يعتبروني حمارا .

٢٠٤٥- لقد جدوا في أخذ الحمير جدا شديدا ، والتمييز بدوره قد انتفـــى .

- وما دام الذين يرأسوننا بلا تمييز ، فإنهم يأخذون صاحب الحمار بدلا من الحمار .

- لكن مليك مدينتنا نحن ليس بالآخذ كيفما اتفق ، فإن لديه تمييزا ، وهو السميع البصير .

- فكن إنسانا ، ولا تخش آخذى الحميـــــر ، لست حمارا يا عيسى عصرك ، فلا تخف .

- والفلك الرابع مليء أيضـــا بنورك ، وحاشا لله أن يكون مقامك الإصطبـــل .

٢٠٥٠- إنك أعلى من الفلك والكواكب ، وإن كنت من أجل المصلحة " مربوطا" في حظيرة .

- لكن شتـــان ما بين أمير الإصطبل وبين الحمار ، فليس كل من أقام في الإصطبل حمارا .

- وما وقوعنـــا هكذا في أثـــر الحمار ؟! ، تحدث عن الروضة وعن الورود النضرة .

- تحدث عن الرمان والأترج وأغصـــان التفاح ، وعن الشراب والحسان بلا حد ولا حصـــر.

- أو عن ذلك البحر الذى موجه كله من الجواهر ، وجوهره متحدث وذو بصيرة .

٢٥٥٥- أو عن تلك الطيور التي تقطف الورود ، وتضع بيضا ذهبيا وفضيا .

- أو عن تلك البزاة التي تربي طيور القطا ، وتقوم بالطيران على وجوهها وعلى ظهورها .

- فهناك سلالم خفية في الدنيا ، موجودة درجة درجة حتى عنان السماء .

- ولكل جماعة سلم مختلف ، ولكل نوع من السير سماء مختلفة .

- وكل جماعة لا علم لها بحال الأخرى ، إنه ملك عريض لا نهاية له .

٢٥٦٠- وهذا حائر ، لماذا هذا الآخر سعيد هكذا ، وهذا الآخر مندهش من حيرته .

- وساحة أرض الله ساحة واسعة ، وكل شجرة قد أطلت من أرض ما .

- والأوراق والأغصان شاكرة على الأشجار ، قائلة " ما أعجبه من ملك !! وما أبدعها من ساحة واسعة !!

- والبلابل حول البراعم المليئة بعقد " الأزهار " ، قائلة لها : أعطينا مما تأكلين

- وهذا الكلام لانهاية له ، فعد بنا نحو ذلك الثعلب والأسد والسقم والجوع .

أخذ الثعلب الحمار إلى الأسد ، وهرب الحمار من الأسد ، ولوم الثعلب للأسد قائلا : لقد تعجلت والحمار لا يزال بعيدا ، واعتذار الأسد ورجاؤه الثعلب قائلا : إمض ، واخدعه مرة أخرى

٢٥٦٥- عندما اصطحبه من الجبل صوب المروج ، حتى يمزقه الأسد إربـــــا بهجومه عليه .

- كان لا يزال بعيدا عن الأســـد ، لكن ذلك الأسد لم يصبر برهة على الهجوم حتى يقترب منــــه .

- وقوس الأسد المهول ظهره كالقبة وهو فوق مرتفعه ، لكنه لم يكن له في الأصل حولٌ أو طول .

- فرآه الحمار من على البعد ، وعاد أدراجه هاربا ، نحو سفح الجبل ، ممزقا حدوته .

- قال الثعلب للأسد : يا مليكنـــا ، لماذا لم تصبر عندمـــا حل الوغى ؟

٢٥٧٠- حتى يقترب منك ذلك المخدوع ، وحتى تتغلب عليه بأقل جهد ممكن ؟

- إن العجلة والتسرع من مكر الشيطـــان ، والصبر والاحتســـاب من لطف الرحمن .

- لقد كان بعيدا ، ورأى الهجوم ، وانطلق هاربـــا ، وظهر ضعفك للعيـــان ، وأريق ماء وجهك .

- قال : لقد ظننت أني لا زلت على قوتي ، ولم أكن أعلم أن الضعف قد أصابني إلى هذا الحد .

- كما أن جوعي وعوزى قد جاوزا الحد ، وتاه صبرى ، وضاع عقلي من الجوع .

٢٥٧٥- فلو استطعت بما لك من عقـــل أن ترده إلي ، وأستعيده ؛

- فإنني أكون ممتنا لك كثيـــرا ، فاجتهد ، ربما تستطيع أن تأتي به بفنك .

- قال " الثعلب " : نعم ، إن أعانني الله تعالى ، ووضع على قلبه ختمـــا من العمى .

- أو ينسى الهول الذى قد رآه ، وهذا ليس ببعيد عن حماريته .

- لكن عندما آتي به ، لا" تتسرع " في الهجوم عليه ، حتى لا تفقده ثانية من عجلتك .

٢٥٨٠- قال الأسد : نعم ، لقد جربت الأمر ، و"أدركت " أنني مريض جدا ، وصار جسدى مضعضعا .

- ولن أتحرك مالم يقترب مني الحمار تماما ، وسوف أكون هامد الجسد .

- فسار الثعلب وهو يدعو قائلا : الهمة أيها المليك ، حتى تحجب غفلةُ ما عقله.

- فلقد تاب الحمار مرات عديدة إلى الله ، ألا يتجرع خديعة كل محتال شرير .

- فلأنكث أنا كل توباته بفني ، فنحن أعداء العقل والعهد البين الواضح .

٢٥٨٥- وإن رأس الحمار بمثابة الكرة في أيدى أطفالنا، وفكره ألعوبة في أيدينا، ووساوسنا .

- والعقل الذى يكون " مكتسبا " من دوران زحل ، لا قيمة له أمام العقل الكلي .

- لقد صار ذلك العقل عالما من عطارد ومن زحل ، لكن " عقلنا " من عطية الله المتخلق باللطف .

- إن قوله ﴿ علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ هو هيئة طغرائنا ، و[العلم من عند الله] هو مقصدنا .

- ونحن ربائب تلك الشمس المنيرة ، ومن هنا فنحن نتوجه قائلين : سبحان ربي الأعلى .

٢٥٩٠- فإن كانت قد صارت لديه تجربة من كل ما رآه ، فإن مائة تجربة تتحطم من هذه النفثات .

- فلعله يرجع عن توبته ذلك الواهن الطبع ، ويحيق به شؤم النكوص عن هذه التوبة .

في بيان أن نقض العهد والتوبة يكون موجبا للبلاء بل والمسخ كما ورد في حق أصحاب السبت وأصحاب مائدة عيسى ﷺ : ﴿ وجعل منهم القردة والخنازير ﴾ وفي هذه الأمة يكون مسخا للقلب ، ويوم القيامة تصور الأجساد كما تكون القلوب

- إن نقض الميثاق والرجوع عن التوبة مرارا ، يصبح في النهاية موجبا للعنة .

- وإن نقض أصحاب السبت للعهد والميثاق ، كان سببا في المسخ والإهلاك والمقت .

- لقد جعل الله من هؤلاء القوم قرودا ، عندما نكثوا عهد الله من مرائهم .

٢٥٩٥- وفي هذه الأمة لا يكون مسخ البدن ، لكنه يكون مسخ القلب ، يا ذا الفطن .

- وعندما يصير قلبه ذاك قلب قرد ، فإن بدنه يصير ذليلا من قلب القرد .

- ولو كان لقلبه فضل من الاختيار ، فمتى كان ذلك الحمار يحس بالذل من صورته ؟

- وكان كلب أصحاب الكهف طيب السيرة ، فلم يعتره أى نقص من شكله وصورته .

- وكان لأصحاب السبت المسخ الظاهر ، حتى يرى الخلق أنهم كبتوا عيانا بيانا.

٢٦٠٠- وعن طريق الباطن والسر هناك الآف آخرون ، صاروا من نقض التوبة حميرا وخنازير .

عودة الثعلب إلى الحمار الهارب ليعاود خداعــــــه

– ثم جاء الثعلب سريعــــــا نحو الحمـار ، فقـال الحمـار : الحـذر مـن مثلـك رفيقـــــا .

– أيها القدم ، ماذا اقترفت في حقك حتى حملتني إلى الأفعـــــــى ؟!(١)

– وما هو سبب حقدك على روحي ، اللهم إلا خبث جوهرك أيهــــا العنود .

– مثل العقرب التي تلدغ قدم الفتى ، دون أن يلحقها منه أدنى أذى .

٢٦٠٥– أو الشيطــــان الذى هو عدونا اللـــدود ، ولم يلحـــقه منــــا ضـرر أو خســـــران .

– بل إنه بالطبع خصم لدود للإنســـــان ، وسعادته في هلاك الإنســـــان .

– إنه لا ينقطع عن مطاردة الإنســـــان ، فمتى يترك جبلته وطبعه القبيــــح ؟

– ذلك أن خبث ذاتـه بـلا موجب أو سبب ، يجذبـه دائمـــا نحـو الظلــــــم والعدوان .

– إنه في كل لحظة يدعوك نحو الإيوان ، حتى يلقي بك في قاع الجب .

٢٦١٠– ويقول لك : في مكان كذا عيون وجداول ، حتى يلقـي بـك منقلبـا فـي حوض المـــــاء .

– وآدمﷺ مـع هـذا الوحـي والنظــــــــر ، ألقـى بـه ذلـك اللعيـن فـي الفتنـة والشـــــر.(٢)

– وذلك دون ذنب ودون أذى سـبق " مـنه" ، أو ظلــم بـدر مـن آدم ﷺ فـي حقه . (٣)

---

(١) ج/١٢–١٩٥:– أيها القدم ، ماذا اقترفت في حقك ، حتى تجعلني أنازل أســــدا ؟

(٢) ج/ ١٢–١٩٥:– وآدمﷺ مع كل هذا الوحي والنذير ، جندلــــه هذا اللعين وحمله حتى البئر .

(٣) ج/١٢–١٩٥:– فمتى يحيق به ظلم من الناس ، بحيث يأتيهم في كل لحظة بأحمال من الغم.

- قال الثعلب : لقد كان ما رأيته طلسما مسحورا ، بدا لعينيك كأنه أســــد .

- وإلا فأنا أشد ضعفا منك جســــدا ، وها أنا أعيش هناك ليل نهار وأرعى .

٢٦١٥- ولو لم يصنعوا طلسما سحريـــا على هذا الشكل ، لهجم كل شـــره على ذلك المكان .

- وهناك عالم محروم مليء بالفيلة والخراتيت ، فمتى كان مرجٌ أخضر يبقى دون طلسم ؟!

- لقد أردت أنا نفسي أن أقول لك وأخبرك ، ألا تخاف عندما ترى ذلك الهول .

- لكني نسيت أن أخبرك به وأعلمك ، فقد كنت مشغولا بالشفقة عليك ، والرقة لحالك .

- لقد رأيتك شديد الجوع والإملاق والحرمـــان ، فكنت أسرع حتى آتي بك نحو الدواء .

٢٦٢٠- وإلا لكنت قد قلت لك كل شيء عن الطلســـم ، وأنه خيال ذلك الذى يظهر لك ، وليس بالجسد المحسوس .(١)

جواب الحمـــار على الثعلب

- قال الحمــــار : هيا ، إمض عني أيها العدو ، حتى لا أرى وجهك يا قبيح الوجـــه .

- وذلك الإلـــه الذى جعلك شقيـــا ، جعل وجهك القبيـــح كريها صفيقـــا

- فبأى وجـــه قد جئت إليّ ؟ ، إن مثل هذا الجلد السميك لا يكون حتـى للكركدن .

- ولقد سعيت في دمي عيانا بيانا ، قائلا لي : سوف أصحبك إلى المرج .

---

(١) ج/١٢-١٩٦: - ولقد نسيت أن أقص عليك أخبار هذا الشيء المهيب الذى يخطف القلوب .

٢٦٢٥- حتى رأيت وجه عزرائيل " رأى العين " ، ثم جئت إليّ ثانية باحتيالك وتسويلاتك .

- وبالرغم من أنني حمارٌ بل عار على الحمر ، فأنا حي وذو روح ، فمتى يخيل عليّ هـــذا ؟

- وما رأيتـــه من هول لا يرحم ، إن كان طفلٌ قد رآه ، لشاخ من فوره .

- وخوفا من ذلك الهول ، ألقيت بنفسي منقلبا من فوق الجبل ، وقد سلب مني القلب ، وسلبت مني الروح .

- ذلك أن قدمي كانت قد انعقدت في تلك اللحظة من الرعب ، عندما رأيت ذلك العذابِ سافر الوجه بلا حجاب .

٢٦٣٠- ولقد عاهدت الله قائلا : يا ذا المنن ، فلتفك هذا القيد من حول قدمي .

- ولا أستمعن لوسوسة أحد من بعد هذا ، فلقد عاهدت ونذرت أيها المعين .

- ولقد فك الحق تلك اللحظة القيد عن قدمي ، من دعائي ذاك وتضرعي وإشاراتي .

- وإلا للحق بي ذلك الأســـد الهصـــور ، وماذا كان الحمار يصبح بين مخالب الأسد؟

- ثم أرسلك ثانية أسد العرين ذاك ، إلى من مكره ، يا بئس القرين .

٢٦٣٥- وبحق ذات الله الصمد الطاهـــرة ، إن الحية الرقطاء أفضل من رفيق الســوء .

- فإن الحية الرقطـــاء تسلب الروح من الملدوغ ، ورفيق السوء يأتي برفيقه نحو نار الأبـــد .

- ومن القرين - دون قول ودون حديث - يسرق قلب قرينه في الخفاء خصاله من خصال قرينه .

- وعندما يلقي عليك بظلـــــه ، يسرق منك ذلك الدنيء قيمتك وقدرك .

- وحتى إن كان عقلك قد صار حية ثملة " بقوتها " ، إعتبر رفيـق السـوء بمثابـة الزمرد له .

٢٦٤٠- فإن بصيــــرة عقلك تنطلق خارجـــــة منه ، وتضعك طعنته بين كفــي الطاعــــون .(١)

جواب الثعلب على الحمــــار

- قال الثعلب : ليس هناك كدر في صفائنا ، لكـن الأمـور التـي يصورهـا الوهـم ليست بالشيء الهين .

- وكل هذا وهم منك يا ساذج القلب ، وإلا فليس عندى بشأنك غل أو غش .

- فلا تنظـــــر إليّ بخيالك القبيح ، فمن أى شيء أسأت الظن بالمحبين ؟

- وظن خيرا دائما في إخوان الصفـــــاء ، حتى ولو رأيت منهم الجفاء ظاهرا

٢٦٤٥- فإن هذا الخيال والوهم السيء عندما بدا ، قد فرق بين مئات الآلاف من الرفاق وبين رفاقهم .

- وإذا ما قام مشفق بالجور على سبيل الامتحان ، فينبغي أن يكون هناك عقـل ، حتى لا يســـاء الظن .

- وبخاصة أني لم أكن سيء الجبلة ، وإن كنت قبيح الاسم ، وما رأيته ، لم يكـن شرا ، كان طلسما .

- وحتى وإن كان ما أفكرفيه بشأنك من قبيل السوء ، فإن الرفاق يتجاوزون عـن هذا الخطــــأ .

- فإن عالم الوهم ، وخيال الطمع والخوف ، هي سدّ عظيم بالنسبة للسالك .

---

(١) ج/١٢-١٩٩: - ولا يوجد في الدنيا ما هو أسوأ من رفيق السوء ، وقد صار لي هذا في حد ذاته عين اليقين .

٢٦٥٠- وإن الصور التي يبديها ذلك الخيال المصور ، صارت أذى وضرا لمثل إبراهيم الخليل ﷺ الذى كان جبلا .

- فقال إبراهيم العظيم ﷺ :﴿ هذا ربي﴾ ، عندما سقط في عالم الخيال والوهم .

- وهكذا أول ذكر إبراهيم ﷺ للكواكب ، ذلك الشخص الذى ثقب در التأويل .

- أن عالم الوهم والخيال الذى يقيم سدا أمام البصر ، اقتلع ذلك الجبل من مكانه .

- حتى تفوه بعبارة ﴿ هذا ربي ﴾ ، فماذا يكون حال الحمار أو حال أشباهه ؟

٢٦٥٥- ولقد غرقت عقول كأنها الصم الرواسي ، في بحار الوهم ودوامة الخيال .

- ومن هذا الطوفان افتضاحُ للجبال ، فأين الأمان اللهم إلا في سفينة نوح ﷺ .

- ومن هذا الخيال القاطع لطريق اليقين ، إنقسم أهل الدين إلى أتباع لإثنين وسبعين مذهبا .

- ورجل اليقين نجا من الوهم ونجا من الخيال ، ولا يقول عن شعرة من حاجبه أنها الهلال .

- وذلك الذى لايكون له سند من نور عمر ﷺ ، تقطع الطريق عليه شعرة ملتوية من حاجبه .

٢٦٦٠- ومئات الآلاف من السفن الضخمة المهولة ، تحولت إلى ألواح محطمة في بحر الوهم .

- وأقلها فرعون النابغة الفيلسوف ، وقمره في برج الوهم في خسوف .

– ولا أحد يعرف من تكون المرأة البغي ، وذلك الذى يعرفها ، لا يقـــع في الظن والوهم .

– وما دام الوهم الذى أنت مقيم عليه يدير منك الرأس ، فلماذا تطوف حول وهم طف برأس آخر ؟

– وأنا عاجز من هذه " الأنا " (التي لي) ، فلماذا جلست أمامي وأنت ممتلىء بأنيتك ؟

٢٦٦٥– إنني أبحث بالروح دون " أنا " ودون " محن " ، حتى أصبح كــرة لهذا الصولجان .

– وكل من صار بلا " أنا " صارت كل " الأنات " لــه ، وصار حبيبا للجميع من لم يحب نفســه .

– والمرآة الخالية من الصور ترتفع قيمتهـا ، ذلك أنها تكون عاكسـة لكل الصور .

حكايـة الشيخ محمد سرروزى الغزنـوي

– كان هناك زاهدٌ في غزنة عنده مزيـة من العلم ، كان اسمه محمد وكنيته سرروزى .

– كان إفطاره في كل ليلة طرف غصن من الكرم " سر رز" ، وظل سبع سنوات ساعيا في أثر مطلب واحد .

٢٦٧٠– كان قد رأى كثيرا من العجائب من مليك الوجود ، لكن هدفه ومطلبه ، كان " إجتلاء " جمال " المليك.

– فصعد إلى قمة جبل ذلك الملول من نفسه ، وقال : فلتتجل لي ، أو لألق بنفسي إلى الهاويـة .

– فكوشف أن لم يأت أوان هذه المكرمـــة ، وإن سقطت ، فلن تموت ، ولن أقتلك .

– فألقى بنفسه من فرط المودة والعشق ، لكنه سقط في مـــاء عميق .

– وعندما لم يمت ، ناح هذا لرجل الملول من روحه علـى نفسه ، من الخيبة ، وفراق الموت .

٢٦٧٥– فقد كانت هذه الحيـــاة تبدو له كالموت ، وكانت الأمور بأجمعها قد انقلبت أمام ناظريـــه .

– لقد كان يستجدى الموت من الغيب ، وكان يصيـــح : " إن فـي موتـي حياتـــــي " .

– كان مستقبلا للموت وكأنه الحيـــاة ، وكان مصمما على هلاك روحـــه .

– كان السيف والخنجـــر ريحانـة لـه ، وكأنه على المرتضى ، والنرجس والنسرين أعداء روحه .

– فهتف به الهاتف قائلا : إمض من الخلاء إلى المدينة ، كان هاتفا عظيما مما وراء السر والجهر .

٢٦٨٠– فقال له : يا عالما بسرى شعرة بشعرة ، ماذا علىّ أن أفعل في المدينة ؟ قل لي .

– قال : إن ما ستفعله ، أن تجعل من نفسك فترة " كعباس الدبس " من أجل إذلال النفس .

– فداوم على تكدى المال فترة من الأغنيـــاء ، لكن داوم أيضا على توصيله إلى الفقـــراء .

– هذه هي خدمتك التي تقوم بها لفترة من الزمن . فقال : السمع والطاعة ، يا ملاذ الــــروح .

- وكان هناك سؤال وجواب وحوار طويل ، بين الزاهد وبين رب الورى .

٢٦٨٥- بحيث امتلأت السماء والأرض بالنور ، وكل هذا مذكور في المقالات .

- لكنني اختصرت ذلك المقال ، حتى لا يحتسي كل خسيس الأســــــرار .

مجيء الشيخ بعد عدة سنوات من الخلاء إلى مدينة غزنة ، وطوافه بالزنبيل "متكديا" طبقا للأوامر الغيبية ، وقيامه بتوزيع كل ما يجمعه على الفقراء كل من كان لروحه عز لبيك * تتوالى عليه الرسائل واحدة بعد الأخرى ورسول بعد رسول كما تكون كوة الدار مفتوحة ، لا ينقطع عنها نور الشمس أو ضياء القمر أو المطر أو الرسائـــــــل وما إليهـــــا

- اتجه إلــى المدينــــــة ذلـك المطيـع للأمـر ، فنـورت مدينـــــــة غزنــة بوجهــــــه .

- وذهب جمع غفير لاستقباله فرحا بـــــه ، لكنه تسلل سريعا من طريق غير مطروق .

- ونهض كل الأعيــــان والعظمــــاء ، وزينوا قصورهم من أجلـــــه .

٢٦٩٠- فقال : إنني لم آت من أجل إظهار النفس ، لم آت إلى هنا إلا من أجل الذل والتكدى .

- ولست عازما على إلقاء المواعظ والدروس ، لكنى عـازمٌ علـى الطـواف من باب إلى باب ، والزنبيل في يدى.

- إنني عبد للأمر ، وهذا أمر الله ، أن أكون متسولا ، فلأكن إذن متسولا .

- وعلـيّ أيضــــا ألا تلفظ أثنـاء التسـول بلفـظ نـادر ، وألا أسـلك إلا طـرق الشحاذين الأخساء .

- حتى أصبح غريقـــا تماما في المذلــــة ، وحتى أسمع الشتائم من خاصـة الناس وعامتهم .

٢٦٩٥- إن أمر الحق روح ، وأنا تبع له ، لقد أمر بالطمع ، وذل من طمع

- وما دام سلطان الدين يريد مني الطمع ، فليكن التراب إذن على مفرق القناعة

- إنه يريد الذل ، فمتى أطوف حول العز ؟ وهو يريد الكدية ، فكيف أقوم بالإمارة .

- ومن الآن فصاعدا ، ليكن التكدى والذل لروحي ، وليكن هناك عشرون " من أمثال " عباس في خرجي .

- وأخذ الشيخ يطوف والزنبيل في يده صائحا : شيئا لله يا سيدى ، وفقك الله .

٢٧٠٠- إن أسراره أعلى من الكرسي والعرش ، وعمله هو التسول قائلا : شيئا لله ، شيئا لله .

- وهذا هو نفسه عمل الأنبياء ، إنهم يتكدون من الخلق المفلسين .

- إنهم يصيحون : أقرضوا الله ، أقرضوا الله ، إنهم يتحدثون على العكس ويقولون : أنصروا الله .

- وهذا الشيخ يتضرع من باب إلى باب ويلح ، وفوق الفلك ، هناك مائة باب مفتوحة أمامه .

- فإن تلك الكدية التي كان يقوم بها بجد ، كانت في سبيل الله ، ولم تكن من أجل الحلق .

٢٧٠٥- وحتى إن كان يقوم بها من أجل الحلق ، فإن ذلك الحلق كان ساميا من نور الله .

- فإن أكل الخبز وشرب اللبن من جانبه ، أفضل من أربعينية أو طي لثلاثة أيام من مائة فقير .

- إنه يحتسي النور ، فلا تقل أنه يأكل الخبز ، إنه يزرع الشقائق ، وإن كان يأكلها ظاهرا .

- إنه كاللهب الذى يشرب الزيت من الشمع ، ويزداد النور من أكله إياه ، بين الجمع .

- ولقد قال الله بشأن أكل الخبز ﴿ لا تسرفوا ﴾ ، لكنه لم يقل بشأن أكل النور : اكتفوا .

٢٧١٠- إن ذلك الحلقوم من أجل الإبتلاء ، وهذا الحلقوم فارغ من الإسراف وآمن من الغلو .

- كان أمرا ، لم يكن حرصا وطمعا ، فمثل تلك الروح ، لا تكون للحرص تبعا .

- فإن قالت كيمياء " التبديل " للنحاس : إعطني نفسك ، لا يكون طمعا ، بل علو همة .(١)

- كان قد عرض كنوز الأرض أمام شيخ الحق حتى الطباق السابع .

- فقال الشيخ : أيها الخالق ، إنني عاشق ، وإذا بحثت عمن سواك ، أكون فاسقا

٢٧١٥- وإذا وضعت الجنان الثمانية في الحسبان ، أو قمت بالخدمة والطاعة خوفا من سقر ؛

- أكون مؤمنا باحثا عن السلامة ، وهاتان كلتاهما من حظ البدن .

- والعاشق الذى أكل قوته من عشق الله ، لا يساوى مائة بدن عنده خردلة .(٢)

---

(١) ج/ ١٢-٢١١:- إن ذلك التكدى الذى كان يقوم به بجد ، كان من آثار حكمته هو .

(٢) حرفيا : توتة فجة .

- وهذا البدن الذى كان لذلك الشيخ الفطن ، كان قد صار شيئا آخر فلا تسمه بدنـــــا .

- فهل ثم عاشق لله و" طمع في الأجر " ؟ وهل يتفق أن يكون جبريل مؤتمنا ثم يكون لصـــــا ؟

٢٧٢٠- إن العالم في نظر عاشق ليلى ذلك المضطرب الحزين ، لا يساوى شروى نقير .(١)

- لقد تساوى عنده التراب والذهب ، وماذا يكون الذهب عندما لايكون للروح نفسها خطـــــر ؟

- ولقد فهمه الأسد والذئب والوحش ، فتحلقوا جميعا حوله ، كالأهل والأقارب .

- ذلك أنه قد صار بريئا تماما من طبع الحيوان ، إمتلأ بالعشق وصار لحمه وشحمه مسممين .

- وإن ما يصبه العقل من سكر يكون سما بالنسبة للحيوان ، ذلك أن الطيب تماما يكون ضد الشرير .

٢٧٢٥- ولا يجرؤ الوحش على التهام لحم العاشق ، فإن العشق معروف لدى الصالح والطالح .

- وإن أكله الحيوان على سبيل الفرض ، يكون لحم العاشق سما بالنسبة له ويقتلــــه .

- فكل ما هو سوى العشق صار مأكولا للعشق ، والعالمان كحبة واحدة أمام " منقار " طائر العشق .

- فهل أكلت حبةٌ طائرا قط ؟ ، وهل رعى مزودٌ جودا قط ؟

- فقم بالعبودية علك تصبح عاشقــــا ، فالعبودية كسب ، يتأتى من العمــــل

---

(١) حرفيــــا : ورقة كراث .

٢٧٣٠- والعبد يطمع في الحرية " إن سمح" إقباله ، لكن العاشق لا يريد الحرية إلى الأبد .

- والعبد دائما ما هو طالب للخلعة والأجر ، وخلعة العاشق دائما هي رؤية الحبيب .

- والعشق لا يستوعبه مقال أو بيـــــان ، فالعشق بحر" لا يبدو له قرار .

- ولا يمكن عد قطرات البحر وحصرها ، والبحار السبعة صغيرة أمام هذا البحر .

- وهذا الكلام لا نهاية له يا فلان ، فعد بنا إلى قصة شيخ الزمان

في معنى [لولاك لما خلقت الأفلاك]

٢٧٣٥- صار شيخ كهذا متسولا من حي إلى حي ، فقد جاء العشق وهو لا يبالي ، فاتقـــوه .

- إنه يجعل البحر يغلي وكأنه القدر ، كما أنه يبري الجبل ، فكأنه الرمل .

- والعشق يصيب الأفلاك بمائة شق ، والعشق يزلزل الأرض زلزالا ولا يأبه بها .

- لقد كان عشق الطاهر قرينا لمحمدﷺ ، ومن أجل هذا العشق ، قال له الله : لولاك .

- ولما كان في العشق فردا ، فقد خصه ﷺ من بين كل الأنبيـــــاء .

٢٧٤٠- فلو لم يكن من أجل العشق الطاهـــــر ، متى كنت أخلق الأفلاك ؟

- ولقد رفعت الفلك السنـــــي ، ذلك لكي تفهم علو العشق .

- وهناك منافع أخرى تتأتى من الفلك ، تابعة له ، كما تتبع البيضة الفرخ .

- ولقد جعلت التراب بأجمعه ذليلا ، حتى تفهم شيئا ما من ذل العاشقين .

- وأعطيت التراب أيضا الخضرة والنضرة ، حتى تصبح عارفا بتبديل الفقير .

٢٧٤٥- وتحدثك أيضـــا تلك الجبال الراسيات ، عن أحوال العشاق في ثباتهم .

- وبالرغم من أن كل هذه صور وذاك معنى يا بني ، إلا أنها هكذا مـن أجـل أن تكون أقرب إلى فهمك .

- ولقد شبهوا الأحـزان بالأشواك ، وهـي ليسـت علـى شـكلها ، لكنـه تنبيـه إلـى المعنى .

- وذلك القلب القاسي الذى سموه حجرا ، لم يجدوا الوصـف مناسبا ، فضربوا لك مثـــــلا .

- وإن لم يُتصـــــور عين الشيء المراد ، يكون العيب منصبا علـى الصـورة ، لكن إياك أن تنفيها .

ذهاب ذلك الشيخ كل يوم أربع مرات إلى منزل أحد الأمراء متكديا بزنبيله إطاعة لإشارة الغيب ، ولوم الأمير له على هذه الوقاحة واعتذاره للأميـــر

٢٧٥٠- ذهب الشيخ ذات يوم أربع مرات إلى قصر أحد الأمراء ، يتكدى وكأنـه " المتسول " الفقير .

- الزنبيل في يده وهو يصيح : شيئا لله ، إن خالق الروح يطلب لقمة من الخبز .

-إنها أفعال تجرى عكس ما ينبغي يا بني ، تجعل العقل الكلى بدوره دائر الرأس .

- وعندما رآه الأمير قـال لـه : أيهـا الوقـح ، سـوف أقـول لـك شـيئا ولا تسـمني شحيحـــا .[1]

- ما هذا الجلد السميك وهذا الوجه الصفيق وهـذا الفعـل السـوء بحيـث تـأتى فـي اليوم الواحد أربع مرات ؟

---

[1] ج/١٢-٣٠٠: - أيها الخسيس معدوم الحياء حتام هذا الإلحاف في الطلب ، وإلام تنحنى هكذا من أجل الرزق ؟

٢٧٥٥- وما هذا أيها الشيخ الذى تعلقت به وارتبطت ؟ إنني لم أر شحاذا فحلا مثلك ؟

- لقد قضيت على حرمة الشحاذين وأرقت ماء وجوههم ، فما هذا التسول القبيح كتسول عباس " الدبس " الذى قمت به ؟

- إن عباس الدبس تابع من أتباعك ، فلا كان لملحد قط هذا النفس النحس .

-قال الشيخ:أيهاالأمير،إنني عبد للأمرفاصمت،لست عارفا بناري فكفاك غليانا .

-فلو أنني رأيت في نفسي حرصا علىالخبز،لمزقت هذاالبطن الذى يطالب بالخبز .

٢٧٦٠- ولسبع سنوات من حرقة العشق التي تشوى الجسد ، قد أكلت في الخلاء أوراق الكرم .

- وكان من أكلى للأوراق الخضراء واليابسة ، أن أخضر لون جسدى هذا .

- وما دمت أنت موجودا في حجاب أبي البشر ،فقلل النظرباستهانة إلى العاشقين .

-والأذكياء الذين دققوا كثيرا في الأمور ، قد أدركوا علم الهيئة بأرواحهم .

- وعلم النيرنجات والسحر والفلسفة ، بالرغم من أنهم لا يعرفونها حق المعرفة .

٢٧٦٥- إلا أنهم جاهدوا بقدر إمكانهم ، حتى بزوا فيها كل أقرانهم .

- لكن العشق أحس بالغيرة ، وأخفى نفسه عنهم ، وغابت عنهم مثل تلك الشمس .

– ونور العين الذى رأى النجم في وضح النهـــــار ، كيف أخفت شمس نفسهـــا عنه ؟

– دعك من هذا ، واقبل مني هذه النصيحــــة : أنظر إلى العاشقين بعين العشق

– والوقت ضيق ، والروح في مراقبة ، ولا يمكنني أن أبث عذرى لك الآن .

٢٧٧٠– فافهم ، ولا تكن موقوفا على ذلك القول ، وقلل من خمش صدور العاشقين .

– فليس الأمر كما ظننت ، من جراء هذا الإندفاع ، فلا تفرط في الحزم ، وداوم على الاحتياط .

– فهناك واجب وجائـــز ومستحيـــــل ، فتوخ الوسط من بينها ، عند الحزم أيها الدخيــــل .

بكاء الأمير من نصيحة الشيخ ، وانعكاسا لصدقه ، وإيثاره إياه بخزانته جزاء هذه الوقاحة ، واستعصام الشيخ ، وعدم قبوله إياها ، وقوله : لاأستطيـع أن أتصرف دون أمــــر

– قال هذا وانفجر في البكاء والعويــــل ، وسال الدمع على خديه ، موضعا بموضع .

– فأثر صدقه في ضميــــر الأمير ، والعشق يطبخ قدرا طريفة في كل لحظـــة .

٢٧٧٥– إن صدق العاشق يؤثــــر على الجمــــاد ، فأى عجب أن يؤثر في قلب العالم ؟

– لقد أثر صدق موسى ﷺ على العصا وعلى الجبل ، بل أثر على البحر الخضم المهيب .

- وصدق أحمدﷺ أثـــر على جمال القمر ، بل إنه قطع الطريق على الشمس الساطعة بالضيـــاء .

- كانا كل منهما في مواجهة الآخــــر ، وكلاهما في صياح وعويــــل ، سواءٌ الأمير والفقير .

- وعندما بكيـــا فترة طويلــــة ، قال لـه الأمير : إنهض أيها المكـرم العزيــز !!

٢٧٨٠- اختر ما تشـــاء من الخزانــــة ، وإن تستحق مائة ضعفها .

- إن الدار دارك ،فخذ ما تريد وتختـــــار ، فالعالمان شيء قليل " بالنسبة لقدرك " .

- قال : لا إذن لي بمثل هذا ، وأن أكون آخذا لشيء بيدى مختارا إياه .

- ولا أستطيـع أن أقوم من تلقاء نفسي بهذا الفضـــول ، وأن أتدخـل بنفسي " أدنى " تدخــل .

- وهكذا تعلل ، وأغلق مجال الحديث ، فهل كـان ما يمنعـه أن العطـاء لـم يكـن صادقـــا ؟

٢٧٨٥- لا ، بل كان صادقا خاليا من الغل والانفعال ، لكن كل صـدق لـم يكـن يبدو للشيخ مقبولا .

- فقال : هكـــذا أمرنـي الله قـائلا لـي : إمض ، وتسـول الخـبز كمـا يفعـل الشحاذون .(١)

---

(١)ج/١٢-٣١٠:- لقد طلبنا من هذا الباب بتسول ، وإلا فإننا لا نهتم بما فيـــه من أموال .

وصول الأمر إلى الشيخ من الغيب قائلا له : لقد أخذت طوال العامين الماضيين وأعطيت ، ومن الآن إعط ولا تأخذ ، داوم على وضع يدك تحت الحصير ، فقد جعلناه كهميان أبي هريرة من أجلك ، فإنك تجد تحتها ما تريد ، حتى يؤمن الناس أن وراء هذا العالم عالما تمسك فيه التراب بيدك فيصير ذهبا ويدخل إليه الميت فيصير حيـــا ، كما يدخل إليه النحس الأكبر فيصيـــر سعدا ، ويأتي إليه السم فيصير ترياقـــا ، وهو ليس داخل هذا العالم ولا خارجه ، ولا تحته ولا فوقه ، ولا متصل به ولا منفصل عنه ، فهو بلا كيف أو كيفيـــة ، وكل لحظة تأتي منه آلاف الآثار والنماذج كصنعة اليد مع صورة اليد ، وغمزة العين مع صورة العين ، وفصاحة اللسان مع صورة اللســـان ، لا هي داخلة فيه ولا خارجة عنه ، ولا متصلة به ، ولا منفصلة عنه . واللبيب تكفيـــه الإشـــارة

– لقد قام هذا الرجل الجديد بهذاالأمر لمدة عامين بما أُمر به ، ثم أتاه أمر آخـــــر من الخالق :

– بعد الآن ، داوم على العطـــــاء ، لكن لا تطلب شيئـــــا من أحد ، لقد أعطيناك من الغيب هذه القدرة .

– وكل ما يطلبه أحد منك، قليلا أو كثيـــرا (١) ، ضع يدك تحت الحصيــــر وأخرجـــه .

٢٧٩٠– هيا ، داوم على العطاء من كنز الرحمة بلا مراء ، فإن التراب يتحول في كفك إلى ذهب ، فأعط .

– أعط كلما يطلب منك ، ولا تفكر فيه ،واعلم أن عطاء الله في ازديـــاد .

– وفي عطائنا لا تخسيـــــر ولا نقص ، ولا ندم ولا حسرة ، من هذا الكرم .

– ضع يدك تحت الحصير أيها السنـــد ، وذلك من أن يكون في الأمر حجاب ودريئة لعين السوء .

---

(١) حرفيـــا : من واحد إلى ألف .

– ثم املأ قبضتك مما هو موجود تحت الحصير ، وضعه في يد السائل كسير الظهـــــر .

٢٧٩٥–من بعد"التكدى"أعط من الأجر الذىلامنة فيه ، إعط لكل من يريد الجوهر المكنون .

–إمض ،وكن مصداقا لـــ﴿ يد الله فوق أيديهم ﴾ ، ووزع الرزق كيفما أتفق ، كيدالحق .

– وخلص المدينين من ديونهم ، واجعل بساط الدنيا أخضـــــر نضرا كأنك المطـــــر .

– وظل الشيـــخ عاما "آخــــر"وهو يقوم بهذا العمــــل، كان يهب الذهب من كيس رب الدين .

– كان التراب الأسود يصير ذهبــــا في كفه ، وكان حاتم الطائي شحاذا في صفـــه .

معرفـــة الشيخ ضمير السائل دون أن يتحدث ، ومعرفته مقدار دين المدينين دون حديث منهم ، وهذا دلالة على مصداق [أخرج بصفاتي إلـــــى خلقـــــى]

٢٨٠٠– وذلك الفقيـــــر ، وإن لم يكن يذكر حاجتـــــه ، كان يعطيه إياها، وكان يعرف ما في ضميره.

– وما كان في قلب ذلك الكسير الظهـــــر ، كان يعطيـــــه مقداره، دون زيادة أو نقصـــــان .

– ثم قيل له : أى علم لك يا عمـــــاه بذلك القدر الذى يفكـــــر فيه ؟

– فكان يقول : إن منزل القلب خلوة ، وهو خال من الكديـــــة ، وكأنه الجنـــــة .

– وليس فيه من عمل إلا عشق الله ، وما فيه من ديـــار إلا خيـــال الوصال .

٢٨٠٥– لقد كنست منزل "القلب" مما فيه من خير وشـــــر ، فأصبح منزل " قلبي " مليئـــا بعشق الأحــــد.

– وكل ما أراه فيه غير الله ، لا يكون ملكا لي، بل انعكاس لضمير السائــــل

– فإذا ظهر في الماء صورة عرجون أو نخلة ، فإنه لا يكون إلا انعكاسا لنخلة خارج الماء .

– وإن رأيت صورة في قاع النهر ، فإن تلك الصورة تكون انعكاسا لشيء موجود في الخارج أيها الفتى .

– لكن هذا الأمر يحدث عندما ينقى الماء من القذى ، فالتنقية في نهر البدن شرط لهذا الأمر .

٢٨١٠– حتى لا يبقى فيه كدر أو غثـــاء ، حتى يصبح أمينا يعكس صور الوجوه .

– وليس في بدنك إلا ماء مكدر بالطين أيها المقل ، فصف الماء من الطين يا خصم القلب .

– وإنك مستمر في كل لحظة من الأكل والنوم، في طمس هذا البئر بالتراب أكثر.

سبب معرفة ضمائـــر الخلق

– وعندما يكون قلب ذلك الماء خاليـــا من هذه الأشيـــاء ، تنعكس فيه صور الوجود من خارجه .

– وإلا فإن لك باطنا لم يُصف بعد ، والمنزل مليء بالشياطين والقردة والوحوش .

٢٨١٥– أيها الحمار الذى بقي في حماريته من العناد ، متى تعرف شيئا عن الأرواح التي تشبه روح المسيح

– وأى علم لك إن أطل خيال ، من أى مكمن يطل ؟

– إن الجسد ليصير خيالا من الزهد ، حتى" يتاح له" كنس الخيالات من الباطن .[1]

غلبة مكر الثعلب على استعصام الحمار

– لقد جاهد الحمار كثيرا ودفعه بالقول ، لكن الجوع الشديد كان ملازما للحمار .

– وغلبه حرصه ، وكان احتماله ضعيفا ، وما أكثر الحلوق التي ذبحها عشق الرغيف .

٢٨٢٠– وقد ورد عن الرسول ﷺ الذى تيسرت له كل الحقائق " قوله " [كاد الفقر أن يكون كفرا] .

– كان ذلك الحمار قد صار رهين الجوع ، فقال في نفسه : إن كان في الأمر مكر ، فهي ميتة واحدة .

– فأنجو أيضا من عذاب الجوع هذا ، وإن كانت هذه هي الحياة فالموت أفضل لي .

– وإذا كان الحمار قد تاب في البداية وأقسم ، فقد تخبط في النهاية من حماريته .

– والحرص يجعل المرء أعمى وأحمق وجاهلا ، ويجعل الموت سهلا على الحمقى .

٢٨٢٥– والموت ليس بالأمر السهل على أرواح الحمير ، فليس لديهم ماء الروح الخالدة .

---

(١) ج/ ١٢- ٣١٨:- فاكنس هذا الخيال الضال من الباطن ،حتى لا يجعلنك من أهل الظاهر .

– ولأنه لا يملك روحا خـالدة فهو شقـــــي ، وجرأتـه علـى الأجل مـن جـراء حمقـــــه .

– فجاهد حتى تكون لك روح خالدة ، حتى يكون لك زادٌ يوم الموت .

– ولم يكن اعتماده على الرزاق ، وأنه ينثر الجود عليـــــه من الغيب .

– لم يكن الفضل حتى الآن قد حرمه يوما من الرزق ، بالرغم من أنه كان يسلط عليه الجوع بين الآن والآخر.

٢٨٣٠– وإن لم يكن ألم الجوع فهناك مائة ألم آخـــــر ، يحيق بك مـن جـراء التخمة .

– وألم الجوع أفضـــــل من كل تلك العلـل ، سـواءٌ فـي لطـف " حدتـه " أو فـي خفته أو " من أجل " العمـــــل .

– وألم الجوع أكثر طهرا ولطفـــــا من كل الآلام ، خاصـــــة وفي الجوع مائة نفع وفضـــــل .

في بيـــــان فضيلة الحمية والجوع

– إن الجوع في حد ذاتـــــه هو سلطـــــان الأدواء ، فاستمسك بـه بروحـك ، ولا تستهن به .(١)

– وكل المرضى قد شفوا بالجـــــوع ، وكـل المتـع مـردودة ، إن لـم يجـرب الجوع .

مثـــــل

٢٨٣٥– كان أحدهم يـأكل خبز الشعيـــــر ، فسـأله أحدهـم : كيـف تـأكل هـذا الخبز بهذا الشـــــره ؟

---

(١) ج/١٢–٣٢٣:– والجوع يكون نورا للعين عند الإبصـــــار ، ويكون قابلية في النظر والفكر .

–فقال : عندما يكون الجوع قد أصبح ضعف الصبر ، يصبح خبز الشعير أمامي كالحلوى .

– ومن ثم أستطيع أن ألتهم كل شيء وكأنه الحلوى ، عندما أصبر ، وأنا بلا شك صبـــور .

– والجوع بالنسبة لكل شخص ليس من عدم الحيلة أو اضطرارا ، فإن مواضع الطعام تفوق الحد والحصر .

– ولقد وهب الله سبحانه وتعالى الجوع للخاصة ، حتى يصبحوا من الجوع أسودا قوية .

٢٨٤٠– ومتى يعطي الجوع لكل جلف شحـــاذ ، ما دام الطعام ليس قليلا فإنه يضعه أمام المرء ؛

– قـــائلا له : هيـــا كله ، فأنت تستحقه ، إنك طائر خبز ولست بطائـــر ماء .(١)

حكاية المريد الذي وقف الشيخ على حرصه وضميره فنصحه باللسان ، وفي خلال النصيحة وهبه قوة التوكل بأمر الحق

– أخذ الشيخ يمضي مع أحد مريديه دون تلكؤ ، نحو مدينة كان الخبـــز فيها شحيحـــا .

– كان الخوف من الجوع والقحط مسيطـــرا على فكر المريد ، ومن غفلته ، كان هذا الخوف يبدو عليه في كل لحظـــة .

– وكان الشيخ عارفا وواقفـــا على الضميـــر ، فقال : حتـــام وأنت في قلق وخوف ؟

---

(١) ج/١٢–٣٢٤:– لايوجد في رأسك إلا التفكيـــر في الخبز ، ولا يأتي إلى خاطرك إلا ذكـــره .– فماذا يكون محصولك بعد عدد من السنين ؟ إن الموت جوعا أفضل لك من هذه الحيـــاة .

٢٨٤٥- لقد احترقت من أجـــــل هم الخبز ، وخطت عين التوكـــــل والصبـــــر .

- وأنت لست من أولئك المدللين الأعـــزاء ، بحيث تحفظ عندهم دون جوز أو زبيب .

- فالجوع هو رزق أرواح خواص اللـــه ، فمتى يكون نصيبا لمسكين مثلك وشحاذ ملحاح ؟

- فكم مطمئنـــا ، فأنت لست منهم ، وأنت في هذا المطبخ لست " محروما" من الخبز .

- إن الطبق فوق الطبق والخبز فوق الخبز على الدوام ، من أجل هؤلاء الشرهين العوام .

٢٨٥٠- وعندما يموت يتقدم الخبز قائـــلا : يا من قتلت نفسك خوفا من الحرمـــان ؛

- لقد مضيت ، وبقي الخبز : من بعدك " فانهض وخـــذه ، يا من قتلت نفسك خوفـــا وهلعـــا .(١)

- هيا وتوكل ، ولا تصب اليد والقدم بالرعدة والرعشـــة ، إن رزقك أكثر عشقـــا لك منك له .

- إنه عاشق ، لكنه يتلكأ عليك ، لأنه يعلم إنعدام صبـــرك أيها الفضـــولي

- ولو كان عندك صبـــر لأتاك الرزق ، ولألقى بنفسه عليك ، كما يفعل العشاق .

٢٨٥٥- فما هذه الحمى ذات الرعشـــة خوفـــا من الجوع ؟ مادام العيش ممكنا بشبع في التوكل .

---

(١) ج/ ١٢- ٣٢٦:- وعلى كل لقمة مكتوب بوضـــوح ، أنها لفلان بن فلان بن فلان .

حكاية تلك البقرة التي كانت وحيدة في جزيرة كبيـــرة ، والحق تعالى يملأ تلك الجزيرة بالأعشاب والرياحين وهي علف البقرة ، وحتى دخول الليل كانت البقرة تأكل وتسمن كأنها قطعة من الجبل ، وعندما يجن الليـــل لا تنام من القلق والخوف محدثة نفسها قائلـــة : لقد أكلت كل المرعـــى فماذا أرعى غدا ؟ حتى تصاب بالنحول من هذا القلق كأنها عود الخلال ، وتنهض صباحا فترى المرعى أكثـــر نضرة وأكثر خصبا مما كان عليه بالأمس ، فترعى ثانيـــة وتسمن ، ثم يحل بها نفس الغم ليـــلا ، ولسنوات وهي ترى نفس ما تراه ولا تطمئن

– هناك جزيـــرة خضراء في الدنيـــا ، فيها بقـــرة وحيدة حسنـــة الفم .

– وهى تقـــوم برعي كل المرعى حتى الليل ، حتى تصبح سمينـــة ضخمة فخمـــة .

– وفي الليل من كثرة تفكيرها فيما سوف تأكله في الغد ، تصير نحيلة كالشعرة من الغم .

– وعندما يسفر الصبـــاح ، يصير الوادى شديد الخضـــرة ، ويصل القصيل الأخضر والعشب حتى وسطها .

٢٨٦٠– فتنهال البقرة عليـــه من شدة جوعهـــا ، وتظل قائمة بالرعى حتى يأتي الليـــل .

– فتصبح مرة ثانية سمينة ممتلئـــة ضخمـــة ، ويمتلىء جسدها شحما وقـــوة .

– وفي الليل تصاب مرة ثانية بالحمى من الفزع ، حتى تصير نحيلة من الخوف الذى يلم بها .

– وتتســـاءل : ماذا آكل في الغد عندما يحين أوان الطعـــام ؟ وهذا هو ديدن تلك البقـــرة لسنوات .

– إنها لا تفكر أبدا ولا تقول لنفسهـــا : إنني أرعى لسنوات من هذا المرعى وهذه الروضـــة .

٢٨٦٥– ولم ينقص رزقي منها ذات يوم قط ، فما هذا الخوف والحزن والقلق الذى لدى ؟!

– لكنها عندما يحل الليل ، فإن تلك البقرة الضخمة لا تفتأ تئن وتتوجع قائلـــة : لقد انقطع الرزق .

– إن النفس هي تلك البقـــرة ، وذلك الوادى الأخضـــر هو الدنيـــا ، فهي لا تزال تصاب بالنحول خوفا على الخبـــــــز .

– قائلـــة : عجبا !! ماذا سآكل في المستقبل ، ومن أين أطلب الدسم في الغد ؟

– لقد أكلتِ لسنوات ، ولم ينقص الطعـــام ، ودعك من التفكير في الغد ، وانظرى إلى الماضي .

٢٨٧٠– وتذكـــرى ما قد أكلت من لحـــم وشحم ، ولا تفكرى في المستقبل البعيد ، وكفاك نواحـــا .[١]

---

[١] ج/١٢–٣٢٨:– فلتلق بقصـــة هذه البقـــرة جانبـــا ، وأرسل رسالة إلى ذلك الحمار وذلك الأسد الفحل .

صيد الأسد لذلك الحمار ، وظمئ الأسد بعد افتراسه للحمه ، فذهب ليشرب من عين ماء وحتى عودته كان الثعلب قد أكل القلب والكبد والكلى وهي ألذ ما فيه ، فطلبها الأسد ولم يجدها ، وسأل الثعلب : أين القلب والكبد ؟ فقال الثعلب : لو كان له قلب أو كبد ثم رأى ذلك الرعب في ذلك اليوم ونجا بنفسه بألف حيلة ، فمتى كان سيعود إليك؟ ﴿ لوكنا نسمع أو نعقل ، ما كنا في أصحاب السعير ﴾

– لقد اصطحب الثعيلب الحمار حتى الأسد ، ، فمزقه إربا ذلك الأسد الهصور .

– وظمئ من لحمه ملك الوحوش ، فذهب صوب النبع ليشرب الماء .

– فأكل الثعيلب كبده وقلبه في تلك اللحظة ، عندما سنحت له الفرصة .

– وعندما عاد الأسد من النبع إلى الطعام ، بحث في " جثة " الحمار عن القلب ، فلم يجد لا قلبا ولا كبدا .

٢٨٧٥– فقال للثعلب : أين الكبد ؟ وماذا حدث للقلب ؟ فلا بد لكل حي من وجود هذين !!

– فأجاب : متى كان سيعود إلى هنا ، إن كان له قلب أو كبد ؟

– كان قد رأى تلك القيامة والحشر ، وسقوطه من الجبل والهول والفرار ،

– فلو كان له كبد أو كان له قلب ، متى كان سيعود إليك ثانية ؟

– وعندما لايكون نور في القلب ، لايكون قلبا ، وعندما لا تكون روح ، ليس ثم إلا طين .

٢٨٨٠– وتلك الزجاجة التي لا تحتوى على نور الروح ، هي قارورة بول ، لا تسمها قنديلا .

– ونور المصباح عطية من ذى الجلال ، وذلك الزجاج والخزف هو صنعة الخلق .

– فلا جرم أن يكون التعدد موجودا في الآنيــــة ، ولا يكون في اللهب والنـور إلا الوحدة .

– ذلك أنه عـندما تمتزج أنوار قناديل ستــة ، لا يكون فـي أنوارهـــا عد أو حصـــر .

– لقد أشرك ذلك اليهـــودى لأنه " وقف" على الآنيـــة ، لكـن ذلـك المؤمـن رأى النور وأدركه .(١)

٢٨٨٥– وعندمـــا يقع بصـــر الروح على الوعـــاء ، تراهمـا إثنيـن شيث ونوح عليهما السلام .

– والجدول الحقيقي هو الـذى يحتوى على مـــاء ، والإنســـان هو الذى يكون ذا روح .

–أما هؤلاء " الذين تراهم " فليسـوا برجـــال ، إنهم صـــور ، فهم موتـى الخبـــز وقتلى الشهوة .

حكايـــة ذلك الراهب الذى كان يطوف نهارا بمصبـــاح وسط السوق مـمـــا كان يعانيـــه من حال

– كان أحدهم يطـوف بالسوق نهـارا وهـو يحمـــل مصباحـــا ، وقلبـــه مليء بالعشق والحرقـــة .

– فقال له فضـــولي : هيـــا ، قل لي ، عم تبحث وتمضـي صـــوب كل حانوت ؟

٢٨٩٠– هيـــا ، قل ، عم تطـوف باحثـــا بالمصبـــاح في رابعة النهـار المضيء ، فأى بحث هـــذا ؟

---

(١) ج/١٢ ٣٣٠:– وعندمـــا ينظر المرء إلى الروح ، يجدهما واحدا ، المصطفى والخليل عليهما السلام .

- قال : إنني أبحث في كل صـــــوب عن إنســـــان ، يكون حيـــــا بحياة تلك النفخة " الإلهيـــــة "(١)

- فهل ثم رجـــــل ؟ فأجاب : هذا السوق مليء بالرجال آخرا أيها الرجل الحر

- قال : أريد رجلا على الجادة في طريقين ، إن وجد في طريق الغضب ، وإن وجد في طريق الشره والشهوة .

- فأين رجل عند الغضب وعند الشهوة ، إنني أسرع من حـي إلـى حي طالبـا لرجل !!

٢٨٩٥- فـأين رجـل واحـد فـي الدنيـــــا إن وجـد فـي هـاتين الحـالتين ، حتـى أفديـــــه بروحي اليـــــوم .

- قـال : إنـك تبحـث عـن شـيء نـادر ، لكنـك غـافل عـن الحكـم والقضـــــاء ، فانتبـــــه .

- وأنت ناظرٌ إلى الفرع غافلٌ عن الأصـــــل ، ونحن فـروع ، والأصـــــل هو أحكام القدر .

- والقضـــــاء يجعل الفلك الدوار ضالا ، والقضاء يجعل من مائـة عطـــــارد بلهاء .

- ويجعل دنيـــــا من الحيل شديدة الضيق ، ويجعل الحديد والصخر مـــــاءً .

٢٩٠٠- فيـا مـن رسـمت " وخططـت " للطريـق خطـوة بخطـــــوة ، إنـك ســـــاذج سذاجة شديدة .

- فمـا دمـت قـد رأيـت دوران حجـر الطاحـــــون ، أنظـــــر آخـرا إلـى مـاء الجدول وتعـــــال .

---

(١) ج/١٢*٣٣٣٣: - قال : لقد صرت باحثـــــا عن إنســـــان ، ولا أجد إنسانـــــا على الإطلاق ، وصرت حائـــــرا .

- ورأيت التراب قد ارتفع في الهـــواء ، فانظر إلى الريح من بين التراب .

- وإنك لترى قدور الفكـــر وهي آخذة في الغليـــان ، فـانظر أيضـــا إلـى النار بوعي ويقظــة .

- وقد قال الحق لأيوب ﷺ " وهو يحدثه" عن مكرماته لـه : لقد أعطيتك صبـــرا بكل شعرة فيك .

٢٩٠٥- فانتبه ولا تنظر إلى صبرك هذا كثيـــرا ، لقد رأيت الصبر ، فانظـــر إلى عطاء الصبر .

- وحتام تنظـــر إلى دوران الساقيـــة ، أطل برأسك ، وانظر أيضـــا إلى الماء المندفع .

- وأنت لا تفتأ تقول : إنني أراه ، لكن رؤيتـه ذات علامـات وأمـارات واضحـــة .

- ولما كنت قد رأيت شيئـــا من دوران الزبد ، فإن كنت تريد الحيرة ، فـأمعن النظر في البحر .

- فذلك الذى رأى الزبد ، يكون متحدثا بالأســـرار ، وذلك الذى رأى البحر ، يكون حائـــرا .

٢٩١٠- وذلك الذى رأى الزبد ينتـــوى النوايـــا ، وذلك الذى رأى البحر خاطر وتهور وأقدم .

- وذلك الذى رأى الزبد يكون مشغولا بـالعدد ، وذلـك الـذى رأى البحـر ، صـــار بلا اختيـــار .

- وذلك الذى رأى الزبد ، يكون فـي دوار وطـواف ، وذلك الذى رأى البحر ، يكون صافيـــا لا كدرفيه .(١)

---

(١) ج/١٢-٣٣٤:- وذلك الذى رأي الزبد جعله عاطلا ، وذلك الذى رأى البحر حمله إلى المشنقـــة .- وذلك الذى رأى الزبد صار ثملا به ، وذلك الذى رأى البحر غرق في ذاته هو .- وذلك الذى رأى الزبد أخذ=

- قال أحدهم لمجوسي : هيـــا يا فـلان ، أدخـل فـي ديـن الإسـلام ، وكـن مـن المؤمنين .

- قـال : إن شـاء اللـه أصير مؤمنـــا ، وإن زادنـي مـن فضلـــه ، أكـون أيضـــا موقنا .

٢٩١٥- فقال له : إن الله يريـد إيمـانك ، حتـى يخلـص روحـك مـن بيـن براثـن الجحيم .

- لكن النفس الشؤم وذلك الشيطــــان القبيح ، يجرانك نحو الكفران ونحو معبـد النيـــران .

- فقال له : أيها المنصف : إذا كان هذان غالبين ، فلأكن رفيقـــا لمن يكـون قويـــا .

- إنني استطيع أن أكون رفيقـــا لذلك الذى يكـون غالبـا ، وأنضـم إلـى ناحيتـه فالغالب جاذب .

- فإذا كان الله يريد مني الصدق القـوى العظيـم ، فـأى نفـع لإرادتـه هـذه إن لـم تتقدم وتغلب ؟

٢٩٢٠- والنفس والشيطـــان قد أرادا ونفذا ، أمـا تلـك العنايـة فقـد هزمـت وتحطمت ، وصارت بددا .

- و"هب" أنك قد بنيت قصـرا شامخـــا ، وقمـت بتزيينـه بمئـات الصـور الجميلـــة .

- وقد أردت أن يكون ذلك المكان مسجدا للخير ، فجاء آخـــر وجعل منه ديرا

=في الحديث ، وذلك الذى رأى البحر ، فرغ من " أنا" و"نحن" .- وذلك الذى رأى الزبد صار مصفى " من الكدر" ، وذلك الذى رأى البحر ، إستراح من كل شيء .

- أو أنك نسجت كرباسا لتجعل منه قباءً تلبسـه سعيدا ؛

- وكنت تريده قبـاء ، فجاء خصمك معاندا وجعل من الكرباس سروالا بالرغم منك ؛

٢٩٢٥- فما حيلة الكرباس يا روحي إلا الاستسـلام لذلك الرأى الغالب ؟

- وإذا كان الكرباس قد أرغم ، فما ذنبـه ؟ ومن ذلك الذى لايكون مغلوبا لمن يكون غالبا ؟

- وإذا كان أحدٌ قد هاجم أحدهم رغم إرادته ، وغرس أجمة شوك في منزله وفي ملكه ،

- ويكون صاحب الدار على هذه الدرجة من الضعف والذلة ، بحيث يجرى عليه هذا الأمر خلافا لرغبته ؛

- أأصير أنا مهانا خلقا لمثل هذا الذليل حتى وإن كنت نضـرا فتيـا ؟!

٢٩٣٠- وما دامت رغبة النفس قد انتصـرت ، فإن قولك " ما شاء الله كان " يكون سخريـة .

- وأنـا وإن كنت عارا على المجوس كافرا ، فلست بالذى أظن في الله هذا الظن .

- وهو أن يكون أحدٌ على غير مشيئته ورغبته نافذ الأمر في ملكـه .

- وتقوم النفس بالاستيلاء على ملكه هذا ، ولا يستطيع خالق النفس أن ينبس بحرف .

- إنه يريد دفعه وهكذا ينبغي له ، لكن الشيطـان يزيد له في الأحزان في كل لحظـة .

٢٩٣٥- فينبغي أن يكون المرء إذن عبدا للشيطـان ، مادام الشيطـان هو الغالب في كل محفل .

- وذلك حتى لا ينتقم الشيطان منى ، ولا كان ذلك ، وأى عون يسديه لي آنذاك ذو المنن؟!

- وما دام ما يريده ذلك " الشيطـــان " يتحقق له ، فمـن أى شـيء إذن ينصلـح حالي وأمرى ؟

مثـــل الشيطـــان على باب الرحمــــن

-حاشـــا لله ، بل ما شـــاء الله كان ، هو الحاكم " الفــرد " فـي المكـان واللامكان .

- ولا أحد يزيد في ملكه بمقدار طرف شعرة واحدة ، اللهــم إلا كـان هـذا بأمــــره .

٢٩٤٠- فالملك ملكـــه ، والأمر لـــــه ، وذلك الشيطان هو أقل الكلاب علـى بابه .

- ذلك أن التركماني إن كان له كلب على بابــــه ، فإنه إنما ييمم وجهه ورأسه شطر هذا الباب .

- فيقوم أطفال الدار بشده مـن ذيلـــــه ، ويكـون ذليـلا بيـن أيـدى أولئـك الأطفـــال .

- لكن عندما يمر غريب بهذه الديــــار ، يهجم عليه وكأنه الأسد الهصور .

- إنه يعمل مصداقا لـــ ﴿ أشداء على الكفـــار ﴾ ، إنـه ورد علـى الولـي شوك على العدو .

٢٩٤٥- ومن الماء بالدقيق أو النخالـة الذى يطعمه إيــــاه التركماني ، صـار وفيـــا إلى هذا الحد وحارســا.

- ومن هنا فإن الكلب الشيطـــان الذى يخلقه الحق ، يجدل " في خلقته" مائـة فكرة ومائة حيلة .

– ويجعل طعامه من ماء وجوه " البشر " ، حتى يريق ماء وجه الصالح والطالح

– والماء بالنخالة بالنسبة له هو ماء وجه العموم ، إذ يجد منه الكلب الشيطـــان القوت والطعــــام .

– فكيف لا تكون روحه فداءً للحكم على باب مخيم القدرة ؟ ألا فلتخبرني .

٢٩٥٠– والحاكمون والمحكومون قطيعا قطيعا ، كالكلاب " على هذا الباب " باسطو أذرعهم بالوصيد .

– إنه على باب كهف الألوهية كأنه الكلب ، ممتثـــــلا للأمر بكل كيانه ، نافر العرق " تحفزا " .

– ويا أيها الكلب الشيطـــــان ، داوم على الامتحـــــان ، حتى ترى كيف يضع الخلق أقدامهم في هذا الطريق

– وداوم على الهجوم والمنع ، وانظـــــر ، حتى يتميز الذكر من الأنثى في الصــــدق .

– فمن أى شيء تكون " المعوذة " ؟ عندما يصبح الكلب من التوقح سريـــــع الهجوم .

٢٩٥٥– فإن المعوذة تعني : أيها التركي الخطائي ، استدع كلبك ، وافتح الطريـــق .

– حتى آتي على باب مخيمك ، وأطلب حاجة من جودك ومن جاهك .

– وإذا كان التركماني عاجزا أمام سطـــــوة الكلب ، فإن هذه " المعوذة " وهذا الصياح لا يجوزان .

– وهل يقول التركي أيضــا : إنني استعيذ الله من الكلب ، فإنني أيضا قد ضقت ذرعا بالكلب فى موطنى ؟

– وإنك لا تجرؤ على المجيء إلى هذا الباب ، كما أنني لا أجرؤ على الخروج من نفس الباب .

٢٩٦٠– فلتحث التراب إذن على رأس التركي ورأس ضيفه ، ذلك أن كلبا يأخذ بخناقيهما .

– حاشا لله ، إن التركي ليصيح صيحة واحدة ، وماذا يكون الكلب بعدها ؟ إن الأسد الهصور ليقيء دما.

– وأنت يا من سميت نفسك أسد الله ، لقد مضت سنوات وأنت عاجز من كلب .

– وإذا كان هذا الكلب يقوم بالصيد من أجلك ، فكيف أصبحت صيدا للكلب على الملأ ؟

جواب المؤمن السني على الكافر الجبرى ، وإيراده الدليل على إثبات الاختيار للعبد ، والسنة طريق سلكه الأنبياء عليهم السلام ، وعلى يمين ذلك الطريق صحراء الجبر التى لا ترى لنفسها اختيارا وتنكر الأمر والنهي وتقوم بتأويلها ، وإنكار الأمر والنهي يستلزم إنكار الجنة والنار ، فإن الجنة هى جزاء مطيعي الأمر ، والنار جزاء مخالفي الأمر ، ولا أقول إلام ينطور الأمر فالعاقل تكفيه الإشارة ، وعلى يسار ذلك الطريق صحراء القدر التى تعتبر قدرة الخالق مغلوبة لقدرة الخلق ، ومن ذلك تتولد أنواع من الفساد يعددها ذلك المجوسي الجبرى .

– قال المؤمن : استمع أيها الجبرى إلى الخطاب ، لقد قلت ما عندك ، وآتيك عليه الآن بالجواب .

٢٩٦٥– ولقد رأيت لعبتك يا لاعبا بالشطرنج ، فانظر إلى لعبة خصمك نظرة شاملة متمعنة .

– ولقد قرأت كتاب اعتذارك ، فاقرأ كتاب السني ، ولأى شيء عجزت .

– لقد ذكرت نقطة عن القضـــــاء كما يقول الجبريــــون ، فاستمع إلى سرها الآن ، فيما حدث .

– فإن لنا اختيارا دون أدنى شك ، وإنك لا تستطيع أن تنكر الحس ، عيانا بيانــــا .(١)

– فإن أحدا لا يقول للحجــــر تعال ، ومن مدر لا يطلب أحدٌ الوفـــاء .

٢٩٧٠– ولا يقول أحد لإنســــان : هيا ، طر ، أو تعال أيها الأعمــى وانظـــــر إليَّ .

–فقد قال الله :﴿ ليس على الأعمى حــــرج ﴾ ، فمتى يضع على أحد حرجـــا رب الفرج ؟

– ولا يقول أحد لحجر لماذا تأخرت في المجيء ، أو يقول : أيتها العصـــا ، لماذا قمت بضربي ؟

– فهل يطالب أحدٌ مجبرا بأشيـــــاء ، أو هل يلومن أحد معذورا أو يضربــــه ؟

– فالأمر والنهي والغضب والعقاب والثواب ، لا تكون إلا للمختار يا طاهر الجيب .

٢٩٧٥– وهناك اختيــــار في الظلم والضيــــم ، وأنا الذى أردتهما من الشيطـــان والنفس .

– وهناك اختيــــار كامن فى باطنك ، ما لم ير مثيل يوسف ، لا يقوم بجرح اليد .

– كان الاختيار وكان الداعي موجودا في النفس ، رأى وجهه ففتح الجناح والقــــوادم .

---

(١) ج/١٢-٣٥٧: فانظر إلى اختيارك ولا تكن جبريـــا ، ولقد تركته فعد إليه ، ولا تمش باعوجــــاج .

- فالكلب قد نام وضاع منه اختياره ، وعندما رأى السقط بصبص بذنبه .

- والحصان يصهل عندما يرى الشعير ، والقطة تموء عندما يتحرك اللحم .

٢٩٨٠- فالرؤية تحريك لهذا الاختيار ، كالنفخ يثير من النار الشرار

- ومن هنا فإن اختيارك قد تحرك ، عندما صار إبليس رسول غرام ، وأتاك برسالة من محبوبك .(١)

-وعندما يعرض الشيء المشتهى على امرىء ما ، فإن الاختيار النائم يتمطى وتتفتح أعطافه .

- ثم إن ملائكة الخير - برغم أنف الشيطان - تعرض هي الأخرى ما لديها وتقيم ضجة في القلب .

- حتى يتحرك اختيار الخير لذلك ، فقبل العرض ، تكون هاتان الخصلتان نائمتين داخلك .

٢٩٨٥- إذن فالملاك والشيطان كلاهما عارض عليك ، وذلك من أجل أن تتحرك عروق الاختيار فيك

- فمن أنواع الإلهام وأنواع الوسوسة ، يكون اختيار الخير والشر عندك ، بقدر ما يكون عند عشرة أشخاص .

- ومن هنا فعند ختم الصلاة أيها المليح ، ينبغي منك السلام على الملائكة .

- وكأنك تقول : إنه من دعائكم وإلهامكم الطيب ، كان اختياري لهذه الصلاة مشمولا بالنفاذ ,

- ثم إنك من بعد ارتكاب الذنب تلعن إبليس ، الذى صرت من وساوسه منحنيا هكذا .

---

(١) حرفيا : من ويس ، وويس هو محبوب رامين في القصة المشهورة .

٢٩٩٠- إن هذين الضدين يقومان بعرض " ما لديهما " عليك في الباطن ، جاءا من حجاب الغيب عارضين عليك .

- وعندما يرتفع حجاب الغيب من أمامك ، فإنك ترى وجوه من يقومون باقتيادك

- وتعلم ثانية من كلامهم دون أدنى أذى أو ضــــرر ، أنهم هم الذين كانوا يتحدثون إليك في الســـر.

- فيقول لك الشيطـــــان : يا أسير الطبع والجســـد ، لقد كنت أعرض عليك ، ولم أجبرك .

- ويقول لك ذلك الملاك : لقد قلت لك أنك سوف تزداد حزنا من هذا السرور " الذى أنت فيه " .

٢٩٩٥- وألم أقل لك في يوم كذا أن طريقك إلى الجنان موجود من هذه الناحيـــــة ؟

- ونحن محبوك بالروح ، ونحن الذين نطيل في عمرك ، ونحن الذين سجدنا بإخلاص لأبيك .

- ونحن الآن لا زلنا في خدمتك ، ونحن الذين ندعوك نحو السيد " العظيـــم "

- وتلك الجماعة كانت عدوة لأبيك ، وقد رفضت الخطاب الإلهي القائل ﴿أسجدوا لآدم ﴾ .

- ولقد أخذت ما قدموا ، وتركت ما قدمناه ، ولم تعرف لنا حق الخدمـــــة والاحتـــــرام .

٣٠٠٠- فانظر الآن عيانا إلينا وإليهـــم ، وأمعن النظـر ، وتعرف من اللهجة والبيـــــان .

- إنك عندما تستمع إلى سر في منتصف الليل من صديق ، تعرف من هو هذا الصديق عندما يتحدث عند انبلاج الصبـــح .

- وإذا جاءك شخصان بخبر بليـــل ، فـإنك تعرفهمـا فـي ضـوء النهـار عندمـا يتحدثـــــان .

- لقد بلغ مسمعه زئير الأسد ونباح الكلاب في الليل ، لكنه لم ير شكل أيهما في الظلمة .

- وعندما انبلج الصبح ، وأطلق كل منهما صوتـه المعهـود ، فإنـه يعرفهمـا من الصوت ، ذلك الذكي الأريب .

٣٠٠٥- الخلاصـــــة ، أنهمـا كلاهمـا الشيطـان والـروح عارضـان ، كلاهمـا موجود من أجل إتمام الاختيـــار .

- وهناك اختيار في وجودنا مستتر غير ظاهر ، وعندما يرى موضوعين يزداد

- والأسـاتذة يقومـون بضـرب الأطفـــــال " تأديبـا" ، ومتـى يقومـون بتـأديب الحجارة السوداء هكذا ؟

- وإنك لا تقول أبدا لحجر : تعال غدا ، وإن لم تأت عاقبتك عقابا شديدا .

- فهل يضـرب عاقل قط مدرا ؟ وهل يعاقب أحد قط حجرا ؟

٣٠١٠- والجبر في نظر العقل أكثر افتضاحا من القدر ، ذلك أن الجـبرى ينكـر حســـــه .

- لكن القدرى ليس منكرا للحس ، إنه يقـــول : إن فعل الله لا يكون حسيـــــا يا بنى .

- والمنكر لفعل الإلـــــه الجليل ، هو قائم على إنكـار المدلـول الـذى قـام عليـه الدليل .

- إنه - أى القدرى - يقول : هناك دخــــان ولا نار ، وهناك نور شمع ، دون شمع مضيء .

- أما هذا –أى الجبرى – فيرى النار جهارا نهـارا ، ويقـول أنهـا غير موجـودة لمجرد الإنكـــار .

٣٠١٥– إن ثوبـــه يحترق ، ويقول : لا توجد نار ، وهو يخيط ثوبه ، ويقـول : لا يوجد خيط .

– ومن ثم فدعوى الجبر هذه من قبيل السفسطـــة ، ومن هنا فهي أسوأ في هـذه الناحية من دعوى القدر .

– والجبرى يقول : هناك عالم ، لكن لا رب ، وذلـك لأنـه يقـول : يـا رب ، ولا يستجاب له .

– والآخر يقول : الدنيا في حد ذاتها عدم وهبـــاء ، فهو سوفسطائي في التواء واعوجـــاج .

– فالعالم بأجمعه مقر بالاختيار ، والأمر والنهي ، وافعل هذا ولا تفعل ذاك .

٣٠٢٠– وهو يقول بأنه لا أمر ولا نهي ولا اختيار ، وهذا كله هباء .

– والحيوان مقر بالحس أيها الرفيق ، لكن إدراك الدليل " بالنسبة له " دقيق .

– ذلك أن الاختيـــار محسوس لنــــا ، ويجمـل أن يـأتي عليـــه التكليـف بالأمـــر .

في بيان أن الإدراك الوجداني كالاختيار والاضطرار والغضب والاصطبـــار والشبع والجوع في محل الحس الذي يعلم الأصفــر من الأحمر ويفرق بينهما ، والصغيـــر من الكبير والمر من الحلو والمسك من البعر والخشن من الناعم بحس اللمس ، والحار من البارد والمحرق من الفاتر واللين من الخشن وملمس الجدار من ملمس الشجـــرة إذن فمنكر الوجدان هو منكر الحس ، ونزيد على ذلك بأن الوجدان أظهر من الحس لأنه من الممكن قطع الطريق على الحس ومنعه من الإحساس ، وليس ممكنا قطـع الطريق على الوجدانيات ومدخلها ، والعاقل تكفيـــه الإشـــارة

- إن الإدراك الوجداني يا عمـــاه هو في موضـــع الحس ، كلاهما يجريان في جدول واحد .

- وبهذا يلطف الأمر والنهي والتكليف وما يجـــرى وما يقـــال .

٣٠٢٥- وقولك : أافعل هذا " الأمر " غدا أو ذاك الأمر هو دليل الاختيار أيها الوسيم الحسن .

- وذلك الندم الذى يعتريك أنك أكلت من ذلك " الطعام " السيء ، قد صرت مهتديا إليه باختيارك أيضـــا .

- وكل القرآن أمر ونهي و" وعد" ووعيد ، ومن رأى حجرا من المرمر قد وجـــه إليه أمر ؟

- ولا يوجد عالم أو عاقل قط يغضب من حجر أو مدر أو يحقد عليـــه .

- قائلا : لقد قلت لكم افعلوا هذا او افعلوا ذاك ، فكيف لم تقوموا بفعله ، أيها الموتى العجزة ؟

٣٠٣٠- ومتى يحكم العقل على الخشب أوالحجر ، ومتى ينشب الإنسان مخالبه في صورة مخلب ؟

- أو يقول : أيها الغلام المقيد اليد المبتور القدم ، هيـــا خذ الرمح وتعال صوب الوغـــى ؟

- والخالق الذى يخلق الكواكب والأفلاك ، كيف يقوم بأمر أو نهي يدل على جهل ؟

- لقد محوت احتمال العجز عن الحق ، ثم اعتبرته -جل وعلا - جاهلا ذاهلا سفيهـــا .

- والعجز لا يكون من القادر وإن نسبته إليـــه ، وإن الجهل ليكون أقبح من العجـــز .

٣٠٣٥- والتركي يقول لضيفه من كرمه ، تعال إلى بابي بلا كلب ولا خرقة .

- وتعال من ناحية كذا بتؤدة وأدب ، حتى يصرف الكلب عنك أسنانه وفمه .

- وأنت تفعل عكس ما يقول وتمضي نحو الباب ، فلا جرم أن تجرح من عضة الكلب .

- كذلك فامض كما مضى الغلمان ، ليصبح كلبه حنونا مؤدبا .

- وإنك إن اصطحبت معك كلبا أو ثعلب ، فإن كل كلب يثور ويهيج من داخل كل خيمة .

٣٠٤٠- وإن لم يكن هناك اختيار لغير الحق ، فكيف تغضب أنت على المجرم ؟

- وكيف تصر بأسنانك غضبا على العدو ، عندما ترى منه ذنبا وجرما ؟

- وإذا انكسر لوح خشب من سقف المنزل ، وسقط عليك وجرحك ؛

- فإنك لا تغضب أبدا على هذا اللوح من الخشب ، ولا تكون حياتك كلها وقفا على الانتقام منه .

- وأنت تتساءل : لماذا سقط عليّ وكسر يدى ؟ لقد كان عدوا لي وخصما لروحي .

٣٠٤٥- وكيف تضرب الأطفال الصغار ، ما دمت تنزه الكبار عن " ارتكاب الجرم " ؟

- ومن يسرق مالك ، تقول : اقبضوا عليه ، واقطعوا يده ورجله ، واسجنوه .

- ومن يقصــــد حريمك بالســــوء ، يتفجر فيـك عليـه مئات الآلاف من أنـواع الغضب .

- وإن أتى سيل وجرف متاعك ، فهل ينتقم عاقل قط من سيـــل ؟

- وإن هــبت الريح واختطفت عمامتك ، متـى أبـدى قلبك ضيقــــا مـن تلـك الريح ؟

٣٠٥٠- لقد صار غضبك بيانا للاختيـــار ، حتى لا تقوم - كما يفعل الجـبريون - بالاعتذار .

- وإن ضرب جمالٌ جملا ، فإن ذلك الجمـــــل يهاجم الجمال الضــــارب .

- ولا ينصب غضب الجمل على العصــــا التي ضربته ، إذن فقد فهـم البعـير شيئـــا عن الاختيار .

- وهذا الكلب إن رميته بحجر ، فإنه ينثني عليك أنت بالهجوم .

- وإن أبدى بعض الغضب على الحجـــــر ، فلأنك بعيــــد ولا تطولك يداه .

٣٠٥٥- وإذا كان عقل الحيوان قد فهـم الاختيـار ، فـلا تقـل هـذا القـول يـا عقـل الإنسان ، واخجـــل .

- وهذا شديد الوضــــوح ، لكن طمعا في السحور ، يغمـض ذلـك الآكـل عينيـه عن النور .

- ولما كان كل ميله منصبـــــا على الطعــــام ، فإنه يتجه إلى الظلام ، قائلا : لم يطلع النهار .

- وإذا كان الحرص يخفي الشمس ، فأى عجب أن يعطي ظهره للبرهــــان ؟

حكاية في إثبات الاختيار أيضا ، وبيان أن القضـــاء والقدر لا ينـفيــــان الاختيــــار

– قال لص للشرطي : أيها العظيم [1] ، إن ما ارتكبته كان من حكم الإله .

٣٠٦٠– قال الشرطي : وما أفعله أنا أيضا " من عقاب " ، هو حكم الله أيضا يا نور عيني .

– فإن سلب أحدهم فجلة من حانوت ، على أن هذا هو حكم الحق عليه أيها العاقل ؛

– فإنك تقوم بلكمه على رأسه مرتين أو ثلاثة قائلا له : أيها الكريه ، هذا هو حكم الحق ، أعد ما سرقت .

– فإذا كان عذرك هذا لا يكون لدى البقال مقبولا في شأن فجلة أيها الفضولي ؛

– فكيف تعتمد على هذا الغدر ، وتحوم حول مواضع الأفاعي ؟

٣٠٦٥– ومن مثل هذا العذر أيها الساذج الوقح ، كيف تحل دماء الناس وأموالهم وأعراضهم ؟

– فإن كل إنسان إذن يقوم بنزع شعر شاربك ، ويعتذر لك بأنه مجبر على هذا الأمر .

– فإذا كان يجوز لك بأن تعتذر بأن الأمر هو حكم الحق ، علمني إذن إياه وافتني .

– فإن عندى مائة نزوة وشهوة ، لكن يدى معقودتان خوفا وهيبة " من الله " .

– فتكرم علينا إذن وعلمنا العذر ، وفك القيود عن أيدينا وأقدامنا .

٣٠٧٠– لقد قمت بحرفة ما طوعا واختيارا ، قائلا : إن لي اختيارى وفكرى

---

(١) حرفيا : أيها الملك .

– وإلا ، كيف اخترت تلك الحرفة من بين الحرف يا عينا من الأعيـــــان .

– وعندما تأتي نوبة النفس والهـــــوى ، يكون عندك اختيـــــار بقدر ما يكـون عند عشرين رجل .

– وعندما يبخسك رفيقك مثقـــال حبة ، فـإن اختيـــــار العراك قد تفتح في روحك .

– وعندما تحل نوبة شكـــر النعم ، فلا اختيار لك ، وتكون أقل من حجـــــر .

٣٠٧٥– ويقينا أن الجحيم سوف يعتذر لك قـائلا : أعذرنـي فـي حرقـي " إيـاك " هكذا .

– إن أحدا لن يعذرك بهذه الحجــــة ، ولن تبعدك هذه الحجة عن كف الجلاد .

– ومن ثم فإن الدنيـــا قد انتظم سلكها بهذا الحاكم ، ومنهـا صـار حـال الآخـــرة معلوما برمته لك .

حكاية جوابـــا على الجبري أيضا وصحة الأمر والنهي ، وبيان أن عذر الجبري ليس مقبولا في أية ملـــة وأي دين ، وليس موجبا للخلاص مما تم اقترافه من ذنوب ، مثلما لم ينج إبليس الجبري بقوله ﴿ رب بما أغويتني ﴾ والقليل يدل على الكثيـــــر

– أخذ أحدهـــم يتسلق شجـــرة ، وأخذ خلسة يلقي بثمارهـــا بشدة .

– فجاء صاحب الحديقـــة وقال : أيها الدنـيء ، أين حياؤك من اللـه ؟ مـاذا تفعـــل ؟

٣٠٨٠– قال : إذا أكل عبد الله التمر(١) من حديقـــة الله ، فإن هذا هو عطـاء الحق ، قد أعطاه إيـــاه .

---

(١) حرفيـــا : البلح .

– فكيف تقوم بلومـــــي هكذا بشكل عامي ؟ أثم بخل على مائدة اللــــه الغنى ؟

– فنادى : يا أيبك ، هات ذلك الحبل ، حتى أجيب على حاوى المحاسن هذا .

– فأحكم شد وثاقه إلى الشجرة ، وأخـذ يضربـه بالعصـــــا علـى سـاقه وظهـره ضربا شديدا .

– فقال له : إستحي آخرا من الله سبحانه وتعـالى ، إنـك تقتـــــل هـذا البرىء صبـــــرا .

٣٠٨٥– فقال : إن عبد الله يضرب عبده الآخــــر بعصا الله ، " يضربه " على ظهره سعيدا .

– إنها عصا الحق ، كما أن الظهر له ، والجنب له ، وأنا مجرد غلام لـه ، وأداة لتنفيذ أمره .

– قال : لقد تبت عن الجبر أيها الماكـــــر ، هنـاك اختيـار ، هنـاك اختيـار ، هناك اختيار .

– واختياره هو الذى اختار كل أنواع الاختيــــار ، واختياره كالفارس " مخفي " في الغبار .

– واختياره هو الـذى يقـوم باختيارنـا ، ومـن ثـم صـــــار الأمـر مستندا علـى الإختيار .

٣٠٩٠– والتسلط على صورة بـلا اختيــــار ، موجـود عنـد كـل مخلـوق عنـد قدرته عليهـــا .

– حتى ليجر الصيد دون اختيار من هذا الصيد ، وحتى يسحب زيـدا جـارا إيـاه من أذنيــــه .

– لكن صنع الصمد يستطيع بلا آلة قط ، أن يجعل اختيــــاره وهقـــا له .

– فإن اختيـــاره يقيد زيدا هذا ، يصيده الحق دن كلب دن فخ .

- النجار يكون مسلطـــا على الخشب ، وذلك المصور يكن حاكما على الجمال " الذى صوره " .

٣٠٩٥- كما أن الحداد قيـــم على الحديـــد ، والبناء مسيطر على آلـة عملـــه .

- العجيب أن كل هذه الإختيارات ، تسجد أمام اختياره كالعبيد .

- قدرتك على الجمادات في صراعك " مع الحياة " ، متى نفت الجمادية عن أى منها ؟

- ومن ثم فإن قدرته على المخلوقات المميزة ، لا تقم بنفي الاختيـــار عنها .

- فدام على القل بأنها مشيئة الله على وجه الكمـــال ، فليس فيها نسبة الجبر أو الضـــلال .

٣١٠٠- ما دمت قد قلت إن كفرى هو مشيئتـــه ، اعلم أن مشيئتك أيضـــا موجودة .

- ذلك أن كفرك لا يكون دون مشيئـــة منك ، إن الكفر بلا مشيئـــة منك قول متناقض .

- فالأمر للعاجز قبيح وذميم ، والغضب " عليه " أقبح ، خاصة عندما يكون من الرب الرحيـــم .

- والثور الذى لايقبـــل النير يتعرض للضرب ، لكن ثورا لم يحقر قط لأنه لـم يطر .

- وإذا لم يكن الثور معـذورا في فضـول الفعل والقـول ، فمن أى شـيء يكـون صاحب الثور الوقح معذورا ؟

٣١٠٥- وما لم تكن مريضـــا ، لا تربط رأسـك ، فالإختيار لـك ، ولا تسخر من شاربك .

– وجاهد حتى تجد جرعة من كأس الحق ، فتصير آنذاك متجردا عن ذاتك بلا اختيـــــار .

– وعندما تصبح تلك الخمر هي اختيـارك الكلـي ، تصـير كـالثمل معـذورا علـى الإطـــلاق .

– وكل ما تدقه ، يكون مدقوقا بتلك الخمر ، وكل ما تكنســــه يكون مكنوســـا بها .

– ومتى يفعل ذلك الثمل إلا العدل والصـــــواب ، فلقـد شـرب مـن كـأس الحـق الشـــراب .

٣١١٠– ولقد قال السحرة لفرعون : قف ، ليس عند الثمل اهتمامٌ باليد والقدم .

– إن أيدينا وأقدامنا هي خمر ذلك الواحد ، واليد الظاهـــرة مجرد ظـل لا قيمـة لــــه .(١)

معنى ماشاء الله كان أي أن المشيئـــة مشيئته والرضا له ، فاطلبوا رضاه ، ولا تضيقـــوا برد الآخرين وغضب الآخرين ، وبالغم من أن كان فعل ماض إلا أنه لا ماض ولامستقبل في فعل الله مصداقا لـ(ليس عند اللـــه صباح ولا مســـاء)

– إن قول العبد : ما شاء الله كان ، ليس من أجل أن تتكاسل على أساســه .

– لكنه تحريض على الإخلاص والجد ، أى زد في تلك العبادة وكن مستعدا .

– فإذا قيل لك : إن الأمر أمرك أيها العظيم ، والفعـل فعلـك ، " فقـم بـه " حسـب هواك .

---

(١) ج/١٢–٤٠٥:– وما دامت كأســه مليئة من خمره على الدوام ، فإنه يستولي على منزل القلب بأجمعــه

٣١١٥- يجوز لك حينذاك أن تتكاسل ، فإن كل ما تريده وكل ما تقوله هو الـذى يصيـــر .

- وعندما يقال لك : ما شاء الله كان ، يعني أن الحكم حكمه تعالى وإلى الأبد .

- وإلا فلماذا أنت في ورده وذكره كمائة رجل ، وكيف لا تطوف بعبوديـة حـول بابـــه ؟

- فإذا قيل : إن كل ما يريده الوزير يكون له ، سواء في الأخذ أو في الرد ؛

- فهل تحوم حوله سريعا وبقوة مائة رجل ، حتى ينثر فوق رأسك الإحســـان والجود ؛

٣١٢٠- أو تهرب من الوزير ومن قصـــره ؟ إن هـذا لا يكـون بحثـا عـن " عطائه" وعن نصره .

- لقد قلبت هذا الكلام وصرت كســـولا ، وصرت معكوس الخاطر والإدراك

- " فالأمر أمر السيد فلان " ماذا تعني ؟، تعني : قلل الجلوس مع غيـــره .

- وطف حول السيد ما دام الأمر لـــه ، إنه يقتل العدو ، وينجي روح الصديق

- وكـل مـا تريـده سوف تجـده علـى سـبيل اليقيـن ، وقلـل السير عبثـا ، واختـر محضره وخدمته .

٣١٢٥- أو .. لا .. مـا دام حاكمـا لا تطـف حولـه ، حتـى تصـير أسـود الكتـاب مصفـــر الوجه .(١)

- إن التفسـير الصحيح هـو الـذى يجعلـك متحمســـا ، ويجعلـك مليئـا بالنشـاط والرجاء وذا حيـــاء .

- أما إذا جعلك واهنا ، فاعلم حقيقة أنه تبديل ، ليس بتأويل " أو تفسير " .

---

(١) ج/ ١٢-١٢-٤١٢:- فما دام هو الحاكم ، إلزمه فحسب ، فليس لغيره حكم ولا منه عـــون .

– ولقد جاء هذا القول من أجل التشجيـــع ، وجعل المـرء متحمســـا ، وذلـك حتى يأخذ بأيدى القانطين .

– فاسأل عن معنى القرآن من القرآن فحسب ، ومن ذلك الـذى أضـرم النـار في هوســه ونزوتـــه .

٣١٣٠– وصـار للقـرآن فـداءً وأمامــــه ذليـلا ، حتـى صـارت عيـن روحـه قرآنـــا .

– والزيت الذى صـار بأجمعــه فداءً للــورد ، سواءٌ عليـك أن تشـمه زيتـــا أو تشمه وردا .(١)

وأيضـــا [قد جف القلم] يعني جف القلم وكتب لا تستوى الطاعة والمعصية لا تستوى الأمانة والسرقة ، جف القلم ألا يستوى الشكر والكفـران ، جف القلم أن الله لايضيـــع أجر المحسنين

– وهكذا أيضـــا تأويل قد جـف القلـم ، إنهـا مـن أجـل التحريـض علـى الشـغل الأهــم .

– إذن فقد كتب القلم أن لكل فعل ما يليق به من تأثيــــر وجزاء .

– تسير معوجـــا ، يـأتيك الاعوجـاج ، جـف بهـذا القلـم ، وإن أتيـت بـالصدق والاستقامة ، تتولد لك السعادة .

٣١٣٥– وإذا ارتكبت الظلم ، فـأنت مدبـر سـيء الحـظ ، جـف القلـم بهـذا ، وإن عدلت ، فأنت ذو نصيب من الرحمة ، بهذا جف القلم .

– وعندما يسرق أحد ، فقد ضاعت يده ، جف القلم ، ومن يشرب الخمـر يصـير ثملا ، جف القلم .

---

(١) ج/١٢-٤١٣:- وإن كنت لا تعلم فابحث عن تأويله ، حتى تشرق " الحقيقة " على قلبك عيانا .

- فهل تجيز ، وهل يكون في الأصـــــل جائزا أن يكون الحق معزولا عن حكمه الذى سبق ؟

- أو أن يقول لك : لقد خرج الأمر من يدى ، فلا تلجأ إلىّ كثيرا وكفاك تضرعـا لي ؟

- لكن معنى جف القلم أنهما ليسا عندى سيـــان : العدل والظلـــم .

٣١٤٠- ولقد فرقت ما بين الخير والشر ، كما فرقت أيضا بين السـيء ومـا هو أســـوأ .

- فإن كانت عندك ذرة من الأدب ، أكثر مما لـدى رفيقك ، فإنمـا يعلمها فضـل الرب .

- فيعطيك الزيادة بقدر هذه الذرة ، وتظهر هذه الذرة وكأنها جبــــل .

- والملــك الـذى لا يكـون هنـاك فـرق أمـام عرشـه بيـن الأميـن وبيـن الظلـوم " الخئون " ؛

- ولا يكون هناك فرق بين من يرتعد خوفـــا من أن يرد لديـــه ، وبين ذلـك الذى يسخر حتى من جده " وإقباله " ؛

٣١٤٥- وكلاهما يكونان عنده سواء . لا يكون ملكا ، بـل احـث الـتراب الكدر على رأســه .

- فلو أن مثقـــال ذرة تزيد في جهدك ، فإنها تكون موزونة في ميزان الله .

- وأنت أمام هؤلاء الملوك تقتلع الروح خدمة دائمـــا ، وهم غافلون عن الغدر وعن الصفـــاء .

- وقول واحد من نمام واش يُدس لـك ، يضيـع مـا قمـت بـه مـن خدمـة وطاعـة لسنوات .

- وعند الملك الذى هو سميـــــع وبصيـــــر ، لا يكون هناك موضع لقول الوشـــــاة .

٣١٥٠- وكل الوشـــــاة عندما ييأســـــون منه ، يأتون نحونـــــا ، ويزيدون لنا في القيـــود .

- إنهم يتحدثون بالسوء عن المليك أمامنـا ، قائلين : إمضـوا ، لقد جف القلم ، كفاكم وفاءً .

- فهل معنى جف القلم لأن يكون الأمر هكذا ؟ أن تكـون أنـواع الطاعـة وأنـواع المعصية سواءٌ بسواء؟

- بل إن الجفاء جزاءٌ على الجفـاء ، جف القلم ، والوفـاء ثواب على الوفـاء ، جف القلم .

- ويكون العفو ، لكن أين بهاء الرجـــــاء ؟ وأن يكون العبـد أبيض الوجـه من التقـــــوى .

٣١٥٥- وإن اللص إن عُفى عـــــنه ينجو بروحه ، لكن متـى يصير وزيـــــرا أو خازنـــــا ؟

- فيا أمين الدين الرباني " أيهـا الإنســـــان " أقبـل ، فمن الأمانـة نبع كل تـاج ولـــــواء .

- وإن ابن السلطان إن ارتكب الخيانة في حقـــــه ، تفصل من جرائها رأسه عن جسده .

- وإن أبدى غلامٌ هندى الوفـــــاء ، فإن إقباله يعزف له لحن : طال البقاء .

- أى غلام وأى مملوك ؟ وإن كان على الباب كلب وفي ، يكون فـي قلـب سيده عليه مائة رضـــــاء .

٣١٦٠- فإذا كان يقبل فم الكلب من هذا " الوفاء " ، فما بالك إن كان أسدا ، أى نصر يهبه اياه ؟

- اللهم إلا ذلك اللص الذى يقوم بكثير من الطاعات ، فيبتلع صدقه أساس القسوة والجفاء .

- مثل الفضيل قاطع الطريق ، الذى قامر بطهر ، ذلك أنه أسرع بقوة عشرة رجال نحو التوبة .

- ومثل سحرة فرعون ، أولئك الذين سودوا وجهه من الصبر والوفاء .

- وضحوا بأيديهم وأرجلهم قودا لجرمهم ، ومتى يصير " لامريء" ذلك بعبادة مائة عام ؟

٣١٦٥- وأنت الذى قمت بالخدمة والطاعة لمدة خمسين سنة ، متى حصلت على مثل هذا الصدق ؟

حكاية ذلك الدرويش الذى رأى في هراة غلمان عميد خراسان المزدانين على جياد عربية وفي أقبية مطرزة بالذهب وقلانس معرقة وغيرها فسأل : من هؤلاء الأمراء والملوك؟ فقيل له : ليسوا أمراء لكنهم غلمان عميد خراسان ، فاتجه إلى السماء قائلا : يا ألله ، تعلم إكرام العبيد من العميد ، وهناك يسمون المستوفي عميدا

- كان أحدهم يمضي متسكعا في هراة ، فرأى غلاما لعظيم ؛

- يرتدى ثوبا من الأطلس ويسير متمنطقا بحزام ذهبي ، فاتجه إلى قبلة السماء ؛

- قائلا : يا ألله ، كيف لا تتعلم معاملة العبيد من هذا السيد ذى العطايا والمنن ؟

- تعلم إكرام العبيد يا ألله من ذلك الرئيس الذى اختاره مليكنـــــا !!

٣١٧٠- كان محتاجا عاريا بلا زاد ، شديد الإرتعاد في الشتاء من " برودة الجـــــو .

- فأبدى بعض الانبساط ذلك الغائب عن نفســـــه ، وأبدى جرأة " على اللـه " من فجاجتـــــه .

- كان اعتماده على آلاف من المواهب التى وهبها الله لـه ، وعلى أنـه صـار نديما للحق وأهلا للمعرفـــة.

- فإذا أبدى نديم الملك بعض التوقح عليه ، لا تبدها أنت ، يا من ليس لك سنـــــد .

- لقد وهب الله الخاصرة ، والخاصرة أفضل من الحزام ، وإذا كان أحدهم قد وهب تاجا ، فقد وهب هو جل شأنه الرأس .

٣١٧٥- حتى حدث أن اتهم الملك ذلك السيد" العميد " ، ووضع يديه وقدميـــــه في الأغلال .

- وأخذ في تعذيب أولئك الغلمان قائلا : هيـــــا ، دلوني على دفائن سيدكم سريعا .

- هيـــــا أيها الأخســـــاء ، قوموا بإفشــــاء سره لي ، وإلا قطعت حلوقكم وألسنتكم .

- وعذبهم الملك لمدة شهـــــر كامل ، كان التعذيب والعصر والألم يستمر ليل نهار .

- ومزقهم إربــــا ، لكن غلاما واحدا لم يفش سر السيد " العميد " من رعايته له وحبه له .

٣١٨٠- فقال هاتف للدرويش في النوم : تعال أيها العظيم وتعلم العبودية بدورك .

- وأنت يا من مزقت جلود أمثال يوسف ﷺ وقمت باغتيابهم ، إذا مزقك الذئب ، فاعلم أن هذا من نفسك

- فالبس إذن مما تنسجه طوال العام ، وتغذ مما تزرعه طوال العام .

- إن هذه الأحزان هي فعلك لحظة بلحظة ، وهذا هو معنى قد جف القلم

- فلن تجد لسنتنا تبديلا من الرشد ، فالخير يجازى بالخير ، والشر بالشر .

٣١٨٥- فهيا ، إعمل ، فإن سليمان ﷺ لا يزال حيا ، وما دمت شيطانا ، فإن سيفه بتار .

- ولما كان الملاك قد صار آمنا من السيف ، فإنه لا يشعر من سليمان ﷺ بأدنى خوف .

- فإن حكمه ماض على الشيطان لا على الملَك ، والكدح فوق التراب ، وليس فوق الفلك .

- فاترك هذا الجبر ، فهو فارغ تماما ، حتى تعلم ما هو سر سر الجبر .

- واترك جبر جماعة الكسالى حتى تجد خبرا عن ذلك الجبر الذى هو كالروح .

٣١٩٠- واترك كونك معشوقا ، وكن أنت عاشقا ، يا من تخيلت أنك طيب وخير وفائق .

- ويا من أنت أكثر صمتا في " معرفة " المعنى من الليل ، حتام تبحث عن مشترٍ وطالب لكلامك .

- إنهم يحركون رؤوسهم " إعجابا" أمامك من أجلك ، وذهب عمرك هدرا هوسا بهم .

- وإنك تقول لي : لا تضمر الحســـد لي ، وأى حسد يحس بـه المرء إن فاتـه الهباء والعبث .

- وإن تعليم الأخســـاء أيها الوقح ، مثل نقش المنمنمات والصور على المدر .

٣١٩٥- فعلم نفسك العشق والنظـــر ، فإنه يكون كالنقش في جرم الحجر .

- وإن نفسك معك ، تلميذ وفي لك ، وقد فنى كل ما سواها ، فأين تبحث عنه ؟ أين ؟

- وما دمت تجعل من الغير حبرا وفاضــــلا ، فـإنك تجعل مـن نفسك سـيء الطبع وخاليــا وفارغا .

- لكن إذا اتصل قلبك " ببحر" عدن ، هيا تحدث ، ولا تخش أن تصبح فارغـــا

- فالأمر يأتيــه قائلا : أيها الصــــادق ، هيا قل ، لن يقل " علمك " فهذا هو البحر .

٣٢٠٠- وأنصتوا تعنى أن هذا بلاغ لماء " علمك " ، إنتبه ، قلل الإسراف ، فالبستان جاف الشفة ظمــآن.

- وهذا الكلام لا نهايـــة له أيها الأب، فاترك هذا الكلام ، وتدبر العاقبــــة .

- وإن غيرتي لا تسمح لي بأن " أراهم " يقفون أمـامك ويسخرون منـك ، فهم ليسوا بعشـــاق .

- وعشاقك من خلف حجاب الكـرم ، أنظـر إليهم صـائحين " وجـدا " مـن أجلـك لحظة بلحظة .

- فكن عاشقـــا لعشـــاق الغيب أولاء ، وقلل من اكتساب العشاق الذين يدوم عشقهم خمسة أيام .

٣٢٠٥- فقد أكلوك مـن خداعهم وجذبهـم لـك ، ولـم تـر منهم مثقال حبـة لعدة سنوات .

- وحتام تقيم محفـــــلا على الطريق العام ، وقد أهلكت الخطـو ، ولـم تحصـل على رغبة واحدة .

- وفي وقت الصحة ، الكل رفـاق وأحبـاء ، وعنـد الحـزن والألـم ، أيـن الأليـف سوى الحق ؟

- وعند وجع العين والأسنان ، لاأحد قط يأخذ بيدك ، إلا المغيث الفرد .

- فتذكـر إذن نفس هـذا الوجــــــع والـمرض ، واعتـبر بالسـترة الجلديـة مثـل إيـــــاز .

٣٢١٠- فالسترة الجلدية هي حالة مرضك هـذه ، وهـي التـي استمسـك بهـا إيـاز بكلتا يديه .

جواب ذلك الكافر الجبرى ثانية على ذلك السني الذى كان يدعـوه إلى الإسلام ، وترك الاعتقاد بالجبر ، وامتداد المناظرة بين الطرفين ، إذ لا يقطـع مادة الجدل والجواب إلا العشق الحقيقي الذى لا يهتم بذلك وذلك فضـل الله يؤتيه من يشــاء

- وبدأ الكافر الجبرى في الجواب ، بحيث تحير ذلك الرجل المنطيق .

- لكنى إذا ذكرت كل الأسئلة والأجوبة ، فإنني أحيد عن هذا المقــــال .

- وعندنا أقوال أهم ، ذلك أن فهمك يجد بها الدليل .

- لقد ذكرنا قليلا من ذلك النقاش أيها العتل ، ومن القليل يكـون موجـودا القـانون الكل .

٣٢١٥- وهكذا يجرى النقاش حتى حشـر البشــــــر ، بيـن أهـل الجبر وأهـل القدر .

- فإن عجز كل منهم عن دفــــع خصمه ، لاختفى مذهبــــه من الوجود .

- ولو لم يكن لهم من الجـواب مخـرج ، لفـروا مـن ذلـك الطـريـق ذى الخسـران والتبـاب .

- ولما كـان دوام ذلـك المسـلك مقضيـــــا ، فإنـه يعطيهـم بعـض الانتشـار عـن طريق الدلائل .

- حتى لا يصير الخصم ملزما من الإشكال ، وحتى يكون الخصم محجوبا عـن الإقبال .

٣٢٢٠- وحتى تبقى هذه الإثنتان وسبعون فرقـــة في الدنيـا علـى الـدوام وحتـى يوم الحشـــــر .

- ولما كانت هذه هي أرض الظلمة والغيب ، فإنـه يجـب أن تكـون هنـاك أرض من أجل الظل.

- فتبقى هذه الإثنتان وسـبعون فرقـة حتـى القيامـة ، ومـن ثـم لا تعـوز المبتـدع الدلائل .

- وعزة المخزن وقيمته ، إنما تتجلى عندمـــا يكون عليه أقفال كثيـــرة .

- وعزة المقصـــد أيها الممتحن ، تكون في وعـورة الطريـق ووجـود العقبـات وقطاع الطرق فيه .

٣٢٢٥- وعزة الكعبـــة وتلك البادية ، مـن قطـع الأعـراب للطريـق ، واتسـاع المهمه .

- وكـل سـلوك فـي طريـق يكـون محمـودا ، لا بـد أن يصـادف عقبـات وموانـع وقطاع طرق .

- وهذا السلوك - أى الجبر - صـار خصمـا لذلـك السـلوك - أى الإختيـار - ، حتى يصبح المقلد حائرا بين طريقين .

- فيرى صدق كل مذهب في سلوكه الطريق ، ويرى كل حزب ، فرحا بما لديـــــه .

- فإن لم يكن ثم جواب على كل مذهب يقطع الجدل ، لبقي الأمر على هذا الحال حتى يوم القيامة .

٣٢٣٠- وإن عظماءنا يعلمون هذا الجواب " المفحم " ، وإن اختفى عنا نحن وجـــــه الصواب .

- والعشق هو الذى يضع كمامة على فم الوسوســـــة ، وإلا فمتى ســـد أحد " طريق " الوسواس " الخناس "؟

- فهيـــــا ، صر عاشقا ، وابحث عن حسنـــــاء جميلـــــة ، وداوم على صيد طيور الماء من جدول إلى جدول .

- ومتى تأخذ رواءً من ذلك الذى يريق ماء وجهك ؟ ومتى تفهم من ذلك الذى يسلب فهمك ؟

- وإنك لتجد معقولات غير هذه المعقولات في العشق ذى البهاء والصولة .

٣٢٣٥- وهناك عقول للحق غير عقلك هذا ، تقوم بتدبير أسباب السمـــــاء .

- وإنك بهذا العقل تحصـــــل على الأرزاق ، وبذلك العقل الآخر تجعل طباق السماء أرضـــــا .

- وعندما تخســـــر العقل في عشق الصمد ، فإنه يعطيك عشرة أمثالــه أو سبعمائة مثــــل .

- وأولئك النسوة عندما قامرن بالعقل ، حملن على رواق عشق يوسف عليه السلام .

- فسلب عقولهن لحظـــــة واحدة ساقي العمـــــر ، فمللن من العقل باقي العمر .

٣٢٤٠- وجمال ذى الجلال أصـــــل لجمال مائة من أمثال يوسف ﷺ ، فيا أقل من امرأة ، كن فداءً لذلك الجمـــــال .

- إن العشق هو الذى يقطـــــع هذا الجدل فحسب ، إذ يكون مغيثـــــا من القيل والقال .

- فالعشق يصيب ذلك النطق بالحيرة ، فلا تكون لديه جرأة على الجدل .

- إذ يخاف إن فتح فاه ليعطي الجواب ، أن تسقط جوهرة من بين شدقيه خارجا

- فيطبق شفتيـــــه تماما عن الخير والشر ، حتى لا يسقط الجوهر من هذا الفم

٣٢٤٥- مثلمـــــا قال ذلك الصحــابي : عندمـا كـان الرسـول ﷺ يقـرأ علينـا الفصـــول ؛

- كان ذلك الرسول المجتبى يطلب منا وقت العطاء الحضور والوقار الشديد .

- وكأن على رأسك الطيـــــر ، فمن فوات ذلك العطاء ، تكون مرتعد الروح .

- فلا تستطيع أن تتحرك من مكانك ، حتى لا يطير طائرك الجميل في الهواء .

- ولا تستطيع أن تتنفس ، وتحبس السعال ، حتى لا يطير ذلك الطائر الهمـايوني الميمون .

٣٢٥٠- وإن تحدث إليك " أحدهم " بخير أو شر ، فإنك تضـــــع إصبعك على شفتيك بما يعني : أصمت .

- والحيــــرة هي ذلك الطائر الـذى يسكتك ، يغلق عليك الإنـــــاء ، ويغليك جيـــــدا .

سؤال الملك إيازا عامدا : حتام تتحدث بفرحك وحزنك إلى الحذاء والسترة وهما جمادان ؟ حتى يدفـــع إيازا إلى الكلام

- يا إيـاز ، ما هذا الحب لحذاء قديـــــم ؟ ومـا نتيجتـــــه ؟ كـأنك عاشـق لصنم .

– لقد جعلت من حذاء قديم دينـــا لـك ومذهبـــا ، كما جعل المجنون من وجه ليلى " دينه ومذهبه " .

– ولقد مزجت حب روحك بشيئين قديمين ، وعلقتهما كليهما في حجرتك .

٣٢٥٥– فحتام تتحدث مع قديمين بالكلام الجديد ، وحتام تنفث السر القديم في جماد ؟

– ومثل " الشاعر " العربي تطيل حديثك عن العشق مع الربع والأطلال يا إيـــاز .

– فربع أى وزير عظيم كآصف حذاؤك هذا ؟ وكأن سترتك الجلدية هي قميص يوسف ﷺ .

– مثل المسيحي الذى يعترف للقسيس بجرائم عام كامل من الزنـــا والغل والغش .

– حتى يتجاوز له القسيس عن تلك الذنوب ، فإنه يعتبر عفوه من عفو الإلـــه

٣٢٦٠– ولا خبر لذلك القسيس عن الظلم أو العدل ، لكن العشق والاعتقاد أمران شديدا السحر .

– إن الحب والوهم ينسجان مائة في جمال يوسف ﷺ ، وهما أشد سحرا من هاروت وماروت .

– وإنك لتخلق صورة ما على ذكراه ، وانجذابك بالصورة يدفعك إلى الحديث والكلام .

– وتتحدث إلى الصورة بأسرارك آلاف المرات ، مثلما يتحدث الحبيب إلى حبيبه .

- وفي حين أنه لا صورة هناك ولا هيكـل ، قـد انبعـث منهـا مائـة سـؤال ومائـة جواب .(١)

٣٢٦٥- مثل إمرأة مسلوبة الفؤاد ، ثكلى أمام قبر ولدها الذى مات حديثـــا .

- إنها تتحدث إليه بالأسرار بجد واهتمام ، وذلك الجماد يبدو لها حيـــا .

- إنها تعتبر ذلك التراب حيا وحاضـــرا ، وترى للغثـــاء عينـــا وأذنـــا

- وعندها أن كل ذرة من تراب ذلك القبر ، لديها وعي ولديها أذن ، عند الوجـد الذى يبدر منها .

- إنها تعتـبر ذلـك القبر مستمعا ، وذلـك بشـكل جـاد ، فـانظر إلـى هـذا العشـق الساحر .

٣٢٧٠- وهي تتجه جادة إلى تراب قبره الحديث لحظة بلحظة ، وتضع وجهها الدامع عليه .

- بالرغم من أنها لم تتجه قط بهذا الشكل إلى إبنها الحبيب كأنـه الـروح ، عندمـا كان حيـــا .

- وعندما تمر عدة أيام على الحداد والسواد ، تسكن نيران وجدها وعشقهـــا .

- فإن العشق للميت لا يبقـى ثابتـــا ، فاعشـق الحـي الـذى يطيـل فـي العمـر ويزيد في الروح .

- فإنها من بعد ذلك من نفس ذلك القبر يأتيها النوم ، ويتولد لها جماد من جماد .

٣٢٧٥- ذلـك أن العشـق اختطـف تعويذتـه ومضـى إلـى حـال سـبيله ، وعندمـا انطفأت النار المتأججة ، بقي التراب .

- وذلك الذى يراه الشاب في المرآة ، إنما يراه الشيخ في قطعة من المدر .

---

(١) حرفيا : ماؤ أنست وبلى .

- والشيخ هو عشقك ، لا صاحب اللحية البيضــــاء ، فهو الآخذ بأيدى مئات الآلاف من القانطين .

- والعشق يخلق الصور في الفراق ، وعند اللقاء يبدو ما لم يدر في خلد ومـا لـم يُتصور ؛

- قائلا : إنني أصل أصل الصحو والسكر ، والذى كان على الصور هو إنعكاس حسننا .

٣٢٨٠- ولقد رفعت الحجب في هذه اللحظــة ، ونشرت الحسن بلا واسطـــــة

- ذلك أنك من كثرة ما اندمجت مع صورتي ، وجدت القوة على تجريد ذاتي .

- وعندما سيرت جذبتي من هذه الناحية ، لا يرى أن هناك جذبا بيننـــا .

- فيطلب المغفرة من الجرم والخطأ ، من وراء هذا الحجاب ، من لطـف اللـــه .

- وعندما ينفجر نبع من صخرة ، فإن الصخرة تتوارى في هذا النبـــع .

٣٢٨٥- ولا يسميها أحدٌ من بعد ذلك حجـــرا ، ذلك أنه قد فـاض منها ذلك الجوهر .

- فاعلم أن هذه الصور مجرد أوعيـــة ، وتأخذ قيمتها مما يصبـــه الحق فيها .

قول أهل المجنون له : إن حسن ليلى محدود وليس فائقا وأجمل منها كثيرات في مدينتنا ، فلنعرض عليك واحدة واثنتين وعشرة منهن ، وخلصنا وخلص نفسك وجواب المجنون عليهـــن

- قال البلهاء للمجنون جهلا ، إن حسن ليلى ليس طاغيـــا ، إنه أمر سهل يسيـــر .

– فأجمل منها مئات الآلاف من الفاتنات ، كأنهن الأقمار في مدينتنا .[1]

– قال : إن الصورة كالوعاء والحسن خمر ، والله تعالى يسقيني الخمر من صورتها هي .

٣٢٩٠– وربما أعطاكم الله الخل من وعائها ، حتى لايكون عشقها جارا لكم من الآذان .

– فمن وعاء واحد ، يعطي الله تعالى السم والعسل لكل إنسان .

– وإنك لترى الوعاء ، لكن الشراب ، لا يبدى وجهه لعين من ليس على الصواب .

– وقاصرات الطرف يكن لذة للروح ، لا يبدين أمارتهن إلا لمن خاصم نفسه " التي بين جنبيه " .

– وهذه المدام بمثابة قاصرات الطرف ، وحجب الأوعية بالنسبة لهن كالخيام .

٣٢٩٥– فالبحر خيمة ، فيها الحياة للبط ، لكنه ممات للغربان .

– والسم يكون للحية قوت وزاد ، ولغيرها يكون سمها آلاما وموتا .

– وصورة كل نعمة ، وصورة كل محنة ، هي لهذا جحيم ، ولذاك جنة .

– إذن فكل الأشياء والأجسام التي تبصرونها ، فيها قوت أو سم لا تبصرونهما .

– وكل جسد كأنه الوعاء أو كأنه الإناء ، فيه قوت وفيه أيضا تعب وحرقة للقلب .

٣٣٠٠– فالوعاء ظاهر والرغد مختف فيه ، ويعلم طاعمه ما الذى يأكله منه .

---

[1] ج/١٢-٨٤٤٤ :–هناك الآلاف أكثر رقة منها وكأنهن الحور ، فاختر من بينهن– رفيقة جميلة .– وخلص نفسك وخلصنا نحن أيضا من هذا البوس القبيح المريب .

- وكانت صورة يوسف ﷺ مثل كأس طيبة ، منها يشرب أبوه الخمر الطروب .

- وكان لإخوته منها السم الزعاف ، الذى كان يزيد من غضبهم وحقدهم الدفين .

- ثم كان لزليخا منها الشهد والسكر ، فكانت تجذب منها أفيونا آخر للعشق .

- وغير ما كان ليعقوب من يوسف عليهما السلام ، كان منه الغذاء من نوع آخر لتلك الحسناء .

٣٣٠٥- إن الشراب متنوع والوعاء واحد ، حتى لا يبقى هناك شك في خمر الغيب .

- والخمر من الغيب ، والوعاء من هذه الدنيا ، والوعاء ظاهر والخمر شديدة الإستتار فيه .

- إنها شديدة الخفاء عن أبصار من لم يؤذن لهم ، لكنها ظاهرة للعيان لمن أذن لهم .

- " يا إلهي سكرت أبصارنا * فاعف عنا أثقلت أوزارنا

- يا خفيا قد ملأت الخافقين * قد علوت فوق نور المشرقين .

٣٣١٠- أنت سر كاشف أسرارنا * أنت فجر مفجرٌ أنهارنا

- ياخفي الذات محسوس العطا * أنت كالماء ونحن كالرحى

- أنت كالريح ونحن كالغبار * تختفي الريح وغبراها جهار ." (١)

---

(١) ما بين القوسين بالعربية في المتن الفارسي .

- فأنت ربيـــــع ونحن كالبساتين النضــــــرة ، وذلك أن الربيــــــع مستتر وعطايـــــاه ظاهرة .

- وأنت كالروح ، ونحن بمثابة اليــــد والقدم ، فالقبض والبسط يتأتيان لليد من تأثير الروح .

٣٣١٥- وأنت كالعقل ، ونحن بمثابة هذا اللســـــان ، وهذا اللســـــان له من العقل البيـــــان .

- وأنـــــت كالســـــرو ونحـــــن الضاحكـــــــون ، فنحـــــن نتيجـــــــــة للســـــــرورمتهللـــــون .

- وإن حركتنا في كل لحظـــــة ناطقة بالشهادة ، هي شهادة على " وجود " ذى الجلال السرمدى .

- ودوران حجر الطاحون اضطرابا ، هو شهادة ناطقـــــة بوجود الماء .

- فيا من أنت خارج أوهامنا وقالنا وقيلنـــــا ، ليكن التراب على مفرقي ، وعلى الأمثلة التي أقدمها .

٣٣٢٠- فإن العبد لا يصبر عن صورتك الطيبـــــــة ، وكل لحظة يقول : لتكن روحي وطاءً لك .

- مثل ذلك الراعي الذى كان يناجيك قائـــــلا : يا ألله ، تعال إلى راعيك ومحبك .

- حتى أخلي من القمل قميصـــــك ، وأخصف نعلك ، وأقبـــــل طرف ثوبك .

- لم يكن له قرين في الهوى والعشق ، لكنه كان عييـــــا عن التسبيح والمقـــــال .

- لقد نصب عشقـــــه خيمة على الفلك ، وصار الروح كلبا أمام خيمة ذلك الراعي .

٣٣٢٥- وعندما جاش بحر عشق الإلــــــه ، أثر في قلبـــــه ، بينما أثـر علـى أذنيك .

حكاية جحا الذى تنقب وجلس بين النساء أثناء الوعظ، ثم قام بتصرف ما عرفت منه إمرأة أنه رجـــل وصرخت

- كان هناك أحد الوعاظ ، وكان مفوهـــــا جدا في بيانـــــه ، يجتمع الرجـــال والنساء أسفل منبره .

- وذهب جحـــــا وتحجب وتنقب ، وتسلل خفيـــــة وجلس بين النســــــاء .

- وسأل أحد الحاضرين الواعظ هامسا " على استحياء " : هل يكون شعر العانـة منقصا " لأركان " الصلاة ؟

- وأجاب الواعظ : عندمـــــا يطول شعر العانـة ، تكون منـــه كراهـة عنـد الصـــــلاة .

٣٣٣٠- فأزله بالنورة أو بالموسي ، حتى تتم أركـان صلاتك ، وتكـون كاملـة طيبة .

- قال السائـــــل : إلى أى حد ترى يكون طولهـــــا ، بحيث يكون فيه " خطر " نقص أركان الصلاة ؟

- قال : عندما يكـون بقدر حبـة شعير فـي الطـول ، تكـون الإزالـة واجبـة أيهـا السئول .

- فقال جحا " لجارته " : أنظـــــرى أيتها الأخت ، هل صار شعر عانتي بنفـس ذلك الطول ؟

- ومن أجل رضـــــا الله مدى يديك وتحسسـي ، أترينـه قد وصـــــل إلـى حد الكراهـــــة ؟

٣٣٣٥- فمدت المرأة يدهـــا في سروال الرجـــل ، فاصطدمت يدها بذكر الرجل .

- فصرخت على الفور صرخـــة عاليـــة ، فقال الواعظ : لقد بلغ قولي منها سويداء القلب .(١)

- قالت : لا ، لم يطرق القلب ، بل طرق اليد ، والويل كل الويل ، إن كان قد طرق القلب ، يا عظيم العقل .

- لقد طرق قلوب أولئك السحـــرة قليـــلا ، فصـــارت أيديهم والعصـــا شيئـــا واحدا .

- فإنك إن أخذت العصـــا مـن شيخ أيها المليك ، لتألم أكثر مما تألم أولئك السحرة عند فقدانهم الأيدى والأقدام .

٣٣٤٠- ولقد وصلت صيحاتهم بـ ﴿ لا ضيـر ﴾ إلى الفلك ، قائلين : هيا خذها ، فقد خلصت الروح من آلام النزع

- ولقد علمنا أننـــا لسنا هذا الجســـد ، وأننا مـن وراء الجسد ، نحيا بالله " الواحد الأحد " .

- وما أسعده ذلك الذى عرف نفســـه ، وبنى قصـــرا في الأمن السرمدى .

- والطفل يبكي من أجل الجـــوز والزبيب ، بينما يكون هذا أمرا هينا بالنسبة للعاقل .

- فالجوز والزبيب هما بمثابة الجســـد بالنسبة للقلب ، ومتى يصل الطفل في المعرفة إلى مرتبة الرجال .

٣٣٤٥- وكل من هو محجوب ، هو طفل في حد ذاته ، والرجل هو من يكون بعيدا عن الشك .

---

(١) ج/١٢-٤٥٣:- هيـــا تعلموا الصدق من هذه المـــرأة ، فعندما أثر قولي في قلبها صرخت هكذا .

– ولو كـان الرجل رجـلا بلحيته وخصيتيـــــه ، فإن لكل تيس لحية وشعرا كثـــــا .

– وذلك التيس يكون قائدا خائبــــا من عجلته ، فيأخذ رفاقـــه حتى " حـانوت القصـــاب .

– لقد مشط لحيته قائلا " بفخر" : إنني سابق " متفوق " ، أجل إنـه سـابق ، لكـن إلى الألم والحزن .

– فهيـــــا اختر السلوك ، ودعـك مـن اللحيـــة ، واتـرك قولـك " أنـا ونحـن" وهذه الجلبـــة .(١)

٣٣٥٠– حتى تصبح مثل عبير الـورود مـع العاشقين ، قـائدا ومرشـــــدا إلـى رياض " الجنـــان " .

– وما هو عبير الورود ، إنها أنفاس العقـل والنهـى ، فهـو مرشــــد طيـب إلـى طريق ملك الأبـــد .

أمر الملك لإياز مرة أخرى أن : إشرح سر الحذاء والسترة بوضـــوح حتى يجد أترابك الموعظة من تلك الإشـــارة ، فالدين النصيحـــة

– بين ســـر الحذاء يا إيـــاز ، وما هذه الضراعة الشديدة أمـــام حذاء ؟

– حتى يشرب " سنقر " و " بركيارق ، سر سر سترتك ونعلك .

– ويـــا إياز ، لقد وجدت العبودية منك النـــور ، وأسرع نورك منطلقـــا من الحضيض إلى أوج الأفلاك

٣٣٥٥– فصـــــارت العبوديـة حســـرة للأحـرار ، عندمـا وهبـت أنـت العبوديـــة الحياة .

---

(١) ج/١٢–٤٥٤: – لقد جعلت من لحيتك مزرعـــة للضحك ، فكفاك دلالا أنك أنبت لحيـــة .

– والمؤمن هو ذلك الذى في جزر" الحياة " ومدها ، يكون الكافـــــــر في حســـرة من إيمانه .

حكاية الكافـــر الذى قيل له في زمن إبي يزيد : أدخل في الإســـلام وجوابه

– كان هناك مجوسي في زمن أبى يزيد ، فقال له أحد المسلمين ، وكان بشوشـــا ميالا إلى المزاح :

– ماذا يكون لو دخلت في الإســــلام ، حتى تظفر بالرئاســــــة وترتقي كثيـــــرا ؟

– فقال : إذا كان الإيمـــــان أيها المريـــــد ، هو ذلـك الذى عند شيخ العالم أبي اليزيـــــد ؛

٣٣٦٠– فلا طاقة لي عليه ، ولا قدرة لي على احتماله ، فهو فوق ما تقوم به مساعي الروح .

– وبالرغم من أنني غير مؤمن أو موقن بدين الإســــلام ، لكنني معتقد جدا في إيمانـــــه .

– وعندى إيمـــــان هو أعلى من كل هذا ، هو إيمان لطيف ذو ضيـــــاء وذو بهـــــاء .

– إنني مؤمن بإيمانـــــه في سرى وباطنـــــي ، بالرغم من أن هناك قفلا محكما على فمي .

– وإذا كان الإيمـــــان في حد ذاته هو ذلك الذى لديكم ، فليس عندى ميل إليه أو اشتهــــاء .

٣٣٦٥– وذلك الذى يكون لديه إلى الإيمان " بالإسلام " ، عندما يرى إيمانكم ، يفتر ميلـــــه .

– ذلك أنه يرى اسمـــــا ولا معنى ، كمــــا يطلق على الصحراء اسم المفازة .

– فيتجمد عشقـــه لإبداء الإيمـــــان عندمـــا يرى إيمانكـــم .

حكايـــة ذلك المؤذن قبيح الصوت الذي أذن في دار الكفر وأهداه رجل كافر هديـــة

– كان أحد المؤذنين ذا صوت شديد القبـــح ، وقام بالأذان في دار الكفر .(١)

– فقالوا له وكرروا القول : لا تؤذن ، فقد تنشب الحرب ويطول العداء .

٣٣٧٠– لكنـه عـاند ، وبـلا أدنـى احتـــراز ، قـام بـأداء الأذان فـي دار الكفـــــر .

– وخاف الخلق من فتنة عامـــة ، لكن أحد الكفار جاء بنفســـه يحمل ثوبـــا " كهدية " .

– وأحضر كهدية الشمع والحلوى وذلك الثوب الفاخـــر ، وأقبل كأنه "الرفيق" الأليف .

– وأخذ يتســـاءل : أين ذلك المـؤذن ؟ إن نداءه وأذانه لـيزيدان في الــراحة " والسرور" .

---

(١) النص هنا عند نيكلسون ومن تبعوه شديد الغموض ، فلطالما فكرت : كيف يـؤذن المـؤذن فـي دار الكفر؟! وعند جعفرى "١٢-٤٦٠" تبدأ الحكاية بأحد عشر بيت توضح النص إلى حد كبير على النحو التالي :–

– استمع إلى هذه الحكاية ياشديد الذكاء ، دعـك مـن صورتهـا واسـتمع إلـى معناهـــا .كـان أحـد المؤذنيـن ذا صوت شديد القبح ، كان طوال الليل يمزق حلقه بهذا الصـوت .– وجعـل النـوم العميـق حرامـا علـى النـاس ، وأصيب بالصداع منه الخواص والعوام . – فالأطفال في خوف منه وهم في ثياب النوم ، والرجال والنساء فـي عذاب من صوته .– فاجتمعوا على الخلاص منه ، من أجل دفع إزعاجه وأذاه .– فاستدعوه في التو واللحظة ، وبذلوا له الأموال ، وقالوا : يا فلان :– إننا جميعا معجبون بأذانك ، لقد أكرمتنا كثيرا ليل نهار أيها العظيـم .– ولقد وصل لكل منا دولة وإقبال منك ، لكن النوم فارقنا منذ فترة .– فمن أجل راحتنا إعقد لسانك قليـلا ، وفـي المقابل فإن لدينا رحلة حج ، إصحبها .– وأخذت القافلة تسير نحو الكعبـة بشـوق ، فـأخذ الأمـوال ، وسـار مـع القافلة .–وفي الليل نزل أهل القافلة للراحة في موضـع مـا بـدار الكفـر .– وذلـك المـؤذن الـذى كـان عاشـقـــا لصوته ، أذن في ذلك الموضع بدار الكفر .

- ماذا ؟! أية راحة في هذا الصوت القبيح ؟! قال : إن صوته بلغ مسامعنا حتى الكنيســـة .

٣٣٧٥- ولي إبنة لطيفة وذات بهاء شديد ، وكانت تشتهي الدخول في الإسلام .

- ولم تكن هذه الرغبة العارمة تفارق رأسها قط ، وكم كان ينصحها كثير من الكفار .

- لقد كان حب الإيمان قد نبت في قلبها ، وكان الحزن في قلبي كالمجمر وأنا عليه كالعود .

- كنت في آلام وعذاب ونصب وتعذيب ، فقد كانت تحرك السلسلة " نحو الإيمان " لحظة بلحظـــة .

- ولم أكن أعرف حيلة لهذا الأمر ، حتى " تفضل " ذلك المؤذن بذلك الأذان .

٣٣٨٠- فقالت البنت : ما هذا الصوت الكريــه الذى صك مسمعي صكـــا شديدا ؟!

- إنني لم أسمع قط طوال عمرى مثل هذا الصوت القبيح ، سواءٌ في الدير أو في الكنيســـة .

- فقالت لها أختها : هذا هو صوت الأذان ، إنه إعلان المؤمنين بالإسلام وشعارهـــم .

- ولم تصـــدق ، فسألت أخـــرى ، فقالت لها الأخرى : أجل ، " هو هذا " ، يا " روح " أبيك .

- وعندما تأكدت من الأمر اصفر وجهها ، وفتر الحماس للإسلام في قلبهـــا .

٣٣٨٥- ونجوت أنا ثانية من القلق والعذاب ، ونمت ليلة الأمس نوما عميقـــا ، لا خوف فيه ولا قلق .

- لقد كانت راحتى هذه من صوته ، وأتيت له بهدية على سبيل الشكر ، فأين هذا الرجل ؟

- وعندما رآه ، قال له : تقبل مني هذه الهديـــــــة ، فلقد صرت لي مجيرا ومعينا .

- وما قدمته لي من إحســــان وبر ، جعلنى عبد " إحسانك " على الدوام .

- ولو كنت غنيــــا بالمال والثروة ، لملأت فاك هذا بالذهب .

٣٣٩٠-" قال المجوسي " : وإيمانكم هذا هو احتيـــــال وزيف ومجــــاز ، وهو قاطع للطريق مثل ذلك الأذان .

- لكن من إيمــــان أبي اليزيد وصدقـــــه ، أصيب قلبي وأصيبت روحي بالحسرات .

- مثل تلك المرأة التي رأت جمـــــاع الحمار ، فقالت : واحسرتاه ، ما هذا الفحل الفريد ؟

- إذا كان هذا هو الجماع فقد فازت هذه الحميـــــر ، أما هؤلاء الرجـال فيغوطون على فروجنـــا .

- ولقد أعطى بايزيد جملة الإيمــــان حقه ، وليكن الثناء الجم على مثل هذا الأسد الفريد .

٣٣٩٥- فلو أن قطرة من إيمانه قد مضت إلى البحر ، لغرق البحر في قطرته هذه .

- وكالنار ، لو أن شررا واحدا منها سقط في غابة ، لكان الفناء من هذا الشرر لتلك الغابة .

- مثل ظن واحد يطرق قلب الملك أو الجنود ، وقد جعل الخصوم بددا في القتـــال .

– ألم يبدُ نجم واحد هو نجم محمدﷺ ، ففنى منه أصـــــل اليهود والمجوس ؟[1]

– وذلك الذى وجد الإيمان ، مضـى فـي أمــــان ، أما كفر البـاقين ، فقد بقـي قائمـــاً على الظن .

٣٤٠٠– وربما لم يبق ذلك الكفر المحض الذى كان عند الأولين ، فقد حل محلـه إما الإسلام وإما الخوف .

– إن هذا الإيمـــان هو مزج للزيت بالماء إحتيالا ، وهذه الأمثال تشـبه الـذرة ، ليست نورا .

– ولا أقصـــد بالذرة تلك التي تكون هبــــاء متجســـدا ، أو ذلك الشيء الذى لا يتفتت ولا ينقسم .

– فاعلم أن لدى مرادا خفيا من ذكرى للذرة ، لكن ليس مأذونا لك بالبحر ، فأنتَ زبدٌ الآن .

– وإن الشمس النيرة لإيمـــان الشيخ ، لـو أشرقت بوجهها من مشرق روح الشيخ ؛

٣٤٠٥– فـإن كـل الوهـاد تحتـوى علـى الكنـوز حتـى " قـاع " الـثرى ، وكـل النجـــاد تظفر بالخلد الأخضــــر .

– فـإن لـه روحـاً من النـور المنيـــــر ، كمـا أن لــه جســـــدا مـن الـتراب الحقيـــــــر .

– فواعجبـــا !! أهو هذا أو ذاك ، لقد عجزت عن " حل " هذه المشكلة يا عماه

– فإذا كان هو الجســـد يا أخي ، فما تكـون تلـك التـي منهـا امتـلأت السموات السبع بالنور ؟!

---

[1] ج/ ١٢– ٤٦١:– ولقد بزغت نجمة واحدة في محمدﷺ ففنى بها كل الكفر في الشرق والغرب .

- وإذا كان هو تلك " الروح " فما هذا البدن أيها الصديق ؟ واعجباه !! من هو ؟ وأيهمـــا يكون ؟!

حكاية تلك المرأة التي قالت لزوجها : إن القطة أكلت اللحم ، فوضع الزوج القطة على الميزان فوجد وزنها نصف من ، فقال : يا إمرأة ، كان اللحم نصف من وأكثر فإذا كان هذا هو اللحم ، فأين القطة ؟! وإذا كانت هذه هي القطة ، فأين اللحم ؟

٣٤١٠- كان هناك رجل رب بيت ، وكانت له زوجة عيابـــة سليطـــة وقذرة وطويلة اليد .

- وكل ما كان الرجل يحضـــره ، كانت المرأة تبدده ، وكان الرجل مضطرا إلى الاستسلام والسكوت .

- وأحضر ذلك المعيل لحما " ذات مرة " من أجل ضيف ، وحمله إلى المنزل بعد جهد جهيـــد .

- فأكلته المرأة شواءً مع الشراب ، وجاء الرجل ، فقدمت إليه عذرا واهيـــا .

- وسأل الرجل : أين اللحم ؟ فقد وصل الضيف ، وينبغي أن يقدم الطعام الدسم للضيف .

٣٤١٥- فقالت المرأة : لقد أكلت هذه القطـــة ذلك اللحم ، فاشتر لحما آخر إن وجد ، هيـــا .

- فصاح : يا " أيبك " ، هات الميزان ، وسوف أقوم بوزن القطـــة .

- ووزنها ، وكان وزن القطة نصف " من " ، فقال ذلك الرجل : أيتها المرأة المحتالـــة :

- لقد كان اللحم يزن نصف " من " ويزيد رطلا ، والقطة نصف من يا سيدتى .

- فإذا كانت هذه هي القطـــة فأين ذلك اللحم ؟ وإذا كان هذا هو اللحم ، فأين القطة ، إبحثي عنها .

٣٤٢٠- فإذا كان هذا هو بايزيد ، فما تلك الروح ؟ وإذا كان هو تلك الروح ، فما هذه الصـــــورة ؟

- إنها حيرة في حيرة أيها الصديق ، وليس هذا شأنك ، كما أنه ليس من شأني .

- إنه كلاهما معا ، لكن من محصول الزرع ، تكون البذور أصلا ، أما هذا التبن والقش ففرع .

- وإن الحكمة قد جمعت هذه الأضداد معا ، وهذا القصـــاب يجمع معا ما حول الفخذ وما حول الرقبة.

- والروح بلا جسد لا تستطيـــــع العمـــل ، وجسدك بلا روح يكون باردا متجمدا .[1]

٣٤٢٥- وجسدك ظاهر ، أما روحك فخفية ، وبهذين كليهما صحت أسباب الدنيـــــا .

- وإنك لتقذف الرأس بالتراب فلا تشج ، وتصب الماء على تلك الرأس ، فلا تشج أيضــــا .

- وإذا كنت تريد أن تشج الرأس ، فعليك أن تخلط الماء بالتراب .

- وعندما تشج الرأس يذهب ماؤها نحو أصلـــــه ، ويأتي التراب صوب التراب يوم الفصـــل .

- والحكمة التي صارت للحق من هذا الازدواج ، قد حصلت من الحاجة ومن الفراق واللجاج .

٣٤٣٠- وتكون حينذاك ازدواجات أخــــــرى ، لا سمعت بها أذن ولا أبصرتهـــا عين .

---

(١) ج/١٢-٤٧٠:- والجسد بلا روح أقل من التراب أيها الحبيب ، والروح كاللب والجسد كالقشـــر .- والجسد بلا روح لا يتأتى منه عمل ، فجاهد حتى تحصـــل على روح أيها المحتـــال .

– وإذا كانت أذن قد سمعتهـــا ، فمتى كانت تبقى أذنا ، أو مــن أيـن كـان يتـأتى لها ثانية ضبط الكلام ؟

– وإذا كان الثلج والبَرَد قد أبصرا الشمس ، لقطعا مـن بعدهـا الأمـل فـي طبيعـة الثلـــــج .

– ولصـــــارا ماءً خاليين من العروق والعقد ، ولصنع داود الهواء والنسيم مجنا من ذلك الماء .

– ولصارا من بعدها دواءً لكل شجرة ، ولسعد جد كل شجرة من قدومهما .

٣٤٣٥– وذلك الثلج المتجمد قد بقي " منطويا" على نفســـه ، وقد قرأ على كـل شجرة ﴿ لامساس ﴾ .

– " ليـس يـألف ، لـــيس يؤلـــف جسمــــــــه * ليـس إلا شحــــ نفـس قسمــــــــه " .(١)

– إنه لا يذهب هدرا ، ومنه يستفيق الكبـــــد ، لكنـه لا يكـون رسـولا وسـلطانا للنبات .

– يـا إيـــــاز ، إن نجمـك سـامق الإرتفـــــاع ، وليـس كـل بـرج قــابلا لعبـــــوره .

– ومتى تقبل كل وفـــاء همتك ؟ ومتى تصطفي كل صفـــــاء صفوتك ؟ .

حكاية ذلك الأميــــر الذي قال للغلام : أحضر خمرا . فذهب الغلام ، وعندما كان عائدا بجرة الخمــر ، كان هناك زاهد يمر بالطرق للأمر بالمعروف ، فقذف الجرة بحجر وكسرها ، وعلم الأمير ، وتوجه لعقاب الزاهد . وهذه القصة حدثت في زمن عيسـى ﷺ ، ولم تكن الخمر قد حرمت بعد ، لكن الزاهد كان يتقزز منهـــا ويمنـــع التنعم بهـــــا

---

(١) ما بين القوسين بالعربية في المتن الفارســـــى .

٣٤٤٠- كان هناك أمير حلو الروح معاقر للخمر ، كان كهفا يلجأ إليه كل مخمور وكل مسكين .

- كان مشفقا مكرما للمساكين عادلا ، كان أصيلا واهبا للذهب ، قلبه كالبحر .

- كان ملكا للفتيان ، وأميرا للمؤمنين ، كان حافظا للطريق عالما بالسر ، ناظرا إلى الصديق .

- كان العهد عهد عيسى والأيام أيام المسيح ﷺ ، كان الخلق طيبي القلوب قليلي الأذى ، صبوحين .

- فأتاه ضيف فجأة ذات ليلة، كان أميرا على شاكلته ، حسن المذهب .

٣٤٤٥- وكانت الخمر تلزمهما في نظم أمورهما ، فقد كانت الخمر في ذلك الوقت حلالا مسموحا بها .

- وقلت الخمر أمامهما ، فنادى : يا غلام ، امض واملأ الإبريق ، وإيت لنا بالخمر ؛

- من فلان الراهب ، فإن عنده خمرا خاصة ، ومنها يجد الخواص والعوام الخلاص .

- وإن ما تفعله جرعة من خمر ذلك الراهب ، هو ما تفعله آلاف الجرار والدنان .

- ففي تلك الخمر مادة خفية ، مثلما يكون سلطان متخفيا في عباءة .

٣٤٥٠- فقلل أنت النظر باستهانة إلى الخرقة الممزقة ، فلقد سود ظاهر الذهب .

- ولقد صار منبوذا ومردودا من أجل عين السوء ، كما سود ظاهر ذلك الياقوت بالدخان .

- ومتى تكون الكنوز والجواهر داخل الدور ؟ إن الكنوز توجد دائما في الخرابات .

- وعندما دفن كنز آدم في خرابة الجسد ، صار جسده تعويذة لعين ذلك اللعين .

- كان ينظر إلى الطين باستهانة شديدة ، وكانت الروح تقول له : إن طيني سد أمام عينيك .

٣٤٥٥- وأخذ الغلام الجرة وأسرع راضيا ، وفي لحظة وصل إلى دير الرهبان .

- ودفع الذهب ، وأخذ خمرا كأنها الذهب ، لقد أعطى حجرا وأخذ عوضا عنه جوهرا .

-" أخذ" خمرا لو أنها صعدت إلى رؤوس الملوك ، لوضعوا تاج الذهب على مفرق الساقي .

- ولأثارت الفتن وألوان الشغب ، ولاختلط العبيد بالسادة .

- ولمضت العظام وصارت كلها أرواحا ، ولتساوى في تلك اللحظة العرش مع لوح الخشب .

٣٤٦٠- فهما وقت الصحو كالماء والزيت ، وهما وقت السكر كالروح في الجسد .(١)

---

(١) ج/١٢-٤٧٥:- مثل الهريسة ، اللحم والبُر ممتزجان معا ، لا يسبق أحدهما الآخر ، ولا فرق بينهما .

- وعندمـــــا صارا كالهريسة ، لم يعد ثم فـرق ، فـلا فرق هنـاك ، إذ ليـس ثـم غرق .

- كان ذلك الغلام لا يزال يحمل خمرا كهذى ، نحو قصر الأمير ، حسن السمعة

- فتقدم منه زاهد محزون متعصب ، متيبس اللب ، متلفع بالبلاء ؛

- قد أذاب الجسد في ميـــزان القلب ، وأخلى الدار من كل ما سوى الله .

٣٤٦٥- و" تعرض " لأذى المحن دون توقف ، والجراح فوق الجـراح ، بحيث تبلغ الآلاف .

- خبرها قلبه كل لحظـــــة من الجهاد " في الطريق" ، فقد كان عاكفا ليل نهـار على هذا الجهــــاد .

- ولقد تمرغ في الدم والتراب لسنـــوات ، وفر منه الصبر والحلـم فجـأة ، فـي منتصف الليل .(١)

- فقال الزاهد : ما هذا الذى في الجرار ؟ قال الغلام : خمر ، قال : لمن ؟

- قال : إنها لفلان الأمير الأجـــل ، قال : أمثل هذا العمل يكون للطالب ؟

٣٤٧٠- أيكون طالبا لله ثم قصـف ولهـــو ؟ وخمر الشيطـــان تكـون لمـن عنده نصف وعـــى ؟

- إن وعيــك بلا خمر ذابل هكذا ، وهناك ألباب ينبغي أن تكـون مرتبطـة بلبـك هذا .

- فماذا يكون وعيك عند السكـــر ؟ يـا من صـرت مثـل طـائر سـقط فـي فـخ السكر .

---

(١) ج/١٢-٤٧٥:- فرأى في الليل غلاما حسن الخطــى ، يطوى الأرض طيـــا من سرعته .

حكايـــة ضيـاء دلق الذى كان مفرطا في الطول وأخيه شيخ الإسلام تاج بلخ الذى كان شديد القصر ، وكان شيخ الإسلام هذا يشعر بالعار من أخيه ضياء . ودخل ذات مرة إلى درســـه ، وكل صدور بلخ حاضرون ، فحياه ضياء ومر ، وهم له شيخ الإسلام بالقيام بلا اهتمام؛ فقال له : نعم ، أنت طويل جدا ، اختلس قطعة من طولك

– كـــان ضيــــاء دلق هذا حاضر البديهـــة ، وكان أخا لشيخ الإسلام تـاج بلخ. (١)

– أما تاج ، فكـان شيخ الإسلام في الحاضـــرة بلـخ ، كـان قصير القامـــة ضئيلا وكأنه فـــرخ .

٣٤٧٥– وبالرغم من أنه كان فاضلا فحلا حاويـــا للفضائل ، فقد كان ضيـــاء يبزه في الظرف .

– كان قصيـــرا ، بينما كان ضياء مفرطا في الطول ، وكان شيخ الإسلام يتسم بكبر وفخر شديدين .

– وكان يشعـــر بالعار من هذا الأخ ، في حين أن ضيـــاء كان واعظا أيضـــا ذا هدى .

– وفي يوم المحفل دخل ضيـــاء ، وكـانت الحضـرة مليئـة بالقضـــاة والأصفيـــاء .

– ومن كبريائــــه الشديد ، قـام شيخ الإسـلام نصـف قومــــة لهذا الأخ الرشيــــد .

٣٤٨٠– فقال له : حقـــا ، إنك مفرط الطـول ، فمن أجل الأجر والثواب ، اختلس جزءا من قوامك السروى .

---

(١) ج/١٢–٤٨٠:–ومن أجل العلم، كان خلق يفدون إليه على الدوام يلازمون درســــه .

- ومن ثم ، فأى لب وأى عقل لك بحيث تشرب الخمر يا عدوا للمعرفة .

- وإن كان وجهك مليحا ، فضع عليه قدرا من النيلة ، فالنيلة على وجه الحبشي تكون أضحوكة .

- ومتى حل فيك نور" أيها الغوى ، حتى تصبح باحثا عن الغيبوبة والظلام ؟

- والقاعدة هي البحث عن الظل في النهار ، فهل تصير باحثا عن الظل في الليل الملبد بالسحب ؟

٣٤٨٥- فإذا كانت قد أحلت قوتا للعوام ، فإنها قد حرمت على طالبي الحبيب .

- وخمر العشاق هي دماء قلوبهم ، وعيونهم تكون على المنزل والطريق .

- وفي مثل هذا الطريق لهذه الصحراء المهولة ، هذا العقل المرشد ذو مائة غياب وكسوف .

- وإنك لتحثو التراب في وجوه المرشدين ، وتجعل القافلة هالكة ضالة .

- وحقا إن خبز الشعير يكون حراما وتزيدا ، فضع أمام النفس خبز النخالة .

٣٤٩٠- وأذل عدو طريق الله ، ولا تضع اللص على المنبر ، بل ضعه على المشنقة .

- وأولى باللص أن تقطع يده ، وإن عجزت عن القطع ، فقيد تلك اليد .

- فإن لم تقيد يده ، قيد هو يدك ، وإن لم تكسر قدمه ، كسر هو قدمك .

- فهل تعطي العدو الخمر وقصب السكر ؟ لماذا؟ ، فلتضحك ضحكة مسمومة ، ولتقل له : كل التراب .

- لقد قذف الزاهد من غيرته الجـــرة بالحجارة ، فتحطمت ، فألقى بها الغلام ، وفر من الزاهد .

٣٤٩٥- وذهب إلى الأميـــــر ، فسأله : أين الخمر ؟ فقص لــه ما حدث بالتفصيـــــل .

ذهاب الأمير غاضبـــا لمعاقبـــة الزاهد

- صار الأميـــــر كالنار ، ونهض واقفا ، وقال : أخبرني أين دار ذلك الزاهــــد .

- حتى أدق رأسه بهذه الهراوة الثقيــــلة ، تلك الرأس الخالية من المعرفة ، ابن الخاطئـــة ؟

- أى علم له بالأمر بالمعروف ؟ أمن طبيعته الكلبية ؟! إنه طالب للصيت والشهـــرة .

- حتى يجعل لنفسه مكانة بهذا النصب والاحتيال ، حتى يظهر نفســه ، ويشهرهـــا بشيء ما .

٣٥٠٠- وهو لا يملك فضـــــلا سوى هذا ، وهو أن يتعرض متنطعا لهذا وذاك

- فإن كان مجنونا مشعـــلا للفتنـــة ، فإن دواء المجنـــون هو قضيب الثور " السوط " .

- حتى يخرج الشيطـــان من رأســـه ، وكيف يسير الحمار دون وخز من الحمارين ؟

- وانطلق الأمير خارجا والهراوة في يده ، وجاء في منتصف الليل إلى الزاهد وهو نصف ثمل .

- وكاد من " شدة " غضبـــه أن يقتل الزاهد ، فاختفى الزاهد تحت غطاء من الصوف .

٣٥٠٥- كان الزاهد يسمع ذلك من الأميـــــر ، بينما هو مختف تحت صوف بعض الغزالين .

- وقال لنفســـــه : المرآة التي قســـا وجهها فحسب هي التي تستطيـــع أن تبرز قبح المرء في وجهه .

- وينبغي وجهٌ في صلابـــة وجه المرآة ، ليقول لك : انظـــــر إلى وجهك القبيح .

حكاية غلبة المهرج لسيد شاه ترمذ في الشطرنج

- كان سيد شاه ترمذ يلعب الشطرنج مع المهرج ، فهزمه المهرج سريعا ، وغضب سيد شاه غضبا شديدا .

- فما إن قال : مات الملك ، مات الملك ، حتى أخذ ذلك الشاه المتكبر يضربه بقطع الشطرنج قطعة قطعـــة فوق رأســــه .

٣٥١٠- قائلا : هاكه فخذه، ملكك أيها الديوث ، فصبر ذلك المهرج وقال : الأمان أيها الملك .

- وأمر الأمير بأن يلعبـــا دورا آخــــر ، فكان " المهرج" مرتعدا وكأنه العريان في الزمهرير .

- وخسر الأمير الدور ، ومات ملكه ، وجاء دور قول " مات الملك " وأوانـــه

- فقفز ذلك المهرج وذهب إلى ركن ، ووضع سريعا ستة من اللباد فوق جسده

- وتحت الوسائد واللباد الستة ، اختفى نائمـــا ، لكي ينجو من ضرب الأميــــر .

٣٥١٥- فقال الأمير : ماذا فعلت ؟ وما هذا ؟ فقال : الملك ..الملك .. الملك مات ، أيها الملك المختار .

- فمتى يمكن قول الحق إلا تحت اللحاف ، معك " بالذات " أيها الغاضب نـــارى الطبــــع .

- فيا من هزمت أنت ، ومت أنا من ضربات الملك ، ها أنا أقول لك : مات الملك .. مات الملك ، وأنا تحت ثيابك .

- لقد امتلأ الحــــي بصيحات الأمير " الآخر " ورفسه الأبواب بالأقدام ، والشد والجذب .

- ونهض الخلق خارجين من دورهم من على اليسار واليمين ، قائلين : أيها المقدم ، هذا هو أوان العفو والرضا .

٣٥٢٠- إن ذهنــــه متيبس ، وعقله في هذه اللحظة أقل من عقول الأطفال وأفهامهم .

- والزهد والشيخوخة صارا ضعفا فوق ضعـف ، وهو على زهده ذاك ، ليس على سماحة وبســـط .

- ولقد تجرع الآلام ، ولم ير نفعا من رفيق ، وقام بأعمال كثيرة ، ولم ير نتيجة أو أجرا من عمله .

- فإما أن عمله هذا لم يكن من أجل " العمل " ذاته ، أو أن حين الجزاء لم يحن بعد .

- أو أن سعيه هذا كان مثل سعي اليهـــود ، أو أن الجزاء مرهون بوقتـــــه .

٣٥٢٥- ويكفي الرجل ألما ومصيبــــة أنه بلا أهل في هذا الوادى المليء بالدم

- لقد قبع في ركن من داره شديد وجع العينين ، وقد عبس بوجهه ، وأرخى شدقيـــــه .

- فلا كحـــــال يعتني به " ويعالجه " ، ولا عقل له ليسعى في أثـــر علاج وكحــــل .

– وهو يجتهد على الوهم والظن ، وأمره قائم على احتمال التحسن .

– ومن هنا فطريقه حتى رؤية الحبيب بعيد ، ولا مجال للبحث عن الرئاسة في رأسه .(١)

٣٥٣٠– فهو حينا مع الله في عتاب ، قائلا : إن نصيبي كان العناء من هذا الحساب .

– وحينا مع حظه في جدال ، " قائلا" : الجميع محلقون ، وأنا مقطوع الجناح .

– وكل من هو سجين للون والرائحة ، حتى ولو كان الزهد ، يكون ضائقا تماما .

– وما لم يخرج من هذا الجو الضيق الكئيب ، لن يصير طيب الخصال واسع الصدر .

– وعندما يكون الزاهد منفردا بنفسه ، ينبغي ألا يُعطى نصلا أو موسيا من قبل أن يحدث البسط .

٣٥٣٥– فإنه ضجرا يمزق بطنه ، حزنا على ما أصيب به من خيبة وأحزان .

هم المصطفى ﷺ بإلقاء نفسه من جبل حراء خوفا من تأخر نزول جبريل ﷺ ، وإظهار جبريل ﷺ نفسه له قائلا : لا تلق بنفسك ، فأمامك ألوان من الإقبال

– عندما امتد الهجر وفراق " جبريل " للمصطفى ﷺ ، كاد أن يلقي بنفسه من فوق الجبل .

– حتى قال له جبريل ﷺ : حذار ، لا تفعل ، فإن لك دولة عظيمة من أمر " كن " .

---

(١) الشطرة الثانية عند جعفري " ١٢–٤٩٠" : لم يبق له مخ من عشقه للقشور .

- فكان المصطفى ﷺ ينصرف عن إلقــــاء نفســـــه ، ثم كان الفراق يهاجمه مرة ثانيـــة .

- فكان يهم بإلقاء نفسه مرة أخرى منقلبا من الجبل ، وذلك من شدة الحزن والهم

٣٥٤٠- فكان جبريل ﷺ يظهر له مرة أخرى قائلا لــه : لا تفعل ، أيها الملك الذى لابديل له .

- وهكذا ظل الأمر حتى كشف الحجاب ، وحتى وجد جوهـــــره ، من داخله هو .

- وإذا هم الناس يقتل أنفسهم عند كل محنــــــة ، فماذا هم فاعلون في النفس التي هي أصل كل المحن ؟

- وإنني لفي عجب وحيرة من تضحيــــة الناس ، وكل منهم يضحي من أجل سيرة ما .

- وما أسعد ذلك الذى ضحى بالجسد ، من أجل ذلك الذى يستحق الفداء والتضحيــــة .

٣٥٤٥- ولما كان كل امريء مضحيـــا من أجل شيء ما ، فهو صارفٌ فيه العمر ، مستعد أن يقتل من أجله ؛

- مستعد للقتل مستقبله ذات شروق أو ذات غروب ، فلا مشتاق يبقى بعدها ، ولا موضع شوق .

- اللهم إلا هذا المقبل المضحي من أجل هذا الفن ، تكون لـه مائـــة حياة في القتل .

- فهو عاشق ومعشوق وعشقـــــه في دوام ، وهو حسن السمعة في الدارين ، ذو نصيب .

- " يــا كرامــي ، ارحمـــــوا أهـــــل الهــوى * شــأنهم ورد النـــوى بعــد النـــــــوى " (١)

٣٥٥٠- فــاعف أيهــا الأميـــــر عــن حدتـه وغلظتـــــــه، وانظر إلىآلامـــــه وشقائـــــه .

- حتى يعفو الله بدوره عن ذنوبك ، ويجازيك على ذلك بالمغفرة .

- ولقد حطمت أنت جرارا كثيـــــرة من الغفلة ، ومع ذلك فقد رجوت العفو مــن أعماق قلبك .

- فاعف حتى تجد العفو عند الجـــزاء ، فإن القدر يدقق كثيرا عند الجزاء .(٢)

جواب الأمير على المتشفعين للزاهد وجيرانه قائلا : لماذا توقم وكسر جرتنا ؟

لن أقبل شفاعةفي هذاالأمر،فلقدأقسمت على عقابـــــه

- فقال الأمير : من يكون هذا حتى يقذف جرتنا بحجـــــــرويكسرها ؟!

٣٥٥٥- والأســــد الهصور عندما يمر من الحـــي الذى أسكن فيـــــه ، يمــر بوجل شديد وبحذر .(٣)

- ولماذا ضــــــايق غلامنــــــا وآذاه ، وأخجلنـــــا أمام ضيوفنـــــا ؟

- وأراق شربـــــة هي أفضل من دمــــــه ، ثم هرب الآن منا كالنســـــاء .

- لكنه لن ينجو بروحــــــه مني ، حتى ولو صار طائرا وحلق في الأعالي .

---

(١) البيت بالعربية في المتن الفارســــــي .

(٢) ج/١٢-٤٩٣:- وكن في وعيك بالنسبة لمن يدققون في أمور القدر ، واستمع إلى قصتنا جيدا . - واستمع إلى سيرة الأمراء الآخرين ، حتى تجد من الحكاية مائــــة خبر .

(٣) ج/١٢-٤٩٦:- بل إنه ليفقد مخلبه رعبا منى ، والأفعى أمام قهرى تتحول إلى نملــــة .

– فإنني أرميه بسهـــم غضبي الذى يصمي جناحـــه ، وأقتلع جناحه وقوادمه الحقيـــرة .(١)

٣٥٦٠– ولو مضى إلى قلب صخرة صمـــاء ، فإني بجهدى أخرجه في التو من قلب الصخرة .(٢)

– ولسوف أوجه ضربة منى إلى جســده ، بحيث يكون عبرة لكل القوادين .(٣)

– ومع كل هذا الاحتيـــال .. ومعنا أيضا !! فلسوف أعطيه حقه ومائة من أمثاله الآن .(٤)

– ولقد صار غضبـــه السفاك في قمته ، وكانت النيران لا تفتأ تخرج من فمـــه .

قيام المتشفعين للزاهد وجيرانه بتقبيل يد الأمير وقدمـــه والتضرع إليـــه مرة أخـــرى

– ومن أنفاســه المعربدة ، أخذ أولئك الشفعاء يقبلـــون يديه وقدميـــه كثيـــرا .

٣٥٦٥– قائلين : يا أيها الأمير ، إن الانتقام لا يليق بك ، وإذا كانت الخمر قد أريقت ، فأنت طيب بلا خمر .

– وإن الخمر لتستمـد مادتها من لطفك ، ولطف الماء يتحسر من أجل لطفك أنت .

---

(١) ج/١٢–٤٩٦:– ولو صار سمكة في مـــاء ، رعبا مني يتقلب ظهرا لبطن .

(٢) ج/١٢–٤٩٦:– لن ينجو بروحه من سيفي ، ولو قام بمائة حيلة وتدبير وفن .

(٣) ج/ ١٢–٤٩٦:–وإن عمله هو الاحتيال والشعوذة والغش ، وهدفه نيل الشهـــرة .

(٤) ج/١٢–٤٦٩:– سوف أدق رأســه تماما بهذه الهراوة الثقيلـــة ، بحيث يغادر جسده كنز الروح .

- فزاول الملوكيــــة ، واعف أيهــــا الرحيـــم ، أيها الكريم ابـن الكريم ابـن الكريم .

- فكل شراب عبد لهذا القد ولهذا الخد ، وكل السكارى حســـاد لك .

- ولست محتاجا إلى الخمر الوردية علـى الإطـــلاق ، فـاترك تلـك الورديـة ، أيها المورد .

٣٥٧٠- يا من وجهك الذى كالزُهرة شمس الضحــــى ، ويا مـن يتسـول منـك اللون الوردى ، كل ما هو وردى اللـــون .

- والخمر التي تغلى في الدن خفيــــة ، إنما تغلى شوقـــا إلى وجهك .

- ويا من أنت بأجمعك بحر ، بماذا يجديك الطـــل ؟ ويـا مـن أنـت بـأجمعك وجـــود ، أى عدم تبحث عنه وتطلبــــه ؟

- ويا أيها القمر المنيـــر ، مـاذا تريـد أن تفعـل بالغبـار ؟ يـا مـن يكـون القمـر أمامك مصفر الوجـــه .

- إنك طيب وجميـــل ومعدن لكل جمــــال ، فلماذا تمتن لهذه الخمـــر ؟

٣٥٧٥- وإن تاج ﴿ كرمنا ﴾ موجود على مفرق رأسك ، وطوق ﴿ أعطينـــاك ﴾ قلادة فوق صدرك .

- إن الإنســـان جوهر ، والفلك عرض بالنسبة له ، وكلها فروع وأسباب وهـو الغرض .

- ويا من غلمانك العقل والتدابير واللب ، لماذا تبيع نفسك هكذا رخيصـــا ؟

- إن خدمتك واحترامك أمران مفروضان علـى الجميـع ، فكيـف يطلـب جوهـر" النجدة من عرض ؟

- وإنك لتبحث - وا أسفاه - عن العلم مـن الكتـب ، وتبحـث - وا أسـفاه - عـن اللذة من الحلـــوى .

٣٥٨٠- وبحــــــر من العلم قد اختفى في قطرة طل ، وفي جسد مساحته ثلاثة أذرع ، أضمر عالم " بأســــره " .

- فماذا تكون الخمر ؟ أو السماع ؟ أو الجماع ؟ حتى تبحث عن طريقها عن السرور والارتفــــاع ؟!

- لقد صارت شمسٌ طالبة قرضــــا من ذرة ، وكوكب الزُهــــرة طالبا للكأس من جرة .

-والروح التي لا كيفية لها صارت حبيسة للكيفيـــة ، والشمس حبيسة لعقدة !! يالها من خســـارة !!

جواب الأمير عليهم مرة ثانيـــــة

- قال : لا ، لا ، فأنا خدن لتلك الخمـــــر ، ولست قانعا بلذة تلك السعادة " التي تتحدثون عنها " .

٣٥٨٥- إنني أريدهــــا بحيث أصيـــــر كالياسمين ، أتمايـــــل حينا ذات اليسار وحينا ذات اليمن.

- متخلصــــا من كل خوف ومن كل ألـــــم ، أتمايل في كل صوب ، وكأنني أشجار الصفصاف .

- مثل غصن الصفصاف ، أتمايل ذات اليمين وذات اليســـار ، فله من الرياح ، ألوان من الرقص .

- وإن كل من اعتاد على سرور الخمـــــر ، متى يقبل هذا السرور " الذى تذكرون " ؟ هه :.. أيها السيد.

- وكون أن الأنبيــــاء قد استثنــوا من هذه اللذة ، فذلك لأنهم امتزجوا بلذة الحق .

٣٥٩٠- ذلك أن أرواحهم كـانت قد رأت تلك اللذات ، فأصبحت هذه اللذات عندهم لهوا ولعبا .(١)

- وعندمـا صار المرء رفيقـا لمحبوب حي ، كيف يقوم بمعانقـــــة ميت ؟!(٢)

تفسير هذه الآيـــة ﴿وإن الدار الآخــرة لهي الحيوان لو كانـوا يعلمون﴾ فالأبواب والجدران في ذلك العالم وساحته ومائه والقدور فيه والثمار والأشجار كلهـــا حية متحدثة مستمعة ، ومن هنا قال عليه السلام [الدنيا جيفة وطلابهـــا كلاب] وإن لم تكن للآخرة حياة ، لكانت جيفة بدورها ، والجيفة تسمى جيفة لأنها ميتـــة ، لا من أجل رائحتها النتنة وقذارتهـــا

- لمـا كـانت ذرات ذلك العـالم ذرة ذرة مـن الأحيـاء العالمــة بالنكـات الدقيقـة والمتحدثـــة ؛

- فلا راحة لها في عالم الموتى ، فإن هذا العشب ليس لائقا إلا بالأنعـــام .

- وكل من تكون له الرياض محفلا ووطنـــا ، متى يشرب الخمر في مستودع القمامـــة ؟

٣٥٩٥- وموضع الروح الطاهرة هو عليين ، ويكون دودة ذلك الذى يجعل البعر موطنا لـــه .

- والكأس الطهور من أجل السكران بالله ، والماء المالح من أجل هذه الطيـور العميـــاء .

---

(١) ج/١٢-٥٠٣:- وكل من أسفر له النور الحقيقي عن وجهه ، متى يصير قانعـا بالظلمة والدخان ؟- وكل من أكل فى جوعه طعام الله ، متى يحمل هم الخبز والحساء ؟ وكل من نـام فـي الريـاض ، متـى يميـل إلـى مستودع القمامة كالبلهاء ؟ وكيف يتجب المصاب بالاستسقاء الماء ؟ وكيف يبتعد المخمور عن الشراب ؟ ولا يشبع عاشق قط من الحبيب ، ولا يمل المريض قط من الطبيب . ولا يكون العاشق نفورا من المعشوق ، إذ يرى به كل الكون والمكان. ولا أحد قط لم يصر عاشقا لغير الحق ، ولم يصـر أحد واقفا على ذلك السر إلا الحق .

(٢) ج/ ١٢-٥٠٣ :- وربمـــا يعانق أحدٌ ميتا ، إن لم يكن له علم بدنيـــا الروح .

- وكل من لم يبدُ له عدل عمر ﷺ ، يكون الحجاج السفاح عادلا في رأيـــه .
- وإنهم ليعطون البنات الصغيرات دميـــة جامدة ، إذ ليس لديهن علم باللعب الحية .
- وعندما لا يكون للأطفال من الفتوة يد قويـــة ، يكون السيف الخشبي أفضـــل بالنسبة لهم.
٣٦٠٠- والكفار قد صاروا قانعين بصور الأنبيـــاء ، التي صوروها على جدران الأديـــرة .
- ولما كانت لنا نوبة الضيـــاء من هؤلاء العظمـــاء ، فليس لدينا أدنى اهتمام بنقوش الظلال .
- لقد بقيت صورة أحدهم في الدنيـــا ، لكن الآخر صورته كالقمر في كبد السمـــاء .
- وهذا فمه متحدث بالنقاط الدقيقة مع الجليس ، وذاك متحدث مع الحق ، وهو له جليس .
- وأذن جسده مسجلة لهذا الكلام ، وأذن روحه تجذب الأسرار من قائل " كن "
٣٦٠٥- وعين الجسد ناظرة إلى حليـــة البشـــر ، وعين السر حائرة في ﴿ ما زاغ البصـــر﴾ .
- وقدم الظاهر مصطفة في صف المسجد ، وقدم المعنى في طواف فوق الفلك .
- وهكذا فعدد أعضائه عضوا عضوا على هذا النسق ، هذه داخل الوقت ، وتلك خارج الحين .
- وما هو في وقت يكون حتى الأجل ، لكن أعضاء المعنى رفيقة للأبد ، قرينة للأزل .
- وإن " أحدهم " ليسمى ولي الدولتين ، ويوصف الآخر بأنه إمام القبلتين .

٣٦١٠- فلا تلزمه خلوة ، ولا تلزمه أربعينية ، فلا غيم قط يستطيع أن يحجبه .

- فإن قرص الشمس هو منزل خلوته ، فكيف يحجبه الليل الغريب ؟

- ولقد انتفت عنه العلة والخشية ، ولم يبق بُحران ، صار كفره إيماناً ، ولم يبق ثم كفران .

- صار متقدما كالألف من استقامته ، وهو لا يملك شيئا من أوصاف نفسه

- وصار منفصلا عن كسوة طباعه ، وصارت الروح عارية إلا من ذلك الذي يطيل العمر .

٣٦١٥- وعندما مضى عاريا إلى ذلك المليك الفرد ، كساه المليك ثوبا من الأوصاف القدسية .

- ولبس خلعة من أوصاف المليك ، وحلق من حضيض البئر ، إلى إيوان الجاه

- هكذا مثلما صفا ماءٌ كدر ، فصعد من قاع الطست إلى أعلى الطست .

- فبالرغم من أنه ملوث بالكدر من قاع الطست ، ومن شؤم امتزاجه بأجزاء البدن ؛

- والرفيق السوء قد عقد جناحه وقوادمه ، إلا أنه كان في الأصل مبرزا .

٣٦٢٠- وعندما وجهوا إليه العتاب بـ " اهبطوا" ، علقوه منكسا كهاروت .

- لقد كان هاروت من ملائكة السماء ، وعقابا صار معلقا هكذا .

- ولقد نكس ، لأنه ابتعد عن الرأس ، وجعل نفسه رأسا ، وساق " مركبه " منبتا .

- وتلك السلة عندما رأت نفسها مليئة بالماء ، استغنت وانفصلت عن البحر .

- فلم تبق على كبدها قطرة واحدة من الماء ، فأشفق عليها البحر ، واستدعاها إليه .

٣٦٢٥- إنها رحمة بلا علة ، " ولا تسبقها " طاعة ، تأتي من البحر في ساعة مباركـــــة .

- قائلة : ناشدتك الله ، طوفي حول شاطيء البحر ، بالرغم من أن أهل السواحل يكونون صفر الوجوه .

- حتى يأتي لطف العطـــــاء ، ويحمر الوجه الأصفر من الجوهر " الإلهي " .

- إن اصفرار الوجه هو أفضل الألوان بالنسبة له ، ذلك أنه يكون في انتظـــــار هذا اللقاء .

- لكن اللون الأحمر على ذلك الوجه الذى يكون لامعا ، كان هكذا لأن روحه قانعـــــة .

٣٦٣٠- فإن هذا الطمع يصيب بالنحول والاصفرار والذلة ، ولا يكون هذا بسبب الأبدان العليلة .

- وعندما يرى أحد وجهـــــا أصفر بلا سقـــــم ، فإن جالينوس نفسه يصاب منه بالحيرة .

- وما دمت قد طمـــعت في أنوار " هـــــو " ، فإن المصطفى ﷺ يقول في أمثالك [ذلت نفسه] .

- والنور بلا ظل لطيف وعال ، وذلك " الظل " المشبك هو ظل الغربـــــال .

- والعشـــاق يريدون الجســـــــد عاريـــــا ، وعند المصابين بالعنة ، ســـواء الثوب والبدن .

٣٦٣٥- وذلك الخبز ، وتلك المائدة يكونان للصائمين ، وسواء عند الذبابة الحســـــاء والقدر .

استدعاء الملك لإيــاز مرة أخرى قائلا له : فسر لنا عملك، وحل مشكلة المنكرين والطاعنين ، فليس تركهم في هذا اللبس من المروءة

– إن هذا الكلام يفوق الحد والحصـــر ، فيا إياز ، تحدث الآن عن أحوالك .

– فإن أحوالـك هذه نابعة من منبع جديد ، ومتى تصير أنت راضيا بهذه الأقوال ؟

– هيــا ، وقص علينا " طرفا" من تلك الأحوال الطيبة ، وليكن التراب على أحوال العالم المحسوس(¹) ودرســه .

– وإذا كان حال الباطن لا يتأتى في مقـــال ، فإنني أشرح لك حال الظاهر أزواجا وأفرادا .

٣٦٤٠– فمن لطف الحبيب تصير مرارتنا على الروح أحلى من سكر النبات .

– ولو أن ذرة واحدة من ذلك السكر تمضي إلى البحـر ، لتحولت ملوحة البحر كلها إلى حلاوة .

– وعشرات الآلاف من الأحوال قد وردت هكذا ، ثم عادت إلى الغيب أيها الأمين .

– وحال كل يوم ليس شبيها بحال الأمس ، مثل جدول في جريانه ، إن لم يكن ثم سدود .

– وسرور كل يوم من نوع جديد ، ولفكـــرة كل يوم تأثيـــر آخـــر .

تمثيــل جسد الإنسان بدار ضيافة وأفكاره المختلفة بمختلف الضيوف ، والعرف في رضـاه بتلك الأفكار المحزنة والمفرحة مثل المكرم للضيف المتلطف مع الغريب كالخليل ﷺ ، فإن باب الخليل كان مفتوحـا دائما لإكرام الضيف ، سواء كان كافرا أو مؤمنا أمينا أو خائنا ، وكان يبش في وجه كل ضيف

(¹) حرفيـــا : عالم الحواس الخمسة والجهات الستـــة .

٣٦٤٥- إن هذا الجسد أيها الفتى كأنه دار ضيافـــــة ، يأتيه مسرعا كـل صبـاح ضيف جديد .(١)

- هيــــا ولا تقل لقد بقى كَلا علىّ (٢) ، فإنه لن يلبث حتى ينطلق طيرانا نحـو العدم .

- فكل ما يأتى من عالم الغيب ، هو ضيف في قلبك فأكرمه .

حكاية ذلك الضيف الذى قالت عنه ربة الدار : لقد انهمر المطـــر وبقى الضيف في رقابنــــا

- نزل ضيف على أحدهم فجأة ، فجعله كالطوق في العنق " إكراما " .

- ومد السماط وأبدى له أنواع الإكرام ، وفي تلك الليلة كـان هنـاك حفلٌ فـي حيــــه .

٣٦٥٠- وأســـر الرجل إلى زوجته قائلا : أعدى فراشين الليلة أيتها السيدة .

- ومدى فراشنـــــا إلـى جوار البـاب ، أمـا فـراش الضيـف فمديـه فـي الناحيـة الأخرى .

- فقالت المرأة : بكل احترام وبكل سرور ، سمعا وطاعة يا نور عينـــــي .

- ومدت المرأة الفراشين ومضت إلى حالها ، نحو حفل الختان ، وبقيت هناك .

- وبقي الضيف العزيز مـع زوجهــــا ، وقـد وضعـا بينهمـا النُقـل مـن أخضـر ومجفف .

٣٦٥٥- وتســـامرا بما شـــــاء لهما السمر مـن خـير ومـن شـر حتـى منتصـف الليل .

---

(١) ج/ ١٢-٦١٥:- لا ، لقد أخطأت ، إنه يأتي لحظة بلحظـــة ، ذلك الضيف الجديد ، والفكرة السارة والفكرة المحزنة . - فكن مضيفا متهلل الوجه كالخليل ﷺ ، ولا تغلق الباب ، وقف منتظـــرا في الطريق .

(٢) حرفيــــا : بقي في رقابنــــا .

– ثم إن الضيف غلبه النوم وتعب من السمـــــر ، فمضى إلى الفراش الذى عند الباب .

– ولم يقل له الزوج شيئــــا حياءً ، لم يقل لـه : إن موضـع نومـك فـي الجهـة الأخرى أيها العزيز .

– أو : لقد مددت لنومك فراشــــا يا ذا الكرم في الناحية الأخــــرى .

– وبُدل ذلك الترتيب الذى كان قد رتبه مع زوجته ، وراح الضيف في النوم على الفراش الآخر .

٣٦٦٠– وفي تلك الليلة انهمر المطـــــر مدرارا ، بحيث تعجبت السحب نفسها من شدته .

– وجاءت المرأة ظانة أن الزوج قد نام إلى جوار الباب ، وأن الضيف قد نام في الناحيـــة الأخرى .

– وذهبت كالعروس عريانة تحت اللحاف ، ومنحت الضيف عددا من القبلات برغبتها .

– وقالت : كنت أخشى أيها الرجل العظيـــم ، وما خشيته قد حدث ، ما خشيته قد حدث !!

– كنت أخشى أن يحبس الطين والمطر ذلك الرجل الضيف ، ويبقى لاصقا بك كأنه الصابون السلطاني .

٣٦٦٥– فمتى " يمكنه " أن يذهب في هذا المطر والوحل ، وسوف يبقى غرما على رأسك وروحك .

– فقفز الضيف على وجه السرعة وقال : دعيني أيتها المرأة فلدى حذاءٌ برقبة ، ولا يهمنى الطين .

- إنني ذاهب إلى حال سبيلي ، ولكم الخير ، ولا أراح الله الروح من السفر لحظة واحدة .

- حتى تمضي بأقصى ما تستطيع من سرعة نحو معدنها ، فإن هذا التوقف في السفر ، يكون قاطعا للطريق .

- فندمت المرأة على قولها السخيف ، عندما نفر ذلك الضيف الفرد ، ومضى إلى حال سبيله .

٣٦٧٠- وأخذت المرأة تردد : الخلاصة أيها الأمير ، لقد كنت أمزح ، فلا تدقق .. من طيبتك .

- لكن سجود المرأة وضراعتها لم تجد فتيلا ، ومضى و قد تركهما في حسرة .

- ولبس الرجل وزوجته من بعدها ملابس الحداد ، عندما رأيا وجهه كالشمع ، بلا حوض " يوضع فيه "

- لقد أخذ يمضي ، والصحراء من نور شمعه ، تحولت إلى جنة ، وانفصلت عن ظلمة الليل .

- وحول " الرجل " منزله إلى دار ضيافة ، من حزنه لما حدث وخجله منه .

٣٦٧٥- وفي داخل كليهما ، وفي كل لحظة ، ومن طريق خفي ، كان خيال الضيف يحدثهما قائلا :

- لقد كنت رفيقا لكما وكأنني الخضر ﷺ ، وكنت سأنثر عليكما مائة كنز من الجود ، لكن لم يكن من نصيبيكما .

تمثيل الفكر التي تحل كل يوم بالقلب بالضيف الجديد الذى يحل بالمنزل في أول النهار ، ويبدى لرب الدار التحكم وسوء الخصـال وفضيلة إكرام الضيف وتحمـل دلالـه

– في كل لحظة تحل فكرة كأنها الضيف العزيز بصدرك ، وفي كل يوم أيضـا .

– فاعتبر الفكرة أيهـا العزيز بمثابة الشخص ، ذلك أن المرء له من فكره القدر والروح .

– والفكرة الحزينة وإن قطعت أسباب السرور ، فإنها تقوم بإعداد الأسباب من أجل الأفراح .

٣٦٨٠– إنها تقوم بكنس المنزل على وجه السرعة من الغير ، حتى يحل سرور جديد من أصل الخير .

– وتقوم بنفض الأوراق الصفراء من غصن القلب ، حتى ينمو الورق الأخضـر على الدوام .

– وتقوم باقتلاع جذور السرور القديم ، حتى تتبختر لذة جديدة قادمة مما وراء "المحسوس " .

– وإن الحزن ليقتلع الجذر المعوج المهترىء ، حتى يطل بوجهه ذلك الجذر المختفي .

– وكل ما يريقه الحزن من القلب أو يسلبـه ، فإنه يعوضـه بما هو خير منه

٣٦٨٥– وبخاصة لمن يكون متيقنا من هذا الأمر ، أن الحزن يكون عبدا لأهل اليقين .

– فلو لم يعبس السحاب والبرق بوجهيهمـا ، لاحترق الكرم من ضحكات "ابنة " الشـرق .

- والسعد والنحس كلاهما ضيف على قلبك ، كأنهما الكواكب ينتقلان مـن منزل إلى منزل .

- وذلك الزمان الذى يكون فيه مقيما في برجك ، كن مثل طالعه ، حلوا نشطا .

- حتى يقوم بشكرك أمام سلطـــــان القلب ، وحتى يصير متصـــــلا بالقمر .

٣٦٩٠- ولسبع سنوات ، كان أيوب ﷺ سعيدا في البلاء بصبر ورضــــا ، لأنه كان ضيفـــا من الحق .

- وذلك حتى يـؤدى ذلـك البـلاء الشـديد شـكره أمـام اللـه ، عندمـا يحـول وجهـه عنـــــه .

- قائلا : إنه لم يحول وجهه بعبوس عنى أنا قاتل الأحبة لحظة واحدة .

- ومن وفائه وحيائـــــه وعلمه بالله ، كان مع البلاء ، كأنه اللبن مع العسل .

- فتأتي فكرة إلى الصدر أولا بأول ، تكون أنت ضاحكا مستبشرا أمامهـــــا .

٣٦٩٥- وتقول " أعذني خالقي من شرهــــا ، لا تحرمنى أنل من برهـــا .

- رب أوزعني لشكر ما أرى ، لا تعقب حسرة لي إن مضـــــــــــى "(١)

- فحافظ على ذلك الضمير العبوس ، واعتبر ذلك العبوس حلوا كالسكـــــر .

- وإذا كان السحاب عابس الوجه في الظاهر ، فإنـه هـو الـذى ينبـت الريـاض ، ويقتل البوار .

- فاعلم أن الفكرة العابســــة على مثـال هـذا السـحاب ، ولا تعبـس علـى هـذا النحو في من يعبس أمامك .

٣٧٠٠- فلعـــل ذلـك الجوهـر يكـون فـي يـده ، فجـاهد حتـى يمضـي عنـك راضيـــــا .

- وحتى إن لم يكن جوهرا ولم يكن غنيـــا ، فإنك تزيد من عاداتك الطيبـــة

---

(١) ما بين القوسين بالعربية في المتن ومن شره بدلا من من شرها وبره بدلا من برهـــا .

- وتنفع عادتك هذه في موضـــــع آخر ، وتُقضى حاجتك فجـــأة ذات يوم .
- والفكرة التي تمنعك من الســــــرور ، إنما تكون بأمر الصانع وحكمته .
- فلا تستهن بها ، ولا تعتبر أنه لا قيمة لها أيها الفتى ، فلعلها نجمة سعد وصاحبة قران .

٣٧٠٥- ولا تقل إنها فرع واعتبرها أصـــــلا ، حتى تكون دائمـــا مسلطا على المقصــــود .
- وإنك إذا اعتبرتها فرعا ، واعتبرتها أمرا مضــــرا ، تكون عيناك منتظرتين أصلهـــا .
- والانتظار ذو مذاق كمذاق الســــم ، ودائمـــا ما تكون معايشـــا الموت من هذا السلوك .
- فاعتبرها أصــــلا ، وقم بمعانقتها ، فالانتظار يفتح الطريق للموت دائمـــا .

إكرام السلطــــان لإيـــاز

- يا إيــــاز ، يا كثير الضراعة ، يا مليئـا بالصدق ، إن صدقك أكثر " سعة " من البحر و"ثباتا " من الجبــــــل .

٣٧١٠- فلا عثــــار لديك عند الشهــــوة ، بحيث يصير عقلك الذى كالجبل ، وكأنه قشــــة .
- ولا في وقت الغضب والانتقــــام تهن أنواع صبرك ، فهي مستقرة ذات ثبات
- وهذه هي الرجولة ، وليست باللحية والذكر ، وإلا كان فحل الحمير هو سيد الرجال .
- ومن هم هؤلاء الذين أطلق عليهم الحق في القرآن رجالا ، ومتى يكون لهذا الجسم مجالٌ هنــــا .
- وأى قدر للروح الحيوانية أيها الأب ؟ ألا فلتعبر سوق القصابين آخرا .

٣٧١٥- فهناك مئات الألوف قد وضعوا رؤوسهم على بطونهم ، وقيمتهم أقل من الإلية وأقل من الذيـــل .(١)

- والبغي هى التي من حركة الذكر ، يكون عقلها فأرا وشهوتها كالأســـد .(٢)

وصية أب لابنتـــه قائلا : احتاطي لنفسك حتى لا تحملى من زوجك

- كان هناك أحد السادة ، وله ابنة ذات خد كالزهرة ووجه قمرى وصدر فضي

- ووصلت سن البلوغ فزوجهـــا ، ولم يكن الزوج كفؤا لهـــــا .

- وعندمـــــا تنضج الدابوقة تمتليء بالمـــاء ، فإن لم تشقها تتلف وتهلك .

٣٧٢٠- فزوج الفتاة لغير كفؤهـــا للضرورة وخوفا عليهـــا من الفتنة .

- وقال للبنت : حذار ، وإياك أن تحملي من زوجك هذا .

- فقد كان تزويجك لهذا الشحاذ من قبيل الضـــــرورة ، ولا وفاء عند هذا الغجرى .

- فهو يمضي فجأة إلى حال سبيله تاركا الجميــــع ، ويبقى طفله مظلمة عليك

- قالت الفتاة : سمعا وطاعة يا أبي ، إن نصحك مقبول عندى وغنم .

٣٧٢٥- وكل يومين أو ثلاثـــة ، كان ذلك الأب يقول للبنت : الحذر الحذر .

- وحملت الفتاة منه فجأة فقد كان كلاهما شابا ، وكانا زوجا وزوجــــة .

- وأخذت تخفي الأمر عن أبيهـــا ، حتى بلغ حملها خمسة شهور أو ستـــة .

- وصار ظاهرا ، فقال الأب : ما هذا ؟ ألم آمرك أن تبتعدى عنه ؟

- لقد ضاعت نصائحي كلها هباء ، ولم يجدك نفعا نصحي ووعظي .

٣٧٣٠- قالت : يا أبي كيف أتجنبـــــه ؟! والرجل والمرأة كالقطن والنـــار لاجدال .

---

(١) ج/١٢-٥٢٩:- فلا تكن عبدا للشهوة ما استطعت ، ولا تجعل روحك رهنا في أثر الشهوة . - وإلا اقتلعت الشهوة دارك ومالك ، ولوضعتك حيـــا في قبر أســـود .

(٢) ج/ ١٢- ٥٢٩ : - فلأذكر لك حكايـــة في هذا المعنى ، حتى أمحو الشهوة من قلبك .

– وأى حذر للقطن من النار ؟ وأى احتياط أو تقى من النار ؟

– قال : وهل قلت لا تقربيـــه ؟ إن كل ما قلته لا تقبلي منيـــه .

– فعند ذروة اللذة والإنزال والمتعة ، ينبغي أن تنحي نفسك عن طريقـــه .

– قالت : وكيف أعلم متى يكون إنزاله ؟ إن هذا أمر خفي جدا وبعيد الغور .

٣٧٣٥– قال : عندمـــا يختلط بياض عينه بسوادها ، افهمي أن هذا يكون وقت إنزاله .

– قالت : في ذلك الوقت الذى يختلط فيه بياض عينه بسوادها ، تكون عيناى الجريئتان هاتان قد عميتا .(١)

– وليس كل عقل حقير يكون ثابتـــا ، عند الحرص وعند الغضب وفي معمعة المعركـــة .

وصف ضعف قلب صوفي منعم ووهنه ، إذ لم يجاهد ولم يذق ألم العشق وحرقته واغتر بتقبيل العوام يده ونظرهم إليه باحترام وإشارتهم إليه بالبنـان قائلين : إنه صوفي العصر ، فمرض بالوهم ، مثل ذلك المعلم الذي قال له الأطفال إنك مريض . واعتمادا على وهمه بأنه مجاهد وأنه يعتبر بطلا في هذا المجـال ذهب مع الغزاة للغزو قائلا : لا بد من هذا الأمر ، فأنا في الجهاد الأكبر من الأفذاذ المستثنين فما قيمة الجهاد الأصغر عندي ؟! لقد رأى خيـال أسد ، فأبدى ألوان الشجاعة ، وصار ثملا بهذه الشجاعة ، واتجه إلى الغابة للقاء الأسد "الحقيقي" فقال الأسد بلسـان الحال :﴿ كلا سوف تعلمـون ، ثم كلا سوف تعلمـون ﴾

– ذهب أحد الصوفية مع الجند للغزو ، وفجأة حل أوان قعقعة السلاح و" ضجة الوغـــى .

(١) هكذا في نسخة جعفرى "١٢–٥٣١" وهي تبدو أصح من عيناى العمياوان التى وردت عند نيكلســون " 5-237"

- وبقي الصوفي مع المؤن والخيـــام والضعاف ، بينما اتجه الفرســـان إلى المصـــاف .

٣٧٤٠- وبقي الذين اثاقلوا إلى الأرض في أماكنهـم ، أما السابقون السابقون ، فقد حملوا وهاجموا .

- وقاتلوا أشد القتال وانتصروا ، وعادوا بغنائـــم نافعة .

- وجاءوا إلى الصوفي أيضـــا" ببعض الغنائـــم" هدية له قائلين : هي لـك أيها الصوفي أيضـا، فألقى بها خارج الخيمة ، ولم يأخذ شيئـــا .

- فقالوا له : لماذا الغضب ؟ فقال : لأني بقيت محروما من الغزو .

- ولم يرض الصوفي قط بهذا العطاء ، لأنه لم يسل خنجره في ميدان المعركـــة .

٣٧٤٥- فقالوا له : لقد جئنا بعدد من الأسرى ، فخذ واحدا منهم ، واقتله .

- واقطع رأسه بدورك ، لتكون أيضا غازيا ، فسعد الصوفي قليلا ، وقوى قلبه .

- وقال : إذا كان في الوضوء بالماء مائة نور ، فالتيمم واجب إن لم يوجد " هـذا الماء الطهور " .

- وأخذ الصوفي ذلك الأسيـــر المغلـــول ، و" مضى "إلى ما وراء الخيام ، وذلك لكي يقوم بالغزو .

- وتأخر الصوفي هناك مع الأسيـــر ، فقال القوم : لقد تأخر الفقير .

٣٧٥٠- إن الكافر مغلول اليدين ومقتول لا محالة ، فما السبب يا ترى في تأخره في ذبحـــه ؟

- وذهب أحدهم متفحصـــا في أثره ، فرأى الكافر فوق " صدره "

- لقد حط ذلك الأسير كالأسد فوق ذلك الفقير ، وكأنه ذكر يعتلي أنثـــى .

– وأخذ يعض حلق الصوفي وهـو مغلـول اليديـن ، وقـد امتـلأ بـالغضب والحقد عليه .

– أخذ ذلك المجوسي يعض حلقه بأسنانه ، وقد سقط الصوفي تحته فاقد الوعي .

٣٧٥٥– وقام ذلك المجوسي مغلول اليدين بجرح حلقه دون حربة ، وكأنه القط .

– وكاد الأسير أن يقتله بأسنانه ، وكانت لحيته قد خضبت بالدماء من حلـق ذلـك الصوفي .

– مثلك أنت ، من غلبة النفس مغلولة اليدين ، صرت دنيـــــــا بـلا وعـي مثـل ذلك الصوفي .

– ويا من صــــار مذهبك عاجزا أمام تــــل ، إن مــئات الآلاف من الجـــبال " لا تزال " أمامك .

– ومن تل بهذا الحجم قد مت من الخوف ، فكيف تمضــي علـى مرتفعـات كأنهـا الجبال ؟!

٣٧٦٠– وقام الغزاة بقتل الكافر بالسيف حميــــة وفـي نفس اللحظــــة ، دون إمهـــال .

– ورشوا وجــه الصوفي بمـاء الـورد ، حتـى عـاد إلـى وعيــــه مـن إغمائـه ونومه .

– وعندما عاد إلى وعيه ، رأى أولئك القوم ، فسألوه : كيف جرى ما جرى ؟

– ناشدناك الله ، ما هذا الحال أيها العزيز ، ومن أى شــيء صـرت فـاقد الوعـي هكذا ؟

– أمن أسير نصف قتيل مغلول اليدين ، سقطت هكذا ذليلا فاقد الوعى ؟

٣٧٦٥– قال : عندما اتجهت إلى رأســه بغضب ، نظر إلى نظـرة عجيبـة ذلـك الوقـــح .

– لقد فتح عينيـــــه عن آخرها في وجهي ، ودور حدقتيه ، فغـاب الوعـي عـن جسدي .

– ولقد أبدى دوران عينه لي عسكـــــرا ، لا أستطيع أن أصف ما كان عليه مـن هول .

– ولأقصر القول ، فمن تلك العين ، غبت عن وعيي على هـذا النحـو وسـقطت على الأرض .

نصح المبارزين له قائلين : بهذا القلب وبهذه الجرأة بحيث يغمى عليك من تقليب كافر لعينيه ، ويسقط الخنجر من يدك ، فالحذر الحذر ، إلزم مطبخ التكية ، ولا تمض إلى الحرب ، حتى لا تفتضـــم

– قال له القوم : لا تحم حول الوغى والقتـــال ، بمثل هذه المرارة " المسـكينة " التي لديك .(١)

٣٧٧٠–وما دمت من عين ذلك الأسير مغلول اليد ، قد تمزقت سفينتك وتحطمت؛

– فمـن ثـم ، عند هجوم الأسود الكواســــر ، التيتصير الـرؤوس بسيوفهم كالكرات ؛

– متى تستطيــــع أن تسبح في الدم ، ما دمت جاهلا بحرب الرجال ؟!

– ومن الأصوات التي تصاحب قطع الرقاب ، تكون الأصـــــوات التـى يحدثهـا القصارون عند دق الثياب ، أصواتا محتملة .(٢)

– وكثير من الأجســـاد التي لا رؤوس لهـا فـي اختـلاج ، وكثـير مـن الـرؤوس التي لا أجساد لها كأنها الحباب فوق الدم .

---

(١) ج/١٢–٥٣٨:– والزم المطبخ داخل التكية ، حتى لا تصير مفتضحا ثانية في الجيش .

(٢) ج/١٢–٥٣٨:– ومن أصوات تتابع السهام التي تسلب الروح ، يخجل سحاب الربيع " الممطر" عندما يقرن بها .

٣٧٧٥- وتحت أقدام الخيول وقوائمها في ميدان المعركة ، مئات من الأبطال القتلة قد غرقوا في الفناء .

- ومثل هذا اللب الذى فر من فأر ، كيف سيتحمل السيف في ذلك النزال .

- إنه صراع وقتال وليس وليمة صوفية [١] ، حتى تشمر الأكمام كما تشمرها للطعام .

- ليس بأكل للصوفية [٢] هنا ، وانظر إلى السيف ، فإن " حمزة " هو الذى يلزم لهذا الصف الحديدى .[٣]

- وليس القتال بعمل كل رقيق قلب ، يفر كالخيال ، عندما يرى خيالا .

٣٧٨٠- إنه عمل " صناديد " الترك ، لا عمل النساء[٤] ، ومكان النساء هو المنزل ، فعد إلى المنزل [٥]

حكاية العياضي رحمه الله ، وكان قد شهد سبعين غزوة عاري الصدر على أمل الشهادة وعندما يئس من نيلها ، اتجه من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر واختار الخلوة ،وفجأة سمع طبل الغزاة ، فأخذت النفس تمزق الأغلال من الداخل لتتجه إلى الغزو ،واتهامه لنفسه في هذه الرغبة

- قال العياضي : لقد أتيت تسعين مرة " إلى الغزو " عارى البدن ، على أن أصاب بطعنة .

---

[١] حرفيا : أكل الجرجير عند الصوفية وفي ترجمة أخرى أكل حساء البرغل .

[٢] حرفيا : أكل الجرجير ، ولعب هنا بكلمتى حمزة أى الجرجير وحمزة بن عبد المطلب ﷺ

[٣] ج/١٢-٥٣٨: ليس بالطعام الدسم ، إنه السيف والخنجر ، نبغي المغامرة فيه بالرأس ، فما قيمة الرأس ؟

[٤] في النص تَركان وهو من الأسماء الشائعة للنساء .

[٥] ج/١٢-٥٣٨:- أي غزو تستطيع القيام به ومن تلك العين ، ضعت هكذا وسقطت على الأرض .

- كنت أواجه السهـــام عارى الجســد ، حتى أصاب بسهـــم نافذ .

- ذلك أن تلقي سهم في الحلق أو في مقتل ، أمرٌ لا يجده إلا كل شهيد مقبل .

- وليس على جسدى موضع واحد بلا جرح ، وأصبح هذا الجسد من السهام ، كأنه الغربال .

٣٧٨٥- لكن السهام لم تصبنى في مقتل ، وهذا أمر من الحظ ، لاجلد ولا دهـــاء .

- ولما لم تكن الشهادة رزقا لروحـي ، فقد أهرعت إلى الخلوة للقيام بأربعينيـــة .

- وألقيت بالبدن في الجهاد الأكبر ، وفي ممارسة الرياضة " الصوفية " وإنحاله " بالعبادة " .

- فوصل قرع طبول الغزاة إلى مسمعي ، منبئا بأن الجيش المجاهد يمضي سعيدا .

- فنادتني النفس من الباطن ، بحيث سمعتها بأذن الحس في الصبـــاح ؛

٣٧٩٠- قائلة : انهض ، لقد آن أوان الغزو ، فامض ، وأشغل النفس بالغزو .

- قلت : أيتها النفس الخبيثة عديمة الوفـــاء ، أين منك الميل إلى الغزو ؟

- أصدقيني القول أيتها النفس ، فإن هذا احتيال ، وإلا فإن النفس الشهوانية بريئة من القيام بالطاعات .

- وإن لم تصدقينى القول ، حملت عليك حملة شديدة ، وأثقلت عليك في الرياضة، فوق ما أفعل .

- فصاحت النفس تلك اللحظة من باطنـــه بفصاحة ودون فم وبدأت في الملق والوسوسة .

٣٧٩٥- إنك تقتلني هنا كل يـــوم ، وتؤذى روحي ، وكأنها روح المجوس .

- وليس عند أحد علم بحالـــــي ، وأنك تقتلني بمنع الطعام والنوم عنى .

- وفـي الغـزو ، أقفـز بطعنـة واحـدة خـارج البـدن ، ويـرى الخلـق شـجاعتى وإيثــــارى .

- قلت : أيتها النفس الحقيرة ، لقد عشت في نفاق ، وها أنت تموتين أيضـا علـى النفاق .. فماذا تكونين ؟

- لقد كنت مرائية في الدارين ، وهكذا كنت في الدارين بلا جدوى ولا فائدة.

٣٨٠٠- وقد نذرت ألا أطل برأسي من الخلــــوة ، ما دام هذا البدن حيـــا .

- وذلك أن كل ما يفعله هذا الجسد في الخلـــوة ، إنما يفعله لا من أجـل وجـوه الرجال والنســـاء .

- فحركته وسكونه في الخلـــوة ، ونيته لا تكون إلا من أجل الحق .

- وهذا هو الجهاد الأكبر ، وذاك هو الجهاد الأصغــــر ، وكلاهما مـن أعمـال أمثال رستم وحيدر .

- وليس ذلك الذى يفر لبه ووعيه من جســـده ، عندما يتحرك ذيل فأر .

٣٨٠٥- وينبغي على مثــــل هذا الإنســـان ، أن يبتعد كالنســاء عن الحـرب والسنــــان .

- وهذا صوفي ، وذاك صوفـي ، ويـا للخســـارة ، لقد قتل ذاك بإبـــــرة ، وهذا هو طعمة السيف .

- إنه يكون صورة لصوفي ولا روح ، لقد ساءت سمعة الصوفيـــة من هـؤلاء الصوفيــــة .

- فعلى باب الجســـد المعجون من الطين وجداره ، رسم الحـق مـن غيرتــــه صورا لمائة صوفي .

- ومتى تتحرك تلك الصور من السحـــــــر ، ما دامــت عصـــا موسـى عليه السلام مختفيـــة .

٣٨١٠- وتلك الصور يبتلعها صدق العصـــــــا ، وعين فرعون " راغمـة " مملوءة بالتراب والحصى .

- وهناك صوفي آخر ، دخل إلى ميدان الحرب عشرين مرة ، من أجل الطعن والضـــــرب .

- كان مع المسلمين على الكفار عند الكر ، لكنه لم يعد مع المسلمين عند الفـــــر .

- لقد جرح ، لكنه ربط جرحه ، وحمل مرة أخرى " على العدو" قائـــــــلا :

- حتى لا يموت الجســـــد بطعنة واحدة موتا رخيصـــــا ، وحتى يصـــاب بعشرين طعنة في المصـــــاف .

٣٨١٥- كان يشعر بالخســـــارة أن يسلم الروح نتيجة لطعنة واحـــــــدة ، وإن الروح لتنجو بيسر من يد صدقة .

حكاية ذلك المجاهد الذي كان يلقي كل يوم بدرهم من كيسه في الخندق على مرات لمكافحة الحرص ورغبة النفس ووسوستها وهي تقول : لماذا تلقي " بالدراهم" في الخندق على مرات ، ألقها دفعة واحدة ، حتى أنتهي ، لأن اليأس إحدى الراحتين ، فقال:حتى هذه الراحة لا أهبهـــا لك

- كان مع أحدهم أربعون درهمًا ، فكان يلقي كل ليلـة بواحد في اليـم ؛

-حتى يكون ذلك صعبـــا على النفس المجازيـــــة ففي التأني يكون ألـم نـزع الروح طويــــلا .(١)

---

(١) نسخة نيكلسون – والتي أخذت عنها أغلب النسخ – مضطربة هنا تماما لأن البيت التالي لهذا البيت تكرار للبيت ٣٨١١ والأبيات التالية له مرتبطة بالموضوع السابق ولا علاقة لها

- وكـــانت النفس تصيح بـه كل ليلـة والمسكينة تعـانى مــن القلـق والحمـى قائلـــــــة :

- لماذا لا تلقي بالدراهم دفعة واحدة ؟ لقد قتلتني من الحزن وانعدام الحيلـــة .

٣٨٢٠- من أجل الحق ، أد الدين للنفس دفعة واحدة ، فاليأس إحدى الراحتين .

- لكنه لم يلتفت إلى النفس ، وأخذ هكذا يقوم بقتلها مشقة وعنـــــاء .

عودة إلى حكاية ذلك المجاهد في القتـــال

- مثل ذلك الصوفي عند القتال ، لقد ضيق كثيرا على النفس من أجل الحق .

- فعند الكر ، كان يمضي سريعا مع المسلمين ، وعند الفر لم يكن يعود معهم سريعا .

- وطعن طعنة أخرى ، وجرح ، فربطـه أيضـــــا ، ولعشـرين مرة انكســـر رمحه وسهمه .

٣٨٢٥- وبعد ذلك لم تبق لديه طاقة " على الثبـات " ، فسقط فـي المقدمـة ، فـي مقعد الصدق ، من صدق عشقه .

- فـالصدق هـو بـذل الـروح فهيـــا سـابقوا ، واقـرأ مـن القـرآن آيــة ﴿ رجـال صدقـــــوا﴾ .

- إن كل هـذا ليس يموت ، إنـه مـوت الصـــــورة ، وهـذا البـدن لـلروح مثـل الآلـــة .

=بهذا الموضوع ومن ثم اعتمدنا في ترجمة هذا الموضع على نسخة جعفرى " ١٢-٥٤٤" حتى نهاية الحكاية ، والعنوان الجديد ليس موجودا أيضـــا في نسخة نيكلسون ولا البيت الذى بعده وهما أيضا من نسخة جعفرى " ١٢-٥٤٧" وبعد ذلك يتفق النصــــان بزيادة خمسة أبيات على نسخة نيكلسون في المتن العربي .

– ورب ساذج سفك دمــــــه ، لكـن نفسـه الحيـــــة ، أهرعـت إلـى تلـك الناحيـــة .

– كسرت آلتـــه ، وبقي قاطع الطريق حيـــا ، والنفس حيـة بـالرغم مـن أن المطية قد قتلت .

٣٨٣٠– قتلت المطية ، ولم يصبح طريقـــه مطروقا ، ولـم يصبـح إلا سـاذجا قبيحا مضطربـــا .

– ولو صار شهيدا كل من سفك دمه لكان الكافر القتيل في مقام " أبي سعيد " !!

– ورب نفس شهيـــد معتمد ، ماتت في الدنيـــا وهو يمضي كالأحيـــاء .

– ماتت النفس قاطعة الطريـق ، والجسـد الذى هـو سـيفها ، بقـي فـي كـف ذلـك الغازى .

– فالسيف هو ذلك السيف ، والرجل ليس ذلك الرجل ، لكـن هـذه الصـورة مثـار دهشة بالنسبة لك .

٣٨٣٥– وعندما تبدل النفس ، يصير سيف البدن هذا ، موجودا في يد صنـع ذى المنن .

– فهذا رجل قوته كله من الألم ، وهذا رجل آخر أجوف كأنه الغبـــار .

وصف أحد الوشاة لجارية ، وإظهاره صورتها في ورقة لخليفة مصـــر ، وعشقه إياها وإنفاذ الخليفة لأمير مع جيش إلى جبال الموصل ، وقيامه بالقتل والتخريب لهذا الغرض

– قال أحد الوشـــاة لخليفة مصـــر ، إن عند أمير الموصل جارية كأنهـا مـن الحور العين .

– إن بين " أحضانه" الآن جاريـــة ، لا مثيل لحسنها في العالـــم .

– وحسنها بلا حد ، لايصفــــه بيان ، وهذه هي صورتها في هذه الورقــة .

٣٨٤٠- وعندما رأى ذلك الملـك الصـــــورة ، دار رأســـــه ، وسقط الكأس من يده .

- وعلى الفور أرسل أحد الصناديد إلى الموصل على رأس جيش لجب .

- وقال له : إن لم يسلمك هـذا القمـر المنير ، فـاخلع بـاب بلاطـه وجدرانـه من الأساس ؛

- وإن أعطـاك إياهـــا ، فدعـه لحـال سبيلـــــه ، وهـات الحسنـــاء ، حتـى أعانق القمر وأنا على الأرض .

- فمضـى البطـل إلـى الموصـل مـع الجيش ، مـع الآلاف مـن أمثـال رسـتم ، والطبل والعلم .

٣٨٤٥- وكأنهم الجراد المنتشر حول حقل بـلا عـد ولا حصـر ، ومضـى لإبادة أهل تلك المدينة .

- وفي كل ناحية من المدينة ، نصب منجنيقـــا كأنه جبل قاف وأخذ في قصفها ؛

- " واستعرت " ضربات السهام والرمي بالمنجنيق والسيوف في الغبـار لامعـة كالبرق " الخاطف " .

- وقام بهذه المذبحة المهولة لأسبوع كامل ، وصار برج المدينة الحجـرى واهنـا كأنه الشمع اللين .

- ورأى ملك الموصل القتـــال المرير ، فأنفذ إليه رسولا من داخل المدينة .

٣٨٥٠- قائلا له : ماذا تريد من دماء المؤمنيـن الذيـن يقتلون فـي هـذه الحـرب الضروس ؟

- فـإذا كـان مرادك هـو ملـك الموصـــــــل ، ليكـن لـك دون أن تقـوم بهـذه المذبحـــة .

– وسوف أخرج من المدينة الآن فادخلهـــــا ، حتى لا يحيق بك " جـرم " دمـاء المظلومين .

– وإذا كـــــان مـرادك المـال والذهـب والجواهـر ، فهـذا أمـره أيسـر مـن مُلـك المدينة .(١)

إيثار صاحب الموصل الخليفة بتلك الجارية حتى لا يستحر القتل في المسلمين

– وعندمـا جـاء الرسـول إلـى البطـــــــل ، أعطـاه الورقـة التـي تحتـوى علـى الصورة والأمارة .(٢)

٣٨٥٥– " وقال" : انظر في هذه الورقـــــة ، وهيا ، أعطنـي صاحبتها ، وإلا فأنا غالب لكم الآن (٣)

– وعندما عاد الرسول ، قال ذلك الملك الشجاع : دعك من التمسك بـالصورة ، وخذها إليه سريعا .

– فلست في عهد الإيمـــــان بعابد للصنم ، فالصنم أولى بذلك الوثني .(٤)

– وعندما أتى الرسول بها ، وقع ذلك البطل من فوره في عشق جمالها .

– والعشق بحر ، والسماء من فوقه زبــــد ، وهناك مائة زليخا في هوى يوسف

٣٨٦٠– فاعلم أن دوران الأفلاك من العشـق ، وإن لـم يكـن ثـم عشـق ، لتجمـد الكون .

– ومتى كان الجماد ينمحي في النبات ؟ ومتى كان النبات يصبح فداءً للروح ؟

– ومتى كانت الروح تصير فداءً لذلك النفَس الذى من نفخته حملت مريم ؟

---

(١) ج/١٢–٥٥٠:– وكل ما يلزمك من فضة أو ذهب ، أرسله لك ، فما هذه الفتنة والشر ؟

(٢) ج/١٢–٥٥٢:– وقال له : انظر في هذه الورقة صورة من تكون ، وأرسل صاحبتها سريعا لتنجو أرواحكم ويسلم ملككم .

(٣) ج/١٢–٥٥٢:– وعندما عاد الرسول وقص الأحوال ، سلم الورقة ، وأبدى تلك الصـــــورة .

(٤) ج/١٢–٥٥٢:– وأعطاه الجارية داعيــــا له بالبركة ، فأخذها من فوره وعاد بها إلى المعسكـــر .

- وإذن لتجمد كل واحد في مكانه كأنه الثلج ، ومتى كان يصير محلقا ومنتشرا كالجراد ؟

- إن عشـــاق ذلك الجمال يسرعون ذرة بـــذرة نحو العـــلو ، وكأنهم الغصن " الشامخ " .

٣٨٦٥- وإن ﴿ سبح لله ﴾ هى سرعتهـــــــم ، إنهم يقومون بتنقية الجســـــــد من أجل الروح .

- ولقد ظن البطل البئر كالطريق ، وأعجبته الأرض البور ، فألقى فيها بالبذور .

- وعندما رأى ذلك النائم خيالا في النوم ، اجتمع به ، وســـال منيـــه .

- وعندما ذهب النوم ، وصحا سريعـــا ، رأى أن تلك الحسناء لم تكن في اليقظـــة .

- فقال : لقد أسلت منيي على هباء ، وآسفاه ، وتجرعت إغراء تلك اللعوب ، وآسفـــاه .

٣٨٧٠- كان بطلا بالنسبة للجســـــد ، ولم تكن عنده رجولة " الطريق " ، فأراق بذور الرجولة في مثل هذا الرمل .

- ولقد مزقت مطية عشقـــــه مائة زمام ، فأخـــــذ يصيح " لا أبالى بالحمـــام ؛

- ايش ابال بالخليفة في الهوى ، استوى عندى وجودى والنـــــــوى " (١)

- فلا تزرع هذه الحرقة ، ولا تتهور آخـــرا ، واستشـــر أحد الحكمـــاء .

- وأين المشورة ؟ وأين العقل ، وسيل الحرص قد أنشب مخالبه في " أرض خراب .

---

(١) ما بين القوسين بالعربية في المتن الفارســـــي .

٣٨٧٥- فمن بين الأيدى سد ، ومن الخلف سد ، فهو قليلا ما يرى قدامه ووراءه ، ذلك المفتون بالخد .

- لقد اتجه سيلٌ أسود قاصدا الروح ، حتى يقوم الثعلب بإسقاط الأسد في البئر .

- لقد أبدى من البئر خيالا معدوما ، حتى يلقي في قاعه بأسود كالجبال .

- فلا تجعل أحدا قط أمينا على النساء ، فهما معا على مثال القطن والشرر .

- وينبغي أن تطفأ النار بماء الحق ، فيكون المرء مثل يوسف ﷺ ، معتصما في رهوقه .

٣٨٨٠- لقد سحب نفسه من زليخا لطيفة الوجه والقد ، وكأنه الأسد .(١)

- لقد عاد ذلك البطل من الموصل وأخذ يسير في الطريق ، حتى نزل في غابة ومرج .

- وكانت نار عشقه قد زادت أوارا ، بحيث لم يعد يدرى أرضا من سماء .

- فاتجه إلى تلك الحسناء في خيمتها ، فأين العقل ؟ وأين الخوف من الخليفة ؟

- وعندما تقرع الشهوة طبولها في هذا الوادى ، ماذا يكون عقلك أنت ، أيها الضعيف ابن الضعيف ؟!(٢)

٣٨٨٥- ومائة خليفة قد صاروا أقل " قدرا" من ذبابة ، أمام عينه النارية في تلك اللحظة .

- وعندما خلع سرواله ، وقعد بين ساقي المرأة ، ذلك العابد للمرأة ؛

---

(١) ج/١٢-٥٥٣:- ومتى يمكن أن تنتصر على نفسك ، إلا بمعونة عقل ذكي ذى فنون .- فهيا سق المركب نحو إتمام القصة ، فهذا الكلام لا نهاية له أيها البطل .

(٢) حرفيا : يا فجلة ابن فجلة .

– وبينما كان يمضي مستقيمـــــا نحو المستقر ، قامت ضجـة شديدة في المعسكـــــر .

– فقفز عارى المؤخـــــرة نحو صف القتال ، وسيفـــه في كفه وكأنه النار .

– فرأى أسدا هصـــــورا أسود ، قد هاجم المعسكر من تلك الغابـــة ،

٣٨٩٠– وانطلق مهاجما كل حظيرة وكل خيمـــة ، وكأنه شيطـــــان .

– وأخذ ذلك الأسد يندفع قافزا من طريق خفي في الهواء ، وكأنه موج البحـر ، ولعشرين ذراعا .

– وواجه البطل ذلك الأسد بشجاعة وبلا حذر ، وكأنه الأسد الهصور الثمل ؛

– وضربه بالسيف ضربة شقت رأســـه ، ثم أسرع نحو خيمـــة الحسنـــاء

– وعندما أظهر نفسه لتلك الحورية ، كان ذكره لا يزال منتصبــــا .

٣٨٩٥– لقد اشتبك في قتال مع ذلك الأسد ، لكن ذكره بقي منتصبـــا لم يرتخ

– فتعجبت تلك الحسنـــاء حلوة اللقـــاء قمرية الوجه ، من رجولتـــه .

– فاقترنت به برغبة وميـــل في تلك اللحظة ، واتحدت هاتان الروحان ، برهة من الزمـــان .

– ومن اتصـــــال هاتين الروحين معـا ، تنضم إليهما من الغيب روح أخـــرى .

– وتظهر عن طريق الميــــلاد ، إن لم يكن هناك قاطع طريق يمنع تعلقها واتصالها .

٣٩٠٠– وكل اثنين يجتمعان على حب أو على بغض ، فلابد أن يلحق بهما ثالث ، على سبيل اليقين .

– لكن تلك الصــــور تتولد في الغيب ، وعندما تمضي إلى تلك الناحيـــة تراها عيانا .

- " وتدرك " أن تلك النتائج قد تولدت من قراناتك ، فانتبه ، ولا تسر سريعا مـن كل قرين .

- وابق منتظـــرا ذلك الميقات ، واعلم أن إلحاق الذريات مبدأ صـــادق .

- فقد جعلوا لكل امريء من العمل والعلل ، صـــورة ونطقا وطللا .

٣٩٠٥- وتصـــل أصواتهم من ربات الحجال ، منادية إياك ، يا غـافلا عنـا ، على وجه السرعة ، إلينا تعال ،

- وأرواح الرجال والنســـاء منتظـرة فـي الغيـب ، فمـا تلكـؤك هـذا ، جـد فـي السيـــر .

- ولقد ضل الطريق من ذلك الصبـــح الكاذب ، وسقط في إناء المخيـض كأنـه الذبابـــــة .

ندم ذلك القائد على الخيانة التي ارتكبها وأخذه الأيمـــان على تلك الجاريـــة بألا تفشي الأمر للخليفة

- ولقد ظل عدة أيـــام على ذلك النحو ، ثم صـار نادمــــا علـى ذلـك الجـرم البشع .(١)

- وأخذ عليها المواثيق ، وقال : يا من وجهك كالشمس ، لا تتحدثـي بشـيء ممـا حدث إلى الخليفة .(٢)

٣٩١٠- وعندما رآهـــا الخليفة ، صار ثملا ، وسقط طسته هو الآخر من فـوق السطح .

---

(١) ج/١٢-٥٥٩:- أخذ عليها المواثيق قائلا : أيها البدر المنير ، كوني على حذر ، ولا يعلمن الملك شيئـا .

(٢) ج/١٢-٥٥٩: ولأقصر القول ، فإن ذلك البطل قد حمل الجارية إلى مليك العالم .

- فلقد رآها أضعاف أضعاف ما وصفت لـــــه ، ومتى تكون الرؤية في حد ذاتها مثل السمـــاع ؟

- إن الوصف " مجرد " تصوير من أجل عين الوعي ، واعلم أن الصورة تكون من أجل العين لا من أجل الأذن .(١)

- لقد سأل أحدهـــم أحد الفصحاء ســؤالا : قل لي ما هو الحق وما هو الباطل يا حسن المقال .

- فأمسك بأذنه وقال له : هذا هو الباطل ، والعين هي الحق ، إذ يحصل منها اليقين .

٣٩١٥- إن الأذن باطلة بالنسبة للعين ، وهذا أمر نسبي ، وأغلب الأحكام نسبية أيها الأمين .

- فإذا كان الخفاش قد احتجب عن الشمس ، فإنه لا يكون محجوبا عن خيـــال الشمس .

- وإن مجرد خيـــال لا يزال يخوفه ، وخياله ذلك يسوقه نحو الظـــــلام .

- وذلك الخيال لا يفتأ يخوفه من النور ، ويلصقه بليــــل الظلمات .

- ومن خيال العدو وصورته " التي في ذهنـك " اعلم أنك قد التصقت بالرفيق والصديق .

٣٩٢٠- ويا موسى ، إن كشفك قد نشر اللمع فوق الجبـــــل ، وذلك المقيم على الخيال ، لا قدرة له على تحقيقك .

---

(١) ج/ ١٢-٥٦٠:- عنوان " سؤال لأحد العظماء عن الفرق بين الحق والباطـــــل " ثم بيت زائد :

- إنني سأضرب لك مثالا فاستمع إليه الآن ، وافهم الأمثال وع معناهـــا .

- فهيـــا ـ ولا تصـر مغـرورا بـأنك قـابل لخيالـه ، وأنـك واصــلٌ من هـذا الطريق .

- فمن خيال الحرب ـ لا يهلع أحد ، فلا شجاعة قبل الحرب ، اعلم هذا فحسب .

- والمخنث على خيال الحرب مقيمٌ على الفِكـــر ، إنـه يقـوم " فـي خيالـه " بمائة كر وفر كرستـــم .

- وصورة رستم تلك التي تكون فى الحمام ، تكون مقترنة بفكر كل جلف ساذج ،

٣٩٢٥- وخيال السمع هذا عندمـــا يتحول إلى بصـر ، ماذا يكون المخنث ؟ إنه يتحول إلى رستم عاجز .

- فجاهد حتى تمضـي من " مجال " أذنك إلى " مجال " عينـك ، ومـا كـان بـاطلا يصبح لك حقــا .

- ومن ذلك الوقت فصاعدا ، تصير أذنك في نفس طبع العين ، وتصبـح جوهـرا تلك الأذنان اللتان تشبهان الصوف .

- بل إن كل الجســد يصير كالمرآة ، يصير له عينا وجلاءً للصـــدر .

- فإن الأذن تثير الخيال ، وذلك الخيال ، هو الواسطة لوصال ذلك الجمـال .

٣٩٣٠- فجاهد حتى يصير هـذا الخيـــال زائـدا ، حتـى يصـير واسـطة تقـود المجنـــون .

- وذلك الخليفة المخدوع نال أيضا " السعادة" فترة مـن الزمـن ، وتحـامق سـعيدا مع تلك الجاريـــة .

- فالملك لك ، فخذ أنت ملك الغرب والشرق ، وما دام لا يبقى لك ، فاعتبره من قبيل البرق .

- والمملكة التى لا تبقى إلى الأبد ، اعتبرهـــا حلما ، يا من نام قلبك .

– فحتام تقوم أنت بهذا النفاق والكبريـــــاء ؟ حتـى يـأخذ بحلقـك ، وكأنـه الجـــلاد !!

٣٩٣٥– وحتى في هذا العالم، اعلم أن هناك مأمن، وقلل الاستماع إلى المنافق ، فلا قول لـــه .

حجة منكري الآخرة ، وبيـــان ضعف تلك الحجة ، لأن حجتهم تعود إلي قولهم : لا نري غير هـــذا

– إن الحجة التي يقدمها منكر البعث ، ويقولها في كل لحظة ، إذا كان هناك شيء غير هذا لرأيته .

– وإذا كان الطفل لا يرى العقل ، فلا يعني هذا ألا ينقل العاقل عن العقل أبدا .

– وإن لم ير العاقل أحوال العشق ، فإن قمر العشق المقبل لن ينقص .

– وأبصـــار إخوة يوسف عليه السلام لم تر حسنـــه ، وما الذى خفي منه عن قلب يعقوب عليه السلام ؟

٣٩٤٠– وعين موســى عليه السلام رأت العصــــا خشبـــة ، أما عين الغيب فقد رأتها أفعى وفتنـــة .

– وعين الرأس في قتـــال مع عين الســـر ، لكن عين السر غلبت وأبـرزت الحجة .

– وعين موســى عليه السلام رأت يده مجـــرد يـد ، لكنها كانت نورا طاهرا أمام عين الغيب .

– إن هذا الكلام لا نهاية له فـي الكمـال ، وهـو أمـام كـل محـروم يكـون كالخيـــال .

– وما دامت الحقيقة أمامه هي الفرج والحلق ، فقلل الحديث أمامه عن أسرار الحبيب .

٣٩٤٥- والفرج والحلق عندنا من قبيل الخيال ، فلا جرم أن الروح تبدي لنا كل لحظة جمالها .

- وكل من جعل الفرج والحلق طبعا له وطريقة ، أقول له : من أجل هذا نزلت ﴿ لكم دينكم ولي دين﴾ .

- ومع إنكار كهذا ، أولى بك أن تقصر الكلام ، وقلل الحديـث يـا أحمـد مـع مـن شاخ على المجوسيـــة .

مقاربة الخليفة لتلك الحسناء من أجل الجماع

- لقد جمع الخليفة رأيـــه ، وأزمع أمرا ، ومضى نحو تلك المرأة ليجامعها .

- ولقد ذكرها ، وجعل ذكره ينتصب ، واتجه لجماع تلك التي تزيد الحب .

٣٩٥٠- وعندما قعد بين ساقي تلك السيدة ، حم القضاء ، وقطع طريق متعته .

- ووصل إلى سمعه صوت خشخشة من فأر ، فارتخى ، وهدأت شهوته تماما .

- لقد كان خائفا من أن يكون هذا الصرير ، من حية تتحرك بين الحصير .

ضحك تلك الجارية من ضعف شهوة الخليفة وقوة شهوة ذلك الأمير وفهم الخليفة " شيئا" من ضحك الجاريـــة

- ورأت المرأة وهنه هذا ، ومن دهشتها قهقهت وغلبهـــا الضحك .

- وذكرت رجولة ذلك البطـــل ، الذى قتل الأسد ، وعضوه على حالــه .

٣٩٥٥- وطال استغراقها في الضحك ، وهي تجاهد " لتكتمه " ، لكـن الشفـــة لم تغلق .

- أخذت تضحك بشدة ، وكأنها من مدمني المخدرات ، غلب الضحك " عندهم " على النفع والضـــر .

- وكلمـــا فكـرت وتذكـرت زاد الضحـك ، وكـأن سدا أمـام سيـــل قد فتــح فجـــأة .

– والبكاء والضحك ، وسرور القلب وحزنـــــه ، اعلم أن لكل منهما معدنـا مستقلا .

– ولكل منهما خزانة ، اعلم أيهـــا الأخ ، أن مفتاحها في يد الفتـــاح .

٣٩٦٠– ولم يكن يبدو أنها سوف تقلع عن الضحك ، فتطير الخليفة ، واستشـاط غضبـــا .

– فأســرع بسل سيفـــه من غمده ، وقال لها : تحدثي عن سر هـذا الضحك ، هيا أيتها الدنســة .

– لقد وقر في نفسي ظن ما من هذا الضحك ، فتحدثي بالصدق ، فلـن تسـتطيعي خداعي .

– وإن تحدثت إلى مخادعة بغير الصدق ، أو سقت لي حجة واهية مكشوفة ؛

– فإنني سوف أعرف ، فهناك نور في قلبي ، فينبغي أن تقولي لي ما هـو جدير بالقول .

٣٩٦٥– واعلمي أن في قلوب الملوك قمرا ساطعا ، وإن كان بين الحين والآخر، يصير من الغفلة مخفيا بالغمام .

– وهناك مصباح في القلـب عنـد الطـواف ، وعنـد الحـرص والغضـب ، يختفـي تحت الطست .

– وأنا أحس أن هذه الفراسة توجد معي الآن ، وإن لم تقولي الحـق الـذى ينبغـي أن يقـــال ؛

– فســــوف أضرب عنقك بهذا السيف ، فلن يجدى تعللك بالأعذار .(١)

– وإن تحدثت بالصدق ، فسوف أعتقـــك ، وأسـعدك ، ولـن أنقـض عهدى أمـام الله .

---

(١) ج/١٢– ٥٢٦٩:– أقتلك في هذه اللحظة بلا أدنى شك ، ومد إليها السيف قائلا : هيا ، الآن .

٣٩٧٠- ووضع سبعة مصـــــاحف حينذاك فوق بعضـــها ، وأقسم عليها ، علـى ما قاله لها .

إفشـــاء تلك الجارية ذلك السر للخليفة خوفا من الضرب بالسيف

وإصرار الخليفة على أن تقول له السبب في هذا الضحك وإلا قتلها

- عندما أسقط في يد المرأة تحدثت بـالأحوال ، وقصـت عـن رجولـة ذلـك الـذى يشبه مائة رستم وكثيرين من أمثـــــال زال .

- وأعادت على مسامع الخليفة ما جرى في تلك الخلوة التي حدثـت فـي الطريـق بتفصيلـــــه .

- وقتل ذلك الأسد ، والمجيء نحو الخيمة ، وذلك الذكـر المنتصـب وكأنـه قـرن الكركدن .(١)

- ثـم وهـن هـذا المجـاهد فـى هتـك الأعـراض ، الـذى همـد عندمـا اسـتمع إلـــى خشخشـــــة فأر .

٣٩٧٥- إن الحق سبحانه وتعالى يقوم بهتك الأسرار ، فلا تزرع بذور السـوء ، مادامت سوف تنمو .

- فالماء والسحاب والحرارة وهذه الشمس ، تقوم باستخراج الأسـرار مـن بـاطن التراب .

- وهذا الربيع الجديد النضر من بعـد تسـاقط الأوراق ، برهـان لـك علـى وجـود القيامـــــة .

---

(١) ج/١٢-٥٧٢: - وأنه كان بهذه القوة ، ومن صيد الأسد ، لم يتغير فيه شيء وبقي على ما هو عليه .- " وقالت " : وعندما رأيت ذاك منه وهذا منك ، ضـحكت ، وهذا هو السبب يا مليك العالم .

– ففي الربيع تظهر تلك الأسرار " على المــلأ " ، وكـل مـا أكلتـه هـذه الأرض ، يفتضح " أمره " .

– وينبثق ذلك مـن فمهـا ومـن شـفتيها ، حتـى يظهـر للعيـــــان ضميرهـا ومذهبهـــــا .

٣٩٨٠– وسر جذر كل شوكة ومأكلها ، يظهــــر كله على رأسهــــا .

– وكل حزن تكـون متـأذى القلـب منـــه ، هـو مـن خمـار تلـك الخمـــــر التي شربتهــــا .

– لكن كيف تعلم من أى خمر شربتهـــــا قد بدى الآن ألم الخمــــار ؟

– إن هذا الخمار هو برعمة تلك البذرة ، وهذا يعلمــــه كل من هو أريب وذكي

– والغصن والبرعمة لا يشبهـــان البذرة ، فمتى تشبه النطفة جســـد رجل ؟

٣٩٨٥– وهمـا لا يتسـاويان معـا : الهيولـى والأثــــر ، ومتـى تكـون البـذرة شبيهـــة بالشجر ؟

– والنطفة " من نتـاج" الخبز" والطعـام " ، فمتـى شـابهت الخبـز ، والنـاس مـن النطفة ، فمتى يكونون مثلهـــا ؟

– والخبز مـن النـار فمتـى يشبــــه النـار ؟ والسـحاب مـن البخـار ، ولا يكـون كالبخار .

– ومن نفس جبريل ﷺ تمثل عيسى ﷺ بشرا سويــا ، فمتى كـان شـبيها لــــه في الصورة أو ندا لـــه؟

– والإنســان مـن التـراب ، فمتـى شـابه التـراب ، وهـل يوجـد عنـب يشبــــه الكرمة ؟

٣٩٩٠– ومتى يكون لص على شكل المشنقـــة ؟ ومتى تكون الطاعـة كالجنـة الخالدة ؟

- ولا يوجد أصـــل قط يشبه الأثر ، ومن ثم لاتعلم أصل التعب ووجع الرأس .
- لكن هذا الجزاء لا يكون بلا أصـــــل ، وكيف يعذب اللـــــه بلا ذنب ؟
- وما هو أصل لهذا الشيء ويجذبــــــه ، هو منه ، وإن لم يشبهه .
- إذن فاعلم أن ألمك هو نتيجة زلة ، وآفة هذه الطعنة فيك من هذه الشهوة .

٣٩٩٥- وإذا كنت لا تعرف ذلك الذنب من العــبرة ، فـادخل فــي التضــرع سريعـــــا ، واطلب المغفرة .

- واسجد مائة مرة ، وقل دائمـــــا : يا ألله ، إن هذا الحزن الـذى بـي ليس إلا جزاء ، حاق بي عن استحقاق.

- ويا من أنت سبحانك مبرأ من الظلم والجـور ، متـى تصيب الـروح بـلا جـرم بالألم والغم ؟

- وأنـــــا لاأعــرف لنفـــسي ذنبا معينــــا ، لكن لا بد أن لكل ذنب حزنـــــا " يصاحبه " .

- وما دمت قد سترت السبب للاعتبـــــار ، فاستر ذلك الذنب والجرم على الدوام .

٤٠٠٠- فــــإن الجـزاء يكـون إظهـارا لجرمــــــي ، ومـن العقـاب تبـدو لصوصيتي .(١)

عزم الملك عندما عرف تلك الخيانة على أن يسترها ويعفو ، ويهبه الجارية وعلمه أن تلك الفتنة كانت جزاء تعديه وظلمه لصاحب الموصل ، مصداقا لقوله تعالى ﴿ومن أساء فعليهـــا﴾ وقوله ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾ وخوفه من أن يحل به الانتقام إذا انتقم ، كما حاق به جزاء الظلم والطمـــع

- عاد الملك إلى وعيه ، واستغفر ، وذكر جرمه وزلته وإصـــــراره .

---

(١) ج/١٢-٥٧٣:- فلأعد صوب الحديث عن توبة الملك ، حتى تصير أسرار الضراعة معلومة لديك .

– وقال في نفسه ، ما فعلته بالناس ، إنما فعلته بنفسي ، وقد حاق جزاؤه بروحي .

– ولقد تعديت على أعراض الآخرين بجاهي ، وحاق ذلك بي وسقطت في " نفس البئر " .

– ولقد قرعت باب منزل شخص آخر ، فلا جرم أنه أيضا قد قرع باب داري .

٤٠٠٥– وكل من صار طالبا للفسق مع حريم الناس ، اعلم أنه " في نفس الوقت" قواد لأهله .

– ذلك أن الجزاء من جنس العمل ، فجزاء سيئة سيئة مثلها .

– وعندما هيأت أسباب الفسق ، فقد جذبت إلى نفسك مثله ، ومن ثم أنت ديوث وأكثر .

– ولقد غصبت الجارية من ملك الموصل ، فغصبت مني أيضا على وجه السرعة .

– ولقد كان "ذلك القائد " أمينا لي ومن أتباعي ، لكن خياناتي جعلت منه خائنا .

٤٠١٠– وليس هذا وقت الثأر والانتقام ، فأنا الذى ارتكبت بيدى فعلا ساذجا ليس بناضج .

– وإن قمت بالانتقام من ذلك الأمير والمرأة ، فإن عاقبته سوف تحيق بي أيضا .

– وكما أنني قد جوزيت على فعلي الأول وجربته ، فليس عليّ أن أجرب المجرب .

– ولقد حطم الألم الذى أحس به صاحب الموصل عنقي ، فلن أجرؤ على توجيـه ضربة إلى هذين .

– ولقد أنبأنا الحق علما عن الجزاء ، وقال ما معناه " إن عدتم به عدنا به "(١)

٤٠١٥– ولمـا كـان التزيد هنـا عديـم الجـدوى ، فـلا شــيء محمـود هنـا غـير الصبـــر والمرحمة .

– رب إننا ظلمنا " أنفسنا" وجرى علينا السهــــو ، فارحمنا يا عظيم الرحمات

– ولقد عفوت ، فاعف أنت عني يا اللـه ، وتجـاوز عـن الذنـب الجديد والـزلات القديمة .

– ثم قال : الآن ، أيتها الجارية ، لا تنبسي لأحـد بحـرف واحـد ممـا قد سـمعت منك .

– فسوف أزوجك من أميرك ، فناشدتك الله لا تتحدثي إلى أحد بما حدث .

٤٠٢٠– حتى لا يكون هو خجلا أمامي ، فلقد ارتكب إســـــاءة واحـدة ، وقـدم إلى مائة ألف حسنة .

– ولقد قمت بامتحانه عدة مرات ، وأمنته على من هن أجمل منك .

– فوجدته شديد الأمانة ، لكن هذا الذى قضى به الحق ، من فعلي أنـــا .

– ثم استدعى ذلك الأمير إلى حضرته ، "بعد" أن قتـل فـي نفسـه الغضـب الـذى يفكر في الانتقام .

– وتعلل له بحجة مقبولة ، وقال : لقد صرت نفورا من هذه الجاريـــــة .

٤٠٢٥– فإن " أم الولد" شديدة الغضب والاحتجاج غيرة من هذه الجاريـة وحقدا عليها .

– ولأم الولد حقوق كثيرة ، وهي لا تستحق مثل هذا الجور والجفـــاء .

---

(١) ما بين القوسين بالعربية في المتن الفارسي .

– وهي تشقى كثيـــــرا من إحساسها بالحسد والغيـــــرة ، وتحس بمرارة شديدة من هذه الجاريـــــة .

– وما دمت سوف أهب هذه الجاريـة لأحـــد ، فـأنت أولـى بها ، فخذها ، أيها العزيـــــز .

– فلقد أبديت شجاعة وفدائية من أجلهـــــا ، ولا يجمل أن توهب لســـــواك .

٤٠٣٠– وعقد للأمير عليهـــــا ، وحطـــم غضبه وحرصــــــه .

في تفسير ﴿ نحن قسمنا ﴾ أي أنه تعالى يقسم لأحدهم شهوة الحمير وقوتها ولآخر كياسة الأنبياء والملائكة وقوتهم:

إن إمالة الرأس هوًى من الرئاسة * وترك الهوى قوة نبويــــة

والبذور التي لا تلقـــــى شهـــوة * لا يكون ثمرها جديرا إلا بيوم الدين

– إن ذلك السلطـــــان وإن كان متصفا بالوهن فيما يختص بفحولة الحمير ، فقد كان متصفا برجولة الرسل .

– ذلك لأن ترك الغضب والشهوة والحرص ، يعد رجولـة ، وعرقـا مـن عـروق النبوة .

– فقل ، لا كانت فحولة الحمير هذه تجرى " في عروقه ، فإن الحق يدعوه عظيم أمرائـــــــه .

– وأن أكون ميتـــــا " أظفر " بنظـرة الحـق ، أفضـل مـن أكـون حيـا ومبعـدا ومطرودا .

٤٠٣٥– فاعلم أن هذا هو لب الرجولـة ، أمـا هـذه الشـهوة فهـي قشـرها ، وهـذه الشهوة تقود إلى الجحيم ، أما لب الرجولة فيحمل إلى الجنان .

– فقد ورد أن الجنة قد حفت بالمكاره ، واتضح أن النار قد حفت بالهوى .

-فيا إياز ، يا أسد الهصور ، يا قاتل الشيطان ، قلل من التزيد في رجولة الحمر ، وزد في رجولة اللب .

- فإن ما لم يدركه مائة من الصدور والعظام ، كان بالنسبة لك لعب أطفال ، فهاكم الرجل .

- ويا من أدركت لذة الأمر" الصادر " مني ، وأودعت الروح وفاء تلبية لأوامرى .(١)

٤٠٤٠- واستمع الآن إلى قصة تذوقه للأمر ولذته به ، في هذه البيانات المعنوية .

إعطاء الملك وهو وسط الديوان والمحفل جوهرة لأحد الوزراء وسؤاله : كم تكون قيمتها ؟ ومبالغة الوزير في تقدير قيمتها وأمر الملك له قائلا : إكسرها الآن ، وقول الوزير : كيف أكسر هذه الجوهرة إلى آخر القصة

- ذهب الشاه " محمود " ذات يوم إلى الديوان ، فوجد كل أركان الدولة موجودين فيه .

- فأخرج جوهرة ذات ضياء شديد ، ووضعها على الفور في كف الوزير .

- وسأله : كيف تراها ؟ وكم تساوى هذه الجوهرة ؟ قال : إنها تساوى ما يزيد على مائة حمل حمار من الذهب .

- فقال له : إكسرها ، قال : كيف أكسرها ؟! وأنا الراغب في الخير لمالك وخزانتك .

٤٠٤٥- وكيف أوافق على إهدار هذه الجوهرة التي لا تقدر بثمن ؟

---

(١) ج/١٢-٥٨٤:- ويا من أنت على علم بأمر تعظيمه، إستمع إلى هذه الحكاية إن كنت واليا .

– فقال : لتسعد ولتهنأ ، وخلع عليـــــه ، وأخذ منه الجوهـرة ذلـك الملـك الفتـــــى .

– وآثر ملك الجود ذلك الوزير بكل لباس وحلة كان يرتديها ، وخلعها عليه .

– وشغلهم بالحديث ساعة من الزمن ، عما استحدث من أمور ، ومـا كـان قديمـا منها .

–ثم أعطاها إلى أحد الحجاب قائلا : كم تساوى هذه الجوهرة لطالبها ؟

٤٠٥٠– قال : إنها تســــاوى نصف المملكة ، ألا فليحفظها الله من التهلكـــــة

– فقال له : إكسرها ، قال : يا من سيفك في ضياء الشمس ، قال: إن في كسرها خسارة شديدة .

– دعك من قيمتها ، أنظر إلى تلألئها ولمعانهـــــا ، لقد صـــــار ضوء النهـار تبعــــا لها .

– فكيف تتحرك اليد قاصدة كسرها ؟! ومتى أكون عدوا لخزانـــــة الملك ؟!

– فخلع عليه الملك ، وزاد في راتبـــــه ، ثم انطلق في مدح عقلـــــه .

٤٠٥٥–وبعد ساعة أخرى وضـــــع الدرة في يد أمير العدل قائلا لـه : قم بامتحانهـــــا .

– فقال نفس القول ، وكرر كل الأمراء نفس القـول ، فوهـب كل واحد منهـــــم خلعة ثمينـــــة .

– وأخذ الملك يزيد في رواتبهم ، وحمل أولئك الأخســــاء من الطريق إلـى البئـــــر .

– هكذا قال خمسون أو ستون أميـــــرا ، كلهم واحدا بعـد الآخـر ، تقليدا للوزيـــــر .

– وبالرغم من أن التقليد هو عماد العالـــــم ، إلا أن كل مقلد يفتضـــــح عند الإمتحـــــان .(١)

وصول الجوهرة من يد إلى يد إلى إياز في نهاية الدور ، وكياسة إياز وعدم تقليده إياهم ، وعدم انخداعه بإعطاء الملك للكيل والمال وزيادة الرواتب والخلع ومدحه لعقول المخطئين ، إذ لا يجوز أن يعتبر المقلد مسلمـــا ، ويكون نادرا أن يثبت المقلد على ذلك الاعتقـــاد ويخرج من هذه الامتحانات سالما ، فليس لديه ثبات المبصرين ، إلا من عصمه الله ، لأن الصواب واحد ، وله أضداد كثيرة توقع في الخطأ وعندما لا يعرف المقلد ذلك الضد ، لا يعرف الصواب لذلك ، ولكن لأن الحق يرعاه مع جهله هذا ، فإن هذا الجهل لا يؤذيـــــه

٤٠٦٠– يا إيـــــاز ، ألا تقول لي كم تساوى هذه الجوهرة وهي بهذا اللمعان والفن ؟

– قال : " ثمنها " أكثر مما أستطيـــــع أن أقول ، فقال : الآن حطمها إلى قطع صغيـــــرة .

– كانت في كمه حجارة ، فحطمها على وجه السرعـــــة . وكان ذلك هو الصواب في رأيـــــه .(٢)

– أو أنه كان قد رأى ذلك فيما يرى النائـــــم ، ووضع حجرين تحت إبطـــه .

– مثل يوسف ﷺ الذى كشفت له عاقبة أمره وهو في قاع البئر بأمر اللـــــه .

٤٠٦٥– وكل من تراسل معه الفتح والظفـــــر ، يتساوى عنده الظفر والحرمـــــان .

---

(١) ج –٥٨٦/١٢–٥٨٧:– عندما امتحنهم الملك جميعا ، وخلع عليهم جميعا خلعا بلا حد .– هكذا دارت الجوهرة من يد إلى يد ، حتى وصلت يد إياز صاحب البصيرة ووضعها الأخير في يد إياز ، قائلا له : أيها الرفيق قوى البصيرة .– لقد رأى الجميع واحدا بعد الآخر هذه الجوهرة ، فانظر إلى إشعاعها بإمعان أيهـــا المحترم .

(٢) ج/١٢–٥٨٩:– ومن اتفاق طالعه مع إقباله ، فقد حدثت في تلك اللحظة حكمتـــه النادرة .

- وكــل من صــارت عاقبته وصـل الحبيب ، أى خـوف يعتريـه مـن الهزيمـة والقتال ؟

- فما دام قد تيقن من أنـه منتصـــــــرفي آخـر دور " الشـطرنج " ، فـإن ضيـاع الحصان والفيل ، يكون من قبيل الترهات .

- فإن سلب جواده كل من هو باحث عن جـــواد ، فقل له : إمض ، أليس هـو المقدم " لا الجواد" ؟

- وأية قرابة تكون للرجل مع الجواد ؟ إن عشقه للجواد يكون من أجل أن يكـون سباقا .

٤٠٧٠- فـلا تتحمـل هـذه المشقـــــة والنصـب مـن أجـل الصـــــــور ، وخـذ المعنىدون صداع الصورة وكدرهـــا .

- والزاهد يحمل هم عاقبة أمره ، وماذا يكون من أمره يوم الحســـاب .

- أما العارفون فقد صاروا واعين مـن البدايــــــة ، فـارغين مـن الهـم وأحـوال الآخـــــرة .

- وعند العارف أيضـــــا نفس هذا الخـوف والرجـــــاء ، لكـن علمـه بماسبق قضى على خوفه ورجائه .

- وذلك الذى قد سبق أن زرع القيطانـــــــي ، يعلم ماذا يكون طعم حبوبهـــــا

٤٠٧٥-إنه عارف ، فرغ من الخوف والرجـــاء ، وصيحات وجده شقها سيف الحق إلى نصفين .

- كان عنده خوف من الحق ورجـــــاء فيه ، وفنى الخـوف ، وبقـى الرجـاء فـى الله عنده عيانـــــا .(١)

---

(١) ج/١٢-٥٨٩:- لقد طوى الخوف ، وصار بأجمعه رجاء ، صار نورا تابعا للشمس .- كان إياز عالما بامتحان الملك ، ولم يتجرع إياز خديعة الملك . - ولم تجعله الخلع والرواتب يحيد عن الطريق ،فحطم الجوهرة بأمر الملك وجعلها بددا

- وعندما كسر الجوهرة الخاصة في تلك اللحظـــــة ، ارتفعت من أولئـك الأمراء ضجة شديدة وصراخ .

- وقالوا : أية جرأة هذه ؟! إنه كافر والله ، ذلك الذى يحطم جوهرة بهذا الضيـــــاء .

- وتلك الجماعة كلها من الجهل والعمــــى ، حطمت جوهـــــرة أمر الملك .

٤٠٨٠- فكيف خفيت الجوهرة القيمـــة " أى أمر الملـك " وهـي نتيجـة الحـب والـــــود على أمثال تلك الخواطر ؟

تشنيــــع الأمراء على إيــــاز " وسؤالهم" إياه عن سبب كسرها ، وجواب إيــــاز عليهـــــم

- قال إيــــاز : أيها العظمـــــاء المـــشاهير ، هل أمـر الملك أعلى قيمـــــة أو هذه الجوهرة ؟

- وبحق الله ، قولوا لي : هل أمر السلطـــــان أولى عندكـــــم أو هـذه الجوهـــرة القيمة ؟

- ويا من أنظاركم مثبتة على الجوهرة لا على أمر الملك ، إن قبلتكم غول " الصحراء" لا جادة الطريق .

- وأنا لا أحول نظـــرى عن الملك ، ولا اتجـــــه إلى حجر كالمشرك .

٤٠٨٥- وهي بلا أصـــــل تلك الروح التى تختار حجرا ملونـــــا وتمارى الملك .

- فأدر ظهرك إلى اللعبة وردية اللـــــون ، واجعل العقل حائرا في خالق الألـــــوان .

- وادخــــل إلى الجدول ، وحطم الجـــــرة ، وأضرم النار في الروائح والألـــــوان .

– وإن لم تكن في طريق الدين من قاطعي الطريق ، لا تعبد الألوان والروائح كالنســـــاء .(١)

– ولقد طأطأ أولئك الأمراء رؤوسهم ، وأخذوا يعتذرون عن ذلك السهو والنسيـــــان " من أعماق" أرواحهم.

٤٠٩٠– وأخذت الآهات الحرى ترتفع من صدر كل منهم في تلك اللحظة إلى عنان السمــــــاء .

– وأشار الملك إلى جلاده العتيق قائلا : أبعد هؤلاء الأخساء عن صدارة مجلسي

– فأية لياقـــــة عند هؤلاء الأخساء بصدر مجلسي ، أولئك الذين يكســـــرون أوامرى من أجل حجـــر ؟!

– ومن أجل حجر ملون صارت أوامرنا ذليلة غير ذات قيمة عند أمثـــــال هؤلاء من أهل الفساد .

هم الملك بقتل الأمراء وتشفع إيـــاز أمام عرش السلطان قائلا : العفو أولـــــى

– فنهض إيـــاز زائد المودة ، وأسرع إلى عرش ذلك السلطـــــان العظيم .

٤٠٩٥– وسجد سجدة ، ثم أخذ بحلقـــــه قائلا : يا عظيمـــــا يحار الفلك فيك .

– أيها الطائر الملكي الذى تأخذ منه طيور المُلك بركتها ، ويستمد منك كل سخي سخاءه .

– يا كريمــــا تتمحي ألوان الكرم في العالم أمام إيثارك الخفي .

– ويا لطيفـــــا أبصرته الورود الحمراء ، فمزقت أكمامها خجــــــلا .

---

(١) ج/١٢–٤٠٩٥:– لقد كان الجوهر هو أمر الملك أيها الأخســـــاء ، ولقد حطمتموه عيانا بيانــــــا .– وعندما أفشى إياز السر ، صار كل الأمراء أذلاء مضطربين .

– ويا من من غفرانك ، شبع الغفران والتسامح ، ومن عفوك تسلطت الثعالب على الأســـود .

٤١٠٠– وكل من تجرأ على أمرك ، أى سنـــــد كان له ســـوى عفوك ؟

– وغفلة هؤلاء المجرمين ووقاحتهـــــــم ، هي نتاج وفور عفوك يا مـلاذ العفـــــو .

– والغفلة دائما ما تنتج عن الوقاحـــة ، كما يسلب الرمد التعظيم من العين .

– والغفلة والنسيــــان عنـد من أسيأت تربيتــــه ، إنما تصير محترقة بنار التعظيـــم .

– ثم إن هيبته تمنحه اليقظة والفطنـــــة ، فينطلق السهو والنسيــــان خارج قلبه .

٤١٠٥– وفي وقت الغارة ، لا يطرق النوم جفن أحـــــد ، حتـى لا يسرق منه أحد حاجياته .

– وإذا كان النوم يفر من أجل ثوب خلق ، فمتى يكون نـوم النسيــــان عند الخوف من الذبح .

– لقد صارت ﴿ ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا ﴾ شاهدا علينــــا ، بحيث يكـون النسيـــان ذنبا من وجه ما ،

– ذلــك أن " الناسـي " لـم يقـم بتعظيمـه تمامـا ، وإلا مـا سيطر عليــــه النسيـــان .

– وبالرغم من أن النسيان لابد منه ولا محيص عنـــه ، فإن المرء مختار في مزاولة الأسباب " التي أدت إليـــه " .

٤١١٠– إذ أنه تهاون في تعظيـــم " الإلـــه " كما ينبغي ، حتى تولد من ذلك النسيان والسهو والخطأ .

– وذلك كالسكران الذي يرتكب الجرائم والأخطـــــاء ، ويقول : كنت معذورا غائبـــــ عن نفسي .

– فيقال له : لكن السبب يـ قبيح الفعل كان منك ، وكـان الاختيار منـك أنـت فـي جريانـــــه عليك .

– والغيبة عن الوعي لم تحدث مـن تلقاء نفسهـــــا ، بـل دعوتها ، ووعيك لـم يمض عنك من تلقاء نفسه ، بل طردتـــه .

– فلو كان هذا السكـــر قد حدث دون اختيـــار منك ، لكان ساقي الـروح قـد حفظ عهدك .

د ٤١١٩– ولكان ظهيرا لك ومعتذرا عنك ، وأنا غلام لزلة السكـــر بالله .

– والعفو الموجود في كل الكـــون مثقال ذرة ومجـرد انعكاس لعفوك يـا مـن منك كل نفع .

– وإن أنواع العفو لتثني على عفوك ، ولم يكن له كفوا أحـــد يا أيها الناس اتقـــوا .

– فهبهـــم أرواحهـــم ولا تطردهـــم عنك ، فهم من حليت أفواههم منك ، أيها الموفق .

– وارحم ذلك الذي قد شاهد وجهك ، وتصور كيف سيتحمل فراقك المر .

٤١٢٠– وإنك لتتحدث عن الفراق والهجر ، فافعل ما تشـــاء ، لكـن لا تفعـل هذا .(١)

– فإن مئات الآلاف من أنواع الموت المضاعفة ، لا تساوي فراق وجهك .

---

(١) ج/١٢–٥٩٩: فلا يوجد في الدنيا ما هو أسوأ من هجـــر الحبيب ، واستمع إلى هذا الكلام من عاشقك

- فأبعد مرارة الهجـــــر عن الذكور والإناث ، أبعدها يا من أنت للمجرمين الخاطئين الغيــــاث .

- فالموت على أمل وصلك يكـــــون حلوا ، ومرارة هجرك تكون أفظــــع من النار .

- وإن المجوسي ليقول وهو في سقر ، أى حزن عندى ، مادام قد نظر إلـــيّ .

٤١٢٥- فإن تلك النظرة تجعل الآلام حلـــــوة ، وهي ديــــــة لأيدى سحرة " فرعون " وأقدامهـــم .

تفسيـــــر قول السحرة لفرعون عند توقيــع العقاب عليهم

﴿لا ضيـــر ، إنا إلى ربنــــا منقلبـــــون﴾

- لقد سمعت السمـــــاء قوله ﴿لاضيـــــــر﴾ ، فصار الفلك كرة في أثـــر ذلك الصولجــــان .

- أى : لا ضير لنــــا من ضربة فرعون ، فإن لطف الحق غالب على قهر من ســــواه .

- فلو أنك تعلم سرنــــا أيها المضـــــل ، فإنك في الحقـيقة تخلصـنامن ألمنـا يا أعمى القلب.

- هيــــا،وأقبل من تلك الناحيـــــة حتىتسمـــع الأرغنــــون، يعزف لحن ﴿يا ليت قومي يعلمـــون﴾ .

٤١٣٠- ولقد وهبنــــا الحق فرعونيـــــة ، ليست فانيـــــة كفرعونيتك وملكك.

- فأطل برأسك ،وانظر إلى الملك الحي الجليل ، يا من صرت مغرورا بمصــــرونهر النيــــل.

-وإنـك إن تركـت هـذه الخرقــــــة النجســــــة ، فـإنك تجعـل النيــــل غارقـــــا في سيل الروح.

- هيــــا، وانفض يافرعون يدك عن مصـر ،ففي وسط مصـــر الروح ،مائة قطر ومصــــر .

-إنك تقول للجميــــع (أناربكم الأعلى) ،وأنت غافل عن ماهية هذين الإسمين

٤١٣٥- فمتى يكون الرب مرتعدا من عابده ؟! ومتى يكون العـارف بذاتـه فـي قيد الجسم والروح؟

-والآن فإن تلك الـــ "أنا " التـي تخصنـا قـد نجـت مـن أنيتهـا ، ومـن تلـك الـ"أنا" المليئـــة بالعناء والبلاء.

- وتلك الــ " أنا " التي كانت شؤمـــــاعليك أيها الكلب ،كانت بالنسبة لنا دولة محتومــــة.

-فلو لم تكن لك الـــ " أنا "المنتقمـة ، متـى كنـت تجلـب لنـا هـذا الإقبــــال والسعد؟

- والشكـــــر لله أننا نخلص من هـذه الـدار الفانيــــة، وأننـا علـى رأس هـذه المشنقـــــة نوجه لك النصائح .

٤١٤٠- ومشنقــــــة قتلنـــــا هـي بـراق رحلتنــــا،ودار ملكـك غـــرور وغفلـــــة .

-وهذه حيـــــاة مستتــــرة وخفيــــة في صـــــورةالموت ،وما أنت فيـــه موت خفي في غلاف حياة.

- فإنهـــا تبدىالنار نـورا والنـــــور نـارا، وإلا فمتـى كـانت الدنيـا "توصـف" بأنهــا دار الغرور .

–فهيـــا ، لاتتعجـــل ، وصـــر عدمـــا من البدايـــة ، وعندما تغرب ، اطلع من مشرق الضياء.

–فمن "أنيـــة " الأزل، صـــارالقلب حائـــرا ،وهذه الـــ" أنا " صارت باردة سخيفـــة وصـــارت عارا.

٤١٤٥–ومن تلك الـــ "أنا" التي بلا " أنا " سعدت الروح ،صارت هاربة من الدنيـــا ومن أنية الدنيـــا .

– وعندمـــا نجت من الـــ " أنا " صارت فحسب تعد أنيـــة ، فلتكن أنواع الثنـــاء على ال " أنـــا" التي لاعنـــاء فيهـــا .

–فهي هاربـــة والذات في أثرهـــا ، وهي تســـرع عندما تراهـــا في أثرهـــا .

– وأنت طالب لها ،ولا تكون هي طالبة لك، وعندما تموت ، صـــار طالبك مطلبـــالك.

–وأنت حي ، فمتى يقوم غاســـل الموتى بغسلك ؟ وأنت طالب ، فمتى يبحث عنك مطلوبك؟

٤١٥٠– ولو كان العقل مبصـــرا للطريق في هذا المبحث ، لكان فخرالدين الرازى عالما بسر الدين .

– لكن لما كان "من لم يذق لم يدر" ، فإن عقلـــه وأوهامـــه وخيالاته قد زادت في حيرتك .

– فمتى كان الكشف من تفكر هذه الــ " أنا " ،وتلك الــ " أنا " تكشفـــه بعد عناء ؟!

– وتسقط هذه العقول من افتقادها "للكشف " في مغارة الحلول والاتحـــاد.

– فيـــا إياز الذى صرت فانيا من القرب ، كأنك الكوكب في أشعة الشمس

٤١٥٥- بل كالنطفـــــة قد بدلت إلـى جســــــد ، لا عـن طريـق الإتحـــــاد ولا عن طريق الحلول .

- أعف ، يا من يكون العفو في خزانتك " أنت " ، وأنت سابق فـي اللطـف ، والكل مسبوق منك .

- فمـن أكـون أنـا حتـى أقـول لـك أعـفُ ، يـا مـن أنـت سلطــــــان ، وخلاصـــــةالأمر بكن فيكون .

- ومن أكون أنا حتى أقترن بأنيتك ، يا من أخذت كل الأنيات بطرف ردائك .

اعتبار إياز نفسه مجرما في هذاالتشفع ،والاعتذار عن هذا الجرم واعتبار نفسه مجرما في هذا الإعتذار . وهذا الإنكسار ينبع من معرفـــة عظمـــة الملك، مصداقا لقوله عليـــه الســلام [أنا أعلمكم بالله ،وأخشاكم لله "ولقولـــه تعالى ﴿ إنما يخشـــى الله من عبـــاده العلمـــــاء ﴾

- ومتى أثيــــر أنا الرحمة في قلب الغـاضب ؟ أوأبدى طريـق الحلـم للمزدان بالعلـــــم ؟

٤١٦٠- إننـى أستحق لهـذا آلاف الصفعات ، إذا كنت أنـت الـذى تعرضنـي للصفع .

- فما هذا الذى أقوله وأعلنه أمامك ، أو أعلمك أو أذكرك بشروط الكرم .

- وما هوهذا الذى لا يكون معلوما لك ؟ وما هو الذى يعزب عن علمك في هـذا الكون ؟!

-ويا من أنت منزه عن الجهــــل وعلمك منـــــزه عنـــــه ، بحيث يكون الخفـي منسيـــا عنده .

– لقد اعتبرت من ليس بشخص قط شخصـــــا ،ورفعتـــــه بالنور وكأنه الشمس .

٤١٦٥– وما دمت أنت الذى جعلتني إنسانا ، استمع إلى شكواى من كرمك ، عندما أشكـــــو .

–ذلك أنك عندمـــــا رفعت الحجاب عن صورتـــــي ، أنت نفسك الذى جعلت هذه الشفاعة لي .

– والآن ، وقد خلا هذا الوطـــن مـــن كـل أسـبابي وحاجيـاتي ، "اتضـــح" أن أخضـــــر الدار ويابسها ليس ملكا لي

–حتىالدعـــــاء أجريته أنت مني وكأنه المــــــاء ، فامنحـــــه الثبات " يا إلهي " واجعله مستجابا .

– إنك أنت في البداية الآتي بهذاالدعـــــاء ، فكن المرتجي في الإجابـــــة في نهاية الأمر .

٤١٧٠– حتى أثرثر أنا قائلا :إن مليك العالم ، من أجلي قد عفا عن المجرمين .

– وكنت ألما بأجمعي أنا المغرور المعجب بنفســـــه ، فجعل منى الملك دواءً لكل متألم .

– وكنـت جهنميـــــا مليئـا بالفتـــنة والشـــــر ، فجعلتنـي يـد فضلـــــــه كوثــــرا .

– وكل من تحرقـــــه النار قـــــودا ، أنبت أنا جسده مرة ثانيـــــة .

– فما هو عمل الكوثـــــر ؟ أن كل محترق يصبح منه نابتــــا متراكمـــــا .

٤١٧٥– وكل قطـــــرة منــــــه منادية بـالكرم ، قائلـــــة: إنني أعيد كل من أحرقه الجحيـــــم.(١)

---

(١) ج/١٢–٦١٢:– إنني كالمرهم على كل جرح عفن ، فـ "ينبت لحما جديدا خالصـــــا".

– إن النـار مثـــــل ريـاح الخريـف ، والكوثـر كأنـه الربيــــع ، أيتهــــا الروضــــة .[1]

–والنـار كأنهــا المـوت وتـراب القبـــــر ، والكوثـــــر مثلـه مثـل نفـخ الصـــور .

–فيا من احترقت أجسامكـــم في الجحيـــم ، إن الإكـــرام لا يفتــأ يجذبكـــم نحو الكوثـــر .

– ذلك أن لطفك قد قال أيهــا القيــوم الحي " خلقت الخلق كي يربح علـــيّ

٤١٨٠–لا لأن أربح عليهــــم "[2] ، وهذا هو جودك، الذى منه يجبر كل كسيـــر ،ويتم كل ناقص .

– فاعف عن هؤلاء العبيـــد ، عبدة الجســـد ،والعفو أولى من بحـــر العفو .

– وعفو الخلق كأنه الجدول وكأنه السيـــل ، تسـوق خيلها كلهـــا نحو ذلك البحـــر.

–وألوان العفو كل ليلة ، تأتي من فلذات القلوب هذه ، "طائرة " إليك كالحمائـــم أيهـــا المليك.

– فتردهـــا طائـــرة مرة ثانيـــة عند الفجـــر ، وتجعلهـــا محبوســـة في هذه الأبدان حتى الليل .

٤١٨٥–ثم تطيـــر مرة ثانيـــة عند العشــــاء خافقة بأجنحتها ، عشقـــا لذلك الإيـــوان والسقف " الأعلـــى ".

---

(١) ج/١٢-٦١٣:– والنار كأنها الموت والفنـــاء ،والكوثر هو نفخ الصور من الكبريــــاء .

(٢) ما بين القوسين بالعربية في المتن الفارسي .

– حتى تقطـــــع خيوط الوصـــــال مع الأجســـــاد ، وتقبـل نحـوك ،لأن لهـا الإقبـــــال منك ؛

–خافقة بأجنحتهـــــا ، آمنـة مـن العـود المنقلـب ، محلقـــــة فـي الهـواء قائلـة (إنـــا إليه راجعـــون).

– فيهتف بها هاتف من الكرم أن " تعالــــوا " ، وبعد تلـك الرجعــــــة لا يبقـى حرص ولا غـــم .

– فكـم مـن غربـــــة تكبدتمـــــوها فـي الدنيــــا ،فكونـوا عــارفين بقـدرى أيهـــا العظمـــاء .

٤١٩٠– ومدوا سيقانكـــم مسـتريحين تحـت ظـــــل هـذه الشجــــرة ثملين بالكرم .

– تلك السيقـان التي عانت كثيــــرا في طريق الديـن ، فهيـا كونـوا إلـى جـوار الحور، وفي أحضانهن خالدين

–والحور يكن حنونات يغمزن لبعضهن بأعينهن قائلات :لقد عاد هؤلاء الصوفية من السفــــر .

–الصوفيــــة الأصفيــــاء كأنهم نور الشـمس ، كـانوا قد سقطوا فترة فـوق التراب وفوق القذر .

–وعادوا بلا أثــــر مـن الـتراب طـاهرين مـن القـذر ، مثــــل نـور الشـمس صوب القرص العالي .

٤١٩٥– وهذه الطائفــــة من المجرمين أيها المجيـــد ، قد دقوا رؤوسهـــــم جميعـــا بالجدار .

– ولقد وقفـــوا على ذنوبهـــم وعلـى جرائمهـــــم ، وبـالرغم مـن أنهـم قـد هزموا في لعبة نرد المليك.

- إلا لأنهم توجهوا إليك الآن متأوهين، يامن لطفك لايزال يجذب المجرمين .
- فعجـــــل في إعطـــاء الطريق ،العجـــــل ،إلـى فـرات العفـو ، وعيـن المغتســــل.
- حتى يغتسلـــوا من هذا الجرم الممتـــــد ، ويذهبـــواإلى الصــــلاة في صف الأطهـــار .
٤٢٠٠- وفي تلك الصفوف هناك من لا يمكن حصرهم وعدهم ،غارقـــون في نور ﴿ لنحن الصافون ﴾ .
- وعندمـــا وصـــل الكلام إلى وصف هـذه الحالـة ، تحطـــم القلـم ، وتمزقت الأوراق .
- فهل وســع البحر قط إنـــاءٌ فخارى ، وهل ظفـــر قط حمـــلٌ بأســـد ؟
- فإذا كنت في حجـــاب ، فاخرج عن الاحتجـــاب ، حتى ترى ذلك المُلك العجـــاب .
- وإذا كان السكارى قد حطموا كأسك ؛ فالعذر لمن هو ثمـــلٌ بك .
٤٢٠٥- فإن سكرهـــم بالجـــاه والمـــال ، لا من خمرك يا حسن الفعـــال .
- واعـلم أيها المليك أنهم السكارى بك ، فاعف عن الثمـــل بك أيها العفـــو .
- وإن لهجـــة تخصيصك "لهـــم " عنـــد الخطـــاب ، يتـأتى منهـــا ما لا يتأتى من مائة دن من الشراب .
- وما دمت أنت الذى أسكرتني ، لا تقم على الحـــد ، فالشرع لا يحد السكارى " أثنـــاء سكرهم " .

– وعندمـــــا أفيق ، أقم على الحد آنذاك ، ومن ثم ، فلن أصيـــــر مفيقا أبـــــدا .

٤٢١٠– وكل من شـــــرب من كأسك يـــــا ذا المنن ، نجـــــا إلى الأبد من الوعي ومن التعرض للحد .

– إنهـــــم " خالدون في فنـــــاء سكرهـــــم ، من تفانـــــىفي هواكم لم يقـــــم ".(١)

– فلا يزال فضلك يقول لقلوبنـــــا : امض ، يا من صـــــرت رهنـــــا في مخيض عشقنـــــا .

– لقـــد ســـــقطت ، كماســـقطت الذبابـــــة فـــي المخيـــض ، فلســـت ثملـــــةأيتهاالذبابـــة، أنت الخمرنفسهـــــا .

– ولقد صار النســـــورثملين منك أيتهـــــا الذبابـــــة، عندمـــــا تسوقين مطيتك نحو بحر العسل .

٤٢١٥– والجبال تصيـــــر كالذرات ثملـــــة بك ، والنقطـــــة والفرجـــــال والخط في يدك .

– والفتنة التى ترتعـــــد منه مرتعدة منك وكل جوهر غال الثمن رخيص عندك .

– ولـــــو كان الله قد وهبني خمسمائـــــة فم ، لقمت ببيانك آنذاك يا روح العالـــــم .

– وإن لي فمـــــا واحدا ، ومن ثم ، فأنا منكســـــر خجلا منك يا عالمـــــا بالســـــر .

---

(١) مابين القوسين بالعربيـــــة في المتن الفارســـــي .

- لكنى لست أكثـــرانكســـارا في الأصـــل من العدم ، ومن فمه انبثقت كل هذه الأمم .

٤٢٢٠- وهناك مئات الآلاف من الآثـــار الغيبيــــة في انتظـــار أن تخرج منك بلطف وبر .

- وإن رأســي لتكون دائـــرة من طلبك إيـــاى ، يا من أكون أناميتا أمـام هذا الكـــرم.

- ومجرد رغبتنـــا هذه من طلبك أنت ، وجذبـــة الحق سارية في كل مكـــان .

- ومتـــى يصعد التراب إلى أعلــى دون ريـــاح ؟! وهل تسيـــر سفينـــة في طريقهـــا دون بحر ؟

- وأمـــام ماء الحيـــاة لم يمت أحـــد وإلى جوار مائك ، يكـون مـــاء الحياة كدرا .

٤٢٢٥- ومـــاء الحيـــوان هو قبلـــة أرواح الأحبـــاب ، ومن المـــاء يكون البستـــان أخضـــر نضرا ضاحكـــا .

- لكن من يشــربون الموت أحيـــاء من عشقـــه ، قد صرفوا قلوبهـــم عن الروح ومـــاء الروح .

- وعندمـــا لحق بنـــا ماء عشقك ، صـــار ماء الحيـــوان غير ذى قيمـــة عندنـــا .

- ولكل روح البعث والجدة من مـــاء الحيـــاة ، لكنك مـــاء مـــاء الحيـــاة .

- وإنك لفي كل لحظـــة تهبني موتـــا وحشـــرا ، حتى أرى غلبـــة ذلك الكـــرم .

٤٢٣٠- وصـــــار هذا الموت بالنسبـــة لي كأنــــه النوم ، وذلك من شدة ثقتي في البعث من الله .

- والبحـــار السبعـــة إن أصبحت كلهــــا سرابـــا ، فإنك تأتي بها جارا إياها من آذانها يا ماء الماء .

- والعقـــل مرتعد من الأجـــل ، وذلك العشق متجرؤ " عليـــه " ، ومتى يخشى الحجر من الماء كما يخشاه المدر ؟

- وهذا هو الخامس من صحف المثنـــوي ، إنه في بروج فلك الروح كأنه الأنجــم .

- ولا تجـــد كل حواس الطريق إلى الأنجم ، اللهم إلا " حواس " ذلك الملاح العالم بالنجوم .

٤٢٣٥- وليس للآخرين من نصيب إلا النظـــر ، وهم غافلـــون عن السعود والقرانات .

- فتعرف طوال الليـــل وحتى الأصبـــاح ، على مثل تلك الأنجم محرقة الشيطـــان .

- وكل منهم في دفـــع الشيطـــان القاصد بالســـوء ، كأنه الرامي بالنفط من قلعة السمــــاء .

- والنجـــوم مع الشيطـــان كأنهـــا العقرب ، ولأربـــاب السعادة كأنها الولي الأقـــرب .

- فالقوس وإن كان يصمي الشيطـــان بسهم ، فهناك الدلـــو وهو مليء بالمــــاء للزرع والثمر .

٤٢٤٠- والحوت وإن كان يحطـــم سفيـــنة الغي ، فإنه يزرع للولي وكأنه الثـــور .

- والشمس وإن كانت تمزق الليل وكأنهـــا الأسـد ، للياقوت منهـــا خلعة من الأطلس .(١)

- وكل وجـــود أطل برأســـه من العدم ،هـو لأحدهم سم ، لكنـه للآخـــر شهد .

- فصـــرحبيبـــا وابرأ من الطبـــع السيء ، لتنـال السكـــر حتى ممن هو في الصورة سم .

- ومـن هنـــا لـم يُصـب الفـاروق﵁ أذى مـن الســـم ، فقـد كـان ذلـك السـم سكـــرا بالنسبة لترياقه الفاروقي .(٢)

تمت ترجمة الكتاب الخامس بحمده تعالى وتليها الشروح بإذنه تعالى

---

(١) ج ١٢/٦١٥-٦١٦:- وإذا كان شكل العقرب معوج السير ، فإن هيئة الميزان على عكســه .- وإذا كا عمل المريخ هو سفك الدمـــاء ، فهو مسكين أمام ذلك الذى يشرق من تبريز .- وإذا كان تأثيـــر النحس يتأتىمن زحـــل، فإنه من ناحية العمل تتأتى منه دقة الفكر .- وإذا كات السمكة تضرب بكفيهـــا الشمس ، فليس للزهرة جرأة على الحديث عنيا .- بل إن عطارد ليفقدن منزلـــه ، ومن جنونه يقوم بكســـر الجوزاء .- وترتعد يد المشترى ويخفق قلبه ، ويقع القمر على وجه الماء كأنه السلال .- والنســـر الطائر يفقد ريشه من الخجـــل . ومن الطمع يصبح التنين في ليونة الشمع .- وبنات النعش يحملن ويجتمعن ويصفقن .- دعك من هذه الرموز فيذا ليس وقتيـــا ، ودرب التبانة امتلأ بالتبن من السنبلـــة .- لقد أطلت الشمس من الجبـــل فاتقوا . لكن هذا الحديث يصبح مرا عليكـــم .- إنك عدو ومن العدو الشهد واللبن ، يصبح بلا تكلف سما في الفم

(٢) ج/١٢-٦١٦:- فهيـــا ، ابحث عن تريـــاق الفاروق أيهـــا الغلام ، حتى تصبح فاروق زمانك . والسلام .

شروح وهوامش

المقدمة :

يرى يوسف بن أحمد (٢/٥) أن هذا الدفتر من دفاتر المثنوى يشتمل على أصول الشريعة ومسائل الطريقة وأسرار الحقيقة . والواقع أن كل علوم الصوفية تدور حول هذه المصطلحات الثلاثة : الشريعة و الطريقة والحقيقة . ولعل أول من تناول هذه المصطلحات بشكل مفصل هو سنائي الغزنوى في منظومته التي كانت مصدرا من مصادر المثنوى "حديقة الحقيقة وشريعة الطريقة" (انظرترجمتها العربية لكاتب هذه السطور - دار الأمين - القاهرة ١٩٩٥) والكيميـــاء المذكورة هنا هى كيمياء التبديل ، وتبديل النحاس إلى ذهب رمز إلى تبديل الإنسان المخلوق من طين إلى ملائكى وربانى عن طريق الرياضة الصوفية ، أما عبارة "طلب الدليل بعد الوصول إلى المدلول قبيح وترك الدليل قبل الوصول إلى المدلول مذموم "فتنسب إلى أبى الحسن الحوارى ، كما أن عبارة لو ظهرت الحقائق بطلت الشرائع ، تنسب إلى الكرامية (كشـــف المحجوب - الترجمة العربية لكاتب هذه السطور وآخرين -ص ٤٦٥) . وينسب الصوفية إلى الرسول ﷺ حديثا نصه { الشريعة أقوالى والطريقة أفعالى والحقيقة حالى } (انقروى ٣/٥) .

أما الآيات القرآنية الواردة في المقدمة فهى :

﴿ منيبين إليه واتقوه ، وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين ، من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون ﴾ (الروم ٣١-٣٢) .

﴿ قيل ادخل الجنة ، قال يا ليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين ﴾ (يس ٢٦-٢٧)

﴿ ويوم يعض الظالم على يديه﴾ ﴿و يقول الكافر يا ليتنى كنت ترابا ﴾ (النبأ ٤٠).

﴿ وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول يا ليتنى لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسابيه ، يا ليتها كانت القاضية ، ما أغنى عنى ماليه ، هلك عنى سلطانيه ﴾ (الحاقة ٢٥-٢٩) .

﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ﴾ (الكهف ١١٠) .

ويقول محمد معصوم الشيرازى في كتابه طرائق الحقائق : "قال بعض المحققين أن الشريعة والطريقة والحقيقة أسماء صادقة على حقيقة واحدة هى حقيقة الشرع المحمدى باعتبارات مختلفة ولا فرق بينها إلا باعتبارات المقامات ، لأنه عند التحقق الشريعة كاللوزة المشتملة على القشر واللب ولب اللب فالقشرة الشريعة واللب كالطريقة ولب اللب كالحقيقة ، فهى باطن الباطن واللوزة جامعة للكل ويظهر ذلك في مثل الصلاة فإنها خدمة وقربة ووصلة ، فالخدمة مرتبة الشريعة والقربة مرتبة الطريقة والوصلة مرتبة الحقيقة . واسم الصلاة جامع للكل ومن هنا قيل : الشريعة أن تعبده والطريقة أن تحضره والحقيقة أن تشهده ، وقيل : الشريعة أن تقيم أمره والطريقة أن تقوم بأمره والحقيقة أن تقوم به . وهذا المعنى هو المذكور في الحديث ، فإن الأقوال هى التى تجب إقامتها ، والأفعال هى الأمر الذي يقام به الأقوال والأحوال هى التى تتصف بها فالمرتبة الأولى علم اليقين والثانية عين اليقين والثالثة حق اليقين . وكذلك الإسلام والإيمان والإيقان ، وكذلك الظاهر والباطن وباطن الباطن والعام والخاص وخاص الخاص ، والمبتدئ والمتوسط والمنتهى . فالشريعة عند التحقيق تصديق قول الأنبياء والرسل وأوصيائهم والعمل يوجب طاعة وانقياد . والطريقة التحقق بأفعالهم اتفاقا واتصافا والقيام بها عملا وعلما والحقيقة مشاهدة أحوالهم ومقاماتهم كشفا وذوقا والقيام بها حالا ووجدانا فإن كل واحد من الأولى بمثابة الشريعة ومن الثانية بمثابة الطريقة ومن الثالثة بمثابة الحقيقة والحقيقة واحدة ، لو سميت بألف اسم جاز " (عن محمد تقى جعفرى ، تفسير ونقد تحليل مثنوى جلال الدين محمد بلخى ، جـ ١١ ، ص ١١٠ - ١١١ ، الطبعة ١١ ، ١٣٦٧ طهران - فيما بعد يكتفى باسم جعفرى) . أما القول "لو ظهرت الحقائق بطلت الشرائع " فلا يعنى أن الوصول يسقط العبادة بقدر ما يعنى أن الطريق إلى الحق لابد وأن

يكون قائما على أساس من الشريعة كما ورد في الحديث الذي يروى عن الرسول ﷺ وعلى ؓ في وقت واحد : "لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً" . وفي قول على ؓ "ما شككت في حق مذ رأيته" . وفي تفسير لنجم الدين كبرى عن العمل الصالح المذكور في الآية الكريمة ، قال : "هو متابعة النبي ﷺ والتأسى بسنته ظاهرا وباطنا فأما سنته الظاهرة ، فترك الدنيا واختيار الفقر ودوام العبودية ، وأما سنته الباطنة ، فالتبتل إلى الله تبتيلاً وقطع النظر عما سواه كما فعل (إذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى) وهذا تحقيق قوله : " (ولا يشرك بعبادة ربه أحدا)، أي ما أشرك في طلب اللقاء شيئاً من الدنيا والآخرة ولهذا (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) وبلغ المقصد الأعلى (فكان قاب قوسين أو أدنى) (مولوى د/٦) .

(١ – ٣) : بالنسبة لحسن حسام الدين وحياته وموقعه من مولانا جلال الدين الرومي ودوره في تأليف المثنوى ينظر : مقدمة الترجمة العربية للكتاب الأول لكاتب هذه السطور ، ويرجع أيضاً إلى الكتاب الأول الأبيات :٢٩٤٧-٢٩٥٠ والكتاب الثاني الأبيات ٣ و١١٢٧ و٢٢٩٠ والكتاب الثالث أيضاً البيت ٢١١٠ والرابع الأبيات ١ و ٧٥٤ و ٢٠٧٥ و ٣٤٢٣ و ٣٨٢٤ والكتاب السادس الأبيات ١٨٣ و ١٢٠٢ و ١٩٩١ و ٢٠١٠ .

(د – ٧) : مزج الماء بالزيت كناية عن إخفاء لباب الحقيقة في قشور الكلام، والسجناء هم سجناء الحس والطبع والنفس البهيمية .

(١٧) : ما لا يدرك كله لا يترك كله ، قول سائر ، منسوب في تمهيدات عين القضاة إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

(٢٤) : استفادة المريد من الشيخ شرطها الأدب والتعظيم الشيخ . قال أبو عثمان : "إذا صحت المحبة تأكد على المحب ملازمة الأدب" . وقال أبو على الدقاق : إنما قال أيوب ؑ : (أني مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين) ولم يقل ارحمنى لحفظ الأدب في الخطاب . وقال عيسى ؑ : (إن تعذبهم فإنهم عبادك) ولم يقل لا تعذبهم وقال أيضاً : (إن كنت قلته فقد

علمته) ولم يقل : لم أقل لحفظ الأدب ، ومولانا يدق كثيراً على نقطة أن المستمع الواعي المنتبه المتيقظ القائم بشرط التعظيم هو الذي يمكن له أن يستفيد من المرشد وأن يجعل النقاط العظيمة تنهمر من فم المرشد بعكس المستمع البليد الذي يجعل حافظة الشيخ تنام . انظر مثنوى٣/٣٦٠٤ وما بعده .

(٣٠) : إشارة إلى الآية الكريمة : ﴿ وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى ، قال أولم تؤمن ، قال : بلى ولكن ليطمئن قلبي ، قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم ادعهن يأتينك سعياً واعلم أن الله عزيز حكيم ﴾ (البقرة /٢٦٠) . وتناول مولانا جلال الدين لتفسير الآية وجعله الطيور رموز الصفات أقرب إلى ما ورد في تفسير نجم الدين كبرى : " إنك محجوب بها عني فأنت بحجاب صفاتك عن صفاتي محجوب، وبحجاب ذاتك عن ذاتي ممنوع، فإن مت عن صفاتك تحيا بصفاتي، وإذا فنيت عن ذاتك بقيت ببقائي، فخذ أربعة من الطير وهي الصفات الأربعة التي تولدت منها العناصر الأربعة التي خمرت طينة الإنسان منها وهي التراب والماء والنار والهواء ، فتولدت مع ازدواج كل عنصر مع قرينه صفتان ، فمن التراب وقرينه هو الماء تولد الحرص والبخل وهما قرينان حيث وجد أحدهما وجد قرينه ، ومن النار وقرينها وهو الهواء تولد الغضب والشهوة وهما قرينا يوجدان معاً ، ولكل واحد من هذه الصفات زوج خلق منها ليسكن إليها كحواء وآدم، ويتولد منها صفات أخرى، فالحرص زوجه الحسد والغضب زوجه الكبر،وليس للشهوة اختصاص بزوج معين بل هي كالمعشوقة بين الصفات يتعلق بها كل سفيه، فمن كان الغالب على صفته فيها يدخل النار بذلك الباب، فأمر الله خليله بذبح هذه الصفات وهي الطيور الأربعة فلما ذبح الخليل بسكين الصدوق وحده هذه الطيور، وانقطعت منه متوالداتها ما بقي له باب يدخل به النار (مولوى ٥/١١) . وفي رواية أبي الفتوح الرازي أن المفسرين اختلفوا في أمر هذه الطيور ، فقال عبد الله بن عباس : هي الطاووس والنسر والغراب والديك ، وقال مجاهد

وعطاء وابن يسار وابن جريج هى الغراب والديك والطاووس والحمامة ، وقال أبو هريرة : هى الطاووس والديك والحمامة وطائر يقال له الفرنوق (الغرنوق؟!). وقال عطاء الخراساني: أوحى له تعالى أن يأخذ أربعة طيور : بطة خضراء وغرابا أسود وحمامة بيضاء وديكا أحمر ، وقال أهل الإشارة أن هذه الطيور حددت لأن الطاووس طائر جميل والغراب طائر حريص والديك شهوانى والنسر طويل العمر والحمامة أليفة (هى الآن خمسة !!) قالو اخذهذه الطيور الأربعة بمعانيها واقتلها وبقتلها يقتل هذه المعانى الأربعة في نفسك : اقتل النسر واقطع الطمع في طول العمر واقتل الطاووس واقطع الطمع في زينة الدنيا، واقتل الغراب واقطع حلق الحرص، واقتل الديك تقتل من طائر الشهوة الجناح والقوادم واقتل الحمامة واقطع الألفة من الدنيا كلها . (عن مآخذ قصص وتمثيلات مثنوى ، بديع الزمان فروزانفر ، ص ١٥٩) ، كما وردت الفكرة في حديقة الحقيقة لسنائى ، إن الطباع الأربعة في البدن طيور أربعة فاقطع رؤوسها كلها من أجل الدين ثم أصمها هى الأربعة بإيمان العشق ودليل العقل ، مثلما فعل الخليل (حديقة /الأبيات:١١٣٧٠-١١٣٧٥) . كما وردت الفكرة في مرصاد العباد لنجم الدين بن الدايه (الباب الرابع) عن طيور إبراهيم الأربعة وبتفسير مشابه عن مراتب النفس (استعلامى د/٢١١ - تهران ١٣٧٠ هـ.ش) .

(٣٥) : مال الشارحون إلى اعتبار البيت موجها إلى حسن حسام الدين ، لكن البيت موجه إلى الإنسان عموما ، فهو الشكل ، وهو العالم الكبير ، وكل هذه أجزاء منه عليه أن يتخلص منها .

(٦٠ - ٦٣) : ﴿ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم ﴾ (البقرة /٢٦٨) .

(٦٣) : الحديث النبوى الشريف : { المؤمن يشرب في معى واحد والكافر يشرب في سبعة أمعاء } ، وورد في الجامع الصغير (١٨٤/٢) أحاديث مثنوى ، ص ١٤٥

(٦٤) : أصل هذه الحكاية الرواية التالية :

بلغني عن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة ، أنه قال : خرجت خيلٌ لرسول الله ﷺ فأخذت رجلا من بني حنيفة لا يشعرون من هو حتى آتوا به رسول الله ﷺ فقال: أتدرون من أخذتم؟! هذا ثمامة بن أثال الحنفي ، أحسنوا أساره ورجع رسول الله ﷺ إلى أهله فقال : أجمعوا ما كان عندكم من طعام فابعثوا به إليه وأمر بلقحته أن يغدى إليه بها ويراه فجفل لايقع من ثمامة موقفا ويأتيه رسول الله ﷺ فيقول : أسلم يا ثمامة فيقول : إيهاً يا محمد ، إن تقتل تقتل ذام دم ، وإن ترد الفداء فسل ماشئت ، فمكث ما شاء الله أن يمكث ثم قال نبي الله يوما : أطلقوا ثمامة،

فلما أطلقوه خرج حتى أتى البقيع فتطهر فأحسن الطهور ، ثم أقبل فبايع النبي ﷺ على الإسلام ، فلما أمسى جاءوه بما كانوا يأتوه به من طعام فلم يأكل إلا قليلا ، وباللقحة فلم يصب من حلابها إلا يسيرا ، فعجب المسلمون من ذلك ، فقال رسول الله ﷺ حين بلغه ذلك : مم تعجبون ، أمن رجل أكل أول النهار في معاء كافر وأكل آخر النهار في معاء مسلم ، الكافر يأكل في سبعة أمعاء وإن المسلم يأكل في معى واحد ، (ابن هشام ٤/٣١٥-٣١٦) . وجاء في نوادر الأصول : " عن أبي صالح السمان قال قدم ثلاثون راكبا على رسول الله ﷺ من غفار منهم رجل يقال له أبو بصيرة مثل البعير ، فقال رسول الله ﷺ بددوا القوم وجعل الرجل يقيم الرجل والرجل يقيم الرجلين على قدر ما عنده من الطعام حتى تفرق القوم غير أبي بصيرة ، فقال : وكل القوم يرى أن ليس عنده ما يشبعه ، فلما رأى رسول الله ﷺ ذاك قام واستتبعه فتبعه فلما دخل دعا له بطعام فوضعه بين يديه فكأنما لحسهن ثم دعا بقدح فجعل فيه مشربه حتى حلب له في سبعة أقداح فشربها ، فبات عند رسول الله ﷺ يعرض عليه الإسلام فتكلم منه بشئ فلما خرج رسول الله ﷺ إلى صلاة الغداة واستتبعه فتبعه فصلى معه الغداة ، فلما سلم رسول الله ﷺ أقبل على القوم بوجهه فقال : علموا أخاكم وبشروه ، فأقبل القوم بنصح يعلمونه وألقى عليه رسول الله ﷺ ثوبا حين أسلم ثم قال ، فاستتبعته فتبعه ، فلما دخل دعا له بطعام فوضعه بين يديه ، فلم يأكل إلا يسيراً ، حتى قال : شبعت ، ثم دعا له بقدح فحلب فيه ، فلم

يشرب إلا يسيرا حتى قال رويت ، فضرب رسول الله ﷺ على منكبه ، فقال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأني رسول الله ، إنك كنت أمس كافرا وإنك اليوم مؤمن وإن الكافر يأكل في سبعة أمعاء ، وأن المؤمن يأكل في معى واحد . كما وردت رواية مشابهة في موطأ مالك ، ومسند ابن حنبل ، (عن مآخذ / ١٦٠ – ١٦١) .

(٧٣) : الناس على دين ملوكهم ، حسوب إلى الرسول ﷺ . وفي شعر الشاعر (المتنبى) :

وإنما الناس بالملوك وما تفلح عرب ملوكها عجم

(٧٨) : أبو قحط عوج بن غز : بالطبع أبو قحط كنية ساخرة وعوج بن غز تحريف عن عوج بن عنق ، والغز هم الترك ويضرب بهم المثل في الإغارة وعوج بن عنق كما ورد في قصص الأنبياء للثعلبى ، "كان طول عوج ثلاثون وعشرين ألف ذراع وثلثمائة وثلاثين ذراعا بالذراع الأول . وكان عوج يحتجز السحاب ويشرب منه الماء ويتناول الحوت من قرار البحر فيشويه بعين الشمس يرفعه إليها ويأكله ، ويروى أنه أتى نوحا أيام الطوفان فقال له : احملني معك في سفينتك ، فقال : اذهب يا عدو الله فإني لم أومر بك ، فطبق الماء الأرض من سهل ومن جبل وما جاوز ركبتيه وعاش ثلاثة آلاف سنة حتى أهلكه الله على يد موسى ، وكان لموسى عسكر فرسخ في فرسخ فجاء عوج ونظر إليهم ثم جاء إلى الجبل وقد منه صخرة على قدر العسكر ثم حملها ليطبقها عليهم ، فبعث الله عليه الهدهد ومعه الطيور فجعلت تنقر بمناقيرها حتى تورت الصخرة ، وانثقبت فوقعت في عنق عوج بن عنق فطوقة فصرعته ، فأقبل موسى وطوله عشرة أذرع وطول عصاه عشرة أذرع وقفز إلى فوق عشرة أذرع فما أصاب منه الا كعبه وهو مصروع في الأرض ، فقتله ، قالوا فأقبل جماعة كثيرة ومعهم الخناجر فجهدوا حتى حزوا رأسه ، فلما قتل ، وقع على نيل مصر فحسره سنة" . وعنق هي أمة بنت آدم عليه السلام (عن هوامش الكتاب الثاني من المثنوى ، كفافى ، ص ٥١٧ – ٥١٨) .

(٨٨ – ٨٩) : فكرة أن الذي يمتلئ فكره بشئ ما في اليقظة يحلم به أثناء النوم ، وردت في كتاب ابن سيرين ، كما أثبتها علم النفس الحديث .

(٩٣) : ﴿ لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا ﴾ (الفرقان /١٤) .

(١٠١) عن صبغة اللـــــه انظر الكتاب الأول البيتين :٧٦٩-٧٧٠.

وصبغة الله هى صنع الله في خلقه البعيد عن الروائح والألوان وعما درج عليه الناس من ربط الأشياء بالأسباب أو ما فسره نجم الدين كبرى في تفسير الآية الكريمة ﴿ صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون ﴾ (البقرة / ١٣٨). كما أن للكف صبغة فللدين صبغة، فليس العبرة فيما يتكلفه الخلق وإنما العبرة فيما يتصرفه الحق فتصبيب الأشباح من صبغة الله توفيق القيام بالأحكام وحظ القلوب منها تصديق المعارف بالعوارف وكفل الأرواح منها شهود الأنوار وكشف الأسرار والمراد أيضاً بصبغة الله دينه الذي فطر الناس عليه (مولوى ٥/٢٠) .

(١٠٦) : بالنسبة للهدم الذي هو تعمير ، انظر تفصيلات في الكتاب الرابع ، الأبيات ٢٣٤١ – ٢٣٥٠ وشروحها .

(١١٢) : من أنواع التكريم الذي خص به الله سبحانه وتعالى نبيه محمداً ﷺ أنه أقسم به وبحياته ، فقال عز من قائل : ﴿ لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون ﴾ (الحجر / ٧٢) . والبيت ١١١ يشير إلى إيمان مولانا بأن جسم رجل الحق لا يعرفه جسد مادى آخر ، انظر بيت ٣٠ من الكتاب الثالث (استعلامى ٥/٢١٤) .

(١٢٢) : ﴿ إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ، يد الله فوق أيديهم ﴾ (الفتح /١٠) .

(١٢٣ – ١٣١) : عندما رأى الكافر أن رسول الله ﷺ هو الذي يغسل ملابسه بنفسه ، تجلى له كفره على أسوأ صورة ، فأصابته حالة من الوجد بحيث حذر الناس من الاقتراب منه ، لقد تجلت له حقارته التى لا نهاية لها إلى جوار العظمة التى لا نهاية لها المتمثلة في تواضع الرسول ﷺ ، ومولانا جلال الدين يرى أن حالات السكر والوجد قد تطرأ على الكافر ، ربما كان مثالها الواضح في المثنوى ما ورد في قصة ذلك الشيخ من قوم فرعون الذي طلب من

زاهد من قوم موسى أن يملأ له ماء النيل ليشرب دون أن يتحول إلى دم (الأبيات ٣٤٩٥ وما بعدها وشروحها من الكتاب الرابع) .

(١٣٤ - ١٤٣) : يدق مولانا جلال الدين على فكرة أن الله سبحانه وتعالى عندما يرضى على عبده يهبه البكاء والضراعة . ومن البكاء والضراعة تجيش الرحمة الإلهية ، مثلما يفور ثدى الأم باللبن لبكاء رضيعها . فكان بكاء الرضيع هو الذي جلب اللبن ، مثلما يجلب بكاء التائب الرحمة ، ومن هنا فقد قال الله تعالى في كتابه الكريم ﴿ فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون ﴾ (التوبة /٨٢) . ليس هذا فحسب بل إن عماد الدنيا كلها البكاء والحرقة ، ومع السحاب وحرقة الشمس ، فكأن العالم بأكمله وحدة واحدة ، تتجلى في مظاهر الطبيعة مثلما تتجلى في نفس العبد ، وفي علاقته مع ربه ، وفي علاقته بالبشر ، والبكاء هو آية إظهار الخضوع. والفكرة هنا تكرار لما ورد في الكتاب الثاني (الأبيات ١٦٥٩-١٦٦٩) وفسر شيخنا كفافي الحرارة بأنها حرارة القلب ، والماء بأنه دموع الخوف والرجاء والبستان بأنه عالم الروح (ثان ٤٨٩) . وسيأتي تفسير آخر للبكاء والدمع في نفس هذا الكتاب في الأبيات ١٢٧١ وما بعدها فلتطلب في موضعها من النص والشرح .

(١٤٦) : إشارة إلى الآية الكريمة ﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأقرضوا الله قرضا حسنا ﴾ (المزمل /٢٠) .

(١٤٧) : إشارة إلى الحديث القدسي : (أعددت لعبادى الصالحين المتطهرين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر) " .

(١٤٩) : إشارة إلى الآية الكريمة ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ﴾ (الأحزاب / ٣٣) . ومن تعليق ليوسف بن أحمد : فإن رسول الله ﷺ طهر ثوب الضيف بيده وأشار بهذا الصنيع إن الذي لا يتجنب كثرة الأكل والشرب لا ينجو من النجاسة ولا يتخلق بأخلاق أهل البيت (مولوى ٥/٢٦) .

(١٥٣):إشارة إلى حديثين نبويين :{ نفسك مطيتك فارفق بها } و{ أعط كل بدن ما تعوده } .

(١٦١) : عن الحزم وعدم التردد ، انظر الكتاب الثالث ، الأبيات ٢٨٨٤ – ٢٨٤٩ وشروحها .

(١٦٤) : { حفت الجنة بالمكاره والنار بالشهوات } حديث نبوى ، (جامع ١/١٤٨) .

(١٦٧): إشارة إلى الآية الكريمة ﴿ والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون ﴾ (الشورى / ٣٨) . وعن رفقة العقل لعقل صديق ، انظر الكتاب الرابع ، الأبيات ١٩٧٠ وما بعده وشروحها .

(١٧٤ – ١٨٢) : الدهليز في رأى للسبزوارى هو عالم الطبيعة شبه بالدهليز لضيقه (شرح مثنوى ٣٣٣) و " ألست " و " بلى " إشارة إلى العهد والميثاق الوارد في الآية الكريمة ﴿ وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين ﴾ (الأعراف / ١٧٢) أي قلنا في عالم الأرواح بلى فأرسلنا إلى محكمة الدنيا لنشهد ، وحملنا هذه الأمانة ، فعلينا أن نؤديها قبل أن تغرب شمس الروح ، هذا العهد وهذه الأمانة هى الالتزام الإنسانى الأول ، وهذا العهد هو جذور الإنسان كما ورد في الأبيات (١١٦٦ – ١١٧٠) من الكتاب الذي بين أيدينا وسوف يرجع إليها في موضعها .

(١٨٣ – ١٩٥) : مثلما يكون الإنسان شاهدا على وجود الإله وشهادته هذه هى العهد الموجود بينه وبين الله تعالى منذ يوم الميثاق فإن أعمال الإنسان نفسها شهود عليه . إنها كلها تدل على باطنه وعلى ما في هذا الباطن من جواهر أصيلة تترجم إلى أعمال وعلى إجابته بالإيجاب في يوم العهد ، وهذه الشهادة إن أديت رياء وسمعة فهى تخرج من محكمة عدل الإله ، فضلا عن أنها تطعن في صوم الصائمين وزكاة المزكين بإخلاص ، لكن بالرغم من هذا تظل رحمة الله سابقة غضبه ، وتمنح هذا الاعوجاج نورا إليها فينقلب إلى استقامة ،

ويعتبر العمل الذي أدى رياء وسمعة عملا من البر والإخلاص ، وأعمال الإنسان تصديق على إيمانه والإيمان هو ما وقر في القلب وصدقه العمل.

(٢٠٠ –٢١٥) : الأعمال تغسل الذنوب ، ثم يغسلها الله سبحانه وتعالى تماما كالماء ينزل طهوراً من السماء ، فيتكدر . فيرفعه الله سبحانه وتعالى، ليعود طاهراً مطهرا ينادى أولئك الذين دنستهم الأفعال الشيطانية والتسويلات النفسانية . هذا الماء الطهور هو الفيض الإلهى هو الرحمة الإلهية (وهو فيض الله الذي لا ينقطع ونور الله الذي لا يأفل) . (سبزوارى ٣٤٣–وانظر ١٢٧٥:٣) وكما أن الماء لا يلزم إن لم يوجد الدنس . فالرحمة لا توجد إن لم توجد المعصية . هذه هى سعة روح مولانا جلال الدين وسعة أفقه . فلا يلزم أن يكون الإنسان ملاكا . لكى تدركه رحمة الله ، بل هى أولى بالعصاة (انظر الكتاب الرابع ، شرح الأبيات ٨١–٩٤) .

(٢٢١ – ٢٢٣) : يفسر مولانا جلال الدين ما هو المقصود بهذا الماء ، إنه أرواح الأولياء ، (انظر الكتاب الرابع ٣٣٥٨:٤ وما بعدها) هى التى تغسل ما لحق بالنفوس الإنسانية من كدر ، ثم تعود إلى مولاها فيطهرها ، وهذا العود عروج معنوى لا مكانى وعن زيد بن على ابن الحسن رضى الله عنهم أجمعين، قال: قلت يا أبت أليس الله جل ذكره لا يوصف بمكان ، فقال : بلى : تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا . فقلت : فما معنى قول موسى ﷺ لرسول الله ﷺ (فى المعراج) : ارجع إلى ربك ؟ فقال رضى الله عنه : معناه قول إبراهيم ﷺ {إنى ذاهب إلى ربى سيهدين } ومعنى قول موسى ﷺ { وعجلت إليك رب لترضى } ومعنى قوله عز وجل : { ففروا إلى الله } يعنى فحجوا إلى بيت الله ، يا بنى إن الكعبة بيت الله فمن حج البيت فقد قصد إلى الله والمساجد بيوت الله فمن سعى إليها فقد سعى إلى الله وقصد إليه، والمصلى ما دام في صلاته فهو واقف بين يدى الله عز وجل (جعفرى ١١/١٥٧-١٥٨) .

(٢٢٤ – ٢٢٦) : معراج العودة إلى الله إذن هو الصلاة ، ومن ثم كان ﷺ إذا أهمه أمر قال : أرحنا بها يا بلال ، فهي معراج المؤمن ، ومن هنا فعند الخروج منها يسلم المؤمن دليلا على عودته من معراجه .

(٢٢٧ – ٢٣٤) : وهذه كلها مجرد وسائط وإلا فإن لطف الله سبحانه وتعالى ينصب على عباده دون واسطة ، ودون مساعدة من أحد ، المريد فحسب هو الذي يحتاج إلى المرشد يأخذ بيده ، لكن المرشد نفسه في غنى عن الواسطة ، والعوام هم الذين يتعلقون بالوسائط والأسباب (عن الأسباب . انظر الكتاب الثالث البيت ٣١٥٥ وما بعده)، البيت ٢٥١٦ وما بعده ، والسمندل في المثال المذكور كناية عن أهل الله ، الخليل هو الذي يدخل النار فتكون عليه برداً وسلاماً ، وأهل الله هم الذين يشبعون دون خبز ، واللطف من الحق وإن كان الناس يلتمسونه في الرياض والبساتين . (انظر حكاية الصوفي المراقب في الرياض في الكتاب الرابع ، الأبيات ١٣٥٨ وما بعدها) . لكن أهل الله والأنبياء يجدون هنا الأمور مباشرة ودون واسطة أو علة أو كسب .

(٢٣٥ – ٢٤٠) : وردت الأفكار الواردة هنا في الكتاب الثالث ، انظر الأبيات ٢٧٠٢ وما بعدها وشروحها ، وفي الكتاب الرابع ، انظر الأبيات ١٧٩٤ وما بعدها وشروحها .

(٢٤٨ – ٢٥٠) : إن ما يصاحب العبادات من حركات وتصرفات هي بمثابة العرض ، والعرض ما هو إلا مظهر لجوهر ما ، وقد تناول مولانا جلال الدين هذه الفكرة في الكتاب الثاني (الأبيات٩٤٨–٩٧٠ وانظر أيضاً ٤/٨٠٩).ولقد سكت مولانا هنا عن قول الغلام أي بحشر الأعراض ، لكنه في الأبيات التي بين أيدينا يوحي بقوله بعدم حشر الأعراض ، بل إن حصادها من بقاء جوهر الروح الذي هو الدليل يوم الحساب على أن هذه الأعراض قد تم القيام بها .

(٢٥٥ – ٢٦٠) : يشير مولانا جلال الدين إلى هذا المرض المستشري ، التناقض الشديد بين القول والفعل ، يعشق الإنسان العدالة ومع ذلك يمارس الظلم ، يتحدث عن الأمانة ويخون ،

يعشق العلم ويستخدمه كأداة للوصول إلى المال والجاه والمنصب ، ينطلق في الحديث عن التصوف وأعلامه دون أن يحاسب نفسه ادنى حساب . هذا التناقض بين الأقوال والأفعال هو الذي تعبر عنه الآية الكريمة ﴿ إن سعيكم لشتى ﴾ (الليل /٤) . أى متعدد الطرق والمسالك متناقض الأهداف ، أفعالك وأقوالك غير مقبولة ، حياتك لا تدور حول محور واحد لا يبالى بك الله في أى واد هلكت ، ولا يأبه بك أصحاب القلوب ولا بأقوالك أو أفعالك ، بل هم ما دمت في عنادك وفي جدلك هذا ، يعاندونك ، وما دمت في مكرك يمكرون بك (جعفرى ١١/١٦٧–١٦٨) . وفي البيت الأخير إشارة إلى الآية الكريمة ﴿ فأعرض عنهم وانتظر إنهم منتظرون ﴾ (السجدة / ٣٠) .

(٢٦٧ – ٢٧٢) : إشارة إلى الآيتين الكريمتين : ﴿ قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورا ، واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا ﴾ (الإسراء /٦٣ – ٦٤) .

(٢٧٣) : إشارة إلى حديث نبوى ، قاله الرسول ﷺ لسيدنا على ﷺ ما معناه : إذا لامست أهلك فقل اللهم جنبنى الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنى ، فإن رزقت بولد لم يصبه ضرر . (عن انقروى ٥/٧٨ ، وجلبنارلى ٥/٥٥) .

(٢٧٥ – ٢٧٦) : إشارة إلى أن عازر الذي أحياه سيدنا عيسى ﷺ بأمر الله وفي الأناجيل أنه كان امرأة (عن جلبنارلى ٥/٥٦) وتقول الروايات إن عازر أو اليعازر مات لتوه مرة أخرى بعد أن أحياه سيدنا عيسى ﷺ .

(٢٨٩ – ٢٩٠) : ينقل جعفرى هنا حديثا ليس موضعه هو : ما بعث الله رسولا إلا وفي وقته شيطانان يؤذيانه ويفتنانه ويضلان الناس بعده (١١/١٧٤) لكن الحديث هنا " لكل امرئ شيطان ، لكن شيطانى أسلم" .

(٢٩١ – ٢٩٢) : أي إيمان وأية عقيدة لا يمكن أن يقضى عليها إلا إيمان آخر وعقيدة أخرى ، والعشق الإلهى هو قمة الإيمان وفوق أية عقيدة ، بل إن ظاهرة الإيمان نفسها هى من قبيل العشق ، والشيطان نفسه لو أنه ذاق قطرة من منزل سر اليقين ، لتغير حاله وتبدل .

(٣٠٠ – ٣٠٤) : من مناجاة سيدنا على ﷺ الواردة في نهج البلاغة " سبحانك خالقا ومعبوداً بحسن بلائك عن خلقك ، خلقت دارا وجعلت فيها مأدبة ، مشربا ومطعما ، أقبلوا على جيفة افتضحوا بأكلها واصطلحوا على حبها ، من عشق شيئا أعشى بصره وأمرض قلبه " (عن جعفرى ١١/١٧٩) .

(٣٠٥) : قال نجم الدين في تفسير ﴿ لقد آثرك الله علينا ﴾ بالطلب والصدق والشوق والمحبة والوصل ﴿ وإن كنا لخاطئين ﴾ في الإقبال على استيفاء الحظوظ الحيوانية والإعراض عن الحقوق الربانية .

(٣٠٧) : عن الرائحة والجرعة التى أنزلها الله تعالى من لطفه كنموذج لهذه اللطف في الدنيا حتى يطلب الناس أصلها ومنشأها (انظر الكتاب الذي بين أيدينا ، الأبيات ٣٧٥ وما بعدها).

(٣٠٩) : عن الدعاء الذي يستجاب دون أن يقال ، انظر الكتاب الثالث : في بيان أن عين دعائك هو قول الحق لبيك ، الأبيات ١٨٩ وما بعده .

(٣١٠ – ٣١٥) : لقد صور الله سبحانه وتعالى صورا جميلة من العدم ، لكنه جعلها كالحروف ، وعن طريق قراءة هذه الحروف يمكن للمرء أن يقرأ كتاب الجمال الكلى ، وإلى مثل هذا ذهب الشيخ الشبسترى :

كل ما هو موجود عيانا في الكون	كانعكاس شمس ذلك العالم
والدنيا كالجديلة والخط والخال والحاجب	كل شئ فيها حلو في مكانه

(عن استعلامى ٥/٢٢٥)

ومن هنا فخليق بالأفكار والعقول أن تتجه إلى العدم ، فمن العدم يتأتى الوجود ، فكأن العدم هو أساس الوجود وهو مصنعه ، ووردت الفكرة في ٣٧٧/٣ ولتفصيل هذه الفكرة ، انظر الكتاب الرابع ، الأبيات ٢٤٤١ – ٢٤٦٨ وشروحها .

(٣١٧ – ٣٢٧) : لا يزال يفصل فكرة أن منشأ الموجودات كلها من العدم ، فالعقول النورانية تقرأ كل يوم من اللوح المحفوظ حظها ، أي تكون كل اهتماماتها من لدن الحكيم الخبير ، فعقل المعاد هو الذي يخط حروفا على صفحات القلوب بلا بنان ، لكن أرباب الشهوات في حيرة من هذه الخطوط ، لأن كلا منهم مرتبط بخيال ما قد عكف عليه ، وكل إنسان تتفرق به السبل، ما دام قد انصرف عن البحث عن قبلة الروح ، هذا الخيال من بحث عن الذهب أو الدر أو الزهد والتزهد أو قطع الطريق ، أو الطبابة ، كل إنسان وما ينبعث من باطنه ، ذلك أنه إذا اختفت قبلة الروح أو الهدف الأسمى فإنما يبحث كل إنسان عن شفاء لعليل نفسه في ناحية ما .

(٣٣٥) : الساهرة المراد بها يوم الحشر إشارة إلى الآيات الكريمات ﴿ يقولون أءنا لمردودون في الحافرة ، أئذا كنا عظاما نخرة ، قالوا تلك إذاً كرة خاسرة ، فإنما هي زجرة واحدة ، فإذا هم بالساهرة ﴾ (النازعات ١٠-١٤) .

(٣٣٦) : الشموع الموجودة في الدنيا كناية عن الخيالات والاهتمامات الموجودة في الأبيات من ٣١٧ – ٣٢٧ .

(٣٣٨ – ٣٣٩) : النار الموسوية الإقبال : هي تلك النار الإلهية التي شاهدها موسى ﷺ على الجبل ، والتي نودي عندها ، وهي رمز للشهود الإلهي والدخول إلى الحقيقة .

(٣٤١) : شمع الظفر كناية عن معرفة الله سبحانه وتعالى بنور الله ، وكلما أفنى المرء نفسه فيه تحقق وجوده تحققا أكثر ، وظفر بالوجود الخالد .

(٣٤٢) : شمع السوء كل ما شغل عن الحق من اهتمامات وخيالات مذكورة آنفا ، وكل ما شغلك عن الحق هو طاغوتك .

(٣٤٤ – ٣٤٥) : احتراق الشموع غير الحقيقية كناية عن فناء كل ما يشغل الإنسان عن الهدف الأسمى .

(٣٥٠) : الأعزاء هم الصوفية ، واللا صوب أو اللا مكان هو ما لا تحده جهات الدنيا .

(٣٥٣) : ديدن الصوفية هو على غير ما تعارف عليه أهل الدنيا ، والصوفى لا يمزق القباء إلا وجداً ، والوجد هو قمة الشعور والإحساس الصوفى ، فكأنه يبلغ بالتمزيق ما لا يبلغه غيره بالرتق .

(٣٥٤ – ٣٥٥) : الحكاية المذكورة هنا واردة في مقالات شمس الدين التبريزى: مزق جبته ، وقال : وافرجاه فسميت الجبة الممزقة فرجية (مقالات شمس ، ص ٢٩٥ من طبعة محمد على موحد طهران ١٣٦٩هـ – ش، مآخذ / ١٦١) وربما يمزق الصوفى قباءه وجدا ، ومن ثم شاع لبس الجبة الواسعة ذات الأكمام الواسعة والتى لا ياقة لها والرسم السائد عند المولوية أن يلبس الشيخ خرقة ذات أكمام ، أما المريد فجبة بلا أكمام . ثم سميت فيما بعد بالخرقة (جلبنارلى 72-73/5) .

(٣٥٦) : ثم يعود مولانا ويقول إنه لا حاجة للصوفية بالألفاظ والألقاب والرسوم ، فكلها كدر ، والصوفى لا يهمه إلا الصفاء .

(٣٦٢) : الجبة هنا هى الوجود ، وهى الجسد ، وهى النفس فبدون تمزيقها لا يتأتى الصفاء الحقيقى .

(٣٦٣ – ٣٧٠) : إياك أن تظن أن التصوف هو الخرقة وما إليها ، إنك إن ارتديت الخرقة هادفا ذلك الصفاء الذي ينبغى أن يتميز به الصوفى . يجمل بك ذلك ، لكن إذا انتقلت سريعا من الخيال والوهم، إلى الحقيقة لم تعكف على الانتقال من خيال إلى خيال ومن وهم إلى وهم

وكل وهم يسد الطريق أمامك ويقول لك : قف هنا ، إنك قد وصلت ، فتظن أنـك وصلت مـن حيث قصلت . والملك الحقيقى هو الذي لا تسيطر عليـه هـذه الخيـالات والأوهـام ، إنـه يبدى هيبة الملك وينطلق في طريقه وهو يعرف هدفه تماما .

(٣٧٢ - ٣٨٩) : ترى ما هو سر الجمال وسر العظمة الموجودة فى هذا العالم ، الذي نسميه عالم الوجود ، ما الذي فيه ويجذبنا إليه كل هذا الانجذاب ؟! يجيب مولانـا جـلال الديـن على هذا السؤال إجابات مختلفة ، ففى الكتاب الثالث ، يرى أن كل سعادة نابعة مـن القلـب ، لطـف اللبن والعسل ، إنما ينبـع مـن القلـب ، ومـن ثـم ، فـالقلب هـو الجوهـر ، والعـالم كلـه عـرض بالنسبة له ، هو الحقيقـة وكـل مـا سـواه ضـلال (انظـر جعفـرى ٧ فـي شـرح الكتـاب الثـالث الأبيات ٢٢٤٦ وما بعدها) . الإجابة الثانية هى ما يوجد بالأبيات التى بين أيدينـا، إنهـا جرعـة من كأس الجمال الإلهى صبت على هذا التراب القبيح كما يصب الكرام جرعة على الأرض :

شربنا وأهرقنا على الأرض جرعة ولـلأرض من كأس الكرام نصيب

ومن هذه الجرعة التى تبلغ عشر معشار الجمال الحقيقـى يوجـد كـل مـا فـي عـالم الكـون مـن جمال ، مجرد صدى من الجمال الحقيقى انعكاس نـور الشـمس علـى الجـدران الصمـاء ، كمـا ورد في الكتاب الثالث ، وعند سعدى الشـيرازى يظـل معـدن الجمـال هـو الإلـه نفسـه ، وهـو معنى تكرر عند مولانا جلال الدين أيضاً يقول سعدى :

إننى سعيد من الدنيا لأنها تتضرت من هو وأنا عاشق لكل العالم لأن كل العالم منه

(عن جعفرى ١١/١٩٦ - ١٩٧)

(٣٩٠ - ٣٩٢) : جرعة الجمال التى صبت على الحمأ المسنون هى كما هو واضح الـروح ، والجرعة الأخرى هى التوفيق الإلهى للخلاص من تبعات الحمأ المسنون .

(٣٩٥) : الطـاووس ذو اللونين هـو رجـل الجـاه والمـال والدنيـا يتجلـى بمظهـره فيخلـب اللـب وينظر إلى باطنه فإذا هو كساق الطـاووس .

(٤٠٠ – ٤١٠) : وهناك من البشر من هم على مثال الطاووس ، إنهم يهتمون بظواهرهم ، فظاهرهم خلاب ، كلامهم سلس ولين ، ودودون ، إن كل هذه شباك يصيدون بها الخلق ويمضى عمرهم ، ويقترب من نهايته ، وهم مغترون بأن " معارفهم كثر " ، وأصدقاءهم (فى كل مكان) ، فما فائدة صيد الخلق ، إنك إنما ألقيت بنفسك قي شباكهم ، ولم تصد في النهاية شيئا ينفع ، إنه أشبه بصيد الخنازير ، لقد ربيت في نفسك الكبرياء ، الناس مخدوعون بك ، وأنت مخدوع بنفسك .

(٤١١ – ٤١٧) : لقد صرفك غرامك بصيد الخلق عن الاهتمام بصيد العشق ، لكن العشق لا يصاد ، بل يصيد ، فدع كونك صيادا إذن وانقلب إلى صيد، والملوكية الحقيقة في العبودية لله والملوك الحقيقيون هم أولئك الذين ملكوا أنفسهم وسيطروا على شهواتهم فوجدوا الملك الإلهى أما ملوك الدنيا فما أشبههم بقبور الكفار ، ظاهرها جميل ، لكن في باطنها غضب الله عز وجل ، نفس الأبيات التى ذكرها محمد إقبال وهو يصور الحضارة الغربية ، (كبرياء وعنجهية وتسلط وظاهر خلاب ثم قهر الله عز وجل) .

(٤٢٢ – ٤٢٣) : النار هنا هى نار الطاعات والمجاهدات وترك الأهواء على فحوى حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات ، ونهر الكوثر هنا ، رمز للشهوات تطير في عيون أهل الدنيا كأنها مياه الكوثر فيعرضون عن الطاعات وهى في الحقيقة الكوثر ويرغبون في الشهوات التى هى في الحقيقة نار ، وهذا هو اللعب المعكوس (مولوى ٥/٦٨) وهذا أشبه بقول ابن الفارض :

فإحياء أهل الحب موت نفوسهم ‏‏‏ وموت قلوب العاشقين مصارع

وربما استند هنا مولانا على قول منسوب للإمام على ﷺ : " سبحان من اتسعت رحمته لأوليائه في شدة نقمته واشتدت لأعدائه نقمته في سعة رحمته " (انقروى ٥/١١٩) وقوله تعالى ﴿ الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا ﴾ (الملك /٢) .

(٤٥١) : إشارة إلى الآية الكريمة ﴿ وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال ﴾ (إبراهيم /٤٦) .

(٤٥٤) : في النص " خوش جواز " وقد ترجمتها " أحل الطيبات " ، أي اجازها . وروى استعلامي حديثا هو : قال رسول الله ﷺ : كان من خلقي الجواز " (٥/٢٣٤) أما عن العقل : عن عائشة رضي الله عنها قالت : سألت رسول الله ﷺ: بم يتفاضل الناس في الدنيا؟ قال ﷺ : بالعقل ، قلت : وفي الآخرة ؟ قال : بالعقل . قلت : أليس ما يجزون بأعمالهم ؟ قال : يا عائشة وهل عملوا إلا بقدر ما أعطاهم الله من العقل، وبقدر ما أعطوا من العقل كانت أعمالهم وبقدر ما عملوا يجزون ، وقال ﷺ : إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم ولا يتم لرجل حسن خلقه حتى يتم عقله فعند ذلك تم إيمانه وأطاع ربه ، وعن أبى سعيد الخدرى ، قال ﷺ : { لكل شئ دعامة ودعامة المؤمن عقله بقدر عقله تكون عبادته } (انقروى ١٢٦/٥) .

(٤٥٩) : بشأن مناقشة قضية تفاوت العقول من الفطرة انظر الكتاب الثالث الأبيات من ١٥٤٠ وما بعدها وشروحها .

(٤٦٧ – ٤٧٥) : ليس المقصود بالأمر أمر إقبال وحظ وأن الأمور تجرى بالمصادفة بل الأمر كله من عطاء الله ومن توفيقه . فليس عليك أن تعتمد على عظمة عقلك الجزئى ، فهذه العقول الجزئية لا قيمة لها إلى جوار العقل الكلى ، والحل هنا هو التواضع والتسليم ومعرفة أن قدرة الخلق مهما عظمت إلى حدود، وأن مكر الإنسان لا يساوى شيئاً إلى جوار مكر الله، وإن الأمر منوط بالدعاء والضراعة والدموع ، فقلل اعتبار القوة هنا ذات فعل أو أثر .

(٤٦٩) : المقصود بأن تجد النبوة في الأمة ، أن تجد المشيخة ورتبة الإرشاد ، فالشيخ في قومه كالنبى في أمته .

(٤٧٧) : الحكاية التى تبدأ بالبيت من الحكايات المشهورة في التراث العربى ، ولم يلتفت إليها فروزانفر في "مآخذ قصص وتمثيلات مثنوى" ، ونظمها شاعر مصرى معاصر . والبيت المذكور لأبى العموش الأسدى ورد في الميدانى (٢١٦/٣) من تحقيق أبى الفضل إبراهيم ،

دار الجبل . والشاعر المعاصر المصرى الذي نظمها هو حافظ إبراهيم وأشار إلى أنها مثل ، ولم أجد هذا المثل على طول ما بحثت عنه ، يقول حافظ في قصيدته في الدعوة إلى الجامعة المصرية :

ودونكم مثلا أوشكت أضربه ∴ فيكم وفي مصر إن صدقا وإن كذبا

سمعت أن امرءًا قد كان يألفه ∴ كلب فعاشا على الإخلاص واصطحبا

فمر يوما به والجوع ينهشه ∴ نهشا فلم يبق إلا الجلد والعصبا

فظن يبكي عليه حين أبصره ∴ يزول ضعفا ويقضي نحبه سغبا

يبكي عليه وفي يمناه أرغفة ∴ لو شامها جائع من فرسخ وثبا

فقال قوم وقد رقوا لذي ألم ∴ يبكي ، وذو ألم يستقبل العطبا

ما خطب ذا الكلب ؟! قال الجوع يخطفه ∴ مني ، وينشب فيه النار مغتصبا

قالوا وقد أبصروا الرغفان زاهية ∴ هذا الدواء فهل عالجته فأبى

أجابهم ودواعي الشح قد ضربت ∴ بين الصديقين من فرط القلى حجبا

لذلك الحد لم تبلغ مودتنا ∴ أما كفى أن يراني اليوم منتحبا

هذي دموعي على الخدين جارية ∴ حزنا وهذا فؤادي يرتعي لهبا

(ديوان حافظ إبراهيم ، ص ١٦١ – ١٦٢ ، جـ ٣ ، المطبعة الأميرية ، مصر ١٩٤٨ ، تحقيق أحمد أمين ، أحمد الزينى ، إبراهيم الابيارى).

كما علق عليها شاعر قديم ببيت شعر جرى مجرى الأمثال :

لا ألفينك بعد الموت تندبنى ∴ وفي حياتي ما زودتني زادى

والحكاية تبين نوعا من البشر يوجد في كل زمان ومكان ، ذلك الذي لا يتجاوز تعاطفه الكلمات الرنانة وذرف الدموع وإعطاء الكلام حقه والتفجع ما ينبغي له ، لكنه لا يتجاوز هذا الأمر نحو أي نوع من الفعل ولو كان قادرا عليه ، فرسان الكلام وأبطال المقال هؤلاء كانوا

يثيرون مولانا جلال الدين ويشحذون مقدرته على السخرية ، وهؤلاء لا يكذبون على البشر فحسب بل يكذبون على أنفسهم قبل أن يكذبوا على الخلق .

(٤٨٦ - ٤٩١) : هذا الصنف من الناس مستعد لكل ما ليس من شأنه أن يجعله ينفق شيئاً أو يبذل جهداً ، إنه يظن من خسته أن الدمع أرخص من لقمة الخبز ، مع أن الدمع هذا دم تحول إلى ماء ، إن الدمع الحقيقي والبكاء الحقيقي يجعل السماء نفسها تبكي معه ، تتضرع إلى الله سبحانه وتعالى أن يقبل ضراعته ويقبل بكاءه مصداقاً للحديث النبوي : { بكت السموات السبع ومن فيهن ومن عليهن والأرضين السبع ومن فيهن ومن عليهن لعزيز ذل ، وغني افتقر } ، لكن الذي لا يبذل وجوده في سبيل الله هو من قال الله في شأنه : ﴿ فما بكت عليهم السماء والأرض ﴾ .

(٤٩٢ - ٤٩٥) : النحاس العابد للهمة هو الإنسان عندما يدرك جوانب نقصه ويحس بالانكسار ويعرض نفسه على كيمياء التبديل فيتضرع تاركا جوانب المكر والاحتيال ، والحول والطول مسلماً نفسه لكل ما تأمر به الإرادة الإلهية .

(٤٩٩ - ٥٠٠) : جناح طاووسك هو عجبك وكبرياؤك وحولك وقوتك وما يبدو أنه وسائل في يدك وهو ما تراه جميلا في وجودك جديراً بأن ينظر إليه الناس ، بل انظر إلى القدم من هذا الطاووس إلى ألوان قبحك وضعفك واحتياجك وانكسارك ولتخش على الأقل وأنت تعرض جوانب القوة فيك من نظرات الحاسدين ، واقرأ الآية الكريمة ﴿ وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون إنه لمجنون ، وما هو إلا ذكر للعالمين ﴾ (القلم ٥١/٥٢) . قال البيضاوي : والمعنى أنهم لشدة عداوتهم ينظرون إليك شذرا بحيث يكون يزلقون قدمك ويرمونك من قولهم نظر إلي نظرا يكاد يصرعني، أو انهم يكادون يصيبونك بالعين ، إذ روى انه كان في بني أسد حاسدون فأراد بعضهم أن يعين رسول الله ﷺ أي يصيبه بالعين ، فنزل ، وفي الحديث : إن العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر .

(٥١٢ – ٥١٤) : والأمور كلها موكولة إلى القضاء لكن الأمر يكون في حاجة إلى سبب ، فالعين حسودة تصيب مثلما تكون الساقية ، ظاهرة في دوران الماء لكن الماء هو الذي يديرها. ومن الممكن أن تقف عين المرشد الطيبة أمام العين الحسودة ، فالعين الطيبة من الرحمة ، والعين الحسودة من النقمة .

(٥١٧ – ٥٢٤) : عودة إلى قصة سيدنا إبراهيم ﷺ فحرص البط حرص إلى الطعام ، وحرص الطاووس حرص إلى الزينة والشهرة والكبرياء ، والعجب والتفاخر ، وهذا المقصود، بإضعاف الحرص إلى الطعام ، وإذا كنت تريد مثالا لزلة البطن والباه فانظر إلى آدم، إن زلته تنزل وليست كبرياء إنها مرض لكنها ليست كزلة إبليس ، كبرياء وعجب وحرص على الرئاسة ، وفي الحرص على الرئاسة أنواع من الأمراض النفسية تزيد على هذا الأمر زيادة كبيرة ، إنه يصل إلى مرحلة الشيطنة نفسها ، بل قد يزيد ويصبح طامعا في مقام الألوهية ، فالمال حية والجاه أضر منها .

(٥٢٦ – ٥٣٠) : إن عشق الجاه والسلطة ليس مجرد شهوة بسيطة إلى الطعام أو إلى النساء، لا تلبث أن تطفأ ، لكنها شهوة لا تشبع ، إذ لا نهاية لها ، إن كل متجبر جبار ، يكون كالنار تأكل كل شئ ، والطاغية يكون دائما في حاجة إلى وقود لناره هذه ، ومن هنا فهو يفتك بكل من يتصور أن ينازعه حتى لو كان ابنه ، ومن هنا قيل : " الملك عقيم " ، ويمضي مولانا مع سيكولوجية الطغيان إلى نهايتها ، فالطاغية كالنار والنار تأكل نفسها إن لم تجد ما تأكله .

(٥٣١ – ٥٣٤) : إن من العصمة ألا تجد " في طلب البسطة لا تجتهد " هكذا قال مولى المتقين على كرم الله وجهه ، فما دمت لا تملك شيئاً ، ولا تتصدر وتبدى رأسك فلن تصير هدفا للسهام ، إن جبارى الأرض لا ينتبهون إلا إلى أولئك الذين ينتظرون منهم الخطر ، وما دمت متواضعا فلن تثير خوفا من طاغية ، (انظر أيضاً شروح الأبيات ٧٧٨ – ٧٨٩ من الكتاب الثالث).

(٥٣٦) : الحكاية التى تبدأ بهذا البيت كما قال فروزانفر مأخوذة من أبيات للشاعر سعد الدين شرف الحكماء كافى البخارى :

رأيت طاووسا يقتلع جناحه . قلت له : لا تفعل فإن جناحك جميل ذو بهاء .

فبكى بكاء مرا وقال لى : أيها الحكيم ألست عالما بأن عدوى اللدود هو جناحى هذا ؟! (مآخذ /١٦١-١٦٢) . والواقع أن الفكرة تكاد تكون عامة وشائعة ، وقد تناولها مولانا بشكل أقل تفصيلا في الكتاب الأول : (الأبيات ٢٠٩-٢١٢) نعم ، إن مقتل المرء في موضع الجمال فيه وفي موضع القوة فيه ، وإلا فمن الذي يقصد الضعفاء بسوء ، وأقوى عضو في الإنسان هو الذي يصاب بأخطر الأمراض .

(٥٤٢ - ٥٤٨) : يقابل مولانا جلال الدين بين سلوكين في الطريق ، سلوك الدلال ، وهو مستهجن ، لأنه فيه يكمن الخطر . فمهما كنت معززا مكرما عند المليك ، فإنه يريد منك الضراعة وشكر النعمة . لا التدلل . والخروج عن هذه النعمة ، فإن هذا من الكفران ؛ الله لا يقول لك : اخرج عن النعمة التي انعمتها عليك ، بل يقول لك إياك أن تخرجك هذه النعمة عن طورك ، فأين العفة إن لم يكن ثم إغراء ، وأين الإنفاق إن لم يكن ثم كسب ، وأين الاعتصام إن لم يكن ثم إغواء ، وأين الجهاد إن لم يكن ثم حرب (انظر الأبيات ٥٧٤ - ٥٨٢ من هذا الكتاب) .

(٥٤٩ - ٥٥٢) : ﴿ إن الله فالق الحب والنوى يخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى ذلكم الله فأنى تؤفكون ﴾ (الأنعام /٩٥) إذا كانت الأشياء تخرج من أضدادها ، والوجود يخرج من العدم ، فكن ميتا لتحيا وعدما لتصبح موجوداً ، تواضع لكى تجد الرفعة ، فكيف ينبثق منك النهار دون أن تكون ليلا ، والربيع دون أن تكون في البداية شتاء ، وفي تفسير صوفى لنجم الدين كبرى : يخرج القلب الحى بنور الله من النفس الميتة عن صفاتها وأخلاقها الذميمة إظهاراً للطفه ورحمته ، ويخرج القلب الميت من الأخلاق الحميدة الروحانية من النفس

الحية بالصفات الحيوانية الشهوانية إظهارا لقهره ويحيى الأرض بعد موتها ، وكذلك تخرجون من العدم إلى الوجود، (مولوى ٥/٨٧)، ويضيف السبزوارى "على ما جاء فى قول أفلاطون : مت بالإرادة تحيا بالطبيعة" (سبزوارى / ٣٤١) .

(٥٥٧ – ٥٥٨) : ليس المقصود بالطبع النهى عن الفكر على أساس أنه هو الذى يخرج النفس المطمئنة عن اطمئنانها، بل الخواطر الفاسدة والفيهقة والتزيد والتنطع وتصنع الفكر ومناقشة ما لا يناقش ، كلها أمور تعكر صفو النفس المطمئنة هذا هو الجدال فيما نهى عن الجدال فيه، إنها كلها كأنها أظافر مسمومة ، ووجه الروح الجميل يخمش منها بعمق ، ويروى يوسف بن أحمد حديثا: " إياكم والتعمق في الدين، فإن الله تعالى قد جعله سهلا فخذوا منه ما تطيقون " . والحديث المروى هو : { إياكم والغلو في الدين فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين } . (٥/٨٩) والنفس المطمئنة في تعريف لنجم الدين الرازى هى نفوس الأنبياء والأولياء وهى في الصف الأول في عالم الأرواح (مرصاد العباد ٣٦٩)

(٥٥٩ – ٥٧٠) : إن كل هذه العقد والمشاكل التى تطرحها الفلسفة لكن تطرح لها الحلول لا طائل من ورائها إلا تضييع العمر ، إن العقدة الحقيقية والمشكلة الأولى التى ينبغى أن يطرحها الإنسان على نفسه ، هى : هل هو شقى أو سعيد ؟ هذا هو المشكل الوحيد حقيقة ، فالفكر المجرد ، والمشاكل المجردة التى تطرحها الفلسفة وإن أثرت تاريخ الفكر الإنسانى ، إلا أنها حقيقة لم تسهم بدور يذكر في حل المشاكل الحقيقية التى تواجه البشرية ، إنها حرب تدور في مخايل المفكرين والفلاسفة حول مشاكل مجردة حول الوجود والماهية وما إلى ذلك (جعفرى ١١/٢٣٦) إن كل الأعيان والأعراض ذات حدود معلومة ، لكن أي حد يمكن أن يستوعب روح الإنسان التى جاوزت كل الحدود ، أليست في النهاية روحا ربانية " وليس هناك شأن ليس فيه شأنه " ، (سبزوارى /٣٤١) ، فالموجود المطلق هو الموجود بوجود الله وبإيجاد الله والباقى المطلق هو الباقى ببقاء الله وبإبقاء الله ، وهو القادر على الوصول إلى اللامحدود أي

مرتبة " لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل " ، وأين من هذا طوائف المشتغلين بالدليل ، والقياس والاستنباط ، والأسباب والوسائط والاستدلال بالصنع على وجود الصانع ؟ كل هذا من قبيل الجهل الذي يدفع الجاهل إلى البحث عن الشمس الساطعة على أضواء الشموع (سبزواري /٣٤٢) والصفي يمضي إلى لب الحقيقة دون وسائط (عن الفرق بين أسلوب الفلسفي وأسلوب الصفي ، انظر الكتاب الأول ، الأبيات ٢١٦٢ و ٣٢٩١ و ٣٢٩٦ وشروحها والكتاب الرابع الأبيات ٢٨٣٤ وما تلاه وشروحها) .

(٥٧٤ – ٥٨١) : عن أنس قال : توفي لعثمان بن مظعون رضي الله عنه ابن ، فاشتد حزنه عليه حتى اتخذ من داره مسجداً يتعبد فيه ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال له : يا عثمان إن الله تبارك وتعالى لم يكتب علينا الرهبانية ، إنما رهبانية أمتي الجهاد في سبيل الله " ، ليس في الإسلام عفة بخصي ، أو جهاد بغير عدو ، وكيف يمكن معرفة صمودك أمام الإغواء ، إن لم يكن إغواء ؟! إنما يكون الجهاد بقدر ما يكون العدو ، ويكون الانتصار بقدر مرارة الحرب ، وكيف يبين الإنسان الصبر إن لم يكن هناك ما يصبر عليه أو يتصبر عنه ؟! وكيف يمكن معرفة صدق المرء إن لم يتعرض للابتلاء ؟! وبقدر المشقة يكون الجزاء. ليس المطلوب أن تقتلع الطبيعة من نفسك بل أن تقاومها !!

(٥٨٦ – ٥٩٩) : من الحديث القدسي : " من عشقني عشقته ومن عشقته قتلته ومن قتلته فعلي ديته ومن علي ديته فأنا ديته " (سبزواري / ٤٤٣) . أورده فروزانفر (أحاديث مثنوي / ١٣٤) من أحبني قتلته ومن قتلته فأنا ديته ، عن المنهج القوي ٣٩٨/٤ . وعن العشق عد إلى الكتاب الثالث ، الأبيات ٣٨٣٠ وما بعده وشروحها وثمة فرق شاسع بين تعبيره هناك وتعبيره هنا ، وبقدر الوجد يكون التعبير عن العشق ، إنه يعبر هنا عن أفكار شديدة المباشرة ، فالعشق نار يحرق كل ما سواه ، وسيف " لا " في عبارة " لا إله إلا الله " ، هو الذي يحرق كل شئ ويقضي على كل شئ ، فلا يبقى " إلا الله " ، وكل أنواع الحسن في العالم انعكاس

للحسن الإلهي ، بل إن الحسن الإلهي هو بمثابة الروح لأنواع الحسن أو بتعبير ابن الفارض :

وكل مليح حسنه من جمالها معار له بل حسن كل مليحة

(انقروى ٥/١٥٩) . وما تفرق الناس خلف كل لذة يظنونها إلا لأنهم ابتعدوا عن هذا الجمال الحقيقي ، ولم لا ، إن أي جمال بالنسبة له كالدخان بالنسبة للنار ، ومن لم ير عدالة عمر بن عبد العزيز يظن الحجاج بن يوسف عادلا ، والطائر أو الروح التي لم تعرف العشق الخالص، إنما تطوف حول العشق المجازى وهو بمثابة الماء المالح بالنسبة للماء العذب .

(٦٠٠ – ٦٠٣) : ومن هنا فأنت في هذه الدنيا حتى تعرف قيمة الجنة والدار الآخرة وهي الحيوان لو كنت تعلم وما حياتك فيها عندما تدرك ما وراءها إلا كالقائم بنخل التراب عسى أن يجد فيه فتات رزق ، وأنت هلوع من الموت نفور من ذلك العالم الطاهر ، لازلت متمتعا في السجن مع أنك تدعى الإيمان ، وما الدنيا إلا "سجن للمؤمن " .

(٦٠٥) : قال السيوطى في كتاب بشرى الكئيب بلقاء الحبيب ، أخرج النسائى عن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله ﷺ : " ما على الأرض نفس تموت ولها عند الله خير تحب أن ترجع إليكم ولها نعيم الدنيا وما فيها " (مولوى ٥/٩٨) . ونقل جعفرى عن انقروى (ولم أجدها عند انقروى) ما من أحد يموت إلا ندم ، إن كان محسنا ندم ان لم يكن ازداد (؟) وإن كان مسيئاً ندم ألا يكون نزع " (جعفرى /١١-٢٤٨) .

(٦١٢ – ٦١٩) : عودة إلى حوار الطاووس مع الحكيم ، لقد اقتنع الطاووس بقول الحكيم ، وهنا هو يحار جوابا فيبكى بكاء مراً ، إنه بكاء ذلك الذي فصل من حيث أراد الوصل وأبعد من حيث أراد القرب ، وهو البكاء الجدير بأن يثير بكاء الأرض وبكاء السماء ، والعقول والقلوب تبكى لأنها منسوبة إلى العرش ، ومن ثم فهى من معدن الرحمة .

(٦٢٠ – ٦٢٤) : يتكرر مثال هاروت وماروت كثيرا في مثنوى مولانا (الكتاب الأول : الأبيات ٣٣٣٤ وما بعده ، الكتاب الثانى ، الأبيات ٢٤٧٥ما بعده والكتاب الثالث الأبيات ٧٩٦

– ٨٠٢) . ويدق مولانا على الموضع على أساس أن الإنسان يستطيع أن يتفوق على الملائكة مع أن الشهوة مركبة فيه ، لأن الملائكة أنفسهم لو ركب فيهم ما ركب في البشر ما استطاعوا مقاومته والمثال هاروت وماروت وتتضح هذه الفكرة فيما ورد في الكتاب الأول .

لقد كان حبس هاروت وماروت في جب بابل أشبه بحبس الروح والعقل في بئر الجسد والطبيعة ، ويتناول مولانا هنا تعلمهما السحر ، لقد كان تعلمهما إياه على سبيل الفتنة والامتحان ، ومع ذلك فهما يعلمانه للخلق لكن بعد تبصيره بأنه فتنة ، وهكذا فليس كل علم مما يتعلم لأى إنسان (انظر حكاية اسم الله الأعظم في الكتاب الثاني ، وحكاية تعلم لسان الطير والكلام في الكتاب الثالث)، ﴿وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر﴾ . ويعارض الانقروى بعض أجزاء الرواية الخاصة بوقوعهما أي الملكين على امرأة تسمى زهرة ، وإنها صعدت معهما إلى السماء فتعلمت السحر إلى آخره ، فهذا نقلا عن القاضى البيضاوى مروى عن اليهود أي أنه من الإسرائيليات ، كما نقل عن الفخر الرازى ، إن هذه الرواية فاسدة مردودة ليس في كتاب الله ما يدل عليها بل فيه ما يدل على خلافها من وجوه ، الأول : ما فيه من الدلائل الدالة على عصمة الملائكة من كل المعاصى وثانيها : أن قولهم أنهما خيرا بين العذابين ممنوع إذ كان الأولى أن يخيرا بين التوبة والعذاب لأن الله تعالى خير بينهما من أشرك طول عمره ، فكيف يبخل عليهما بذلك ؟ وثالثهما : أن من أعجب الأمور قولهم إنهما يعلمان السحر حالة كونهما معذبين أما الإمام السيوطى فقد اعترف بصحة الرواية ، ويفرغ الانقروى إلى مثل ما علق به أحدهم على حاشية البيضاوى ، وهو – أى المعلق – بالتأكيد ذو مشرب صوفي وتفسيره أقرب إلى تفسيرات نجم الدين كبرى على القرآن الكريم ، المراد بأحد الملكين الروح الإنساني وبالملك الآخر العقل ووجه التعبير بالملكين إنهما مصدران لكل خير وهبوطهما إلى الأرض نزولهما من عالم الأنوار إلى عالم الطبيعة وبالمرأة المسماة بالزهرة هى النفس الأمارة بالسوء وتعشق الملكين بها ابتلاء الروح والعقل بالنفس

الأمارة بأنهما انقادا لأمرها بالشرور وبكونهما محبوسين في بئر بابل ابتلاء الروح والعقل بجب البدن الترابى وبكونهما معذبين في البئر إلى يوم القيامة عبارة عن ابتلائهما بالكدورات البشرية إلى الموت فإنهما يتجردان عند خراب البدن فيعودان إلى عالم الأنوار (انقروى ٥/١٦٧-١٦٨) وواضح أن مولانا في المثنوى طابق هذا التفسير تماما .

(٦٢٥ - ٦٤٠) : انعدام الوسيلة خير بالنسبة لمن لا يستطيع المقاومة ، والخير والشر كلاهما كامن في النفس البشرية ، وكلاهما مستعد للحركة عند الدعوة ، والفكرة تتكرر عند مولانا بشكل أو بآخر ، (مثلها الأكثر وضوحا في الكتاب الثالث ، حكاية صياد الحيات والحية التى ظنها ميتة لكنها كانت متجمدة حركتها شمس الفراق ، وهى رمز للنفس المتجمدة التى لا تجد الوسيلة لكنها إن وجدتها فهى أسد هصور) وهذه النفس هنا مثال الكلاب النائمة الهامدة ، لأنه ليس هناك ما يحرك شهوتها ، حتى إذا نفق حمار في الحارة استيقظت فيها كل صفاتها السبعية ، أو كالبزاة عندما تخاط عينها فلا تفتح إلا على الصيد ، أو كشهوة المريض إلى الطعام ، عظيم ، إن كنت قادرا فتعرض للامتحان ، ولكن إن لم تكن قادرا ، فأولى بك أن تترك كلاب البدن نائمة .

(٦٤٧) : روى عن ابن عمر فى الجامع الصغير أنه ﷺ قال : ثلاث مهلكات وثلاث منجيات وثلاث كفارات وثلاث درجات، فأما المهلكات فشح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه، وأما المنجيات فالعدل في الغضب والرضا والقصد في الفقر والغنى ، وخشية الله في السر والعلانية ، وأما الكفارات فانتظار الصلاة بعد الصلاة وإسباغ الوضوء في السرات (الغدوات الباردات) ونقل الأقدام إلى الجماعات وأما الدرجات فإطعام الطعام وإفشاء السلام والصلاة بالليل والناس نيام " (مولوى ٥/١٠٣) ، جامع ١/١٣٨ .

(٦٥٠ - ٦٦٠) : إن لم تكن متقيا ، وإن لم تكن آمنا أنك في حفظ الله ، فدعك من الآلة ، وتخل عنها ، وهذا الجناح هو الآلة ، آلة عجبك وتيهك وغرورك ، إنه سلاح في يد طفل أو

في يد ثمل فانزع هذا السلاح ، وإلا وقع سلاحك في يد خصمك وقضى به عليك ، نعم : القوة لمن يستطيع أن يسيطر عليها لا لذلك الذي تسيطر عليه والسلطة كذلك .

(٦٧٠ - ٦٧٢) : هكذا يكون من خصمه نفسه التى بين جنبيه ، من يحمل بين جوانحه سلاحا يقضى عليه ، إنه يكون في هلع دائم ، ومن هنا كان ﷺ يقول : { اللهم إني أعوذ بـك مـن شـر نفسي } إن هذه النفس العدوة تكون تابعاً للمرء كأنها ظله ، وهل يستطيع الإنسان أن يهرب من ظله ؟! والنفس ظل في مقابل العقل والقلب اللذين هما بمثابة النور .

(٦٧٢ - ٦٨٢) : صاحب الفناء الذي اختار الفقر على الغنى والضعف على القدرة يكون نورا خالصا كمحمد ﷺ الذي كان نورا خالصا ومن ثم لم يكن لجسده ظل (جلبنارلي - 128/5) وهكذا لأنه ﷺ افتخر بالفقر فقال : " الفقر فخرى " وبه افتخر على كل الأنبياء ، صار نورا للدين وشمعا لليقين ، فهل هناك ظل للشمع ، الشمع بأجمعه نور ومن ثم فلا ظل له ، واللهيب محترق في الشمع ، والشمع محترق في اللهيب ، أي شمع وأى لهيب ؟ إننى أقصد هنا شيئا آخر فإياك أن تتصور الشمع الظاهرى ، إننى أقصد شمعا آخر هو شمعة الجسد التى تحتوى على نور الروح داخلها ، وكلما ذابت تجلى شعاع الروح كأعظم ما يكون التجلى ، ولا ظل للروح ، فمتى يكون النور الخالص ظل ؟!

(٦٨٣ - ٦٩٥) : ولأضرب لك مثلا آخر : من السحاب والقمر ، السحاب له ظل والقمر لا ظل له ، صحيح أن السحاب قد يغطى القمر لكن السحاب نفسه يظل قابسا من ضوء القمر ، فانظر إلى لطف القمر بالرغم من أن السحاب عدو له إلا أنه متمتع بنوره ، بالرغم من أنه حجاب عليه إلا أنه ينال نصيبا من نوره ، وهكذا رجل الله ، لا يمنع فيضه حتى عن العدو ، فهو لا ينقص لفيضه هذا ، لأن هذا الفيض يستمد من البحر الذى لا ينفد ، هذا النور الذى لا ينفد تستمد منه كل الموجودات نورها وإن كان النور أصيلا في القمر (النبى-الولى-المرشد) فهو عارية على كل من يستمد منه هذا النور .

(٦٩٦ – ٧٠١) : وفي القيامة ، تعلم أصل النور ، تعلم أن الشمس واسطة والقمر واسطة ، وتعلم أن كل ما تظنه أصلا إنما هو في الحقيقة عارية أظهرت الجمال الإلهى فترة من الزمن على هذه الموجودات الصماء الخالية من الجمال ، وأن معدن الجمال الحقيقى هو السبب في كل هذه الأنوار وهو أصلها ﴿ فإذا برق البصر ، وخسف القمر ، وجمع الشمس والقمر ، يقول الإنسان يومئذ أين المفر ، كلا لا وزر ، إلى ربك يومئذ المستقر ﴾ (القيامة / ٧–١٢) . حينئذ يضع الإنسان يده على الأم الحقيقية ، ويعلم أن الملك لله الواحد القهار ، وأن كل هذه التى كان يظنها في الدنيا " أمهات " هن مجرد حواضن مستأجرات من أجل نور مستعار ومن أجل حنان بالأجر . وشتان ما بين الحاضنة والأم (عن الحاضنة والأم انظر أيضاً الكتاب الثانى الأبيات ٢٩٨١–٢٩٨٣) .

(٧٠٢ – ٧٠٥) : الوسائط تزيد في الوسائط ، إن طلب النور من الأصل ، أو طلب اللبن من الأم لا من المرضعة هو أطيب بالنسبة للمريد السالك ، ويعتبر المولوية أن الوسائط هى بمثابة (انتظار القلب) فاطلب لطفه من لطفه ورحمته من رحمته ، ودعك من الوسائط فإنها حجب (جلبنارلى 129-130/5) .

(٧٠٥ – ٧٠٩) : ألا تصدق إنه من الممكن أن يكون مطر (رحمة) بلا سحاب (وساطة) . عد إذن إلى ما ورد في الكتاب الأول قصة عائشة رضى الله عنها وسؤالها المصطفى ﷺ قائلة إن السماء أمطرت اليوم عندما ذهبت إلى المقابر فلماذا لم تبتل ثيابك ؟! (البيت ٢٠٢٣وما بعده) أما السقاية من مطر ولا سحاب فانظر الكتاب الثالث ، الأبيات ٣١٣٠ وما بعدها وشروحها) ، وهكذا الأجساد إن استمدت النور من معدن النور بلا واسطة تنتفى عنها صفات الأجساد .

(٧١٠ – ٧١٨) : يقول الطاووس إن جناحى متعة للغير ، ورأسى هى من أجلى أنا ، فيها سمعى وفيها بصرى ، فكيف يضحى المرء برأسه من أجل متعة الغير ، إن هذا كفر مطلق، كيف تزين نفسك وتجعل نفسك كالسكر ، من أجل أن تأكلك الببغاوات ؟! لماذا تجعل نفسك كالجيفة يمدحها الكلاب بينما هم يلتهمونها ، لا، فلتكن نفسك مرا للحم حتى لا يأتى الصيادون نحوك ، اعبس أيها الشيخ حتى لا يجتمع إليك كل عاطل من أجل الاستمداد منك (انظر الكتاب الرابع ، الأبيات ١٠٢٥ وما بعده وشروحها) .

فهمت إذن لماذا خرق الخضر السفينة ؟! ولماذا فخر أحمد ﷺ بالفقر ؟! ولماذا توضع الكنوز في الخرابات ؟! إذا كنت لا تستطيع أن تقتلع عوامل قوتك وغرورك وعجبك فابتعد عن الناس إذن حتى لا يأكلوك ويمزقوك بددا ، وتصبح بين مخالبهم كالجيفة بين مخالب الكلاب .

(٧١٩ – ٧٢٥) : عن أن كل العالم آكل ومأكول ، انظر مقدمة الكتاب الثالث ، الأبيات ٣٧ وما بعده وشروحها . والمثال هنا عن اللص والمتاع والطويئر الذي يأكل الدود مكرر بنصه .

(٧٢٦) : إشارة إلى الآية الكريمة ﴿ قل أغير الله أتخذ وليا فاطر السموات والأرض وهو يطعم ولا يطعم قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين ﴾ (الأنعام /١٤) .

(٧٢٩ – ٧٣٤) : بل إن الأفكار والأوهام ، والخيالات في داخلك تنقسم بدورها أيضاً إلى آكل ومأكول ، فكل فكرة تتغذى على فكرة أخرى وكل خيال يتغذى على خيال آخر ، وفكرة أن الأفكار كالنحل ، والنوم كالماء ، تفسير لفكرة سبق ورودها في الكتاب الرابع (الأبيات ٤٣٥ وما بعده وشروحها) . هذه الخيالات والأوهام التى تطوف حولك كالنحل أو الذباب وتشتتك وتفرق خاطرك ، هى أقل الآكلين، فدعك منها، واهرب من أفكارك وخيالاتك إلى الله ، ولتجعل همك هما واحدا حتى يخلصك مصداقا لقوله تعالى ﴿ إن ربى على كل شئ حفيظ ﴾ (هود /٥٧) وقوله ﴿ فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين ﴾ (يوسف /٦٤) .

(٧٣٥ – ٧٤٥) : إن لم يكن ثـم عقل ، وإن لـم تكـن تستطيع أن تعرف الطريـق إلـى أرحـم الراحمين ، فعليك بمن وجدوا الحفظ ، ضع يدك فـي أيديهم ، فهذه هـى بيعتـك فـي زمـانك ، وسوف تكون بعدها من أهل البيعة التى وردت في الـقرآن الكريم ﴿ إن الذيـن يبـايعونك إنمـا يبايعون الله يد الله فوق أيديهم ، فمن نكث فإنما ينكث على نـفسه ومن أوفى بما عـاهد عليـه الله فسيؤتيه أجرا عظيماً ﴾ (الفـتح :١٠) بهذه البيعة تكـون قد حضـرت علـى نبـي زمـانك ، تكون قـد حضرت الحديبية ، وتكون من العشـرة المبشـرين بالجنـة ، هنـا تتحقـق لكـل المعيـة " فالمرء مع من أحب " كما يقول ﷺ ، وتنال الدنيا والآخرة معا . فمن تشبه بقوم فمنهم ومـن أحب قوما حشر في زمرتهم.

(٧٤٨ – ٧٥٣) : وإذا كنت تريد أن تتعظ وتعلم النهاية فـانظر إلـى مصـارع الفجـار ، وكفـى بموت الجار واعظا ، إنك لا ترى يد اللـه التـي فـوق كـل الأيـدى، إذن فـاعلم أن اللـه سبحانه وتعالى يُهلك بلا يد ، ويقمع بلا آلة ، وغدا يا منكر لوجوده ، تقر أثناء العذاب أنه موجـود ، ويا من تقول أنه بعيد ، تجأر بصوتك مناديا إياه مستنجداً قائلا " يا قريب " .

(٧٦١ – ٧٦٤) : لـقـد بقيت في الذنب واقعا في الفخ بحث إنك عندما فكرت أن تنجو ، كـان الفخ قـد التصق بك والتصق بجناحك ، فماذا أفعل ؟! وماذا ينبغى أن تفعل أنت إلا أن تستغنى عن هذا الجناح ، هيا ضح بالجناح من المال والجاه والمكنة والثروة كما يضحى الثعلـب بذيلـه من أجل أن يظفر بالخلاص ، وينجو . ها أنا أحدثك على قـدر عقلك ، وإلا فإن هناك وسـائل كثيرة ، لكنك لن تفهمها ، وربما تسئ فهمها ، فيزداد ضياعك ووقوعك في الفـخ ، هيـا اقطـع الحبال التى أحاطت بك ، حبال الحـرص والحسـد ، فحول نـفسك الأمـارة التـى تشـبه زوج أبى لهب في جدنها وحقـدها وحسدها ، حبلٌ من مسد ، فحطم هذه الحبال وانج .

(٧٦٨ – ٧٧٥) : إشارة إلى الآية الكريمة ﴿ قـال فـاهبط منهـا فمـا يكـون لـك أن تتكبـر فيهـا فأخرج إنك من الصاغرين ، قال انظـرنى إلى يـوم يبعثـون ، قـال إنـك مـن المنظريـن ، قـال

فبما أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم ﴾ (الأعراف /١٣ - ١٦) . إن أتباع إبليس يطلبون العمر الطويل لا لطاعة الله بل للانغماس في المعصية ، فكأنهم يطلبون زيادة ذنوبهم ، لقد خلقت لهم قرنى اعتداء ، وبدلا من أن يطلبوا من الله أن يخفف من ذنوبهم ، يطلبون إضافة قرنين آخرين ، وبدلا من أن ينادوا ﴿ قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾ (الأعراف / ٢٣) يطلبون العمر الطويل ، وليتهم يطلبون التوبة أو القرب أو حتى الموت حتى لا يزدادوا انغماسا في المعصية ، وتزداد ذنوبهم .

(٧٨١) : قال السبزوارى : تبديل الأعيان الثابتة من الثبوت إلى الوجود وتبديل الماهيات من النيس إلى الأيس ومن الظلمة إلى النور وتبديل الذوات في التكميلات من الطبع إلى النفس ومن النفس إلى العقل ومن العقل إلى المحو في الحق والطمس والمحق فيه (سبزوارى / ٣٤٨) .

(٧٨٤) : ﴿ ووجدك ضالا فهدى ﴾ .

(٧٨٥) : تجعل من المخلوقين من التراب سكان سماء من أمثال الأنبياء والأولياء ، والنجوم في الأرض هم الأنبياء والأولياء والمرشدين ، مصداقا للحديث النبوى { أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم } .

(٧٨٦) : كلما ازداد تمتع المرء بطيبات الحياة الدنيا ، كان الموت أسرع إليه ، حقيقة ازدادت ثباتا أخيرا ، فكأن المرء وهو منصرف إلى لذائذ الدنيا بنهم وهى أشبه بالسم أو بالمخدر ، يكون أسرع إلى هدم قواه وأسرع إلى الموت .

(٧٨٨ - ٧٩٨٥) : كون فناء الإنسان رقى له ، انظر الكتاب الثالث الأبيات ٣٩٠٢ - ٣٩٠٧ وشروحها . الكتاب الرابع ، الأبيات ٣٦٨٧ وما بعدها وشروحها حيث يدق مولانا على هذه الفكرة كثيرا إن الإنسان يفنى من حيث يريد البقاء ويبقى من حيث يظن الفناء ، وكلها خلق

من بعد خلـق دون واسطة وعليك أن تبقى حائرًا فالحيرة هى الطريق إلى المعرفة ، ومن هنـا قال بعض الصوفية " يا دليل المتحـيرين زدنـى تحـيرا " (انظـر عـن الحيرة الكتـاب الثـالث ، الأبيات ١١١٦ وما بعدها وشروحها) .

(٨٠٢ – ٨٠٦) : إنك على وعى تام بهذه المراحل وتحسها فيك ، فأنت جامع الجماد والنبـات والحيوان (انظـر ناصـر خسرو ، جامع الحكمتين ، الترجمة العربيـة لكـاتب هـذه السـطور ، ص ٣٧٧ وما بعدها ، وانظر الكتاب الرابع- مقدمة الترجمة العربية لكاتب هذه السطور) لكن إلى مرحلة معينة، إلى البر ،إلى عالم الخلـق ، لكن بداية من مرحلة عالم الأمـر تبدأ منـازل البحر الذي لا يدرك ساحله ، فبحر الحقيقة أو بحر الوحدة ليس فيه علامة أو مرتبـة أو منـزل ، أصل منازله ليست على نسق منازل الأرض ذات السقوف والأبواب ، ولا أسماء لهـا ، ولا علامات فيها ، فالأسماء والعلامات والأوصاف كلها أمور جديـرة بعـالم الخلـق ، إن المنـزل الواحد فيها بكل المنازل التى قطعتها بين مرحلة النماء ، ومرحلة تحولك إلى عين من الأعيان ، فـتخيل إذن قيمة ما لا تعرف بنظرتك إلى ما تعرف وعجبك به على قلته .

(٨٠٩) : كل سنة جديدة أفضل لك من ثلاث سنوات قـديمة يعنى أن عطاء المبدل الذي يخلـع عنك الـقـديم يعوضك عنه بجديد يفوق هذا الـقـديم في كل شيء ، خلـقا من بعد خلـق ، في أحسن تقويم ، فانظر دائمـا إلـى الأمـام ، ولا تنظـر إلـى المـاضي وإلـى الخلـف ، فعطايـا اللـه سبحانه وتعالى في ازدياد كما ، وفي تحسن كيفا ، وإن لم تكن لتصدق ، فانظر إلى ماذا كنـت وكيف أصبحت ، لكى تستطيع أن تتخيل إن سرت على نـفس الجادة ، إلام ستصير ؟!!

(٨١٧ – ٨٢١) : ليست هذه قيمتك ، وليس هذا مكانك ولا يليق بك أن ترضى بما أنت عليـه من قبح ، لست قبيحا لكنك من معـدن الجمـال ، لسـت مـن الأرض بـل مـن الجنـة ، فـلا تقنـع بالأرض وليكن سعيك إلى تمام الدائرة ، وطى قوس الصعود ، حتى تتـم الدائـرة ، وإلا فـأنت في عذاب حقيقى ، عذاب لوجودك في غير بيتك ، وفي غير المحيط الجديـر بـك ، وفـي غيـر

النجو الحقيقى الذي ينبغي أن تعود إليه ، ومن هذه أنت جدير بالرحمة وبالشفقة .

(٨٢٢ – ٨٣٢) : نعم أنت جدير بالرحمة والشفقة على موجب الحديث الشريف ارحموا ثلاثا ، عزيز قوم ذل وغني قوم افتقر وعالما لعبت به الجهال) أي استهزءوا عليه (انظر أحاديث مثنوى ١٥٦ وفي رواية انه من أقوال الفضيل بن عياض) . وهو أشد الغرباء ، قال ﷺ أحب العباد إلى الله تعالى الغرباء قالوا من الغرباء يا رسول الله ؟! قال : الفرار بدينهم يجتمعون مع عيسى بن مريم يوم القيامة . قال شيخ الإسلام : الغريب حالا هو رجل صالح في زمان فاسد بين قوم فاسدين أو عالم بين قوم جاهلين أو صديق بين قوم منافقين وهذا من الغرباء الذين طوبى لهم على موجب قوله ﷺ (إن الدين بدأ غريباً وسيعود كما بدأ فطوبى للغرباء) قال شيخ الإسلام غربة العارف هى غربة القربة لأنه غريب في الدنيا والآخرة (مولوى ٥/١٢٨) وعن على ﷺ : ثلاثة يُرحمون عاقل يجرى عليه حكم جاهل، وضعيف في يد ظالم قوى ، وكريم قوم احتاج إلى لئيم . (جعفرى ١١/٢٩٥) . والأوصاف كالأجساد من اتصف بشيء غير مشهور في مجتمعه نبذ من هذا المجتمع ، ومن فقد صفة من صفته فكأنما فقد عضوا من جسده ، ونحن جميعا نعانى ؛ لقد شربنا كأس الميثاق ومعاهدة الله على العبودية، وكلنا يعاني من خمار تلك الخمر التى شربها في ذلك اليوم في المحضر الإلهى ، آفتنا الأولى أننا بشر ، من نفخة السلطان ، وأبناء الخليفة ، لو كنا من أصل سئ لاسترحنا ، فهل بحث كلب أو قط عن السلطنة إنه ابن آدم وحده الذي يعيش في غربة غريبة يعز به أنه أصبح في الأسمال والملابس الخلقة ، بينما هو في داخله يطمح إلى السيادة والسلطنة .

(٨٣٣) : حكاية أخرى من الحكايات التى تجاهلها فروزانفر ولم يذكرها في المآخذ وتبدو الحكاية من الأمثلة التى يضربها مولانا جلال الدين ، المهتم اهتماما خاصا بقضية المتجانس ضرب عليها الأمثلة كثيرا من عالم الحيوان وعالم البشر وعالم النبات .

(٨٤٥) : ذكر فروزانفر أن الحكاية مأخوذة عن معجم البلدان لياقوت عند ذكر قم ، كما نقل

القاضي نور الله الشوشترى في كتابه مجالس المؤمنين هذه الحكاية وقال أن نظيرها مذكور بالنسبة لمدينة سبزوار ، وهناك أيضاً حادثة تاريخية ذكرها عطا ملك الجويني في الجزء الثاني من كتاب تاريخ جهانكشاى عن حصار للسلطان لسبوزار حتى تشفع أحد شيوخها ويسمى أحمد البديلي (استعلامي د/٥٥٢) ، وواضح أن مولانا كون من الحادثة التاريخية ومن رواية ياقوت حكاية تشبه هذه (عن مآخذ/١٦٢-١٦٣) وقد حكم محمد خوارزمشاه من ٥٦٨ للهجرة وكان هجومه على سبزوار سنة ٥٨٢ للهجرة .

(٨٨٧) : قتو : اسم مدينة في ما وراء النهر .

(٨٦٩) : { إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم } (حديث نبوى) جامع ١/٧٤ .

(٨٧٢) : قال أبو يزيد البسطامي : لو كان العرش وما حوله في زاوية من زوايا العارف ما أحس به ، وورد في الحديث النبوى : ما وسعتني أرضي وسمائي ولكن وسعني قلب عبدى المؤمن (انقروى -د/٢١٩) .

(٩١٩) : قال يوسف بن احمد " روحانية أهل الله لا تزول بصورة الفقر " (د/١٤٠) .

(٩٢٥) : انظر شرح الأبيات ٨٢٢ - ٨٣٢ من نفس هذا الكتاب .

(٩٢٦ - ٩٣١) : تبدأ غربة الإسلام بقول مولانا جلال الدين عندما ينفر منه أهله يتركونه ويضيعونه أو يمسخونه ويأخذون الصورة التي يروجها أعداؤه عنها ، يؤولونه ويتركون أسسه ، يجردونه من السلطة ليظل مجرد شعائر وعبادات، يشوهه العدو في أعيننا ونتقبل نحن هذا التشويه ، يزاح من قلوبنا بعد أن أزيح من حياتنا ثم من عقولنا، يأتي العدو ويسلط عليه بعض المنتسبين إليه بالاسم ، فيقولون ما لا يجرؤ العدو على قوله ، هذه هي غربة الإسلام الحقيقية عندما يصبح غريبا بين أهله ، موضع كراهيتهم وقتالهم ، تظل منه صورة خالية من الطعم والرائحة ، مجرد صورة ، نتبجح على أساسها ونقول " ماذا حدث للإسلام ،

ألسنا مسلمين ؟! وبالتالى نظل في الضياع والتيه والفرقة والتبعية الثقافية والاقتصادية ، وحتى أغنياؤنا يظلون تبعا ، ولا يدرى أحد أن هذا التيه وهذا الضياع لأننا فرطنا في أساس وجودنا وكرهنا سبب حياتنا ، ونفرنا من عنصر عزنا ، فأصبح فينا غريبا ، وأصبحنا مجرد أبقار منذ أن وضع أسد الإسلام في إهاب بقرة (حقيقة ليست مجازا) وإلا أفلا نبصر يوميا الأبقار التى ترعى وهى تتشدق بالإسلام ، يقول مولانا : أجل تشدقى أيتها الأبقار بالإسلام ، ولكن حذار ، فعندما ينشق إهاب البقرة الذي ركب على الإسلام سيسفر ذلك الإهاب عن أسد يفترس الأبقار السمان ، أو على الأقل يخرج منها طبيعة الأبقار ويجعلها في طبيعة الأسود .

(٩٣٢) : ﴿ وقال الملك : إنى أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات ، يا أيها الملأ أفتونى في رؤياى إن كنتم للرؤيا تعبرون ﴾ (يوسف / ٤٣) . فالسمان هى الصفات البشرية السبع وهى التى بها القالب محبوس والكبر يأكلهن سبع عجاف وهى القناعة والسخاء والعفة والغبطة والشفقة والحلم والتواضع، فإذا أراد الله أن يخلص القلب من سجن صفات البشرية يذهب الذي هو ملك مصر القالب ويقول : أيها الأعضاء والجوارح والقوى أفتونى فيما رأيت في الملكوت إن كنتم للرؤيا تعبرون (مولـــــوى٥/٤٢) .

(٩٤٢) : الرواية هنا مأخوذة مما ورد في إحياء علوم الدين للغزالى : " وقال أبو أمامة إن رسول الله ﷺ قال إن إبليس لما نزل إلى الأرض قال يا رب انزلتنى إلى الأرض وجعلتنى رجيما فاجعل لى بيتا ، فقال : الحمام ، قال : اجعل لى مجلسا ، قال : الأسواق ومجامع الطرق ، قال : اجعل لى طعاما ، قال : طعامك ما لم يذكر اسم الله عليه ، فقال اجعل لى شرابا : قال : كل مسكر ، قال اجعل لى مؤذنا : قال المزامير ، قال اجعل لى قرآنا ، قال : الشعر ، قال اجعل لى كتابا ، قال : الوشم ، قال : اجعل لى حديثا : قال : الكذب ، قال : اجعل لى مصايد : قال النساء ، (عن مآخذ /١٦٤) . وفي الحديث القدسى ، " ما جعلت

فـتنة أضر على الرجال من النساء " ، كما فسر مولانا في الكتاب الأول الحديث النبوى (إنهن يغلبن العاقل ويغلبهن الجاهل) ، (الكتاب الأول الأبيات :٢٤٤٤-٢٤٤٨) .

(٩٦٠) : أي تجل للجمال يشاهده العارف كمظهر من مظاهر الجمال الإلهى أو كما قال ابن الفارض :

وما ذاك إلا أن بدت بمظاهر	فظنوا سواها وهى فيهم تجلت
وتظهر للعشاق في كل مظهر	من اللبس في أشكال حسن بديعة

(انقروى - ٥/٢٣٩-٢٤٠)

(٩٦١) : ﴿ والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين ، لـقـد خلـقنا الإنسان في أحسن تقويم ، ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون ﴾ (التين /١-٦) . ﴿ ومن نعمره ننكسه في الخلق أفلا يعقلون ﴾ (يس / ٦٨) . والحسن المذكور في الأبيات ، إما أن يكون الحسن المجرد ، أو الحسن الذي كان في آدم عليه السلام بالطاعة وبالعلم ،والذي نزع عنه وطرد من الجنة بذل المعصية والاستماع إلى الشيطان .

(٩٦٥ - ٩٦٧) : تساقط الحلل إشارة إلى الآية الكريمة ﴿ يا بنى آدم قـد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوءاتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ، ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون ، يا بنى آدم لا يفتتنكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما ﴾ (الأعراف / ٢٦ وجزء من ٢٧) . والعز هو عز الطاعة بالطبع والذل هو ذل المعصية . والشيخوخة مآل كل حى ، لكن شتان ما بين شيخوخة وشيخوخة ، بين شيخوخة تشرف على عمر من الطاعة والنضج العقلى والفكرى ، وتقف على أرض صلبة مما تكون أثناء فترة الشباب والعمل ، وشيخوخة قضى صاحبها شبابه في لذات الجسد ، فلما ضاعت عنه ولم يعد قادرا عليها ضاع منه كل شيء ، الأول جميل ذو عز في شيخوخته مثلما كان في شبابه والثانى هو الذي ينكس ولا يكون له من وقار الشيخوخة وجمالها شيء بل خرف وانهيار وذل

ومسكنة .

(٩٧٤) : إنه نـور الله هو الذي ينقذ المرء من أن يرتد إلى أسفل سافلين ، هـو الـذي يجعلـه ﴿ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنـون ﴾ ، إن قوتـه ليسـت مـن الجسـد ، إنها قوة الروح وقوة الإيمان ، وإن كان واهن الجسد يكون قوى الروح ، وليسـت قـوة الـروح لأى إنسان ، ورب شيخ مهدم كانت شيخوخته هى قمة العطاء في عمره وفي حياته ، ألم يبدأ آية الله الخمينى كفاحه وهو في الحادية والستين من عمره وتوجه وهو في السـابعة والسـبعين من عمره ، وكان حتى آخـر لحظـة مـن حياتـه صـاحب الـقول الفصـل فيمـا يعـن لأمتـه من مشكلات !! أليس هناك شيوخ عديدون قادوا أممهم وهم في غروب العمـر ، هـذه شـيخوخة ، لكن قوة الإيمان ووضوح الطريق ووضوح الهدف والعمل من أجل الله والناس معا ، كل ذلك يجعل الشيخوخة الجسدية تعوض بشباب الروح ، فالروح لا تشيخ ولا تعجز ولا تسقط ، إنهـا ليست جسداً يجرى عليها ما يجرى على الجسد .

(٩٨٤ - ٩٩١) : ليت كل جميل يعلم أن جماله عاريـة ، وأنـه مجـرد انعكـاس بسيط لشـمس الحسن على جدار يعكس النور لكنه لا يبعثه (انظر الكتاب الثـالث حيـث جـاء المثـال بنصـه ، الأبيات ٥٥٢ وما بعـده وشـــروحها) أتـدرى مـا الـذي يجعلـك ذاهـلاً كـل هـذا الذهـول أمـام الحسان ؟! إن قبس النور قـد ضوعف ويكون من خلال زجاج ملون ، هذا هو فحسب ، لكـن ليتك تعتاد على مشاهدة النور دون مشاهدة هذا الزجاج (ارجع إلى الأبيات ٣٧٢ - ٣٧٩ مـن هذا الكتاب حيث الحديث عن جرعة الحسن) .

(٩٩٢ - ٩٩٩) : أتدرى ما هو النور أيضاً من خلال الزجاج ، إنـه العلـم المكتسـب ، وليـس العلم الذي وقر فـي الـقلب مـن لـدن اللـه سبحانه وتعـالى ، وهـذا العلـم المكتسـب معـرض للنسيان ، إنــه مصبـاح مسـتعار ، لكنـك إن نسيت ، فاشـكر اللـه سـبحانه وتعـالى لأنـه سـوف يعوضك عن هذا النسيان بالأضعاف المضاعفـة ، بـالنور الـذي يقذفـه فـي الـقلب ، إن شـرط

الشكر ، ﴿ ولئن شكرتم لأزيدنكم ﴾ ، ﴿ الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم ﴾ (محمد /١و٢) ، إن إضلال الأعمال ألا يحس الكافر بود أو شكر أو صلة قرابة ، إنه لا يحس بنصر إن بلغ أمله ، يظل طوال حياته يسرع في أثر رغباته ، ولا يحس أنه بلغ واحدة منها .

(١٠٠٨) : تمزيق الخرقة عند الصوفية : إشارة إلى ما يقوم به الصوفى عندما يبلغ به الوجد مداه في مجلس السماع فهو يمزق خرقته إربا ، ومن القطع الممزقة من الخرقة يصنع سجادة فمن المعيب أن ترتق خرقة مزقت عشقا (وخرقة الجسد إن مزقت في سبيل العشق كان ذلك علو شأن الروح) (جلبنارلى 182-181/5).

(١٠١٦ – ١٠٢٥) : عن أن العدم هو مصدر الوجود ، انظر الأبيات ١٩٦٠ وما بعدها ومن هذا الكتاب وشروحها ، والأبيات ٣٠٩٦ و ٣٦١٧ وما بعدها من الكتاب الثالث وشروحها . وعرف السبزوارى الإبداع بأنه إيجاد الشيء دون أن يسبق بمادة أو بمدة (سبزوارى /٣٥٦) .

(١٠٣٠) : عن الكلام الظاهر والفكر المستتر ، انظر ١/١٨٩٧ و ٢/١٢٨٤ .

(١٠٣٧ – ١٠٣٨) : عن هذا السر انظر ٣/١١٦٤ .

(١٠٤٥ – ١٠٥٠) : { يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى واحد ، يتبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله ويبقى عمله } (إحياء علوم الدين للغزالى ، جـ ٢، ص ١٤٣) ونقل فروزانفر روايات عديدة عن هذا المعنى عن الشيخ الصدوق وعن حلية الأولياء وعجايب نامه وفرائد السلوك (مآخذ /١٦٤ – ١٦٨) وكلها مجرد حكايات معتمدة على الحديث النبوى المذكور عاليه ، والحديث الذي جاء في العنوان الذي تلاه .

(١٠٧٢) : ﴿ هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش ، يعلم

ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير﴾ (الحديد/٤) .

(١٠٧٧ – ١٠٧٨) : الجواد هو الروح ، يقوم كيان المرء بها ولا يزال يتساءل أين هي .

(١٠٨٠ – ١٠٨٢) : ما أقرب هذه المعاني كلها إلى ما عبر عنه حافظ الشيرازى في بيتين اثنين :

لسنوات والقلب يطلب منا كأس جمشيد

وما فتئ يتمنى من الآخر ما هو موجود لديه

إن تلك الجوهرة التى خرجت من صدفة الكون والمكان

تطلب (الأشياء) من التائهين على شاطئ البحر

(جامع نسخ حافظ غزل ٢٠١ ، ص ١٦٣)

(١٠٨٤) : (من جعل الهموم هما واحدا كفاه الله سائر همومه ومن تفرقت به الهموم لا يبالى الله في أى واد منها هلك) ، ورد في الأحياء مثيله (٤/٢١٤) : (من أصبح وهمه الدنيا شتت الله عليه أمره وفرق عليه ضيعته وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له ومن أصبح وهمه الآخرة جمع الله همه وحفظ عليه ضيعته وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهى راغمة) .

(١٠٨٦ – ١٠٨٨) : الغصن السيئ كناية عن الأفكار السيئة النابعة من النفس الأمارة بالسوء ، والغصن الحسن كناية عن الأفكار الحسنة النابعة من القلب وقد عبر مولانا عن نفس هذه الفكرة في الكتاب الثالث ، في جذور الأحزان في القلب التى تنبت الأشواك وجذور البسط التى تهتدى إلى الأحباب ، (انظر الكتاب الثالث ، الأبيات ٣٦٠ – ٣٦٤ وشروحها) .

(١٠٨٩ – ١٠٩٤) : نعله من أبسط التعريفات عن العدل : وضع الشيء في موضعه ،

وبالتالى فالظلم وضع الشيء في غير موضعه، ومن هنا فمن الظلم أن تضع أحمال البلاء على الروح ، لأنها هى الجديرة بكل نعم الله المعنوية .

(١١٠٤ – ١١٠٨) : ذكر جلبنارلى أن الرباعية المذكورة في العنوان من رباعيات مولانا جلال الدين ووردت في الديوان الكبير (جلبنارلى 197/5) لكن لم أعثر عليها في نسختى من الديوان الكبير . ويقول مولانا جلال الدين إن على المرء أن يتحرك ويحاول، وإن لم يكن الطريق ظاهرا له فإن الحركة هى التى تكشف الطريق . ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾ (العنكبوت : ٦٩) . المهم من المرء الحركة ومن الله البركة ، وزليخا قد تكون هنا رمزا للنفس الأمارة بالسوء ويوسف رجل الحق ، وقد غلقت زليخا الأبواب ، إلا أن يوسف وجد النجاة من الحركة .

(١١٠٩ –١١١٣) : يدق مولانا على فكرة سبق الحديث عنها في الكتاب الثالث ، الأبيات ٣٢٩٢ وما بعده وشروحها) والكتاب الرابع (الأبيات ٣٠٦٠ وما بعده وشروحها) كما عاد إليها بعد العنوان التالى وهى أن الإنسان قطع مراحل قوس النزول من الجمادية إلى النباتية إلى الحيوانية ثم إلى الإنسانية دون أن يدرى ما هى المنازل التى قطعها وما هى طبيعتها ، وهو في مرحلة ما بين المرحلتين هذه كأنه في النوم ، وإذا بدأ قوس الصعود بالموت فسوف ينتقل أيضاً في منازل لا يعلم عنها شيئا ، فهل درى من أين جاء حتى يدرى إلى أين سيمضى ؟!

(١١١٤–١١١٨): إنك إن أغلقت عينيك ترى في النوم من الأماكن والمدن ما لا يخطر لك على بال ، ثم إنك إن أغمضت عينيك عن هذه الدنيا سوف تفتحها على ما لم لا يخطر لك ببال ، لكنك لا تريد أن تغمضها ، إن هناك آلاف الأشياء التى تنظر إليها ، أهمها جاه الدنيا وإقبال البشر (المشترين) الذين تتوقعهم وتجذبهم إليك ، إنك لا تهتم إلا بالجاه والناس مثلما تتهم بومة النحس بالخرائب ، وبضاعتك هباء ، ولا قيمة لها ، ولو كان عندك قوت من النور

الإلهي لما اهتمت أدنى اهتمام بإقبال الناس عليك .

(١١١٩) : بهذا البيت تبدأ قصة أخرى من القصص التى تجاهل فروزانفر البحث عن أصولها ، والقصة من التراث الشهير جدا بحيث انتقلت إلى الأدب الشعبى والخليفة المذكور في الروايات الشعبية هو هارون الرشيد .

(١١٢٥ – ١١٢٩) : انظر شروح الأبيات ١١٠٩ – ١١١٣ من نفس هذا الكتاب .

(١١٣٥) : دار السلام قد تكون بغداد وقد تكون الجنة وهو الأرجح على أساس أن الإنسان هبط من الجنة ، وعلى أساس أن ما يقابلها بالفعل دار الملام أي الأرض .

(١١٥٥ – ١١٥٩) : المثال هنا يشبه الحديث إلى الجنين الوارد في الكتاب الثالث (الأبيات ٥٤ وما بعده وشروحها) والمنقول بدوره من إحياء علوم الدين للغزالى:" فنسبة عموم القيامة الكبرى إلى خصوص القيامة الصغرى كنسبة سعة فضاء العالم إلى سعة فضاء الرحم، ونسبة العالم الذي يقدم عليه العبد بالموت إلى سعة فضاء الدنيا كنسبة فضاء الدنيا إلى الرحم بل أوسع وأعظم ، فقس الآخرة بالأولى فما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة . (إحياء علوم الدين ٤/٦٤) .

(١١٦٥ – ١١٧٠) : تناول مولانا هذه الفكرة بشكل مبسط في الكتاب الذي بين أيدينا (الأبيات ١٧٤ – ١٨٢) ويعود إليها هنا على أساس أن العهد بالنسبة للإنسان هو بمثابة الجذر بالنسبة للشجرة ، وإن كانت الشجرة خضراء وجذرها فاسد فسرعان ما يختفي ، وربما إذا فسرنا هذا الأمر بلغة معاصرة نقول أن معيار الإنسانية بالشعور بالالتزام تجاه الخالق والرسالة الملقاة على عاتق الإنسان ، بأن يسعى إلى ربه سعيا فيلاقيه ، وأن يكون في الأرض جديرا بالنفس الإلهى الذي نفخ فيه ، وإن لم يحس الإنسان أنه مسئول أمام من هو أعلى ، فإن طبيعته النزاعة إلى الشر سوف تجره إلى أسفل ، بل وتصير كل مجهوداته حتى العظيم والمتعالى منها مجرد غثاء لا جدوى منه ، قشور ، فإن التزام الإنسان أمام الله في سره وجهره و في

العلم الذي يقوم به و في سعيه يمنح الإنسان تعاليا وتساميا في أهدافه ، ويهذب كثيرا من النفس البشرية النزاعة إلى الهوى وإلى الدم ، ويمنح كثيرا من نشاطاته جانبا يجعلها أكثر رأفة ورحمة بالإنسانية ، هذا الجانب في الالتزام الإلهي خصيصة إسلامية يسيطر على كل مناحي الحياة الإسلامية حتى الفكرية والاقتصادية منها (انظر جعفري ١١/٤١٠-٤١٨) .

(١١٧١ - ١١٧٩) : إذا كنت تريد أن ترى نموذجا حيا على فوائد الوفاء بالعهد ومضار الغدر فانظر إلى جزاء من أوفوا ، وإلى الشياطين الذين غدروا ، والوفاء بالعهد من صفات الله سبحانه وتعالى (انظر الكتاب الثالث ، الأبيات ٣٢٤ وما بعده وشروحها) . وليكن اعترافك بالعهد مقرونا بالصمت ، فالأمر أمر عمل لا أمر شقشقة باللسان " فمن قل كلامه كمل عقله " كما قال الإمام على ﷺ ، أو كما قال جعفر الصادق ﷺ " قلب الأحمق في فمه وفم الحكيم في قلبه " (جعفري / ١١-٤٣٢) .

(١١٨٠) : يقول مولانا الحسد عصيان ، لأنه تدخل في ملكوت الله وفي عطائه ، وكان أول الحاسدين إبليس ، وجرد حسده إلى الشرك وإلى العصيان ، لأنه حسد آدم ، فأبى السجود واستكبر وطرد من ملكوت الله .

(١١٨١ - ١١٨٤) : وفاء العبد يقابله وفاء الحق ﴿ وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون ﴾ (البقرة /٤٠) ، وللفكرة أكثر تفصيلا ، انظر الكتاب الثالث ، الأبيات ٣٢٤ وما بعده وشروحها) .

(١١٨٨ - ١١٩٢) : دعك من الدعاء باللسان وازرع في مزرعة الدنيا ما بقي من مالك ومن أعمالك وابذرها وانثرها في سبيل الله تعالى ، فإن كل بذرة تتطلب أن تكون شجرة ودعاؤك وتضرعك يهبك أشجار العناية الإلهية وحتى وإن لم تكن عندك بذورها ، فمتى تقف العناية الإلهية والقدرة الإلهية عند الأسباب ، مثل مريم البتول لقد كان لها الرطب الجني لأنها هزت النخل اليابس بأمر الله ، وألم يكن سبحانه وتعالى قادرا على أن ينزل عليها الرطب بلا

نخل ولا هز؟! كان قادرا سبحانه وتعالى لكن الضراعة والألم ذات تأثير عظيم في استنزال رحمة الله سبحانه وتعالى (انظر البكاء وتأثيره في استجلاب الرحمة في هذا الكتاب الأبيات ١٣٥ وما بعده وشروحها) .

(١١٩٦ – ١١٩٩) : هناك من الأمور من يجب الثبات عليه ، ويكون الثبات عليه أمرا صعبا ، ولا يدعو مولانا جلال الدين هنا الله بأن يهب الثبات في كل أمر ، بل في ما يجب من أمور : السلوك والطريق ، والعكوف على العلم ، والزهد في المادة في عالم أصبح يقيس كل شيء بالمادة ، والسير في طريق يراه الآخرون " غير مجز " ، و " غير مجد " ، ينظر الآخرون إليه بعجب ، ودهشة يحاولون إثناءه عن هذا الطريق الذي لا خير فيه ، في حين أن الإنسانية لم تتقدم إلا بأولئك الذين ساروا في طرق غير مسلوكة ، وعكفوا على تنمية النور الذي وضعه الله في القلب وفي العقل وفي الذهن ، وتحملوا سخرية الآخرين الذين يسيرون في الطرق المأهولة الموصلة إلى الغنى والثروة ويغيرونها كلما استدعت الحاجة ، أو كلما نزعت النفس إلى الهوى ، أولئك الذين يرون " الدنيا تجارة " ، فهم يغيرون معروضات محلاتهم طبقا " لرغبات الجماهير " ، و " آخر الواردات " ، هؤلاء الرجال " المعارض " ، لا يتأتى منهم جديد ، انهم ينتظرون الجديد فحسب .

(١٢٠٠ – ١٢٠٧) : إن هذا التنقل والتغير وتغيير مجال العمل وأسلوب الحديث (وأحيانا الأسرة والمعارف والأصدقاء) منشؤه الأصلي هو الحسد ، يتحاسد الناس في سبيل ماذا ؟! السلطة والثروة والنساء ، فهل هي أمور ثابتة أو دائمة ؟ هل دامت لأحد ، هل تدوم السلطة أو الثروة ، وهل تدوم لحظات متعة الشهوة والجسد ، حتى أولئك الذين سارت الركبان بقصص حبهم وعشقهم ، يس ومعشوقته رامين وخسرو ومعشوقته شيرين ، أين هم الآن ، فنوا وفنى حبهم وعشقهم ومعشوقهم، فما كان عشقهم عشقا وما كان معشوقهم بالذي يستحق كل هذا ، ضعف الطالب والمطلوب ، وفني العاشق والمعشوق . وكلهم عدم عاشق لعدم ،

وما جعل الله العدم عاشقا للعدم ، إلا لكي يضرب العدم ببعضه ؛ فيحمى سوق الدنيا القائم على الغفلة ، وينقلب العدم إلى وجود ، فهذا التحاسد هو الوقود الذي يجعل هذه الدنيا تبدو ذات وجود حقيقي .

(١٢١٠ – ١٢١٦) : لولا أن جعل الله من الشريعة عامل تلطيف في هذه الدنيا ، لفنى الناس تحاسدا وتباغضاً ، ولاشتعلت نيران الحسد في كل مكان ، ولاعتدى القوى على الضعيف ولأكل الغنى الفقير ولانقلب المجتمع إلى غابة ، والشريعة واضحة، من خلالها يعلم كل إنسان حقه ، ولا محيص له من قبول ما تحكم به الشريعة لأنها من لدن لطيف خبير يعلم من خلق ، وليست من وضع إنسان ، يعرضها كل لحظة للتغيير والتبديل ، والذي لا يقبل الشرع يبقى شيطانا حسودا يملأ هذه الجيفة القبيحة المسماة بالدنيا حسدا وحقدا .

(١٢١٦ – ١٢٢٤) : هكذا عندما تغيب الشريعة عن مجتمع ما ، فإن الذي يسطر على هذا المجتمع شياطين الجن وشياطين الإنس ؛ فمن اليسير الاحتيال على قوانين الأرض ، لكن متى كان الاحتيال على قوانين السماء ، ويستوى شياطين الجن وشياطين الإنس في جعل الأرض على هذه الدرجة من السوء والتدني والتباغض والتحاسد والتقاتل ، وسرعان ما تطبع الشياطين بني آدم بطابعها الذي يغلب عليه الحقد والحسد ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ﴾ (الأنعام /١١٢) ، وانظر إلى مجتمع غابت عنه الشريعة ، وترك الناس ينطلقون وفق أهوائهم وغرائزهم دون ضابط أو رابط ، كلهم ساقطون في حبال الشيطان ، يستعين بهم الشيطان يجعل منهم المحتال والنصاب والقواد والديوث ، ينقلب المجتمع إلى قطعة من جهنم حيث لا قيم ولا أخلاق ولا فضيلة ولا علم ولا فن ، بل تدن وسقوط وانهيار ، وغيبة للعقل والمنطق والوعي ، وسقوط للبشر يوما بعد يوم ، بحيث يحتاج بقاء المرء نظيفا إلى قوة فوق قوى البشر .

(١٢٢٦ – ١٢٣٥) : عودة إلى قصة الخليفة ومدعي النبوة ، فالخليفة يسأله عن وحيه وعما

نزل به هذا الوحى عليه ، ويجيب الرجل إجابة خليقة حقا بالعقل وبالإنسان ، ولعلها إجابة جلال الدين نفسه ، لتعرض أن الوحى النازل على محمد بن عبد الله ﷺ قد انقطع بوفاته ، فهل يوجد إنسان بلا وحى ؟! هل الإنسان أقل من النحل ؟! الذي نزل فيه ﴿ وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ﴾ (النحل /٦٨) ، أيكون الإنسان الذي نزلت فيه آية ﴿ ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ﴾ (الإسراء /٧٠) ، أيكون مثل هذا المخلوق أقل من النحل بحيث يوحى إلى النحل ولا يوحى إليه ؟! وكيف تقرأ ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾ ، وتبقى ناظرا لنفسك على أنك أقل من أن يوحى إليك ؟! أليس هذا الكوثر هو الخير مجموعا كله ، وهو أصل الخير ، وهل يمكن أن يختص محمد ﷺ بالخير ، دون محبيه وتابعيه والمؤمنين بالنور الذي نزل عليه ، وهل يكون النص منقطعاً ؟ لا بل إن كل من ترى في وجهه سيماء الإيمان ونضرة الاتباع لابد أنه نال نصيبا من هذا العطاء سواء كان القرآن أو حوض الكوثر أو الخير الكثير (شرح المثنوى للسبزوارى ٣٦١/٥ - جعفرى ٣٤٨/١١) وإذا كان المرء مع من أحب ، وكان فيه صفة الإيمان (والمؤمن إذا أحب أحب لله وإذا أبغض أبغض لله) (انقروى ٣٠٣/٥) ، ليس هذا فحسب ، وأنت إذا آمنت بالنبوة وحزت شرفها ووصلت إلى مرتبة ﴿ ولقد كرمنا ﴾ ، صار قلبك محل الوحى الإلهامى والإلهام إفهام القلب وما يلقى في الروع بطريق الفيض الإلهى فهناك بلا شك تقارب في المعنى ، قال جامى : " اعلم أن الفيوضات من الحق تعالى على قلوب كل عباده على نوعين منها ما يفيض عليهم بواسطة الملك بعبارات محفوظة عن التغيير مرادة تلاوتها وهو القرآن المنزل على نبينا ﷺ ومنها ما يفيض عليهم بغير واسطة وهى معانى صرفة وهذا النوع ليس مخصوصاً بالأنبياء بل يعم الأولياء وصالحى المؤمنين (مولوى ١٧٨/٥) .

(١٢٣٦ - ١٢٤١) : إذا أردت هذا الوحى ، فكن طالباً للكوثر ، وأين يطلب الكوثر إلا من

محمد بن عبد الله ﷺ وإلا عند من سبقوك إلى شرب هذا الكوثر ، لكن إن وجدت إنساناً لم يشرب من هذا الكوثر فاهرب منه ، إنه كالموت وإنه كالحمى ، يصيبك الجهل الذى عنده بموت الروح وهو أشر موت وإن كان الجسد حياً ، فر من مثل هذا الإنسان ولو كان أباك ، ولك فى إبراهيم عليه السلام أسوة حسنة ﴿ وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم ﴾ (التوبة ١١٤) ، وأنت دون علم بهذا الطريق ما لم توف سر "لا وإلا" أى "لا إله إلا الله" أى سر التوحيد ، فالتوحيد إفراد لله سبحانه وتعالى عما سواه أو فيما ذهب إليه السبزوارى وأن "لا" نفى للتعيينات وسلب للماهيات والسرابات وإلا إثبات للذات وماء الحياة (شرح مثنوى ٥/٣٦١) وهذا هو المنهاج الواضح لهذا الطريق وسره الأول .

(١٢٤٢) : العنوان الوارد قبل البيت يحتوى على الآية الكريمة ﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع ﴾ (السجدة ١٦) وجرجيس عليه السلام أحد الأنبياء ظهر فى الفترة بين بعثة عيسى وبعثة محمد ﷺ وورد فى دائرة المعارف التركية أنه قد ولد فى الرملة وتوفى سنة ٣٠٣ ميلادية في نيقوميديا ، وكان مأمورا بدعوة حاكم الموصل ، واستشهد أربع مرات تحت تعذيب هذا الحاكم " وفي رأى لاستعلامي ٥/٢٧٦سبعين مرة" ويسمى عند المسلمين سان جورج ، ولجرجيس بالذات وجود فى المأثور الشيعي فقد وردت عنه حكايات كثيرة فى بحار الأنوار للمجلسي ، وفى المأثور الشعبى الفارسى هناك مثل يقال عند تعرض المرء للكوارث دائماً " وكأن نبيه من بين الأنبياء هو جرجيس" (انظر جلبنارلي٥/٢٢٣-٢٢٢) ورد فروزانفر الحكاية إلى ما ورد فى إحياء علوم الدين "رأيت رجلاً متعلقاً بكم صبى وهو يتضرع إليه ويظهر له المحبة فالتفت إليه الصبى وقال له إلى متى هذا الالتفات الذى تظهره لى؟! فقال: حتى تعلم الله أنى صادق فيما أورده حتى لو قلت لى مت لمت، قال إن كنت صادقاً فمت قال : فتنحى الرجل وغمض عينيه فوجده ميتاً" (إحياء ٤/٣٤٠) ، كما ورد

ما يشبه هذا في ألف ليلة وليلة وقائع الليلة السابعة بعد الأربعمائة (مآخذ ١٦٩) وما أشبه هذا بما ورد عند ابن الفارض :

وجانب جنـــاب الوصـــل هيهات لم تكن * وها أنت حــــي ، إن تكن صادقـــا فمت .

(النقروى ٥/٣٠٧).

(١٢٤٧ – ١٢٥١) : المفروض أن العاشق لا يتحدث كثيراً عن عشقه فهذا أمر بالعمل والفعل وليس بالكلام ، فضلاً عن أن لغة العشق هي الإشارة والإيماء ، لكن العاشق مع ذلك لا يمل الكلام عن عشقه ومعشوقه خاصة إذا كان هذا المعشوق مستحقاً لهذا العشق وليس من قبيل العشق الذي تكون عاقبته عاراً ، والعاشق لا يتحدث لكي يعدد أياديه على المعشوق ، بل لأنه بمجرد الحديث (انظر عن الحديث أو الصمت في العشق الأبيات ٤٧١٠ وما بعده من الكتاب الثالث وشروحها) والنار الموجودة في داخل العاشق ولا يمكن التعبير عنها أشبه بما يقوله حافظ الشيرازي :

لا أدري من يوجد في داخلي أنا المتعب الـقلب

فأنا صامت لكنه هو في صياح وعويل

لعله السر الذي العاشق انه اصبح متواجداً به بحيث يصبح معه واحداً (حافظ نامه لبهاء الدين خرمشاهي ١/١٩٨) .

(١٢٦٥) : الحكاية الواردة هنا ذات تشابه بما ورد عن محمد بن علي بن الحسن بإسناده عن منصور بن يونس أنه سأل الصادق رضي الله عنه عن الرجل يتباكى في الصلاة المفروضة حتى يبكي فقال قرة عــين والله وقال إذا كان ذلك فاذكـــروني عـــنده" وبرواية أخرى عن أبي حنيفة قال سألت أبا عبد الله عن البكاء في الصلاة يقطع الصلاة فقال إن بكى لذكر جنة أونار فذلك هو أفضل الأعمال في الصلاة، وإن كان ذكر ميتاً له فصلاته فاسدة .

(١٢٧١) : زويت لي الأرض : إشارة إلى الحديث النبوي { إن الله زوى لي الأرض أي

جميعها فرأيت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتى إلى ما زوى لى منها } (انقروى ٥/٣١٣) ولم يتناول فروزانفر أصل الحكاية ، والواقع أنها ليست حكاية بالمعنى المفهوم ، بل مجموعة من الأفكار الصوفية وضع لها مولانا شخوصاً ، والأبيات تتناول مفهوماً شائعاً عن الوجد والتواجد، فالوجد صفة الشيوخ، والتواجد صفة المريدين ويصوره إبراهيم بن المستملى البخارى بصورة أدبية رائعة حيث إن التواجد يبدو في ظاهره كأنه السيل المندفع لكنه عندما يصل إلى البحر يضيع فى خضمه ومن ثم فالتواجد صفة السالكين وعندما يصل السالك إلى الموطن لا يبقى التواجد (شرح التعرف ٣١/٤) والوجد خاص بكبار المشايخ لأنه بشارات الحق بالترقى إلى مقامات مشاهداته ، ومن ثم يكون التقليد من المريد مذموما (شرح التعرف ٢٦/٤) وعند الهجويرى " من شعر بالوجد فإما أن يكون مضطربا بالشوق المحرق فى حال الحجاب، أو مستكينا بالمشاهدة فى حال الكشف ،إما زفير وإما نفير ، إما حنين وإما أنين ، إما عيش وإما طيش ، إما كرب وإما طرب ، والتواجد هو تكلف الوجد بملاحظة نعم الله تعالى وآياته بالقلب والفكر فى الاتصال والرغبة فى أعمال الصالحين ، وبعضهم يتواجد على حسب الرسم ويقلدونهم بحركاتهم الظاهرة، ومثل هذا التواجد حرام لكن بعضهم يفعلونه رغبة فى الوصول إلى أحوال كبار الصوفية ومقاماتهم ومن تشبه بقوم فهو منهم ، (كشف المحجوب : الترجمة العربية ٤٩٩-٥٠١) والوجد هو أول درجات الخصوص وهو ميراث الصديق بالغيب في قول لأبى سعيد الأعرابى وأشبه بما ورد هنا ما روى عن ذى النون المصرى من أنه سمع أبياتا من الشعر فقام وسقط على وجهه ثم قام رجل آخر فقال ذو النون : الذى يراك حين تقوم، فجلس ذلك الرجل وكان ذاك إطلاعاً من ذى النون على قلبه انه متواجد متكلف (إحياء علوم الدين ٢٩١/٢) وواضح من السياق هنا أن مولانا جلال الدين لا يحبذ التكلف فى إظهار الوجد من قبل المريدين الذين يقلدون الشيوخ تقليداً ، فإن الأمر هنا ليس بالتقليد بل بالذوق وعلى المريد أن يقتبس من نور الشيخ وألا يجد فى نفسه القابلية

على تقليده حتى فى الأمور الظاهرة .

(١٢٧٤ – ١٢٨٢) : يقدم مولانا عدداً من الأمثلة والصور لكى يبين كيف أن المريد الساذج يظن وهو لا يزال فى أول الطريق أنه قد بلغ مرحلة تتيح له أن يفعل ما يفعله الشيخ، وما ذاك إلا لأن شعاعاً من الشيخ قد سطع عليه وهو يظن أن هذا الشعاع من نفسه هو ، إن هذا الذى يظن أن الشعاع منه هو قد يزل وقد يطغى وقد يلقى به غروره هذا فى مهاوى النفاق والكفر ، فهو كالأصم الذى لا يسمع ما يقال ويرى القوم يضحكون فيضحك مثلهم ، وهو كالسلة فى الماء تظن الماء فيها وهو خارجها ، وكالمشكاة التى يتلألأ فيها ضوء القمر . وقد وردت هذه الفكرة فى الكتاب الأول (الأبيات ٣٢٣٧-٣٢٤٠) .

ويبين مولانا فى نفس الموضع قصة كاتب الوحى ، الذى كان شعاع الرسول ﷺ ينعكس عليه ، فتجرى فى بواطنه أنهار الحكمة التى يأتى بها الوحى ، فظن أنه يوحى إليه ، إلى هذا الحد قد يدير نفسه من يظن لنفسه جناحاً قبل أن ينبت له ريش .

(١٢٨٤ – ١٢٩٦) : هناك مرحلتان لا بد وأن يمر المريد بهما المرحلة الأولى هى مرحلة الوهم والظن والخيال والتقليد، وهو فى هذه المرحلة يميل إلى النقاش والفيهقة فى الحديث والتعالم، وما أشبهه فى هذه المرحلة بالطفل الميال إلى الصخب الذى يظن بامتطائه الأعواد أنه يمتطى الخيول ويملأ حجره بقطع الفخار ويعتبرها ذهباً (انظر كليات ديوان شمس غزل رقم ١٣٥٣ ، ص ٥٢٥) وعندما يصل إلى محفل الرجال ينظر إلى حياته الماضية نظرة إشفاق وسخرية ، ويدرك أنه مهما كان ماهراً فإنه عندما يصل إلى أولئك الذين يعيشون فى البحار والمحيطات يدرك أن قدمه التى كان يسرع بها على البر كانت وسيلة متواضعة جداً وأن علمه المدعى كان يبتعد به عن العلم الحقيقى .

(١٣٠٠ – ١٣١٢) : مقابلة أخرى بين عالم المريد وعالم الشيخ ، وبين بكاء المريد وبكاء الشيخ ، وشتان ما بين هذين النوعين من البكاء، فالمريد قد يبكى لكن بكاءه قد يكون من

حزن وقد يكون من فرح، ولا يعلم أن هناك أسباباً أخرى قد يبكى منها الشيخ الذى قد يكون بكاؤه وقد يكون ضحكه لأسباب لا تدور للمريد فى خلد ، إن بكاءه مثله تماماً لابد وأن يكون من نوع آخر ، هذه العين التى تبصر ما لا يبصره الآخرون كيف يكون دمعها نابعاً من أسباب كالأسباب التى يبكى منها الآخرون؟ وكيف يمكن للمريد بوسائله القاصرة أن يدرك بكاءاً لا هو بالعقل ولا هو بالحواس وكيف يقيس نفسه به؟ كيف يقاس الليل بالنهار والبعوضة بالرياح؟! (انظر الكتاب الثالث الأبيات ٤٦٣٠ وما بعده وشروحها) .

(١٣١٦ – ١٣٣٢) : كم تتشابه أشياء كثيرة فى المظهر لكنها فى المخبر متباعدة ويوجد فيما بينها بعد المشرقين ، تتشابه كل الحروف ، لكن متى كانت كل الحروف ذات تأثير كتلك الحروف التى تجىء فى فواتح السور ؟ ألم يقل ابن عباس إن لكل شىء لباباً ولباب القرآن الحواميم ؟ وألم يقل الشيخ الأكبر فى الفتوحات حاء الحواميم سر الله فى السور أخفى حقيقته عن رؤية البشر (انقروى ٥/٣٢١) لقد أخفى سر هذه الفواتح عن جبريل نفسه، وإنما كان الله سبحانه وتعالى يريد أن يعلم الرسول ﷺ شيئاً لا يريد أن يعلمه جبريل نفسه ، وقد روى فى الأخبار أن جبريل عليه السلام لما نزل بقول الله تعالى كهيعص فلما قال كاف قال النبى ﷺ علمت، فقال ها فقال علمت، فقال يا فقال علمت، فقال عين فقال علمت، فقال ص فقال علمت، فقال جبريل كيف علمت ما لم أعلم (مولوى ٥/٢٠٠وانظر أيضاً تفسير كهيعص فى الدفتر الرابع) هذا التفسير من الصوفية لفواتح السور يلتقى مع تفسيرهم للمعراج وللمرحلة التى وقف عندها جبريل وتقدم الرسولﷺ هذا الاصطفاء ميراث من الرسول ﷺ للأولياء والمشايخ المرشدين ، فإياك أن تظنهم مثلك ويشبهونك ولا تقم بقياس حالك على أحوال الأطهار، فهناك فرق شاسع بين كلمتى "شير" بمعنى أسد و "شير" بمعنى لبن وان كانت يكتبان فى صورة واحدة وهذا من أوائل الموضوعات التى تحدث عنها مولانا جلال الدين فى المثنوى ولا يفتأ يعود إليها بين الآن والآخر (انظر الكتاب الأول الأبيات :٢٦٤–

٢٧٧وشروحهـــا) .

مثل هذا الدق الشديد على هذا الموضوع بين طبيعة نظرة مولانا جلال الدين التى تحاول أن تعرى النفاق والتقليد والوقوف على الظاهر والتظاهر ، إن الناس ينظرون نظرات سطحية ، يحبون ويبغضون ، يوافقون ويعترضون ، وفى موقف الاعتراض ، تضيع كثير من الأمور الدقيقة التى لا يدركها كل إنسان، إنها في حاجة إلى ذوق ، وإلى مرشد ، وإلى معلم ، وكم من المصائب والكوارث يقع فيها الإنسان الذى يظن أنه أصبح كبيراً على المرشد وعلى المعلم ويريد أن يتظاهر بالإرشاد والتعليم ، فيورد نفسه موارد التهلكة .

(١٣٣٣) : بهذا البيت تبدأ واحدة من أكثر حكايات مثنوى مولانا جلال الدين إثارة للنقاش والاستهجان بحيث قال محمد تقى جعفرى صراحة أن مثل هذا الحديث ومثل هذا الأسلوب لم يكن منتظراً من مولانا ولا كان يصح أن يصدر عنه (محمد تقى جعفرى مثنوى ٤٧٥/١١) ، ومن ثم لم يشرح الحكاية ولم يعلق عليها والحكاية من الحكايات الشائعة فى المأثور الشعبى ، ويقوم عليها مثل يقول "كيرديدى كدو نديدى" "رأيت الذكر ولم تر القرعة" لمن يرى محاسن الشيء دون أن يرى مخاطره ، وذكر استعلامى أن الحكاية لا مثيل لها قبل جلال الدين والواقع أنها موجودة فى المأثور الشعبى المصرى بكل تفصيلاتها وأذكر أننى سمعتها منذ وقت بعيد كما ذكر زرين كوب "سرنى ، جلد١ ، ص ٣٢٥ ، ط٣ ، تهران علمى ١٣٦٨" نقلاً عن نيكلسون أن القصة تذكر فى بعض تفصيلاتها بالقصة اليونانية المسخ القائمة على ممارسة امرأة للجنس مع حمار كان إنساناً ومسخه أحد السحرة. والواقع أن ثورة شراح المثنوى من المعاصرين على هذه الحكاية ليس له ما يبرره ، فأمثال هذه الحكايات عند مولانا تضرب للتمثيل ولشرح معان سامية ، وطالما قلنا أن المثنوى نص متعدد المستويات ، وهو نص تعليمى فى المقام الأول ، ووجود الحكايات ذات المدلول الجنسى منه ضرورة كان العصر يتقبلها ، وكل موسوعات الفكر الإسلامى التراثى تحتوى على أبواب كاملة تتحدث

صراحة عن الأمور الجنسية ، فلم يكن القوم ينظرون إليها نظرة الحرج التى ينظر بها المعاصرون ، وطالما دق سنائى ودق جلال الرومى على أن هزلها ليس هزلاً إنه تعليم ، ومستويات المريدين متفاوتة ، وقوة التعبير فى هذه الموضوعات تستلزم قدراً من الصراحة، والموقف كله موقف شاذ ، موقف المرأة التى تمارس الجنس مع حمار ، وفى ألف ليلة وليلة هناك جارية تمارس الجنس مع دب ، وحكايات هذه العلاقات الشاذة جزء من التراث الإنسانى نظر إليها الإسلام نظرته إلى موضوعات عادية جداً وطبيعية جداً وجزء من النفس البشرية وضعفها والتوائها وسقوطها، وهذا النص "القضاه الذين ينادمون الوزير المهلبى ويجتمعون عنده فى الأسبوع ليلتين على اطراح الحشمة والتبسط فى القصف والخلاعة وهم ابن قريعة وابن معروف والقاضى التنوخي وما منهم إلا أبيض اللحية طويلها وكذلك كان المهلبى، فإذا تكامل الأنس وطاب المجلس ولذ السماع وأخذ الطرب منهم مأخذه، وهبوا ثوب الوقار للعقار، وتقلبوا فى أعطاف العيش بين الخفة والطيش ، فإذا أصبحوا عادوا إلى عادتهم فى التزمت والتوقر والتحفظ بأبهة القضاء وحشمة المشايخ الكبراء" (ياقوت الحموى معجم الأدباء ١٤/١٦٦ عن الإسلام والجنس تأليف عبد الوهاب بو حديبة ترجمة هالة العورى ص ١٩٠ القاهرة مدبولى ١٩٨٧) والنص التالى أيضاً من مسامرة أبى حيان التوحيدى للوزير أبى عبد الله العارض ومحادثته فى شتى صنوف المعرفة الإنسانية التى امتدت إلى أربعين ليلة ، ولنلق نظرة على الموضوع الذى تناولته الليلة الثامنة عشرة "وقال مرة: تعال حتى نجعل ليلتنا هذه مجونية ونأخذ من الهزل بنصيب وافر، فإن الجد قد كدنا ونال من قوانا وملأنا قبضاً وكرباً ، هات من عندك ، قلت : قال حسنون المجنون بالكوفة يوماً وقد اجتمع إليه المجان يصف كل ولحد منهم لذات الدنيا فقال : أما أنا فأصف ما جربته فقالوا : هات فقال : الأمن والعافية وصفع الصلع الزرق وحك الجرب وأكل الرمان فى الصيف والطلاء فى كل شهرين وإتيان النساء الرعن والصبيان الزعر ، والمشى بلا سراويل بين يدى من لا تحتشمه ،

والعربدة على الثقيل ، وقلة خلاف من تحبه والتمرس بالحمقى ومؤاخاة ذوى الرفاء ، وترك معاشرة السفلة" ومتن المؤانسة فى هذه الليلة لتغطى عشر صفحات من المجون ، ويعلق الناشر الذى علته حمرة الخجل "ويلاحظ أن المؤلف قد أتى فى هذه الليلة ببعض المجون الساقط والنوادر المبتذلة ولولا الأمانة العلية والإخلاص للتاريخ لحذفنا أكثرها واكتفينا بما لطف ورق ولم ينب عن الذوق" (الإسلام والجنس ١٨٦-١٨٧) نعم قد ينفر الذوق الغربى أو المستغرب الذى ينظر إلى الجنس فى الأصل كخطيئة وليس كجانب طبيعى من جوانب الحياة ، أو على الأقل كنوع من الضعف كما نظر إليه مولانا ، ومن هنا ترجم نيكلسون بعض أبيات الحكاية إلى اللاتينية لكى تكون فى متناول بعض خاصة المثقفين فحسب ، وهذا الموقف ناشئ عن اختلاف النظرة واختلاف التراث ، فالأدب الجنسى يمتد فى تراثنا الإسلامى عبر الف عام منذ الجاحظ وحتى حسن خان (مؤلف عثمانى فى القرن التاسع عشر) وقد أورد ابن النديم فى الفهرست قائمة بمائة رسالة ونيف لم يبق منها إلا القليل (يرجع إلى عرض ما تبقى منها فى الكتاب القيم الإسلام والجنس من ص ٢٠٣-٢٢٢) فلم يكن جلال الدين بدعاً لا فى تيار الآداب الإسلامية على وجه العموم ولا فى تيار الأدب الفارسى ، فقد كان معاصره الشيخ سعدى الشيرازى حكيماً لا يشق له غبار ومع ذلك كتب الخبائث والهزليات والمضحكات وهو مؤلف الكلستان والبستان ومن قبله كان سنائى ذلك الأستاذ الجهم ومع ذلك فقد ضمن حديقة الحقيقة حكايات لا تقل ابتذالاً "فى مفهومنا" عن هذه الحكاية، ومن بعده كان عبيد الزاكانى أعظم شعراء الفرس فى فن السخرية ، ومعهم وقبلهم كان سوزنى وأبو العلاء الكنجوى ، وعندما سقط بعض هذا التراث فى شعر الشاعر المعاصر ايرج ميرزا جلال الممالك قامت الدنيا ولم تقعد على كل حال كان مولانا جلال الدين بهذه الحكاية يحاول أن يشرح لنا بشاعة الشذوذ والجهل معاً ، والجهل المركب الذى يأخذ من الأمور بطرف لكنه يتكبر عن السؤال فتكون النهاية المفجعة بمفاد "كل ناقص ملعون" وهو حديث نبوى .

(١٣٤٢) : "من طلب شيئاً وجد وجد" ومن قرع باباً ولج ولج" حديثان منسوبان إلى الرسول ﷺ (انقروى ٥/٣٢٧) .

(١٣٦٣ - ١٣٦٤) : فسر استعلامى (٥/٢٨٢) البيتين بأنها صارت سعيدة سعادة من صار ماعزه الفاً ، وهذا تفسير خاطئ فالحديث حقاً عن شهوة الماعز ، وعن أن الماعز تصاد لإسراعها خلف الذكر من جبل إلى جبل بحيث إن الصيادين يكمنون بين جبلين عارفين بأن الماعز سوف تقفز إلى الذكر من جبل إلى آخر ، وتصور لها الشهوة أن المسافة بين الجبلين قصيرة للغاية فتسقط (من شهوتها) فريسة سهلة للصيادين (أنظر الكتاب الثالث من مثنوى جلال الدين الأبيات ٨٠٧-٨١٧ وشروحها) .

(١٣٦٧): من أجل الانجذاب والتحول انظر الكتاب الثالث من مثنوى جلال الدين الأبيات ٤٧٢٢-٤٧٢٥ وشرحها) .

(١٣٧٣-١٣٨٢): نفس التفسير النبوى لقوة الشهوة ، إذا أمر الرسول ﷺ بالصوم ، ويدق مولانا فى مواضع كثيرة من المثنوى على قلة الطعام اتباعاً للصوفية الذين قالوا "أم الشهوات شهوة الطعام" وفى هذا الجزء من المثنوى تفسير للحديث النبوى { المؤمن يأكل فى معى واحد والكافر يأكل فى سبعة أمعاء } (وينظر أيضاً الأبيات ١٦٣١-١٦٥١ و ١٩٧٢" من الكتاب الأول) لكن مولانا يلجأ إلى التوسط والاعتدال ، ولا يأمر بقمع الشهوة قمعاً كاملاً أو تجاهلها ، فلا رهبانية فى الإسلام وينصح بالزواج ، والقط يرمز إلى هوى النفس وكثيراً ما استخدم مولانا هذا التعبير ، أما الشحمة فهى التقوى وسلامة الروح ، وسرقة القط للشحمة مثل فارسي سائر ، وقد ربط نيكلسون بين هذا البيت وقصة الرجل النفاج الذى كان يدهم شاربه بالشحمة الواردة فى الكتاب الثالث (البيت ٧٥٨ وما بعده) ولا علاقة بينهما ، والحمار الذى يبرطع هو الشهوة ، والقدر والنار والحساء كلها رموز جنسية لا تخفى ، والمقصود كله كبح جماح الشهوة وإلا أحرقت صاحبها بنارها .

(١٣٩١): عذاب الخزى هو الواردة فى الآية الكريمة ﴿ فأرسلنا عليهم ريحاً صرصرا فى أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون ﴾ (فصلت ١٦) .

(١٣٩٢ - ١٣٩٩) : المستفاد من هذه الحكاية أن هذا الحمار ما هو إلا النفس البهيمية ، وما الخاضع للنفس البهيمية إلا مثل تلك المرأة العجوز التى هلكت هلاكاً مقترناً بالفضيحة والعار ، وهكذا فإن الناس فى القيامة يحشرون على صورة نفوسهم ويحشرون على صورة الحيوانات التى تمثلها نفوسهم (انظر الكتاب الرابع ٣٦٦٤) والنار ولا العار صورة تكررت فى الكتاب الثالث (انظر البيت ٣٩٤) ، لكن هذا العار كله من نار الشهوات ونار الكفر ونار العناد ، ونار الحرص التى جعلت تلك المرأة تأكل لقمة أكبر من حلقها فغص حلقها بلقمة الموت المقترن بالعار والفضيحة ، الموت السئ المستقبح ، والحشر المفتضح ، إن كان مشغولاً فى الدنيا بالمأكل يحشر على موجب حظ نفسه سكران، وان كان ناماً وفتاناً يحشر بشكل القردة وإن كان مكاراً وغدار ومتغلباً على الخلق لأجل حظ نفسه يحشر بشكل الجعل، وإن كان ديوثاً آكلاً للمال الحرام يحشر بشكل الخنزير، وإن كان مؤذياً للمؤمنين جافيا يحشر بشكل الحيات والعقارب (مولوى ٥/٣١٠) .

(١٤٠٠- ١٤٠٣) : إن الله سبحانه وتعالى عندما خلق كل شئ خلقه كما ينبغى وجعل للميزان لساناً حتى يميز الأوزان من نقص وزيادة ، وأقرأ من سورة الرحمن ﴿ والسماء رفعها ووضع الميزان ألا تطغوا فى الميزان وأقيموا الوزن بالقسط ﴾ (الرحمن٧-٩) فلا ميل بالهوى إلى إفراط أو تفريط فلتقم لنفسك ميزاناً عند كل أمر ، ولا تترك الميزان من حرصك ، فمن الحرص والطمع تحيد عن العدل وعن القسط وعن حقائق الأمور والحريص طالب لكل شئ فاقد لكل شئ ، فلا أحد يريد كل شئ ويظفر به ، وكل شئ فى هذا العالم وضع بالقسط ووضع بالميزان ، وإن رغبت أنت فى كل شئ ، فإنك فى الوقت نفسه تفقد

كل شئ ، فإياك والحرص أيها الحقير التافه الذى ولدت من حقير تافه لم يعلمك أن تكون مقسطاً فى مطالبك ، وإلا فكل حريص محروم والحرص يوقع المرء فى الفقر كما قال الإمام على ﷺ .

(١٤٠٤-١٤١٧) : إن الجارية تنعى سيدتها وتنقدها وتقدم الدرس المستفاد من الحكاية هذا الدرس الذى يقول أن كل من يظن نفسه استاذاً ويستنكف عن السؤال عما لا يفهم فإنه فى الحقيقة يقوم بعمل أخرق وأهوج يعود بالسوء عليه هو نفسه قبل كل الناس، ومستويات هذا الدرس عديدة بداية من ذلك الذى يأخذ من استاذ حرفته علماً ناقصاً ، ثم يبدأ فى الاستقلال عنه فلا يكون مثله ، إلى ذلك المتعلم المستفيد الذى يظن نفسه استاذاً قبل الأوان، إلى ذلك المريد الذى يظن نفسه قد أصبح شيخاً وفى غنى عن إرشادات الشيخ فهو يضرب فى كل بيداء على الشبهة وعلى الظن الذى يعتبره علماً ، وما أشبههم جميعاً بهذا الطائر الذى ترك البيدر وطار فى أثر كل حب فسقط فى الشراك وأخذ الشراك بعنقه، وأكل العاقل لنعم فى مقابل تجرع الجاهل للأحزان وحمل هموم الدنيا من أفكار سنائى الغزنوى (الأبيات ٥٤٩٩-٥٥٠٢من حديقة الحقيقة) والشراك هو الطمع والتقاط الحب يعنى طلب القوت من غير موضعه "أو طلب العلم من حيث لا ينبغى" أو طلب الإرشاد من مرشد مزيف أو من لا مرشد على الاطلاق ، إن هذا يكون أشبه بالطائر الذى يلتقط الحب وهو فى الشراك ويكون فى هذا الحب موته ، وهكذا شراك الدنيا وشهواتها، وهكذا العوام فى شراك الدنيا وشهواتها من أموال وأولاد وجاه ومنصب و... إلى آخره ، إنهم لا يزالون يرعون كالبهائم حتى تأخذهم سكين الأجل ، وماتوا وهو فى شراك الدنيا بعكس الطيور الذكية التى ابتعدت عن هذه الشباك ، والعاقبة أن الطيور البلهاء أصبحت لحومها طعاماً للنار ، أما الطيور الذكية فهى فى غناء وتغريد، وصاحب الشباك هو الله الواحد القهار ، وهو بشباكه التى يضعها فى الدنيا يستطيع أن يميز بين طيوره الذكية وطيوره الغبية .

(١٤٢٣ - ١٤٢٩) : هنا مستوى ثان من مستويات هذه الحكاية ويتناول أولئك الذين يقتربون من الطريق فيعتبرون أن المشيخة هي مجرد المظهر ولبس الصوف ، وهناك أيضاً من لم يحترف في طريق الرجال إلا فترة قصيرة ، لكنه لم يتعلم من ملوك الطريق إلا قشور الكلام دون لباب المعنى ، تراك تظن أن كل عصا هي عصا موسى ﷺ وأن كل نفخة هي نفخة عيسى ﷺ إياك أن تظن هذا أو تدعيه وإلا تعرضت لامتحانات عسيرة يضعها الحي الباقي كل يوم أمام المدعين "انظر عن المدعين وامتحانات المدعين الكتاب الثالث الأبيات ٧٤٣-٧٤٦ وشروحها" ، ولا بد أنك سوف تسألني وما الدليل الذي أستطيع به أن أميز بين شيخ مزيف وشيخ حقيقي ، فلتسأل الأستاذ الباقي "الله سبحانه وتعالى" فلا أحد يستطيع أن يدلك على الطريق سواه فإن كل حريص أعمى وأخرس ، ولقد تركت هذا الأستاذ الباقي وأسرعت في أثر هذا وذاك ، وطلبت كل سبل الطريقة دون أستاذ، فتخلفت عنها جميعاً ولم تظفر منها بشئ ، وبدلاً من أن تتبع شيخاً أو أستاذاً صادتك الذئاب والبشرية التي تقتات على لحمك وعلى دمك ، تراك تستطيع أن تكون ترجماناً وأنت لم تتقن بعد لغة المشايخ والكاملين ؟ ما أشبهك ببغاء تردد الألفاظ دون أن تدري لها معنى .

(١٤٣٠) : يفسر مولانا في هذا المثال أنه كما يتعلم الببغاء النطق عن طريق مرآة يرى فيها صورته هو ويحدثه إنسان دون أن يظهر في المرآة فإن البشر أيضاً يتعلمون وحي الحق عن طريق الأنبياء والأولياء والكاملين من المشايخ الذين تكون عندهم طاقة تلقي عطايا الحق وتستطيع أرواحهم أن تتحمل هذه العطايا مباشرة ، ومن هنا فإن المريد الممتلئ جهلاً لا يرى من مرآة الولي (جسد الولي) إلا نفس هذا الحديث (دون أن يدرك لبابه) فضلاً عن عدم إدراكه أنه ليس حديثه في الأصل لكنه حديث الحق على لسانه ، وفيض العقل الكلي يتجلى في بيانه ، والآية القرآنية المذكورة ﴿ لا تحرك به لسانك لتعجل به * إن علينا جمعه وقرآنه * فإذا قرأناه فاتبع قرآنه * ثم إن علينا بيانه ﴾ (القيامة ١٦-١٩) فإذا كان الله سبحانه وتعالى

طلب من الرسول ﷺ نمطاً معيناً فى تلـقى الوحى ، وقال لنبيه وحبيبه وصفيه ﴿لا تحـرك بـه لسانك) وقال فى موضع آخر (وما ينطـق عن الهـوى ، إن هـو إلا وحـى يوحـى،علمـه شـديد الـقوى ﴾ (النجم ٣-٥) فما بالك تعجل وتسرع وترتدى لباس المشيخة وأنت لم تشب على الطوق ؟ وفى النهاية فإن "المؤمن مرآة المؤمن" الجامع الصغير ١٨٤/٢" والمقصود فى آخر العنوان بأنه مثال لا مثل أن المثال هنا لا ينطبق تماماً على ما ضرب له بل التشابه من جمعه ما (انظر الكتاب الرابع البيت ٤٦٢) .

(١٤٣٣) : الذنب الـقـديم هنا هو ذلك الأستاذ المدرب الخبير الـذى يـأخذ على عاتقه عملية تعليم الببغاء أو المرشد الذى يأخذ المريد الفج وهو أشبه بالطائر ويجعل منه شيخاً كبيراً وليس الأمر كما قال استعلامى أن التعبير لو قصد به الله سبحانه وتعالى فليس تركاً لـلأدب (استعلامى د/٢٨٥) تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

(١٤٣٨ - ١٤٤٢) : فرق كبير بين ذلك المريد الذى يرى من الشيخ مجرد كلامه وبين ذلك النديم (الصاحب والصديق والمتفهم) فهو كمن يتعلم الحروف وشتان بين هذه الحروف وبين السر الأزلى (سر العشق وسر الخلة وسر تلـقى الفيض مباشرة) إنه مجرد ببغاء يردد الحروف ، وهناك من يقول أنه يعلم صغير الطير ، إنه يستطيع أن يقلد هذا الطير لكى يسقطه فى شباكه ، لكن فرداً واحداً هو الذى تعلم لغة الطير وهو سليمان عليه السلام ، فليس كل من قلد صغير الطير استطاع أن يفهم لغة هذا الطير ورجل الحق أيضاً مثله (لتشبيه رجل الحق بسليمان عليه السلام انظر الكتاب الرابع البيت ١٤٣٩ وشروحه) .

(١٤٤٣ - ١٤٤٤) : إن الناس يرددون ألفاظ الدراويش ، ولا يفـتأون يقولـون : قال بعض العارفين أو بعض المشايخ ، وهم يزينون محـافلهم ومجالسـهم بهـذه الأقـوال ويرددونهـا كالببغاوات ، لكن هذا فى حد ذاته لا بأس به فإما أن هذا هو رزقهم وهذه عطاياهم ، وإما أنـه من الممكن فيها أن يبدى لهم الله سبحانه وتعالى الطريق إلى الحقيقة ، فمن العطاء الـقليل يكون العطاء الكثير ، ومن المجاز هناك سبيل إلى الحقيقة .

(١٤٤٥) : الحكاية التى تبدأ بهذا البيت لم ترد فى مصدر قبل جلال الدين الرومى ، وأحد أصحاب القلوب أى أحد العارفين (انظر البيت ١٦١٣ من الكتاب الأول والبيت ٢٢٤٣ من الكتاب الثالث) أما ما يعلم تأويله فإشارة إلى الآية الكريمة ﴿ هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتب وأخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب ﴾ (آل عمران ٧) . والأربعينية المذكورة فى البيت يعنى الخلوة الأربعينية (ذات الأربعين يوما) وقد يطويها (أى يصومها صوماً متتابعاً) بعض المريدين (انظر الكتاب الثانى البيت ٢٥ وانظر تقاليدها عند المولوية كتاب عبد الباقى جلبنارلى (ss. 391-398 Mevlanadan Sonra Mevlevlik والترجمة الفارسية لتوفيق سبحانى مولويه بعد از مولانا ٤٦٨ – ٤٧٣) والراسخون في العلم أولئك الذين لا تزلزل عقائدهم أمام بعض الصعوبات التى يجدونها في المتشابه مثلما لا تزلزل قلوبهم أمام مصائب الحياة ، أولئك الذين يقولون مثلما قال على ﷺ " لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا " ، و " إنى على بينة من ربى " و " ما شككت في حق مذ رأيته " ، (جعفرى ١١/٤٨١-٤٨٢) .

(١٤٤٩) : الواقعة في مصطلح الصوفية حالة مفاجئة من اليقظة وكشف الأسرار (انظر الكتاب الثالث البيت ٣٦٥٨ وشرحه) وهو يسمى الحلم هنا بالواقعة لأن في أحلام العارفين قد تتكشف الأسرار أيضاً (استعلامى ٥/٢٨٩) .

(١٤٥٢) : روضة الذكر وحديقة التفاح كناية عن جمع الخاطر وفراغ البال الذي يمكن الدرويش من الذكر .

(١٤٥٣ – ١٤٦٠) : الجهال أي أولئك الذين لا يعرفون أسرار الغيب ومع ذلك يظنون أنهم يعرفونها ، أما الحجب والأستار فهى علائق الدنيا ومشاغلها التى تمنع عن إدراك الحقائق

وإغماض العيون كناية عن عدم إبصار الحقائق (انظر البيت ٢١٩٨ من الكتاب الأول و ٥٧٢ من الكتاب الثاني وعن إغماض العيون انظر الكتاب الثالث ، البيت ١١٠٩ وشروحه) ، وعن الضعف في البصر أو العلل في البصر ، انظر (٦٧٣ و ١٤٤٤ من الكتاب الرابع) ، وهؤلاء جميعا يريدون بنفاجهم وإدعاءاتهم المريدين والاتباع والمشجعين، إنهم يبيعون بضاعة فاسدة فلا يشتريها إلا من فسدت أذواقهم ﴿ ضعف الطالب والمطلوب ﴾ إنهم يفتون بلا رؤية ، يصفون دون بصر ونظرو يتحدثون عما لا يعرفون " يملأون " الأنظار فحسب ، لكنهم لا يملأون القلوب ، وما مشتريهم إلا جاهل غمر أو ريفي غفل (لمعاني الريفي عند مولانا جلال الدين ، انظر : الكتاب الثالث ، الأبيات ٦٤٢ – ٦٤٦ وشروحها) ، وما القمر في هذه الأبيات إلا مثال لسطوع الحقيقة وعالم الغيب ، فإذا كان هذا ديدنهم في الحقائق الساطعة فما بالك بهم في خفيات الأمور .

(١٤٦١ – ١٤٦٥): المشترى هنا هو الله سبحانه وتعالى ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ﴾ (التوبة /١١١) ، (أنظر الكتاب الأول ، ٢٧٢١) . قال نجم الدين : أي يبذلون النفس لأجل الجهاد الأصغر فيقتلون أي يطلبون الجنة بصرف المال في مصالح الجهاد وبذل النفس فإما أن يقتلوا الأعداء فهم الغزاة فلهم الجنة وإما أن تقتلهم الأعداء فهم الشهداء فلهم الجنة ، والجهاد الأكبر مع النفس المتمردة يجاهدون في سبيل الله أي في طلب الله، وهو لأهل الجهاد الأكبر فيقتلون ويقتلون أي يقتلون النفس الأمارة بالسوء بسيف الصدق ومخالفة هواها وتبديل أخلاقها وبذل المال في مصالح قتلها ، والجهاد معها فعند فنائها يصل العبد إلى ربه ويقتلون يعني تقتل النفس بجذبات الألوهية وتجلي صفات الربوبية (مولوى ٥/٢١٩–٢٢٠) . هذا هو المشترى الذي إذا تقربت منه شبرا تقرب منك ذراعا وإذا سعيت إليه مشيا سعى إليك هرولة ، وهو فوق كل شئ عالم بمبدئك ومنتهاك ، وضميرك ونجواك ، إنه " يشتريك " ، برغم ما يعلم عنك ويجذبك برسن لطفه ، ويدعوك ويناجيك

ويضع عفى فمك الدعاء ويهبك الاستجابة ، وإياك أن تجمع بينه وبين معشوق آخر ، فما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ، وهو الواحد الأحد يغفر كل شئ إلا أن يشرك به .

(١٤٦٦ - ١٤٧٢) : أي مشتر تعدله بالله سبحانه وتعالى ؟! وأية فائدة تتأتى منه ، أله قيمة عقلك وحجاك حتى تسلمه هذا العقل والحجى؟! فلتسلم العقل والحجى لمن منه العقل والحجى ، وليس أولئك الذين تعرض عليهم الغالى وهم لا يملكون ثمن الرخيص ، وما هذا إلا من حرصك " والحريص محروم " ، (انظر البيت ١٤٠٤ من هذا الكتاب) والشيطان يدفعك إلى الحرص ويخوفك من الفقر ويأمرك بالفحشاء والمنكر ليجعلك ملعونا مثله ، فهكذا وعد ﴿لأحتنكن ذريته أجمعين ﴾ و ﴿ لا تجد أكثرهم شاكرين ﴾ ، هذا هو مشتريك في أية صورة كان وما أكثر الصور التى يتجسد فيها الشيطان في زماننا ، هذا هو مشتريك إن لم يشترك الله سبحانه وتعالى ، والشيطان ديدنه الإغواء والإهلاك فاعتبر بقوم لوط أو بأصحاب الفيل " أو بأصحاب الكرملين " ، وتدبر أمرك ، وأطلب المشترى بصبر ﴿واصطبر على عبادته﴾ ، وإلا كنت في التعساء الأشقياء الفانين " لأنهم لم يبقوا ببقاء الحق " ، (انظرمقدمة الترجمة العربية من الكتاب الثالث) وإن كنت تريد مثالا على أن الحريص محروم فإليك المثال مما ورد عن أهل ضروان .

(١٤٧٣) : الحكاية الواردة ابتداء من هذا البيت تكملة لما بدأه مولانا جلال الدين في الكتاب الثالث بداية من البيت ٤٧٤ ، وتركها بعد بضعة أبيات دون أن يستمر فيها وهى بجملتها معتمدة - بخلاف بعض الجزئيات - على ما ورد في سورة القلم ﴿ إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إذا أقسموا ليصرمنها مصبحين ولا يستثنون فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون فأصبحت كالصريم فتنادوا مصبحين أن أغدوا على حرثكم إن كنتم صارمين فانطلقوا وهم يتخافتون أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين وغدوا على حرد قادرين فلما رأوها قالوا إنا لضالون بل نحن محرومون ، قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون ، قالوا

سبحان ربنا إنا كنا ظالمين فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون ، قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها إنا إلى ربنا راغبون ﴾ (آيات ١٧ – ٣٢) وموضوع أنه كان يخرج زكاة المحصول كلما تغيرت قيمة المحصول " المادية والاستهلاكية " ، تثير مسألة فقهية مهمة جدا وهى هل تجب الزكاة على المحصول مرة واحدة أم تجب عليه كلما تغيرت قيمته ، أو تحول من مادة خام إلى سلعة صناعية وربما تعرض لها الشارع في باب زكاة الثمار وفيها أقوال كثيرة يضيق المجال عن ذكرها (انظر محمد جواد مغنية ، الفقه على المذاهب الخمسة ، ص ١٧٤ ، بيروت دار الجواد ١٩٨٤) . وبالنسبة للعين المقدرة اللعواقب الواردة في ١٤٧٣ ، انظر الفرق بينها وبين العين الناظرة إلىالمزود البيت ٢٥٩٥ – من الكتاب الأول ، و ١٥٧٢ من الكتاب الثانى وأيضاً في الكتاب الثالث ، الأبيات رقم ٢٧٦ – ٢٧٨ وشروحها . وضروان حديقة كانت بالقرب من صنعاء .

(١٤٨٨ – ١٤٩٩) : المقصود من محل الكسب أو موضع الدخل كما سيتضح هو الحضرة الإلهية ، وما الزرع بالنسبة للزارع وما الجلد بالنسبة للإسكافى إلا أسباب أو كما يحلو لمولانا جلال الدين تسميتها " دريئات " ، أي مظاهر تخفى الحقيقة وتنوب عنها ، وإلا فمن الممكن أن يصنع الخفاف أخفاف ولا يشتريها أحد ، ومن الممكن للزارع أن يزرع ، فإن تأخر الزرع في النمو ، لم يجد أمامه إلا الحضرة الإلهية فهى أصل الرزق ، وكلها طرق " أسباب " ، ﴿ هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو فأنى تؤفكون ﴾ (فاطر /٣) ، وإذا كان الأمر كذلك فأعلم أن رزقك فيه لا من هذا وذاك ، ونشوتك وسكرك بالفيوضات لا من أي مخدر أو خمر تتعاطاه ، وكن آملا في عطائه لا في عطاء يؤول لك من علم أو يؤول لك من مال ، واطلب النصر منه لا من قومك وعصبتك فهو الحى الباقى ﴿ كل شئ هالك إلا وجهه ﴾، وذات يوم سوف تصير أمامه فردا ، فكن باقيا ببقائه حتى لا تفنى (أن الأرض يرثها عبادى الصالحون (الأنبياء / ١٠٥) .

(١٥٠٠– ١٥١٣) : ﴿يوم يفر المرء من أخيه ، وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه ، لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه﴾ (عبس / ٣٤–٣٧) . ألم تكن هذه هي الصور التي افتتنت بها وانصرفت عمن صورها ؟! سوف تكتشف في هذا اليوم أن كل هؤلاء كانوا أعداءً لك ، كانوا يصرفونك عن وجه الله ، كنت تأتنس بهم ناسياً الأنس بالله، كان رأيهم فيك يهمك ، ولا تقيس ما تفعل بما يرضي الله وبما يغضبه . فهيا إن حدث لك اليوم إن انصرفوا عنك ، فلا تحزن ، لأن هذا ليس سبباً للحزن بل هو مدعاة للسعادة ، فإن ذلك اليوم الذي يكون فيه ﴿ الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين ﴾ (الزخرف /٦٧) قد عجل لك صارت القيامة واقعاً بالنسبة لك ، إنك جدير بالتهنئة لأنك أدركت عيب البضاعة المعيوبة مبكراً ، وانصرف عنك غرم السلعة الفاسدة وانكشف لك زيف ذلك المعدن الخسيس الذي كنت تظنه ذهباً ومن ثم فعليك أن تبتعد عنه بأسرع ما يمكنك .

(١٥١٤ – ١٥٢٥) : مالك تبكي وتنوح إن أبدى لك من تظنه صديقاً العداوة ، وطفح عليه جرب حقده وحسده ، وظهرت على وجهه سخائم قلبه، أولى بك أن تفرح وتوزع الصدقات أن تلك العلاقة التي كنت تظنها صداقة لم تدم طويلاً. (انظر الكتاب الرابع ، الترجمة العربية ، الأبيات ٩٤–٩٩ وشروحها) . وأن يكون هذا مدعاة لنبحث عن الصديق السرمدي الدائم ، الذي يخلص لك الود ولا ينقلب عليك ، تظهر مودته أكثر توثقاً بعد موتك ، إنه عملك ، أو شيخك أو ذلك الذي يكون سلطاناً على القلوب وملكاً على المعاني ، ويثيب ودك وداً ، وإخلاصك إخلاصاً ، أو يكون قد تخلق بأخلاق هذا السلطان وصار ربانياً تقبل شفاعته ، إن هذا هو الجدير حقاً بالصداقة وليس ذلك المزور المحتال الذي نجوت منه ، إن النجاة منه وذلك الجفاء الذي يبديه لك الخلق هو من كنوز الدنيا والآخرة، فالإنسان لابد أن ينتمي ولابد أن يختار، إما أن يكون من هذه الناحية(الدنيا)أو من تلك الناحية (الآخرة)، وألم تبصر عشرات المرات أن الدنيا عندما تدبر عن إنسان ويفتح عينيه فجأة فيجد من كان يظنهم أصدقاءه مجرد منتفعين وأقاربه

مجرد " ورثة " ، أليس من الطبـيعي أن يلجأ إلى الناحية الأخرى ، لا تقل أن هذه نظرة تشاؤم وسوء ظن بالناس ، فحتى إن لم يكن قد حدث لك ذلك حتى الآن ، فسوف يحدث عندما تغادر هذه الدنيا وينقطع نفع المنتفع منك ، تكون وحدك في القبر تدعو دعاء ذكريا عليه السلام ﴿ رب لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين ﴾ (الأنبياء ٨٩) سوف تجأر بالدعاء إلى الله سبحانه وتعالى حين تدرك أن جفاءه سبحانه وتعالى خير من عهود الأوفياء ، فإنه سبحانه وتعالى قد يغفر بعد التوبة وقد يبدل السيئات حسنات ، إن هذا الجفاء أحلى من عهود الأوفياء ، بل إن شهد الأوفياء من عطائك أيضاً .

(١٥٢٦ – ١٥٢٩) : وأنت يا صاحب الأهراء الذي لا تزال تخزن القمح وتظن أن في ذلك نفعا ، أبذر قمحك في أرض الله ، أنفقه في سبيل الله ، فإن هذه هي التجارة التي لن تبور ، اجعل كل عملك وقدرتك في سبيل الله (انظر الكتاب الرابع ، بيت ١٠٨٩) . إن هذا هو المال الذي لا يسرقه لص ، وهذا هو القمح الذي لا يصاب بآفة ، فلا أرضة العقل والتدبير تصيبه ولا شيطان الهوى ، ودعك من الشيطان الذي يخوفك من الفقر ، ويأمرك بالفحشاء ويمنعك من الإنفاق ، فإن كنت صقرا جارحا في الطريق ، فلا تجعل هذه " القطا " تصيدك . فمن العار لبازي السلطان (انظر البيت رقم ١١٣٥ من الكتاب الثاني) ، الذي أعزه السلطان وكرمه ورزقه في البر والبحر وقربه منه ، أن يصيده طائر ضعيف مثل القطاة .

(١٥٣٠ – ١٥٣٦) : عودة إلى الأب الذي يوصي أبناءه ، لكن نصيحة لم تجد نفعا ، كما لا تنفع البذور في الأرض البور ، لم تكن مداركهم تقوى على هذه الحقائق وهم أهل ظاهر وحساب مكسب وخسارة و " دخل عام " ، و " دخل خاص " ، فالأب إنما يتكلم بلغة ، أما الأبناء فيتعاملون بلغة أخرى ، ولغته ونصيحته إنما ﴿ وتعيها أذن واعية ﴾ (الحاقة /١٢) ، وإن الذكرى تكون لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، قال نجم الدين كبرى : " هو القلب السليم من تعلقات الكونين فالقلوب أربعة ، قلب القاسي وهو قلب الكافر وقلب مقفول وهو قلب المنافق وقلب مطمئن وهو قلب المؤمن وقلب سليم وهو قلب المحبين والمحبوبين الذين هم مرآة صفات جلال الله وجماله أو ألقى السمع وهو شهيد أي من لم يكن له قلب على هذه الصفة لا يكون له سمع يسمع بالله وهو حاضر مع الله فيعتبر بما يشير إليه الله في إظهار اللطف أو القهر (مولوى ٥/٢٢٨-٢٢٩) . وعندما لا يكون ثم مستمع ، أو يكون هناك مستمع لكنه لا يهتم ، فإن القائل نفسه يصاب بالإحباط

(لشروح أوسع لـهذه الفكرة ، انظر الكتاب الثالث من المثنوى المعنوى ، الأبـيات ٣٦٠٤-٣٦١٩ وشروحها) والدليل الأنبياء ، لـقـد أثـرت أنـفــاس بعضهم في الحجر (كان الحجر يؤوب مع داود) وتحدث الحجر إلى داود وقال خذني معك لقتال جالوت (انظر الكتاب الثالث البـيت ٢٤٩٧) ، لكن قلوب الكفرة وغير المنتصحين أشد قسوة ﴿ ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار ﴾ (البقرة /٧٤) . لكن قيد الكفر أشد إحكاما وأشد قسوة ، وقيد الأنية وعبادة الذات أشد إحكاما وقسوة ، ومن ضرب عليه بميسم الشقاء لا يدرك شيئاً ، أولئك كالأنعام بل هم أضل ، ومنهم شقى وسعـيد (بالنسبة لـلشقى ، انظر البيت ٢١٣٤ من الكتاب الثالث) .

(١٥٣٧ - ١٥٤٦): يناقش مولانا في هذه الأبـيات قضية غالبا ما تثار على مستويات عديدة: هل العطايا على مستوى الـقابليات بالفعل ، وهل يعطى الـلــه الإنسان بقــدر تقبلـــه ؟! هل يعطى الـلــه الإنسان لأنه جدير بالعطيـة ؟! أم أن عطـاءه سبحانه وتعـالى ليس مستندا على سبب من الأسباب ، أو على الأقل تلك الأسباب التى تعـيها مداركنا ؟! لماذا ترك سبحانه وتعالى هذه الـقلوب الـقاسية التى لا حيلة لـها إلا عطاء مبدل ، وهل يكون العطـاء المبدل لـلـقلوب الـقاسية ، يجيب الصوفية : " فـإن قلت أن الـلــه تعـالى يتجلى على العبد بحسب قابليته واستعداده فكيـف تكون لغير الــقابل، فـتجاب أن الـلــه تعـالى لــه فيضان : فيض أقـدس وفيض مقـدس ، فـالفيض الأقـدس الفيض الآتى فى الذات الإلهية إلى الأعـيان الثابتة فـانه عار من شوائب الكثرة مثالـه كالنور الآتى من قرص الشمس إلى الزجاجات المتنوعـة، والفيض المقدس الفيض الآتى على الأرواح من أعـيان ثابتة كل أحد مناسب لاستعداده الأزلى مثالــه كالألوان المختلفة والأنوار المتكونة مـن الزجاجات المتنوعـة داخل البـيت، فــالفيض الأقدس ليس موقوفـا على القابلية والفيض المقدس يكون على حسب اسـتعداد أزلـى كل أحد، فـالقابلية شرط فيه وهذا هو معنى قولــهم : إن الـلــه يتجلى على العبد بحسب استعداده وقابليته (مولوى ٥/٢٣٠) (انقروى ٥/٤٦٦) ويفسر جعفرى القابليـة بأنها "مراعاة الطبـيعة" فنطفة الرجل لا تتحول إلى بشر إن وضعت فى تراب وشجرة الــلوز لاتنمو على الماء، فالسببية قائمة لكن هذه الأمور لا تجرى على الـلــه سبحانه وتعالى، وقوانيـن العلة والمعلول لا تقيده جل وعلا من أن يفعل من يشاء فهو الفعال لما يريد (جعفرى ١١٠/٤٩٦) فعطاؤه بلا علة وبلا سبب فهى أمور أزلية وقديمة ولا تجرى عليها ما تجرى على الحادث من أمور

وأسباب (أنظر للحدوث والقدم: الكتاب الذى بين أيدينا الأبيات ١٣١٣-١٣١٥)، فهذا العطاء "لم يقل الفيض ولم يقل النور" عطاء أعلى ومن ثم يضرب به المثل "كالعصا في يد موسى واليد البيضاء وبقية معجزات الأنبياء فكلها خرقٌ للطبيعة وعوامل السببية" ولو كان الأمر بالسببية لما خلق وجود من عدم فأية علة أو سببية أو صلة بين الوجود والعدم ، تريد معجزة ؟ وجودك فى حد ذاته معجزة ، وإن كل ما تسميه معجزة هو خرق العادة ، لكن لماذا جعل الله الأسباب ؟ يقول السبزوارى (ص ٣٦٦) إن كلام مولانا فى هذا المجال من قبيل التوحيد المحض حيث ينتفى الإسم والرسم والقابل والمقبول وحقيقة الوجود مقدمة على كل التعينات بل إن هناك وجودات خاصة لها تقدم بالأحقية على المهيآت الإمكانية فهى مجرد قابليات ذهنية فالعطيات بقدر القابليات هى فى مقام الواحدية واعتبار مفاهيم الأسماء والصفات الاعتبارية للأعيان الثابتة ومن هنا يقول العارفون الشامخون أن كل عين ثابتة فى العلم الأزلى يستدعى وجوداً لاتقابها ، وما عامل معهم إلا بما علم منهم فى الأزل، ومفاهيم الأسماء والصفات لوازم غير متأخرة فى الوجود بالنسبة للذات الأقدس. والمقصود بالعز فى البيت ١٥٤٦ أى العز الدنيوى الذى لا بد له من أسباب وطرق ، وإن كان من الممكن أن يحدث أيضاً بلا سبب .

(١٥٤٧ - ١٥٥٥) : أسير السبب ، هو الذى يضع كل الأمور فى إطارها العقلانى الذى يعتمد على روابط السببية والعلية ، إياك أن تظن أننا ننفى السببية ، إن هذا الأمر لا يستطيعه أى إنسان ، فابق على ديدنك من التفكير ، لكن لا تشك فى قدرة الحق على أن يجرى الأمور دون أسباب، لكنه يضع الأسباب حتى لا يقعد الطالب عن مطلوبه ، ولا يقعده عن سعيه اعتماداً على أن الله سبحانه وتعالى قد يجرى الأمور دون أسبابها ، وقليلٌ ما هم أولئك الذين يعتمدون على وعيهم الباطنى من أجل النظر إلى الأمور مباشرة وإدراكها فى غير إطار السببية ، فهذه السببية حجب على صنعه تحجب رؤية الأمور مباشرة ، ورؤية الأشياء كما هى ، والنظر إلى المسبب دون الأسباب ، حينذاك تبصر عالماً خارجاً عن حدود المكان والزمان، وحينئذ تحتقر كل هذه المشاغل الدنيوية التى وضعها الله سبحانه وتعالى من أجل أن يعمر هذا السوق القائم على الغفلة "لتفصيلات عن فكرة أن الدنيا قائمة على الغفلة، انظر الكتاب الرابع الأبيات ٢٣٨-٢٤١ والأبيات ١٣٢٧-١٣٣٠ وشروحها" ، إذن لابد لنظام الدنيا من وجود الأسباب وإلا لما استطاع أحد أن يقوم بضبطها ، ولتحولت إلى غابة ينال القوى فيها كل شئ ولا يترك شيئاً للضعيف .

(١٥٥٦) : الرواية التى تبدأ بهذا البيت ، أقدم مصدر لها حديثٌ منسوبٌ إلى الرسول ﷺ روى أبو موسى "إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض منهم الأحمر والأبيض والأسود والأصفر، ومن ذلك السهل والحزن والخبيث والطيب" ومفهوم هذا الخبر المروى ما روى أيضاً عن وهب بن منبه "لما أراد الله أن يخلق آدم أوحى إلى الأرض أى أفهمها إنى جاعلٌ منك خليقة، فمنهم من يطيعنى فأدخله الجنة، ومنهم من يعصينى فأدخله النار، فبكت الأرض فانفجرت منها العيون إلى يوم القيامة ، وبعث الله جبرائيل ليأتيه بقبضة منها من جوانبها الأربعة من أسودها وأبيضها وأحمرها وأطيبها وأخبثها، قالت الأرض : بالله الذى أرسلك لا تأخذ منى شيئاً فان منافع القرب إلى السلطان كثيرة لكنه فيه خطراً عظيماً، فرجع جبريل ﷺ فلم يأخذ منها شيئاً فقال يارب حلفتنى الأرض باسمك العظيم فكرهت أن آخذ منها شيئاً ، فأرسل الله تعالى ميكائيل فلما انتهى إليها قالت الأرض له كما قالت لجبريل، فرجع ميكائيل فقال كما قال جبريل، فأرسل الله إسرافيل عليه السلام وجاء ولم يأخذ منها شيئاً وقال مثل ما قال جبريل وميكائيل، فأرسل الله ملك الموت عليه السلام فلما انتهى قالت الأرض : أعوذ بعزة الله الذى أرسلك ألا تقبض من اليوم قبضة يكون للنار فيها نصيبٌ غدا فقال ملك الموت : وأنا أعوذ بعزته أن لا أعصى له أمراً، فقبض قبضة من وجه الأرض مقدار أربعين ذراعاً من زواياها الأربعة فصار كل ذرة منها أصل بدن الإنسان فإذا مات يدفن فى الموضع الذى أخذت منه ، فأمر عزرائيل فوضع ما أخذ من الأرض فى وادى نعمان بين مكة والطائف" (المولوى د/٢٣٢-٢٣٣-الانقروى د/٣٧١ مآخذ ١٧٠-١٧١) والرواية تروى فى معرض بيان الأصل فى خلقة الإنسان و، أن الأرض نفسها لم تكن تريد أن يخلق منها الإنسان من أجل ألا يعصى ، فيؤخذ بمعصيته ويمضى إلى النار ، فضلاً عن تعرضه لبلايا العيش فى الدنيا .

(١٥٦٣ - ١٥٦٤) : اللوح الكلى هو اللوح المحفوظ فى رأى، وهو أيضاً اللوح الذى وضع الله عليه علمه ، وأوضحه لجبريل ليبلغه إلى الملائكة .

(١٥٦٥ - ١٥٧٥) : جبريل هو الروح الأمين ، وهو حياة الروح ، ومن ثم صار سفيراً إلى الأنبياء بالكتب التى هى حياة للروح ،ورزق القلب هو العلم والحكمة وفيض الشيخ ،

(انظر الكتاب الأول البيت ٧٣٠) ويوازن بين عطاء جبريل وعطاء ميكائيل عطاء الروح وعطاء البدن ، وكيل لا يحده حد ، وكيل محدود ، وهو يطلب الرحمة لأن الرحمة سبقت الغضب ، إشارة إلى الحديث القدسي "سبقت رحمتي غضبي" وقد تكرر في أكثر من موضع في أجزاء المثنوي الستة ، أما ذكر مولانا جلال الدين في خطاب الأرض لجبريل أنه مع الملائكة الثلاثة الآخرين حملة العرش ، ثم ذكره في البيت التالي إن حملة العرش ثمانية فيفسره المولوي على أن حملة العرش في الحياة الدنيا أربعة وفي الآخرة يمدهم بأربعة آخرين فيصبحون ثمانية إشارة إلى ما ورد في سورة الحاقة ﴿ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية﴾ (آية ١٧) (مولوي ٥/٢٣٤) .

(١٥٨٠) : بالنسبة لقوة جبرائيل أنظر المثنوي الكتاب الثالث الأبيات ١-٥ والكتاب الرابع الأبيات ٣٧٦٧-٣٧٧٠ وشروحها) .

(١٥٨١) : من أجل فكرة أن الملائكة أيضاً تلاميذ لآدم عليه السلام انظر "الكتاب الأول من المثنوي - الأبيات ١٢٥٦-١٢٥٨وشروحها) .

(١٥٨٦) : يذهب استعلامي (٥/٢٩٢) أن مولانا هنا يخطئ عندما يربط بين ظاهر اسم ميكائيل وبين ما يراه وظيفة له وهي كيل الأرزاق على أساس أن الاسم في أصله لا يعطي هذا المعنى ، والواقع أن مولانا جلال الدين الرومي ليس أول من ربط بين إسم ميكائيل والكيل فهو ربط مأثور وتقليدي في التراث الإسلامي .

(١٥٩٦) : ربما كان مولانا في هذا المعنى ناظرا إلى الحديث النبوي الشريف {ما من قطرة أحب إلى الله من قطرة دمع من خشية الله}(استعلامي ٥/٢٩٢ والكتاب الثالث البيت ١٨١٨ والكتاب الثاني الأبيات ٤٤٦-٤٤٧والكتاب الذي بين أيدينا الأبيات ١٣٣ - ١٤٤ وشروحها) .

(١٥٩٩ - ١٦٠٥) : الكلام على لسان ميكائيل في الظاهر ، لكنها إفاضات مولانا جلال الدين : إن المراد بالصلاة هي أن يتضرع العبد إلى الحضرة الإلهية خمس مرات في اليوم، فان الله يحب أن يسمع ضراعة عبده وإنما يبتليه ليسمع ضراعة ، (انظر الكتاب الثالث الأبيات ١٩٧-٢٠٧ وشرحها) التضرع إلى الله سبحانه وتعالى يجعل الإنسان دائماً يحس بالضآلة ويسعى إلى التكامل ويحيا على أمل في أن تسد فرجه، وتجبر كسائره ، ولولا الدعاء والتضرع إلى الحضرة الإلهية لقتل الغم أناساً، ولقتل الطغيان وإحساس القوة أناساً

آخرين (لفلسفة جديدة عن الدعاء أنظر على شريعتى رسالة الذكر والذاكرين ضمن المجموعة الجديدة تحت عنوان عن التشيع والثورة - دار الأمين - القاهرة ١٩٩٦) وفى الأبيات ١٦٠٤و١٦٠٥ إشارة إلى الآية الكريمة ﴿فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا، ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون﴾ (الأنعام ٤٣)، وهكذا تقضى قسوة القلب والرين الذى يجعل القلوب لا تفقه إلى أن العاصى والكافر كليهما ينظران إلى أعمالها وكأنها عين الصواب وغاية المرتجى ، لأن اللـه سبحانه وتعالى سد أمامها طريق الدعوة وطريق التوبة .

(١٦٠٨) : يفرق مولانا جلال الدين فى العنوان بين رأين فى الدعاء الرأى الأول هو رأى عموم المسلمين وهو أن الدعاء إلى العتبة الإلهية قد يرد البلاء لأن اللـه سبحانه وتعالى فاعلٌ ومختار ويمحو ما يشاء ويثبت وهو القائل ﴿ ادعونى استجب لكم ﴾ وبين رأى أولئك الفلاسفة (والفيلسوف فى مصطلح جلال الدين مرادف للمنكر) الذين يقولون أن اللـه فاعل بالطبيعة ، ومن ثم فإن الدعاء لا يغير من الأمر شيئاً (وهناك من الصوفية من ينكر الدعاء على أساس أنه تدخل في مشيئة الله وعدم صبر على البلاء(أنظر الكتاب الثالث قصة الدقوقي) والمثل المضروب عن قوم يونس عليه السلام يعتمد على الآية الكريمة ﴿ فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين ﴾ (يونس ٩٨) قال قتادة فى تفسير هذه الآية :لم ينفع قرية كفرت ثم آمنت حين حضرها العذاب إلا قوم يونس ، لما فقدوا بينهم وظنوا أن العذاب قد دنا منهم، قذف اللـه فى قلوبهم التوبة، ولبسوا المسوح، وفرقوا بين كل بهيمة وولدها ، ثم عجلوا إلى اللـه أربعين ليلة ، فلما عرف اللـه الصدق من قلوبهم والتوبة والندامة على ما مضى منهم كشف عنهم العذاب (مختصر تفسير ابن كثير ، اختصار وتحقيق محمد على الصابونى المجلد الثانى ص ٢٠٨ ، ط٣ ، دار القرآن الكريم ، بيروت ١٣٩٩ هـ) .

(١٦١٩) : إشارة إلى حديث نبوى شريف : قال ﷺ {ليس شئ أحب إلى اللـه من قطرتين ، قطرة دمع من خشية اللـه وقطرة دم يراق فى سبيل اللـه} (جعفرى ١١٧/١٣د) وللحديث صورة أخرى أكثر وثوقاً {عينان لا يعذبهما اللـه يوم القيامة ، عين بكت من خشية اللـه وعين باتت تحرس فى سبيل اللـه}(الجامع الصغير) .

(١٦٢٠) : عودة إلى قصة أخذ حفنة من التراب من الأرض ،ويرسل اللـه تعالى الملاك الثالث إسرافيل صاحب نفخ الصور . وفى رواية عن الأنقروى بعد أن روى الرواية الواردة

فى شرح البيت ٣٧٥٥ من الكتاب الرابع عن تجلى جبريل بصورته الجسدية لسيدنا رسول الله ﷺ "فلما أفاق قال يا جبريل ما ظننت أن أحداً من خلق الله هكذا فقال جبريل : يا رسول الله : كيف لو رأيت إسرافيل إن العرش على رأسه وأن رجليه قد مرقتا فى تخوم الأرض، وإنه ليتصاغر من عظمة الله حتى يصير كالعصفور. وفى المصابيح عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ {إن الله خلق إسرافيل عليه السلام يوم خلقه ضاما قدميه لا يرفع بصره، بينه وبين الرب سبعون نوراً ما منها من نور يدنو منه إلا احترق (انقروى ٥/٣٨١) .

(١٦٢٤ - ١٦٢٥) : تصور الدنيا هنا بكربلاء حيث مصرع الحسين رضي الله عنه وآل بيت الرسول ﷺ على أساس أنها دار الكرب والبلاء﴿ فما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة ﴾ ﴿قال من يحيى العظام وهى رميم قل يحيها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم﴾ .

(١٦٢٨ - ١٦٣٨) : يخرج مولانا جلال الدين عن محاولة اسرافيل اخذ حفنة تراب من الأرض ويتحدث عن أنهار الرحمة الجارية تحت العرش والواردة فى سورة محمد ﴿ مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ﴾ (آية ١٥) وقد ربط مولانا بين هذه الأنهار وبين أعمال المتقين (أنظرالكتاب الثالث الأبيات ٣٤٦٢-٣٤٦٧ وشروحها) وعن الجرعة التى انصبت من هذه الأنهار انظر فكرة تعد مثيلتها عن جرعة الحسن التى ألقيت على الأرض فى شرح الأبيات ٣٧٢ - ٣٧٩ من الكتاب الذى بين أيدينا ، وعن تأثير هذه الفكرة فى النزعة الإنسانية عند مولانا أنظر مقدمة الكتاب الرابع من المثنوى ص ١٤ حيث يدق على الفكرة القائلة أن الخليقة هنا جزء من كل جزء ملوث من كل طاهر وأن هذا الجزء نزاع إلى الكل مشتاق إليه ، وعن رحلة الماء من طهر إلى كدر ثم طهر مرة ثانية انظر الكتاب الذى بين أيدينا الأبيات ٢٠٠-٢١٠ وشروحها).

(١٦٤٩ - ١٦٥٩) : روى فى حق عزرائيل عن كعب الأحبار قال : قال ﷺ خلق الله عزرائيل عليه السلام بحيث كان رجلاه فى تخوم الأرضين ورأسه فى السماء العليا ووجهه يقابل اللوح المحفوظ وله أعوان بعدد من يموت، والخلق كلهم بين عينيه، لا يقبض روح مخلوق إلا بعد أن يتوفى رزقه وينقضى أجله (أنقروى ٥/٣٨٥) والتراب صاحب الخيال والأوهام أى الذى يظن أنه بتضرعه هذا يستطيع أن يحول قدره وأن يرد قضاء الله

عليه ، والإنسان لا يزال يلجأ إلى خياله وأوهامه ويحولها إلى آداب وفنون رغبة في الخلود ، والخلود لله سبحانه وتعالى وحده ، ويصور الأرض أيضاً بأنها عجوز ضعيفة لكنها ظالمة ، منها سوف يخلق الإنسان الضعيف الظلوم الجهول ، وعزرائيل عليه السلام يوصف بأنه مطاع ثم أمين على أساس أنه لا يستطيع أن يحيد عن رسالة حملها له الله سبحانه وتعالى وهو القابض للأرواح الحازم، وعندما تقول الأرض : إن الله تعالى أمر أيضاً بالحلم ، فلماذا لا ينفذ الأمر بالحلم؟ يرد عزرائيل بأن هذا الأمر تأويل وقياس ، والتأويل تفسير الآيات والأحكام بوفق إدراك المرء وفي سبيل منفعته (انظر الكتاب الأول الأبيات ١٠٨٥-١٠٨٨و ٣٧٥٦ وشروحها) والقياس هو الاستدلال في حكم كلي وتعميمه على حكم جزئي ، وهذا كله في رأي لمولانا جلال الدين من قبيل الالتباس ، فأول نفسك ولا تؤول حكم الله أي كن مستعداً لقبول أحكام الله اياً كانت ، وأول فكرك أنت وإياك وتأويل غير المشتبه من الآيات ، وأنا مكلف بأداء أمانة ، والله أمر برد الأمانات إلى أهلها .

(١٦٦٠ - ١٦٦٤) : هل يكون الموت ضرراً في كل الحالات؟ بل هل يكون الموت ضرراً في أية حالة في حالاته ؟ حتى ذلك الذي يعاني الألم ألا يكون الموت راحة له في النهاية ، وأليس اليتيم الذي يصفعه الموت قد يفيق ويواجه الحياة خالية من تدليل الأب أو الأم فيكون أكثر فلاحا ونجاحا مما لو كان أبوه حيا يبسط ظل حنانه عليه ؟ ألا تكون صفعة الموت في النهاية أكثر حناناً من حلوى يقدمها مفسد أو مستغل؟ ، يقول سنائي أن الموت ليس شراً في كل أحواله ، فمنه يكون لك المال والميراث أليس موت الشيخ قبل ولده الشاب المريض رحمة به ؟

(١٦٦٥ - ١٦٦٩) : لا يزال الكلام على لسان عزرائيل لكن هذا الجزء يبدو من إفاضات مولانا جلال الدين الذي لا يزال يدق على أن هنالك لطفا مخفياً في القهر كما يختفي العقيق في الحدث ، فإن هذا اللطف وإن اختفى في القهر فإنه لا يخلو من الحكمة الإلهية، إذ لا يصدر عن الكريم إلا الكرم ولا يخلق ربنا شيئاً عبثاً ، ووسعت رحمته كل شئ ، وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم (عن تفصيلات لفكرة اللطف المخفي في القهر والقهر المخفي في اللطف انظر الكتاب الثالث الأبيات ٣٢٦٦ وشروحها والكتاب الذي بين أيدينا الأبيات ٤٢١-٤٥٥ وشروحها) أليس تسليم الروح يبدو لك قهراً؟ إنه ليس قهراً في الحقيقة ، إنه انتقال إلى مرحلة أعظم وأجمل من العمر ، إن البقاء الحقيقي

فى الفناء (انظر مقدمة الكتاب الثالث- وعن الموت كبوابة لحياة أفضل انظر الأبيات ٣٥٣٧ - ٣٥٥٥ وشروحهامن الكتاب الثالث) وإياك أيتها الأرض أن تعتبرى استدعاءه لك قهراً ، أنه عين اللطف :

مثل تلك اللطافة والحسن والجمال الذى يهب الروح

ويصير عنه إنسان ، فما أعجبه من شقاء وما أعجبه من ضلال

إننى بازى على ساعد السلطان ، وها أنا أعود إلى ساعد السلطان

عندما أسمع صوت "ارجعى" من الطبول والمقارع

فكيف لا تطير الروح عندما يأتيها من جناب ذى الجلال

خطاب اللطف منادياً أياها أن تعالى (كليات ديوان شمس تبريزى غزل سنة ١٣٥٣ ، ص ٥٢٥)

(١٦٧٦ - ١٦٨٢) : الأمر الذى أثار الغبار من قلب البحر إشارة إلى انشقاق البحر لبنى إسرائيل ، والأبيات الواردة على لسان عزرائيل فى التوحيد والتمجيد والتسليم المطلق للخالق المتعال الذى هو أعز من الروح (انظر البيت ٣٦٩٣ من الكتاب الذى بين أيدينا) ، وهو الذى لا يأخذ بل يعطى أنه لا يأخذ الروح بل يهب فى مقابلها آلاف الأرواح (الكتاب الأول البيت ٢٤٦ ، فهو يأخذ نصف حياة ويعطى بدلاً منه مائة حياة ، بل هو يعطى ما ليس يخطر لك ببال وانظر الأبيات ٢٢١-٢٤٦ من نفس الكتاب الأول) ، وإحراق الكليم من أجل برغوث مثل فارسي يضرب لمن يضحى بالغال فى سبيل الرخيص ، وورد أيضاً عند سنائى (البيت ٧٠١٧ من حديقة الحقيقة) وماذا يكون عزرائيل بكل ما يوحيه اسمه من خوف ورعب ؟ مجرد سنان فى كف الخالق ، انظر كيف حول مولانا جلال الدين الأرض إلى كائن حى يبكى ويتضرع ثم ساق كل معانيه لتشمل الخليقة كلها والأحياء كلهم ؟

(١٦٨٣ - ١٦٩٣) : وردت الترجمة العربية لقول أبى اليزيد البسطامى عند إسماعيل الأنقروى "إنى أكلم الله منذ ثلاثين سنة وأسمع منه والناس يظنون أنى أكلمهم وأسمع منهم" (٣٩١/٥) فى حين قال استعلامى (٢٩٧/٥) أن هذا القول لم ينسب إليه فى مصدر من مصادر التصوف ، أما المثل فلم أعثر له على أصل ، والمراد بالأبيات أن القدرة الإلهية تجعل كل مخلوق ميسراً لما خلق له قائماً به ، سواء كان كأساً يهب الانتشاء أو خنجراً يفضى إلى الهلاك أو عيناً تفيض بالماء ، أو ناراً تهب الدفئ وتنشر اللهب ، أو مطراً

يؤدى إلى الخير ، أو رمحاً ينفذ فى الأجساد . وليس الأمر هنا بجبر أو أن فاعل الشر مجبر عليه (انظر العدل قسام وجدير بالقسمة الكتاب الرابع الأبيات ١٦٤٣ - ١٦٤٤ وشروحها) . وما هذا كله إلا لأن قلب المؤمن وهو أصل الفكر وأصل العمل وأصل الاتجاه بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبهما كيف يشاء ، (حديث نبوى) ، لقد حمل التراب فى النهاية كما تحمل الطفل الهارب إلى المكتب ، بالطبع لكى يتعلم ولكى يدرك حكمة الخالق ، الذى لا يفعل شيئاً عبثاً تعالى عن ذلك علواً كبيراً .

(١٦٩٤ - ١٧٠٩) : يقول الله تعالى لعزرائيل بعد أن نجح فى مهمته : لقد قررت وهذا موجود فى سابق علمى ، أو يقول بحق علمى المطلق لأجعلنك أنت قابضاً لأرواح الخلق وجلاداً لهم وأنه سبحانه وتعالى سوف يحميه من عداوتهم المفترضة بأن يجعل للموت أسباباً من أمراض وعداوات وإحن (انظر الكتاب الرابع الأبيات ٣١٠٢-٣١٠٧ وشرحها) لكن هؤلاء أمرهم سهل ، أولئك الذين يأخذون الأمور على ظواهرها، لكن هناك أيضاً من عبادك يا الله من ينفذون من حجب الأسباب (لمناقشة الأسباب والمسبب والاختلاف فى النظرة بينهما انظر الكتاب الذى بين أيدينا١٥٤٣-١٥٥٥ وشروحها) ويحتج عزرائيل بأنهم لن ينظروا إلى هذه الأمراض : فلا موت هناك بالمرض بل الموت بالأجل، وأن الله سبحانه وتعالى لم يخلق داءً إلا وخلق له دواء ، ولكل داء دواء يستطب به (إلا الحماقة) لكن القضاء والأجل عندما يحم ، فلا من بر ولا بحر يقى ، ولا دواء ينفع ولا علاج ، ينفذ البرد إلى الجسد من خلال مائة فراء ، ويصاب الجسد برعشة وإذا جاء القضا وإذا حم القضا فلا طبيب ، وإن الله إذا أراد إنفاذ أمر سلب كل ذى لب لبه "حديث نبوى"(استعلامى ٢٩٨/٥ الكتاب الأول١٢٣٤-١٢٤١) هذا هو الأصل ، الأجل والقضاء ، والأمراض والعلل وعداوات الخصوم وما إلى ذلك كلها فروع ، ومن ينظر إلى الأصول هم الكاملون وهم قليل ، وهم الذين اكتحلوا بكحل التوحيد فصاروا ينظرون إلى الأمور كما هى .

(١٧١٠ - ١٧٢٧) : وهذا هو ما أقصده تماماً ، أولئك العلماء بالأصول والذين لا ينظرون إلى الأسباب لن يفكروا فيك ولن ينظروا إليك على أساس أنك القائم بالأمر ، إنك حجاب سواء عند العوام وعند الخواص ، أنت مخفى عن العوام ، وأنت عند الخواص مجرد دريئة وحجاب ، أنت مخفى عن العوام ظاهر فى الموت ، وأنت عند الخواص مجرد حجاب على فعلى ، إذ أنى أنا الفعال وأنت الأداة ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون ، وهؤلاء أصلاً

لا يهتمون بما تقوم به أنت من عمل ، ولا يعتبرونه أمراً مكروهاً ، إذ يعلمون أنهم لا يموتون بل ينقلون من دار الفناء إلى دار البقاء ومن دار الفساد إلى دار الكون ، ومن اللذات الدنيوية الفانية إلى معدن اللذة ومنجم الجمال ومن النعيم الفاني إلى النعيم الباقي ، إنه ليس موتاً بالنسبة لهم بل هو عرس ، (انظر الكتاب الثالث الأبيات ٣٥٢٩-٣٥٣٦ وشروحها) إنه ليس سجناً في القبر بل هو إفراج من سجن الدنيا ، وأحرى بمن هم في سجن الدنيا أن يترقبوا الخلاص لا أن يضيقوا به، تراك يا عزرائيل سوف تكون مكروهاً عند من يعلمون حقائق الأمور وأنت تنقب عليهم أبراج سجن الجسد لكي تنطلق أرواحهم تلك الطيور القدسية إلى سدرة المنتهى فتتخذ فيها أعشاشها؟ إن السجين الذي يضيق بالحرية ويحب السجن هو الذي يكون خارجاً من السجن إلى المشنقة(الجحيم) لكن الكمل يعلمون أنهم يخرجون من السجن إلى الرياض والبساتين والقصور ، ألم تكن تحلم طوال وجودك في هذا السجن بالرياض والبساتين ؟! كان الليل يحررك أيها الفيل الحالم بالهند ، (انظر الدنيا ممثلة بالنوم أو بحلم النائم في الكتاب الرابع ، الأبيات ٣٦٥٠ - ٣٦٦٤ وشروحها ومن حلم الفيل بالهند أي حلم الإنسان بالجنة والنوم أخ للموت ، انظر من نفس الكتاب الأبيات ٣٠٦٠ - ٣٠٧١ وشروحها) . إنه ليس موتا إنه عرس ، ألست وأنت تحلم بالرياض والبساتين طيلة نومك في السجن تتمنى على الله ألا يوقظك من النوم ، وأليس من رحمة الله تعالى أن يقبضك في نومك إن كنت من أهل الصلاح فتنتقل إلى هذا النعيم الأزلي دون أن تذوق طعم شربة الموت ، وكيف يمكن أن يسمى هذا موتا ، إنه عرس ، ولا يمكن أن يكون سوى عرس ، وفي ديوان شمس (موتنا هو عرس الأبد) ، (غزلية ٨٣٣ ، ص ٣٣٨) .

(١٧٢٨ - ١٧٤٢): هذا هو الطريق الأسمى ، فكن دائما من أجله في قيام ، قم قيام الشمع أمام المحراب في هذا الليل المظلم ليل الدنيا وليل الفتنة ، وليكن ذيلك في هذا هو الطلب فمن قرع بابا ولج ولج (انظر من أجل تفصيلات عن الطلب الكتاب الثالث ، الأبيات ١٤٤٠ - ١٤٥٠ ، وعن الدمع وقيمة الدمع ، انظر الكتاب الذي بين أيدينا ، الأبيات ١٥٩٩ - ١٦٠٥) ، فليكن نظرك إلى السماء ، أليس أصل العطايا يأتي من السماء إلى الأرض؟ فبما بالك تحزن إن حملت من الأرض إلى السماء ، وإياك أن تستكثر هذا على نفسك ، ألم تقم بالطلب في نهاية الأمر ؟! أليس كل طالب مجد يصل في النهاية إلى مطلوبه ، دوام على الطلب ، حتى يخرج قلبك ذلك السجين من جب الجسد ، ودعك من هؤلاء الذين سوف يبكون

ويتحسرون على موتك ، إذا كان جسدك قد طوى في التراب فـان الجنان الثمانية قد فتحت من أجلك (المعنى من حديقة سنائى ، انظر الأبيات : ٢٦٥-٢٨٠ وشروحها من الترجمة العربية لحديقة الحقيقة لكاتب هذه السطور) لقد استراحت الروح من اوضار الجسد ولم يعد يهمها إن كان ثاويا في روضة أو في مستودع قمامة ، مادامت الروح موجودة في العالم السماوى تصيح : ﴿ يا ليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى ، وجعلنى من المكرمين ﴾ (يس /٢٦-٢٧) (انظر أيضاً الكتاب الثالث البيت ٢٠١٨) إن السماء والعالم العلوى والأفلاك كلها مهيأة من أجل حياة الروح الخالدة، وماذا تعنى إذن ﴿وفي السماء رزقكم وما توعدون﴾ (الذاريات / ٢٢) ، هذا هو الرزق المعنوى ، راحة الروح وسرور العقل ، والحكمة التى لا تكسد والبصيرة التى لا تكل .

(١٧٤٣ - ١٧٤٨) : العبارة المنقولة في العنوان : " الجوع طعام الله يحيى به أبدان الصديقين " ، اعتبرها فروزانفر حديثًا نبويا ، ونقلا عن شرح التعرف على مذهب أهل التصوف لإبراهيم بن المستملى البخارى " أحاديث مثنوى ، ص ١٤٨ " ، وهناك حديث آخر " صوموا يوما وأفطروا يوما فإنى لست كأحدكم إنى أبيت عند ربى يطعمنى ويسقينى " (أحاديث مثنوى / ٣٦) ، (انظر الكتاب الأول البيت٣٧٥٤) (وعن الجوع انظر البيت ٣٠٣٦ من الكتاب الثالث) و " يرزقون فرحين " ، جزء من الآية الكريمة ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ﴾ (آل عمران / ١٦٩-١٧٠) ، والدسم والقوت الشريف هو الغذاء الروحانى عند رجال الحق ، إنه لا يصيب بالامتلاء أو القولنج أو آلام الجسد ، بل تزيد به صحة ، وتمضى كلما ازددت " أكلا " ، منه خفيفا حاذا (انظر ١٦٩٧ من هذا الكتاب) وضرب المثل بجوع طائر الزاغ لأنه يطلب العمر الطويل ويحرض على الدنيا (انظر البيت ٤٥ من هذا الكتاب) ، أما غذاء الحكمة فيجعلك كالسفينة طافيا على هذا البحر الطامى العباب (الدنيا) .

(١٧٤٩ - ١٧٥٩) : ما هو السبيل للحصول على هذا القوت المعنوى ، إنه الصوم والانتظار ، اصبر واصمت وتحير وداوم على الطلب بقلبك لا بلسانك تنزل عليك مائدة الرحمة الإلهية، إن شبع العين هو شبع القلب غير متعجل للعطاء غير ملول في انتظاره ، ترفع عقيرتك في طلب القوت كل لحظة ، فالشبع لا يتعجل الطعام، صورة معاشة ، والشبع هو شبع النفس وليس شبع البطن فإنه لا يشبعها إلا التراب ، كن رجلا صاحب همة ، ولا

تكن شحاذا ملحاحاً سمجاً ، فإن هذه الدولة التى يبلغ عطاؤها سبعين ضعف عطاء هذه الدولة " الموجودة على الأرض " ، والتى ينتظر الشحاذون عطاءها ، أما الأغنياء (بالله) فهم الذين ينتظرون العطاء من الله لا من سواه وينتظرون المائدة العلوية ، فانتظار المائدة العلوية نوع من العبادة وليس محنة كانتظار العطاء من طواغيت الأرض (عن هذا الانتظار ، انظر الكتاب الرابع ، الأبيات ١٢٢٢ - ١٢٢٥) وفي النهاية فإن كل من ينتظر نوالا من أرباب الدنيا قد يناله وقد لا يناله ، لكن منتظر عطاء الحق لابد وأن يناله ، المهم أن يكون صاحب همة ، وأن يكون العطاء الذي يطلبه بقدر قيمة المعطى ، فالضيف الذي ينصرف إلى شرب الحساء على المائدة يدل على ضعف همته ، فينصرف المضيف عنه لكنه إذا قلل من شرب الحساء فان المضيف سوف يأتي بالطعام الدسم ، لا تقل إنك جربت هذا ولم يحدث، فمن قال لك أننا نتحدث عن هؤلاء الأخساء البخلاء ، إننا نتحدث عن الرزاق الكريم الذي لو أعطى كل امرىء ما يطلبه ما أنقص هذا من خزانته مثال ذرة ، فاطلب بشموخ وكبرياء فإنما تطلب من العزيز العلى ، وحتى تسطع عليك شمس كرمة كما تسطع على قمم الجبال عن طلوعها .

(١٧٦٠ - ١٧٧١) : ما ورد هنا يشبه ما ورد في الكتاب الثالث (الأبيات ٣٩٦٢ - ٣٩٨٥) منسوباً إلى جالينوس وإن كان مولانا يستعبد أن يكون جالينوس متعلقاً بالدنيا كل هذا التعلق برغم حكمته ، ونظرة مولانا إلى الموت مثل نظرة كل الصوفية ،انه بوابة إلى حياة أعظم وعرس وبداية مرحلة من الكمال الإنسانى تتبع مراحل وتتلوها مراحل أخرى ، وهذه النظرة بالطبع تختلف عن نظرة الكثيرين من شعراء الفرس ومنهم الفردوسى الذي قال :

كانت الدنيا ستصبح جنة بأريجها وألوانها لو لم يكن فيها الموت والشيخوخة

(عن استعلامى ٥/٣٠١)

أو الخيام الذي أقام مناحة في رباعياته من جراء فناء ابن آدم بعد هذه الحياة الدنيا ، وقد يكون أحدهم المذكور في البيت ١٧٦ هو جالينوس ، أما الآخر المذكور في البيت ١٧٦١ الذي يرى قيمة الدنيا في أنها صائرة إلى الموت لأنه بلوغ الغاية ونيل الوصال فيشير السبزوارى (ص ٣٧١) أنه الإمام على ﷺ الذي قال

جزى الله عنا الموت خيرا فإنه أبر بنا من والدينا وأرأفُ

ويكون الأمر كما لو أن الخليقة عبارة عن بيدر من القمح بسط في واد فلا هو ذرى ، ولا

استخرج القمح منه ، ولا صنع منه الخبز ، فالموت هو الذي يصفي الحياة مرحلة بعد مرحلة ويجددها ، ولو لم يوجد لجأر الناس بالصراخ مطالبين به (انظر لتفصيل هذه الفكرة ، الكتاب الرابع ، الأبيات ٣٠٠١-٣٠٠٨ وشروحها)، وذلك الذي يكره الموت لم ير ميتا حتى يسأله، وآنذاك سوف يكتشف أن الموتى لم يعانوا قط حسرة الموت بل كانت حسرتهم كلها من أجل القوت ، أي فوت فرصة العمل الصالح . كما قال الرسول ﷺ : { ليس للماضين هم الموت إنما لهم حسرة الفوت } (انقروى ٥/٤٠٥) . يتمنون لو يعودوا ليعملوا صالحا ، كلا ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون ، إن الذي يقف عند ظاهر الحياة الدنيا ، يلعب النرد لعبة مقلوبة ، ويفهم الأمور على عكسها ، ويلقى ببذوره في الأرض البور ، ويترك أرض الله الواسعة (عن أرض الله الواسعة ، انظر الكتاب الرابع ، الأبيات ٢٣٨٠ - ٢٣٨٣ وشروحها) إنه عقلك الكاذب الذي يبعدك عن عقلك الإيماني ويبدى لك الأمور مقلوبة إلى هذا الحد ، وإلا فأية نسبة بين البئر (الدنيا) والخلاء (الآخرة) ذات المتعة واللذة والسعة ، وأية نسبة بين إيوان الباطل و ﴿ مقعد صدق عند مليك مقتدر ﴾ أية نسبة بين خمر الدنيا التى تخمر من المخيض ، وبين خمر الخواص اللذة للشاربين ، وهكذا ، إن لم تكن قد عشقت حياة تحسد عليها ، فمت موتا كموت الرجال تحسد عليه ، وانتهز ما يتبقى من العمر ، وهكذا يكون موت الرجال بديلا مطروحا لحياة الذل والمسكنة .

(١٧٧٢ - ١٧٨٦) : العنوان : ﴿ وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولى الحميد ﴾ (الشورى/٢٨) . والعبارة " رب بعد يورث قربا ورب معصية ميمونة ورب سعادة تأتى من حيث يرجى النقم " ، ليست حديثا كما ينص مولانا في البيت الأول بل هى من أقوال الأولياء ، ويضرب إسماعيل الانقروى مثالا على المعصية الميمونة بهم عمر بن الخطاب ﷺ قبل إسلامه بالاعتداء على الرسول ﷺ وكان في ذلك إسلامه ، والسعادة تأتى من حيث يرجى النقم هى اللطف في ثوب القهر وقد مر ، و الآية ﴿ فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ﴾ (الفرقان :٧٠) . ويرى استعلامى أن هناك رواية مشابهة في حلية الأولياء لأبى نعيم الاصفهانى (لم يحدد في أى جزء) (استعلامى ٥/٣٠٢) وكما أن " الناس نيام إذا ماتوا انتبهوا " ، وكما أن " النوم أخ الموت " . وأهل الجنة لا ينامون ولا يموتون (كنوز الحقائق) ، والحديث النبوى : { إنكم لتموتون كما تنامون وتبعثون كما تستيقظون } " أحاديث مثنوى /١٦٤) . وكما أن النوم هو " الموت الأصغر " ، فالصبح أيضاً هو الحشر الأصغر

والبـيت ١٧٣٨ ناظر إلى الحديث الشريف " يبعث كل عبد علـى ما مـات عليـه " ، والحديث النبوى " إنكم تموتون كما تعـيشون وتحشرون كما تموتون " (انقروى ٥/٤٠٩) .

(١٧٨٧ – ١٧٩٤) : هكذا قـال منامنا وصحونا شاهدان على موتنا وحشرنا، وإن كان الأمـر هنا لا يعدو مجرد مجاز و " خيال " ، فليـس النـوم هـو المـوت وليست اليقظـة هـى الحشر ، وإنما هو مجرد تشبـيه والأمور لا تكون حقيقة أو عـيانا إلا " هنـاك "، حيث تتحـول الأمـور كلـها إلى عـيان شديد الوضوح ، لكن الأصل هنا ، أصل ما يبدو هناك موجـود هنـا ، تمامـا مثلما تكون صورة الدار موجودة في خيـال المهنـدس وفـي " قلبـه " ، كمـا توجـد البـذرة فـي الأرض ، ثم ينفذ المهنـدس تلك الصـورة الموجـودة فـي خيالـــه ، كمـا تجعـل الأرض البـذرة تنمو ، وهكذا كل " خيال " ، يتوطن في القلب ، وكل " فكرة " ، تعن لـه سـوف تتصـور يـوم الحشر ، أو كما قال الرسول ﷺ : { يبعث الناس على نياتهم } (انقروى ٥/٤١١) .

(١٧٩٥ – ١٨٠١) : إن هدفى من هـذا الحديث هـو أن أقدم درسـا يستفيد منـه المؤمنـون : فعندما تشرق شمس الحشر ، يهرع الموتى من أجداثهم مصداقا لــلآية الكريمـة ﴿ ونفـخ فـي الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون ﴾ (يس /٥١) و ﴿ يوم يخرجون مـن الأجـداث سراعا كأنهم إلى نصب يوفضون ﴾ (المعارج /٤٣) ، إنهم يمضون إلى الحسـاب والمـيزان ، هذا هو ديوان القضاء الأكبر ، يمضون كما يمضى الذهب النضار والذهب الزائـف ، كلاهمـا إلى بوتقة الصائغ وكير الحداد (عن المحـك لــلتمييز بــين الصحيح والزائـف انظـر الكتـاب الرابع الأبـيات ١٦٧٦ – ١٧٨٩ وشروحها) . وها هى أنواع الامتحانات تتوالى عليك (انظر عن الامتحان الكتاب الثالث ، الأبـيات ٧٤٣ – ٧٤٦ وشروحها) . فتظهر أعمالك مثلما يظهر أفي القنديل ماءٌ أو زيت ، هل أنت من الذين (يسعى نورهم بـين أيديهم) (الحديث /٦٢) ، أو من ذوى الوجوه التى ﴿ عليها غبرة ترهقها قترة ﴾ (عبس /٤٠ ، ٤١) ، ومـا فـي داخلك سوف يظهر كالنبات الذي تدفن بذرته في الشتاء ، فيأتى الربـيع ويجعل منه نباتا سامقاً .

(١٨٠٢ – ١٨٠٥) : وانظر إلى الناس ، وانظر الفرق بـين الشقى والسعـيد فأولئك الذين هـم من المتقين يكونون ﴿فى مقام أمين في جنات وعـيون يلبسون من سندس وإستبرق متقابلين ﴾ واما الفجار الفـاسقون المجرمون فيكونون مصداقا لــلآية الكريمة : ﴿ ولو ترى إذ المجرمون ناكسو رؤوسهم عند ربهم ﴾ (السـجدة/١٢) . و ﴿ زاغـت الأبصـار ﴾ (الأحـزاب / ١٠) ، و ﴿مهطعـين مقنعى رؤوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هـواء ﴾ (إبراهيم /٤٣) إن الكتـب

سوف تأتى ، سوف تسقط عليك في يمينك أو في يسارك دون أن تدرى ، ولن يستطيع أحد أن يغير ، فلا حول ولا طول ، والخشية كل الخشية أن يأتى الكتاب في اليسار ﴿ فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب إلى أهله مسرورا وأما من أوتى كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا ويصلى سعيرا ﴾ (الانشقاق / ٧-١٢) .

(١٨٠٦ - ١٨٢٠) : ويفاجأ الكافر الزنديق في يده بكتاب أسود يجمع كل جرائمه وفسقه ، فلا حسنة واحدة ، ولا عمل صالح واحد ، ليس فيه إلا ما يؤذى قلب كل مؤمن ، كله سخرية من أهل الطريق وتطاول عليهم، كله كبرياء وفرعونية وأنية مفرطة ونرجسية فجة ، كله سرقة واحتيال ومكر ، وظلم للخلق ، يكون في طريقه إلى المشقة وإلى الجحيم ، ظاهر الجرم ضائع الحجة مختوم على فمه ﴿ اليوم نختم على أفواههم ﴾ (يس /٦٥) ، وماذا يستطيع أن يقول ، لقد ذهبت تلك السطوة التي كان يتوقح بها في الدنيا ويعتمد عليها ، ربما سطوة لصوص أكبر منه يحمونه ، ها هو يمضى وملائكة العذاب من حوله كالعسس يضربون رأسه ودبره ، ﴿ ذق إنك أنت العزيز الكريم ﴾ (الدخان /٤٩) ، إنه يتلفت ، يستغيث ، ثمة أمل عنده في العفو لكنه أمل محال ، أمل واه ، فهو أدرى بنفسه ، تلك النفس الفرعونية التي ووجه بها لأول مرة عارية لا يسترها حتى ثوب الرياء .

(١٨٢١ - ١٨٣٤) : ويأتيه الخطاب الإلهى ﴿ كلا لا وزر ﴾ (القيامة /١١) ، هذا يوم العدل الإلهى ، ماذا تنتظر ، ولماذا تتلكأ ، وأى أمل لك وأنت أدرى الناس بعملك ، إنك لم تنو نية خير واحدة ، إنك لم تر سوى فعلك ﴿ وما ربك بظلام للعبيد ﴾ (فصلت /٤٦) ، و " إنى حرمت الظلم على نفسى " ، فلا أنت نويت خيرا ولا فعلت خيرا ، ولا اتعظت، وعملك هو نفسك وهى معوجة فلابد أن يكون ظلها معوجا ، والجزاء من جنس العمل ، فكيف تتوقع أن يكون الكتاب في يمينك وسعيك كله في فعل أهل الشمال ؟! ولقد فعلت كل هذا وكان باب التوبة مفتوحا أمامك ، لكنك لم تتب (عن باب التوبة ، انظر الكتاب الرابع ، الأبيات ٢٥٠٣ - ٢٥٠٨ وشروحها) .

(١٨٣٥ - ١٨٤٤) : فيجأر العبد بالضراعة إلى الله سبحانه وتعالى " نعم عندى أمل يا الله ، فأنا أعلم أننى فعلت كل ما نسب إلى وهناك الكثير أيضاً مما ستره حلمك على ، لكنى أيها الإله ، هناك شئ ما خارج عن جهادى وخارج عن فعلى ، عن جرائمى وفضائحى ، عن ضراعتى ، وعن عجزى وقلة حيلتى ، عن ضراعة مائة من أمثالى ، هو رجائى في

محض عفوك ومحض لطفك ، وكلاهما لا علاقة لــه بعتوى وظلمى، إنه هو العطاء المحض ، هذا كان أملى ، كان التفاتى كلــه إليه ، كان رجائى كلــه فيه ، هذا العطاء المحض الذي منحنى الوجود منذ الأزل (انظر لحفظ اللــه للنطف في الأصلاب ، ولطفه العميم ، الكتاب الثالث ، الأبيات ٣٣١ - ٣٣٧ وشروحها) ، لقد أعطيتنى خلعة الوجود وخلقتنى وهديتنى السبل ، كان ديدنك معى - يا اللــه - هو العطاء ، لم تمنع عنى عطاءك ، وأنا غارق في الذنب ، فكنت يا اللــه دائم الأمل في هذا العطاء .

(١٨٤٥ - ١٨٥١) : هذه الضراعة ، والاستغاثة ، والدموع هى التى تجعل بحر الرحمة يجيش ، (انظر شروح البيت ١٥٦٩ من الكتاب الذي بين أيدينا) ، فيأمر اللــه سبحانه وتعالى الملائكة قائلا : ردوه إلى ، لقد كان آملا فينا ، طامعا في وجهنا ، كان الرجاء فينا راسخاً في سويداء قلبه ، إن هذا الرجاء جدير بالعفو ، فلا نفع لنا من صلاحه ولا ضرر علينا من سوئه ، ولنضرم النار في كتاب أعمالــه فلا زلة ولا خطأ ولا سوء ، ويعلق الأنقروى راويا حديث عن الرسول ﷺ : { من أذنب ذنبا فعلم أن لــه ربا إن شاء أن يغفر لــه غفر لــه وإن شاء أن يعذبه عذبه ، كان حقا على اللــه أن يغفرلــه } (جامع ٢/١٦٢ - ٥/٤١٨) . وترتفع البشرى الإلــهية ، لقد آن لنا أن نبدل سيئاته حسنات ، هذه هى كيمياء التبديل (انظر لكيمياء الفضــل الكتاب الرابع البيت ٥٩٢ - ٥٩٤ ، و ١٦٨٤ وكيمياء التبديل الكتاب الرابع ٣٥٠٨) ، وهى لا دخل لــها بجبر واختيار ، هى محض لطف ، (عن الجبر والاختيار ، انظر الكتاب الثالث ، الأبيات ١٣٦٣- ١٣٧٦ وشروحها ، وانظر مقدمة الكتاب الذي بين أيدينا) هذه الكيمياء مضمنة في الآية الكريمة ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا اللــه وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ﴾ (الاحزاب /٧٠ - ٧١) . قال نجم الدين : يشير إلى أن الإيمان لا يكمل إلا بالتقوى وهو التوحيد عقدا وحفظ الحدود جهدا ، ولا يحصل سداد أعمال التقوى إلا بالقول السديد وهى كلمة لا إلــه إلا اللــه ، فبالمداومة على قول هذه الكلمة بشرائطها يصلح لكم أعمالك أي أعمال التقوى ويظهر سداد أقوالكم وسداد أعمالكم وبسداد الأقوال والأعمال يصلح سداد الأحوال ويغفر لكم ذنوبكم " . (مولوى ٥/٢٧٠) .

(١٨٥٢ - ١٨٥٦) : إن هذه الأنوار الإلــهية الأزلية الأدبية لا تزيدها تقوى تقى ، ولا تنقص منها معصية شقى ، وماذا يكون الإنسان حتى يعاملــه اللــه سبحانه وتعالى بعملــه ؟! هو لسان واللسان قطعة من اللحم وعين وهى قطعة من الشحم وأذن وهى قطعة من

العظام ، وقلب وهو قطرتان من دم ، هذا هو الإنسان خلقه الله ضعيفا ، وهو يعلم أولا ضعفه، يعلم أنه مجرد دودة ، بالنسبة للقدرة الإلهية . في قول منسوب إلى الإمام علي ﷺ : اعجبوا لهذا الإنسان ينظر بشحم ويتكلم بلحم ويسمع بعظم ويتنفس من خرم " (سرني أول ٢٤٥ ، وأحاديث مثنوى ٦٣) وإلا فإنه بالنسبة للمخلوقات سيدها وخليفة الله فيها (انظر مقدمة الترجمة العربية للكتاب الرابع)" ما لابن آدم والفخر ، أوله نطفة قذرة وآخره جيفة قذرة وهو فيما بينهما يحمل العذرة " . ليته يتذكر أصله بين الآن والآخر ، كما كان " إياز " ، يتذكر رداه الجندى وحذاءه الريفي ، أى لباسه أيام كان راعيا فقيرا .

(١٨٥٧) : الحكاية التى تبدأ بهذا البيت ، بطلها إياز أويماق مملوك السلطان محمود الغزنوى (٣٦٠-٤٢١ هـ ، ٩٧٠ - ١٠٣٠ م) وتعنى إياز بالتركية المضئ والمنير والمشرق واللامع (جلبنارلى 5/317) ولب الحكاية يرجع إلى الروايات الشعبية السائدة في بلاد المشرق عموما عن ذلك الذي لا تسكره السلطة عندما يصل إليها وبخاصة إذا كان من أصل وضيع ، ويرجع فروزانفر (مآخذ / ١٧٣ - ١٧٤) الحكاية إلى ما ورد في أسرارالتوحيد في مقامات الشيخ أبى سعيد عن نساج وصل إلي الوزارة فأقام نولا إلى جوار دست الحكم كان ينسج عليه بين الآن والآخر حتى لا ينسى أصله ، وإلى ما ورد عن أبى نعيم الأصفهانى في الحلية عن الخليفة الأموى عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١ م / ٧١٧ - ٧٢٠ م) ، حيث كان يقيم مبتعدا في حجرة متواضعة وفي عنقه جنزير (كالعبد)من أول الليل حتى طلوع النهار ، وكان أول من نظم الحكاية هو فريد الدين العطار في منظومة " مصيبت نامه " ، وقد أشار مولانا إلى إياز عدة إشارات في الأجزاء السابقة من المثنوى (منها على سبيل المثال البيت ١٠٥٢الكتاب الثانى ، وأشار إشارة مجملة إلى علاقة إياز بردائه الجلدى الريفي الكتاب الرابع ٨٨٧) ويروى المونوى(٥/ ٣٧١) ، و (انقروى ٥/٤٣٣)، كان قرويا فقيرا فخرج السلطان محمود يوما إلى الصيد فمرق صيده من أمامه فتبعه، وبعد عن عسكره فأتى خيمة تركمانى وطلب منها ماء ولم يكن سوى إياز موجودا في الخيمة، وعلم بالفراسة أنه السلطان، فأعد له مجلسا ونادمة فسر منه السلطان، وكان اياز قد قال له إن أباه ذهب ليحضر ماء ، لكنه بعد فترة أخرج له ماء من الخيمة، وفسر ذلك بأنه لم يقدم للسلطان الماء وهو عرقان ومجهد فشغله بالحديث حتى استراح جسده فعجب السلطان من ذكاء إيازرغم صغر سنه ، وضمه إلى مماليكه ، والحكاية رويت عن أكثر من سلطان وغلام أو جارية . المهم في هذا المجال أن

روايات كثيرة رويت عن إياز ومحموداً أشهرها تلك التى رواها نظامى العروض السمرقندى في كتاب المقالات الأربع عن مجلس للشراب كان إياز حاضرا فيه وأن الخمر لعبت برأس السلطان محمود فاشتهى " إياز " ، ثم طلب أن تقص طرة اياز التى ألقت به في هذه الشهوة ، وطلب من العنصرى شاعره أن يقول شعرا في ذلك ، وواضح أن الحكاية واضحة الافتعال . (جهار مقاله ، لنظامى عروضيالسمرقندى ، طبعة مصورة اوفست ، عن طبعة ليدن ، ص ٣٤ - ٣٦ ، وانظر الترجمة العربية ليحيى الخشاب ، وعبد الوهاب عزام) . لكن تلك العلاقة الحميمة بين اياز ومحمود أوحت فيما بعد إلى الصوفية بجعل اياز رمزا للمحب والعاشق للسلطان (الإنسان العاشق للحقيقة والمريد العاشق لشيخه أو كمثال لجلال الدين الرومى وشمس الدين التبريزى) ، وفي عصور الانحطاط نظمت منظومات كاملة حول هذا الموضوع مليئة بالإحالات ، ومن الواضح أن القصة هنا هى " قصة " هذا الكتاب من قصص " العشق " ، (فى مقابل قصة وكيل صدر بخارى في الكتاب الثالث والنديم الذي حكم عليه الملك بالإعدام ثم توسط شفيع له ، وغضب النديم على الشفيع في الكتاب الرابع) ، ومن الواضح أن كل أبطال هذه القصص من الرجال (العشاق والمعشوقين) ، وهو ما قد يثير بعض الشبهات عند أصحاب الثقافة الغربية الذين يعتبرون هذا الأمر نوعا من الشذوذ ، في حين أن التوحد الجنسى هنا يخرج أي دور للجسد في علاقة المحبة القائمة بين أبطالها .

(١٨٥٩) : إن من أخص الأمور التى تجعل الإنسان يحس بشيء من التوازن هو أن يذكر وهاد حياته عندما يرتفع فلا تبطره النعمة ، ولا يطغيه الاستغناء ، والإنسان وهو سيد الخليقة إذا ذكر في النهاية انه مجرد حمأ مسنون ، وأنه الضئيل الحقير بها نهاية في مقابل العظيم بلا نهاية ، فإن ذلك سوف يخفف من غلوائه (انظر الأبيات ٨٨١ - ٨٨٣ من الكتاب الرابع وشروحها) .

(١٨٦٦) : من إفاضات مولانا جلال الدين خارج إطار الحكاية وخارج تيارها : منتهى عطية السلطان (الله) للمرء (اياز) هو العشق وما فوقه مطمع ولا مطمح ، فأى اهتمام يبديه العبد هو دون هذا العشق وهو نقص للوفاء وكفران بالنعمة (لنقض الوفاء انظر الكتاب الثالث الأبيات ٢٨٦ - ٢٩٧ وشروحها) .

(١٨٧٣ - ١٨٧٧) : كيف يكون الملك ملكا ثم يصدق وشاية الأمراء ؟! لا لم يكن يصدقها كان يعلم أن الأمراء من المنافقين ، وكان يريد أن يفضح نفاقهم على أيديهم ﴿ إن المنافقين

يخادعون الله وهو خادعهم ﴾ (النساء / ١٤٢) ، لكنه يخشى شيئاً واحد ، يخشى أن يتألم إيازمن هذا الظن السئ ، وماذا إن كان قد فعل ، أي ذهب وأية جواهر يضن بها المحبوب على محبه .. هو محبوبنا (وكل ما فعله المحبوب محبوب) ، (انقروى ٥/٤٢٤) . وكل ما فعله المحبوب فقد فعله المحب ، (فأنا يده التي يبطش بها وقدمه التي يسعى بها) ، فالحجاب بين العاشق والمعشوق صوري لا يمنع الاتحاد حقيقة ، كأنه يقول : ولو كنا في الصورة متغايرين ولكن باعتبار الحقيقة لا امتياز ولا مغايرة .

(١٨٧٩ – ١٨٨٧) : لكن كيف يخون ؟! إن هذا محال ، وها هو الوجد يأخذ بتلابيب مولانا ، فيزداد إيقاع الأبيات بيت بعد بيت ، ويأخذه بوح العشق ، إن الأمر هنا خرج عن إطار محمود وعن إطار اياز وعن كل إطار بشرى ، فأي إياز هذا الذي تكون البحار السبعة قطرة واحدة منه ، والذي يكون أصلا لكل أنواع الطهر ، أي إياز هذا الذي يكون الوجود كله رشحة من موجه ، نحن في هذه الحكاية من حكايات العشق أمام معشوق عاشق ، وعاشق معشوق وكلاهما المعشوق والعاشق يحمل تجاه الطرف الآخر الشعورين معاً (أليس الأمر فى الحقيقة هو هذا ؟) إن هذا الكامل المقرب إلينا ليحسده كل المقربين ، فهو منا بمنزلة العين والمصباح ، فإياز هنا هو الإنسان الكامل والمتصل الفانى فى ملك محمود ، أما المراد بالبحار السبعة فهى اللطائف الإنسانية السبعة والبطون السبعة للآيات ومدن العشق السبعة والكنوز السبعة والأعضاء السبعة فى بدن الإنسان والأنوار السبعة والمرايا السبعة والأيام السبعة (سبزوارى ٣٧٤) ، إن عظمة الإنسان عندما يكون مقرباً تبدو بلا حد ، ومن الذى يمكن أن يصف هذا الذى لا تحتويه الأفلاك، من الذى يستطيع أن يصف ذلك المخلوق من تراب الذى سما عن التراب وصار إليهما وبز الملائكة ، ولم يعد جسداً ، دعنى إذن أصرخ ما دمت لا أستطيع القول "آفة الحال إدراك المقال" ، (إننى حائر بين الحديث والبكاء ، أأبكى أو أتحدث رباه ماذا أفعل ؟ فإن تحدثت فاتنى البكاء ، وإن بكيت فكيف أفصح عن الشكر والثناء ، ٤٧١٢-٤٧١٣ من الكتاب الثالث) وليت الوجود كان ذا لسان ، حتى يرفع الحجب عن الموجودات ، وكل ما تقوله بانفس الوجود عن الوجود إعلم أنك قد وضعت عليه حجاباً آخر ، إن آفة الإدراك هو ذلك المقال والحال ، وغسل الدم بالدم محال محال (٤٧٢٨-٤٧٣٠ من الكتاب الثالث) ، لكن لابد من الإفصاح ، أصرخ ، أرقص ، فإن القلب لا يحتمل كل ما فيه وهو رقيق كالزجاجة ، مزق الثياب وجداً بدلاً من أن يتمزق القلب الرقيق الضعيف الذى فاض بما فيه من العشق .

(١٨٨٨ - ١٨٩٠) : اختلف المفسرون حول هذه الأبيات الثلاثة فقد فسر الأنقروى والمولوى (انقروى ٥/٤٢٧–مولوى ٥/٢٧٥) بأنه جنون روحانى وزيادة فى الوجد ، حالة كانت تنتاب مولانا بمجرد ظهور الهلال فكان يندفع فى الرقص ، وقد ورد المعنى أيضاً فى ديوان شمس تبريز : ثانية جاء أول الشهر ، وهذا هى نوبة الجنون (عن استعلامى ٥/٣٠٧) ويرى عبد الباقى (٥/٣١٩) أنه كان من المعتقدات الشعبية أن يجن الرجال فى أول كل شهر ثلاثة أيام (فى مقابل العادة الشهرية عن النساء) ويرى جعفرى (١١/٥٦٧-٥٦٩) أن ظهور الهلال كان يثير فى مولانا الوجد لأنه يذكره بسطوع الأنوار الإلهية ، (كان أو لى تمام البدر) ، ويؤيد ما ذهب إليه عبد الباقى لكنه لا يراه معتقداً شعبياً بل يراه نظرية قال بها علماء النفس الغربيون ، على كل حال يمكن أن يكون عبد الباقى أقرب إلى المعتقدات الشعبية التركية التى كانت سائدة في بيئة الأناضول فى عصر مولانا، ويفسر ملا هادى السبزوارى الأمر تفسيراً فلسفياً ، فيرى أن الأيام الثلاثة مجاز يعنى فترة العمر لأن الزمان كله اعتباراً هو أيام ثلاثة : أمس واليوم وغداً وهو تجلى للماضى والحاضر والمستقبل ، ففى كل آن تجل جديد وطلوع نور على الإنسان الذى هو خليفة الله كما أن القمر خليفة الشمس (ص ٣٧٤ ، ٣٧٥) أما معنى هذا يوم السعادة لا يوم الفيروز ، فذلك الغارق فى السعادة الروحية والفضل الإلهى لا يعنيه أن ينظر إلى خاتمة الفيروزى عند رؤية الهلال حتى يكون الشهر كله رزقاً وبركة وسعادة (استعلامى ٥/٣٠٧) ، لكن أى أول شهر ، ترى هل يكون الوجد والعشق والفناء موقوتاً بوقت أن الشهر كله بالنسبة لى بمثابة أول الشهر ، فأنا دائم في وجده غارق فى عشقه مجنون به .

(١٨٩١ - ١٨٩٥) : من الأوفق أن يكون البيت ١٨٩١ بعد العنوان التالى ، إن أية حكاية من حكايات العشق تجرنى نحو ذلك الجنون ، نحو ذلك العشق الذى يكوينى بناره ولا أجد له دفعاً ، فاركض ، وأحن ، مثلما يحن الفيل إلى موطنه (انظر لتفصيلات هذه الفكرة الكتاب الرابع ٣٠٦٨-٣٠٧١ وشروحها) ، والشطرة الثانية فى البيت ١٨٩٢ تعنى أنه لجنونه هذا قد صار فاقدا لكل مسئوليته (انظر ٥١٧-٥٢٣ من الكتاب الثالث عن خراب القرية وتخريبها للعقول والقلوب) ، وعن البقاء في الفناء انظر مقدمة الترجمة العربية للكتاب الثالث ومن الملاحظ أن مولانا عندما يفيض به الوجد ينظم شعراً بالعربية (انظر الكتاب الثالث هيا تحدث بالفارسية وإن كانت العربية أحلى ، وللعشق فى حد ذاته مائة لغة أخرى البيت ٣٨٤٤) .

(١٨٩٦ - ١٩٠٦) : يستمر مولانا خارج إيقاع لحن "اياز" كما عبر ، والواقع أنه ما طرح هذا اللحن إلا لكي يغوص في وجده ، فكل عشق بين رجال الحق "أو من يرمزون إلى رجال الحق بالطبع" إنما يحرك عنده عرق التجانس ومحبته لرجال الحق "شمس الدين أو حسام الدين" ، فهكذا ، إنني عاجز عن إكمال هذه الحكاية ، ألا فلتطلع على أحوالي وتتحدث عنها أنت ، كأنه يحدث حسن حسام الدين ، إجذبه - أي المثنوى - فينجذب إليك ، أقرأني وردد ، فأنا جبل الطور ، وأنت موسى الوقت ، وهذا - أي المثنوى - هو الصدى (عن الجبال ونزوع رجال الحق إلى الخلوة في الجبال انظر الكتاب الثالث ١٣٥٠-١٣٥٥ وشروحها) ، وهذا الجبل لا يعرف شيئاً إنه يردد كل ما يقوله موسى ، إنه جسد ، ومع ذلك فالجسد يستمد قليلاً من لطف الروح ، وهكذا صرف أسطورة ، لأنني ذبت في رجال الله (انظر ١١٤٧ من الكتاب الثالث وانظر أيضاً الأبيات العشرة الأولى من الكتاب الرابع) إن رجال الحق يفيضون على التراب وعلى الجماد من أنوارهم ، فما بالك بأولئك الذين يلازمونهم ويأخذون عنهم ، ولماذا لا تكون الروح في حاجة إلى جسد، إن ذلك المنجم كليل البصر ، ولا يستطيع أن يكتشف الكواكب وأن ينظر إلى الشمس إلا بمعونة الاصطرلاب ، وهكذا روح السالك هي المنجم والجسد كالاصطرلب ، لكن إياك أن تعتمد على هذا الاصطرلاب، إن الرؤى التي يكشفها قاصرة جداً ، فكيف يحيط هذا الاصطرلاب المحدود بهذا الكون؟ كفاك ادعاء وفيهقة .

(١٩٠٧ - ١٩١٧) : هيا ابحث عن كحل العارفين "المعرفة ، الفيض وذلك الدواء الذي يجعلك تنظر إلى الأمور كما ينبغي وهذا يجعل عينك تصير في سعة البحر ، بعد أن كانت مجرد جدول (وانظر أيضاً عن كحل العارفين الأبيات ٣٣٧٢ - ٣٣٧٥ من الكتاب الرابع وشروحها) ، ما هذا الذي أقوله إنني لا جدال قد فقدت الوعي ، ترى لماذا ينكر جلال الدين هنا ما يقوله؟ أتراه يستبعد أن تتحول العيون الكليلة إلى عيون حادة لمجرد أنها اقتربت من العارفين ، أو تراه يرى نفسه على وشك أن يخوض في أمور ليس له أن يخوض فيها ، فينأى بنفسه من طرف السطح قبل أن يسقط فيه (عن طرف السطح انظر الكتاب الرابع ٢١٥٠-٢١٥٣ وشروحها) لكن ما ذنبي أنا ، أنه ذنب من سلبني الحجى ، من سلبني العقل ، من جعلني أتخبط هكذا في الكلام ، لأهرب ، لأتحدث بالعربية ، فكم هم الذين يفهمون العربية في هذا المجلس ؟ ها أنا أخاطبك أي عقل أبحث عنه ؟ إن العقل عقال ، والعقول في تلك الناحية لا تساوى الألف منها خردلة منذ أن همت فيك وجننت بك لم أشته أن يكون لي عقل ،

وجنونى إنما هو فى هواك ، لكن ما دخل اللغة هنا ؟ حتى إن تحدثت بالفارسية فمن الذى يستطيع أن يفهم هذا الكلام "لقد مت حسرة على الفهم الصحيح" وها هم شراح المثنوى يقولون أن المخاطب تارة هو شمس الدين وتارة هو حسام الدين ، أى شمس دين وحسام دين ، أيمكن أن يكون المخاطب هنا بشراً ثم ينجو مولانا من القيل والقال ، وهل يمكن أن يكون كل هذا الهيام فى بشر ، حتى ولو كان هذا البشر هو شمس الدين أو حتى حسام الدين ، إن العلاقة بين مولانا وبين شمس الدين وحسام الدين تظل قائمة على علاقة الإبداع ، إنهما هما اللذان يدفعانه إلى الإبداع ، وحسام الدين يجر الكلام منه جرا إلى حيث يريد الله له أن يكون" (انظر الأبيات العشرة الأولى من الكتاب الرابع) لكن من المحال أن يكون هيام العشق موجهاً إلى حسام الدين أو شمس الدين ، وكأن مولانا كان يتوقع كل هذا التخريجات ، فيتساءل هل يتحمل كل وعى خمره (الإلهية) وهل يمكن لكل إنسان أن يكون عبداً له؟ ها أنا ذا دليل لك ، لا يزال الجنون ينتابنى بين الآن والآخر ، فهاتوا القيد ، هاتوا القيد ، امنعوا هذا المجنون من الحديث والقول ، لكن قيدى من جدائل حبيبى ، وما عداه من قيود لا يمكن أن يمنعنى من الحديث ، أية قيود صورية إنما القيود هنا داخل القلوب .

(١٩١٨ – ١٩٢٦) : عودة إلى قصة إياز ، لكنها عودة لمجرد التذكير بأنه يتحدث عن قصة إياز وحذائه وسترته ، ثم انطلاق نحو مستوى آخر من الحديث هو مزيج هذه المرة بين العرفان والأخلاق ، والآية فى العنوان ﴿فلينظر الإنسان مم خلق﴾ والجواب ﴿خلق من ماء دافق﴾ (٥ ، ٦ من سورة الطارق) قال نجم الدين حفظتك فى هذا القبيل يحفظونك من العاهات الجسمانية والآفات الروحانية وأنت غافل عن نفسك وعن حفظتك وتحسب أنك خلقت للأكل والشرب والجماع أما تعلم أن الله خلق لطيفتك الإرادية من ماء الرحمة المصبوب فى رحم قلبك مما كان مودعاً فى صلب روحك ومن ماء التربية المستودع فى ترائب قلبك وقت التخمير أن الله غالب على رجعه إلى أصله إن لم يعط حقه" (مولوى٥/٢٧٩) إن هذه القصة فى رأى مولانا كنز ملئ بالأسرار وهذا هو أحد أسرارها، إن أحد أسباب احتفاظ إياز بملابسة القديمة هو أن ينظر إليها قائلاً لنفسه : انتبه هكذا كنت ، إياك والكبرياء ، إنك مجرد راعى وقروى ولست نديم السلطان ، وينطلق مولانا نحو الدرس : إن وجود النعمة يحدث طغياناً يعبر عنه مولانا بكلمة "السكر" ﴿ كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى ﴾ (العلق ٦–٧) انه سكر الوجود يحس المرء أنه مالك لوجوده أو بالتعبير المعاصر مالك لمصيره مسيطر على

حياته "سيد نفسه" إلى غير ذلك من التعبيرات المضحكة، فيسقط سقوطاً ذريعاً فى الكبرياء الذى هو ضريب الشرك ، القرون السابقة بادت لأنهم ظنوا أنهم "قادرون عليها" أى قادرون على الأرض مسيطرون يفعلون ما يشاءون ، وإليك المثال الأول عن الكبرياء :عزازيل" ابليس" عندما عصى عن أمر ربه كان يسمى عزازيل وكان من الملائكة الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون لكنه لم يتحمل السجود لآدم ، كان مانعه الكبرياء ، ومن الكبرياء كان العصيان الأول (يضيق بنا هنا المقام إن ذكرنا المواضع التى ذكر فيها إبليس أو عزازيل فى المثنوى ، فلا يكاد يوجد كتاب من كتب المثنوى الستة لم يذكر فيها أكثر من مرة، إنه المعادل الموضوعى لآدم، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل أدى الحسد إلى العصيان والتكبر والضلال والإضلال ، وهكذا النفس إن أرخيت لها حبال العصيان خرجت من معصية إلى معصية، لقد ظن إبليس أن النار أسمى من التراب ، ﴿ قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين ﴾ (الأعراف ١٢) ، كانت نار غضبه تشتعل من داخله فتلقى بلهيبها وألسنتها خلطاً وكفراً وتجبراً وعصياناً ، ومن هنا قيل "الولد سر أبيه" إنه ابن هذه النار والمعبر عنها والمخبر عن صفاتها من إحراق وغيره (عن الحديث انظر الكتاب الرابع الأبيات ٣١١٦-٣١١٩ وشروحها) .

(١٩٢٧ - ١٩٣٦) : الآية المذكورة فى العنوان الرحمن ١٥ والآية الثانية ﴿ فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه ﴾ (الكهف ٥٠) ، ويذكر مولانا حديث "الولد سر أبيه" ثم يستدرك ويراجع نفسه ، إنه هنا يتوسل بالأسباب والعلل ويبحث عن علة يبرر بها عصيان إبليس ، ويقول أنها من أصله لا إن الأمر كله لا يعدو قهراً من الله تعالى عز وجل، فلا يرتبط عصيانه بكونه مخلوقاً من نار لأن من الجن من آمن والله تعالى مبرأ من العلل ﴿ إذا قضى أمراً فإنه يقول له كن فيكون ﴾ فى صنع متواصل مستمر طاهر مبرأ من العلة التى هى حادثة وعرضة للتغير والتبدل ، ولا يصح أن يذكر هنا الأب أو سواه لأن مرجعنا جميعاً إليه ، وخلقتنا جميعاً منه ، وما الآباء إلا مجرد صور جعلها الله سبباً للخليقة وإلا لو شاء لخلق من غير أب "عيسى عليه السلام عليه " بل من غير أب ومن غير أم "آدم عليه السلام" ، هذا هو اللباب وما سواه قشور ، لقد قبل من قبل دون علة ورد من رد دون علة ، والحقائق لا تتقلب فالعشق هو رفيقك أيها المرفه الذى فى هشاشة البندق ، إنك قدمت الجلد ، والقشر حتى تصبح مصداقاً للآية الكريمة ﴿ إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً كلما نضجت جلودهم

بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب ﴾ (النساء ٥٦) وأن اللباب منك ليسيطر على النار نفسها ، لكن النار فى حاجة دائماً إلى القشور ، فنور العبادة يطفئ النار "جز يا مؤمن فإن نورك أطفأ نارى" لكن غثاء المعصية يزيدها ضراماً ، وانظر لكى تعرف أنك إذا كنت تحتوى على ماء المعرفة فلن تستطيع النار أن تحرقك ، مثل القدر ، فهل رأيت قدراً مليئاً بالماء أحرقته النار؟ إن النار تبدأ فى إحراق القدر عندما يتبخر كل ما فيه من ماء ، وخازن النار نفسها المسيطر عليها المسمى بمالك هو مخلوق ، فانظر إلى حكمة الله تعالى يجعل مخلوقًا خازناً على معدن الغضب ، وأنت لم تسيطر على معدن الغضب داخلك ولا تفتأ تمده بالقشور ، إن مالك مسيطر على النيران لأنه حقق معنى الإنسانية ، فحقق أنت أيضاً معنى الإنسانية وكن جديراً بأحسن التقويم .

(١٩٣٧ – ١٩٤٩): هناك جانبان يوجدان فى الإنسان بدن وروح أو كما يعبر مولانا فى هذا الموضع قشر ولب ، وها أنت تضع قشراً فوق قشر ، وكأنك تعد نفسك لكى تكون "حصب جهنم" وطعاماً للنيران ، والله تعالى سالخ لهذه الجلود والقشور ، من مال وجاه ومنصب ما لم تكن له سبحانه وتعالى ، وأنت إن لم تكن قد أعطيت لما تكبرت كل هذا الكبرياء ، فالمال والجاه هما رفيقا هذا الكبرياء الحميمان ، وسأضرب لك مثلاً ، أن هذا الكبرياء غفلة عن المعنى وغياب عن الحقائق لأنك لو علمت من كنت ومن تكون وإلى أين أنت صائر لما تكبرت ، فما أشبهك بثلج متجمد (تركت الحالة الإنسانية إلى الحالة الجمادية) لأنه فى غياب وفى غفلة عن الشمس ، انظر إلى نفس هذا الثلج عندما تسطع على الشمس يتحول إلى ماء يجرى وينطلق وتكون منه الحياة لكل المخلوقات فاطمع فى اللب والمعنى ، ولا تنظر إلى الحديث "ذل من طمع"، فالطمع هنا هو المذكور في أقوال الأئمة رضوان الله عليهم " عن على رضى الله عنه "ما هدم الدين مثل البدع ولا أفسد الرجل مثل الطمع" على بن الحسين رضى الله عنه "رأيت الخير كله قد اجتمع فى قطع الطمع في ما أيدى الناس" عن الصادق رضى الله عنه "خمس من لم تكن فيه لم يهنأ بالعيش الصحة والأمن والعتاد والقناعة والأنيس الموافق (جعفرى ٥٨٦/١١)" ولا تقنع بالقشور متعللاً بـ "عز من قنع" ، فليس الذل والعز المقصودان هنا باللذين تفهم ، فعز الدنيا ذل فى الآخرة ، وانظر إلى الحجر إنه يفنى فى حرارة الشمس فيتحول إلى جوهر ، إن ذله هذا رفعة وعظمة وترقى وعلو وسمو ، والعجيب أنك تبدى الكبرياء وأنت فى مرحلة الجمادية لا تزال ، فلا أنت نقيت نفسك ولا أنت واصلت

الطريق ولا أنت قمت بالتصفية وعرضت نفسك لشموس الطريق ، ولا أنت فنيت عن البشرية وتحققت بالألوهية، فهل من المعقول أن تقوم بكل هذا الادعاء وكل هذا الكبرياء والتنفج وأنت كل ما تقوم به أنك تعمل في مستودع قمامة ، كلما زادت القمامة فيه تحقق له الكمال (انظر لتفصيلات عن هذه الفكرة الكتاب الرابع الأبيات ٢٣٨ - ٢٥٦ والبيت ١٠٤٤ وشروحها) وهكذا يعتمد الكبرياء على المال والجاه ، فانهما يغذيان هذا الوليد الشيطاني بالشحم واللحم ظناً منهما أن هذا هو اللباب جاهلين بأن كل هذه قشور تذهب غثاء ، وكل لحم نبت من سحت وحرام فالنار أولى به .

(١٩٥٠ - ١٩٥٩) : وإبليس هو الذى سن هذه السنة : كان أول من تكبر وعصى ولم يكن عصيانه إلا بسبب الجاه، كان يتعبد ويبالغ في العبادة لا حباً فى الله ولكن رغبة فى أن يكون رئيساً للملائكة ، فلما كان التكريم والتبجيل لآدم طعن في الصميم، ففقد كل شئ ، لقد كان الاختيار الإلهى بكائن من تراب طعنه نجلاء فى قلب إبليس والمال حية والجاه أضر منها" ولا شيئ ينجيك من هذا إلا أن تدخل تحت رعاية أحد الرجال ، يأخذ بيدك ، ويتبع فى داخلك هذا الشيطان الذى يجرى منك مجرى الدم ، إنه يكون بمثابة الزمرد الذى تقتلع عين تلك الحية ، (كان القدماء يعتقدون أن الزمرد يخلع عين الحية ويبطل خطرها وهذا الأمر من قبيل الأساطير التى انتقلت من حكماء اليونان عبد الحسين زرين كوب : سرنى ، نقد وشرح تحليلى وتطبيقى مثنوى جـ١ ، ص ٢١٧ ، ط٣ ، تهران ، علمى ١٣٦٨ هـ.ش) لقد سن إبليس هذه السنة ، هو رئيس الشر ، هو الذى وضع هذه الشوكة فى الطريق ، وكل من أرداه كبرياؤه لعن إبليس {فكل من سن سنة حسنة له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة} ، كان هذا هو ديدن إبليس لعنة الله عليه ، لكن انظر إلى آدم ، كان يضع سترته وحذاءه دائما أمام عينيه ، كان يضع نصب عينيه دائما إنه خلق من طين وأن الكرم الإلهى هو الذي نفخ منه من روحه ، كان يعلم أنه من العدم ، وأن العدم هذا هو أصل الوجود .

(١٩٦٠ - ١٩٧٣) : العدم في الحقيقة ليس عدما فإنه مصنع الوجود ، وإلا من أين يأتى الوجود إن لم يكن قد أتى من العدم (انظر الكتاب الثالث ٣٧٧٣ - ٣٧٧٤ وشروحها ، وانظر الكتاب الذي بين أيدينا ، الأبيات ١٠٢٠ - ١٠٢٥) . ويرى زرين كوب أن مفهوم مولانا جلال الدين عن العدم يشبه إلى حد ما مفهوم ابن عربى عنه ، وعند ابن عربى يرى عدم ظرفية الأعيان الثابتة في مرحلة ما قبل ظهورها ومن هنا فإنه يعبر عن هذه النسب الذاتية في

مرتبة فقدانها الصورة بأنها الأعيان الثابتة، ومن هنا يرى لها نوعا من الثبات والوجـود ، وإن اختلفت أوصاف العدم ومراتب الظهور بين ابن عربى وجلال الدين ذلك أنها نابعة عند ابن عربى من نظرتيه في وحدة الوجود ورأى الصوفية في هذا الموضوع تلفيق بين آراء المعتزلة والأشاعرة حوله ، وبالرغم من أن مولانا يرد قول المعتزلة في التعبير عن المعدوم بالشئ ، فهو بقوله أن العدم هو مصنع الوجود يلتقى مع المتكلمين وبالرغم من أن كل ما هو مطروح عند الصوفية عن العدم والوجود مأخوذ من مناقشات الفلاسفة الرواقيين ، تبدو كل أقوالهم متأثرة بمفهوم ارسطو عن العدم ومن أهم التفصيلات في هذا الصدد مباحثات الإمام الشهرستانى في نهاية الإقدام . (عن سرنى : عبد الحسين زرين كوب جلد ١ ، صص ٢٠٩ – ٢١٠) . ولا معنى للخلق إن لم يكن إيجاد من العدم ، تماما مثلما لايكون معنى للكتابة على ورقة مكتوبة أو وضع البذور في أرض مبذورة بالفعل ، فكن أنت أيضاً عدما حتى تكون مهيأ لكى يتطلف بك الكرم ويجعلك مصداقا " لنون والقلم " ، فنون كناية عن العلم الإلهى والقلم كناية عن العقل الكلى ، فان أردت أن تشرف بالعلم الإلهى كن عدما وكفاك تشدقا بالوجود ، اطلب لذائذ ذلك العالم وسرور العقل وسعادة الفهم ولذة الإدراك والوصول (ذلك الفالوذج) ودعم من لذائذ الدنيا فإن دسمها سم ، خذ القوت الشريف ، قوت العلم والمعرفة ودعك من دسم الدنيا فإنه سبب المرض ، هو الذي ينسيك أصلك ، فلا تذكره إلا في حشرجة النزع ، فالسكران بالخمر قد يفيق ولكن المثل بالدنيا لا يفيق إلا عند النزع ، تتجلى له في لحظة فيدرك اغتراره بها وتجرعه خداعها ، ويذكر انه لم يكن يساوى شيئا دون رعاية من الله وكرم منه ، ولأنك لم تلحق بسفينة الصادقين وبقيت غريقا بين أمواج قبحك وكبريائك وتسلطك وإيذائك لخلق الله وجبروتك وطغيانك ، ولا تتذكر من أنت في الأصل ومن أي شئ خلقت ، وإن كل ما أنت فيه إنما هو من الله تعالى ومن عطاياه ومن خزائنه التى لا تنفد ، إنك لا تعترف بكل هذا إلا حين يدركك الغرق ﴿ حتى إذا أدركه الغرق ، قال آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنوا إسرائيل ﴾ (يونس /٩٠) . وأخذت وأنت في النزع تردد ﴿ ربنا ظلمنا أنفسنا ﴾ ، لقد فات الوقت أيها الديك الذي تصيح في غير أوان (انظر الكتاب الثالث الأبيات ٣٣٣١ – ٣٣٣٩ وشروحها) ، إن هذه ليست صلاة ، إنها صورة صلاة ، لقد فات الوقت ، إذ تذكر الله عند البلاء ، ولقد كان إياز من ديكة السماء ، تلك الديكة التى لا تؤذن إلا في الوقت المعلوم ، إذا انه يذكر الله ويذكر فضل الله وهو في قمة الرخاء.و بالنسبة لديك السماء :

يعتمد على رواية رويت عن الرسول ﷺ أنه رأى ليلة المعراج ديكا بعظمة كل الوجود يخفق بجناحيه ويسبح بحمد الله فتجاوبه ديكة الأرض ، ويقول الغزالى في إحياء علوم الدين أن هـذا الديك يوقظ القائمين فـي الثلث الأول من الليل والمتهجدين في الثلث الثانى والغافلين عند الفجر ، (استعلامى ٥/٣١٢ - ٣١٣) .

(١٩٧٤ - ١٩٨٤) : في العنوان : اللهم أرنا الأشياء كما هى ، دعاء منسوب إلى الرسول ﷺ (أحاديث مثنوى /٤٥) ، ولمولانا جلال الدين : وإذا كانت الرؤية الصحيحة بالأمر الهين فمتى كان الرسول ﷺ يطلبها من الله ، أما العبارة الثانية : " لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا " ، فمنسوبة إلى الإمام على ﷺ والبيت المذكور في العنوان لمولانا جلال الدين " والدرجة العوجاء تلقى ظلا أعوج " من الأمثال الفارسية ، يقول مولانا : أيها العبيد تعلموا العبادة الصحيحة من اياز ، إن الدنيا لم تبصره ، فعبادته من أجل الحق لا من أجل المنفعة (مثلما كانت عبادة عزازيل) ، إنه ديك يعلم الفجر الصادق (الآخرة) ولا يخدعه الصبح الكاذب (الدنيا) ، ذلك الذي أهلك القوافل ، وإياك أن تقول عنه انه كاذب منافق مرائى فإنك بهذا تصف نفسك ، وتنظر في مرآتك ، وسوء الظن من سوء الفعل ، ولعل مولانا في هذا المعنى ناظر إلى البيت العربى :

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه   وصدق ما يلقاه من توهم

والمثل الدارج الفارسى : " الكافر يظن أن الناس جميعا على دينه " . والأمر ليس ببعيد ، لقد سمى الكفار الأنبياء بالسحرة والكهنة ، واعتبر أولئك الضالون الأنبياء من الضالين ، ويعود مولانا إلى قصة اياز ، هكذا كان ديدن هؤلاء الأمراء مع اياز وهذا هو سر ظنهم باياز ، إنهم يظنونه مثلهم .

(١٩٨٩ - ١٩٩٨) : بالرغم من أن الحديث يدخل في إطار قصة إياز إلا أن الذي يجرى على لسان الملك أدخل في باب آداب الطريق (الصوفى) ذلك أن الملك هنا يحس بوحدة مع اياز (وحدة المشاعر والأحاسيس بين الشيخ والمريد أو بين الحقيقة العليا والدنيا) ، انه يتساءل : تراه سوف يضيق من هذا البلاء ، لا ، لن يضيق ... إنه وقور ثابت كالجبل ، وسوف يتلقى هذا البلاء كما ينبغى ، إنه بلاء من الحبيب فهو لطف وليس قهرا ، إنه سوف يفسر هذا الأمر بنفس السهولة التى فسر بها سيدنا يوسف ﷺ رؤى صاحبى السجن (انظر يوسف /٤١) ، والكلام الذي يجرى على لسان الملك يشبه أن يكون كلام الخالق في الولى الصالح ، والبيت ١٩٩٦ لعل فيه إشارة إلى ما مر في الكتاب

الرابع عن ضرب المريدين لأبي يزيد البسطامي بالمدى (انظر الكتاب الرابع ، الأبيات ٢١٠٢ - ٢١٣٤ وشروحها) ، ويقرر بعدها أن اياز هو هو : أنا من أهوى ومن أهوى أنا ، في الحب تسقط الاثنينية ، ويكون استخدام الضميرين أنا وأنت من قبيل الإشراك ، وهذا الاتحاد ليس مشاركة في الوجود لان كل ما هو في الوجود له تحققه العيني ، كما انه لا يعني اشتراكا في الجنس واشتراكا في السمات أو في سائر الظواهر والخواص ، لأن البشر كلهم مشتركون فيها ، وهناك علاقات كثيرة تقوم فيما بينهم منها العشق كما أنه ليس مشاركة في الأفكار والمثل ، الذي يصل إلى أن يكون انمحاءً كاملا في شخصية المعشوق بحيث تعبر عنه تعبيرا حقيقيا الحكاية التالية (جعفرى ٥٩٧/١١ - ٥٩٩) .

(١٩٩٩ - ٢٠١٩) : يقدم مولانا عالم العشاق الحقيقيين ، عشاق الحق ، فعاشق الحق لا يعتبر لنفسه وجودا غير وجود الحق ، ولا يعتبر للكائنات كلها وجودا ، بل هو ذائب في العشق الإلهي ذوبانا تاما ، ويقول في العنوان : إن العاشق والمعشوق قد يكونان متناقضين تناقض الاحتياج والاستغناء ، أي قد يكون أحدهما مستغنيا والآخر محتاجاً لكن كلا منهما منجذب إلى الآخر ، هما في الحقيقة واحد كالمرآة والصورة المنعكسة فيها ، والعاقل تكفيه هذه الإشارات ، فما الحاجة إلى القول بأني أرد بهذا الكلام على من يزعمون انه من المحال أن يكون هناك عشق إلهي ، لأنه كيف يعشق المحتاج إلى ما لانهاية المستغني إلى ما لا نهاية ، ناهيك عن عشق المستغني بلا نهاية إلى المحتاج إلى ما نهاية ،" يحبهم ويحبونه "، وهذا الخبر عن الجنون لم يهتم أحد بالبحث عن مصدر له ، وقد يكون من وضع مولانا جلال الدين ، لقد اشتكى المجنون مرضا هو من الهجر والفراق ، فوصف له الطبيب الفصد ، لكن المجنون أبدى خوفه من أن يفصد ، وسأله الطبيب : مم الخوف ، أليست الوحوش تحيط بك دون أن تؤذيك ، أن العشق الذي من وجودك يفيض حتى على الحيوانات من حولك " يشير مولانا جلال الدين إلى أنه من الممكن للحيوان والوحش أن ينسى طبيعته الحيوانية ، إذا أحس بالحب وهو أمر يعرفه مروض الوحوش المحدثون جيداً " (ويعود ويقدم تفسيرا آخر في الكتاب الذي بين أيدينا ، الأبيات ٢٧٢١ - ٢٧٢٧ فارجع إليها وإلى شروحها) . ولماذا نبتعد ، انظر إلى كلب أهل الكهف ، نعم ، الكلاب تعرف العشق والحيوانات تعرف العشق ، فمن ثم ذلك الذي ينكر العشق ، يكون أقل من الكلب وأقل من الوحش ، ولا تقل أنه كلب واحد ذلك الذي تبع أهل الكهف ، ونام في كهفهم وبعث

معهم ، وذكر معهم في القرآن ، هناك كلاب كثيرة ، تعرف معنى هذا العشق لكنها ليست مشهورة ، ومثالها ما رواه عند الرحمن الجامى في نفحات الأنس : أن سعد الدين الحموى وكان مريدا لنجم الدين كبرى عبر بخاطره ذات يوم سؤال وهو : هل في هذه الأمة من تؤثر صحبته في الكلاب؟ وأدرك الشيخ فنهض ووقف على باب الخانقاه فمر كلب بالخانقاه ووقف وأخذ يهز ذيله، فنظر الشيخ إليه فوصلته العطية، وتحير وغاب عن الوعى ،وأدار وجهه إلى المدينة، وذهب إلى الجبانة ، رأوا أنه حيثما كان يسير كان تحيط به حلقة من الكلاب تبلغ خمسة وستين كلبا وتقف في احترام ، ثم مات فأمر الشيخ بان يدفن وأن يقيموا على قبره نصبا (انقروى ٥/٤٥٤) وبالطبع هذه الروايات رويت قبل أن يتم تدريب الكلاب على أعمال كثيرة قد لا يتقنها البشر ، وهذا التدريب يتم بوسائل عديدة من أهمها أيضاً الرعاية والحب ، وأنك إن أنكرت ذلك فلأنك منكر بطبعك ، فأنت لا تعلم شيئا عن قلوب من هم من جنسك فكيف تعلم شيئا عن قلوب الحيوانات ، إنك لا تأنس إلى البشر وتحاول فهمهم ، فكيف تأنس إلى الوحوش وتحاول فهمها (انظر من أجل العشق السارى في كل الكون إلى الكتاب الثالث ، الأبيات ٤٣٩٥ – ٤٤٢٣ وشروحها) ، ويظل مولانا جلال الدين منطلقا في تداعياته حول موضوعه المحبب : العشق ، انظر إلى عماد هذه الحياة ، إنه كله قائم على العشق ، حتى تناولك للخبز يكون من ميلك إلى هذا الخبز ، الميل إذن هو الذي يحول هذا الخبر " الميت " إلى روح ، كما أنه أيضا يجعل الروح خالدة ، ويعود مولانا جلال الدين إلى هذا الخبر المروى عن المجنون ، إنه لا يخشى الفصد من أجل نفسه ، بل يخشى على ليلى لأنه يحس أنه ممتلئ بليلى امتلاءً تاما ومن ثم يخشى أن يخز المبضع ليلى ، وإلا فإنه – أي المجنون – عاشق للجراح ، يسعى إليها ، ففى البلاء يكون النعم .

(٢٠٢٠ – ٢٠٣٠): البيت المذكور في العنوان ، قال عبد الباقى (5/333) ، واستعلامى (٥/٣١٥) ، أنه لسنائى ومن الحديقة وأضافا بأنهما لم يعثرا عليه في الحديقة ، كما لم أعثر عليه في الحديقة ، بل عثرت عليه في منظمة سير العباد إلى المعاد لسنائى (انظر سير العباد إلى المعاد ضمن مثنويات حكيم سنائى ، ص ٢٠٨ ، سطر ١٠ ، تحقيق محمد تقى مدرس رضوى ، انتشارات دانشكاه طهران ، تهران ١٣٤٨ هـ.ش) . ومرآة اليقين يعنى بها قلب العبد المؤمن الذي لا يشوب إيمانه بالله تعالى أدنى شك ولا يريد دليلا أو برهانا ،

والسطر الأخير : أخرج بصفاتي إلى خلقي من رآك رآني ومن قصدك قصدني ، وارد في معراج أبي يزيد البسطامي ، وفيه روايات مختلفة . (انظر انقروى ٤٥٧/٥) ، وانظر من أجل الاختبار الكتاب الثالث ، الأبيات ٧٤٣ - ٧٤٦ وشروحها ، والاختبار جائز عند الوصال وليس في أي وقت آخر (انظر الكتاب الرابع ، الأبيات عن امتحان المرشد ٣٧٤ - ٣٨٩ وشروحها) ، وعن فناء قطرة الخل في العسل ، انظر الكتاب الثالث ، الأبيات ٣٦٧٠ - ٣٦٧٥ وشروحها) ، وامتلاء الحجر بالشمس وتحوله إلى ياقوت وخروجه عن صفات الحجرية من أفكار سنائي (انظر ديوان سنائي ، ص ٣٧٦) ، وزاد مولانا على الفكرة بأن الحجر الذي يتحول إلى ياقوت يكون كل ما فيه محبا للشمس ، وحتى حبه لذاته هو حب للشمس ، ولا فرق هناك بين حبه لنفسه وحبه للشمس ، فكله من الضياء من المشرق ، الضياء الإلهي .

(٢٠٣١ - ٢٠٤٢) : إنه أي الياقوت أو الحجر الذي تحول إلى الياقوت ، أو العاشق الذي أشرقت عليه شمس العشق فبدلته من حجر إلى ياقوت ، إن لم يتحول إلى ياقوت بالفعل ، فإن ذلك الحجر يصبح عدوا لنفسه ، ذلك أنه أنية منفصلة عن الضوء نافرة منه ظلمانية ، ومن ثم فإنه إن أحب نفسه ، وهو لا يزال على حجريته هذا ، فإن هذا يكون من قبيل الكفر ، لا يليق به أن يعترف بأن لنفسه وجودا ، فأي وجود للحجر ، ما أشبهه إذن بفرعون الذي قال : أنا ربكم الأعلى . فأذله الله سبحانه وتعالى ، بواسطة موسى عليه السلام ، وإن كنت تريد أن تعرف الفرق ، فانظر إلى الحلاج الذي قال " أنا الله " ومع ذلك فقد نجا بها وصار رأسا للأولياء ، لأنه كان فانيا في صفات الله (انظر لتفصيلات الكتاب الرابع الأبيات ٢١٠٢ - ٢١٣٤ وشروحها) ، والفكرة فيما يرى استعلامي (٣١٦/٥) واردة في معارف برهان محقق ، وتكررت هذه المقارنة في المثنوى كثيرا (انظر الكتاب الثاني الأبيات : ٣٠٧ و٢٥٣١و٢٥٣٢ وشروحها) ، إذا أردت مثالا على الحجر فخذه من فرعون فلم يكن يحق له أن يقولها ، وإذا أردت مثالا عن الياقوت فخذه من المنصور وما كان له أن يقولها إلا بعد أن امتلأ وجوده بالنور ، لم يكن حلولا كما ظن بعضهم ، لكنه كان امتلاء بهذا النور الإلهي ، وأنا أقول لك أيها المريد ، جاهد ، فمن جهادك هذا يمكن للحجر الكامن فيك أن يتحول إلى ياقوت ، هذا هو البقاء في الفناء الذي تشاهده في كل لمحة ، حينذاك تمضي عنك العلائق الدنيوية ، أما السكر فالمقصود به الانسلاخ عن الذات والحيرة من العشق الإلهي والنشوة التي تصيب المرء من إدراك العوالم الإلهية .

(٢٠٤٣ – ٢٠٤٩): والطريق إلى هذا الأمر إنما يكون بان تتحول بأجمعك إلى أذن سامعة لرجل من رجال الحق يأخذ بيدك ويدلك على الطريق ويعدك لنور الشمس الساطعة ، فتتجلى بها وبمعارفها وكأنما ألبست أذنك قرطا من الياقوت، وداوم على إخراج تراب العلائق الدنيوية والانغماس فيها من بئر وجودك هذا إذا كنت ترى نفسك إنسانا جديرا بأن تمحو عن النفخة الإلهية كل ما يعلوها من تراب، وإن الله سبحانه وتعالى إن رآك جادا في الطلب منصرفا إليه بكل روحك وكيانك، فإن جذبة واحدة من جذباته وهي تساوى عمل الثقلين (مولوى ٥/٢٩٨) سوف تجعل ماء المعرفة الزلال ينبثق من وجودك (انظر البيت ٤٧٨٦ من الكتاب الثالث) ، وذلك أن من جد وجد وسعد وأتاه الإقبال من الإله الأوحد ، ومن قبيل الجد في العمل أن تداوم على الصلاة فإنها قرع على باب الوجود مصداقا لقوله ﷺ : { أدم قرع باب الملكوت بالركوع والسجود } (استعلامى ٥/٣١٧وانظر الكتاب الثالث ، البيت ٤٧٨٥) ، والإقبال هو العناية الإلهية وبابها العمل .

(٢٠٥٠ – ٢٠٥٦) : لا يزال مولانا جلال الدين يركز كثيرا في عناوين أشعاره على أن ايازا هنا مجرد رمز عن العبد الصالح المقرب إلى الله " السلطان " ، وإلا فأية صلة بين اياز مملوك السلطان محمود الغزنوى والأنبياء والأولياء حتى يقرن بهم ؟! وها هو يعود إلى القصة التي بدأها في البيت ١٨٥٧ وعاد إليها عدة مرات للإيهام بأنه يتحدث عن اياز ومحمود والواقع انه يتخذ منها تكئة نحو الانطلاق في إفاضاته عن العشق ، الموضوع الأول والخيط الجامع للمثنوى المعنوى بأجزائه الستة ، وفي البيت ٢٠٥٣ أن إيازا كان أضن بسره هذا بحيث جعل الحجرة فعلا تبدو وكأنها تحتوى على كنز ثمين ، وهكذا ، قلوب الرجال فهي قبور الأسرار ، وكان أيضاً يعلم أن " العوام " ، يسيئون الظن به ، فمنهم من يعتبره محظيا للسلطان ومنهم من يعتبره مشعوذا ومحتالا ، وهكذا يكون صاحب الهمة – هكذا يعلق مولانا – إنه أضن بأسرار قلبه ، ولابد أن يحفظها عن العوام ، وهذه الأسرار عند ملوك الطريق تقدم فداء للروح .

(٢٠٥٨ – ٢٠٦٥) : لا يتابع مولانا أحداث القصة إلا في بيتين اثنين ويدخل في حديث عن الحرص ، إن حرص هؤلاء الذين هاجموا حجرة اياز كان يسرع بهم نحو سراب ، ومهما أخذ العقل يحذر ، فإن الحرص قد غلب ، فلا نصح نفع ، ولا تحذير أجدى ، (عن الحرص وآفاته ، انظر الكتاب الذي بين أيدينا ، الأبيات ٥١٨ – ٥٢٢ وشروحها) ،

والحريص يزداد حرصا كـلما زيد تحذيرا لـكنه عندما يسقط ويكتشف أن حرصه أرداه " وكـل حريص محروم " ، تكون النتيجة المؤكدة أن النفس اللوامة " وهى الـروح الإنسانية الـتى انتهت إلى خطـاياها(مرصاد العباد لنجم الدين بن الداية ، ص ٣٥١) تسيطر علـيه ولا تفتأ تلومه ، إنه – أي الحريص– لا يفـيق إلا إذا اصطدم بجدار البلاء ، إنه مجرد طفل ، والأطفال يقبلون على حلوى اللوز المصنوعة من الجوز " وفـي نسخة أخرى اللـوز " ، ولا يستمعون النصح ، إلا عندما تظهر القروح (لم أعرف العلاقة بـين أكـل حلوى اللـوز وبـين ظـهور القروح ، ولم يـشر أحد من الـشراح إلى هذا الأمر) ، ولعل الأمر يرمز إلى أن أطفال الدنيا ، وأولئك الذين لا يعتبرون من " رجال " الطريق ينهمكون فـي لذائـذ الدنيـا ، ولا ينتصحـون إلا عندما تكون نتيجـة هذا الإنهاك قروح وآلام تظهـر علـى أجسـادهم ، لــكن المطـابقة هنا لا تـتم، فلابد أن تكون من نتيجة أكـل الأطفال للحلوى بالجوز بعـض المتـاعب ولعلها كانت من أنواع الحلوى الـشائعة فـي أسواق قونية والـتحذير من أكـل حلـوى السوق عموما .

(٢٠٦٦ – ٢٠٧٩) : عودة إلى قصة إياز : لقد أعماهم الحرص فتهافتوا على الحجرة الخالـية تهافت الهوام على المخيض ، أو تهافت الذباب على الـشراب ، إنها تسقط فـيه مندفعـة ، فـلا هى تستطيع أن تأكـل ولا هى تستطيع أن تطير ، وهكذا أولئك الذين كانوا يفتشون غرفة اياز ، لا هم يجدون شيئا ، ولاهم يستطيعون الانصـراف ، فـالحجرة الخالـية زادتهم شكا وريبـة ، والحذاء والسترة ، وهما كـل مـا فــي الحجـرة ، أصبحـا سببا فــي زيـادة الـشك والريبـة ، وهكذا الحريص مهما منى بالخيبة فـي طريق حرصه فإنه لا يعود بل يزداد حرصا وطمعـا ، إنهم ينقبون الجدران ، ويحفرون الأرض ، ويدمرون، وكـلما ازدادت خيبتهم ازدادوا تدميرا ، وسرعان ما اكتشفوا أي خطــا وقعوا فـيه، لـكنهم مع ذلـك لا يستطيعون تدارك هذا الخطــا، فالجدران والحفر تشهد علـيهم ، ولا حل إلا العـودة إلـى الملـيك والاعـتذار لـه ، والاعـتراف بالخطـا ، وإبداء الـتوبة .

(٢٠٨٠ – ٢٠٨٥): لا يزال مولانا يركز فـي العناوين انه لا يتحدث عن اياز كشخص بـل عن الأنبياء والأولـياء عموما ، والآيات الموجـودة فــي العنـوان : ﴿ يـوم تبـيض وجـوه وتسود وجوه فأما الذين أسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ، وأما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله هم فـيها خـالدون﴾ (آل عمـران /١٠٦ ، ١٠٧) ،

أما الآية الثانية فهي : ﴿ ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة ، أليس في جهنم مثوى للمتكبرين ﴾ (الزمر /٦٠) ، وفي البيت ٢٠٨٠ يسألهم السلطان قاصدا أو ساخرا : هه .. كيف الحال ... أين الذهب والأموال ، ثم ينتقل مولانا إلى فكرة دق عليها في أكثر من موضع في المثنوى : أن سيماء الوجه تفضح ما هو موجود في الباطن ، إذا حاول الإنسان كتمه أو حاول أن يظهر غيره مصداقا لقوله تعالى : ﴿ سيماهم في وجوههم من أثر السجود ﴾ (الفتح /٢٩) ، وبالطبع السيماء هنا من أثر الخيبة والاحباط ، وفكرة الجذر الموجود في القلب الذي يثمر بما تمليه طبيعته على الوجه وردت في الكتاب الثالث (انظر الأبيات ٣٦٠ – ٣٦٥ وشروحها) ، أما فكرة الذي يتظاهر بما ليس في باطنه فقد مرت في الكتاب الرابع (انظر الأبيات ١٧٤٠ – ١٧٥٥ وشروحها) . وفي البيت ٢٠٨٥ إشارة إلى الآية الكريمة ٦٥ من سورة يس : ﴿ اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون ﴾ .

(٢٠٨٧ – ٢٠٩٥) : حمل السيف والكفن من العادات القديمة عند الإقرار بالذنب أو بالدم ، أي إن شئت فاقتص وإن شئت فاعف ، وفي البيت ٢٠٩١ إشارة إلى الآية الكريمة ﴿ قل كل يعمل على شاكلته ﴾ (الإسراء /٨٤) ، وفي البيت ٢٠١٥ إشارة إلى الحديث الذي تكرر في أكثر من موضع من المثنوى : " المؤمنون كنفس واحدة " (اكثر التفسيرات تفصيلا لهذا الحديث موجودة في الكتاب الثالث ، الأبيات ٨٤-٩١ والكتاب الرابع ، الأبيات ١٦٥١ – ١٦٥٣) .

(٢٠٩٦ – ٢١٠٨) : إن العبد الذي تتجه إليه الاتهامات عليه أن يسعد بها وبخاصة وأنه يعلم أن ساحته بريئة أمام الخالق ، وما دام بريئا فأي ضرر يصاب به من جراء هذه التهم الباطلة ، إنها فرصة له لكي يستخدم " حلمه " ، ويضاعف أجره من جراء هذا الحلم والبيت ٢٠٩٧ تكرار لمضمون البيت ١١٨٤ من الكتاب الرابع : إن الدنيا لا تساوى عند الله جناح بعوضة ، ولو كانت كذلك لما سقى منها الكافر شربة ماء ، فليس إقبال الدنيا دليلا على رضا الله ، ﴿ ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون ، إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار مهطعين مقنعى رؤوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء ﴾ (إبراهيم / ٤٢ – ٤٣) . وأن هذا الحلم هو الشفيع لكل البشر فإنه يعلم بعلمه ويستر بحلمه سبحانه وتعالى ، والذي يستر بحلمه في الدنيا ، قادر بنفس هذا الحلم أن يغفر ، حلمه هذا هو

العاقلة " التي تتحمل الدية (العاقلة عند الإمام الشافعي هم قبيلة القاتل خطأ وعشيرته ، وهم عموما أقرباء أب القاتل وإن كان من أهل الديوان فعاقلته عند الحنفية أهل الديوان) ، وهل تجرؤ النفس على ارتكاب الخطأ إلا إذا كانت معتمدة على هذا الحلم ، هذا هو الحلم الإلهي ، والحلم الإنساني من نوع آخر ، فكما أن الحلم صفة مستحبة عند الخالق ، فهو صفة مستحبة أيضاً عن المخلوق ، وإن كان الانغماس فيه يجعل الشيطان يجد فرجة إلينا ، فالاعتماد على حلم الخالق يجعل النفس تستنيم إلى فعل المعصية ، فيجد الشيطان السبيل إليها ، ويخدعها ويضلها، وآدم نفسه رغم انه كرم بالعلم وأنه مسجود الملائكة ، لكنه عندما استنام في الجنة إلى الحلم ، استطاع الشيطان أن يجد الطريق إليه ، فلا تعتمدن على حلم الله ، انه ستار لكنه أيضاً يعاقب (انظر الكتاب الرابع الأبيات ١٦٤ – ١٧١ وشروحها) .

(٢١٠٩– ٢١١٢) : يدافع مولانا عن حد القصاص في القتل ، وكأنه كان يتوقع أن يأتي زمان ينادى فيه بأن المجرم مريض ويبغى أن يعالج وأن الحياة منحة من الله لا ينبغي أن يستردها سواه سبحانه وتعالى ، وتلغى أحكام الإعدام ، وتقام السجون " الفخمة " ، ليوضع فيها القتلة والسفاحون ، ناسين أن في قتل القاتل حفظا لحياة الآلاف ، ومن ثم جاء في الآية الكريمة ﴿ ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون ﴾ (البقرة /١٧٩) وهناك تلك القاعدة الحدية التي تقول أكثروا القتل فإن القتل يقتل القتل ، وأيضاً القتل أنفى للقتل ، (انقروى ٤١٧/٥) ، هيا يا اياز أنت صاحب الحق فاحكم باحتراز، وحذار ولا تجعل غضبك لذاتك ولشخصك ولما لحق بك يجعلك تميل إلى الهوى ، هذا بالرغم أنني خبرتك في العمل مرات عديدة ، وكم امتحنتك وخرجت من كل امتحان موفقا طاهرا نقيا ، وبرغم أن الخطاب من الملك إلى اياز في صيغة المخاطب إلا أن البيت ٢١١٢ في صيغة الغائب لأنه مدح مباشر في اياز ولا يصح أن يخاطب به في وجهه ، إن هذا البحر – اي اياز – ليس مجرد علم ، وهذا الجبل ليس مجرد حلم أي هناك أشياء كثيرة يحتاجها البحر سوى العلم وهناك أشياء عديدة يحتاجها الجبل سوى الحلم .

(٢١١٣ – ٢١٢٠) : هنا نتيجة من نتائج هذه الحكاية ، وها هو جواب اياز : إنني أيها الملك لست شيئا ولا أساوى شيئا دون عطائك فأنا لست شيئا سوى هذا الحذاء وهذه السترة (في رواية العطار :

فــي الـيـوم الأول عندما فتح هذا الباب أمامي كانت هذه الستارة فوق كتفي
مصيبت نامه ، ص ١٣٩ ، بتحقيق د. نوراني وصال ، تهران ، ١٣٣٨)

ثم يلـتـقط مولانا جلال الدين طرف الحديث ويبدأ فـي افاضاته : أتدرى ما هو المقصود بالحذاء ، إنه النطفة ، أما الدم فهو سترة الراعى ، أنت نطفة ودم ، أصلـك نطفة ودم ، وما عدا ذلـك فعطـاؤه (ما هذا؟ النطفة والدم عطـاؤه أيضاً) ، ومن هنا فـإن الرسول ﷺ قال : { من عرف نفسه فقد عرف ربه } ، (منسوبة أيضاً إلى الإمام على ﷺ وإلـى سقراط ، من عرف نفسه بالعبودية عرف ربه بالربوبـية ومن عرف نفسه بالعجز عرف ربه بالقدرة ، ومن قدرته انه جعل هذه النطفة وهذا الدم مدركة لعوالم الغيب عالمة متسلطة مسيطرة على الطبـيعة ، خلـيفة لله فـي الأرض ، سيده على الخلـيقة وأنت وما تستحق ، بـقدر جهدك وعملـك وكفاحك وجهادك يجعل منك ، لقد أعطـاك هذه العطية " النطفة والدم " ، كمجرد نموذج على ما فـي ملـكه تماما كما يعرض البستانى بضع ثمار البستان ولا يعـرض البستان كـله ، وكما يبـين الأستاذ جانبا من علمه وكما يعرض الزارع كفا من القمح لـيدلـك على البـيدر ، فإياك أن تظن أن هذا هو عطاؤه فحسب ، فكأنك أخذت تستقل خزائن ربك الـتى لا تـنفد ﴿ هذا عطـاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب ﴾ (ص /٣٩) ، وإن قلـت أن هـذا هو ما عند الله فحسب صرت من المبعدين .

(٢١٢١ – ٢١٢٧): يتعجل الملـك " اياز " ، فـي الحكم على من دسوا عنده، هيا فاحكم بهذا العدل الإلهى الذي يختلف عن العدل الدنيـوى الوهـى ، لـكنه لا يلبث أن يقول : إن الذين أجرموا فـي حقك يستحقون القتل ، مع أنه لا قتل إلا فـي قتل ، إذن فربما فسر الأمر على أن " الفتـنة أكبر من القتل " ، لـكنهم مع ذلـك يرجون عفوك ، وكـلا الأمرين وارد ، الناس حينا يرون أن القصاص واجب وحينا آخر يرون أن العفو واجب ، والله سبحانه وتعالى سبـقت رحمته غضبه (الـترغيب هنا فـي الرحمة والعفو) . وبهذين الحبلـين يجذب الحلق منذ الـيـوم العهد والميثاق، منذ أن أخرج ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشـهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا : بلى ، فهناك موضع يصلح فـيه الـكوثر (العفو) وموضع آخر يصلح فـيه اللهب (الانتـقام) حتى لفظ " ألست " ، هو أيضاً يحمل الضدين : النفي والإثبات ، هو استفهام للإثبات ، وإن كان لفظ " لـيس " ، موجودا فـيه ، أي نفى وأى إثبات

تخوض فيه ، أترك هذا كله فلا يجوز أن تناقش هذه الموضوعات أمام العوام ، إنها من موضوعات الخواص .

(٢١٢٨ – ٢١٣٣): يعود مولانا إلى الفكرة التي يدق عليها كثيرا وهى أن الأمور نسبية ، وطبقا للجذب ، فالحق يجذب الحق والباطل يجذب الباطل كما يجذب المغناطيس الحديد ، وكما يجذب الكهرمان القش ، وكما تجذب المعدة الجديرة بالحلو الحلو إليها ، وكما تجذب المعدة المريضة إليها الخل ، كما يقضى الفراش البارد على الحرارة والفراش الحار على البرودة ، وكما تفيض رحمة ومودة وبشرا عندما ترى الصديق وبغضا وسطوة عندما ترى العدو ، أنت وطبيعتك وعملك وفعلك ، ثم يعود إلى خطاب الملك إلى اياز : هيا وافصل في الأمر فإن الانتظار في حد ذاته نوع من الانتقام ، العدالة ينبغى أن تكون سريعة .

(٢١٣٤ – ٢١٤٠) : في العنوان : " الانتظار هو الموت الأحمر " ... والموت الأحمر في معجم الصوفية له عدة معان منها تحمل اذى الخلق ، الموت في الجهاد ، وتحدث المولوى عن أربعة من أنواع الموت : موت أحمر وهو تحمل الجفاء وكف الأذى وموت أصفر وهو الجوع والاصطبار على الإعسار وموت أبيض وهو العزلة وموت أسود وهو مخالفة النفس والهوى (مولوى : ٥/٤١١) . وروى صاحب تذكرة الأولياء عن حاتم الأصم أنه قال : على من يدخل هذا الطريق أن يذوق ثلاث ميتات : موتا أبيض وهو الجوع وموتا أسود وهو الاحتمال وموتا أحمر وهو لبس المرقع (تذكرة الأولياء / ٢٠١) ، والذي يناسب السياق هنا هو تفسير الموت الأحمر بمعناه اللفظى أي القتل. يجيب اياز بأن الأمر كله متروك للملك ، والبيت ٢١٣٥ يكاد أن يكون ترجمة لبيت النابغة الذبياني :

فإنك شمس والملوك كواكب	إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

ويرى اياز أنه هو الذي أثار شكهم وريبتهم ، فلو انه كان قد نسى ماضيه وأصله ، ذلك أن { كل ذى نعمة محسود} ، وما دام المرء مقيما على غير ما درج عليه الناس فهو عرضة لاتهامهم { والمخلصون على خطر عظيم } ، إننى أنا بكتمى هذا السر ، ووضعى الأقفال على الحجرة المسئول عن كل هذا الموقف لقد أدى إلى الشك في أنا الذي اعتبر معدنا للوفاء ومثالا له ، وما كان بحثهم عن الغدر منى إلا كباحث عن مدرة جافة في قاع جدول ، أو عن سمكة خارج الماء ، أي كان بحثهم عن غدرى وخيانتى من قبيل البحث عن المحال .

(٢١٤١ - ٢١٤٩) : من هنا يترك مولانا القصة ويدخل في حكايات وموضوعات غيرها حتى البيت رقم ٣٢٥٠ عندما يعود إليها ... يقول : إن حديثي عن الوفاء أمام من جبلوا على الغدر والخيانة هو إلقاء بالمشقة عليهم ، كيف يمكن أن يتحدث أحد عن اللباب أمام من وقفوا عند القشور ، وذلك أن للقشور صوتا يعجب الآذان ، إذن فاعلم أن للباب أيضاً له صوت ، وصوت حسن ، أفضل كثيرا من خشخشة القشور التي تعجب بها ، لأنها تدلك على أن هناك لبا ، فتذهب وتسطو عليه ، لكن صوت اللب ليس مبذولا لكل أذن ، فالقشر هو ظاهر الإنسان واللب هو باطنه الذي ينبغي أن يستمع إليه بأذن الروح ، والطريق إلى فتح أذن الروح وتمكينها من العمل يكمن في أن تسد أذن الجسد وشفة الجسد، وتصمت ، وتصبر ، وتطلب أن تنزل عليك عطايا الله ، ويطلب مولانا من نفسه أن يقوم بهذه التجربة ، لقد جربت كثيرا من النظم والنثر ، فجرب لمدة يوم واحد أن تكون صامتا ، تراه لم يصمت حتى ليوم واحد ؟! أغلب الظن انه فعل ، لكنه يخاطب نفسه أحيانا بما كان ينبغي أن يخاطب به المريدين .

(٢١٥٠ - ٢١٦٢) : المن نوع من الحلوى المشهورة في إيران وهو حلو ، لكن مولانا افترض أن هناك منا مراً ، وحريفا ورمز للكلام والحديث بالمن المر والحريف وللصمت بالمن الحلو ، وفكرة كتاب اليمين وكتاب الشمال مرت في الكتاب الذي بين أيدينا ، الأبيات ١٨٠٦ - ١٨٢٦ ، وفكرة النظر في الكتاب مرت في الكتاب الرابع ، الأبيات ١٥٦٤٠ - ١٦٧٧ وفكرة التبديل تبديل السيئات إلى حسنات مرت أيضاً في الكتاب الذي بين أيدينا ، الأبيات ١٨٤٧ - ١٨٥٨ .

(٢١٦٣) : الحكاية التي تبدأ بهذا البيت ، تجاهل كل المفسرين القدامى والمحدثين تأصيلها ، وهي تبدو من الحكايات الشعبية أيضا ، وفيها غير قليل من الهزل آثرت ترجمته لكي يكتمل النص وكما فعلت في الحكايات المشابهة ، كما ناقشت عند تعليقي على قصة السيدة والحمار موضوع الجنس في التراث الإسلامي عموماً (انظر تعليقي على البيت ١٣٣٣ من هذا الكتاب) ، والآية المذكورة في العنوان : ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ﴾ (لقمان /٢٥) . والحكاية قائمة على من يكذب حاله مقاله وهو من الموضوعات المحببة عند مولانا جلال الدين (مثالها الواضح قصة ذلك الشاعر الذي لم يأخذ صلة من الممدوح ، الواردة في الكتاب الرابع ، الأبيات ١٧٣٩ - ١٧٦٥) ،

وفي الحكاية أيضاً قاعدة فقهية لم ينتبه إليها المفسرون وفحواها أن جماع ملك اليمين لا يتم إلا بإذن من الزوجة وليس أمرا مباحا على الإطلاق ، واستخدام الزاهد هنا سخرية من الزهاد المرائين ، وهم كالصوفية المتظاهرين ، كانوا موضعا لسخرية مولانا جلال الدين وهجومه .

(٢١٦٦ – ٢١٦٧) : لفكرة أنه إذا جاء القضا ضاق الفضا ، وإذا حل القدر عمى البصر وإذا حلت التقادير بطلت التدابير ، انظر الكتاب الثالث ، الأبيات ٣٨٠ – ٣٨٩ وشروحها) .

(٢١٧٥) : الاتصال الجنسى عندما يتم برغبة وشوق من الطرفين يكون اتصالا للروح بالروح ، وليس مجرد امتزاج جسدين بشكل حيوانى ناهيك عمن يعتبره حتى وإن تم في إطار شرعى أمرا مكروها .

(٢١٧٩ – ٢١٩٠) : هناك فرق كبير بين عبادة الخوف وعبادة العشق ، فالعارف العاشق يمكن له في لحظة واحدة أن يقطع من الطريق أضعاف أضعاف ما يقطعه العابد بتأثير الخوف ، أو كما يقول يحيى بن معاذ الرازى : الزاهد سيار والعارف طيار (عن استعلامى ٥/٣٢٣) ، فالعارف يستطيع في اطراقة واحدة أن يصل إلى اليوم الذي مقداره خمسون ألف سنة مما تعدون، وإياك أن تحاول أن تزن أمور العارف بالعقل ، فهى خارج العقل وخارج الوهم ، فخوف الزاهد لا يساوى شيئا إلى جوار عشق العارف ، وأين تلك الصفة التى يوصف بها الله سبحانه وتعالى أي صفة العشق ﴿ يحبهم ويحبونه ﴾ ، إلى جوار تلك الصفة التى لا يوصف بها إلا الإنسان وهى صفة الخوف ، ولا يمكن أن يوصف الإله العظيم بها ، إننى مهما تحدثت عن العشق يظل الأمر ناقصا ، فنحن الناقصون المتحدثون بالأحاديث الناقصة، وقبل ذلك قلت لى عندما كنت أتحدث عن العشق : إننى لو شرحت هذه الأمور لصار المثنوى ثمانين مجلدا (البيت ٤٤٤٥ من الكتاب الثالث) وقلت أيضاً : أن آفة الإدراك هو ذلك المقال والحال (البيت ٤٣٧٠ من الكتاب الثالث) وأضيف هنا أننى حتى ولو تحدثت عن العشق دائما لقامت مائة قيامة (لمرت أعمار على أساس انه إذا مات ابن آدم فقد قامت قيامته) ويؤكد هذا قوله في البيت التالى أن القيامة محدودة بزمان ، لكن خالق القيامة ، وهو الموضوع الأول للعشق ليس محدودا بزمان ومن ثم لا يحد عشقه بزمان .

(٢١٩١ – ٢١٩٦) : يـواصل مولانا إفاضاته عن العشق : إن العارف لا يقطع هذه المسافات والأزمنة بحوله وطوله ،بل بواسطة تلـك الأجنحة الـتى يملـكها العشق والـتى تمتد من أعلى العرش إلى الثرى ، ومن هنا فالزاهد بمثابـة مـن يمـشى علـى قدميـه ، إنـه مهتـم بالدنيـا ، إن زهده فـيها موقف منها ، وهو دائما فـي قيد ما يجوز ولا يجوز ، لـكن العاشق لا يهتم بالدنيا أو بالآخرة إنه يريد وجـه اللـه ، فهـو فـان فـيه ، ومـن ثـم أصبـح سـريانه فـي الموجـودات كسريان الحقيقة ، وأسرع من الهواء ومن البرق ، ومن هنا فمشاغل الزهاد كثيرة ، والخـائف غالبا ما هو مشغول بما هو خائف منه ، أما العشاق فقد جعلوا همهم واحدا ، ومن ثم أصبحت السماء دانية لهم وكأنها الأرض ، والعناية الإلهيـــة فحسب هي التي تستطيع أن تجعل الزاهد والخائف عاشقا ، وتقول لـه : انطلـق ... دعـك مـن ذلـك السـير الأرضـى ودعـك مـن كـل أوهامك ، وكـل رؤاك ، وكـل قيلـك وقالك ، فهذا القيل والقال بمثابـة مناقشـة أهـل المدرسـة للجبر والاختيار ، أي جبر وأى اختيار ، يكفى العاشق فخرا أنه فان فـي الله منطلق كـالصقر الملـكى " الروح " .

(٢٢٠٥ – ٢٢١٠) : عـودة إلـى مناقشـة كتـاب الأعمـال الـتى تمـت مناقشـته فـي الأبـيات ٢١٥١ – ٢١٥٦ ، وفـي هذه الأبـيات مضمون الآية ٢٥ من سورة لقمان ، وقد مر الحديـث عنها فـي شرح الحديث ٢١٦٣ .

(٢٢١١ – ٢٢٢٠) : الأبـيات هنا ناظرة إلى قوله تعالى ﴿ ويـوم يحشر أعداء الله إلى النـار فهم يـوزعون ، حتـى إذا مـا جاءوهـا شـهد علـيهم سـمعهم وأبصـارهم وجلودهـم بمـا كـانوا يعملون ، وقالوا لجلودهم لم شهدتم علـينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطـق كـل شئ وهـو خلقكم أول مرة وإلـيه ترجعون ﴾ (فصلـت / ١٩–٢١) ، (انظر أيضـاً الـكتاب الثـالث ، الأبـيات ٢٤٥٧ – ٢٤٦٧ وشروحها) . إذن فلـيست أقوالـك هى الـتى تشهد لـك ، أفعالـك هى الـتى تشهد لـك ، والإيمان ما وقر فـي القلب وصدقه العمل ، وهذه الأعضـاء تشـهد علـيك لأنهـا بمثابة العبد منك أيها السيد هى تابعة لـك وغير مسئولة عما ارتكبت .

(٢٢٢٠ – ٢٢٢٧) : على كـل حال فإن الفرصة لم تفلـت منك بعد ، فباب الـتوبة مفتوح مـا لم تغرغر وتبلغ روحك الحلقوم (عن باب الـتوبة ، انظر الـكتاب الرابع ، الأبـيات ٢٥٠٣ – ٢٥٠٨ وشروحها) ، روّ جذور العمر بماء الـتوبة وهـو بمثابـة مـاء الحيـاة الـذي يجعـل هـذه الـشجرة التى جففتها الذنوب خضراء مورقة ﴿ أصلها ثابت وفرعها فـي السماء تؤتى أكـــلها

كـل حين بإذن ربها ﴾ فأى ماء هذا الذي يجعل حتى تلـك السيئات الـتى قمت بها تتبـدل إلـى حسنات ، إنه أشبه بكيمياء الـتبديل مصداقا لقولـه تعـالى ﴿ إلا مـن تـاب وآمـن وعمـل عمـلا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكـان اللـه غفـورا رحيمـا ﴾ (الفرقـان / ٧٠)(وعـن الـتبديل انظر أيضاً ، الأبـيات ١٨٣٥ – ١٨٥٤ من الـكتاب الذي بـين أيدينا) فهيا تب هـذه الـتوبة النصوح ، وأنا أعلم انك قد ملـت إلى الـتوبة فجدد ميلـك إلـيها .

(٢٢٢٨) : تعبـير طريـف ذلـك الـتعبـير الذي يقدمه مولانا عن الـتوبة : كـاللبن يخـرج مـن الثدى ولا يعود إلـيه ثانية ، والـتوبة ألا تذكر الذنب ، وفـي رواية أخرى ألا تفتأ تذكر ذنبك ، لـكن مولانا حدد : الذكر بميل ، ولا شك أن الذكـر بكراهـة يقوى الـتوبة ، فكـلما ازداد كراهية لذنبه كان ذلـك دلـيلا على أنه وجد لـذة القبـول ، وأن لـذة القبـول هـى الـتى حلـت محل لذة الذنب القديم إذ لا يقضى على عشق إلا عشق آخـر (انظـر ٨٨٠ – ٨٨٣ وشـروحها من الـكتاب الرابع) ، والبـيت المذكور (لـيس لمولانا كما اعتبره الـشارحون وإلا لمـا قـال : كما قالوا ، وقد يكون لأبى سعيد) ، أما الآيات الـكريمات ﴿ فأما من أعطى واتـقى ، وصدق بالحسـنى ، فسنيسـره للـيسرى ، وأمـا مـن بخـل واستغـنـى ، وكـذب بالحسـنى ، فسنيسـره للعسرى ﴾ (اللـيل / ٥–١٠) ، ونصوح هذا اسم شخص ولـيس صفـة كمـا وردة فـي الآيـة الـكريمة : ﴿ يا أيها الذين آمنوا توبوا الله توبة نصوحا ﴾ (الـتحريم /٨) ، ويرى عبد البـاقى أن الخيال الـشعبى هو الـذي حـول نصـوح مـن صفـة إلى شـخص (5/370) فـي حيـن أن الرواية وردت قبل مولانا فـي إحياء علوم الدين للغزالـى ، وفـي مقـالات شمس ، وأغلـب الظن أن مولانا أخذها عن مقـالات شمس ، لأن مضمونها أقرب إلـى روايتـه ، كمـا ذكرهـا مولانا أيضاً فـي المجالس السبعة (مآخذ ١٧٥ – ١٧٦) .

(٢٢٣٥ – ٢٢٤١) : إن الإنسان لـيتوب ، لـكن النفس الـكافرة الأمـارة بالسوء مـا تـنفك توسوس له حتى يعود ، وقد تتحقق الـتوبة عن طريق أحد رجال اللـه ودعائـه " همـم الرجـال تزيح الجبال " ، لقد عرف الولى ما يجول فـي خاطره وقرأ سر ضميره لـكنه ستر علـيه ، فهو متخلق بأخلاق الله ، ومن أخلاق الله سبحانه وتعالى الحلم على خلقه والستر علـيهم فهـو الحلـيم الستار ، وما أكثر ما يعرفه هؤلاء الأولـياء لـكن الـشفاه صامتـة لـيس ضنـا بـالعلم ولـكن سترا على الخلق ، والبـيت ٢٢٣٨ قريب من قول حافظ الـشيرازى :

لا أدرى من يـوجد داخلى أنا المعذب القلب   فأنا صامت وهو ملئ بالضجة والصخب

(ديـوان حافظ / ٨٣)

فلـيس كـل البشر مهيئين لفهم كـل الأسرار ، وقد روى عن النبى ﷺ قوله : { إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا أهل المعرفة بالله فإذا نطقوا به لـم يجهلـه إلا أهـل الاغـترار باللـه عز وجل ولم يتحمله إلا أهل الاعتراف بالله عزوجل، فلا تحقروا عالما آتاه الله علما فإن اللـه لم يحقره إذ آتاه إياه } وفـي خطبة لأمير المؤمنين على ﷺ : اندمجت علـى مكنـون علـم لـو بحت به لاضطربتم اضطراب الأرشية " الحبال " ، فـي الطـوى " الآبـار " ، البعيـدة ، وقـال أيضاً : إن هاهنا لعلما جما لو أصبت له حمله ، وفـي أبـيات لعلى زين العابدين السجاد ﷺ :

إنـــى لأكتــــم مـــن علمــــى جواهـــره ∴ كيلا يـرى الحـق ذو جهـل فـيفتتـــنا

وقــد تـــقدم فـــي هـــذا أبــو حســـن ∴ إلـى الحسـين ووصـى قبلــه الحســنا

يـــا رب جوهـــر علـــم لـــو أبـــوح بـــه ∴ لقيـل لـى أنـت ممـن يعبـد الوثنــا

ولاســـتحل رجـــال مســـلمون دمـــى ∴ يـــرون أقبـــح مـــا يأتونـــه حســـنا

قـام فـي بنـى ﷺ : إن عيسى بـن مريم ﷺ وعـن الصـادق رضـى اللـه عنـه قـال : قـال إسرائيل فقـال : يـا بنيى إسرائيل لاتحدثوا بالحكمـة الجهال فتظلموهـا ولا تمنعوهـا أهلهـا فتظلموهم " ، ومن ثم يـوصى المريدون بعدم إفشاء الأسرار (جعفرى : تفسير ونقد وتحلـيل مثنوى جلال الدين محمد ، جـ ١٢، ط ١٠ ، تهـران ، اسلامى ١٣٦٣ ، صص ٩٦ – ١٠٢ ، بعد ذلـك جعفرى /١٢) . وطـالما يحدث مولانا جلال الدين نفسه فـي المثنوى ، أصمت كفاك حديثا ، إن تحدثت سوف تأخذ الغيرة بأذنيك وهلم جرا .

(٢٢٤٢) : العارف الواصل " الحق " مستجاب الدعاء ، وهذه الفكرة أن فعـل الولـى مـن فعل الله تكررت فـي المثنـوى (انظـر الـكتاب الثـالث ، البـيت ٢٢٢٢) والحديث المذكور فـي العنوان :{ من عادى لى ولـيا فقد آذنته بـالحرب ومـا تـقرب إلـى عبدى بشـئ أحـب ممـا افترضت علـيه وما يزال عبدى يتـقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنـت سمعه الـذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده الـتى يبطش بها ورجله الـتى يمشى بها} . قال الـشيخ الأكبر : ولابد من إثبات عين العبد فـي الفناء فـي الله وحينئذ يصـح أن يكـون الحـق سـمعه

وبصره ولسانه ويده فعم قواه وجوارحه بهويته على المعنى الذي يلـيق به ، وهذه نتيجة قرب النوافل وأما قرب الفرائض أن يسمع الحق بك كأنـه قـال : إذا أحببـت عبـدى فغلبـت محبتـى علـيه وسلبته الاهتمام بغيرى فـيتصف ظاهرا وباطنا بصفاتى فـيسمع ما أسـمعه ويبصـر مـا أبصره ويمسك بـقدرى ويمشى بإرادتى فتكون جوارحه وأعضاؤه لى آلة . وهذا أيضاً مفهـوم ﴿ وما رميت إذا رميت ﴾ (مولوى ٥/٣٣٦) .

(٢٢٤٥) : ومع ذلـك فالأمور كـلها من عنـد اللـه تعـالى ﴿ يهدى مـن يـشاء ﴾ ومـا الولـى والعارف الذي يدعو إلا من قبـيل السبب الذي يهيئه سبحانه وتعالى ، فالدعاء والاستجابة منـه أيضا ، وهو الـذي يلهم الأفواه الدعـاء ، إذا أراد الاستجابة (انظـر الأبـيات ١٩٠ - ٢٠٧ وشروحها ، من الـكتاب الثالث) .

(٢٢٧٣) : عن رسول الله ﷺ أنـه قـال : { اشـتدى أزمـة تـنفرجى } (النهايـة فـي غريـب الحديث والأثـر ، لابن الأثير ، ٤٩٦/١) . وقد نظـم أبـو الفـضل يـوسف المعـروف بـابن النجوى قصيدة فـي هذا المعنى مشهورة باسم القصيدة المنفرجة أولها : اشتدى أزمة تـنفرجى . ثم يستمر : قد آذن صبحك بالبلج ، وظلام اللـيل لها سرج حتى يغشاه أبـو السـرج . وقـال ابن الفارض :

أصبحت فـيك كما أمسيت مكتئبا　　ولم أقل جزعا يا أزمة انفرجى

(انقروى : ٤٩٧/٥)

(٢٢٧٥ - ٢٢٨٦) : من خلال موقف مـن مواقـف القصـة يتحدث مولانـا عـن " ديناميكيـة " اتصال المضطر وسره وضميره بالملأ الأعلى والسر مرتبة من مراتب الروح السبعة (انظـر البـيت ٣١٣١ من الـكتاب الثالث) لقد فنى المضطر عن وجوده، فاتصل سره بالملأ الأعلى ، فاستدعى روحه كما يستدعى السلطـان البـازى لأن يعود بصيده ، إن الانكسـار أيضـاً بـراق عظيم فـي تلـك اللحظة ، فقد خرق الخـضر السفـينة لـتـنجو ، ومثلهـا سفـينة المـضطر ﴿ أمـن يجيـب المضطـر إذا دعـاه ويكشـف السوء ﴾ لقد أنقذ اللـه سبحانه وتعـالى سفـينته المحطمـة علـى شـاطئ الرحمـة ، وهكـذا عندمـا تجردت الـروح مـن الجسـد ومـن عـاره ، استطـاعت أن تحلق عالـية نحو أصلها ، ويـواصل مولانا الصورة الـتى يغرم بهـا صـورة الروح كبازى (قوية ملـكة الطيور قادرة على الـتحليق) والـتى تـقف على ساعد السلطـان، ثم تـنطلق إلى الدنيا فـي إثر"الطين"حتى إذا دق لها طبول ﴿ارجعى إلى ربك راضية مرضية﴾

انطلقت إلى أصلها مما عبر عنه في غزلية من غزليات ديوان شمس " انظر شروح الآيات ١٦٦٠ - ١٦٦٤ من هذا الكتاب "، وعبر حافظ الشيرازى عن نفس الفكرة بقوله :

طائر قلبى طائر قدسي عشه العرش ∴ مل قفص الجسد وشبع من الدنيا

ومن باب هذه المتربة عندما يطير الطائر ∴ يتخذ موقعا ثانية على هذا العش

وعندما يطير من هذه الدنيا تكون السدرة ∴ فاعلم أن متكأ طائرنا شرفة العرش

(ديوان حافظ : جامع نسخ ص٣٦٤)

وهكذا عندما يتخلص بازى الروح مما يغل قدمه ينطلق نحو السلطان ، ولا يستبعد شئ عن رحمة الله ، فإن رحمة الله وسعت كل شئ ، وعندما يجيش بحر الرحمة يكون للحجر نصيبه من ماء الحيوان فيحيا وينطق (ويقول لداود خذنى لقتال جالوت ويبلى بلاء حسنا في القتال) ، ومن الرحمة تصير الذرة والهباء في عظمة الشمس ، ويصبح هذا الأديم الترابى مناجم ذهب ، وتطوله يد رحمة الربيع فيصبح وشيا منمنا ، ويصبح كل مستحيل ممكنا ؛ فيعود عزير من قبره ويحيا (انظر الكتاب الرابع الأبيات ٣٢٧١ - ٣٢٧٩ وشروحها) ويعم السلام ، فيجالس الذئب الشاه (تشبيه قاله أحد شعراء السلطان محمود لعله العنصرى مدحا له وظل تعبيرا نمطيا في الأدب الفارسى) ، وبرحمة الله تعالى لا تجد قانطا ، بل يصبح القانطون كلهم متهللين فرحين .

(٢٣٠٠ - ٢٣١٦) : إن هذه الرحمة قد فاض بها فضل الإله ، ورحمته وعطاياه لاتنتظر مستحقا ، إنها كالغيث يهمى على المزارع والصحارى ، لقد كن يعتذرن لنصوح على سوء ظنهن فيه (فيها) ، وهن اللائى يستحققن الاعتذار منه، فأى جريمة هذه سرقة الجوهرة إلى جوار الجريمة الكبرى ، جريمة أنه رجل وهن ينكشفن عليه على أساس أنه سيدة ، وهو ما لا يفكر إبليس نفسه في القيام به ، كل هذا كان الله سبحانه وتعالى يعرفه - بالتأكيد كان يقول هذا لنفسه أو كان يجول في خاطره - إن الرحمة هى التى جبرت انكسارى ورتقت ما تمزق من ردائى ، جعلتنى سوسنا حرا ، ومحا ربى ذنوبى إذ أن : التائب من الذنب كمن لا ذنب له ، وتحولت آهتى إلى نجاة ، نجوت بها من بئر نفسى ، والبيت ٢٣١٥ مأخوذ من حديقة سنائى ، (البيتان ٦٨٥ و ٦٨٦ من متن الحديقة) ، والمقصود بالروضة

والعيـون رياض الرحمة وعيـونها ، ويا لـيـت قومي يعلمون ، سورة يس ، ﴿ قيل ادخل الجنــة قــال يا ليت قومي يعلمــون بما غفـر لي ربي وجعلني من المكرمين ﴾ (يس / ٢٦-٢٧) .

(٢٣٢٦) : القصة الـتي تبدأ بهذا البـيت من قصص كـلـيلة ودمنة أعـاد مولانـا جلال الديـن صياغتها ، وتصرف فـيها لـتخدم أهدافه من القصة وافاضاته الـتي تختلف عن أصـل القصـة اختلاف ما بـين السماء والأرض ، وهناك إشارة فـي الحديقة عن صيد الأسد وكيف يكون لـكـل الوحوش (البـيت ٨١٠) . كما ورد فـي نفس الـكتاب الذى بين أيدينا تشبـيه الـشيخ بالأسد (البـيت ٣٢١٦) .

(٢٣٣٩ - ٢٣٥٠) : يترك مولانا قصة الأسد والحمار ويتحدث عن القطب ومن الواضح انـه لا يتحدث عن القطب كدرجة فـي سلسلة الولايـة ، لـكنه يتحـدث عـن الولـى عمومـا " انظـر لـتأييد هذه النظرة ، الـكتاب الثانى٨١٨-٨٢٥ " فمولانا جلال الدين يعطى كـل هذه الصفات عندما يتحدث عن الدرويـش " الحقيقى " و " الولى " ، و " الـشيخ " و " المرشد " ، وهو هنـا يـشبهه " بالأسد " ، بالطبع أسد الطريقـة الـذي " تصيد " المغفرة والرحمـة ، وتـنزل علـيه الافاضات الإلهية ، ثم يهبها لمن حوله كـل بحسب درجة " استعداده " فلـيس من عادة الـشيخ أن " يأكــل " أو " يــشرب " وحـده (انظـر الــكتاب الرابـع ، الأبــيات ١٨١٦ - ١٨١٩ وشروحها) ، ولـيس بدعا أن يكون الرزق بالقطب وقديما قال الـشاعر العربـى " خلـيفة اللـه يستسقى به المطر " ، وإلى مثل هذا أشار ابن الفارض بـقوله :

ومن فـضل ما أشربت شرب معاصرى   ومن كان قبلى فالفـضائل فـضلـتى

(انقروى ٥/٥٠٦)

فاعتبر القطب عقلا يناط به تدبـير أمور الجسد ، وإن تساءلـت وكيف إذن يكون هـذا القطـب ضعيفا؟! فإن الرد: إن الضعف فـي الجسد لا يعنى ضعف الروح، وهل يعمل القطب بجسده ، إن عمله بالروح بها يتلقى الفـيض وعن طريقها يفـيض به بدوره على المريديـن ، وهـو مـن عظمته جدير بدوران الأفلاك حوله - العالم كـلـه متعلق به ولـيس هو متعلقا بالعـالم - وهـذا المعنى متأثر بابن الفارض فـي قوله :

فبى دارت الأفلاك فاعجب لقطبها   المحيط بها والقطب مركز النقطة

(انقروى ٥/٥٠٧)

ويضيف الانقروى : والقطب ازلا وأبدا من أول الوجود إلى آخرها هو الحقيقة المحمدية ، وهو الواحد الذي موضع نظر الله تعالى من العالم في كل زمان وهو على قلب اسرافيل ﷺ ، والفكرة أقرب إلى قول ابن الفارض :

ولا فلك إلا ومن نور باطني | به ملك يهدى الهدى بمشيئتى

فان كنت مؤمنا بهذا القطب ساعده في مرمة سفينة " جسده " ، ففى عونك له عون لك ، ذلك أن الله تعالى جعل المنتصر من عبده من ينصره هو ، فإن نصرت الله نصرك ﴿ إن تنصروا لله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾ (محمد /٧) . قال نجم الدين : " يشير إلى أنكم إن وجدتم في أنفسكم شيئا يحرضكم على نصرة الله فذاك من أثر نصرة الله إياكم فإنه قد نصركم بالتوفيق لنصرة الحق فأما نصره من العبد فعلى وجهين صورة ومعنى ، أما النصرة في الصورة نصرة دينه بإيضاح الدليل وتبيينه وشرح فرائضه وسننه وإظهار معانيه وأسراره وحقائقه ثم بالجهاد والنفر لإعلاء كلمته وقمع أعداء الدين ، وأما نصرته في المعنى فبإخفاء الناسوتية في لاهوتيته ليبقى هو بعد فناء خلقه، وأما نصرة الله للعبد فهى أيضاً على وجهين : صورة ومعنى أما نصرته للعبد في الصورة فبإرسال الرسل وإنزال الكتب وإظهار الإعجاز والآيات وقد بين السبل إلى النعيم والجحيم ، وحضرة الكريم ثم بالأوامر في الجهاد الأصغر والأكبر وتوفيق السعى فيهما طلبا لرضاه ولابتغاء هواه وبإظهاره على أعداء الدين وقهرهم في إعلاء كلمة الله العليا وما نصرته للعبد في المعنى فبإيتاء رشده في إفناء وجوده الفانى في وجوده الباقى بتجلى صفات جماله وجلاله " (مولوى ٥/٣٣٨) . فإنك أن قمت بالصيد كالثعلب فإنما تصيد بهمته هو لا بهمتك أنت ، فمما علمك إياه تستفيد فما أنت إلا تلميذ له و " ليس من أخلاق المؤمن التملق إلا في طلب العلم " (انقروى ٥/٥٠٩) . والقطب إنما يطلب من المريد أن يصيد له صيدا حيا لا صيدا ميتا كصيد الضباع ، لكنك على كل حال أن حملت إليه صديا ميتا سوف يحيا بأنفاسه ، إن من يصيد بنفسه ودون إرشاد من المرشد لا يصيد إلا الأوهام والخيالات ولا يصل إلى عالم الغيب ، وإن كنت لا تصدق أن الميت ينقلب إلى حى ، فانظر إلى القمامة توضع في البستان فتصبح سمادا ينبت به سبحانه وتعالى الزهور والنباتات .

(٢٣٥٨ – ٢٣٦٠) : من الواضح بالطبع أن مولانا قد ترك تيار القصة وساق " نفسا " عن الرضا على لسان الحمار ، إذ ينبغي الصبر على ما أعطى الله ، والرضا والقناعة به مصداقا

لقوله تعالى : ﴿ نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ﴾ (الزخرف /٣٢) ، فالصبر على كل حال هو مفتاح الرج ، وكل نعمة في هذه الدنيا على كل حال مقرونة بغم (ورد في الحديقة ما يقرب من هذا المعنى في حكاية ذلك الذي قال لبهلول : أريد أن أهبك بردة فقال على أن تزيدني عليها مائتي عصا ، ذلك لأن راحة الدنيا مقرونة بشقائها (انظر حديقة الحقيقة لسنائي ، ، الأبيات ٥٣٣٩ - ٥٣٤٢) وإلى مثل هذا المعنى ذهب الشاعر الفارسي :

لا كنز بلا حية ولا ورد بلا أشواك   ولا سرور بلا حزن في هذا السوق

(عن جعفري ١٢٣/١٢)

(٢٣٦١) : يرى استعلامي أن هنا نوعا من السهو إذا انتقل مولانا من حمار القصار إلى حمار الحطاب ثم قال في المتن انه حمار السقاء (٣٢٩/٥) ، والواقع أن السهو هنا بين " حمار الحطاب " ، في العنوان و " حمار السقاء " ، في البيت الأول ، فالحكاية هنا لا دخل لها بحمار القصار ، وحمار القصاء هو الذي يرويها ليضرب مثلا على أن كل نعمة مقرونة بغم ، ومن ثم أولى بالإنسان أن يطلب من الله المغفرة له لذة الدنيا والآخرة ، لأن الاستغفار مقرون بالرزق ﴿ وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعا حسنا إلى أجل مسمى ويؤتى كل ذى فضل فضله ﴾ (هود / ٣) ، ﴿ فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا ﴾ (نوح /١٠-١٢) . وقد قيل " العناية تهدم الجناية وتورث الهداية وتصل الولاية ، (انقروى ٥١١/٥) ، فالنعمة فخ حبة ظاهر وشبكته خفية . والحكاية المذكورة هنا لم يهتم أحد بالبحث عن أصل لها وفي الحكاية روح حكايات كليلة ودمنة " وتشبه حكاية فأر المنزل الذي دعا فأر الحقول إلى المنزل للتناول من خيراته ورؤية فأر الحقول للمصيدة وتفضيله الفقر مع العافية عن الغنى مع الخطر " .

(٢٣٨٢ - ٢٣٨٧) : عودة إلى مناقشة الثعلب مع حمار القصار وتدور المناقشة حول فكرة التوكل والكسب وهى من الأفكار التى ناقشها مولانا في الكتاب الأول في قصة الأسد والوحوش (من البيت ٩٠٣ إلى البيت ١٣٩٨ من الكتاب الأول) ، وكل فريق يجد من الكتاب والسنة ما يدعم رأيه بل وحاولوا التلفيق بين التوكل والكسب ، وقالوا أن التوكل لا يعنى القعود عن الكسب ، بل ينبغى أن يكون ثم كسب مقرون بالتوكل : " التوكل حال النبي والسعى سنته فمن ابتغى حاله لايتركن سنته " ، كما ورد في الرسالة

القشيرية . ومما يتفق ومعنى الحديث " اعقلها وتوكل " ، ما روى من قول عمر ﷺ للرسول ﷺ : يا رسول الله أرأيت ما نعمل فيه أعلى أمر قد فرغ منه أو على أمر مبتدا ؟! فقال : على أمر قد فرغ منه ، فقال عمر : أفلا نتكل وندع العمل ؟! فقال : اعملوا فكل ميسر لما خلق له ، كما ورد في التعرف على مذهب أهل التصوف للكلاباذى ، فالتوكل محله القلب والحركة بالظاهر ولا يتناقضان (عن تعليقات كفافى على القصة المذكورة في الكتاب الأول ، ص ٤٨٧) والحمار هنا هو الذي يدافع عن التوكل ، بينما يدافع الثعلب عن الكسب حتى يجر الحمار من موطنه إلى حيث يوجد الأسد ، يقول الثعلب : إن الله سبحانه وتعالى قد أمرنا بطلب الرزق من مظانه ، والرزق مرهون بهذا الطلب ، وقد قال تعالى : ﴿ فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ﴾ (الجمعة /١٠) ، وقال ﷺ : طلب الحلال فريضة بعد الفريضة ، وقال أيضاً : طلب الحلال واجب على كل مسلم ، (انقروى ٥/٥١٤) . ومن أقواله أيضاً ﷺ : أبواب الأرزاق مقفولة والحركة مفتاحها . (أحاديث مثنوى ، ص ١٦٨) .

(٢٣٨٨ – ٢٣٩٢) : يجيب الحمار مدافعا عن التوكل بمضمون ناظر إلى الآية الكريمة ﴿ وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم﴾ (العنكبوت /٦٠). والحديث الشريف : {لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تعدو خماصا وتروح بطانا} . وقوله تعالى : ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ، ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شئ قدرا ﴾ (الطلاق /٢-٣) . والأبيات كلها تكرار لأفكار بل وتعبيرات وردت في حديقة الحقيقة (انظر الأبيات ٧٩٦-٨٢٢ ، صص ١٠٥-١٠٧ من المتن الفارسى) .

(٢٣٩٣ – ٢٣٩٧) : يرد الثعلب : إن هذا التوكل الذي تتحدث عنه أمر نادر الحدوث ، إنه ديدن الكمل من الرجال من أوليائه وأحبائه ، الذين رضى عنهم وأرضاهم ، فإذا كان الرسول ﷺ قد شبه القناعة بأنها الكنز ، فمن تراه وصل إلى هذا الكنز ، أتراك – وأنت حمار – تطمع في هذا الكنز وتريده لنفسك ، اعلم قدرك واحفظ أدبك ، وإلا سقطت في الفتنة وفي الشر ، إذا وضعت هذه النفس في غير موضعها .

(٢٣٩٧ – ٢٤٠٠) : يرد الحمار : إن هذا قلب للأمور منك أيها الثعلب فمن أين تأتى الفتنة ومن أين يأتى الشر إذا اعتصم الإنسان بالقناعة ، إن الفتنة والشر إنما يتأتيان من الطمع

وقد قال ﷺ { إياكم والطمع فإنه هو الفقر الحاضر وإياكم وما يعتذر منه } (انقروى ٥١٧/٥) . وكما يكون المرء عاشقا للرزق فإن الرزق أيضاً عاشق له كما قال ﷺ : { إن الرزق يطلب العبد كما يطلبه } ، وفي رواية أخرى وكما يطلبه أجله (استعلامى ٣٣١/٥) .
(٢٤٠١ - ٢٤٠٣) : يسوق مولانا هنا حكاية لها أمثال عديدة في كتب الصوفية (مآخذ ١٧٨ و ١٧٩) ، لكن المهم انه يذكر بطلها " كزاهد " ، وليس كصوفي ومن سوق مولانا جلال الدين لهذه الحكايات وطريقة تعبيره عنها يتضح موقفه من هذا النوع من الزهاد أو الصوفية المتنطعين الحرفيين والزاهد هنا متنطع وحرفى يذكر بذلك الزاهد الآخر الوارد في الكتاب الثالث من المثنوى والذي شق على نفسه فنذر ألا يقطع ثمرة من شجرة جبلية ولا يهزها ولا يطلب من أحد تصريحا وكناية أن يهزها ، وأنه لن يأكل إلا مما تسقطه الريح من الشجرة، وكيف أخذته الغيرة الإلهية فأخذ مع لصوص وقطعت يده. (انظر الكتاب الثالث ، الأبيات ١٦٣٦ - ١٦٣٩ و ١٦٧٤ - ١٦٨٤ وشروحها) إن هذا يكون أشبه بامتحان الله ، ومن امتحن الله تعرض لامتحانات القضاء (انظر الكتاب الرابع الأبيات ٣٦٠ - ٣٨٦ وشروحهـــا) والحديث المذكور في البيتين هو حديث : { إن الرزق يطلب العبد كما يطلبه } .
(٢٤١٦ - ٢٤١٨) : يخاطب الدرويش قلبه : ها أنت أيها القلب تعرف السر وتعرف أن الله هو الرزاق ساق إليك الرزق وأنت شبه جثة ، فكفاك تدللا (حتى التدلل هنا مكروه ، وانظر الكتاب الثالث ، الأبيات ١٣٢٠ - ١٣٢٥ و شروحها) ، ويجيب القلب : أجل أعلم ، لكننى متعمدٌ فيما أفعل كى أؤمن تماما أن الله هو الرزاق!!
(٢٤١٩ - ٢٤٢٤) : يجيب الثعلب : إن كل هذه حكايات ، ولو كان الله تعالى يريد منك أن تقعد بلا كسب لما خلق لك يدا ، ولا قدما ، ثم إن هذا العالم قائم على الكسب ، أتراك بكسبك وبعملك تنفع نفسك فحسب ؟! لا... إنك جزء من مجتمع ولكل واحد حرفته التى يتكسب منها ويفيد الآخرين ويستفيد هو أيضاً من أعمال الآخرين وحرفهم ، والدنيا قائمة على هذه المشاركة ، كل إنسان يعمل : " ومن أخذ من الناس المنافع ولم يعطهم نفعا لم يدخل تحت قوله تعالى : ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ﴾ ، ولهذا ذم من يدعى التصوف فيتعطل ولا يكون له علم يؤخذ منه ولا عملٌ صالح في الدين يقتدى به بل يجعل همته عادية بطنه لأنه انسلخ من الإنسانية بل من الحيوانية وصار من جنس الموتى "

(انقروى ٥/٢٥١) . وترجمت " طبل خوارى " في البيت ٢٤٢٤ بالخيال الساذج بينما ترجمها المترجمون والمفسرون بـ " الأكل بالمجان " ، لأن فيها إشارة إلى الثعلب الذى ظن من صوت الطبل أن فيها شحما فمزقها من خياله الساذج ولم يجد عندها شيئاً .

(٢٤٢٥ – ٢٤٣٠) : قال الحمار : إنني أعرف مهنة ولا كسب افضل من التوكل لأن الله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾ (ولا نظير لمهنة الشكر لأنه سبحانه وتعالى القائل : ﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ﴾ (إبراهيم / ٧) ، وهكذا طال الجدل بينهما وطال الخطاب ، وعلم الثعلب أن هذه المناقشة لن تفضى إلى نتيجة ، فأراد أن يدخل إلى الحمار من باب آخر : باب التحذير والتخويف من التهلكة ، فالله سبحانه وتعالى أمرنا بهذا في قوله تعالى ﴿ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ (البقرة / ١٩٥) ، هيا ... انتقل من هذه التهلكة فأرض الله واسعة ، هيا معى المروج .

(٢٤٣٤ – ٢٤٣٩) : تذكر هذه الأبيات بما ورد في حكاية الشاعر الذي عاد من العراق فقيرا مهلهل الثياب لا تبدو على هيئته آثار النعمة ولا على وجهه نضرة النعيم لا في باطنه سيماء المؤثرين ، ومع ذلك فهو يتفنج ويدعى (انظر الكتاب الرابع ـ الأبيات ١٧٣٩ – ١٧٥٤ وشروحها) ، وهذا هو أيضا الثعلب ، إن الحمار (لأنه حمار) ، لم يقل له : وأين آثار هذه الجنة التى تعيش فيها عليك أنت . إن المنطق لا بد من اجل أن يكون مؤثرا وقابلا للصدق أن يكون هناك شئ من العمل والواقع إلى جواره وإلا لكذب المظهر القول مثل كثير ممن سخر منهم مولانا .

(٢٤٤٠ – ٢٤٤٥) : وهذا أشبه بذلك الجمل الذي سأله أحدهم : من أين أتيت ؟! قال من حمام حيك الساخن ، فقال إن هذا يبدو على ركبتيك ، أي أنك إذا كنت في الحمام لظهر ذلك على هيئتك وعلى قدمك . وذكر فروزانفر ونيكلسون أنهما لم يجدا مصدرا لهذا المثال قبل مولانا (استعلامى ٥/٣٣٢) ، ويواصل مولانا : إن الادعاء يبعد الرحمة ومن ثم تحدث الفضيحة ، وفي سلسلة المدعين قدم لنا مولانا جلال الدين في الكتاب الثالث ، الريفى الذي خدع الحضرى وابن آوى الذي سقط في دن الصباغ ، والنفاج الذي كان يدهن شاربه بشحمة وسرقتها القطة ، ثم كبير المدعين في تاريخ البشرية : فرعون الذي ادعى الألوهية (انظر الكتاب الثالث ، الترجمة العربية ، صص ٧٩ – ١٠٧) وها هو هنا يعود إلى فرعون : إذ لو كان فرعون هذا مؤمنا حقا بأنه " الرب الأعلى " ، لما خاف كل هذا الخوف

من حية موسى ، ومن ثم طلب المهلة ، ومن هنا فقد فـضح نفسه ، وكشفها أمام الأذكياء العارفين الذين قالوا : تراه حقا لو كان رب الدين لهلع كل هذا الهلع من دودة ؟!(٢٤٤٦ - ٢٤٥٤) : يظل مولانا جلال الدين مستمرا في إفاضاته ، فيخاطب النفس الفرعونية : إن هذا السكر الذي تحس به من شريك النبيذ ، فلا نصيب لك من عناقيد الغيب أي المعارف الإلهية وشراب الحكمة ، وهناك إمارات لا تبدو ولن تبدو عليك من أجل هذا أهمها التجافى عن دار الغرور (انظر ٣٠٨٠ - ٣٠٨٤ من الكتاب الرابع وشروحها) ، لأن النبى ﷺ لما قرأ ﴿ أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه ﴾ قال إذا دخل النور في القلب انشرح وانفسح فقال الصحابة : وما علامة ذلك يا رسول الله ، قال : التجافى عن دار الغرور والإنابة إلى دار السرور والتأهب للموت قبل نزوله (مولوى ٣٥٢/٥) . والماء الأجاج هو نعمة الدنيا وكلام المزورين من الشيوخ والماء العذب هو ماء المعرفة وكلام الكمل من الشيوخ والمرشدين ، والإيمان الحقيقى يختلف عن التقليد والادعاء (عن المقلد والمحقق وهو عكس المقلد ، انظر الكتاب الثانى-٤٩٤-٥٠٥) .وهذا المقلد غالبا ما يكون عرضة للشيطان يقف له في الطريق ، إنه واهى الإيمان ، وضعيف الإيمان عادة ما يكون ألعوبة في يد الشيطان ، غير ثابت ، حاله كريشة في فلاة ، تحيط به الشكوك والريب ، ولا علاج له إلا بالإيمان فهو كزبد البحر ، لا يهدأ و لا يسكن إلا إذا وصل إلى الشاطئ ، لأن الشاطئ هو أصله الترابى الذي يحن إليه .

(٢٤٥٥ - ٢٤٦٩) : يعود مولانا إلى قصة حمار القصار لكنه لا يلبث أن يتركها ، لقد كان منطق الثعلب منطقا جميلا ، لكنه فاه به كالمقلد ، فاه به من أجل أن يوقع الحمار لا أكثر ولم يفه به إيماناً ، إن هذا الثعلب شأنه شأن المقلد وشأن المنافق تحدث عن المعرفة ومدحها ، لكنه لم يكن تواقا إليها ، إنه أشبه بالنائحة الأجيرة ، خمش وجهه ومزق ثوبه ، لكنه لم يكن عاشقا (العاشق هو القمة التى يصل إليها المرء بعد أن يكون عالما) (انظر البيت ٤٩١ من الكتاب الثانى) ، إنه كعذر المنافق موجود على شفته لا في قلبه ﴿ لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم ﴾ قيلت عندما اعتذر المنافقون إلى الرسول عن القتال ﴿ شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا ﴾ (الفتح /١١) ، و ﴿ ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام ﴾ .
إن فيه رائحة من فاكهة سرور المعرفة ، لكنه ليس هذه الفاكهة، إنه يستخدم هذه الرائحة ، أي منطقه وحديثه من أجل أذى الناس ، إن علمه كمصباح في يد لص وذلاقة لسانه من أجل

الخداع ، وما أشبهه بامرأة ، (ليست المرأة هنا للجنس ولكن لم لا قدرة له على الطريق ، ورب امرأة في الطريق تكون خيرا من عشرات الرجال) ، تتشدق بالشجاعة وشق الصوف ، لكنها إن أمسكت بالسيف ، أي إن خرجت من مرحلة القول إلى مرحلة الفعل ، ارتعدت وظهرت على حقيقتها ، هكذا أيضاً عقلك إن كان في الأنثى غير قادر على إدراك عوالم الغيب ومعرفة الحق ، وكان خاضعا للنفس الأمارة بالسوء – خضوع الأنثى للذكر – إن الأنثى تستطيع أيضاً أن تهاجم لكن بشكل ظاهرى فقط ، لكن آفة هذا الهجوم ، وآفة هذه السطوة هى الاهتمام بالأشكال والألوان والروائح وظواهر الأمور ، إن صاحب العقل الأنثوى يشبه تماما هذا الحمار ، لقد قاوم وقاوم ، لكنه بمجرد أن سمع حديثا عن الألوان والأشكال الموجودة في المروج ، نسى كل ما قدمه من حجج ، وأصبح مثل الظمآن الذي يطلب المطر ولا سحاب هناك ، أي ذلك الذي يطلب الأمور في غيبة أسبابها ، فكأنه يطلب المحال ومثال أيضاً ذلك الجائع الذي لم يلجأ إلى درع الصبر (انظر لتفسير مفصل عن درع الصبر ، الكتاب الثالث ، الأبيات ١٨٤٨ – ١٨٥٤ وشروحها) ، ومكتوب على درع الصبر جاء الظفر إشارة إلى القول المأثور " من صبر ظفر " (مولوى ٥/٣٥٥) .

(٢٤٧٠ – ٢٤٨٣) : القياس في مصطلح مولانا يذكر في مقابل العيان والمشاهدة والإدراك الباطنى للحقائق أو في مواجهة النص (ولا قياس مع نص) . (انظر الكتاب الثالث ، الأبيات ٣٥٨٥ – ٣٥٨٩ وشروحها)، والقياس مجرد رائحة من الإدراك وليس إدراكا ، فإذا أردت أن تتحول شذرات نقلك التى قمشتها من هنا وهناك إلى إدراك وفيض فداوم على مجالس المرشدين ، وفيها تخرج معدتك من مرحلة الحمارية " يخرج عقلك من مرحلة التقليد " ، إلى مرحلة الغزلانية " مرحلة التحقيق " ، وتفيض منك الحكمة كما يفيض المسك من نافجة الغزال ، وهكذا فاعلم أن الحكمة هى غذاء الأرواح ، وانظر : ألا ترى أن الحيوان هو الذي يداوم على أكل العلف ومن ثم يصير أضحية للذبح ، أما الإنسان فينبغى أن يكون قوته من نور الله ، بحيث يصبح جديرا بحمل القرآن وبيان معانيه وحكمه للناس ، وهكذا فاعلم أن نصفك من الطين وهو جسدك ونصفك من النفحة الإلهية وهو روحك ، فداوم على تقليل جانب الطين وزيادة جانب الروح من نفسك ، حتى تشرف بالتحقيق ويكون لأقوالك نتيجة وتأثير " ورقا وثمرا " ، لا مثل ذلك المقلد ، الذي يعرف هو نفسه أن أقواله هذه لا بهاء فيها ولا نور ، إنه مهما يتشدق بها ، يكون مرتعدا في داخله مرتعشا خائفا ،

فانظر إلى من يتـوقح على الناس ويخيفهم وهو فـي الواقع أشد خوفا منهم ؟! إن فـاقد الـشئ لا يعيطيه مهما تشدق به ومهما تحدث عنه ومهما تظاهر به ، إن الوعى بالذات مفتاح لـكـل تطور فـي الـشخصية وتسام بها .

(٢٤٨٤ - ٢٤٩٦) : الـشيخ الـكامل الواصل أو الـشيخ النورانى هو القطب الذي تحدثنا عنه آنفا ، وهو كامل المعرفة بالعلم اللدنى أو الغيبى لا مـن العلـم المبنـى علـى الـدرس والمدرسـة (انظر للـكامل والواصل ، البـيت ٢٣٣٩ من الـكتاب الذي بـين أيدينا وعن العلم الـتحصيلى والمدرسة ، انظر الأبـيات ٣٨٤٨ - ٣٨٥٤ مـن الـكتاب الثـالث وشـروحها) هـذا الـشيخ النورانى لا يفـيض بعلمه إلا على من هو نورانى مثله ، فهناك كـوة مفتوحـة مـن القلـب إلـى القلب ، وكيف يفـيض بنوره على من هو غير مستعد ، وهكذا فكما أن كـل شـئ ينقـع فـي الدبس " عصير العنب المخمر " ، يتخذ طعم الدبس ، فإن كـل ما يقوله الـشيخ الـكامل يكـون معجونـا بـالنور ، وإذا اقتبسـت مـن هـذا العلـم استطـاع حتـى القـوم اللـد المغرمـون بـالجدل والمقيمون على الباطل أن يستفـيدوا منك ويهتدوا بنورك ، إن هـذا العلـم يكـون كمـاء المطـر ظاهر" تماما لأن السماء لا تمطر إلا طـاهرا (انظر لطهارة الماء الـكتاب الذي بـين أيدينـا ، الأبـيات ٢٠٠ - ٢٢٠ وشروحها ، حيث يفسر مولانا الماء بأنـه أرواح الأولياء) وبالاتصـال بأرواح الأولـياء ينبع الماء من داخلـك ، يهبط إلـيك من منبعه الأصلى . (انظـر للمـاء الـذي ينبع فـي الداخل ، انظر الـكتاب الرابع ، البـيتان ١٠٩٢ - ١٠٩٣ وشـروحها) . فـلا تـأخذه من قناة (مصدر أو كتب) ، ولا يكون عندك مجرد فكرة أو ظن ، وكأنه القناة يتشاحن علـيها المزارعون ، و علوم الـكتب مصدر مشاحنة وجدل وقيل وقال ، أمـا علـوم الأولـياء القائمـة على وحى القلب وعلى الـكشف فلم يحدث بشأنها جدل أو اختـلاف . فالأولـياء كنفس واحـدة وعلومهم تختلف عن علوم الآخرين (انظر ١١٤٠ - ١١٤٥ من الـكتاب الرابع) وهكذا انظـر إلى جدل الحمار " المقلد " ، مع الثعلب برغم الأدلة الـتى ساقها الحمار وصموده أمام الثعلـب مرة أو مرتين أو ثلاث مرات ، فقد سلم ، كانت حججه واهية لأنه هو نفسـه لـم يكـن مقتـنعا بها ، ومن هنا فقد سقط ، لأنه كان مفتـقدا إلى الإدراك الداخلى ، إلـى القناعـة الداخلـية بمـا يؤمن به ، كان الأمر مجرد فـيهقة وقعقعة ألفاظ وتفاصح، ولأن الثعلب أكثر فصاحة منه فقد هزمه وأفحمه ، كان " الحمار " جائعا ، وكان جوعه وحرصه أشد من قناعته .

(٢٤٩٧ – ٢٥٠٠) : حكاية أخرى من حكايات مولانا جلال الدين ذات التعبيرات " الخارجة " بمفهوم عصرنا ، وهو نفسه يحس بهذا فيحتج ثانية ببيت لسنائى الغزنوى (حديقة الحقيقة ، البيت ١١٢٨٠ وانظر لمناقشة هذا الموضوع شروح البيت ١٣٣٣ من هذا الكتاب) ، وواضح أن الحكاية هنا – شأنها شأن معظم الحكايات ذات التعبيرات والمضامين الخارجة مأخوذة من التراث الشعبى ، ويستشهد مولانا بالآية الكريمة ﴿ إن الله لا يستحى أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها ، فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم ، وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا ، يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا ، وما يضل به إلا الفاسقين ﴾ (البقرة /٢٦) . ويفسر مولانا بأن ما فوقها تعنى ما فوقها من مسببات الإنكار ويروى الانقروى ٥/٥٣٧ حديثا نبويا شريفا : { إن الله حيى كريم ، لا يستحيي رب محمد أن يضرب مثلا بالذباب والعنكبوت } . والفتن من أنواع الامتحانات ، وهى أشبه بميزان الحشر يبدى عيانا فعل المرء ، والحكاية تقدم أحد المدعين فى سلسلة المدعين الذين يقدمهم مولانا ، فهذا المأبون فاقد الرجولة يحمل معه خنجرا من أجل الذين يفكرون – مجرد تفكير – في نيله بسوء .

(٢٥٠١ – ٢٥٠٥) : إن لم يكن ثم رجولة نابعة من الداخل فما فائدة الأسلحة والمغافر والخوذ ، وهب أنك امتلكت سيف على ﷺ المسمى ذو الفقار فأين روح على ، وإذا كان المسيح عليه السلام قد علمك دعاء إحياء الموتى فهل لديك نفس المسيح الموهوب من الله تعالى ، وإن كان لديك ثم سفينة فهل أنت مثل نوح ، وإذا كنت ادعيت مثلما أدعى آخرون في هذا العصر أنهم محطمو الأصنام ، فهل حطمت صنم نفسك ، لقد حطمت أصناماً ثم وضعت نفسك صنما أكبر " كأن مولانا تنبأ بزعامات العصر الحديث " ، هب أنك تملك الآلة ، فأين الروح التى تستخدم هذه الآلة ؟! أين عزمك ومضاؤك ؟! ألا فلتخجل من نفسك ، إذا كان لديك كل ما يجعل منك " رجلا " ، لكنك لا تفتأ تتحدث فحسب .

(٢٥٠٦ – ٢٥٠٩) : والرجولة ليست بالكلام ، إنها فعل ، فإن كل لديك الدليل على ما تقول من فعلك فايت به ، وإلا فإن عدم العمل مع امتلاكك لآلة العلم وظروفه وإمكاناته دليل على قهر الله عزوجل وغضبه عليك ، فما جدوى أن تقوم بهداية الناس وأنت نفسك غير مهتد ، وبكلامك هذا مجرد كلام ، جعلت الخائفين والمرتعدين شجعانا ذوى جد في الطريق ، أليس من المثير للسخرية أن تنفع الجميع بما لديك دون أن تنفع نفسك ؟! أليس

من المضحك أن تتحدث عن التوكل ، وأنت من حرصك وطمعك وراء المتاع الهزيل تقصد البعوضة في الهواء ؟!

(٢٥١٠ – ٢٥١٥) : إن هذا الذي يكمل أمارات الرجولة وعلاماتها " اللحية والشارب " ، دون أن يكون رجلا في الحقيقة والباطن إنما يثير السخرية في الواقع ، والرجولة الحقيقية تكون في العمل " العمل هنا بمعناه العام وهو أيضاً الرياضة والسلوك والتحمل ، تحمل المشاق في طريق الرجال الحقيقيين وفي الحرب الضارية ، حرب الجهاد مع النفس ، وهو الجهاد الأكبر ، والعمل هو الدواء للرجولة الظاهرية التى تخفى وراء نفسا " مخنثة " ، فتب عن هذه الرجولة التى تثير السخرية ، وتب عن الادعاء ، وتب عن اعتبار الكلام مجرد الكلام هو عناية المراد ، ودعك من جذبة الجسد ، واهتم بجذبة القلب ، فهى التى تجلب جذبة الحق " التى تساوى عمل الثقلين " ، وإن لم تكن تستطيع فتكلف هذا ، فحتى أن تكلفت سوف تجد من يجذبك من أذنيك يجرك بالرغم منك إلى ما فيه نجاتك .

(٢٥١٦ – ٢٥١٨) : عودة إلى قصة الحمار والثعلب ، لقد نجح الثعلب لماذا ؟! لأنه كان " ثابتا " ، حتى الاحتيال يحتاج إلى الثبات وإلى المواصلة والصبر ، فما بالك بالصفات الحسنة والأهداف النبيلة ، ويذكر مولانا في البيت ٢٥١٧ بحكاية وردت في الكتاب الثانى حكاية أولئك الصوفية المعدمين الجوعى الذين نزل بساحتهم وزاويتهم صوفى سياح فباعوا حماره واشتروا به عشاء ثم أخذوا يغنون ويرددون ضاع الحمار ، ضاع الحمار ، وصاحب الحمار المسروق يردد ذلك معهم (انظر الكتاب الثانى الأبيات ٥١٧ وما بعده وشروحها) ، والصوفى صاحب الحمار هنا مثال على المقلد وفي البيت التالى ٢٥١٨ يشير إلى حكاية الأسد والوحوش التى يخدع الأرنب في نهايتها الأسد ويلقى به في البئر.

(٢٥١٩ – ٢٥٣٢) : يترك مولانا قصة حمار القصار فلا يعود إليها إلا في البيت ٢٥٦٤، فهيا إياك ووساوس الشيطان، سد أذنيك عنها ، وأفتح أذنيك فحسب إلى ما يحدثك به الولى مما أفاء الله عليه به من وحى القلب ، إن حديثه بمثابة الخمر الصافية التى تصب من الدنان الخسروية ، والمعارف الإلهية التى تفيض من لدن الحكيم الخبير مرت بهذه الشفة المباركة فازداد تأثيرها ، وما تميل هذه النفوس إلى خمر الدنيا هذه إلا لأنها حرمت من تلك الخمر الصافية ، خمر الولى ، تماما كالطائر الأعمى الذي يحرم من الماء العذب

فـيطوف حول الماء المالح ، ويتلهف علـيه ، وهكـذا النفس إن حرمتهـا المعـانى والافاضـات طـافت حول وساوس الـشيطـان .

(٢٥٢٤ – ٢٥٣٧) : كما تـنتاب مولانا جلال الدين أحوالٌ من القبض هناك أيضاً أحوال مـن البسط ، فالعالم كـله يصل إلى مطلوبه ببركة الولى وبركة افاضاته ، فهو موسى يتجلـى فـي الصدور كما مـلأ موسى عليه السلام سيناء بنور الـتجلى ، ويمنـح أولئك المقلدين العميـان الذين يقومون بتـقلـيد الأولـياء دون فهم قوة الإدراك والبصـيرة والرؤيـة ، إنهـا نوبـة خسـرو حلـو الروح (حلو بالفارسية " شيرين " وهنا تلاعب بـقصة خسرو وشيرين) ، هـذا هـو دور الولـى ودور المرشد الـكامل الحقيقى، فلاي شك أن الأسرار الروحانية قد ملأ ت بواطننا ، وهـؤلاء الحسان فـي جمـال يـوسف الصديق يسوقون عسكرهم مـن الغيـب حاملـين أحقـاق السكر "بشارات الوصال" من مصر واسمعوا صلـيل الأجراس ، إنها هذه المرة لـيست متوجهة إلى كنعان بـقميص يـوسف عليه السلام يلقى على وجه يعقوب فـيرتد بصيرا ، إنهـا نصيبنـا الآن ، فتـناوبوها أيها المريدون برغم الحاسدين والحاقدين ، وخذوا نصيبكم منها ، وهيا أيها الباحثين عن حلاوة المعرفة ، أدركوا أسرار الغيب ، لقد جاء بها الحبـيب الحقيقى ، الحبـيب الوحيد ، وهذا هو السرور الحقيقى ، سرور الروح وسرور المعرفة ، إن العـالم كـله ملئ بالسـعادة ، والسعادة تملأ مدينتـنا " بواطننا " ، من أقصاها إلى أدناها ، فقد قبـل " قبلـة الـروح " الأرواح الواصلة إلـيه ، وإذا كنت تريد أن تعرف تأثير هذه المعرفة على كـل المرارات الـتى كـانت موجودة فـي المدينة ، فتخيل أنواع الفتوح ، والإفاضات قد ملأت هذه المدينة بحيث أن اشد الأشياء مرارة قد انقلبت حلوة ، فهيا اصعد وناد الفقراء والمعوزين إلى مـائدة الـروح ، فهـذه فرصة الحجر الصلد ، من غلبت علـيه الصفات البشرية ، والقلب القاسي ، لـكي يتحـول إلـى ياقوت مطعم بالذهب ، إلى روح ذات نصيب من افاضات الولى ، هذا هو أوان رقـص ذرات الهباء (البشر) ، فـي ضوء (الـشمس) ، وفـي ديـوان شمس :

ولماذا لا يسرع كـل صوفى فـي الرقص كالذرة فـي شمس البـقاء حتى تخلصه من الزوال؟؟

لقد سكر العشاق من هذه الرياض والبساتين الـتى تفتحت فـي بواطنهـم ، ويد العنايـة الإلهية تـقوم بفعلها فتجعل الروح تـتصل بالحق بحيث تفنى وتذوب ولا نحس بوجودها وتصيح كمـا صاح الحسين بن منصور الحلاج " أنـا الحـق " ، فـإذا كـان الـشيطـان قد نجح فـي إغواء

أحدهم ، وأبعده عن طريق الحق ، إذا كان الثعلب قد خدع الحمار فما بالـك أنت ، لماذا تغتم أنت إنك لست حمارا فـي نهاية الأمر ، أنت إنسان فتصرف كإنسان .

(٢٥٣٨ – ٢٥٤٥) : وردت الحكاية الـتى تبدأ بهذا البـيت فـي ذيل زهر الآداب لأبى اسحق الحصرى القيروانى وفـي كـلستان سعدى (انظر مآخذ ١٧٩/١٨٠) وربما كانت من الفكاهات السائدة فـي عصر مولانا ، وهى تـتردد أيضاً فـي كـل عصـور الطغيـان السياسى وانعدام الـتمييز والقبض على الناس واعتـقالهم بالباطل فـيأخذون صـاحب الحمـار للسخرة بدلا من الحمار ، والتورية في رواية ذيل زهر الآداب واضحة تماما " وهذا كما حكي عن الحسين بن عبد السلام المصرى المعروف بالجمل ، أنـه مر ببعض إخوانه بعقبة النجارين وهو يعدو بأكثر مما يقدر عليه ، فقال : قف علي ، مخافة أن تكون قد نزلت به نازلة ، فأتاه إلـى الدار فخرج مستخفيـا ، فقال : مالك يا أبا عبد اللـه ؟ ، فقال : أمـا علمت أن السـخرة وقعت فـي الجمال ؟ فما يؤمنني أن يقال هذا جمل فلا أتخلص إلا بالشفاعة " (ذيل زهر الآداب ، ص ٦٣ ويـوجد مثيلـتها فـي كـلستان ، طبعة فروغى ، ص ٣١) .

(٢٥٤٦ – ٢٥٥٠) : لا تخش أنت شيئا فملـيك مدينتـنا هو الخالق سبحانه وتعالى عـادلٌ وصاحب تمييز . وإنك إن كنت إنسانا وحققت نسبتك إلـيه سبحانه وتعالى فـي النفخة الإلهية ، لا يمكن أن يأخذك كما يـأخذ الحمـار ، أنـت إنسـان مكـرم سيد المخلوقـات ، بك يستـنير الفلـك الرابع كما استـنار بعيسى عليه السلام من قبلـك ، فأنت عيسى عصـرك وأوانـك ، وحاشـاك أن يكون أصطبل " الدنيا " مقرا لـك ، بل أنت أعلى من كـل الأفلاك ، ولابن الفارض :

ولا فلـك إلا ومن نور باطنى   به ملـك يهدى الهدى بمشيئتى

إنك فـي مقعد الصدق عند ملـيك مقتدر ، إنـك أمير علـى الاصطبـل " الدنيـا " ، وهنـاك بـلا جدال فرق كبـير بـين أمير الاصطبل وبـين الحمار ، وإن كان كـلاهما مقيما فـي اصطبل الدنيا .

(٢٥٥١ – ٢٥٥٥) : ما عكوفنا هذا على الحمار وعلى قصة الحمار وكيف تأنس نفوسنا كـل هذا الائتـناس إلى قصة الحمار ووصف الحمار ، لماذا نتدنـى ولا نرتفع ؟! دعنـا مـن حمـار النفس ، ومن " دنيا " هذا الحمار وتحدث عن عوالـم أهل الحق ، عـن حقـائق الغيب وعـالم الفكر ، عن عوالم المعانى الـتى تشبه بحارا ملـيئة الجوهر وما هذا الجوهر إلا رجـال الحق من أصحاب البصائر والأحاديث الـتى تحيى الروح ، وهم ملـوك الطيـور الـتى تـتغذى

بالنورود (انظر تلك الغزلان التى ترعى السوسن في ختن ، البيت ٢٤٧٤ من الكتاب الذي بين أيدينا) . ولأنها تتغذى بهذا الغذاء الطيب الطاهر ، فإنها تعطينا أحاديث في قيمة الذهب والفضة . وهم أيضا تلك البزاة التى تربى القطا " المريدين " ، وتطير في سيرها إلى الله سبحانه وتعالى بأى شكل تريد ، سواء بالعبادة الظاهرية أو بعبادة الباطن .

(٢٥٦٦- ٢٥٦٩) : فكرة السلالم الخفية فى الدنيا كناية عن الطريق الصوفى من أفكار سنائى الغزنوى (انظر حديقة الحقيقة الأبيات ٢١٨-٢٢٥) فالسلم الخفى هو السير الباطنى عند السالك الذى يقطعه درجة درجة حتى أعلى درجات السمو الروحانى وهى مختلفة بين جماعة وأخرى لأن "الطرق إلى الله تعالى بعدد أنفاس بنى آدم" . وكل جماعة لا تعلم شيئاً عن حال الجماعة الأخرى : بل هى مندهشة تماماً من أحوالها ، وذلك لأن "أرض الله واسعة" (انظر البيت ١٠٨٨ من الكتاب الرابع وشروحه) وليست أرض الله إلا هذا القلب ، ومنه تطل أشجار الفكر (انظر لهذه الفكرة الكتاب الثالث الأبيات ٣٦٠-٣٦٣ وشروحها) ولأن أرض الله واسعة فقد تعددت فيها الأفكار والآراء تعدد النباتات وتنوعها باختلاف تربتها واختلاف الماء الذى تشربه (انظر لهذه الفكرة الكتاب الرابع الأبيات ١٠٨٣-١٠٨٩ وشروحها) هذه الأرض حتى الأشجار فيها تسبح بحمد الله ، وبلابلها متحدثة مع أزهارها، كل شىء فيها متوافق متناغم ، ومهما وصفت هذا العالم فلن أوفيه حقه من الوصف ، ولكن لنعد - وكلنا أسف - إلى قصة الثعلب والأسد والمرض والجوع ، لننزل إلى أرض الواقع المر .

(٢٥٧٠) : {العجلة من الشيطان والتأنى من الرحمن} و {من لا صبر له لا إيمان له} (مولوى : ٥/٣٧٤) وانظر أيضاً الكتاب الثالث البيت ٣٤٩٩ . ٢٥٨٥ - ٢٥٩٠) : يترك مولانا سياق القصة فلا يعود إليها إلا من البيت ٢٦٠٠ . أنه يتحدث هنا عن الفرق بين عقلين : عقل يستمد مؤونته من دوران الأفلاك وهو العقل الجزئى ، ثم العقل الكلى الذى هو التجلى الأول للخلق الإلهي ، بين عقل يدرك أمور الدنيا المادية فحسب وعقل يشرف على كل الوجود ، لأن الله سبحانه وتعالى ﴿ علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ (العلق ٥) إن الانحناءة الموجودة فى ذلك التوقيع الذى نختمه على منشوراتنا (بصفتنا كبشر مملوك الكون) مأخوذ من هذه الآيـــة والعلم من الله هو مقصدنا لأنه سبحانه وتعالى قال "قل إنما العلم عند الله"

((الملك ٢٦) ، ونحن أصحاب العقل الكلى نحن أولئك الذين ربتهم شمس الحقيقة ، وليس الأفلاك التى دونها ، ومن ثم فإن وجهتنا هى الله سبحانه وتعالى ، وإن نفثات الشيطان ووساوسه تجعل حتى ذلك الذى جرب ينسى تجربته ويقع من ثانية فى الإثم ، ومن العسير بالطبع أن نعتبر هذا الكلام على لسان الثعلب كما قال قدامى المفسرين .

(٢٥٩١-٢٥٩٩) : يشير مولانا فى معرض نقض العهد والنكوص عن التوبة إلى قصة أصحاب السبت الواردة فى قوله تعالى ﴿ ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين فجعلناها نكالاً لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين ﴾ (البقرة ٦٥و٦٦) أما أصحاب المائدة فهم الذين وردوا فى الآية الكريمة ﴿ قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت ﴾ (المائدة ٦٠) لكن ما بال أولئك الذين ينقضون عهودهم وأيمانهم من أمة محمد ﷺ لايمسخون؟ يجيب مولانا : فى أمتنا لا يكون مسخ بدن ، بل مسخ قلب ، تجد الحاكم فى صورة حاكم لكن قلبه قلب ذئب متعطش للدماء، تجد الأستاذ فى صورة أستاذ لكن قلبه طاووس معجب بنفسه مغتر متكبر يريد أن يظهر كل لحظة فى وسائل الإعلام ، ترى القائد العسكرى أسداً فى هيئته لكن قلبه قلب نعامة هلوع ، ترى التاجر فى صورة تاجر لكن قلبه قلب خفاش يمتص الدماء ، وهلم جرا ، ويوم القيامة يبعث كل واحد من هؤلاء الذين رجعوا عن عهد الله ، وألقوا بأحكامه وراء ظهورهم ، ونسوا ما عاهدوا الله عليه ، وعملوا للأجنبى الكافر ولمصلحة الأجنبى الكافر ، يبعث كل واحد من هؤلاء على الصورة التى مسخ عليها قلبه ، وهكذا فماذا يتوقع من إنسان قلبه قلب قرد ، إلا أن يكون ذليلاً إمعة حتى ولو كان حاكماً فى الظاهر ، إن الحمار لا يحس بالذل من هيئته لأنه لم يكن صاحب اختيار فى هذه الهيئة ، فقد خلق هكذا حماراً ، والكلب لا يعتريه أى نقص من منظره ومن شكله ، بل إن كلب أهل الكهف لم ينقص من كونه كلباً عن أولئك النفر من الأولياء وذكر معهم فى القرآن الكريم (المثل تكرر كثيراً عند مولانا فى أكثر من موضع من المثنوى وورد عن سنائى فى الحديقة أيضاً) ، لقد مسخ الله سبحانه وتعالى أصحاب السبت عياناً لكى يكونوا عبرة للناس ، لكن ما أكثر الممسوخين فى الباطن وإن أعجبتك هيئتهم ومناظرهم ومناصبهم وجاههم وأموالهم .

(٢٦٠٣) : إشارة إلى المثل المعروف "لدغ العقرب من جبلتها" .

(٢٦٠٥) : ﴿ إن الشيطان للإنسان عدو مبين ﴾ (يوسف ٥)

(٢٦٠٦) : ﴿ قال أرأيتك هذا الذى كرمت على لئن أخرتنى إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلاً﴾ (الإسراء ٦٢)

(٢٦٢٦) : ﴿ فكيف تتقون إن كفرتم يوماً يجعل الولدان شيبا ﴾ (المزمل ١٧)

(٢٦٣٥) : ﴿ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا ، يا ويلتا ليتنى لم أتخذ فلاناً خليلا ، لقد أضلنى عن الذكر بعد إذ جاءنى وكان الشيطان للإنسان خذولا﴾ (الفرقان ٢٧-٢٩) نزلت فى حق عقبة بن أبى معيط كان قد نطق بالشهادتين ثم ارتد إرضاءً لأبى بن خلف (مولوى ٥/٣٨٣) .

(٢٦٣٦ - ٢٦٣٧) : ﴿وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم﴾ (فصلت ٢٥) .

(٢٦٤٣) : إخوان الصفاء هنا هم الإخوان المخلصون وليس المقصود الجماعة المعروفة .

(٢٦٥٠ - ٢٦٦٠) : يضرب الثعلب الأمثال عما يفعله الوهم حتى بالصم الراسيات وبعظماء الأنبياء وأولى العزم من أمثال إبراهيم عليه السلام ﴿ فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربى فلما أفل قال لا أحب الآفلين ﴾ (الأنعام ٧٦) وهكذا فإن أهل التفاسير يفسرون هذا الأمر بتفسيرات عديدة ، لكن الأمر ليس فى حاجة إلى تفسير ، فهذا الوهم والخيال هو الذى جعل من فى عظمة إبراهيم عليه السلام ينظر إلى الكوكب وإلى القمر وإلى الشمس ويقول : هذا ربى ، فإذا كان الوهم والخيال قد أسقط أمثال إبراهيم عليه السلام فى هذا الخطأ فما بالك بأحوال حمر السيرة وأشباههم من فاقدى العقول والمجدفين ممن يدعون العلم والفضل ، إن العقول التى هى فى عظمة الجبال تغرق فى بحار الوهم ، عقول العظماء ، أولئك الذين يظنون أنفسهم أثبت فى إيمانهم من الجبال ، وما الجبال؟ ألم تفتضح هذه الجبال فى طوفان نوح ﴿لا عاصم اليوم من أمر الله﴾ (انظر ٣٣٥ و ١٣١٥ من الكتاب الثالث) وسفينة نوح هنا هى الالتحاق بمعية رجال الله وإلى حمى أمنهم (انظر الكتاب الرابع الأبيات ٣٣٥٧-٣٣٦١ وشروحها) ، ولولا هذا الخيال لما انقسم أهل القبلة الواحدة إلى اثنين وسبعين فرقة ، ولولا الخيال لما ظن ذلك الرجل الشيخ (المفسرون القدامى لم يذكروا اسمه وقال استعلامى أنه أنس بن مالك ٥/٣٤٢ ولم يذكر مصدره) لولا الخيال لماذا ظن ذلك الشيخ أن شعرة من حاجبه هى الهلال (انظر لتفصيلات الحكاية الكتاب الثانى البيت ١١٣ وما بعده) انظر : إن هذا الشيخ لم يستضئ بنور الرجال العظماء فوقفت شعرة بينه وبين الحقيقة ، وما أكثر الرجال

العظماء بمقاييس الدنيا والسفن الموجودة فى هذا المحيط التى تكسرت وتحطمت وابتعدت عن الحقيقة من تأثير الوهم ، وأقل هؤلاء العظماء فرعون الذى ادعى الألوهية وتوهمها لنفسه ، فكان فى خسوف وفى مسخ ومقت .

(٢٦٦٢-٢٦٦٧) : إن هذا الوهم الذى أنت فيه هو من قبيل الأنية التى تدير الرأس ، فكفاك ما أنت فيه من وهم حتى تتبنى أوهام الآخرين وتدافع عنها ، وأنا متقل بهذه "الأنا" التى تخصنى ، فلماذا تأتى أنت وتضيف إليها أنيتك أنت أيضاً ، تكفينى أنية واحدة ، ونحن إذا تخلصنا من عبادة الذات ، نستطيع آنذاك أن نصل إلى مرتبة العشق ، وأن نصير كالكرة فى صولجان العشق ، إن من يتخلى عن "أنيته" و "أنانيته" ، فقد صارت له "أنيات" الجميع ، يصير محبوباً من الجميع ، يصبح مرآة صافية تنعكس فيها صور الآخرين ورغائبهم ، أى وجوداً خالياً من صفات هذا العالم ، بحيث تكون صلتها مباشرة بالعالم الآخر يصبح مثل ذلك الولى الذى سوف أقص حكايته فيما يلى.

(٢٦٦٧ - ٢٦٧٧) : يقدم مولانا فى كل كتاب من كتب المثنوى سيرة عن شيخ من المشايخ كنموذج للولاية الكاملة (قدم الدقوقى فى الكتاب الثالث وعبد الله المغربي فى الكتاب الرابع وها هو يقدم محمد سرزى الغزنوى فى الكتاب الخامس وسوف يقدم أبا الحسن الخرقانى فى الكتاب السادس) والملاحظ أنه يقدم أولياء من غير المشاهير ، فقد كانت الولاية "المكتومة" تجذب أنظار مولانا عن الولاية الظاهرة . وكان محمد سررزى فيما يبدو من معاصرى بهاء ولد والد مولانا جلال الدين إذ ذكره فى المعارف (٧٥/٢) لقد أمضى سبع سنون فى جوع مستمر ، إفطاره طرف غصن من كرم "سر رز" ويرى رزين كوب "سرنى ٣١٤/١" أن الأحوال المذكورة هنا تذكر بأحوال أبى عثمان المغربى المذكورة فى كشف المحجوب للهجورى ص ٢٣٢ ومن هنا اكتسب كنيته ، وكان الشيخ مثل الدقوقى (انظر الكتاب الثالث البيت ١٩٢٦ وما بعده) عاشقاً جوالاً ، أبدى له الله كثيراً من العجائب ، لكنه كان عاشقاً لاجتلاء جمال الحبيب ، وكان يطلب هذا ، ويلح فيه ، لدرجة أنه صعد إلى جبل وقال : إما أن تتجلى لى وإما أن أقتل نفسى "نوع من البسط الشديد" ، لكنه سمع النداء بأن هذه المكرمة لم يأن أوانها بعد ، وحتى إن أسقط نفسه من فوق الجبل فلن يموت ، ولأن جمال الله لا يجتلى إلا بعد الموت مصداقاً للحديث النبوى {إنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا"}(انقروى ٥٨١/٥) ألقى الشيخ بنفسه من فوق الجبل لكنه سقط فى ماء عميق ، لقد ناح لأنه لم يمت ، فالحياة

الدنيا كانت تبدو له كما يبدو الموت بالنسبة لنا ، ولأنه يعلم أن في الموت لقاء الحبيب كان يستجدى هذا الموت ، كان يتغنى بما تغنى به الحلاج : اقتلونى اقتلونى يا ثقات إن فى قبلى حياةً فى حياة ، كان كعلى رضى الله عنه يتغنى :

السيف والخنجر ريحاننا * أفٍ على النرجس والآس .

ومن أقوال الإمام على رضى الله عنه أيضاً "والله ما فاجأنى من الموت وارد كرهته ولا طامع أنكرته وما كنت إلا كقارب ورد وطالب وجد وما عند الله خير للأبرار" وله أيضاً "والله لابن أبى طالب آنس بالموت من الطفل بثدى أمه" (عن جعفرى ٢٠٨/١٢) .

(٢٦٧٨ – ٢٦٨٥) : وهذا البسط ، وهذه الجرأة لم تمر بلا عقاب، تظن نفسك ولياً وتريد المشاهدة أجراً ؟! إنك مجرد شحاذ متسول والحكم عليك بأن تذل هذه النفس الطموح بأن تتحول إلى شحاذ ملحاح ثقيل وسمج مثل "عباس الدبس" الذى يضرب به المثل فى الفارسية للشحاذين الملحاحين السمجين ، ولكن إياك أن تستولى على ما يجود به الناس عليك ، بل ستوصله للفقراء ، هيا ، هذه هى عبادتك التى سوف تقوم بها فترة من الزمن ، لقد كان الحوار طويلاً ، هذا الحوار الذى ملأ السماء نوراً ، وهذا كله مسطور فى الكتب ، فلأختصره هنا حتى لا أضع الأسرار العليا أمام من لا يستحقونها .

(٢٦٨٦ – ٢٦٩٤) : البيت المذكور فى العنوان ذكر استعلامى أنه لسنائى لكنه لم يذكر مصدراً (استعلامى ٣٤٤/٥) ولبيك إشارة إلى أن الدعاء مقرون بالإجابة (انظر الكتاب الثالث الأبيات ١٩٠-١٩٩ وشروحها) ذلك أن كوة الدار مفتوحة أى أن القلب مستعد لتلقى الإفاضات ، وها هو الشيخ يدخل المدينة لممارسة التسول امتثالاً للأمر : ليكن شحاذا طامعاً لتصير نفسه ذليلة "لأنه عز من قنع وذل من طمع" وما دام الله سبحانه وتعالى قد جعل هذا الطمع سبباً للذل فليمتثل .

(٢٦٩٩ – ٢٧٠٨) : انظر إلى ذلك الرجل الذى اطلع على أسرار الكون ، وأشرف قلبه على العرش والكرسى ، انظر إلى الغيرة الإلهية جعلت منه شحاذاً ذليلاً ليعرف القيمة الحقيقية لنفسه ، ولا يكلف فوق ما تستدعى البشرية ، لكنه فى تسوله أيضاً ولى يقوم بما كان الأنبياء يقومون به إنهم يقولون للبشر المفلسين : أقرضوا الله" والله هو الذى يرزق ، و "انصروا الله" والله هو الذى ينصر ، فالأمور معكوسة مثلما هى معكوسة مع هذا الشيخ ، الذى يقف على أبواب البشر وكل أبواب السماء مفتوحة أمامه ، إنه يتكدى ، لكن بأمر الله، إنه يمتثل

للأمر ، وحتى عندما كان يتكدى من أجل حلقه فإن هذا الحلق مملوء بنور الله ، وهكذا الأولياء حتى ولو طعموا من نعمة الدنيا فإن هذه النعمة تتحول عندهم إلى نور وتزيد فى قوتهم المعنوية ، إن طعامه أفضل من صوم الآخرين ، إن طعامه الحقيقى هو نور الله ، ومن طعامه ومن أكله تنمو أزهار المعرفة ، فهو كنور الشمع لا يزداد من أكله للشمع ، لكنه يضئ للجميع ، وهذا النور يباح الإسراف فى تناوله فالله تعالى لم يقل فى شأنه : اكتفوا .

(٢٧٠٩ – ٢٧١٦) : لقد وضع الله لنا شهوة الطعام من أجل أن يبتلينا (انظر الكتاب الثالث الأبيات ١٦٩٥ – ١٧٠٠ وشروحها) لكن ذلك الحلقوم الذى للأولياء لا تنطبق عليه هذه القاعدة ، وإذا كان الشيخ يتكدى فإنه يتكدى امتثالاً للأمر لا حرصاً ولا طمعاً ، إن الشيخ من القائمين بكيمياء التبديل إنه يأخذ من أناس كالنحاس ليحولهم إلى ذهب ، أى تكدٍ وهو من عرضت عليه كنوز الدنيا ففضل عليها المشاهدة ، وهذا هو ديدن العاشق إن فضل أى شئ على المعشوق يكون فاسقاً وليس بعاشق "والله ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً فى جنتك بل وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك" ، (الامام على رضى الله عنه ، ثم رابعة العدوية) (استعلامى ٣٤٥/٥) ويضيف مولانا إن الجنة والنار هما من حظ البدن ، والعاشق لا يأبه بالبدن ، بل لو كان له مائة بدن لأذابها فى عشق الحبيب .

(٢٧١٧ – ٢٧٢٤) : وهكذا فإن شيخنا لم يكن جسداً ، لقد تحول "جسده" إلى شئ آخر ، وانظر إلى المجنون الذى أنست إليه الوحوش عندما تساوى أمامه التراب والذهب أمام عشق ليلى ، لقد هجر البشرية ، بحيث لم يعد جسده "لحماً" يغرى الوحوش ، إن أجساد الأولياء معجونة بالنور (انظر الكتاب الثالث ٧–١٠) وهى أيضاً مسمومة مصداقا للقول القائل (لحوم العلماء مسمومة من أكل منها هلك) والأكل هنا أى الذم والغيبة (انقروى ٥٨٩/٥) والعشق معروف ، أى لا يخفى على أحد (عدم إخفاء العشق انظر الكتاب الثالث ٤٧٣٥–٤٧٤٠ وشروحها) .

(٢٧٢٦ – ٢٧٣٣) : إن العشق عندما يحل فإنه يمحو كل شئ فالعشق مثل طائر يحمل فى منقاره العالمين كأنهما حبة واحدة ، فهل رأيت حبة ابتلعت طائراً ، أو هل رأيت مزود أكل جواداً ، والعشق وسيلة العبودية ، فكن عبداً لعلك تصبح عاشقاً وترزق العشق، والعبودية كسب وعمل ، عبد الدنيا هو الذى يريد الحرية لكن العاشق يرى كل ما سوى معشوقه قيداً وسجناً ، عبد الدنيا أجير ، إنه يريد أجراً على كل ما يقوم به من عمل ، لكن العاشق هديته

رؤية الحبيب ، تراني قادر حقاً على وصف العشق مما أطلت في الحديث ، مطلقاً فكيف يمكن أن يوصف بحر بلا قرار ، فهل تستطيع أن تعد قطرات هذه البحر والبحار السبعة ضئيلة إلى جواره .

(٢٧٣٤ – ٢٧٤٨) : تفسير الحديث : خلقت الأفلاك من أجل الرسول ﷺ أي من أجل عشق الرسول ، ولقد كانت عند الرسول ﷺ طاقة تحمل هذه العشق ، فالعشق قوة جبارة وهو لا يبالي ماذا يفعل بالمعشوق ، فإن كنت تتحمله فاعشق ، وإن لم تكن فحذار منه ، إنك لا تدرى ماذا يفعل العشق إنه يجعل البحر يغلي والجبل يندك (انظر الكتاب الأول ٢٦ : أيها العاشق ذاق الطور عشقاً رقص الجبل وموسى خر صعقا) ، إن الأفلاك لتنشق (شق القمر للرسول ﷺ) والأرض تتزلزل ، ولأن العشق كان قريناً لمحمد ﷺ اقترن به عشق الحق ، ولذلك فضل على كل الأنبياء وما رفعت هذا الفلك السنى إلا لكى تفهم علو العشق وسموه وما ذلك التراب إلا لتعلم ذلة العاشق ، لكن الذلة لا تستمر فكما منح التراب خاصية الإنماء والإحياء ، يبدل الفقير الدرويش بالعشق فتصبح أنفاسه مانحة للحياة ، والجبال الراسيات أيضاً هي من أجل أن تفهم كيف يكون العاشق ثابتاً على محبوبه (تزول الجبال ولا يزول) ، كل هذه صور يا بني فلا تقف عند الصورة وافهم المعنى ، فهل الأحزان كالأشواك ، وهل القلب القاسي كالحجر ، كلها صور ، وها أنا وأنا أصف العشق أقدم لك مجرد صور وإن لم تفهم المراد من الصور وإن لم تدرك هذه المعاني فلا تنكرها ، لأن العيب قد يكون في أسلوب تعبيري عن هذه الصور .

(٢٧٥٠ – ٢٧٥١) : المقصود بالشطرة الثانية : أي أنني أتسول لقمة من الخبز بأمر من خالق الروح ، ولأن الأمور تجرى على عكس المنطق عند أهل الحق ، ويكون هدفها غامضاً على أولئك العاديين من الناس ، بل إن العقل الكلي نفسه يحار في أمرها .

(٢٧٦١ – ٢٧٦٦) : حجاب أبي البشر هو الجسد ، والمتحدث هنا قد يكون الشيخ وقد يكون مولانا نفسه على عادته في التدخل بإفاضاته دون تمهيد. أي ما دمت أيها الإنسان محجوباً ببشريتك فلا تنظر هوناً إلى العاشقين ، والعشق ليس أمراً بالذكاء أو المهارة أو حدة الذهن ، وليس بالدراسة والمطالعة ، وليس بالقيل والقال :

امح الدفاتر إذا كنت زميلاً لنا   فعلم العشق لا يوجد في دفتر

هؤلاء الأذكياء العباقرة استطاعوا التوصل إلى أسرار العلوم الخفية "النيرنجات والسحر" والعلوم الظاهرة "الفلسفية" وعم الهيئة "الفلك والنجوم" أو هم فى الحقيقة ادعوا معرفتها لأنهم فى الحقيقة يعلمون منها قشوراً ، لقد جاهدوا واجتهدوا لكن العشق الإلهى أخفى وجهه عنهم واستتر ودق غيرة على المعشوق من أن يكون مجرد جزء من اهتمام أحد وليس هو الاهتمام الوحيد ، وهؤلاء المنجمون بمراصدهم أبصروا النجوم فى وضح النهار ورصدوها ، فكيف غابت شمس الحقيقة عن عيونهم .

(٢٧٦٧ - ٢٧٧١) : أيها الأمير تقبل منى نصيحة لوجه الله ، انظر إلينا بمعيار أهل المعنى ، أنظر إلى العاشقين بعين العشق ، فإن عين الدنيا وعين المتعة لا تجدى هنا ، ولا أطيل عليك فالوقت ضيق ، والروح "مترصدة" ناظرة إلى ربها تنتظر أوامره أو إنعاماته ، فكفاك تجبراً وإيذاءً للعاشقين ، ألست هكذا مسروراً من تمتعك بالدنيا فانطلقت هكذا فى شتمى وإيذائى ؟! إن ما أفعله لا يخرج عن أمور ثلاثة : إما أنه واجب أى أننى مأمور به من قبل الله تعالى ، وأما أنه جائز أى لا نستطيع عدم القيام به ولا ثواب عليه ولا عقاب ، وأما غير مقبول ، فإن لم تقم بما يكلفك به الشرع من إعطاء للسائل ، فلا تؤذه ، احزم أمرك واختر الوسط أيها الغريب والدخيل على عالم الأولياء وتمثل بقول ابن سينا : إن من عجزك أنك فى كل وقت تسمع ولا تستطيع أن تدرك تقول على الفور : هذا محال (عن جعفرى ٣٠٨/١٢) .

(٢٧٧٢ - ٢٧٧٦) : لقد قال الشيخ هذا القول وانفجر فى البكاء لقد عزت عليه نفسه ، أنه يريد القول لكنه لا يستطيع، فقد عقدت الغيرة الإلهية لسانه ، ولأن الصدق مؤثر أو على حد قول ذى النون "الصدق سيف الله فى أرضه ما وضع على شئ إلا قطع" ، (أنقروى٥/٥٩٩) فقد فعل هذا الصدق فعله فى الأمير فانطلق فى البكاء وهذا كله من تأثير العشق ويطبخ قدراً طريفة أى يتجلى ويظهر للعيان ويكون مشهوداً وألا يستطيع عشق الأولياء الصادقين أن يؤثر على الجماد ، فما بالك بالإنسان ، وما بالك إذا كان هذا الإنسان عالماً وانظر إلى الأمثلة ألم تتحول العصا إلى أفعى من فرط عشق موسى ، وألم يصبح الجبل دكاً من تجلى العشق ألم يؤثر عشق موسى على البحر فانفلق ألم ينشق القمر لأحمد ، ألم تتأخر الشمس فى المغيب بأمره حتى يلحق صلاة العصر مع رفاقه؟ (لتفسير هذا الخبر ومناقشته انظر حديقة الحقيقة وشريعة الطريقة الترجمة العربية لكاتب هذه السطور البيت ٣٣٤ وشروحه) .

(٢٧٨١ – ٢٧٨٥) : يعتذر الشيخ بأن لم يؤذن بعد فى أن يأخذ عطايا كبيرة من أحد ، أو أن يختار عطيته ، إن كل عمل يقوم به الشيخ دون اذن إنما يكون من قبيل الفضول ، ويتساءل مولانا تراه أحس بعدم الصدق فى بذل الأمير ، لا ، كان الأمير صادقاً فى بذله ، لكن ليس الصدق الذى كان الشيخ ينتظره ، أو لم يكن فى درجة الصدق المقبول لدى الشيخ ، ذلك أن الأمر هو أن يمضى ويتسول الخبز كالشحاذين لا أن يأخذ من قرائن الأمراء والكبراء .

(٢٧٨٦ – ٢٧٩٨) : هميان أبى هريرة أو خرج لأبى هريرة رضى الله عنه يقال أنه كان يجد فيه كل ما يطلبه بأمر الله تعالى (مولوى ٥٥/٤٠٤) ويفسر الأنقروى ٥/٦٠٢ والمولوى ٥/٤٠٤ هذه العلاقة بعالم الغيب بأنها كالدهن فى السمسم وكالنار فى الحديد وكرائحة الورد فى الورد ، وهو عالم التغيير والتبديل يصبح فيه النحس سعدا والسم ترياقاً والميت حياً ، وإياك أن تحاول معرفة كنه علاقة هذا العالم بعالم الغيب ، فلا تستوعبها جهات ، ولا تصلح اللغة للتعبير عنها ، وعالم الغيب هذا هو أصل الوجود ، آلاف الآثار تتأتى منه كل لحظة. لقد ظل هذا الشيخ لمدة عامين ممتثلاً للأمر ، ثم جاءه الأمر الآن ذهب أوان الأخذ وجاء أوان العطاء ، وهكذا تقوم كيمياء التبديل بعجائب كثيرة ، كان رأس المتسولين فأصبح رأس المحسنين من عطاء الله سبحانه وتعالى الذى لا منة فيه ولا انقطاع له ، كن صورة لـ ﴿ يد الله فوق أيديهم ﴾ (الفتح ١٠) كنت يدى التى تبذل بأمرى ومن عطائى وبالطريقة التى أريد .

(٢٧٩٩ – ٢٨١١) : "أخرج بصفاتى إلى خلقى" من معراج أبى اليزيد البسطامى (انظر تفسير البيت ٢٠١٨ من الكتاب الذى بين أيدينا) والحديث هنا عن سر معرفة الشيخ لباطن المريد والذى يعبر عنه فى مصطلح الصوفية بالفراسة (انظر ٢٧٠٤ من الكتاب الثالث وانظر ١٨٥١–١٨٥٥ من هذا الكتاب وشروحها) فالرجل الكامل الواصل لا تخطر الدنيا بباله ، فمنزل قلبه خال من الكدية وليس فيه إلا عشق الأحد ، وما يكون فيه ويمت إلى الدنيا بصلة فإنه يكون انعكاساً لما فى ضمير السائل ، إنها رغبة الآخرين، ومن هنا يستطيع أن يدرك ما يريده السائل (انظر كمثال آخر لنفس هذه الفكرة الكتاب الثالث الأبيات ٣٢٥٢–٣٢٥٥ وشروحها) ، ويضرب مولانا مثلاً آخر : هب أنك ترى صورة فى الماء ، ألا تكون هذه الصورة انعكاساً لشئ موجود فى الخارج ومتى يحدث هذا ؟ الجواب : عندما يكون الماء صافياً قد "نقيت منه القذى" إذن فالتنقية شرط لهذا الأمر : وإن نقيت البدن من الصفات الذميمة ووساوس النفس الشيطانية ، استطاع القلب أن يكون "عاكساً" ، ومن ثم أيها العقل الذى لا

تظفر بانعكاس الصور وتبدو لك هذه الأمور من قبيل الخرافة ، إن ماءك مكدر بالطين طين الأكل والنوم والحرص والحسد وتسويلات النفس الشيطانية ، ومن هنا فإن ذلك البئر (القلب) يطمس دائماً بالتراب ، وتلك المرآة تكدر بصدأ الطمع .

(٢٨١٢ – ٢٨١٦) : لا يزال مولانا يفسر كيفية معرفة الشيخ لضمير سائله وها هو يخاطب المريدين إذا كان قلب هذا الماء خالياً من الكدر فإن الوجوه تنعكس عليه ، لكن ما لك وهذا ، إنك لم تقم بتصفية الباطن بعد ، ومنزلك أى قلبك ملئ بالوحوش والشياطين والقردة أى بالشهوات والوساوس والنزوات والأحقاد ، وكيف تفهم الأرواح الواصلة ، من أمثال روح المسيح التى كانت تحيى الموتى وأنت كمثل الحمار ، وتعلم أنك حمار ، ولا تحاول – عناداً – أن تخرج عن حماريتك ، وتتابع الأخطار التى تترصدك ، وتعرف مكانها ومن أى الأماكن تترصدك وتقطع عليك طريقك وتخوفك من الطريق ، وما ذلك إلا لأنك تنمى هذا الجسد وتسمنه وتجعل له الغلبة على القلب ، فى حين أن الباطن لا يكنس من كل ما يكدره إلا إذا صار الجسد "خيالا" من زهده فى دسم الدنيا وقوتها .

(٢٨١٧ – ٢٨٢٢) : يعود مولانا إلى قصة حمار القصار التى تركها فى البيت ٢٦٦٧ :إن الحمار قد قاوم كثيراً ودفع حجج الثعلب ودحضها ، لكن الجوع كان غالباً عليه ، كان ضعيف الاحتمال ، والرسولﷺ نفسه قال : كاد الفقر أن يكون كفراً ، ونسب القول أيضاً إلى الإمام الصادق رضى الله عنه "كاد الفقر أن يكون كفراً وكاد الحسد أن يغلب القدر" (جعفرى : ٣١٩/١٢) وهو مروى عن الرسولﷺ فى كتب الحديث (جامع ٧٤/٢) ، وهكذا فقد فضل الحمار الذهاب مع الثعلب ، على أسوأ الفروض سوف يموت ميتة واحدة بدلاً من موته جوعاً كل يوم ، هذا مع توبته ومع قسمه ، ومع رؤيته للخطر ماثلاً أمام عينه .

(٢٨٢٣ – ٢٨٢٦) : وهذه هى نتائج الحرص ، فالحرص يعمى ويصم ويجعل المرء جاهلاً ، ومن جرأته يكون موت الحمقى سهلاً عليهم ، وللحمر يكون الموت صعباً فلا حياة تملك غير هذه الحياة الدنيا ، وأرواحهم ليست مرتبطة بالخالق ، ولا تترقى بعد الموت ، ومن هنا فالأحمق لا يلقى بنفسه فى التهلكة إلا من جراء حمقه وليس أملاً فى حياة خالدة ورقى وسمو لأنه لا يعرف شيئاً عن هذه الأمور ، فجاهد فى طريق الله حتى تترقى روحك بعد الموت ولا تصير كأرواح الحمير والدواب والوحوش

(٢٨٢٧ – ٢٨٣٣) : الحديث عن حمار القصار ، كان يعانى الجوع لكنه لم يحرم يوماً من الزاد ، ولم يمت جوعاً بالرغم من أن الجوع كان "يسلط" عليه بين الآن والآخر ، وهكذا فإذا كان فى الجوع ألم واحد ففى الامتلاء والتخمة مئات الآلام ، يعد ألم الجوع أفضل منها جميعاً "فالجوع طعام الصديقين" ، لقد سمى الله الجوع ابتلاء ، لكنه قال فى نفس الآية "وبشر الصابرين" وكان سهل بن عبد الله لا يأكل الطعام إلا كل خمسة عشر يوماً فإذا دخل رمضان لا يأكل حتى يرى هلال شوال وإنما يفطر كل ليلة على الماء وحده ،وكان يقول "جعل الله فى الشبع الجهل والمعصية وفى الجوع العلم والحكمة" (مولوى ٥/٤١٠) إنه لم يكن معتمداً على الرزاق ، رغم أنه تشدق بهذا كثيراً ، وليته كان قد تحمل الجوع فـ "المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء" كما قال رسول الله ﷺ فالجوع يوصف كشفاء المرض ، وكيف تستطيع أن تحس بلذة المتع إن لم تجرب الجوع؟ (انظر الجوع رزق أرواح خاصة الله فى البيت ٢٨٤٦ من هذا الكتاب) .

(٢٨٣٧ – ٢٨٤٠) : طائر الخبز كناية عن المرتبط بالمنافع الدنيوية وطائر الماء هو الذى يستطيع أن يغوص فى بحار المعرفة ، وأنت تستحقه أى أنك لست صالحاً لعوالم الغيب فأنا أعطيك ما تستحقه ، فالجوع عطية الله لمن يصطفيهم ، لأنهم من الجوع يتغلبون على كل عقبات الطريق ويصبحون أسداً قوية ، ومن ثم لا يعطى الجوع لمدعى التصوف من الدراويش الكذابين "كلوا أكل البهائم وارقصوا لى" ، ومتى كان الطعام قليلاً فى الدنيا؟ إن مائدة إنعام الله مبسوطة أمام الجميع .

(٢٨٤١ – ٢٨٥٤) : الحكاية المروية هنا تشبه ما حدث للجنيد البغدادى عندما شكى أحدهم أمامه الجوع والعرى فقال له اذهب واطمئن فإنه لا يهب أحدهم الجوع والعرى حتى يشنع عليه ويملأ الدنيا بالشكوى" (تذكرة الأولياء ٤٣١) ومن أقوال الفضيل بن عياض ما معناه : يا نفس مم تخافين من الجوع لا تخاف لست عزيزة عند الله إلى هذا الحد الذى يرزقك فيه رزق محمدﷺ وصحبه (عبد الباقى 449) فأى جوع يخشاه ذلك الدرويش المتسول ، إنه طعام الصديقين ورزق خاصة الله ، لكن العوام دائماً ما هم يرزقون الطعام {والرزق أشد طلباً للعبد من أجله} كما يقول الرسول ﷺ وكون الرزق عاشقاً للمرء كما يعشق المرء فكرة مأخوذة عن سنائى بل أن معظم الصور التى يعبر بها عن هذه الفكرة مأخوذة عن حديقة

سنائى (انظر حديقة الحقيقة لسنائى الغزنوى الأبيات ٧٩٦-٨٢٢ وشـروحها) المتوكلون علـى الله حقيقة لا يحسون بالجوع "انظر عن التوكل الأبيات ٩١٢-٩٥٥ من الكتاب الأول" .

(٢٨٥٥ – ٢٨٦٩) : الحكاية الواردة فى هذه الأبيات وردت قبل مولانا جلال الدين فى (الهـى نامه) لفريد الدين العطار عن حيوان كان يعيش فيما وراء جبل قاف وأنه كان يرعى فى اليـوم عشب سبعة أودية ويشرب ماء سبعة بحار ، وفى الليل يحمل هم الغد" (الهى نامه للعطار ص ٢٣٧ بتحقيق فؤاد روحانى ، تهران ، زوار ، ١٣٥١ هـ.شـ.)

(٢٨٦٧-٢٨٦٩): المستفاد من الحكاية: البقرة هى النفس التى لاتشبع من الدنيا وبرغم أنهـا لم تحرم من الخبز فى يوم من الأيام إلا أنها تعيش فى هم مقيم من أجله لكنها تنسى ذلك ، ولا تتعظ بماضيها الذى لم تحرم فيه يوماً من الخبز .

(٢٨٧٠ – ٢٨٧٧) : عودة إلى قصـة حمـار القصـار التـى تركهـا مولانـا فـى البيت٢٨٢٢ ، والآيـة المذكـورة فـى العنـوان مـن سـورة الملـك ﴿وللذيـن كفـروا بربهـم عـذاب جهنـم وبئـس المصير ، إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقاً وهى تفور ، تكاد تميز من الغيظ كلما ألقى فيها فـوج سألهم خـــزنتها ألم يأتكـــم نذير ، قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شىء إن أنتم إلا فى ضلال كبيـر وقالوا لو كنا نسمع أو نعقـل ما كنـا فـى أصحـاب السـعير ﴾ (آيـات ٦-١٠)

(٢٨٧٠ – ٢٨٨٦) : يترك مولانا القصة التى انتهت بالطبع عند هذا الحد لينطلق فـى تعاليمـه وإفاضاته. إن القلب هو ذلك الذى يوجد فيه نور الله ، وليس هـذا الشـكل الصنوبـرى ، فهـو قطعة من اللحم ألقها للكلاب بتعبير الحكيم سنائى والمقصود بـه بـالطبع البـاطن المـدرك لعـالم الغيب ، إن هذا القلب المفتقر إلى النور مثل زجاجة ليس فيها نور الروح ، إنها أشبه بقـارورة بول ، وهكذا فإن افتقر الجسد إلى مثل هذا القلب فهو ليس سوى جوال من طيـن ، وإيـاك أن تظن أن نور هذا المصباح من فعل الخلق ، إنه من فعل الله ، أى أن نـور معرفـة الغيـب مـن الله وليست من علوم الخلق (وعن وحدة النور رغم تعدد المصابيح انظر الكتاب الأول الأبيات ٦٨١-٦٨٥ والكتاب الثالث الأبيات ١٢٥٥-١٢٥٩) ومن هنا فقد أشرك اليهـود ولـم يؤمنـوا برسالة محمد ﷺ لأنهم نظـروا إلـى الأنيـة ولـم ينظـروا إلـى النـور ، أى نظـروا إلـى الأنبيـاء وفرقوا بينهم ولم ينظروا إلى أن الرسالة واحدة صدرت عن مصـدر واحـد ، ولا فـرق هنـاك بين شعيب ونوح ﴿ لا نفرق بين أحد منهم﴾ إن الإنسان هو الذى يتكامل بالروح وبـالمعنى لا

بالصورة وبالجسد ، لكن أولئك الذين يقفون على الصور ليسوا برجال، إنهم موتى فى سبيل الخبز وقتلى فى سبيل الشهوة فلا روح ولا قلب ولا بحث عن المعنى ، ولا طموح إلى العالم الأعلى .

(٢٨٨٧ – ٢٨٩٦) : " الحكاية التى تبدأ بهذا البيت موجودة فى التراث البوذى القديم وفى التراث اليونانى القديم منسوبة إلى ديوجين الكلبى " يحكى أنه خرج ونادى بأعلى صوته فى الحارات يا رجال وصار يكررها حتى انقضت إليه جملة من العالم فطردهم بعصاه وقال لهم أنا أطلب الرجال وما لكم" (مآخذ ١٨٢) وقد عبر مولانا عن نفس هذا المعنى فى غزلية فى ديوان شمس الدين التبريزى :

بالأمس كان الشيخ يطوف المدينة بمصباحة صائحاً مللت الوحوش والشياطين

ضاق صدرى بأولئك الرفاق الذين بهم خور أريد أسد الله ورستم بن دستان

قلت : أيها الشيخ انك تبحث عما لا يوجد قال : إن هذا الذى لا يوجد هو طلبى

(كليات ديوان شمس غزل ٤٤١ ص ٢٠٣)

ولقد عبر حافظ الشيرازى عن هذا المعنى تعبيراً رائعاً بقوله :

إن المرء لا يحصل على إنسان (حقيقى) فى عالم التراب * ينبغى خلق عالم آخر وخلق إنسان من جديد

(ديوان حافظ ، ص ٢٤٧)

والتعبير بأن الرجل الحقيقى هو الذى يملك نفسه عند الشهوة والغضب تعبير متكرر فى المثنوى وورد بالطبع عند سنائى (على سبيل المثال لا الحصر البيت ٦٠٧١من الحديقة) كما ورد عند العطار ونظامى (انظر أيضاً الكتاب الثانى ١٤٦٧-١٤٦٨) وعن العيش بالنفخة الإلهية انظر الكتاب الرابع الأبيات ٤١١-٤١٥ وشروحها) وفى البيت ٢٨٩٦ يرد عليه الرجل: إن الحرص والشهوة هما ظاهر القضية وينبغى أن تنظر إلى أصلها وهو : على أى شكل يريدنا الخالق وكيف يخلقنا ، إن الأمر كله قضاء وقدر (عن هذا الموضوع انظر الكتاب الثالث الأبيات ٣٨٠-٣٩٠ وشروحها وعن الشهوة انظر أيضاً الكتاب الثالث الأبيات ٨١٨-٨٢٠ وشروحها) .

(٢٨٩٧ – ٢٩٠٠) : من هذا البيت يبدأ المبحث الكلامى الأكبر فى هذا الكتاب وهو مبحث الجبر والاختيار والذى جعلت منه موضوعاً للمقدمة، ويبدأ مولانا بفكرة دق عليها كثيراً وهى

أن قضاء الله سبحانه وتعالى يستطيع أن يغير العوامل الموجودة فى الطبيعة ويقلب تأثيرها ، بل يجعل عطارد هو فى اعتقاد القدماء الكوكب الخاص بالذكاء والحكمة لا يعي شيئـــا (انظـر عندما يعمم القضاء تتام المعرفة ١٢٤١ من الكتاب الأول) والبيت التالى ناظر إلى المثل المعروف : إذا جاء القضا ضاق القضا (انظر البيت ٩٩ من الكتاب الأول والبيت ٣٨١ من الكتاب الثالث) فتعال يا من رسمت حياتك خطوة بخطوة بحيث تفضى كل خطوة إلى ما بعدها، إنك أبله شديد البلاهة وساذج ، ذلك أنك تقوم برسم حياتك وكأنه ليس فيها سواك ، كأنها خالية من الغيب والقدرة ، صحيح أنك تستطيع أن (تخطط) لحياتك ، لكن كم من البشر (خططوا) لحياتهم ثم سارت خطوات حياتهم كما خططوا لها ، لم تصادف فى الطريق مانعاً أو حادثة لم تخطر له ببال عند التخطيط .

(٢٩٠١ –٢٩٠٥) : إنك ترى ظواهر الأمور ولكنك لا ترى القدرة الخفية التى تسيرها، رأيت دوران حجر الطاحون لكنك لم تر ماء الجدول، ورأيت التراب يثار فى الهواء لكنك لم تنظر إلى الهواء الذى يرفع التراب ورأيت الفكر يغلى ، لكنك لم تر من الذى يشعل تحته ناراً ليغلى قدر فكرك (قلبك) كل هذا الغليان ، وإن النسبة بين هذه الأمور غير المرئية إلى ما تراه من نتائجها كنسبة العطاء الذى أعطى لأيوب عليه السلام بالنسبة لصبره (أنظر الكتاب الأول٢١٠٨-٣١٠٩ والكتاب الذى بين أيدينا ٣٦٨٩-٣٦٩١ والكتاب السادس ٨٧٦ ، ٤٨٣٩ ، ٤٨٣٦ وانظر أيضاً لعطاء أيوب حديقة الحقيقة لسنائى الترجمة العربية البيت ٧٠٧ وشروحه) وفى البيت التالى وضع الساقية بدلاً من الطاحون ، لأن الماء من نتائج الساقية وليس سبباً لها وربما كانت ضرورة القافية .

(٢٩٠٦ – ٢٩١١) : إنك تدعى الرؤية أى رؤية ما وراء الظواهر ، لكن كل ما رأيته من البحر هو الزبد (المظاهر بالنسبة للحقائق كالزبد بالنسبة للبحر) ولو كنت رأيت البحر لكان نصيبك الحيرة (الحيرة عند الصوفية مرادفة للمعرفة انظر لتفسير هذه الفكرة انظر الكتاب الثالث البيت ١١١٦ وشروحه) إن النتيجة الحتمية لهذه المعرفة ولهذه الحيرة هى الصمت المطبق لأن من عرف الله كل لسانه (استعلامى ٣٥) وذلك الذى يتحدث بالأسرار لا يكون قد رأى سوى ظواهر الأمور ، وهذه الرؤية تؤدى إلى نتائج مختلفة ، فالناظر إلى المظاهر يخطط وينوى النوايا ، والذى يرى الحقائق يخاطر ويتهور ويقدم ولا يرى نفسه نية ولا خطة والناظر إلى المظاهر يرى الكثرة والقلة والأعداد و" يحسب لها" أما الناظر إلى الحقائق فهو

الذى يضع نفسه بين يدى المشيئة الإلهية كالميت بين يدى الغسال وينفى اختياره تماماً ، والناظر إلى الظواهر يطوف بها ويبحث فيها دون أن يصل إلى حقيقة، أما الناظر إلى الحقائق فهو غير ملوث بهذه الظواهر غير مهتم بها .

(٢٩١٢ – ٢٩١٩) : ذكر فروزانفر أن الحكاية التي تبدأ بهذا البيت وردت في عيون الأخبار للدينورى وفى أخبار الظرفاء والمتماجنين لابن الجوزى وبالطبع دون المناقشات الطويلة الواردة بها بل فى مجرد سطرين أو ثلاثة أسطر (مآخذ ١٨٢) ويذكر زركوب (سرنى ٤٤٧/١) أن الحوار بين المسلم والمجوسى هو فى الواقع حوار بين عمرو بن عبيد أحد أئمة المعتزلة ومجوسى ركب معه فى سفينة وهى واردة فى العقائد النسفية وفى شرح التعرف على مذهب أهل التصوف ، والرواية الواردة فى عيون الأخبار وأخبار الظراف والمتماجين : حدثنى رجل من أصحابنا قال صاحب رجل من القدرية مجوسياً فى سفر فقال له القدرى يا مجوسى مالك لا تسلم قال : حتى يشاء الله قال : قد شاء الله ذلك ولكن الشيطان لا يدعك قال المجوسى : أنا مع أقواهما . ويجعل مولانا من هذه الحكاية منطلقاً نحو تفصيل معتقدات الجبريين وآرائهم الذين كانوا يرون أن الأعمال خيرها وشرها من قبل الله تعالى ولا يروون أنفسهم مستحقين للعقاب ، وكان مولانا يرى أن العبد مختار ومسئول بدليل الأمر والنهى والتكليف والعقل . ويقول المجوسى "المجوس قدرية هذه الأمة" أى من القائلين بالقدر ، أنه وإن كان كافراً فإنه لا يجيز على الله تعالى أن يريد شيئاً لإنسان ثم تتدخل قوة ما أياً كانت هذه القوة وأياً كان اسمها الشيطان أو النفس أو الأهواء أو الشهوات أو ما إلى ذلك ، فتغير مشيئة الله ، فإذا كانت هذه القوى منتصرة وغالبة إلى هذا الحد بحيث تتغلب على المشيئة الإلهية فما ذنب العبد إن تبعها .

(٢٩٢٠ – ٢٩٣٦) : ويضرب المجوسى الأمثال : هب أنك بنيت بناءً عظيماً أردت أن يكون مسجداً فجاء أحدهم وجعل منه برغم أنفك ديراً، أو أنك نسجت كرباساً أردت أن تجعل منه قباء فجاء أحدهم وجعل منه سروالاً : أى إن الله تعالى خلق هذا الإنسان (القصر والمسجد والقباء) ليكون موضعاً للمعرفة فجاء الشيطان وجعل منه ألعوبة فى يده وموضعاً للشهوات ومحلاً للوساوس وآلة للحرب والفساد وسفك الدماء ، فما ذنب هذا الإنسان يا حبيبى ؟ ما ذنب هذا الإنسان وهو ضعيف أمام الشيطان ، وفى نفس الوقت فإن الذى أراد أن يجعل منه معبداً ساكت ومستسلم وصامت ولا يتدخل ليدافع عن صنعه ؟ أأكون أنا مهاناً ومضطراً ومهزوماً

إذا تبعته أيضاً وألا أخشى فى ذلك الوقت انتقام الشيطان (القوى ، المنتصر ، الغالب) متى ؟ عجيب ، ما معنى قولك إذن : ما شاء الله كان ، فمتى كان إذن هذا الذى يشاءه ، أتقوم النفس بالاستيلاء على صنعه ولا يتحرك صانع النفس ؟ أيستولى الشيطان على الإنسان ويسكت خالق الإنسان والشيطان معاً ، وإذا كان الشيطان ينتصر ويتحقق له ما يريد ، والخالق يسكت على هذا الأمر ، فكيف ينصلح حالى إذن ؟ ومن يساعدنى فى هذا القتال الذى حكم على فيه بالهزيمة ؟!

(٢٩٣٦ - ٢٩٤٤) : يتدخل مولانا فى النقاش فقد كان يرى أن الإنسان هو مجال للامتحان الإلهى (انظر الكتاب الثالث الأبيات ٧٤٣-٧٤٦ وشروحها) وفى معركة الروح والنفس يعتبر جواذب الحياة المادية وسيلة امتحان الحق وعلى هذا الأساس يعتبر عصيان الشيطان أحد ألاعيب القضاء الإلهى (انظر الكتاب الثانى ٢٦٥٥-٢٦٥٦) ومع هذا فالمسئولية لا تسقط عن أى مذنب ، ثم يرد على ذلك المجوسى الذى يرى الشيطان غالباً بهذا المثل ، إن هذا الشيطان هو أقل الكلاب على باب الله ، أنه مثل كلب التركمانى ، ينبح الغريب ، فالشيطان متسلط على الغرباء عن باب الحق ، لكن أنظر إلى كلب التركمانى مع القرباء !! (أنظر إلى الشيطان مع الأولياء) إن الأطفال يشدونه من ذيله (الأولياء أطفال الحق) (انظر البيتين ٨٠ و ٨١ من الكتاب الثالث) ويكون ذليلاً فى أيديهم لكنه يكون أسداً هصوراً على الغرباء ، إنه "الكلب والشيطان" مصداق الآية الكريمة ﴿ أشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾ (الفتح ٢٩)

(٢٩٤٥ - ٢٩٥٠) : وهكذا فالشيطان هو كلب الحق ، وقد خلقه هكذا فى جبلته الوسوسة ، وإلا فكيف يميز الله الخبيث من الطيب والصالح من الطالح ، وكيف يتغذى الشيطان إن لم يكن موسوساً للخلق "كمال كل مخلوق فى قيامه بصنعه وكمال الشيطان فى قيامه بما كلفه الله به" ليس الشيطان نداً لله وجل وعلا ومقابلاً له بل عبد من عباده ينفذ ما أمره الله به ، وكيف لا ينفذ ما أمره به وروحه مقيمة على باب الإله تنتظر أوامره ، وكل من فى الخلق من ملوك ورعايا كلاب باسطو أذرعهم بالوصيد؟ لا ، ليس الشيطان نداً لله أو مقابلاً له أو طرفا في معركة معه مواضعها نفوس العباد، إنه تماماً كالكلب على باب التركمانى مستعد نافر العرق يتسلط على من يسلطه عليه سيده .

(٢٩٥١ - ٢٩٦٢) : يخاطب مولانا جلال الدين بصفته رجلاً من رجال الله ، الشيطان ، أو الكلب الشيطان بأنه لا يستطيع أن يمتحين المخلصين من عباد الله، ويسأله أن يداوم امتحاناته

من أجل أن يتميز ذوو الصلابة في الطريق من أرباب الوهن ، وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد جعل للشيطان سلطة علينا فلماذا علمنا قتاله لماذا أعطانا السلاح الذى نقاتله به لماذا أعطانا المعوذة" نلجأ إليها عندما يشتد طرق الشيطان على بابنا ، ويهم ذلك الكلب بعقر أقدامنا ، فنطلب من الله تعالى أن يستدعى كلبه ، حتى نجد الطريق مفتوحاً إلى بابه ، نسأله حاجاتنا ، فهل يعقل أن يكون التركى الخطائى (من قبائل الخطا وهى من أشد قبائل الترك بأساً) عاجزاً عن استدعاء كلبه وعن كبح جماحه ، إذن فما فائدة المعوذة وما فائدة الصياح ، معقول أن يقول لك التركى لا ، لا أستطيع أن أعقل هذا الكلب ، أنا أيضاً أستعيذ منه ، إنه يمنعنى من الخروج كما يمنعك من الدخول ، هل هذا معقول ، حاشا لله ، إن التركى ليصيح صيحة ، تفقد بها أسد الوغى قلوبها لا الكلاب فحسب ، وأنت يا من تدعى أنك أسد فى هذا الطريق ، كيف تغلب عليك كلب النفس وهو مخلوق لخدمتك ، هو يصيد من أجلك هو أى القوى النفسية حافظة بدنك، فكيف صرت أنت صيداً لها .

(٢٩٦٣ – ٢٩٧٤) : يرد السنى – ودائماً يقرن مولانا جلال الدين عقائده بأنها مجموع عقائد أهل السنة ولذلك يجعل السنى هنا مرادفاً للقائل باختيار للعبد– ويقدم مولانا فى هذه الأبيات دلائل أن للعبد اختياراً وأول هذه الدلائل الحواس التى وهبها الله سبحانه وتعالى للإنسان يسعى بها ويستخدمها ويستطيع أن يستخدمها فى الخير ويستطيع أيضاً أن يستخدمها فى الشر ، وقد يكون المقصود بالحس الوجداني الضمير الذى عبر عنه مولانا بالإدراك الوجدانى وقال أنه محل الحس (جعفرى ٣٦٢/١٢) والدليل الثانى هو الأمر والنهى والتكليف بوجه عام والثواب والعقاب كلها لا تكون إلا للمختار والمسئول ، وشرط التكليف القدرة، والقدرة هى التى تدل على الاختيار فلا يقول أحد لإنسان طر، أو يقول لأعمى أنظر إلى ثم إن الملام والعتاب والمدح دليل على القدرة أيضاً والاختيار وإلا فهل يقول أحد لحجر لماذا تأخرت ، أو يلوم عصا على أنها ضربته؟ نعم إن الرغبة فى الظلم كامنة فيك ومن ثم انجذبت للشيطان وللنفس الأمارة ، وليس العكس كما تدعى أنك "مجبور" عليها من الشيطان والنفس الأمارة .

(٢٩٧٥ – ٢٩٨١) : تريد أن تعلم كيف يكون الاختيار كامناً فيك إذن فاعلم أنك الشيطان والملاك معاً ، وداعى الخير وداعى الشر موجودان فى داخلك لكنها فى حاجة إلى ما يحركها ، ورؤية يوسف محرك وجرح اليد وتقطيعها نتيجة للمحرك، كانت موجودة فى نفوس النسوة فى المدينة ، كن مستعدات للغواية ، فما إن رأين يوسف حتى قطعن أيديهن ، يظل

كلب النفس قائماً فى داخلك حتى تحركه شهوة من الشهوات فيستيقظ ويبصبص بذيله ، وهكذا حتى فى الحيوان ، وفى السلوك الحيوانى ، تتحرك الشهوة عندما يوجد محرك لها ، إنها كالنفخ فى الشرر ، (انظر الكتاب الثالث موسى وفرعون فى وجودك ، البيت ١٢٥٤) وهكذا يتمطى الاختيار النائم فيك والكامن فى وجودك عندما يعرض الشىء المشتهى .

(٢٩٨٢ – ٢٩٨٨) : {إن للشيطان لمة با بن آدم وللملك لمة فأما لمة الشيطان فإيعاز بالشر وتكذيب بالخير وأما لمة الملك فإيعاز بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله تعالى فليحمد الله ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان} (جامع ١/٩٥) . ليس الأمر خاصاً بدواعى الشر فحسب ، بل تتدخل فيه أيضاً دواعى الخير ، تعرض عليك الملائكة ملائكة الخير ما لديها برغم أنف الشيطان ، إلهام بالخير فى مقابل وسوسة الشيطان بالشر ، وأنت وما تختار ، لديك الميزان فى داخلك ، وما يستوجب العقاب ومن ثم فأنت المسئول ، وأنت الذى تنطلق بكل قواك ملبياً داعى الخير وداعى الشر ثم ما معنى التسليم فى الصلاة؟ إنك تسلم على الملائكة أنك صرت مختاراً لهذه الصلاة من إلهامها الطيب تماماً مثلما تقوم بلعن إبليس بعد كل ذنب لأنه قضى عليك وقصم ظهرك من وسوسته ، نعم فهذان الضدان يقوما بعرض ما لديهما عليك وداعى الخير وداعى الشر مصطلحان موجودان فى هذا الحديث النبوى .

(٢٩٨٩ –٣٠٠٥) : وكلاهما داعى الخير وداعى الشر ، الملاك الملهم والشيطان الموسوس جاءا إليك من وراء حجب الغيب، وعندما ترتفع هذه الحجب يوم القيامة ، ترى عياناً من كان يقودك وتعلم من حديثهم أنهم هم الذين كانوا يحدثونك فى الدنيا يلهمونك أو يوسوسون لك. يقول الشيطان : لقد كنت أعرض عليك فحسب ﴿ وقال الشيطان لما قضى الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى إنى كفرت بما أشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم﴾ (إبراهيم ٢٢) ويقول الملاك : ألم أقل لك كفاك سروراً بمعصيتك وتدبر قول الرسول ﷺ {من عصى الله وهو يضحك يدخل النار وهو يبكى} (مولوى ٥/٤٣٢) لقد تركتنى أنا الراجى خيرك المشفق عليك من نار الجحيم الراغب فى قيادتك إلى الجنة ونحن الملائكة من سجدنا لآدم واعترفنا بخلافته، ولا زلنا نخدمك ونقودك إلى موطنك فى الجنة، ونردك من غربتك وفقرك إلى رئاستك وإمارتك ، لكنك تركتنا وأطعت

تلك الجماعة التى رفضت السجود لأبيك ، ووسوست له ، وسببت طرده من الجنة إلى جحيم الشقاء ، وتوعدت أولاده قائلاً ﴿ لأحتنكن ذريته إلا قليلاً ﴾ (الإسراء ٦٢) ، هيا انظر إلينا عياناً بياناً بعد إن كنت تسمع أصواتنا فى ليل الدنيا وظلمة الحس ، فها هو قد أسفر الصبح ، صبح القيامة ، وقام الناس من النوم ، فاعرفنا بأصواتنا ، وأعلم أننا كلا منا الملاك والشيطان كنا عارضين لك ، لم نجبرك على فعل لم تكن أنت تريده ، ولم نوجهك إلى فعل لم تكن أنت تقصده .

(٣٠٠٦ – ٣٠٢١) : يعود مرة ثانية إلى بيان أن الإنسان مخير وليس مسيرا ، ومن هنا يؤدب الطفل فهل رأيت حجرا يعاقب ؟! وهل سألت حجرا أن يأتيك في الغد ، وهل يضرب عاقل المدر (فى الكتاب الثالث ، أمثلة عديدة على هذه الفكرة ، انظر الأبيات ٢٩١١ – ٢٩١٩) ، وعن هشام بن سالم عن على ﷺ : إن الله أكرم من أن يكلف الناس ما لا يطيقون والله أعز من أن يكون في سلطانه ما لا يريد " (جعفرى ٣٨٣/١٢) ، الجبرى والقدرى كلاهما مرفوض ، لكن الجبرى أكثر افتضاحا أنه يرى ويحس أنه لا مدلول دون دليل ، لكنه ينكر والقدرى يقبل الدليل والمدلول لكن في حدود الأمور المادية والدنيوية ، وأمور الله جل وعلا التى لا تقاس بالمعايير والعلاقات الدنيوية ولا تدرك ، والنتيجة أن القدرى والجبرى كليهما ينكران تلك الحقيقة غير المادية وغير الحسية (استعلامى ٣٨٥/٥) ، ومن هنا فسفسطة الجبرى أسوأ من الحاد القدرى " والقدرية مجوس هذه الأمة " ، ويجعل مولانا القدرى واحدا مع المادى والدهرى ، انه يقبل الدنيا فحسب ويقر بها وإن قال يا رب فنظره إلى القدرة المادية الطبيعية ، وقوله يا رب لا يقصد بها الحظيرة الإلهية ، والجبرى ينفى المسئولية والاختيار عن نفسه ، ينكر العلاقات الموجودة في الدنيا ، ولا يصل بسفسطته وأدلته الواهية إلى غاية بل يدخل في تلافيف الشك والريب والكفر ، والحيوان يدرك الأمر المحسوس ، أيكون الحيوان أفضل من الجبرى ، إن وجود الاختيار لا يحتاج إلى دليل لأن كل إنسان يستطيع أن يحس به ، وإن أحس به فإن تكليفه بالأمر يجمل به ولا يستوحش منه أو يراه صعبا ، وإذا كان القدرى مرفوضا والجبرى مرفوضا فالحل هو ما أجمعت عليه الأمة من المنزلة بين المنزلتين ، أو الأمر بين الأمرين وعن على بن موسى الرضا ﷺ ذكر عنده الجبر والتفويض فقال : ألا أعطيكم في هذا أصلالا تختلفون فيه ، ولا يخاصمكم عليه أحد إلا كسرتموه؟ ، قلت إن رأيت ذلك ، قال : إن الله عز وجل لم يطع بإكراه ولم يعص بغلبة ولم

يهمل العباد في ملكه، هو المالك لما ملكهم والقادر على ما أقدرهم عليه فإن أئتمروا بمعصيته فشاء أن يحول بينهم وبين ذلك فعل وإن لم يحل وفعلوه فليس هو الذي أدخلهم فيه (جعفرى ٣٨٤/١٢) والأمر عند مولانا بين الوضوح في قوله بالاختيار وهو في هذا تابع لسنائى الغزنوى الذي قال بأن الجبر لحركة العالم وأن الاختيار للإنسان ، وأن هذا هو المقصود بتكريم الإنسان ، فكيف يكون مجبرا ثم يكون مكرما ؟! (انظر حديقة الحقيقة الأبيات ٥٤٥٩ – ٥٤٦١ وشروحها) ، وإلى مثل هذا ذهب الحكيم السبزوارى فقال : إن من أفضل ما قاله المعلم الثانى ، لابد أن يكون في الإرادة إرادة بالذات ، وفي القدرة قدرة بالذات وفي الاختيار اختيار بالذات " ، ويضيف والعالم كله ظله ، وهو مختار وظل المختار مختار (شرح السبزوارى ، ص ٣٩٤) .

(٣٠٢٢ – ٣٠٣٣) : يواصل مولانا جلال الدين دلائله على الاختيار واثبات المسئولية على الإنسان ، وهنا يتجاوز مولانا الدلائل الظاهرة والحواس الظاهرة ويتحدث عن الإدراك الباطنى ويسميه بالإدراك الوجدانى وفي العنوان يوضح مولانا أن الإدراك الباطنى هو أيضاً من قبيل الحس، فمنه ندرك الألوان والأحجام وأنواع الجمال والقبح بالحواس الظاهرة ،لكننا ندرك الاختيار والاضطرار والغضب والصبر بالحواس الباطنة أو الإدراك الباطنى أو كما يسميه مولانا الإدراك الوجدانى ، ويفسر محمد تقى جعفرى الإدراك الوجدانى تفسيرا لغويا على أساس أن " وجدان " بالفارسية تعنى الضمير ويرى أن مولانا كان يقصد هذا المعنى بالفعل بدليل ذكره للندم بعد أن يقوم المرء بفعل السوء فإن هذا الندم مصدره الضمير (جعفرى ٣٩٤/١٢-٣٩٥) . ويقدم مولانا دليلا آخر : القرآن الكريم ، أليس كله أمر ونهى ووعد ووعيد فلابد أن يكون هذا الأمر والنهى والوعد والوعيد موجها إلى " مسئول " و " حر " وإلا فهو ليس موجها إلى حجارة وحديد أو خشب، فالعقل نفسه لا يتعامل إلا مع من له عقل . وإلا فهل عادى عاقل صورة ؟! أو هل أنشب مخالبه في صورة مخلب ، ثم كيف يوجه أمر إلى عاجز ؟! إنك إن أمرت عاجز بأمر يعجز عن فعله كنت جاهلا ، وإن فعلها إنسان لقلت عنه أنه جاهل، فهل تنفى عن إنسان صفة الجهل وتجيزها على الله جلا وعلا عن ذلك علوا كبيرا ؟! وكيف تنفى عنه صفة العجز لتوقعه بعدها في صفة الجهل " والكلام موجه إلى المجوسى القدرى " ؟!

(٣٠٣٤ - ٣٠٣٩) : يعود إلى مثال التركى وكلبه " الله والشيطان " ، وليس عيبا أن يرمز له بكبير الترك :

فالله قد ضرب الأقل لنوره   مثلا من المشكاة والنبراس

والضيف هو العبد المتجه إلى الله تعالى ، والخرقة رمز للتظاهر ، والمقصود بالكلب هنا هو النفس الكلبية الأمارة بالسوء ، فإذا توجهنا إلى العتبة الإلهية ومعنا كبرنا وغرورنا ونفسنا الأمارة بالسوء فإن الكلب " الشيطان " ، يقف في طريقنا والكلب في البيت ٣٠٧٧ هو إبليس (انظر ٢٩٣٩ - ٢٩٤٤ من الكتاب الذي بين أيدينا) ، وعضة الكلب تلبيس إبليس ومكره ، والغلمان هم عباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا ، والكلب في البيت التالى هو النفس والتغلب هو الرياء والتظاهر ، والكلب في الشطرة الثانية من نفس البيت هو إبليس : نفسك التى بين جنبيك هى التى تثير إبليس وهى التى تدعوه إليك .

(٣٠٣٩ - ٣٠٥٧) : يواصل مولانا أدلته على أن الإنسان مختارا ، فإذا لم يكن الإنسان مختاراً وكان الاختيار للحق دون سواه ، فكيف تغضب على من يسئ إليك ، إنك تغضب على من يسئ إليك إن كان عاقلا ، لكنك لا تغضب إن كان غير عاقل ، ومن ثم فالاختيار مقارن للعقل ، وحتى الحيوانات تفعل هذا ، فهل رأيت حيوانا هاجم عصا ضربته دون أن يهاجم الضارب ؟! هل رأيت كلبا تقذفه بحجر فيصب غضبه على الحجر " إنه يفعل ذلك فحسب عندما لا يطولك وللوهلة الأولى ثم سرعان ما يدرك انك الضارب لا الحجر " .

(٣٠٨٥ - ٣٠٧٦) : يواصل مولانا تقديم أدلته على الاختيار ، والحكاية الواردة في البيتين الأولين وردت في ربيع البرار للزمخشرى والمستطرف للأبشيهى منسوبة إلى الاسكندر (مآخذ /١٨٢) . أمر الاسكندر بصلب سارق : فقال : أيها الملك فعلت ما فعلت وأنا كاره ، فقال وتصلب ايضا وأنت كاره . إن الجبر يقلب العالم إلى فوضى ، فالسارق والمعتدى والقاتل كلهم يقومون بما يقومون به اعتمادا على هذا المبدأ ، عجيب ومع ذلك فأنت تتلاعب بالجبر والاختيار ، تختار الحرفة ، وخلف نفسك العاصية تكون مختار تماما ، لكنك عند شكر النعمة صامت أو قائل بأن الله لم يهبك شكر هذه النعمة ، تراك تقبل أن يقول لك الجحيم : اعذرنى علي حرقى إياك ؟! أنه لولا الاختيار لما انتظمت الدنيا .

(٣٠٧٧) : يواصل مولانا ويقدم قصة أخرى ساخرة وهى كما هو واضح على نسق القصة السابقة وتجرى في سياقها وهى فيما يبدو من تأليف مولانا ووردت في كتابه " فيه ما فيه " ، قبل أن ترد في المثنوى .

(٣٠٨٧ – ٣٠٩٧) : من هذا البيت يبدأ مولانا في مبحث آخر دفعه إليه خشيته من أن يفهم القارئ أن الاختيار للعبد مطلق وأنه من الممكن أن يختار على اختيار الله سبحانه وتعالى، أو يفهم آخر أن مولانا ينفى الاختيار عن الله سبحانه وتعالى كلية ، فاختيار العبد كالغبار ، واختيار الرب فوقه كالفارس الذي يثير هذا الغبار دون أن يكون ظاهرا (هذا المثال موجود في الكتاب الثالث ، البيتين ٣٨٣ – ٣٨٤) ، إننا نختار ما اختاره الله لنا ، فاختيار الله هو الاختيار الكلى واختيارنا هو الاختيار الجزئى، ولو لم يكن لنا اختيار لما خيرنا الله بين أمرين، وتسلط الله سبحانه وتعالى على صورة بلا اختيار أمر لا عظمة فيه ، فلا عظمة في أن تحكم من لا يتأتى منه فعل ، سواء كان هذا الفعل خيرا أو شرا ، لا عظمة في أن تسيطر على عبد بل العظمة الحقيقية في أن يكون حكمك على حر ، إن السيطرة على من لا اختيار له تتأتى من كل إنسان ، لكن أية عظمة في أن تجر صيدا من أذنه أو تجر إنسان من أذنه أيضاً ، فالله حيئنذ بدون آية آلة يقيد باختياره ذلك الإنسان المجبر ويجره إلى حيث يشاء ، هذا الأمر يكون كسيطرة النجار على الخشب والمصور على الصورة والحداد على الحديد والبناء على الآلات التى يستخدمها ، فهل قدرتك على هذه الجمادات ، نفت عنها صفة الجمادية ، كيف تجيز إذن أن يكون اختياره جل وعلا نافيا لاختيارك أنت .!

(٣٠٨٩ – ٣١٠٤) : مشيئة الله سارية في الكون بشكل كلى وبلا زمان أو مكان ، وليس في الأمر جبر أو ضلال ، إنك " أيها المجوسى " تقول أن كفرى هو مشيئته ، لكنها مشيئتك أنت أيضاً ، فكيف ثم كفر دون مشيئة من الكافر ؟! وكيف يغضب علينا سبحانه وتعالى إن كفرنا دون أن يكون لنا دخلٌ في هذا الكفر ، أيغضب علينا لعجزنا ، إن هذا السلوك لا يليق حتى مع ثور ، فالثور أن لم يقبل السير ضرب ، لكنه لا يضرب أن قلت له طر ولم يطر ، ومن ثم فإن لم تكن مريضا لا تربط رأسك (مثل فارسى) ، ولا تسخر من نفسك كل هذه السخرية فتكون أقل من ثور .

(٣١٠٥ – ٣١١٠) : والحل لكل هذا النقاش أن تكون عاشقا فيذوب اختيارك في اختياره ولا ترى لنفسك اختيار دون اختياره ، فيكون كل ما تفعله هو فعل الحق ، يكون العشق هو

اختيارك ، والسكران بهذه الخمر معذور ، وهو حتى لا يكون في حاجة إلى أن يعذره أحد ، فهو لا يفعل في سكره إلا الحق وإلا الصواب ، والمثل التالى عن سحرة فرعون وارد بتفصيلات أكثر في الكتاب الثالث (انظر الأبيات ١٧٢٣ - ١٧٣٠ وشروحها) .

(٣١١١ - ٣١٣٠) : { ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن } ، حديث نبوى يكرره مولانا كثيرا في المثنوى (انظر على سبيل المثال ، الكتاب الأول : ١٨٨٨-١٨٩٨ والكتاب الذي بين أيدينا الأبيات ٢٩٢٩ - ٢٩٣٧) . عن زيد بن ثابت أن رسول الله ﷺ علمه دعاءً وأمره أن يتعاهد به أهله كل يوم{ قال : قل كل يوم حين تصبح اللهم لبيك وسعديك والخير في يديك ومنك وبك وإليك ، اللهم ما قلت من قول أو نذرت من نذر أو حلفت من حلف فمشيئتك بين يديه ما شئت كان وما لم تشأ لم يكن } (مسند أحمد ١٩١/٥، أحاديث مثنوى ١٧٤) . وليس عند الله صباح ولا مساء : أي ليس في عالم اللاهوت زمان ، لأن الزمان مرتبط بالأفلاك وهو فوق الأفلاك ، فليس حديث " ما شاء الله كان " دعوة إلى الكسل وإلى الاستسلام لما تأتى به المقادير ، بالعكس انه دعوة للعمل والجد والاستعداد في كل لحظة. يقول يوسف بن أحمد : وهذا الحديث معناه قريب لقوله تعالى : ﴿ كل يوم هو في شأن ﴾ ، قال في الجلاليين معناه أمر يظهره على وفق ما قدره في الأزل من إحياء وإماتته واعزاز واذلال وغناء وإعدام وإجابة داع وإعطاء سائل وغير ذلك ، (مولوى ٤٥٣/٥) ، فإذا كان الأمر أمرك أنت جاز لك أن تتكاسل ، فإذا قيل لك أن الأمر أمر الله ، معناه أن تسعى في رضا الله دون رضا سواه ، إذا قيل لك أن الأمر في يد الوزير فلان ، يكون رد فعلك أن تبتعد عنه أو يكون رد فعلك أن تقترب منه ؟! أترى الآن أنك قلبت تفسير : ما شاء الله كان وجعلته على هواك لأن هواك في الكسل ، وتكفى نتيجة تفسيرك هذه لكي تثبت لك أن تفسيرك هذا سئ ، فهناك علامة للتفسير الصحيح هو أن يدفعك إلى العمل وبذل الجهد ، والجهاد في رضا لله ويملأك حماسا وحركة وأملا ، لأن الله سبحانه وتعالى لا يريد من عبده الكسل والتواكل، والرسول ﷺ لا يقول ما يؤدى إلى القنوط واليأس ، والقعود عن العمل والعبادة ، ولماذا تسرع في التفسير حسب هواك ، ما أحراك أن تفسر القرآن بالقرآن لأن القرآن يفسر بعضه بعضا ، فإن لم تكن قادرا على هذا ، فابحث عن الولى الكامل غير المغرض الذي أضرم نار العشق في هواه وهوسه ، وصار كله لله وللقرآن حتى ذاب في القرآن وصار قرآنا ، كما يذوب الزيت في الورود (عند تقطير العطور) ، فسواء إن شممت ذلك الزيت الذي ذاب في الورود أو شممت الورود نفسها،

سواء سألت القرآن عن معنى القرآن ، أو سألت الولى الذي ذاب في القرآن وفنى في الله فناء تاما ، هذا هو الراسخ في العلم الذي نص سبحانه وتعالى على أنه هو الذي يستطيع أن يعلم تأويله .

(٣١٣١ - ٣١٣٤) : يتعرض مولانا جلال الدين لحديث آخر يحتج به الجبريون لأنهم يفهمونه على غير معناه والحديث هو " جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة " ، ويحتج الجبريون بهذا الحديث بأن كل ما يجرى على البشر قدر منذ الأزل وبالتالى فلا فائدة من العبادة أو الدعاء لأن الله سبحانه وتعالى لن يغير شيئا ما دامت الأقلام قد جفت والصحف قد طويت . هل يعقل أن يقول لعبده : يا عبدى لا تدعنى لقد جف القلم ولن يجديك هذا الدعاء نفعا ؟!! . وهناك حديث آخر في هذا المعنى " فرغ ربكم من أمر العباد فريق في الجنة وفريق في السعير " (انقروى ٥/٦٧٧) . قال أحد الصحابة : أولا نعمل يا رسول الله : قال ﷺ اعملوا فكل ميسر لما خلق له ، ويقدم مولانا تفسيرا آخر لحديث " جف القلم " ، فجف القلم تحريض على العمل لا على الكسل ، وعلى " الشغل الأهم " ، أي على العبادة لأن القلم جف وفرغ من أمر جعل الجزاء من جنس الفعل ، ولا تبديل لسنة الله ولا تغير لها ، إنك مرتبط بأفعالك ، ﴿ ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ﴾ إذا ظلمت فأنت مدبر ، وإن رحمت تُرحم، وإن سرقت تقطع، وإن سكرت تثمل ، بهذا جف القلم ، جف القلم وكتب أن الله سبحانه وتعالى عدل وحق يجزى بالحسن حسنا وبالسوء سوءً ، وليس بفعلك لأن الله سبحانه وتعالى يمحو ما يشاء ويثبت ويغير ويبدل " والدعاء يمنع القضاء " ، وإلا فهل من المعقول أن يقدر الله أفعال عباده ثم ينعزل عنها انعزالا كليا ، ويتركهم هملا ضياعا، جاهدوا أو لم يجاهدوا أطاعوا أو لم يطيعوا ، أخلصوا له أو لم يخلصوا له وخانوه ، وهل يعقل هذا حتى على ملك من ملوك الأرض ، هل هناك ملك من ملوك الأرض لا يفرق أمام عرشه بين الوفى والخائن وبين من يخافه ومن يسخر منه ؟! اعملوا فكل ميسر لما خلق له ، إن ميزان الله سبحانه وتعالى لا يضيع شيئا مهما كان ضئيلا ، فلو زدت مثقال ذرة في عبادتك ظهرت في هذا الميزان ، إنه هو السميع البصير ، لايسمع لواش أو نمام ، بل إن الوشاة والنمامين (الشياطين) عندما ييأسون ويحبطون أمام بلاطه يعودون إلينا ويوسوسون لنا قائلين : ما جدوى العمل ؟! لقد جف القلم وكتب من كتب سعيدا وكتب من كتب شقيا والسعيد

سعيد في بطن أمه والشقي شقي في بطن أمه ، إن هذا دس للمليك وحديث بالسوء عنه ، لا بل الوفاء جزاء على الوفاء ، والجفاء جزاء على الجفاء بهذا جف القلم .

(٣١٣٥ - ٣١٥٩) : وهناك أيضاً العفو الإلهي ، وهناك الرجاء في هذا العفو وعدم القنوط منه فلا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ، وأجمل من هذا الرجاء رجاء المتقي الذي ابيض وجهه من التقوى ، ذلك أن وجه العاصي المعفو عنه لا تصل بحال من الأحوال إلى درجة المتقي أصلا ، تماما كما يعفو الملك عن اللص لكنه لا يصير وزيرا أو خازنا ، وأنت أيها الإنسان المؤمن أمين في الأرض على هذا الدين فكن أمينا على أسرار الحق فإنك أصبحت صاحب تاج ولواء (ابن الخليفة) من قبولك لهذه الأمانة ، ولا تغتر بهذا ، فإنك إن خنت هذه الأمانة سوف تكون جديرا بقطع رأسك ، في حين انه قد يهب " غلاما هنديا " ، عناية الربانية وينيله المعرفة " الدولة السرمدية " (انظر حديقة سنائي ، البيت ٧١٨ : لتركي جلف حدث رقيق قلب مئات الآلاف من الأعلام) ، ليس هذا فحسب ، بل القلب نفسه ببركة إخلاصه يصاحب الرجال ، فانظر أي إنعام نزل على الكلب ، فما بالك إذا كان هذا الكلب أسدا " رجلا من رجال الله "؟!

(٣١٦٠ - ٣١٦٤) : إن إنعامه لا نهاية له ، بشرط أن تتوب وتعود ، فان الانغماس في الذنب يغلق باب الرحمة ، حتى هذا اللص قاطع الطريق ينبغي عليه ألا يقنط من رحمة الله ، وانظر إلى قصة الفضيل بن عياض (١٠٥ - ١٨٧ هـ) كان قبل توبته قاطع طريق ، وذات يوم كان مع عصبته يقطع الطريق على قافلة فسمع قارئا للقرآن يقرأ ﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ﴾ فتاب وصار فقيها محدثا ثم عارفا من كبار العارفين ،وقامر بطهر : أي ضحى بنفسه في سبيل الله ، وتضحيته بنفسه إسراعة إلى التوبة بقوة عشرة رجال ، ثم هل يمكن أن يكون هناك عاص أكثر عصيانا من سحرة فرعون ، أولئك الذين قالوا " بعزة فرعون " ، وقعدوا في طريق التوبة ، ثم عندما تاب الله عليهم ، اعترفوا بنوبة موسى عليه السلام وبألوهية رب العالمين ، وضحوا في سبيل هذا بأيديهم وأقدامهم (انظر البيت ٣١٠٩ من الكتاب الذي بين أيدينا وشروحه) ، فكانت جذبة تساوى عمل الثقلين ، فهل رأيت طاعة خمسين عاما نالت مثل هذا الصدق ؟!

(٣١٦٥) : الحكاية التي تبدأ بهذا البيت وردت قبل المثنوى في منطق الطير للعطار حيث جرى الحديث عن مجنون أو واحد من عقلاء المجانين رأى غلمان أمير المدينة في زينتهم

فرفع رأسه إلى السماء داعياً : " تعلم إكرام العبيد من العميد " ، وفي الحكاية التي بين أيدينا المقصود بعميد خراسان فيما يبدو هو محمد بن منصور النسوى حاكم هرات ومن رجال العصر السلجوقى في القرن السادس ، وتوفى سنة ٥٩٤ هـ ، (عن مآخذ ، ص ١٨٣) .

(٣١٦٩ – ٣١٧٣) : كان الرجل معوزا عاريا جائعا فأبدى بعض الجرأة على الله تعالى ، والانبساط في مصطلح الصوفية الحديث دون رعاية للآداب ، ويجد له مولانا العذر ليس في جوعه أو عوزه أو عريه ، بل لأنه كان غائبا عن نفسه فلم تسيطر عليها ، كما أنه أيضاً كان نديما لله سبحانه وتعالى فتجرأ عليه كما يتجرأ النديم على الملك ، فإن جاز له هذا فلا يجوز لك ، إن النديم يتوقح على الملك لأنه " يعرفه " ، أما أنت وأنت لم تعرفه بعد فلا يجوز لك هذا ، وإن كنت لا تعرف فلك أن تعرف أن عطايا الله سبحانه وتعالى تفوق كل العطايا حتى لو وهبك أحدهم تاجا ، أكان هذا التاج يكون ذا نفع دون أن تكون هناك الرأس وهى هبة من الله تعالى .

(٣١٧٤ – ٣١٧٩) : هذا الجزء من الحكاية إضافة عليها لم ترد في الحكاية الأصلية ، كان مولانا يريد أن يرد على الدرويش فآثر أن يرد عليه في صورة الحكاية أيضاً : لقد تعرض الغلمان للتعذيب ولم يفش أحدهم سر العميد بعد أن مزق أربا ، ويرى استعلامي (٥/٣٦٥) ، في تفسير البيت ٣١٧٩ أن الهاتف كان للعميد الذي يعذب غلمانه وأن البيت يقصد : أن عبيدك هكذا عبيد طيبون لأنك كنت سيدا طيبا ، ولا أدرى من أين جاء بهذا التفسير لأن السياق يحتم أن يكون الهاتف للدرويش ، تعال وتعلم العبودية ، لقد كان العميد يغدق على الغلمان لأنه كان يعلم أنهم أوفياء حفظة لأسراره .

(٣١٨٠ – ٣١٨٦) : يترك مولانا قصة عميد خراسان ويقوم بإرشاد المريدين : ومزقت جلود أمثال يوسف أي تصرفت بجفاء مع الطيبين وأسأت إلى المحسنين (مر نفس التعبير في الكتاب الرابع ، الأبيات ٣٦٦٢) وفكرة أن الأحزان تحيق بالإنسان من فعله ، مرت في الكتاب الثالث ، ببيان أكثر روعة (انظر الأبيات ٣٤٨ – ٣٥٩ وشروحها) ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها ﴾ (الشورى /٤٠) . إن رجال الحق موجودون في كل عصر ، وإن سليمان هذا لماثل أمام الجميع ، (الكتاب الثانى ٣٧٨٢) ، فدعك من الأفعال الشيطانية وإلا قطعتك سيوفهم ، وكل من ترك صفاته الشيطانية لا خوف عنده من رجال الحق، ذلك أن الشياطين فحسب هم الذين

يخشونهم ، وحين يصل المرء إلى مرتبة الملائكة يكون عيشه فوق الأفلاك ، يكون آمنا من الكدح على الأرض ، لقد جاوز مرحلة الكدح ووصل إلى مرتبة الملائكة .

(٣١٨٧ - ٣١٩٤) : يعود مولانا هنا إلى مناقشة المجوسى الجبرى الذي بدأت القضية به ويخاطبه قائلا : دعك من هذا الجبر فهو جبر العوام ينفى عنهم مسئوليته كل خير وكل شر ، وأدخل في جبر الخواص الذي فنى وجودهم الفردى في الحق فصار فعلهم هو فعل الحق، ودعك من جبر الكسالى ، حتى يأتيك ذلك الجبر الذي يهبك روحا جديدة ، جبر الخواص والفانين في الله ، ودعك من عشقك لنفسك وكن عاشقا للحقيقة واقلع عن تخيل أنك طيب وخير وفائق على الآخرين ، انصرف قليلا عن أنيتك ، ولا يكن طوافك كله حول نفسك ، دعك من عبادة ذاتك ، فإن أولئك الذين يطوفون دائما حول ذواتهم لا شئ عندهم يقولونه ، فأى عالم هذا الذي يتحدثون عنه ، إنسان محدود بنفسه ، ماذا لديه لكى يقال ، إنه صامت كالليل حتى وإن تكلم ، إن عمرك كله قد ضاع هدرا ، والناس تحرك رؤوسها إعجابا ، وإن قال لك أحدهم أقلع عن هذا ، إن هؤلاء الذين يتجمعون حولك يظنونك ماء عذبا لأنهم لم يذوقوا الماء العذب ، تقول له : كفاك حسدا ، أي حسد ؟! هل يحسد الإنسان الغثاء والهباء والغثاثة والتفاهة ؟! إن تعليم هؤلاء مثل الرسم على المدر " الطوب " ، أما النقش على الحجر ، والذى يظل دائما فهو " العشق " و " النظر "، لكي تصير أستاذا وشيخا وتجد لك مريدين علم نفسك العشق وعلم نفسك النظر أي الإدراك الباطنى للشيوخ الكاملين .

(٣١٩٥ - ٣١٩٩) : ونفسك تلميذ وفي ، كما تعلمها تتعلم ، وكما تدربها تكون وما سواها من التلاميذ غير موجود ما دامت هى لم تتعلم ، وهؤلاء الأدنياء الأخساء لا يتعلمون منك شيئا ، وطالما تدعوهم فاضلين وعلماء ، فإنك تدل على أنك خلاء وخواء ، أنت فارغ وهم فارغون فمن أين يأتيك العشق ومن أين يأتيك النظر ، لكن إذا كان قلبك متصلا ببحر العلم اللدنى والعلم المطلق الإلهى ، فمن حقك آنذاك أن تتحدث لأنك " تغرف من البحر الذي لاينتهى " ، والذي يأتي إلى قلبك منه المدد باستمرار ، إنما يخشى من يأخذ من الجداول جفاف هذه الجداول ، وأمر " قل " ، إشارة إلى المواضع الموجودة في القرآن التى أمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ بالقول ، والآيات التى تبدأ بـ " قل " ، أما الأمر بـ " أنصتوا " ، فهو لأولئك الذين لم يبلغوا درجة من العلم ومع ذلك يتحدثون ويفيضون فسرعان ما تجف بساتينهم بعد إنفاق ما بها من ماء ، لكن المتصل بالبحر لا يجف علمه ولا ينفد .

(٣٢٠٠ - ٣٢٠٩) : ويا أيها المتحدث وأنت معتمد على هذا العلم الدنيوى ، دعك من هذا الكلام فلا طائل من ورائه ولا نتيجة منه ، وانظر إلى عاقبتك هنا ، وغيرتى لا تسمح لى بأن أرى الأخساء الذين جمعتهم حولك يستمعون إليك وهم يسخرون منك ، إنهم ليسوا بعشاق ، الذين جمعهم هذا الخطيب الدنيوى يستمعون إليه ، إنهم سخرية حقيقية من العشاق ، العشاق الحقيقيون مختفون " خلف حجاب الكرم " لا يتشدقون ولا يتظاهرون ، لكن وجدهم وصياح وجدهم تصل إليك أنت، والعشق الحقيقى يكون لعشاق الغيب هؤلاء ، أما عشاق الدنيا فإن عشقهم يدوم عدة أيام لا أكثر ، إنهم يستغلونك أيها الشيخ و " يأكلون " منك ، دون أن تنال منهم مثقال ذرة من فائدة ، وما قيامك بهذا المحفل في الطريق العام من أجل هؤلاء العوام ، كيف تبسط لهم بساط الإرشاد في الطريق العام ، لقد أهلكت نفسك دون أن تصل إلى هدفك من إرشادهم ، وعندما تسقط مريضا فلن يقف أحدهم إلى جوارك، ففى الحزن والألم لا مواسى إلا الله سبحانه وتعالى ، فهو الذي يكشف السوء ، ويأخذ باليد ، ويغيث المستغيث ، فتذكر أيام مرضك عندما ينفض هؤلاء المريدون العوام من حولك ، كن مثل إياز اعتبر أن أيام المرض هى السترة الجلدية ، وتذكرها مثلما كان إياز يقبض على سترته الجلدية بكلتا يديه.

(٣٢١٠ - ٣٢١٨) : عودة إلى مناقشة المجوسى الجبرى ، لقد رد المجوسى الجبرى ، بأجوبة لم يوردها مولانا واكتفى بقوله أنه حيرت "الرجل المنطيق" أى المشتغل بالمنطق ولعله يقصد أبا عمرو بن العلاء (انظر شرح ٢٩١٢) ثم يعود مولانا فيقول أن هدفه كله ليس القضية فى حد ذاتها ومن ثم فهو لا يطيل فيها ، وهناك أقوال عنده أهم من هذا المقال ومن قبل فى الكتاب الثالث (الأبيات ١٣٦١-١٣٧٥) عند التوفيق بين حديثى الرضا بالكفر كفر ومن لم يرض بقضائى فليطلب ربا سواى، ذكر مولانا صراحة أنه لو واصل المناقشة جدلاً ، فإن نقاط العشق سوف تمضى لذتها عنده ، وسوف ينقلب "دوره" إلى دور آخر أى سينقلب من مرشد صوفى عاشق إلى متكلم يجادل ، ثم إن مولانا يبين سعة أفق ، وموضوعية أنه إن

ذكر أدلة كلها فعليه أن يذكر أدلـة الآخر كلها ، ومن ثم فمن الأفضل أن يترك الموضوع برمته ، لأن الخلاف – فى هذه القضية وفى غيرها – قائم إلى يوم القيامة ، والله سبحانه وتعالى يمد كل فريق بأدلته ، وذلك حتى لا ينتصر أحد ، والنقاش فى حد ذاته لن يؤدى إلى نتيجة ما دام الحل كما رأى مولانا كامناً فى العشق ، والعشق ليس بالنقاش وليس بالجدل بل هو ذوق وموهبة وعطية .

(٣٢١٩ – ٣٢٢١) : إن وجود الاثنين وسبعين فرقة أمر ضرورى "إشارة بالطبع إلى الحديث الشهير : افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة وتفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة الناجية منها واحدة" لكن الإمام الغزالى فى فصل التفرقة بين الإسلام والزندقة نقل الحديث بصورة توحى بأن الفرق كلها ناجية إلا واحدة هى فرقة الزنادقة ويتفق هذا التفسير مع منطق مولانا فتبعه (سرنى ، جلد١ ، ص ٤١٤) فلا يمكن أن يكون وجود الفرق الهالكة ضرورة من الضرورات ، إن هذه المذاهب والفرق هى ظلال النور ، لأن هذه الأرض هى أرض الظلال ، وأرض المذهب الواحد واللون الواحد أرض أخرى ، الاختلاف إذن هو طبيعة هذه الأرض ، وينبغى أن تكون قابلاً له ، الله نفسه يقبله ، أليس هو الذى يهب – حتى المبتدع – هذه القدرة على النقاش؟ إذن فكيف يميز المؤمن ، إن لم يكن ثم مبتدع (ديدن مولانا جلال الدين إن المتضادات لازمة ، انظر الكتاب الذى بين أيدينا الأبيات ٥٧٥–٥٨١ وشروحها) .

(٣٢٢٢ – ٣٢٢٩) : وحتى إن كان للمحقق التعب والمشقة من كل هذه الفرق التى عليه أن يتغلب عليها حتى يحصل على الحقيقة فما الضرر فى هذا؟ إن عزة أى طريق فى وجود المشقة والتعب منه، حينذاك يكون اجتيازه نجاحاً حقيقياً ، ما قيمة أن تفتح مخزناً واهى الأبواب؟ وما قيمة هدف يكون طريقه سهلاً ميسراً لا عقبات فيه ولا وعورة ولا قطاع الطريق؟ وهل تكون زيارة الكعبة عزيزة إلا بقطع البوادى والتعرض لهجمات الأعراب؟

وبقدر ما تعانى من ألم الغربة تكون العودة إلى الموطـن عذبـة لذيذة ، أنظـر إلـى هـذه الفرق والمذاهب من هذا المنطلق ، كل سلوك فى طريق محمود يستلزم العقبات ، والمقلد هـو الـذى يحار بين الطرق ، عندما يرى أن ﴿ كل حـزب بمـا لديهـم فرحـون ﴾ (المؤمنـون ٥٣) ولأن الجواب الذى يقطع الجدل غير موجود ، فهو مستمر إلى يوم القيامـة ويتـدارك مولانـا : لا إن عظماءنا يعلمون هذا الجواب المفحم ، وإن كان هذا الجواب المفحم مخفياً عنا فهو ليس مخفيـاً عنهم والواجب علينا إتباعهم وأخذ هذا الجواب عنهم .

(٣٢٣٠ - ٣٢٣٩) : إن العشـق هـو الـذى ينهـى هـذه الوسوسـة وهـذا الجدال والعنـاد ، ولا يستطيع شخص ما مهما أوتى من عقل أن ينتصر على هذا الوسواس الخناس ، فصر عاشقاً ، وابحث عن الحقيقة ، فلا جمال هناك سوى جمال الحقيقة ، وابحث عن طيـور المـاء "الأرواح التى تستطيع السباحة فى بحار الغيب وتدرك هذه الأسرار" (وعن طيور الماء وطيور المنزل انظر الكتاب الثـانى٣٧٨١-٣٧٩١) ، ابحـث عـن الرجـال الذيـن وجـدوا حتـى تجـد ، إن هـذه الوسوسات تريق ماء وجهك ، وتسلب فهمك ، وهناك فرق بين معقولات أهل الدرس والكتاب والمدرسة ومعقولات أخرى يهبها لك العشق ، وهناك غير عقلك هذا الذى يدبر أمور معاشـك عقول أخرى عند أهل الحق تدبر لك معادك وتدبر أمور السموات ، وماذا إن وجدت أن عقلك الجزئى هذا لم يسع عشق الرحمن ولم يتحملـه فـانفرط بـدداً ، إن عقـل العشـق وعقـل الإيمـان الذى يهبه الحق لك هو أضعاف أضعاف هذا العقل الـذى خسـرته ، وقـارن ولا تكـن أقـل مـن نسوة مصر اللائى قامرن بعقولهن عندما رأين جمال يوسـف ، وسـلب العشـق عقولهـم لحظـة واحدة فملن هذه العقول إلى الأبد ، وإذا كان جمال ذى الجلال أصـل لمائـة جمـال مـن أمثـال يوسف "كل الجمال الموجود فى الأرض جزء من عشرة أجزاء من الجمال والتسعة الباقية للـه سبحانه وتعالى" ، فهل تكون أنت يا رجل الطريق أقل من امرأة ، ولا تقامر بعقلـك فـى سـبيل هذا الجمال ؟

(٣٢٤٠ - ٣٢٥٠) : فالعشق إذن هو الذى يقضـى علـى هـذا الجـدال بيـن الجبر والاختيـار ، وهو الذى يغيثنا من القيـل والقـال ، ومـا يدركـه العاشـق لا يمكـن التعبيـر عنـه ولا يسـتوعبه المقال ، قلتها كثيراً ولن أمل مـن تكرارهـا ، إن العشـق يفقـد المـرء النطـق ، يصيبـه بـالحيرة (انظر الكتاب الثالث ١١١٥-١١١٦ وشروحها) إنـه يخشـى أن يفتـح فـاه مثـلاً تسـقط جوهـرة الإدراك من بواطنهم ويستشهد مولانا بما رواه أسامة بن شـريك عـن أن صحابـة رسـول اللـه

ﷺ كانوا يجلسون فى مجلسه "وكأن على رؤوسهم الطير" عن أسامة بن شريك قال : أتيت النبى ﷺ وإذا أصحابه كأنما على رؤوسهم الطير . مسند أحمد ج٤ ، ص ٢٧٨ عن أحاديث مثنوى (أنظر أحاديث مثنوى ص ١٧٨) وما هذا كله إلا خوفاً من فوات العطاء ، وأنت أيضاً إذا جلست فى محضر الرجال العظماء فاجلس بحضور ووقار ولتكن كل سمعا وإصغاء وانتباهاً ، فالطائر المذكور فى الرواية هو طائر المجد الميمون ، إذا وقع ظله على شحاذ قلبه ملكاً ، وهل تفعل الإفاضات الإلهية من أفواه الكاملين غير هذا الفعل؟ إن هذا الطائر الذى يسلبك أنت هو "الحيرة" من هذا الذى يكشف لك ولم تكن تظن أنك جدير به ، تكون صامتاً لكنه يغليك (كحبة الحمص فى الكتاب الثالث انظر الأبيات ٤١٦٢-٤١٦٩) ليحولك من حالة الإنسانية إلى حالة الملائكية، ومن جسد إلى روح، مثلما تنضج حبة الحمص لتتحول من حالة النباتية إلى دم وفكر وروح فى بدن الإنسان .

(٣٢٥١ - ٣٢٦٣) : عودة إلى قصة اياز التى بدأها مولانا فى البيت ١٨٥٧ وأشار إليها فى البيت ٣٢٠٨ وفى العنوان تعنى كلمة عامدا أن السلطان كان يعلم الجواب لكنه كان يريد أن يسمعه من إياز ، وإياز هنا هو العبد الصالح الذى يدرك حقارته أمام الخالق . كيف تجعل يا إياز شيئا دنيويا هو في الحقيقة مانع في الطريق قبلة لك كما جعل المجنون من شئ دنيوى هو وجه ليلى ديناً له ومذهباً ، وكيف تتحدث بالجديد "الكلام" عن هيامك مع شيئين قديمين هما الحذاء والسترة ؟ وكيف يكون عشقك هكذا للجماد مثلما كان الشاعر العربى القديم يتحدث إلى الأطلال والربع والدمن بعشقه (قدم مولانا جواباً على هذا السؤال بالذات فى الكتاب الثالث الأبيات : ١٣٤٥-١٣٥٥ وشروحها) ولب القضية هنا أنه لا حديث بدون قديم بل ينبغى أن يقوم الحديث على القديم ، تراك يا إياز تعتبر حذاءك بديلاً عن ربع آصف "وزير سليمان الذى عنده علم من الكتاب" أو ترى سترتك الجلدية هى قميص يوسف الذى ألقى على وجه يعقوب فارتد بصيرا "والذى هو عند الصوفية رمز لبشارة الافاضات الإلهية"؟ أو تراك تقوم بالاعتراف الكنسي كما يقوم النصارى أمام القسيس بالاعتراف بذنوبهم ويؤمنون أشد الإيمان أن القسيس يغفر لهم هذه الذنوب وإن غفران القسيس من غفران الله ، فى حين أن القسيس غافل هو الآخر عن الظلم وعن العدل ، لكنه الاعتقاد قد ينصب على إنسان وقد ينصب على جماد ، وينسج الحب والوهم صوراً جميلة كجمال يوسف ، لأن سحر الحب وسحر الوهم أشد سحراً من سحر هاروت وماروت (انظر الكتاب الثالث ٨٠٠-٨٠٩ وشروحها) ، إن هذا

السحر يخلق صورة على ذكراه ، وهذا الانجذاب إلى الصورة يجعلك تظنها كائناً حياً فتعاملها كما لو كانت كائناً حياً بالفعل ، فى حين أنه لا صورة هناك ولا تمثال ومع ذلك فبينك وبينها مائة سؤال وجواب ، تخاطبها قائلاً : ألست محبوباً لك وتتخيل أنها تجيب عليك قائلة لك : بلى ، وكل هذا من الوهم ومن الخيال الذى صور لك وجوداً ليس موجوداً بالفعل .

(٣٢٦٤ - ٣٢٧٤) : إن أولئك الذين يبحثون عن الله سبحانه وتعالى فى آثار خلقه فى هذا العالم أشبه بتلك الأم الثكلى التى تبكى وليدها الذى مات ، وتجلس إلى قبره وتحدثه كأنه حى في حين أنه مجرد تراب ، إن خياله أمامها جسد لها هذا الوهم ، إنها تعتبر القبر ذا عين وأذن ، لكن عشقها لهذا الوليد هو الذى صور لها هذا الوهم ، وقد تكون أكثر حباً لهذا القبر (الوهم) من حبها لوليدها عندما كان حياً (الحقيقة) لكن عشق الميت لا يستمر ، ومن ثم أوصى دائماً بأن تعشق الحى الذى لا يموت، ومن هنا فلا تمر بضعة أيام حتى يهدها البكاء أمام قبر ذلك الطفل المحبوب فتنام ، وهل ينام المحب فى حضرة محبوبه؟ لا ، العشق الذى كان موجوداً مضى إلى حال سبيله ، "أخذ تعويذته ومضى" ، وعندما تنطفئ النيران لا يبقى إلا التراب .

(٣٢٧٥ - ٣٢٨٥) : والشيخ هو الذى يدرك هذا للوهلة الأولى ، كأنه يراه فى المرآة ، حتى وإن كان ينظر فى قطعة من اللبن ، إنه يستطيع أن يفرق بين العشق وعاقبته وبين الوهم الذى يبدو عشقاً ، والمثال مأخوذ من سنائى (انظر تفسيرات أخرى على شرح الأبيات ٢١٩٣-٢٢٠٩ من الكتاب الثالث وشرح البيت ٣٣٧٤ من نفس الكتاب والبيت ١٦٨ من الكتاب الثانى) وعن نفس هذه الفكرة عبر القشيرى عن الصوفية "مذاهبهم أقوى من قواعد كل مذهب فالذى للناس غيب فهو لهم ظهور، والذى للخلق من المعارف مقصود فلهم من الحق سبحانه موجود، فهم من أهل الوصال والناس من أهل الاستدلال (عن شروح كفافى الكتاب الثانى ص ٤٠٤) إننى أقصد بالشيخ الذى يأخذ بيدك هو عشقك أنت لا الشيخ صاحب اللحية البيضاء فجناح العشق يعبر بك الأفلاك مهما كنت قانطا ، إن الصور تتخلق وينشط الخيال ويسيطر الوهم عندما يكون فراق، لكن شتان ما بين ما تدركه عند اللقاء وبين هذا الوهم والخيال الذى كان مسيطراً عليك ، عامل نفسه آنذاك قائلاً لك : أنا الأصل فى الصحو السكر الذى ينعكس على تلك الصور (انظر الكتاب الثالث ٣٢٥٢) إن الذى انعكس على تلك الصور فجعلها تجلت لك بهذا الشكل هو حسننا ، وعند اللقاء رفعت الحجب ، وهذا هو الحسن بلا واسطة

(انظر الكتاب الذى بين أيدينا عن جرعة الحسن الصافية دون تراب الأبيات ٣٧٢-٣٧٩) وأنت من كثرة ما امتزجت بالصور (آثار وجود الحق) وفكرت فيها وتمعنت وتحيرت واندهشت وسبحت وكبرت وحمدت صرت جديراً بإدراك الذات مجردة من الصور ، فأجذبك برش لطفى وأنت لا ترى هذا الجذب لكنك لا تلبث أن تحس بآثاره ، فينبثق منك ماء المعرفة كما ينبثق النبع من الصخرة ويتوارى وجودك خلف هذا الماء كما يتوارى وجود الصخرة خلف الماء فلا تبقى صفاتها الصخرية ، واعلم أن الوجود الظاهرى للكائنات هى مجرد أوعية قيمتها بما فيها من معان ومدركات أودعها الحق إياها .

(٣٢٨٦ – ٣٣١١) : الحكاية الواردة هنا من الحكايات الشهيرة فى الأدب الفارسى قصها سعدى فى الكلستان وضمنها أبياتاً عربية من شعر المجنون (كلستان سعدى بتحقيق فروغي ص ١٦٩ ، تهران ب.د. وانظر إحدى ترجماته العربية "جبرائيل بن يوسف المخلع أو محمد موسى هنداوى أو الترجمة الأخيرة لأمين عبد المجيد بدوى) وأشار إليها مولانا فى بيتين من الكتاب الأول (٤٠٧-٤٠٨) وهى موجودة فى هوامش الديوان المنسوب لمجنون بنى عامر ، ويجيب المجنون هنا بما يؤيد الفكرة الموجودة فى البيت ٣٢٨٥ ، وهو أنه ليس المهم الوعاء (الصورة) لكن المهم هو ما يناله الإنسان من الوعاء (المعنى) وأن المعانى ليست متاحة لكل إنسان ، بل ينبغى أن يكون جديراً بها ، فالعشق أيضاً ليس جديراً بكل إنسان ويتراوح عطاء الأوعية بقدر تراوح واختلاف استحقاق الناس فيها فقد يكون "سما" (لذة دنيوية) لإنسان وعسلا "معرفة لعالم الغيب" لإنسان آخر والصورة مأخوذة من سنائى البيت ٤٦١ من الحديقة) وقاصرات الطرف أى حور الجنان موجودات فى الخيام "الأوعية" ولا يكون تجليهم إلا لمن وعدهم الله سبحانه وتعالى ، وكل شيء فى هذه الحياة نسبى وقائم على النسبة وإليك هذه الأدلة ، يوسف عليه السلام بالنسبة لأبيه وبالنسبة لأخوته وبالنسبة لزليخا (امرأة العزيز) بل أن هناك فرقاً بين حب يعقوب وحب زليخا ، انظر إلى الوعاء واحد ، ونصيب كل إنسان فيه مختلف بحسب درجة واستحقاقه وطبيعته ، الإناء واحد والخمور مختلفة ،الإناء ظاهر، والخمور مستترة ، وفى الأبيات العربية معانى تكررت فى أبيات فارسية سابقة والمقصود بها أن وجودك أيها الإله موجود فى داخلنا وإن كان مستتراً ونحن دليل على هذا الوجود .

(٣٣١٢ – ٣٣٢٤) : لا يزال مولانا فى مناجاته : إن الله سبحانه وتعالى كالريح غير ظاهرة لكن آثاره ظاهرة فى البساتين، وكالروح غير ظاهرة فى الجسد لكنها هى التى تحرك قوى

الجسد كله وكالسرور، لا يبدو لكنه يظهر فى الضحك وتهلل الوجه ، وكالماء الذى يسير حجر الطاحون دون أن يكون ظاهراً ، ويتوقف مولانا طالما قال أن آفة الحال هو المقال ، فما هذا الذى يقوله ، وما هذه الأمثلة التى يقدمها ، كيف يصف ما هو خارج الأوهام بهذه الصفات ، وكيف يتحدث عنه بهذه السطحية؟ ما أشبهه بذلك الراعى الجاهل الذى كان يناجى ربه بقوله : إنى راعيك ومحبك فتعال أخلى قميصك من القمل واخصف نعلك وأرعى حمارك؟ (القصة برمتها واردة فى الكتاب الثانى ابتداء من البيت١٧٢٤) لكنه العشق أثر فى قلبه فانطلق وهو الراعى الجاهل الغبى بهذا الحديث ، كان محباً ولم يكن خطيباً مفوهاً ، وأنت لا يتجاوز منك كل هذا الحديث الأذن .

(٣٣٢٥) : حكاية أخرى من حكايات الهزل عن مولانا، ومن حوالى ٨٠٠ بيت سبقت ، والإفاضات العميقة تنساب من مولانا ولا بد أن تحضر لطيفة فيقولها دون أن تكون خارجة عن السياق ، للتخفيف عن سامعه ، ولجحا فى الأدب الفارسى شأن ورويت عنه حكايات عديدة فى الحديقة (انظر حديقة الحقيقة الأبيات ٥٧٠٨-٥٧١٤ وشروحها) كما روى عنه مولانا حكاية فى الكتاب الثانى (انظر ٣١٢٨ وشروحه) . والقصة هنا لم ترد فى مصدر قبل المثنوى ، وربما كانت من التراث الشعبى وسقطت إلى عبيد الزاكانى شاعر القرن الثامن فى لطائفه ربما نقلا عن مولانا .

(٣٣٣٧ – ٣٣٣٩) : ينتقل مولانا من الفكاهة التى ألقاها ليتحدث عن تأثير الدعوة الإلهية عندما تجد لها مكاناً فى سويداء القلب وتؤثر فيه ويتجاوز تأثيرها الأذن ، والدليل سحرة فرعون الذين أدركوا أن موسى عليه السلام على حق وكانوا يعلمون أنهم لن ينتصروا عليه . وفى البيت ٣٣٣٨ إشارة إلى تهديد فرعون بتقطيع أيدى السحرة وأرجلهم (انظر الأعراف الآيات ١٠٥-١٢٠ وانظر الكتاب الثالث من البيت ١٧٢٣ فما يليه) وفى البيت ٣٣٣٩ إشارة إلى الآية الكريمة ﴿ لا ضير إنا إلى ربنا منقلبون ﴾ (الشعراء . ٥٠) .

(٣٣٤١) : ذات الإنسان هنا هى الروح التى تربطه بعالم المعنى وهى فى اتصالها بالوجود المطلق تعيش فى قصر موجود فى الأمن السرمدى ذلك أن من عرف نفسه فقد عرف ربه ومن عرف ربه كان فى حمى وأمن من هذه المعرفة ، والجسد هو بمثابة الشىء التافه الذى يرضى الأطفال ، لأن الطفل لا هم له فى المعرفة أما الرجال فهمهم القلب ، ذلك القلب الخالى من الشكوك والريب والمطمئن إلى معرفة الله سبحانه وتعالى ، وأنا أقصد بالرجل ذلك الرجل

فى الطريق صاحب القلب الفريد والروح التى تكون في قوة الصقر ، ولست اقصد به صاحب اللحية ، وإلا فلا قيمة لهذه اللحية وهو مشترك فيها مع التيس، والتيس الذي يغتر بلحيته ومظهره يقود القطيع إلى القصاب "شيخ المظهر لا القلب يقود مريديه إلى الذبح " ، انه يمشط لحيته " التيس وشيخ المظهر " ، ويتقدم إلى المذبح ، فهيا دعك من اللحية والمظهر ، وانظر إلى " سلوك " من اخترته شيخا ودعك من أنيتك وذاتك ، وأسلم نفسك له ، يكون لك من عبيره ما يجعلك مرشدا للعاشقين إلى رياض جنان الأبد ، أتدرى ما هذا العبير؟ إنه العقل والنهى. إن هذا العقل والنهى هو المرشد الطيب الذي يقودك إلى الفناء عن هذا العالم والبقاء ببقاء الحق في ملك الأبد .

(٣٣٥١ – ٣٣٥٥) : عودة إلى قصة المملوك اياز التى بدأها **مولانا في البيت ١٨٥٨ ويعود** إليها بين الآن والآخر، وها هو السلطان يطلب مرة ثانية من اياز أن يبين سر الحذاء والسترة، كى يكون في ذلك موعظة للمماليك الآخرين الذين هم في حوزة محمود ، ذلك أن الدين النصحية (حديث نبوى) ، إننى أعلم أنك يا اياز بتحقيقك العبودية " الوفاء للسيد والاعتراف بأياديه " قد علمت ذاتك وهو ما يتحسر عليه الأحرار ، إن العبودية أمام السلطان " الأكبر " هى عين النور ، إن إيمانك بالسلطان لا يتزلزل ، وهذا حسرة للكافرين من المؤمنين أن المؤمن في وهاء الحياة وجبالها لا يتزلزل ولا يفقد عبوديته أمام الخالق الأكبر .

(٣٣٥٦) : الحكاية التى تبدأ بهذا البيت وردت في تذكرة الأولياء لفريد الدين العطار **(ص ١٧٦)** : قيل لمجوسى " ادخل في الإسلام فقال : إذا كان الإسلام هو ذلك الذي عند ابن اليزيد فلا طاقة لى به ولا أستطيعه ، وإذا كان هو ما تمارسونه فلا حاجة بى إليه قط ،" وعندما يقول باحث معاصر : " عندنا أزمة مسلمين لا أزمة إسلام " ، يكون ناظرا إلى قول هذا المجوسى الذكي ، إن الإسلام بخير دائما ، موعود بالحفظ إلى يوم الدين ، لكن أولئك الذين يعتنقونه اسما لا فعلا ، وأولئك الذين يدعو أنهم يدافعون عنه ويريدون الموت من أجله يسيئون إليه من حيث لا يدرون ، ويشير مولانا من طرف خفى إلى قولة الإمام على الشهيرة : لا تبحث عن الحق بالرجال ولكن ابحث عن الحق تجد الرجال ، فإن قلت أن الإسلام هو ذلك الذي يتشدق به جميع المسلمين به ، فويلنا !! لقد صار اسما ولا معنى .

(٣٣٦٧) : الحكاية التى تبدأ بهذا المعنى وردت قبل المثنوى في فرائد السلوك ووردت في ربيع الأبرار بشكل مختصر ، ويدور الحديث في فرائد السلوك عن مؤذنين في " تفليس " ،

(هى عاصمة جورجيا الآن) ، أحدهما كان أهل تفليس يسرون من أذانـه ومـن صوتـه والثـانى كان قبيح الصوت بحيث أهدوه الهدايا حتى يغادر تفليس ولا يؤذى المسلمين بصوتـه (مـآخذ ١٨٥-١٨٦) أما رواية ربيع الأبرار فهي : مر سكران بمؤذن ردئ الحنجرة فجلد به الأرض وجعل يدوس بطنه واجتمع عليه الناس ، فقال : ما بى من رداءة صوتـه ولكـن شماته اليهـود والنصـارى بالمسلمين . (مـآخذ /١٨٦) . ولسعدى فـي البـاب الرابـع مـن الكلستان حكايتـان قريبتان من هذه الحكايـة عـن خطيـب كريـه الصـوت ومـؤذن سـنجار المتطـوع (ص ١٥٦ – ١٥٧ كليات) ، والحكاية في معظم نصوص المثنوى غامضة في البداية إذ كيف يؤذن المـؤذن فـي ديـار الكفـر ، وهـى تبـدأ فـي نسـخة جعفـرى بـإحدى عشـر بيـت غيـر موجـدة فـي كـل النصوص، أن المؤذن كان قبيح الصوت بحيث كان يؤذى الناس بصوته ويفـزع الأطفـال مـن نومهم فجمعوا له الأموال ودعوه إلى رحلة الحج مع قافلة مسافرة ليتخلصوا منـه ، ثـم تـدور الحكاية كما هى موجودة في بقية النصوص ، والمعنى هنا لا يخفى ، إن الإسلام طيـب فلابـد أن يكون كل ما فيه طيبا ، ولابد أن يعى الدعاة هـذا الـدرس وبخاصـة أولئـك الدعـاة الذيـن لا يملكون قلبا يصلح للدعوة أو لسانا يصلح لها أو علما يصلح لها ، بحيث لا تجدى دعوتهم نفعا لأن الدعوة إلى الحق والدعوة إلى الخـير لابـد أن تكـون فـي إطـار جديـر بهـا ، ولأن الداعـى ينافس وسائل إعلام تقدم الزيف والفساد في إطار شـديد الجمـال ، لا فـي فظاظـة وسـوء خلـق وخلقة والعياذ بالله ، وبيـان نـاب لا يتـورع عـن الإتيـان بـاللفظ الخبيـث ويسمون ذلـك ورعـا وخشية !!

(٣٣٩١ – ٣٣٩٢) : هذا المثال واردٌ في شعر أوحد الدين الأنورى بشكل مفصل وربما قرأه مولانا في ديوان أنورى (استعلامى ٣٧٤/٥) . وربما كـان أيضـاً مـن الحكايـات الرائجـة فـي أفواه العوام .

(٣٣٩٤ – ٣٣٩٥) : إن مؤمنا حقيقيا يستطيع بسلوكه وليس ببيانه أن يهدى أمة إلى الإيمـان، مثل الخيال (أو الهدف) الموجود في قلـب السـلطان أو فـي قلـب عسـكره يجعـل هـذا السـلطان ويجعل هؤلاء الجنود يجعلون خصومهم بددا في القتال ، إن القلب هو الأساس ، والهـدف هـو الأساس ، وكان مولانا قريب عهد بما صنعه المغول في الأمة .

(٣٣٩٧ – ٣٤٠١) : لقد كان محمد بن عبد الله ﷺ فـردا واحـدا ، لكنـه أفنـى اليهـود " وليتـه فعل " والمجوس ، ويعـود مولانـا وربمـا سـأله أحدهـم : لكـن اليهـود والمجـوس موجـودون ،

فيقول : لقد اهتز وجودهم ، فما قيمة البقاء على دين منسوخ ظهر فساده ، لقد آمن به من آمن، لكن الذين بقوا على كفرهم بقوا عليه مهتزين وليس لهم ثباتهم الأول ، وبقوا في خوف (كل ما تفعله إسرائيل مع العرب والمسلمين مصدره الخوف من أن تعود لهم قوتهم الأولى) ، ويعود مولانا قائلا : إنه ما أقوله على كل حال لا يستطيع أن يصور ما يدور في ذهنى تصويرا كاملا ، إن ما أقوله ذرة من وجود، لكن ما الذرة ؟! أهى ذلك الهباء الذي يتجسد في ضوء الشمس ، لا ليس هى ما أقصد ، أو تكون الذرة هى ذلك الذي لا يتفتت ولا ينقسم ، ولا هذه ، (تراه كان يقصد الذرة التى تفتت وصار العالم منها خرابا يبابا ، من يدرى ؟!) وما هو المراد الخفي الذي لديه من ذكره للذرة ، إننى أريدك أن تفهم منى ما أقول ، ولا محيص من أن أتحدث إليك بهذا الأسلوب لانك لم تدرك بحر الحقيقة بعد وأنت عليه مجرد زبد طاف ، وإن تركت هذا الوجود الذي يشبه الزبد ، فأنت البحر نفسه .

(٣٤٠٢ - ٣٤٠٨) : الكلام هنا للمجوسى الذي يتحدث بهذا الاعتقاد عن أبى اليزيد البسطامى، إن مشرق إيمانه ليملأن حتى حضيض الأرض بالكنوز ، ومن هذا النفس الربانى تخضر الوهاد ، عجيب هذا الشيخ ، وعجيبة روحه المنيرة في حين أن له مثلنا جسدا من تراب ووجودا ترابيا ، فمن يكون يا ترى منهما ، أهو هذه الروح ؟! إذن فما هذا الجسد ؟! أهو هذا الجسد ؟! إذن فما هى هذه الروح .

(٣٤٠٩) : الحكاية التى تبدأ بهذا البيت قال استعلامى انه لم يجد لها أصلا قبل مولانا (٣٧٤/٥) ، واذكر أننى قرأتها في عهد طفولتى في إحدى الطبعات الشعبية من " نوادر جحا " وأن الحكاية كانت بين جحا وزوجته ، وبالطبع لا يمكن تحديد مصادر هذه النوادر وهل هى موجودة قبل مولانا جلال الدين أو بعده. وبالطبع يرمز باللحم لروح ابى اليزيد والقط بجسده ، والإتيان بمثل هذه الحكاية اللطيفة داخل هذا البيان العميق المعقد يبين جانبا من جوانب روح مولانا جلال الدين وارشاده ومستويات المثنوى المتعددة التى تتعدد بتعدد مستويات مريديه .

(٣٤٢٠ - ٣٤٣٩) : الحديث للمجوسى : إنه كلما تأمل في شخصية ابى اليزيد يزداد حيرة ، هذه الحيرة التى لا تتأتى منه حلها ، ولا تتأتى أيضاً من مخاطبه ، والبيت التالى لمولانا : إنه كلاهما معا : أي روح وجسد ، مثلما يكون فى الزرع الحب (الروح) والقش والتبن (الجسد) ولابد للحكمة الإلهية أن تجمع هذه الأضداد معا ، ووجود الجسد ضرورى لأنه مركب الروح وكلاهما لازم للآخر ، وبكليهما معا تصح أسباب الدنيا ، وبعد إدراك الحقائق ، وبعد أن

تقضى هذه الحياة الدنيا يمضى كل عنصر إلى أصله (لتفصيل هذه الفكرة انظر الكتاب الثالث، الأبيات ٤٤٢٤ - ٤٤٤٤ وشروحها) وانتبه عبد الباقى (5/5240) إلى أن هذا المعنى مأخوذة من قطعة لسنائى موجودة ص ٧٧٤ في الديوان . إن الروح والجسد هما السبب في وجودنا الأساسى فيه ، هذه العلاقة بينهما ذات الارتباط باحتياجات وتناقضات موجودة في داخلنا لكن في الوجود علاقات من نوع آخر لا شهدتها عين ولا سمعتها أذن ، لأنها ليست من قبيل الحسيات ، وبعد إدراك حقائق الغيب لا حاجة لنا بحواس هذا العالم ، ولما بقيت الأذن أذنا ولا العين عينا ، تماما مثل الثلج والشمس ، أو المعرفة والوجود المادى ، فلو أطلت المعرفة على الوجود المادى لجعلته ماء (فيضا) ودواء لكل أشجار الحياة المتيبسة، أما ذلك الوجود المادى المتمثل في الثلج فلا سير روحى له ولا سير معنوى ولا فائدة منه لأحد ، ولا علاقة له بأحد ، ولامساس منه لأحد ، ولا يوجد منه إلا الشح فهو ليس مؤمنا (لان المؤمن يألف ويؤلف والمنافق لا يألف ويؤلف ولا خير في من لا يألف ولا يؤلف وخير الناس أنفعهم للناس) (أحاديث مثنوى ١٧٩) ، لكن خلقة الله لا تكون عبثا ، لقد يستفيق الكبد من هذا الثلج ، لكن لاإنماء منه ولا إنبات ولا خضرة ولا نضرة ولاحياة ، ويعود مولانا مرة ثانية إلى رابط هذا الكتاب من كتب المثنوى : اياز أو العبد المعترف بعبوديته الشاكر لأنعم ربه ، يا اياز تحدثت عن أبى اليزيد لكن نجمك أيضاً في صعود وعلو وسمو، لأن إيمانك ووفاءك لا يمكن قياسه بإيمان العوام ووفائهم إن كل وفاء ليس جديرا تهبك وكل صفاء غير لائق بصفاتك .

(٣٤٣٩) : الحكاية التى تبدأ بهذا البيت قال فروزانفر : أنها تشبه حكاية واردة في إحياء علوم الدين للغزالى ، بطلها أبى الحسين النورى الذي حطم دنان خمر كانت تحمل للمعتضد العباسى ، (مآخذ /١٨٧) ، وبالطبع عدل مولانا في تفصيلاتها كعادته في كل القصص التى ينقلها عن المصادر لكى يعبر من خلالها عن معان خاصة به ، والعنوان به بعض التناقض ، فإذا كانت الخمر حلالا في ذلك العهد الذي يصفه بأنه عهد عيسى فما وقوف الزاهد في الشارع للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وكسره لجرة الخمر التى يحملها الغلام من هذا المنطلق ؟! وهناك بالطبع من فقهاء الإسلام من قال بأن الخمر محرمة في الأديان الآخر على أساس أن تحريمها في الإسلام لأنها تذهب العقل وهذا شأنها في كل العصور (جعفرى : ١٢/٤٧٥-٤٧٦) ، ولابد أن مولانا جلال الدين كان يقصد خمرا أخرى لكى يصف الأمير معاقر الخمر بأنه " حلو الروح" ، وكهف المساكين و " المخمورين " ، ومشفق وسخى القلب

في حين أننا بتقدم الحكاية سوف ندرك من أخلاق هذا " الأمير " ، وتصرفاته ما يناقض كل هذه الصفات التى وصفه بها ، وسوف تقدم له النصائح بالبعد عن الخمر ، ويظل موقف مولانا جلال الدين ممن يجلسون على كرسى الإمارة " واضحا " كما عبر عنه في الكتاب الثالث (الأبيات التى تتحدث عن طغيان فرعون وعن باب الحطة الذي يذل الجبارين وفي الكتاب الرابع عن الوزير المقتر البخيل ، وحيثما عن له الحديث عن جبارى الأرض) ، والأمير الذي يقدمه هنا والجو العام للقصة يشير إلى بعض أمراء المسلمين الذين ضربوا بتعاليم الدين عرض الحائط وعله غلف الحكاية بعهد عيسى عليه السلام لكى يبعد الشبهة عن نفسه ، فأغلب الظن أنه كان يصف واحدا من أمراء السلاجقة العديدين الذين كانوا يحكمون إمارات الأناضول المختلفة في عهده وعندما وصفه بأنه " كهف المخمورين " ، كان يسخر منه .

(٣٤٤٦ - ٣٤٥٣) : أي خمر هذه يا ترى التى يجد منها العوام والخواص الخلاص !! غير تلك الخمر الإلهية التى تقوم جرعتها بفعل آلاف الدنان من الخمور الأخرى ، ففى هذه الخمر الإلهية مادة خفية ، تشبه تماما تلك القوة الروحية التى تجعل من رجال الله وهم متلفعون بعباءاتهم سلاطين على الدنيا وملوكا ، لا تنظر إذن إلى خرقهم الممزقة، إنها دريئة تخفيهم عن أعين العوام ، تحميهم من أذاهم ، كما يسود الذهب لكى يحمى من اللصوص ، انظر إلى الجواهر، يقوم الجواهرى بتسويدها حتى لا يتعرف اللص عليها (انظر الكتاب الرابع ، الأبيات ٢١٧١ - ٢١٧٣) ، ومن هذا القبيل دفنت الروح في الجسد كما تدفن الكنوز في الخرابات ، وذلك من أجل حجبها عن كل لعين لاحق له فيها ، ومن هنا كان جسد آدم سدا أمام نظر إبليس إليه ، فنظر إليه ولم يبصر روحه (انظر الكتاب الثالث ، الأبيات ٢٣٠١ - ٢٣٠٢) .

(٣٤٥٥ - ٣٤٦٠) : ينطلق مولانا في وصف الخمر التى اشتراها الغلام بما يوحى بأنه لم يكن يقصد تلك الخمر الدنيوية " فأراد بالأمير الروح وبالغلام النفس ومن الجرتين العقل والقلب ومن الرهبان أرباب الرياضات والمجاهدات من أهل الإسلام ، ولو انبعث نور العشق الإلهى من قلب سلطان الإرشاد وأرشد المريد لوضع الله على رأس المريد تاج الكرامة وأعطاه الدرجات العاليات (مولوى ٥/٥٠١) ، ولأثار هذا الشراب فتن العشق وأشواقه ، ولعلم جميع الناس من سادة وعبيد أنهم دون هذا العشق سواسية ولامتزجوا معا بحثا عنه وطلبا له ، ولعلم الملوك أن عرشهم ما هو إلا لوح من خشب (انظر الكتاب الرابع ، الأبيات ٩٠٨ - ٩٠٩ والبيت ٦٦١) ، ولتحولت العظام (وهى جماد الجسد) ، إلى أرواح ، وكل هذه

متضادات إن كان ثم صحو لكنها عند السكر ممتزجة امتزاج اللحم بالبر في ذلك الطعام المسمى بالهريسة ، فلا فرق إذا لا غرق أي لا سحو واستغراق في الفروق .

(٣٤٦٢ – ٣٤٧١) : يصور مولانا الزاهد بأنه ذلك المستغرق في الرياضات المتعصب ، الذي توجهت إليه الأحزان من كل صوب ، وأصابته الدنيا بجراحها ، فكأنه زاهدٌ ليس حبا في الزهد أو طلبا لطريق الله ولكن زهد في الدنيا كرد فعل لخداعها إياه ومكرها به ولكثرة ما أصابه من مصائب فيها ومن جراح من جرائها ، وهذا النوع من الزهاد يكون ضيق الصدر ، يتمنى لو استطاع أن يهدم هذا العالم ويبنيه من جديد فإن كان مضطرا إلى الإقامة وسط الناس، لقي الناس من عنته الكثير فينزل إلى الشوارع لأول بادرة من حزن أو انقباض ، ومن خلال حوار هذا الزاهد نعرف أن الأمير طالبٌ (للحق) مثله مثل أي إنسان سوى ، وندرك هنا أن الخمر هنا هى الخمر المادية العادية ، ويستبعد الزاهد من أمير طالب عقله مرتبط بعقول الآخرين ، وهناك عقول تعتمد عليه أن يفقد وعيه ، خاصة وأنه ليس مفيقا بلا خمر ، فماذا تكون النتيجة إذ شرب هذا الضعيف العقل الخمر ؟!

(٣٤٧٢) : الحكاية التى تبدأ بهذا البيت يذكر استعلامى أنه لم يعثر على أصل لها قبل مولانا ، ويذكر أن الألقاب التى ذكرها مولانا جلال الدين في العنوان من الألقاب الشائعة في أيام السلاجقة والخوارزمشاهيين (٥/٣٧٧) ، ويرى زرين كوب أن هذه الحكاية ذات أصول تاريخية عن بعض حكام بلخ (مسقط رأس مولانا جلال الدين) ، (سرنى را ، ص ٣١١)، وليس من المستبعد أن تكون الحكاية قد تمت في حضور بهاء ولد (والد جلال الدين) وأن يكون قد قصها عليه فيما بعد ، وبقيت في ذاكرته مثل كل شئ عن بلخ وبلاد ما وراء النهر التى عاش فيها طفولته المبكرة ، والحكاية ضربت هنا لبيان أن ضعيف العقل لا يزيده ضعفا بشرب الخمر ، كما أن مفرط القصر يبين قصره المفرط بالهم بالقيام كما يفعل طوال القامة .

(٣٤٨٠ – ٣٤٩٢) : المخاطب هنا هو الأمير : إنك لا تملك عقلا شديد اليقظة والذكاء بحيث " تريحه " ، قليلا بالخمر ، فما أشبهك بعبد حبشى يصبغ وجهه بالنيلة وهو أصلا لا يحتاج إليها ، وإن الإنسان ليبحث عن انعدام الوعى إذا كان عنده وعى أصلا ، ويقول الزاهد أن هذه " الخمر " ، إذا كان الله سبحانه وتعالى أحلها في زمن عيسى عليه السلام للعوام فلابد أنه حرمها على الخواص الذين يطلبون وجه الله ، وقصة تحريم الخمر في الإسلام شهيرة فليطلب من تفسير الجلالين على الآية الكريمة ﴿ يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب

والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ﴾ (المائدة /٩٠) ، والعشاق يسكرون من خمر المعرفة ومن ثم حرمت عليهم هذه الخمر ، إنهم ينظرون إلى طريق الحق وينتظرون منزل الوصول إليه فلابد أن يكونوا في غاية اليقظة والانتباه ، والعقل الذي تتمتع به أيها الأمير ، هو عقل يغيب عن الوعي دائما وشمسه في غياب وكسوف مستمرين رغم وعورة الطريق، وإنك لهذا تضلل المرشدين في هذا الطريق ، وتجعل رعاياك هالكين ضالين وما أحراك بأن تعود هذه النفس على الزهد ، فلا تجعلها تتمرد عليك بتعويدها على التنعم ، وافطمها عن لذائذ الدنيا ، وخذها بالاخشوشان ، إنها لص فاشنقها أو اقطع يدها ، أو قيد هذه اليد وإلا كسرت قدمك وأذلتك ، اسخر منها واجعلها تأكل التراب .

(٣٤٩٥ – ٣٥٠٦) : ها هو الأمير الذي كان مولانا يصفه بأنه أمير المؤمنين وكهف المستجيرين في صدر الحكاية يسفر عن وجهه الحقيقي ويستشيط غضبا وينهمر بالشتائم الخارجة على الزاهد ويذهب نفسه لتأديبه ويقف له وهو (الأمير) ، على قارعة الطريق يتهمه بهذه التهمة التى يتهم بها الطغاة الدعاة دائما بأنهم طلاب شهرة لا أكثر ولا أقل ، كل هذا والزاهد المسكين يختفى من غضبته هذه تحت الأغطية ، يهمس لنفسه قائلا : المرآة فقط هى التى تستطيع أن تواجه هذه الأمير بقبح وجهه ودمامة منظره ، وجهها الصلب الذي لا يخشى الكسر (كانت المرايا من الحديد المصقول) هو الذي يستطيع أن يواجه الأمير بقبحه وجبروته وجرأته على الحق .

(٣٥٠٧) : الحكاية التى تبدأ بهذا البيت ، قال استعلامى (٥/٣٧٨) انه لم يجد لها أصلا ولا يعرف أي حاكم لمدينة ترمذ كان سيد شاه ترمذ هذا ، بينما ذكر زرين كوب (سرنى ١/٣١١)، أنها ربما كانت من بقايا بعض الحكايات الشعبية عن بعض الحكام المحليين في ترمذ من الأسرة الحاكمة التى كانت معروفة باسم أسرة " السيد الأجل " ، على كل حال أيا كانت أصول الحكاية ، فإنها تؤكد ما ورد من أنه لا يمكن نقد الطاغية في وجهه ولا يمكن أن تقال الحقيقة في شأنه إلا " تحت اللحاف " .

(٣٥١٦ – ٣٥٣٤) : لا يزال الأمير في عنفوان غضبه وصياحه ورفسه للأبواب (في منتصف الليالى !!) بحيث نهض الناس من نومنهم – وهم جماعة – يلتمسون من " الفرد " الغاضب العذر للزاهد المسكين الذي نصحه نصيحة في محلها ، لقد كان أقاويل الناس كلها تحط من قدر الزاهد من أجل أن تنقذه من غضبة الأمير : فهو ضعيف العقل ، وهو زاهد

وشيخ ، وهو في حالة قبض دائما ، وهو أيضاً لم ير جزاء لزهده هذا ، وصار سعيه تبابا كأنه سعى اليهود لا إخلاص فيه ، وهو بلا أصل ، وحيد ، مسكين ، قابع في داره عبوس قمطرير ، ثم إن عينه تؤلمه ، وهو مجتهد دون يقين ودون حزم ، على الاحتمال والوهم والظن ، ثم إنه لا يبحث عن " الرئاسة " ، أي لن ينافسك أيها الأمير الأجل ، حتى في عبادته ليس ثابتا على حال ، إنه يشكو إلى الله دائما أنه غير مفلح في دنيا وغير مفلح في عبادة ، وأحيانا ينعى حظه من الدنيا ، أن الآخرين يطيرون بأجنحة المعرفة وهو مجرد (زاهد) مقطوع الجناح ، إنه أيها الأمير ذو لون واحد ، سجين لطريقة واحدة من طرق المعرفة هى الزهد ، وكل سجين للون واحد يكون في ضيق واكتئاب ، إننا حتى نخشى عليه من كثرة اكتئابه ، أن ينتحر وينهى حياته ، حزنا على ما أصيب به من خيبة وما حاق به من أحزان .

(٣٥٣٥) : يبدو أن مولانا انهمك في قصة هذا الزاهد وحالته وانقباضه ويأسه وقنوطه " من الهجر " وأراد أن يثبت أن الهجر قد يؤدى بالعارف إلى " الانتحار " ، فساق قصة عن الرسول ﷺ أغلب الظن أنها من القصص المنتحلة أو الموضوعة ، وإن كان فروزانفر قد ذكر أن هناك بعض الأخبار فى سيرة ابن هشام ورواية عن ابن عباس في دلائل النبوة تصلح أن تكون أساسا لهذه القصة (مآخذ /١٨٨) . عن ابن عباس إن رسول الله ﷺ لما نزل عليه الوحى بحراء مكث أياما لا يرى جبريل فحزن حزنا شديدا حتى كاد يعدو إلى بثير مرة وإلى حراء مرة ، يريد أن يلقى نفسه منه، فبينا رسول الله كذلك عامدا لبعض تلك الجبال ،اذا سمع صوتا من السماء فوقف رسول الله ﷺ صعقا للصوت !! (جعفرى ١٢/٤٩٤) . كما مر بنا ذكر مولانا لمحاولة الشيخ محمد سروزى الغزنوى إلقاء نفسه من فوق الجبل لأنه لم يوفق في الوصول إلى الجمال الإلهى (انظر ٢٦٧٠ من الكتاب الذي بين أيدينا) وفي البيت رقم ٣٥٤٠ كشف الحجاب : أي أدرك نور النبوة من داخله .

(٣٥٤١ – ٣٥٤٨) : يعلق مولانا : كيف أن الناس يفكرون في الانتحار عند كل محنة يواجهونها وهم يتحملون أصل المحن داخل أنفسهم ، أي تلك " النفس " ، التى تعتبر أصل كل المحن ، وهناك من يضحون بأنفسهم ، وأنا في حيرة من أولئك الذين يضحون بحياتهم وأرواحهم ، لكن ألا يضحى كل منا بحياته ويهب كل عمره لشئ ما ، فما أسعده ذلك الذي يضحى بجسده من أجل روحه ، وإذا كان كل إنسان مستعدا للقتل في سبيل شئ قد لا يبقى بعده ، ويضيع المشتاق والمشتاق إليه ، فلماذا لا تكون التضحية بالروح في سبيل هذا العشق،

كما كان ذلك المقبل العظيم محمد بن عبد اللـه ﷺ ، يريد أن يفعل ، إنـه العاشـق والمعشـوق والعشق فكلها واحد (تذكرة الأوليـاء ، ١٨٩ فـي قـول لأبـى الـيزيد البسـطامى عـن اسـتعلامى ٥/٣٨٠) ، إن مائة حياة كانت في هذا القتـل (عـن البقـاء بعـد الفنـاء ، انظـر مقدمـة الترجمـة العربية على الكتـاب الثـالث) ، فـإذا كـان أهـل الهـوى فـي نـوى بعد نـوى وهجـر بعـد هجـر فارحموهم أيها الكرام فلستم تعرفون ما بهم من عذاب .

(٣٥٥٢) : " إنما يرحم الله من عباده الرحمـاء " (أحـاديث مثنـوى ، ص ٧) ، و " الراحمـون يرحمهم الرحمن " (انقروى ٥/٧٥٠) .

(٣٥٦٢ - ٣٥٧٠) : لم يعد هناك من بد من التقرب إلى الأمير و التشفع لـلزاهد عـن طريـق النفاق ، لقد بلغ غضبه قمته " والطاغية أصل الغضب " ، ولم يعد هنـاك إلا التقـرب إليـه عـن طريق مدحه بما هو ليس فيه ويرى استعلامى أن الأبيـات هنـا فـي مـدح " الإنسـان " لكـن إذا جاز هذا من البيت ٣٥٧١ فلا ينطبق على الأبيات التى قبلها التى يوصف فيها الأمير بالجمـال واللطف والخد المورد إلى آخره ، والكريم ابن الكريم ابن الكريم في حديث نبوى هـو يوسـف عليه السلام (مولـوى ٥/٥١٥) ولعـل اسـتعلامى انطلـق مـن يوسـف بـن أحمـد المولـوى الـذي فسـر الأبيات هذا التفسير الذي فحواه : أي جمال يطلبه الإنسان من الخمر وهو من جمله الله تعـالى بنفخته وجعل وجهه كشمس الضحى ، وجعله منورا لكوكب الزهرة (مولوى ٥/٥١٥) ، وإلـى مثل هذا التفسير ذهب إسماعيل الانقروى (٥/٧٥٣ - ٧٥٥) .

(٣٥٧١ - ٣٥٨٢) : من هنا يترك مولانا قصة الأمير والزاهد " دون أن يتمها فلا نعـرف إن كان قد عفا عنه أو انتقم منه " ويتحدث عن الإنسان الكـامل ذى الأبعـاد التـى تخـرج عـن هـذا العالم واحتياجات هذا العالم ، إن الوجود كله فـي شـوق إليـه ، ذلـك الإنسـان المتصـل بـالبحر الكلى ، فكيف يتوق إلى قطرة من خمر هذه الدنيا ، الإنسان الذي قال الله فيـه ﴿ ولقـد كرمنـا بنى آدم ﴾ ، وقال ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾ ، إنه هو الجوهر الذي سخرت له كل الأعـراض وكل الخليقة " يا ابن آدم خلقتك لأجلـى وخلقـت كـل الأشـياء لأجلـك " (أحـاديث مثنـوى ، ص ١٨١) ، لقد سخر له العقل والتدابير واللب ، ومع ذلك فقد باع نفسـه رخيصـا ، " كـان أطلـس فخاط نفسه على خرقة " ، إنك أصل كل علم ومع ذلك تبحث عن العلم فـي الكتـب ، لـك قلـب يسع الخالق الذي لا يسعه الأرض والسماء ، وهكذا ففى وجود فـي حجـم قطـرة الظـل اختفـى بحر ، وفي جسد حدة ثلاثة أذرع ، هناك عالم أكبر قد انطوى :

أتزعم انك جرم صغير | وفيك انطوى العالم الأكبر
وأنت الكتاب المبين الذي | بأحرفه يظهر المضمر

أتراك تبحث عن السرور خارج نفسك وأنت معدن السور ، كيف تكون شمسا وتطلب السرور من ذرة ، وكيف تكون معدن السرور " كوكب الزهرة " ، وتطلب السرور من جرة ، والروح التى لا توصف ذلك العالم العجيب تجعل لها كيفية للسرور ، والشمس ، الشمس العظيمة تحبس في عقدة الرأس أو عقدة الذنب " أدنى هبوط الكواكب وفيه يقع الكسوف " (لأفكار مفصلة حول موضوع تكريم الإنسان عند فكر مولانا جلال الدين ، انظر مقدمة الترجمة العربية للكتاب الرابع ، من مثنوى جلال الدين ، تحت عنوان الإنسان ذلك العالم الكبير) .

(٣٥٨٣ – ٣٥٩٠) : يرد الأمير بأنه لا يقتنع بهذه السعادة التى يتحدثون عنها ، إنه " خدن " " لهذه " الخمر ،ويصف أحوال في السكر بها ، وأن من جرب لذة هذا السكر لا يمكن أن يقبل تلك اللذة التى يتحدثون عنها ، إنها لذة خاصة بالأنبياء ، لأن الأنبياء قانعون بلذة القرب من الحق ، وذلك لأنهم ذاقوها ، ومن ذاق عرف ، ومن هنا فهم عشاق للمحجوب الحى ، ومن عشق محبوبا حيا ، كيف يأنس بمحبوب ميت من أنس بالآخرة كيف يأنس بالدنيا ؟!

(٣٥٩١ – ٣٥٩٨) : ﴿ وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وإن الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون ﴾ (العنكبوت /٦٤) ، ويكرر مولانا في المثنوى هذه الفكرة القائلة بأن كل شئ في الدنيا حتى الحجر شاهد بوجود الحق وعالم الغيب بشرط أن يفتح عين باطنه (انظر ١٠١٩ و ٣٩٠٣ من الكتاب الثالث) ، والعبارة المذكورة في العنوان ليست حديثا نبويا بل تنسب حينا إلى الإمام على ﷺ وحينا إلى الإمام على زين العابدين السجاد ﷺ (استعلامى ٣٨٢/٥) ، ويقابل مولانا جلال الدين بين عالمين : عالم من الأحياء وعالم من الموتى ، ومن ثم فإن من صار حيا بالنفس الإلهى لا يهنأ له عيش في دار الموتى فطعامها يليق بالأنعام ، ومن أنس برياض الجنة لا يقيم في هذه القمامة ، والروح لا تستريح إلا إذا عادت إلى موطنها في عليين أما من يقيم في هذا البعر فهو دودة ، والكأس الطهور ﴿ وسقاهم ربهم شرابا طهورا ﴾ هو للثملين بالله ، وذلك الذي لم يأنس بعدل عمر رضى الله ، يقول عن الحجاج بن يوسف الثقفى سفاح بنى أمية ، أنه عادل ، والبيتان التاليان مأخوذان من حديقة سنائى (حديقة الحقيقة ، الأبيات ٦٩٦٢ – ٦٩٧٠) ويشيران إلى أن الدنيا مجاز للآخرة ، وصورة طفولية ، مجرد صورة لا نفع فيها ، والحقيقة الكبرى هناك في الآخرة ، في العالم الحى الباقى ؛ والفكرة عند سنائى أكثر تفصيلا .

(٣٥٩٩ - ٣٦١٥) : وهكذا لأن الكفار من عشاق الصورة فقد صوروا الأنبياء على جدران الأديرة والكنائس وقنعوا بهذه الصور ، ونحن لا تهمنا هذه الصور في شئ ، فنحن مازلنا في نوبة ضياء محمد بن عبد الله ﷺ ودينه حي في نفوسنا وقلوبنا فلا حاجة لنا بتصويره على الجدران ولا حاجة بنا إلى الظلال، فإن كانت صورة أحدهم قد بقيت في الدنيا ، فإن الآخر صورته في كبد السماء ، وهناك إنسان جلس يستعرض نفسه ويتحدث إلى الآخرين بالنقاط ، وهناك إنسان آخر يعيش مع الحق تعالى في آلفة ويتحدث إليه . إن أذن جسده تسجل الكلام الذي يسمعه هنا لكن أذن باطنه تجذب إليه أسرار عالم الوجود ، وعينه الظاهرة مركزة على البصر لكن عين السر حائرة في ﴿ ما زاغ البصر وما طغى ﴾ (انظر عن الفرق بين العينين الكتاب الرابع الأبيات ٢٦٤١ - ٢٦٤٤ وشروحها) ، وبينما تكون قدمه (الظاهرة) في صف الصلاة ، تكون قدمه الباطنة طوافة حول الفلك وهكذا فعدد أعضاءهم ، هناك أعضاء ظاهرة هى التى تموت بموتهم وهذه لا يهمنا أن تصور على الجدران ، إنما يهمنا تلك الأعضاء التى هى خارج الزمان والتى لا تموت ، وفي نفس الوقت لا يمكن تصويرها لأنها معانى، إنها تتبع ولا تصور ، وما للأنبياء يكون للأولياء ، ومن ثم فإن ذلك الولى الذي هو ولى الدولتين (دولة الظاهر ودونة الباطن) ، وإمام القبلتين (قبلة الكعبة ووجه الله) ، إن مثل هذا الولى الذي اقتبس أسرار الأنبياء وتمثل بهم لا تلزمه خطوات الولاية التى تلزم الناس العاديين فلا خلوة ولا أربعينيه تلزمه (عن الخلوة والأربعينية انظر الكتاب الثالث ١٦١٦) بالنسبة لهؤلاء البشر الذين نجو من حلقات الضياء والظلام في الليل والنهار ووضعوا أقدامهم في نور الأبدية، لا حاجة هناك إلى خلوة ، إنه كامن في قرص الشمس (فى منبع النور ومصدره) .و ما أشبه هذا القول بقول سعدى :

إن الليل بالنسبة لأولياء الله	يتلألأ كأنه النهار المضى
وهذه العادة ليست بقوة الساعد	بل يهبها الله الوهاب

(انقروى ٥/٧١٣)

وقد مر في الكتاب الرابع قصة أبى عبد الله المغربى الذي لم ير ظلمة الليل طيلة ستين عاما (انظر الأبيات ٥٩٨ - ٦٠٦ من الكتاب الرابع) . لم تعد هناك خشية ولا مرض وبحرانه (الروحى) انتهى تماما . لم يعد بين الشك وبين اليقين، لقد تبدل كفرهم إلى إيمان كامل ، لا شئ لديهم إلا الألف المجردة (الاستقامة المجردة بلا إضافة نقطة أو غيرها وبلا انحناء) ،

خرج عن أوصافه ودخل في أوصاف الحق فذاب فيها ، صار عاريا من كسوة الطبع أي من أدران المادة وإضافات الجسد ، وأصبحت روحه عارية محتاجة إلى ذلك الحبيب الذي يطيل العمر ، فألبسه الله تعالى رداء القدس والملكوت من أوصافه جل شأنه ، فسما به من حضيض الوجود إلى قمته ، هذا هو الأمير الحقيقى ، وليس الأمير إياه المعربد من أجل الخمر والذي لن يعود إليه مولانا أبدا .

(٣٦١٦ - ٣٦٢٥) : وهكذا صفا هذا الولي وهذا الأمير الحقيقى على البشر من كدره ، وعندما يصفو الماء يسمو عن وعائه ويبقى الكدر في قاع الوعاء ، إن هذه التراب الثقيل يعطل الروح عن سيرها ، وهو رفيق سوء يقعد رفيقه عن السمو والعلو ، لكن تلك الروح كانت قوية وقاومت هذا الطين وسمت عليه وتخلصت منه ، لقد كانت قبلته عندما سمعت أمره تعالى ﴿ قلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ﴾ ولم تكن هى وحدها التى تعانى هذا العقاب وهذا الهبوط وهذا الذل ، كان هاروت أيضاً كذلك بالرغم من أنه كان من ملائكة السماء ، كان يظن هو وماروت أنهما لن يذنبا وأنهما معصومان من الذنوب فلما هبطا إلى أرض الذنوب ، ارتكبا من الذنوب ما لا يرتكبه الإنسان العادى في عمر طويل ، لقد ابتعدا عن مصدر النور ، فتسرب منهما النور (انظر الكتاب الثالث ، ٧٩٦ وما بعده ، و ٢٦٧٤ من الكتاب الرابع و ٣٠٠٣ من الكتاب السادس ، والكتاب الأول ٣٣٣٤-٣٣٦٤ و٣٤٢٩-٣٤٣٠ والكتاب الثانى : ٢٤٧٥-٢٤٧٨) مثل تلك السلة التى رأت نفسها وهى مغموسة في ماء البحر مليئة بالماء ، فانفصلت عن البحر فأصبحت خالية تماما ، لم تكن تعرف أن الماء من البحر وليس منها ، ولما احترق كبدها من الفراق اشفق عليها بحر الرحمة واستدعاها إليه ، هذه الرحمة الجياشة من لدن الخالق الرحيم الرحمن لا علة لها ، وقد لا تسبقها طاعة ، إنه العطاء الإلهى الذي لا يريد سبباً .

(٣٦٢٥ - ٣٦٣٤) : فاجعل الله هدفك وحوم حول بحر الرحمة وحول أولئك الذين يعيشون بالقرب منه من الأولياء وكمل الرجال ، مهما رأيتهم صفر الوجوه فديدن من ينتظر لقاء الله أن يكون أصفر الوجه وهذا اللون هو اللون الجدير بهم ، فإن حمرة الوجه دليل على أن صاحبه لا ينتظر شيئا ولا يشتاق إلى شئ ، إن الطمع في لقاء الله طموحٌ لا حد له ، إنه يجعل الإنسان نحيلا أصفر الوجه ذليلا وإن كان صحيح الجسد فإن جالينوس نفسه يتحير من صفرة وجهه هذا لقد طمعت في أنواره ، والرسول ﷺ قال : {من طمع ذل نفسه}لكن العشق

يسمو بالإنسان ومن ثم ينبغى أن يكون الحديث النبوى {طوبى لمن ذلت نفسه} (انظر ٣٧٩٦ الكتاب الثالث) والنور بلا ظل هو النور الحقيقى فكن طالباً له ، ولا تطلب النور ذا الظل الذى يشبه النور الداخل من فتحات غربال والمعنى الموجود فى البيت ٣٧٣٣ ورد فى الكتاب الأول (البيت ١٣٦) والمقصود أن الحديث المباشر أفضل فى هذا المجال حتى يدرك كل إنسان أن المائدة الإلهية من المعارف والمعانى إنما تمد (للصائمين) عن موائد الدنيا المبتعدين عنها ، أما المدعون (الذباب) فسواء لديهم الألفاظ والمعانى التى تحتوى عليها هذه الألفاظ .

(٣٦٣٥ – ٣٦٤٦) : عودة إلى الخيط الجامع يبين أجزاء هذا الكتاب أى قصة إياز فلا يكاد السلطان يطلب من إياز أن يفسر له سر غرامه بالسترة الجلدية والحذاء الريفى حتى يترك مولانا القصة وينصرف إلى موضوع آخر وكأنه أحس أن القارئ (أو السامع) لم يعد جاهلاً بالسر، لكن السؤال هنا يحمل صيغة الجواب وكأن السلطان يقول : إننى أعرف سر تعلقك هذا ، لكنك لابد سوف تقدم لنا تفسيراً (جديداً) لهذا المجال القديم ، فالأحوال متشابهة ومتكررة ، لكن العارف يقدم لها تفسيراً جديداً ، ويحس من جرائها بشعور جديد ، لأنها لابد وأنها نابعة من منبع جديد هو عين أسرار عالم الغيب ، دعك من عالم الحواس الخمسة والجهات الستة ، وإن كنت أعلم أن هذه الأحوال الباطنة لا تتأتى فى بيان ، بل لابد أن تبنىء بأمثلة من هذا العالم الظاهر، إن لطف الحبيب يجعل حتى تلك المرارة التى نحس بها من الفشل ألذ من السكر، ولو أن ذرة واحدة من هذا السكر الذى وهبه اللطف الإلهى تنزل فى هذه الدنيا لحولت كل مراراتها إلى شهد ، وتيار اللطف الإلهى سار فى الكون ، وليس مجرد حالة واحدة ، بل آلاف الأحوال ، تأتى من الغيب ثم تعود ، والماء الذى يجرى فى جدول ليس فيه سدود ليس ماءً واحداً فكل العالم فى لبس من خلق جديد ﴿ أفعيينا بالخلق الأول بل هم فى لبس من خلق جديد ﴾ (ق ١٥) ، عالم سرور العارف ليس ماءً راكداً بل ماء متجدد، كل يوم سرور جديد ، وكل يوم فكرة جديدة تحل بالقلب كالضيف ثم تمضى (الفكرة موجودة فى الكتاب الثالث بالنسبة لجذرى القبض والبسط فى القلب انظر الأبيات ٣٦٠-٣٦٣) وهكذا فإن قلبك هذا كأنه منزل إبراهيم عليه السلام (القلب أيضاً هو كعبة الجسد) ، تنزل عليه الضيوف فلا بد إذن أن تكون كابراهيم عليه السلام مكرماً للضيوف ماداً موائدتك لهم ، وإياك أن تضيق بفكرة نزلت على قلبك بل أكرمها لأنها لن تلبث أن تعود إلى العدم (أى عالم الغيب) فهذا العالم أى عالم العدم هو أصل الوجود .

(٣٦٤٧) : القصة التى تبدأ بهذا البيت لم يجد لها أى من مفسرى المثنوى مصدراً قبل مولانا جلال الدين ولعله ألبس أفكاره بعض الشخصيات فالمرأة هى النفس والرجل هو العقل الطالب للكمال أو القلب الباحث عن الله والضيف هو الواردات الغيبية التى ينبغى بفرح المضيف لها لا أن يبدى ضيقه .

(٣٦٦٦ - ٣٦٧٠) : إن الضيف أو الوارد الغيبى ، أو كما يتضح فيما بعد الرجل الذى كان ولياً من أولياء الخضر عليه السلام ، (الأولياء المسافرون الجوابون فى البلاد دوماً) يدعو على نفسه التى سمحت له بالاستراحة من السفر وأخرت العودة إلى أصله ومنبعه ، فهذه الاستراحة قاطعة للطريق ، لقد كان وجه الرجل كالشمعة نورانياً ، وكانت الصحراء تمتلئ من نوره (انظر حكاية أبى عبد الله المغربى فى الكتاب الرابع وشرح الأبيات ٣٥٩٩ - ٣٦١٥ من الكتاب الذى بين أيدينا وحكاية الدقوقى من الكتاب الثالث) ، لقد كانت الفكرة التى وقرت من قبل الرجل المضيف أن الضيف كان ولياً كبيراً وأنه كان سيمنحهما الحياة الخالدة (الفناء فى الله) .

(٣٦٧٦ - ٣٦٩٥) : يعود مولانا جلال الدين إلى الحديث عن ضيوف "الفكر" والمقصود الواردات القلبية والأحوال التى تترى على الإنسان والتشبيهات والتغيرات هنا تذكر بالأبيات ١٣١٤-١٣٢٥ ، وغالباً ينظر مولانا إلى الإنسان على أنه "مجرد فكر" وما بقى عظام وعروق :

يا أخى إنك لست سوى فكرك

وما بقى منك هو مجرد عظام وعروق .

فإن كان فكرك ورداً فأنت بستان ورد

وإن كان فكرك شوكاً فأنت وقود لموقد الحى

(الكتاب الثانى البيتان ٢٧٨-٢٧٩)

وفى الأبيات التالية يتحدث مولانا عن القبض والبسط (الحزن والسرور) أو الأفكار التى تسبب الحزن والأفكار التى تسبب السرور وفى كتاب سابق شبهها مولانا بالكسب الذى يعقبه الإنفاق أو الدخل الذى يعقبه الإنفاق وسكر السرور الذى هو ثمرة بستان الحزن والبسط الذى هو سعة وإنفاق والقبض الذى منه يكون الدخل (انظر الكتاب الثالث الأبيات ٣٧٣٣-٣٧٦٩ وشروحها) كما وردت فكرة عبوس السحاب والبرق وفضل ذلك على البستان فى الأبيات المذكورة من

الكتاب الثالث وانظر إلى مولانا يتبع تيار الأفكار عند المرء وكيف تتراوح هذه الأفكار بين الحزن والسرور لكن لله تعالى لطفاً مخفياً في ثياب القهر وقهراً مخفياً في ثياب اللطف ويتحد القهر واللطف في التأثير (انظر الأبيات ٥٤٥-٥٤٨ من الكتاب الرابع والكتاب الخامس ١٥٠٧ و ١٥١٠) المهم أن تكون متيقناً من هذا صبوراً على البلاء متقبلاً لكل ما يأمر به الله تعالى ، فرحاً بقهره انتظاراً لما يعقبه من لطف ، إن هذا الفكر سوف يعود إلى الله تعالى فيخبره عن سلوكك معه ، عن أسلوب تعاملك مع هذا الضيف النازل بك ، وادع الله إن حل بك البلاء واعتبر بأيوب عليه السلام ، لقد حل به البلاء لسبع سنوات فلم يعبس في وجه هذا البلاء ولذا قال الله تعالى عنه ﴿ إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب ﴾ (ص/ ٤٤) وكان جزاؤه المغتسل البارد والشراب وأهله ومثلهم معهم ، رب أعذني من شرها وأنلني من برها ، وإن حل بك اللطف فقل ﴿رب اوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين﴾ (النمل ١٩) .

(٣٦٩٦ - ٣٧٠٧) : هذه الفكرة العابسة الحزينة على مثال السحاب الممطر منه يكون للأرض البوار الحياة ، وكم خلق الحزن والحرمان من أعمال عظيمة في حين يكون من الترفه والفرح المستمر موت القلب وموت الروح بل ترهل الجسد ، فلا تعبس في وجه الفكرة العابسة ، ابتسم في وجهها ، فلعل فيها جوهراً مهدى إليك وأنت لا تدري ، حتىوإن لم تستفد ، فمتى كانت الفائدة هي الهدف ، إنك بهذا الرضا تزيد عاداتك الطيبة عادة جديدة ، قد تنفعك هذه العادة فيما بعد وقد تقضي بها حاجاتك ، وفكر إن الفكرة التي تمنعك من السرور هي بأمر الله تعالى وحكمته ، فانظر فيها إلى حكمة الله من جميع جوانبها ، ولا تنظر إليها هوناً إن كنت حقاً من رجال الطريق وفتى من فتيانه ، فلعل فيها حسن طالعك وإقبالك وعطاء الحق لك ، ربما كانت هي الأصل في انطلاقك ووصولك إلى ما تطمح إليه، في حين أنه من الممكن أن تعتبرها أنت فرعاً من الفروع ورد عليك وصار عقبة في طريقك ، فإن اعتبرتها فرعاً ، ظللت في انتظار أصلها ، والانتظار مر يا بني ، ومن الانتظار يعانق الموت ليل نهار ، فعانق هذه الفكرة ، بدلاً من معاناة الانتظار فالانتظار أشد من الموت الأحمر (انظر ٢١٣٤ من الكتاب الذي بين أيدينا) .

(٣٧٠٨ - ٣٧١٥) : عودة إلى قصة إياز وكان آخر ذكرها في البيت ٣٦٣٧ . والحديث من السلطان عن رجولة إياز تلك الرجولة التي يثبتها عند موقفين عند الغضب وعند الشهوة (انظر

الكتاب الذى بين أيدينا الأبيات ٢٨٩٢ وما بعده وشروحها) فهذه هى الرجولة الحقيقية ومتى كانت الرجولة بالذكر ، إذا كان الأمر هكذا ، فالحمار أكثر رجولة من الرجال ، وإذا كنت تريد وصف الرجال فارجع إلى القرآن الكريم وأقرأ فى سورة التوبة ﴿ فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين ﴾ (آية ١٠٨) واقرأ فى سورة النور ﴿ رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ﴾ (آية ٣٧) واقرأ فى سورة الأحزاب ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ﴾ (آية ٢٣) ، لكن الأجساد الضخمة موجودة فى سوق القصابين ومن جعل همه بطنه وما يملأ به هذا البطن فليس عقلاً ، بل هو أقل من الذيل وأقل من الإلية .

(٣٧١٦) : الحكاية التى تبدأ بهذا البيت لم يجد مفسروا المثنوى أثراً لها قبل مولانا ، ويبدو أنها من الفكاهات الشعبية التى تتناقلها الألسنة لكن الحكاية هنا تبدو فى غير موضعها، فأمر الرجل لابنته أن تسيطر على نفسها وهي في قمة شهوتها أمر مثير للسخرية ، لأن هذا الأمر لا يتأتى من الرجال المسلطين على شهوتهم فكيف يتأتى من امرأة؟ ولا يزال كثرة القصص ذات الإطار الجنسى (ولا أقول المدلول الجنسى فلم يقدم مولانا حكاية واحدة ذات مدلول جنسى) فى هذا الجزء يثير التساؤل : هل كان مولانا قد ضاق من الأمثلة التراثية فى أن تفعل فعلها ، فنزل إلى مستوى أقل المريدين لكى يضمن لأفكاره أن تصل؟ الله أعلم .

(٣٧٣٧) : طبقاً لقاعدة التداعى يقدم مولانا مثالاً آخر لذلك الذى يبدو "رجلاً" بل و "صوفيا" لكن نفسه مسلطة عليه فهو يذهب إلى ميدان القتال ، لكنه ليس رجل قتال ، إنه "صوفى" من إياهم من أولئك الصوفية المدعين الذين يظنون التصوف اكلاً وصوفاً ولواطاً ، ويتحدث عن انخداع العوام بأمثال أولئك الصوفية المزيفين فيتوهم أنه شيخ وأنه مرشد وأنه قطب ، ويصدق هذا الوهم مثل المعلم إياه الذى أوقع صبيان المكتب فى روعه أنه مريض (انظر الحكاية بالتفصيل فى الكتاب الثالث ابتداءً من البيت ١٥٢٣) ، لقد ظن أنه من عظماء المجاهدين فى الجهاد الأكبر (جهاد النفس) فمن ثم ماذا يبدو الجهاد الأصغر (الغزو) إلى جواره جولات جهاده الصوفى؟ لقد عارك الصوفى فى غير معترك ، وهجم على صورة الأسد الذى توهمه (على طواحين الهواء) ، فقالت له التجربة ، تعال ، والامتحان والتجربة فى طريق كل مدع تنتظره لتفضح ادعاءه (انظر عن الامتحان ٧٤٠-٧٤٧ من الكتاب الثالث وشروحها) .

(٣٧٤٤) : الحكاية من هذا البيت غير مقنعة ، وفيها بعض "تساهلات" مولانا، وهى على كل

حال قليلة فى المثنوى. فمتى كان الأسرى يقتلون فى الإسلام؟ ومتى كان قتل الأسـرى يعتبر غزواً؟ كان المقصود فضح الصوفى المدعى للشجاعة ، لكن ليس على حساب قيم الإسلام فـى الجهاد .

(٣٧٥٦ - ٣٧٥٨) : ما أشبهك وأنت مستكين لهذه النفس الأسيرة بهذا الصوفى الذى لم يستطع أن يقتل أسيره بل وانتصر عليه واعتلاه ذلك الأسير المغلول ، وإذا كنت هكذا أمام امتحان النفس وهو امتحان يسير بالنسبة لما سوف تصادفه من امتحانات فى حياتك فماذا أنت صانع فيها؟ .

(٣٧٨٠) : يقول استعلامى (٥/٣٨٩) أن المقصود بالحكاية هنا هو العباضى لا العياضى ، وهو فى معظم نسخ المثنوى العياضى بالياء وقال ولى محمد أكـبر آبادى فى شرحه أنه أبو بكر محمد بن أحمد العياضى من فقهاء سمرقند لكنه العياضى دون تشديد الياء ووزن الشعر يستدعى تشديدها (الشارح : ليست مشكلة فالشاعر الفارسي يتصرف فى التشديد عند الوزن) ، ويضيف استعلامى : إنه من الصعب تحديد من هو المقصود ، والعياضى الوحيد المذكور قبل مولانا موجود فى الباب الثانى من كتاب أسرار التوحيد باسم أبى الفتوح العياضى كشاهد لإحدى كرامات أبي سعيد دون أن يقول لنا من هو أبو الفتوح هذا ، ويواصل استعلامى إنه قرأ ما يشبه هذه الرواية فى تذكرة الأولياء عن الشيخ أحمد بن خضروية (البلخى) من أنه ظل فترة يضيق على "نفسه" التى بين جنبيه وذات يوم كان جماعة ذاهبين إلى الغزو ، وألحت على النفس أن اذهب معهم كنت أعلم أن النفس لا تهدى إلى طريق الحق وأن فى إلحاحها هذا مكراً ، فكبحت جماحها وضيقت عليها الخناق فاعترفت فـى النهاية قائلة كنت أريد أن تقتل وتغتر بشهرة الشهاد وبأنك صرت محبوباً للخلق ، وأنجو أنا أيضاً من هذا التعب وهذه الرياضة "الصوفية" لكنه ما لم يذكره استعلامى ، وما لم يذكره فروزانفر وتجاهله تماماً أن الأبيات الأولى تذكر بقوله خالد بن الوليد رضى الله عنه الشهيرة "لقد شهدت ألف غزوة أو زهاءها فما بقى فى جسدى ضربة سيف أو طعنة رمح ، وهكذا أموت على فراشي كما يموت العير فلا نامت أعين الجبناء " ، هذا التجاهل شبيه بتجاهل الشراح الفرس لرواية عمر بن الخطاب وسارية رضى الله عنهما الواردة فى الكتاب الثالث (انظر مناقشات الرواية تعليقات الأبيات :٥٠٨-٥١٦ من الترجمة العربية للكتاب الثالث) ومن الممكن بل المرجح أن اسم العياضى من لدن مولانا أو اسم للصوفي لم يعرف بعد ، وأن مولانا وفق بين ما ورد عن

خالد رضى الله عنه حين موته وبين الرواية المروية عند أحمد بن خضروية فى تذكرة الأولياء ونسج منها حكاية .

(٣٧٩٧ -٣٧٩٨) : من هنا إضافة من مولانا والمضمون هنا قريب من الحديث النبوى {إنكم تموتون كما تعيشون وتحشرون كما تموتون} .

(٣٨٠٣) : إشارة إلى ما سوف يرد فى حكاية تالية من حكايات الكتاب الخامس (انظر البيت ٣٩٥٠ من الكتاب الذى بين أيدينا) .

(٣٨٠٥ - ٣٨١٤) : يقارن مولانا بين اثنين من الصوفية : ذلك الصوفى المزيف الذى مر ذكره ، والذى استطاع الأسير المغلول أن ينتصر عليه لأنه كان قد خرج إلى الحرب رياءً وسمعة وليس عنده من فنون القتال النذر اليسير ، وهذا الصادق الذى خاض الحروب والمعارك لكنه لم يسمح "للنفس" أن تقوده مرة إلى الحرب رياءً وسمعة وفضل الجهاد الأكبر داخل الخلوة ، وكثير من هم الذين لا يخوضون جهاداً أصغر مدعين أنهم يخوضون الجهاد الأكبر متناسين أن بداية الجهاد الأكبر تستلزم عودة من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأصغر فى البداية ويدق مولانا على قيمة الصدق ، إن الله تعالى خلق هؤلاء الصوفية المزيفين لكى يكونوا دلالة على وجود الصوفية الصادقين ، إنهم أشبه بعصى السحرة لا تلبث عصا موسى أن تظهر فتلقفهم جميعاً ، أين هؤلاء الصوفية من هذا الصوفى يقول شارحو المثنوى أنه العياضى لكن مولانا يقول آخر ويذكر أنه جرح فى الحرب فربط جرحه وقاتل حتى استشهد ومن الواضح أنه ليس العياضى المذكور فى الحكاية .

(٣٨١٥) : إن الأمر يحتاج منك إلى استمرارية ، لا تغفل عن هذه النفس الأمارة لحظة واحدة بل داوم على إذلالها ومخالفتها ، وأشد ما تحرص عليه هذه النفس هو المال فقاوم رغبتها هذه بإنفاقه حتى ولو لم تجد وجها للإنفاق إلا أن تلقيه فى اليم"؟!!" والمصدر هنا ما ورد فى كشف المحجوب "الترجمة العربية ص ٢٧٢ لكاتب هذه السطوروآخرين" يروى أن الشبلى رمى أربعة آلاف دينار فى نهر دجلة، فلما سئل ماذا يصنع قال الحجارة أولى بالماء فسئل لماذا لا تعطيها الفقراء ؟ فقال : سبحان الله ماذا أقول إذا سألنى : لماذا رفعت الحجاب عن قلبى ووضعته فى قلوب إخوانى المسلمين كما ذكر ابن الجوزى فى تلبيس إبليس ص ٣٥٧ حمل أبو الحسن النورى ثلاثمائة دينار ثمن عقار بيع له وجلس على قنطرة وجعل يرى واحداً واحداً منها إلى الماء ويقول جتنى تريد أن تخدعنى منك بمثل هذا .

(٣٨٢١ – ٣٨٢٥) : عودة إلى حكاية الصوفى المقاتل الكرار غير الفرار: لقد انكسر رمحه عشرين مرة وجرح مرة ثانية ثم سقط ليكون مع المتقين فى مقعد الصدق ، ﴿ إن المتقين فى جنات ونهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر ﴾ (القمر ٥٤–٥٥) ، إنه لا صدق دون بذل للروح فاقرأ ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ﴾ (الأحزاب ٢٣) .

(٣٨٢٦ – ٣٨٣٥) : إياك أن تسمى هذا موتاً، إنه موت الصورة لكنه ليس موت الروح (انظر الكتاب الثالث الأبيات ٣٥٣٧ – ٣٥٤٧ وشروحها) ويضيف مولانا إن الشهادة ليست بالجسد ، فالجسد مجرد مطية ، فانظر من يركبه ، لترى ماذا قدمت إلى الله سبحانه وتعالى هل قدمت له نفساً لم تجد مركبها فاتجهت إلى العالم الآخر ، إذن خسرت الدنيا والآخرة ، وما أشد سذاجتك ، فليس كل قتيل شهيداً ، فالكفار أيضاً يقتلون ، وإلا صار كل قتيل فى مقام أبى سعيد (فسره مولوى بأنه أبو السعادة) ٥/٥٥٢ وهكذا فسره الأنقروى ٥/٨٠٢) وقال استعلامى أن المقصود هو أبو سعيد بن أبى الخير الصوفى والشاعر الفارسى فى القرن الخامس وأبو سعيد بن أبى الخير لم يمت شهيداً. أليس من المحتمل ان يكون اسم الصوفى المذكور فى الحكاية السابقة هو أبا سعيد ؟ إن الشهيد الحقيقى هو من قتل هذه النفس ونجا منها قبل أن يقتل البدن ، يصبح جسده سيفاً فى يده وليس سيفاً مسلطاً عليه بشهواته، لقد تبدل الرجل لم يعد هو هو عندما كانت نفسه بين جنبيه مسلطة عليه لكن السيف بقى وبقى فى يد الحق ،ومثل هذا الرجل لا يهتم بالألم ولا يأبه به لا مثل أولئك الرجال "الجوف" الفارغين كأنهم الغبار .

(٣٨٣٦) : فى سياق الحديث عن رجال الحق يقدم مولانا هذه الحكاية التى وردت قبله فى أكثر من مصدر ورواية صاحبه المستطرف هى أقرب الروايات إلى جزئيات الحكاية عند مولانا جلال الدين (استعلامى ٥/٣٩١) وأبطال الحكاية سواء فى رواية المستطرف أو فى رواية نشوار المحاضرة لم يكونوا من الملوك فلا ذكر لملك الموصل أو خليفة مصر وربما حول مولانا الأبطال إلى ملوك لكى ينقد ملوك عصره وأمرائه .والحديث هنا عن الشهوة ونحن أمام رجلين كلاهما خضع لشهوته ، وإن كان أحدهما قد انصرف عنها فى نهاية الحكاية ، وفى الحكاية قدر لا بأس به من المواقف الجنسية وقد تناولنا دلالتها فيما سبق (انظر على سبيل المثال لا الحصر تعليقات البيت ١٣٣٣ من الكتاب الذى بين أيدينا) لكن الجديد هنا أن مولانا يجعل الشهوة سبباً لاندلاع الحروب ،ولم لا وكثير من الحروب قديماً وحديثاً ربما

كان السبب في إذكاء أوارها شهوة امرأة لرجل أو رجل لامرأة ، والعصور القديمة حافلة بما يضيق المجال عن حصره ، والذى يثير السخرية هنا أن القائد مسلم والبلد التى هاجمها مسلمة والخليفة الذى انفذه وطلب منه أن يستخدم كل قوته فى سبيل الظفر بالمحظية الجميلة مسلم والضحايا مسلمون وعلى كل حال لم يكن هذا من المستبعد فى عصر مولانا حيث كانت الدولة الإسلامية تعاني من التفكك، فمن شرقها احتل المغول جزءاً كبيراً منها، والأناضول نفسها قسمت إلى عدة إمارات كانت الحرب تدور بينها لأتفه الأسباب بالرغم من أن كل أمرائها ينتسبون إلى البيت السلجوقى .

(٣٨٥٨ – ٣٨٦٤) : يترك مولانا القصة ليتحدث عن العشق الذى هو سر الكون وسر الخليقة وهو كالبحر والأفلاك والسماوات من فوق مجرد زبد ، وما دوران الأفلاك وتجدد الكون إلا بالعشق ومن نزوع كل أجزائه بعضه إلى بعض،وبدون هذا يتجمد الكون كله (انظر ٤٤٠٥-٤٤٢٤ وشروحها) وما تحول الجماد إلى نبات والنبات إلى حيوان والحيوان إلى إنسان إلا بسر العشق (انظر الكتاب الثالث الأبيات ٣٩٠٣-٣٩٠٩ والكتاب الرابع الأبيات ٣٦٣٧-٣٦٤٣ وشروحها) ومتى كانت الروح تتمحى فداءً لعودتها إلى تلك النفخة الإلهية التى هى أساسها والتى هى تجذب أرواح الواصلين إلى الحق (انظر ٢٨٩٠ من الكتاب الذى بين أيدينا) إن هذا العشق هو السبب فى التسامى والعلو ، فكل جزء نزاع إلى الكمال وإلى العلو. وبتسبيح الله سبحانه وتعالى يتطهر الجسد من علائق هذه الدنيا حتى تستطيع الروح أن تطير إلى الأعالى (انظر الأبيات ٤٣٩٥-٤٤٢٣ من الكتاب الثالث والأبيات ٢٠١١-٢٠١٤ من الكتاب الذى بين أيدينا) .

(٣٨٦٥ – ٣٨٧٩) : الكلام عن الشهوة التى تخدع الإنسان حتى فى النوم "السراب"، والحديث قد يكون عن البطل الذى اصطحب الجارية أو عن أى إنسان يظن نفسه قوياً وهو يبدو مسلوب الحيلة مفتضحاً أمام الشهوة (انظر الكتاب الثالث الأبيات ١٦٩٥-١٧٠٠ وشروحها) إنه بطل فى الحروب لكنه أمام شهوة جسده مكتوف اليدين لا يستطيع أن يتقدم خطوة إلى الأمام أو خطوة إلى الخلف، وكأنه ممن تنطبق عليهم الآية الكريمة ﴿ وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون ﴾ (يس ٩) لقد استطاع ثعلب (فى الأصل أرنب) أن يلقى بأسد فى البئر (انظر الكتاب الأول من البيت ٩٠٤) فكيف لم يستطع مقاومة شهوته ولم يثنه الخوف من الخليفة عن فعلته؟ وكيف تأتمن رجلاً يخلو بامرأة اللهم إلا إذا كان

هذا الرجل معصوماً كيوسف عليه السلام محفوظاً برعاية الله معتصماً بمعرفته ، فاستطاع أن يقاوم هذه الشهوة وهو غلام يراهق البلوغ .

(٣٨٩٦ - ٣٩٠٦) : إن الاتصال ليس مجرد اتصال جسدين إن الأرواح أيضاً ذات نصيب منه، وهو ليس مجرد لقاء وقتي ينتهي بانتهائه، لكن انظر إلى نتائجه ومن لقاء الأرواح أيضاً تتولد روح ثالثه واتصال الأرواح تستطيع أن تنظر إليه بعين الباطن ، ثم إنه أى تلك التى تتولد عن اقتران الأرواح تظهر صورها فى الغيب ، ومن ثم فما لم تظهر لك تلك الصور عياناً لا تكن سعيداً هكذا من كل قرين، بل أجل سعادتك هذه إلى ذلك الموت الذى تنتظر فيه إلى هذه النتائج، وحتى تعلم أن إلحاق الذريات الوارد فى الآية الكريمة ﴿ والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم ﴾ (الطور ٢١) مبدأ صادق ، إن هذه الأعمال التى تقوم بها فى الدنيا ذات صور وآثار تنطق بقيمة هذه الأعمال (انظر لتفصيل هذه الفكرة الأبيات ٣٤٦٠-٣٤٨٥ من الكتاب الثالث وشروحها) هذه النتائج تنتظرك كأنها ربات الحجال والحور المقصورات فى الخيام تناديك يا غافلاً تعال، فمن سبقوك إلى عالم الغيب فى انتظارك، فما تلكؤك هنا؟ هيا أسرع وفى البيت ٣٩٠٦ عودة إلى ذلك البطل الذى خان الأمانة من جراء الشهوة .

(٣٩١٠ - ٣٩٢٤) : يترك مولانا سياق القصة ويتحدث عن الخبر وعن العيان ، ومتى كان الخبر كالعيان ؟ إن الوصف مجرد تصوير من أجل أن تتخيل عين الوعى الشيء الموصوف ، ومتى كان من وظائف الأذن أن تشاهد الصورة ، وفى البيتين التاليين ترجمة رواية حدثت بين الإمام على والإمام الحسن رضى الله عنهما (مآخذ ١٩٢-١٩٣) ، قال الأصمعى : سأل على بن أبى طالب الحسن ابنه رضوان الله عليهم كم بين الإيمان واليقين؟ قال أربعة أصابع. قال وكيف ذلك؟ قال الإيمان كل ما سمعته أذناك وصدقه قلبك، واليقين ما رأته عيناك فأيقنه قلبك وليس بين العين والأذنين إلا أربعة أصابع (العقد الفريد ص ٢٧٦ ، ج٤) لكن الأذن تنفع فى بعض الأحيان ، وهى التى تثير الخيال وإذا كان الخفاش قد احتجب عن الشمس ، فإن خيالاً من الشمس وتصورا لها هو الذى يخيفه منها ويسوقه نحو الظلام ، فى حين أن خيالاً أمام من يدرك قيمة هذا الخيال قد يدفعه وقد يسوقه إلى الحقيقة. وكيف تقلل من قيمة الخيال ، وكل تصرفاتك قائمة على هذا الخيال؟ وهناك فرق كبير بين الخيال والحقيقة ، ولا يستطيع أى إنسان مقيم على الخيال أن يدرك حقائق من هم أمثال موسى حتى

ولو استطاعوا أن يتخيلوه، فليس كل شيء يمكن أن يتخيل، هذا أمـر بـالذوق وبالتجربـة. فهل هناك شجاعة قبل ممارسة الحرب بالفعل ؟ (لا شجاعة يا فتى قبل الحروب انظـر ٤٠٠٧ مـن الكتاب الثالث) إن المخنث يقيم الحروب كلها فى خياله وهو من خياله هذا يهجم علـى صـور البطل رستم المرسومة فى الحمام ، ويظن أن هذا قتال، ويتوهم أن هذا انتصار ، وهـذا الخيـال الحاصل عن السمع سرعان ما تفضحه الرؤية والواقـع ، ومـاذا يكـون المخنـث آنـذاك يصبح كأنه المرأة العجوز فى عجزها ولا يستطيع أن يفعل شيئاً .

(٣٩٢٥ – ٣٩٣٤) : لقد تحدث مولانـا فـى الأبيات السابقة عـن الإدراك عـن طريـق السمع والرؤية الباطنيـة أو بعبـارة أخـرى الإدراك النقلـى والإدراك العينـى والإدراك العقلـى، ويعبر مولانا عن النقل بالعلم التقليدى أو علم أهل الحس، والإدراك العقلى والباطنى أو العلم التحقيقى هو علم أهل القول (استعلامى ٥/٣٩٤–٣٩٥) وهـذا الادراك النقلـى والعينـى يمكـن أن يصـل إلى مرحلة الإدراك الباطنى بشرط عناية الحق سـبحانه وتعـالى وإرشـاد الشيخ وجهـد السـالك ومن هنا يقول مولانا: اسع لكـى تصـل مـن مرحلـة البـاطل (العلـم النقلـى) إلـى مرحلـة الحـق وعندما تصل إلى مرحلـة الحـق تسـتطيع حتـى الأذن إدراك هـذا الحـق فـلا تسـمع سـوى هـذا الحق ، وتصبح لهذه الأذن قيمة فما تسمعه يكون كأنه المشاهدة ليـس هـذا فحسـب بـل يتحـول الجسد كله إلى عين تشاهد(تتحول كل شعرة فى أجساد العارفين إلى عيـن) ، إن هـذا الإدراك يحول الصدر كله إلى مرآة ينعكس فيها هذا الجمال الالهى، جاهد إذن ليكـون خيـال (الحقيقـة) زائداً فهو الدليل لهذا الباحث عن الحقيقة الى الحقيقـة والمجـاز هـو قنطـرة الحقيقـة، فيهـا أيهـا الملك يا ملك الدنيا تحامق مع هذه الجارية والمحظيـة والزوجـة لألـف زوج– بتعبـير حـافظ – فترة من الوقت هذه هى ؟؟ وكل إنسان أخذها فترة من الوقت ، ويـا مـن أنـت فـى دنيـا كحلـم النائم ، اعتبرها حلماً ، وتعامل معها كحلم ، إن المأمن هنا فى البحث عن رضـا اللـه سـبحانه وتعالى ، فاتخذه مأمناً ، قبل أن يأخذ جلاد الموت بحلقك .

(٣٩٣٥ – ٣٩٤٦) : منكر البعث فى البيت ٣٩٣٥ هو نفس المنافق المذكور فى البيت السابق إنه لا يعرف سوى ما يراه بعينيه ولا يعترف إلا به، فقل له ما أشبهك بطفـل يقـول أنـا لـم أر العقل فهل يعنى هذا أن يتخلى العـاقل عن عقلـه؟ وإذا جـاء أحـد العقـلاء وأنكـر العشـق علـى أساس أنه لم ير هذا العشـق الـذى يتحدثـون عنـه هـل معنـى ذلـك أن يختفـى هـذا العشـق عـن الوجود لأن إنساناً لم يذقه لم يعترف به؟ أنظر إلى الفرق بين نظرة إخوة يوسـف إليـه ونظـرة

يعقوب (انظر الأبيات ٣٣٠١-٣٣٠٣ من الكتاب الذى بين أيدينا) وموسى عليه السلام لم يكن يعرف أن عصاه (وهى فى يده) سوف تنقلب إلى حية ، وهناك فرق أيها السيد بين هذه العين التى تنظر بها وعين الغيب ، فعين الغيب هى التى رأت العصا حية ولم يرها صاحب العصا مع أنه نبى، كما أنه لم ير اليد البيضاء ، وهى يده وفى جيبه، كان الله تعالى فحسب هو الذى يعلم ، وأنت على كل حال مقيم على ما أنت عليه، لأنك محروم ترى كل ما أحدثك عنه خيالاً ووهماً وكل همك مصروف على شهوة البطن وشهوة الفرج ، ولا أملك إلا أن أقول لك ﴿لكم دينكم ولى دين﴾ (الكافرون ٦) فلا فائدة من الحديث إليك ، ولا فائدة من عرض الإيمان على من شاخ على الكفر :

والشيــــخ لا يترك ما بــــــه حتـــى يـــوارى فى ثـــرى رمســــه

(٣٩٥٧ - ٣٩٥٨) : البيتان ناظران هنا إلى الآية الكريمة﴿"وإن من شىء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم﴾ (الحجر ٢١).

(٣٩٦١ - ٣٩٦٩) : يتحدث الخليفة الى المحظية وكأنه سلطان من سلاطين الطريق ، ويتحدث عن النور الذى فى قلبه ويهديه إلىالحقيقة ، والقمر المخفى بالغمام ، والمصباح الذى يكون تحت الطست هو قلب العارف عندما تشغله أمور الدنيا ، وكأن السلطان هنا يدعى أنه من العارفين وعباد الله المؤمنين الذين وهبوا "الفراسة" وإجلاء القلوب ، وينظر بنور الله وإن كانت الدنيا تشغله بين الحين والآخر ، ووضع المصاحف على بعضها عادة إيرانية قديمة ، والمصاحف السبعة تعبر عن القراءات السبعة (مولوى ٥/٥٧٠) .

(٣٩٧٤ - ٣٩٨٤) : يترك مولانا سياق الحكاية وينصرف إلى بيان فكرة تحدث عنها قبل ذلك بالتفصيل فى الكتاب الثالث الأبيات ٣٤٤٥ - ٣٤٨٥ وشروحها) إن كل شيئ تظنه مخفياً سوف يظهر لك عياناً يوم الحشر ، إنك إن زرعت بذور السوء هنا فلا تظن أنك سوف تجنى خيراً فى الحشر، وما أشبه هذا الحشر بالربيع الذى يظهر ما دفن تحت الأرض فى فصل الشتاء، وتبدى لك الأرض أسرارها، وتأتيك بالأنباء عما تخفيه فى باطنها ، وما أشبهك بشارب للخمر فى ليل هذه الدنيا وظلمتها، فإن أسفرت القيامة عن صباحها أخبرك الخمار عن تلك الخمر التى شربتها، فالخمر هى البذرة المخفية، والخمار هو برعمها الذى ظهر على وجه الأرض ، وبالرغم من أن البرعمة لا تشبه البذرة فإنها نتيجتها، ومهما لم يتشابه الهيولى والأثر فهذا نتيجة ذاك وذاك هو السبب فى هذا .

(٣٩٨٥ - ٣٩٩٩) : وانظر إلى كل الأشياء فمتى شابهت أسبابها ، هل تشبه النطفة الطعام ، وهل يشبه الجنى النار ، وهل يشبه السحاب البخار؟ وهل يشبه عيسى جبريل ؟ وهل يشبه الإنسان التراب ؟ وهل يشبه اللص المشنقة؟ وهل تشبه الجنة الطاعة ؟، فاعلم أن أى ألم حاق بك أنه هو نتيجة زلة، حتى وإن لم يشبه هذه الزلة التى ارتكبها والشهوة التى قادتك إلى هذه الزلة (من الممكن أن يكون الحديث هنا من خليفة مصر إلى نفسه) وإن شعرت بالحزن فاستغفر ، فإن لكل حزن ذنباً ، حتى وإن لم تكن تعرف هذا الذنب أسجد لله الحكم العدل الذى لايصيب إنساناً بألم أو حزن أو غم دون ذنب جناه ، والله سبحانه وتعالى سوف يستر عليك ويغفر لك ، بدلاً من أن تتغلب غصة الأحزان وهى مختفية فى القلب إلى فضيحة "وينقلب قبض القلب إلى قبض العسس" (انظر لتفصيلات فى هذا المعنى الكتاب الثالث الأبيات ٣٤٨-٣٦١ وشروحها) .

-فى العنوان السابق على البيت رقم٤٠٠٠ ﴿من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها﴾ (الجاثية ١٥) و ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾ (الفجر ١٤) .

(٤٠٠٣) : إن من يعتدى على الأعراض يدعو الناس للاعتداء على عرضه فكأنه قواد لأصله {من زنا زنى به ولو بحيطان داره} (جامع ٢/١٧١) .

(٤٠١٣) : ﴿عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا﴾ (الاسراء ٨) .

(٤٠١٥) : ﴿قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾(الأعراف ٢٣) .

(٤٠٣٠) : فى العنوان السابق على البيت : ﴿نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون﴾ (الزخرف ٣٢) والبيتان المذكوران فى العنوان : ذكر مولوى (٥/٥٧٧) وأنقروى (٥/٨٣٩) (واستعلامى ٥/٣٩٨) أنهما لنظامى ولم يحددوا فى أى منظوماته والأرجح أن البيت من مخزن الأسرار كما ذكر جعفرى (١٢/٥٨٤) أما البيت التالى فقد ذكر المولوى والانقروى أنه لسنائى الغزنوى من منظومته "اسرار نامه" وليس لسنائى الغزنوى منظومة بهذا الاسم وقال استعلامى أنه لم يستطع التوصل إلى قائله والبيت من حديقة الحقيقة وهو رقم ١٠٥١٨ (أنظر الترجمة العربية) .

(٤٠٣٥) : {حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات} حديث نبوى (انظر الابيات ٤٢٣-٤٤٥ من الكتاب الذى بين أيدينا وشروحها) .

(٤٠٣٦ - ٤٠٣٩) : يعود مولانا إلى إياز وحكايته : فالسلطان يخاطب إياز على أنه مثال من أمثلة الرجولة الحقة لأنه يتغلب على نفسه التى بين جنبيه، إنه ناجح موفق فى كل امتحان يمتحنه السلطان فيه ، ويمهد مولانا الحديث عن الحكاية التالية :

(٤٠٤٠) : الحكاية التى تبدأ بهذا البيت وردت قبل المثنوى فى مصيبت نامه للعطار وفى مقالات شمس تبريز والاحتمال الأكبر أن يكون مولانا جلال الدين قد نقلها من مقالات شمس تبريز (استعلامى ٣٩٨/٥) ولب الحكاية أن أمر السلطان أثمن من الجوهرة مهما كانت قيمتها .

(٤٠٥٦) : حملهم من الطريق إلى البئر أى ضللهم ولم يخبرهم عن هدفه الحقيقى .

(٤٠٥٩) : العنوان السابق على البيت (عن التقليد والتحقيق انظر الكتاب الذى بين أيدينا الأبيات ٢٤٤٦-٢٤٥٤ وشروحها وعن الامتحان انظر الكتاب الثالث الأبيات ٧٤٣-٧٤٦ وشروحها) .

(٤٠٦٣) : إشارة إلى ما ورد فى سورة يوسف ﴿فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه فى غيابات الجب وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون﴾ (آية ١٥) وانظر الكتاب الثالث ٢٣٤٠-٢٣٤٤ وشروحها) والفتح والظفر هنا كناية عن العناية الالهية .

(٤٠٧٠ - ٤٠٧٥) : الزاهد هو الذى يعبد خوفاً من النار أو طمعاً فى الجنة والعارف هو الفارغ من الخوف والرجاء والعابد عشقاً ، إنه يعلم من البداية أن روح الانسان فى الأزل كانت متصلة بالحق وأنها تعود فى النهاية إلى الحق ، إن الله سبحانه وتعالى قد خلصه من كل ادعاءاته، ومحا الخوف عنه فأصبح كله رجاء فى وصال الحق .

(٤٠٨٢ - ٤٠٨٧) : الجوهرة هنا هى مغريات الدنيا، وأمر الملك هو كناية عن العلاقة بين العبد وربه والحجر الملون كناية عن الوثن والصنم وكناية عن الجوهرة التى حطمها إياز ، وكناية أيضاً عن كل ما يقف بين العبد وربه ، وممارة الملك التعلق بسواه من أجل خداع الالوان ، تلك الزخارف التى تصرف العبد عن التفكير فى خالقها ، وما هى إلا جرار تحتوى على قليل من ماء البحر أو ماء الجدول ، فكل جميل فى هذا العالم إنما يملك فتات الجمال والذى يشغله عن معدن الجمال وجوهره ، وقاطعو الطريق فى الدين كناية عن أولئك الذين

يقعدون للسالكين كل مرصد ويصرفونهم عن الطريق القويم من المشايخ المزيفين المزورين ، وهؤلاء ديدنهم الرسوم والألوان والروائح ، وهم كالنساء (الفكرة من سنائى انظر ص ٤٥١ من الديوان).

(٤٠٩٤ - ٤١٠٦) : قد يكون مولانا يصور مناجاة من العبد أمام الله فمن يكون السلطان محمود الغزنوى لكى يتوارى السخاء كله أمام سخائه وتصغر الأحلام أمام حلمه ؟ وتكون الطيور المباركة التى إن أظلت أحداً كما تقول الأساطير جعلته ملكاً تأخذ بركتها منه ، وأى غفران يكون للملك وأى عفو يكون له بحيث تتجرأ الثعالب على الأسود ، وعندما يتحدث مولانا عن الغفلة التى تنتج من الرعية من كثرة حلم الملك لا يمكن أن يكون المقصود هو الملك أو السلطان محمود ، بل لابد وأن يكون المقصود أنه لولا عفو الله لما تجرأ العبد على ارتكاب ذنب واحد وهذه الغفلة إنما تكون نتيجة عن الوقاحة ، فالعين الرمداء هى التى لا تشعر بالهيبة ومن ثم لا تقوم بالتعظيم ، فكيف يشعر صاحب العين الرمداء بالهيبة وهو لايبصر شيئاً ، ثم يأتي التعظيم فيحرق هذه الغفلة ويحرق هذه الوقاحة ، والخائف لا ينام ، فهل رأيت نائماً أثناء غارة أو أثناء معركة ، وهكذا ، فإن من يحس بتعظيم الله تعالى ، تنطلق الغفلة وتنطلق الوقاحة خارج قلبه فينطلق مخاطباً ﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾ (البقرة ٢٨٦) .

(٤١٠٧ - ٤١١١) : ومن هنا يحتسب النسيان كذنب على شكل ما ، فالنسيان لا بد وأن يكون لسبب من الأسباب ، وأهم سبب من هذه الأسباب هو التهاون فى تعظيم ذات الله ، وقد يقول قائل : إن النسيان أمر يطرأ على الإنسان دون رغبة منه ، لكن النسيان مع ذلك قد يكون اختياراً ، فليس للسكير أن يحتج بالنسيان لأنه بسكره قد جلب هذا النسيان إلى نفسه .

(٤١١٣ - ٤١١٤) : وفرق بين سكر وسكر ، بين سكر بالخمر الأرضية تجلبه لنفسك ويكون وبالاً عليك ويحاسبك عليه ربك ، وبين سكر بالخمر الالهية وبجمال الاله يعذرك فيه الإله "ساقي الروح" ويحفظ عليك فيه عهدك ، بل إنه يعتذر عنك ، ويساعدك ، ويغفر لك زلة السكر فزلة العاشق الثمل بالخمر الالهية أفضل من طاعة غيره (انظر الكتاب الأول البيت ١٥٨٩ وانظر الكتاب الثالث عن سكر هاروت وماروت بخمر القرب الالهى) وكم من أمور تبدر من العارف الثمل بالخمر الإلهية ينكرها عليه أهل الظاهر ومن لم يتذوقوا قطرة واحدة من هذه الخمر .

(٤١١٥ – ٤١١٧٩ : لا يزال إياز "العبد السالك والولى الكامل" يخاطب السلطان "أو السلطان الأزلى الأبدى" فيحدثه عن عفوه الذى تعد أنواع العطف الموجودة فى كل العالم ذرة واحدة منه {أن الله سبحانه وتعالى خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة فأمسك عنده تسعاً وتسعين وأرسل فى خلقه كلهم رحمة واحدة فلو يعلم الكافر بكل الذى عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة، ولو يعلم المؤمن بالذى عند الله من العذاب لم يأمن من النار} البخارى ومسلم عن أبى هريرة ، وفى حديث آخر {إن الله تعالى خلق يوم خلق السماوات والأرض مائة رحمة كل رحمة طباق ما بين السموات والأرض، فجعل منها فى الأرض رحمة فيها تعطف الوالدة على ولدها والوحش والطير بعضها على بعض وأخر تسعاً وتسعين فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة} أحمد فى مسنده (للحديثين الجامع الصغير ٧٠/١) فهل يمكن أن يقاس عفو الناس بعفوه أو رحمتهم برحمته ، اتقوا أيها الناس القيام بهذه المقارنة الظالمة .

(٤١١٨ – ٤١٢٤) : الحديث أيضاً موجه فى الظاهر إلى السلطان محمود لكن أى فراق عن أمثال السلطان محمود يسبب هذا الهلع وهذا الوجد عند مولانا؟ إن أمثال هذه التعبيرات عن الفراق لا توحى إلا بأن الفراق المقصود هنا هو الفراق عن نبع الحياة ومصدر العشق (انظر عن الفراق الكتاب الثالث الأبيات ٤٠٥–٤١١ وشروحها والأبيات ٣٦٩٠–٣٦٩٨ وشروحها) إنه وجهك الجميل يا الله ثواب أعمالنا فأى تحمل لفراقه ، إن نظرة منك حتى على الكافر تجعله يتحمل سقر وعذابها ، إن هذه النظرة هى الدية لأرواح كل من ضحوا بأرواحهم فى سبيل الله وفى دعاء لعلىﷺ "فلئن صيرتنى فى العقوبات مع أعدائك وجمعت بينى وبين أهل بلائك ، وفرقت بينى وبين أحبائك وأوليائك ، فهبنى سيدى ومولاى صبرت على عذابك فكيف أصبر على فراقك" (عن سبزوارى١ ٤٠١) .

(٤١٢٥ – ٤١٣٤) : الإشارة هنا إلى ما ورد فى الآية الكريمة ﴿قال آمنتم له قبل أن آذن لكن أنه لكبيركم الذى علمكم السحر فلسوف تعلمون ، لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين ، قالوا لا ضير إنا إلى ربنا لمنقلبون﴾ (الشعراء ٤٩–٥٠) وانظر أيضاً الكتاب الثالث الأبيات ١٢٤٦–١٢٥١ حيث وقفت رواية مولانا عند هذا الجزء الذى يبدأ فى آخر الكتاب الذى بين أيدينا إن ما يعتبره فرعون قتلاً وموتاً يعتبره السحرة الذين آمنوا حياة أبدية خالدة ، ومن هنا قالوا لا ضير (انظر عن الموت كبداية لحياة أفضل الكتاب الثالث ٣٥٢٩–٣٥٣٦ وشروحها) ، فهيا اقترب يا فرعون حتى تسمع الألحان الألهية تقول ﴿يا ليت

قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين﴾ (يس ٢٦-٢٧) ، إن ما يعتبره فرعون فناءً هو فى الحقيقة بقاء وما يعتبره حرماناً هو غنى فأى نيل وأى مصر ، إن النيل إلى جوار بحر المعرفة الالهية مجرد جدول ، وهو إلى جوار عالم الروح الرحب المتسع لا يساوى شيئاً ، وأى فخر لفرعون بالنيل وبمصر ، وما النيل وما مصر ليقول ﴿أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى﴾ (الزخرف ٥١) وفى عالم الروح آلاف الأمصار والأقطار ؟! كيف تقول يا فرعون "أنا ربكم الأعلى" وتهلع من عبد من عبيدك كل هذا الهلع ؟ (انظر الكتاب الذى بين أيدينا الأبيات ٢٤٤٢-٢٤٤٥ وشروحها) .

(٤١٣٥ – ٤١٤٢) : عندما ادعى فرعون الألوهية وقال أنا ربكم الأعلى أثبت أنه لا يعرف ربه ولا يعرف نفسه أيضاً ، وعندما اعتبر أن قتل السحرة هو إفناء لأنياتهم كان واهماً ، فإنهم أدرى بأنياتهم وهم يدركون الآن أن تلك " الأنا" التى تخصهم قد نجت من أنيتها وإحساسها بذاتها وشهواتها وهمومها ، إن ذات فرعون كانت شؤماً عليه هو نفسه ، لكنها كانت سعداً واقبالاً على هؤلاء السحرة الذين آمنوا برب موسى ، وما هذه الجذوع التى يصلبهم عليها فرعون إلا المركب الذى به ينطلقون إلى مالا يستطيع وهم أى فرعون أن يصل إليه ، الى الملك الحقيقى ، وإلى دار الملك الحقيقى ، لا ملك الغفلة التى يظنه فرعون اللعين ملكاً ، وما هو إلا دار الغرور (انظر الكتاب الرابع ٣٠٨٣) وهكذا فان فرعون يظنه عدماً وهو وجود وحياة ويظنه فناء وهو بقاء سرمدى (انظر عن البقاء والفناء مقدمة الترجمة العربية للكتاب الثالث) .

(٤١٤٣ – ٤١٤٨) : هناك نوعان من "الأنا" أنت حائر بينهما هذه الأنا الموجودة وجوداً جسدياً ، ثم وجودك الأزلى الأبدى أو ما يعبر عن مولانا بأنية الأزل التى يحار القلب فى عوالمها وفى قدراتها وفى عظمتها ، والتى تعد "انا" الجسد عاراً عليها ، والأنا التى بلا أنا هى تلك الذات التى تخلصت من أنيتها واتصلت بالبقاء السرمدى ، هى تلك الأنا التى بها تسعد الروح ، إنها حين تخلصت من أنية الجسد صارت جديرة بأن تطلق على نفسها لفظ "أنا" ولن تستطيع أن تحس بهذه الأنا إلا إذا توصلت إلى فناء تلك الأنية الجسدية ، حينئذ تكون حياة سرمدية ، تطلبك هذه الأنا ولا تطلبها أنت .

(٤١٤٩ – ٤١٥٢) : تراك تظن أن فهم هذه الأمور يتأتى بالعقل ، إذن لكان فخر الدين الرازى عالماً (المفكر فى القرن السابع وخصم بهاء ولد والد جلال الدين والذى يقال إن

دسائسه لدى خوارزم شاه كانت السبب فـي غضـب خـوارزم شـاه عليـه ومـن ثـم هجرتـه مـع أسرته من موطنه وقد ناقش عبد الحسين زريـن كـوب هـذه القضيـة وجـزم بعـدم صحتهـا - انظـر سـرنى ١/٧٤-٧٧) والعقـل هنـا هـو عقـل الفقـه وعقـل المدرسـة وعقـل الجمـع والعقـل الدنيوى ، والأمور كلها بالذوق "ومن ذاق عرف ومـن حـرم اختلـف" ومـن ثـم فـإن هـذه الأنـا الجسدية لا تدرى من أمور الكشف شيئاً ، ولأن الأمـور بـالذوق فـإن العقـول الجزئيـة تتشـدق بالحلول (أى حلول الله جل شأنه فى جسد العين) وبالاتحـاد والأمـور كلهـا روحيـة ولا علاقـة لها بالأجساد ، ولا علاقة لها بهذه الأنا إنه اتحـاد النـور (انظـر ٢٠٣٨ مـن الكتـاب الـذى بيـن أيدينا) .

(٤١٣٥ - ٤١٥٧) : إن هذا العبد "إياز" الفانى فـى اللـه مـن قربـه منـه ، المستمد منـه النـور لفرط عشقه كالكواكب المقتربه من الشمس تستمد منها نورها ، وهكذا فناء العبد فى النور إنـه مثل تخلق النطفة وتحولها إلى جسد ، لقد صارت هذه النطفة جسداً كـامل الخلقـة فكيـف تنكـر تحول الجسد إلى نور ، وأى سقوط لك إذن فى الاتحاد والحلول ، أى عفو يطلب مـن العبـد ، إنك أنت يا الله خزانة العفو ، والعفو موجود فى سابق لطفك ، والعفو للسـلاطين ، فـأى عفـو يرجى من العبيد وأية جرأة لهذه "الأنا" حتى تتشبث برداء "الأنا" المطلقة .

(٤١٥٨ - ٤١٦٩) : لا يزال مولانا يتابع قصة اياز ومحمود "العبد الصالح والإله الخـالق" وهـا هـو اياز يعتذر عن أنه تشفع من أجل العفو عن الأمراء المجرمين والحديث الوارد فى العنوان "أنا أعلمكم بالله وأخشاكم لله" لم أجد له أصلاً وأقرب ما توصلت إليه منه {إنى لا أرجو أن أكـون أخشـاكم للـه وأعلمكم بما يتقى} (شرح التعرف ٧٦/٢) . والآية الكريمة فاطر ٢٨. ويعتذر إياز هنا عن التشـفع بأنه أنا كان يفتح طريقاً من أجل معاينة حلم السلطان والرواية هنـا اعتـذار مـن الشـفيع وفـى الكتـاب الرابع غضب من المشفوع فى حقه (انظر الأبيات ٢٩٧٥-٢٩٨٤ وشروحها) ، ما هذا التبجح ، ومـا هذه الجرأة بحيث يقوم "عبد" بإخبار "السلطان" عن شروط الكـرم ، وكل ما أنا إنما يكون مـن نـورك يا مالك الملك ، وما جرأتى هكذا إلا لإكرامك لى وتفضيلك إياى ، لا بل أنت الذى أوحيت لـى بهـذا الدعاء وهذه الشفاعة (انظر دعاء الدقوقى وشفاعته فى الكتاب الثالث البيت ٢٢٨٣) وعن أن الدعـاء والاستجابة له (انظر الكتاب الثالث الأبيـات ١٨٩-١٩٩ وشـروحها) إن هـذا الدعـاء وهـذه الشـفاعة إكرام من الحق لبعض عبده لكى يكون فخرهم حتى يصبح هذا الذى كـان ألمـاً بأجمعـه بلسـماً للخلـق وطبيباً لهم وشافياً لآلامهم (انظر الكتاب الثالث ٢٧٠) .

(٤١٧١ – ٤١٧٩) : لقد جعلت أنت يا الله من هذا المخلوق الشهوانى الجدير بجهنم كَأنه عـ ـ الكوثر يطفىء نيران الجحيم ، بل يعيد مـن احـترقت جلودهـم فـى نـار جهنـم الدنيـا وشـيوتهم ويجعلهم لائقين بالجنة مستعدين لها ، هؤلاء البشر هم ربيـع هـذا العـالم يـأخذون بـأيدى من جردتهم رياح الخريف من الأوراق والثمار ويبثون فيهم الحياة ، كل منهم كأنـه إسـرافيل ينفخ فى صور المعنى فيحيا موتى الروح وكونك يا إلهى قد اصطفيت مـن عبـادك مـن خصصـتهم بهذا الكرم هـو مصـداق لحديثك { خلقت الخلق ليربحوا علـى ولـم أخلقهـم لأربـح عليهـم } (وردت أيضاً للإمام على رضى الله عنه : يقول الله تعـالى يـا ابـن آدم لـم أخلقك لكـى أربـح عليك إنما خلقتك لتربـح علىّ فاتخذنى بدلاً من كــــــل شئ" (فروزانفر احاديث مثنـوى . ص ٥٨) .

(٤١٨٢ – ٤١٨٦) : إن عالم الغيب هو مصدر كل أحاسيسنا وعواطفنا وهـو أيضـاً مـورده ، إن عفو الخلق مجرد صدى من عفوك أنت ، كلها سيول وجداول تفيض مـن بحـرك وتعـود إليك إنها كل صباح تطير صوبنا كأنهـا طيـور وفـى المسـاء تكـون رجعتهـا إليـك أنـت ، إنهـا الأرواح ، تجعلها محبوسة فى الأبدان طيلة النهار فإن جـن عليهـا الليـل تحلـق إليـك بأجنحتهـا عاشقة لهذا الأيوان صائحة ﴿إنا إليه راجعون﴾ (البقرة ١٥٦) .

(٤١٨٧ – ٤١٩٩) : الحديث عن الرجعة الأخيرة ، لا رجعة طيور الأرواح عند نوم الأجساد (من هنا قيل النوم هو أخ الموت واليقظة هى الحشر الأصغر) وعندما يناديها الخالق : تعـالوا وتكون الرجعة الأخيرة، فلا يبقى حـرص ولا غم ولا يحزنهـم الفـزع الأكـبر ، عندئذ تنتهـى الغربة ، غربة الأرواح فى الدنيا ، وبعدها عن منبتها الذى لا تزال تحن إليه منـذ أن اغـتربت عنه ، عندئذ تسترخى بعد الكدح ، كدح الدنيا وعنائها ، ويزوجون بالحور العين اللائى كن فى انتظار هؤلاء الصوفية السالكين يعودون من سفر الدنيا ، ومن رحلة الامتحـان ، ومـن مزبلـة البشر ، ومن متربة الدنيا ، فلا أثر منها وقد صفاهم ربهم من الكدر ، لكن هناك قوما آخريـن اثقلتهم الذنوب ، ورسبوا فى الامتحان ، لكنهم أيضاً أيها الإله طـامعون فـى عفـوك ، راجـون مغفرتك ، آملون فى لطفك ، فاغسلهم أيها الإله العظيم بالثلج والماء والبرد ، وصفهم فى عين المغتسل البارد (ص/٤٢) ، لكى يصطفوا فى صفوف الملائكة مصلين لك مسـبحين بحمـدك ، معترفين بفضلك ولطفك ، ترانى أستطيع أن أخط وصف هذه الحال فى بيـان ، وهـل يسـتطيع القلم أن يصف هذا الرضوان !!

(٢٤٠٠ – ٤٢٠٨) : لا يفتأ مولانا جلال الدين يتحدث عن البيان الذى لا يستطيع أن يستوعب المعانى الراقية السامية التى تدور فى ذهنه ، إن المعانى كالبحر والبيان كإناء فخار ، والمعانى كالأسد الهصور والبيان كالحمل الوديع ، ومن هو فى حجاب لا يستطيع أن يعبر عما هو وراء الحجاب ، فاخرج من احتجابك بالمادة حتى ترى عالم المعنى ، والسكارى بك أيها الاله يحطمون كؤوسهم دائما عند وجدهم ، وجد السكر لا يتم الا بعد أن يفيق الثمل ، وهؤلاء لا يفيقون أبدا ، فمن سكر بهواك لا يفيق .

(٤٢١١ – ٤٢١٦) : لا يزال فضلك يقول لهذا الثمل بك ، اذهب وامض ، استرح ، إنك قد سقطت فى المخيض ، إنك مخدوع (انظر ٢٧١٦ من الكتاب الثالث) ، إنك تظن نفسك ثملا ، لا ، إنك أنت الخمر نفسها ، فبك ثمل الناس ، إنك ضعيف لكن الأقوياء يثملون بك عندما تسوق مركبك نحو بحر معرفة الحق واللذائذ الروحانية ، إنك انت أيها الثمل بالعشق الإلهى برغم ضعفك محور الوجود وقطب المخلوقات (انظر ٢٣٣٩ من الكتاب الذى بين أيدينا) ، ومن خمرك يا ثملا بالعشق الإلهى تصبح الجبال نفسها ثملة بالعشق (أيها العاشق ذاق الطور عشقا * رقص الجبل وموسى خر صعقا ، البيت ٢٦ من الكتاب الأول) ، وكل الجواهر إلى جوار مرتبة العاشق رخيصة الثمن لا تساوى شيئا ، وماذا أقول ؟! إن البيان قاصر عن وصف هذا الذى لا يوصف ، وأى فم يستطيع أن يتحدث وخمسمائة فم عاجزة وقاصرة ولا تستطيع أن تصفه ، وكلما أردت أن أصف روح العالم ، العشق السارى فى الأكوان ، والعاشق أو الإنسان الكامل ، أصبت بالخجل !!

(٤٢١٧ – ٤٢١٩) : إننى أشعر أمامك بالانكسار يا مليك العالم ويا عالما بالسر لأن بيانى قاصر ولغتى عاجزة ، لكن هل أكون أكثر انكسارا من العدم الذى قد تخلق بالله عوالما تصل إلى الوجود عالما بعد عالم؟! بلطفك ومنك وكرمك تأتى بالموجودات كلها فى عالم العدم إلى عالم الوجود ، وغير هذه العوالم التى خلقت هناك آلاف العوالم التى تنتظر الخلق ، وهناك سير مستمر ، حركة مستمرة تحرك العدم إلى الوجود فى مراتب وأطوار ، فمن الموت فى عوالم الهيولى يجذبه إلى عالم الجماد وبالموت فى عالم الجماد يجذبه إلى حيز النبات ثم إلى حيز الحيوان ثم يدخل فى أطوار الإنسانية ، تجدد مستمر بين الموت والحياة ، ثم مرة ثانية بمقتضى إنا إليه راجعون عودة إلى العالم الأصلى ، عالم العدم مصنع الإبداع ومنشئه ، وفى هذا التغير المستمر ، هناك ما لا يتغير ولا يتبدل ، وقدم الصانع وحداثة المصنوع هو الذى

يفصل كل مراتب الوجود عن اللاهوت ، ومرتبة يعبر عنها العرفاء بـ " هـاهوت " . فجوة لا يمكن عبورها تجعل العارف السالك واقفا على نقص وجوده واحتياجه وفقره ، بحيث يئن دائما وينوح من أجل أن يقوم بعبوره (سرنى ١/٥٥٧) (انظر أيضاً مثنوى مولانا جلال الدين ٢/٦٩٠ و ٧٦٢ و ٣/٣٩٠١-٣٩٠٦ و ١/١٨٨٩) .

(٤٢٢٠ – ٤٢٢٧) : كل هذا يصيب رأسي بالدوار في طلبك ، أحس بأن كل ذرة من الحياة مصدرها أنت ، وأنا مجرد ميت أمامك ، والرغبة نفسها ، تلك الرغبة في أن تتكشف أمامي هذه الحجب ، أنت الذي خلقتها في وصورتها في نفسي ، وأنت محركها ، وأنفاسك السارية في هذه الألوان ، ونفختك الإلهية التي هي أصل الخلق هي التي تحرك عالم التراب ، فهل يتحرك تراب دون ريح ؟! وهل تسير سفينة دون ماء ، إن ماء الحياة الذي يهب الموتى الحياة الخالدة وينقذهم من الموت إلى جوار ما تمنحه أنت من كدر ، فإن الموت منك أيها الإله هو بمثابة ماء الحياة (انظر لماء الماء البيت ١٢٧٤ من الكتاب الثالث) .

(٤٢٢٨ – ٤٢٣١) : وما الموت وما الحياة ، إن في كل لحظة موتا ونشرا وحشرا (انظر سنائي الحديقة : الصوفية يقيمون في كل لحظة عيدين) ، والعمر كالجدول يتجدد ماؤه أولا بأول (انظر الكتاب الأول ١١٥٣ والكتاب الذي بين أيدينا ، الأبيات ٧٩٥ – ٧٩٨) وهذا من جذباتك ومن كرمك ، وليس للماء وجود بدونك فأنت ماء الماء أي أصل الوجود وروحه السارية فيه ، وكيف يمكن لإنسان أن يجرؤ على استقبال الموت دون أن يكون عاشقا لك ، والا فإن الموت بمقياس العقل الدنيوى كريه ، ولا يجعله حلوا إلا العشق .

(٤٢٣٢ – ٤٢٤٣) : ها أنا قد قدمت إليك الكتاب الخامس من المثنوى المعنوى ، كوكبا دريا ينشر النور في الأرواح ، وإنما يفهمه من هو أهله ، أما من ليس بأهل فإنه غافل عن طوالع السعد فيه واقتران هذه الطوالع ، إن هذا المثنوى كالشهاب الثاقب ، محرق للشياطين التي تسترق السمع إليه ، كأنه الرامي بالنفط ، نفس هذه النجوم التي تقوم بدور العقارب التي تلدغ الشياطين ، أو ذلك الكتاب الذي يجد فيه شيطاني النفس مثل لدغ العقرب ، يكون وليا باعثا للسعادة كنجم المشترى لمن هم يعتقدون " فيه " ويستمر مولانا فيدق على النجوم والبروج فهو " قوس " ، بالنسبة للشيطان و " دلو " ، بالنسبة للولي عند الزرع والثمر ، وهو كالشمس يمزق العدو كما يمزقه الأسد ، لكنه يربى الياقوت في منجمه ، وهكذا ، كل أثر فكرى ، إنه قد يكون سماً في فم أحدهم ، لكنه يكون شهدا بالنسبة للآخر ، فإنك إن كنت حبيباً تنال منه

الشهد ، وإن كنت عدوا فليس لك منه إلا السم ، وألم يشرب الفاروق عمر ﷺ ذلك السم الـذى وجد فى غنائم المدائن (والرواية أيضاً وردت عن خالد بن الوليد) (أو أرسل هدية مـن قيصـر الروم) ، ولم يمت !! (لم يقترب منها أى مفسر إيرانى !!!) وهكذا رجل الحق فإنه لا يصـاب بأدنى ضرر حتى من أى شئ يكون ضرره محتوماً .

فهرس محتويات المجلد الخامس

تفسير ﴿ خذ أربعة من الطير فصرهن إليك﴾

في سبب ورود هذا الحديث للمصطفى صلوات الله عليه وهو { الكافر يأكل في سبعة أمعاء ، والمؤمن يأكل في معى واحد}

فتح المصطفى عليه السلام باب الحجرة للضيف ، واخفائه صلىالله عليه وسلم نفسه ، حتى لا يرى الضيف خيال من فتح الباب ، ولا يخجل ويخرج بجرأة

سبب رجوع ذلك الضيف إلى منزل المصطفىﷺ في تلك اللحظة التى كان فيها المصطفى ﷺ يغسل فيها فراشه الملوث بيده ، وخجله ، وقيامه بتمزيق ثوبه ، ونواحه على نفسه ، وعلى أحواله

ملاطفة المصطفىﷺ لذلك الأعرابي الضيف وتهدئته إياه من اضطرابه وبكاء ذلك الأعرابي ونواحه على نفسه خجلا وندما وبتأثير نار القنوط

بيان أن الصلاة والصوم وكل الأعمال الظاهرة شهود على النور الباطني

تطهير الماء لكل أنواع الدنس ، ثم تطهيرالله سبحانه وتعالى للماء من القذر ، فلا جرم أن الله سبحانه وتعالى هو القدوس

استعانة الماء بالحق جل جلاله بعد تكدره

دلالة الفعل والقول الخارجيين على الضمير والنور الداخلي

في بيان أن النور في حد ذاته مضيء من داخل المرء دون أن يفسره قول أو فعل ويدل على نوره

عرض المصطفى عليه السلام الشهادة على ضيفه ذاك

بيان أن النور الذى هو غذاء الروح يصبح غذاءً لأجسام الأولياء ، حتى يصبح قرينا للروح مصداقا لقول الرسولﷺ : أسلم شيطانى على يدى

إنكار أهل الجسد لغذاء الروح وارتجافهم من أجل الغذاء الخسيس

مناجاة

تمثيل اللوح المحفوظ وإدراك كل إنسان من ذلك اللوح بالنسبة للأمر وقسمته ومقدار رزقه ، بإدراك جبريلﷺ كل يوم من اللوح الأعظم

تمثيل الأساليب المختلفة والهمم المتباينة باختلاف تحرى المتحرين للقبلة في الظلام ، وبحث الغواصين في قاع البحر

تفسيـــــر : يا حسرتا على العبـــاد

سبب تسميـــة الفرجية بهذا الاسم من البدايـــة

وصف الطاوس وطبعه وسبب قتل إبراهيم عليه السلام إياه

في بيان أن كل إنسان يعرف لطف الحق وكل إنســـان يعرف قهر الحق ، وكلهم متعلقون بلطف الحق هاربون من قهر الحق ، لكن الحق تعالى أخفى أنواعا من القهر في لطفــه وأنواعـــــا من اللطف في قهره ، فهو قلب للزهر، ومكر من الله حتى يميـــز أهل التمييز الذين ينظرون بنور الله من الناظرين إلى الحاضـــــر والظاهـــر ، مصداقا لقولـــه تعالى :﴿ ليبلوكم أيكم أحسن عمـــلا﴾

تفاوت العقـــول من أصل الفطرة خلافا للمعتزلـــــة الذين يقولون أن العقول الجزئيـــة في الأصـــل متساوية ، وأن هـذه الزيـادة والتفاوت من التعلم والرياضـــة والتجربـــــــــة

حكاية ذلك الأعرابي الذى كان كلبه يموت جوعا ، بينما خرجه مليئ بالخبز ، وأخذ ينوح على الكلب وينشد فيه الشعر ، ويبكي ويلطم رأسه ووجهه ، بينما يبخل عن إعطاء الكلب لقمة من الخرج

في بيان أنه لا توجد عين مؤذية للإنسان بقدر العين التي ينظر بها إلى نفسه بعجب ، اللهم إلا إذا بدلت عينه بنور الحق مصداقا لـ : بي يسمع وبي يبصر ، وصارت نفسه
بلا نفس

تفسير ﴿ وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم﴾

قصة ذلك الحكيم الذى رأى طاووسا ينزع جناحه الجميل بمنقاره ، ويجعل جسده عاريا أقرع قبيحا ، فسأله متعجبا : ألن تندم ؟ قال : لأندم ، لكن الروح عندى أعز
من الجناح ، وهو عدو لروحي

في بيان أن صفاء النفس المطمئنة وبساطتها تصبح مشوشة من الفِكَر ، كما أنك إن كتبت شيئا على وجه مرآة أو رسمت شيئا عليه ، يبقى أثر عليها ونقصان، مهما قمت بمحوه

في بيان قول الرسول ﷺ : لا رهبانية في الإسلام

في بيان أن ثواب عمل العاشق من الحق هو الحق نفسه

في تفسير قول الرسولﷺ : ما مات من مات إلا وتمنى أن يموت قبـل مـا مـات ، إن كـان بـرا ليكون إلـى وصول الـبر أعجـل ، وإن كــــــان فاجـرا ، ليقـل فجـــــوره

في بيان أن العقل والروح محبوسان في الماء والطين مثل هاروت ومــاروت فـي جب بابل

جواب الطاووس على ذلك السائـــل

بيان أن الفضائل والمواهب ومال الدنيا مثل ريش الطاووس أعداء للـــــروح

في وصف اولئك الذين انسلخوا عن أنفسهم فأمنوا شر أنفسـهم وفضـل أنفسـهم ، فهم فانون في بقاء الحق ، كالنجوم التــــــي تفنى في الشمس نهارا ، ولا يكون عند الفاني خوف من الآفة والخطر

في بيان أن كل مـا سوى اللـه آكـل ومـأكول ، مثـل ذلـك الطائـــر الـذى كـان يمضي لصيد الجراد ، وكان مشغولا بصيد الجراد غافلا عن البازى الجائع الـذى يقصد صيده من خلف ظهره ، والآن أيها الإنسان الصيـاد الآكـل ، لا تـأمن عـن صيـادك وآكلـك ، وإن لـم تكـن تـراه رأى العيـن ، فـداوم النظـر إليـه بـالدليل والاعتبار، إلى أن تفتح عين الســـــر

سبب قتل الخليلﷺ للغراب وإشارته إلى قمع أية صفة من الصفات الذميمة المهلكة في المريـــــد

مناجـــــــــاة

قال النبيﷺ : إرحموا ثلاثا، عزيز قوم ذل ، وغنى قوم افتقر وعالمـــا يلعب به الجهـــال

قصة سقوط حشف غزال في حظيرة حمر ، وشتم تلك الحمر لذلك الغريب حينا على سبيل الشجار وحينا على سبيل السخرية ، وابتلائه بالقش الجاف الذى ليس طعامه ، وهذه صفة العبد
المخصـــوص من الله بين أهل الدنيا وأهل الهوى والشهـــوة مصداقا لقول الرسولﷺ: الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا فطوبى للغرباء . صدق رسول الله

حكاية محمد خوارزمشاه الذى استولى بالحرب على مدينة سبزوار وكل أهلها من الروافض ، فطلبوا الأمان لأرواحهم ، فقال : أعطيكم الأمان ، إذا أحضرتم لي كهدية واحدا من أهل هذه المدينـــــة يسمـــى أبو بكــــــر

بقية قصة الغزال واصطبل الحمير

تفسير ﴿ إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبـــع عجاف ﴾ كان الله تعالى قد خلق تلك البقرات العجاف على صفة الأسود الجائعة ، حتى أنها كانت تأكل تلك

البقرات السبع السمان بشهية ،و بالرغم من خيالات صور البقر أبديت في النـــــــوم تأمـــــل أنت في المعنـــى

بيان أن قتل الخليلﷺ للديك كان إشارة إلى قمع أية صفة من الصفات المذمومات المهلكات في باطن المريـــــــد

تفسير ﴿ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ، ثم رددناه أسفل سافلين﴾ وتفسيـــــــر ﴿ ومن نعمره ننكسه في الخلق﴾

تفسير﴿ أسفل سافلين ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجـــر غير ممنـــــــــون ﴾

مثال لعالم الوجود الذى يبدو عدما ، وعالم العدم الذى يبدو وجودا

في تفسير قول المصطفىﷺ : لابد من قرين يدفن معك وهوحي وتدفن معه وأنت ميت ، إن كان كريما أكرمك، وإن كان لئيما أسلمك ، وذلك القرين عملك ، فاصلحه ما استطعت . صـــــــــدق رسول اللـــــــه

تفسير ﴿ وهو معكــــــــــم﴾

في تفسير قول المصطفى ﷺ : من جعل الهموم هما واحدا ، كفاه الله سائر همومه ، ومن تفرقت به الهموم ، لا يبالى الله في أى واد أهلكه

في معنى هذا البيت :

إن مضيت في الطريق ، فإنهم يفتحون لك الطريق

وإن صرت عدما ، يتجهون بك إلى الوجـــــــــــــــــود

قصة ذلك الشخص الذى كان يدعي النبوة ، فقالوا له : ماذا أكلت حتى صرت أحمق تهذى ؟ فقال : لو وجدت شيئا آكله ، لما تحولت إلى أحمق ، ولما هذيت ، فإن أى كلام طيب لو قيل لغير أهله يكون من قبيل الهذيان ، وإن كانوا مأمورين بقول هذا الهذيـــــــــــــان

سبب عداوة العوان لأولياء الله الذين يدعونهـــــــم إلى الحق وإلى ماء الحياة الأبدية .. وعيشهم غرباء عنهم

في بيان أن الرجل الطالح عندما يتمكن في الشـر ، ويرى آثار إقبال الطيبين ، ينقلب إلى شيطان ، ويصبح مانعا للخير من الحسد مثل الشيطان الذى احترق بيدره ، يريد أن يكون جميع الخلق محترقي البيادر ﴿ أرأيت الذى ينهى عبدا إذا صلى ﴾

مناجـــــــاة

سؤال الملك مدعي النبوة هذا عن الرسول الصادق وماذا يكون معه يهبه لأتباعه وماذا يجدونه في حضرته وصحبته غير النصيحة التي يقولها بلسانه

قصة ذلك العاشق الذى أخذ يعدد لمعشوقه أنواع إخلاصه ووفائه والليالي الطويلة ليالي ﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾ وقلة الزاد و ظمأ الكبد في الأيام الطويلة . وأخذ يقول : لا أعرف وفاءً إلا هذا ، فإن كانت هناك خدمة أخرى وطاعة أخرى أرشدني إليها فأنا مطيع لكل ما تأمر به سواء كان الدخول في النار كالخليل ﷺ أو السقوط بين فكي الحوت كيونس ﷺ أو العمى من البكاء كشعيب ﷺ أو التعرض للقتل سبعين مرة مثل جرجيس ﷺ ، ولاحد لوفاء الأنبياء وتضحياتهم ولا حصر ... وجواب المعشوق عليه

سأل أحدهم عالما عارفا: إن بكى أحدهم في الصلاة بصوت مسموع وتأوه وناح، فهل تبطل صلاته ؟ فأجاب : إن إسمه ماء العين وهو مرتبط بما رآه الباكي ، فإن كان قد رأى الشوق إلى الله سبحانه وتعالى ، أو بكى ندما على الذنب ، فإن صلاته لا تبطل بل تكتمل إذ لاصلاة إلا بحضور القلب ، وإن كان قد تذكر تعب البدن أو فراق الولد تبطل صلاته ، فأصل الصلاة ترك الجسد وترك الإبن مثل إبراهيم ﷺ الذى كان يضحي بابنه من أجل تمام الصلاة وأودع جسده نار النمرود، وقد أُمر المصطفى ﷺ بهذه الخصال في قول الله تعالى ﴿فاتبع ملة إبراهيم﴾ وقوله ﴿ كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم﴾

دخل مريد في خدمة شيخ، ولا أقصد بالشيخ كبير السن بل شيخ العقل والمعرفة، وإلا فإن عيسى ﷺ كان شيخا في المهد ويحيى ﷺ كان شيخا في مكتب الأطفال ،

ووجد المريد الشيخ باكيا ، فوافقه وبكى ، وعندما انتهى وخرج ، خرج خلفه مريد آخر كان أكثر فهما لحال الشيخ مسرعا بسبب غيرته على الشيخ، وقال له: يا أخي يجب أن أقول لك ، ناشدتك الله ألا تفكر وتقول : مادام الشيخ يبكي فأنا أيضا أبكي ، إذ تلزم ثلاثون سنة من الرياضة التي لا رياء فيها ، وينبغي عبور عقبات وبحار مليئة بالتماسيح وجبال قاحلة مليئة بالأسود والنمور ، حتى تصل أو لا تصل إلى ذلك البكاء للشيخ ، فإن وصلت فكرر شطر " زويت لي الأرض كثيـــــرا "

قصة تلك الجارية التي كانت تقضي وطرها مع حمار سيدتها ، وكانت قد دربته كما يدرب الماعز والدب على جماع الآدميين ، وكانت تضع قرعة في عضو الحمار حتى لا يجاوز الحد ، وعلمت السيدة ذلك ، لكنها لم تر النقطة الدقيقة الكامنة في القرعة.. فصرفت جاريتها بحجة ماإلى مكان بعيد ، واجتمعت بالحمـــــار بلا قرعة ، وهلكت مفتضحة . وعادت الجارية فجأة وناحت عليها قائلة : يا روحي ويا نور عيني : رأيت القضيب ولم ترى القرعة.. رأيت الذكر ولم ترى الآخر. كل ناقص ملعون وإن كان الناقصون في عين الظاهر مرحومين وليسوا ملعونين ، فاقرأ﴿ ليس على الأعمى حرج ﴾ فهي قد نفت الحرج ونفت اللعنة ونفت الغضب

تمثيل تلقين الشيخ للمريدين والرسول للأمة التي لاطاقة لها لتلقين الحق ولا ألفة لها مع الحق بالببغاء الذى لا ألفة له مع صورة الآدمي بحيث يلقن منه ، فالحق نتعالى يضع الشيخ كما توضع المرآة أمام الببغاء ويلقنه من خلف المرآة ، مصداقا لقوله تعالى ﴿ لا تحرك به لسانك ﴾ و﴿ إن هو إلا وحى يوحى ﴾ وهنا

بداية مسألة لا نهايـة لهـا ، بحيث أن تحريك الببغـاء لمنقـاره فـي المـرآة والـذى تسميه خياله هو بـلا اختيـار ولا تصـرف منـه فـالصورة هـي قـراءة الببغـاء مـن الخارج وهو المتعلم لا صورة ذلك المعلم ذلك المعلم الذى وراء المرآة ، فقراءة الببغاء الظاهرة تحت سيطرة ذلك المعلم .. ومن ثم فهذا مثال لا مثل

رأى أحد أصحاب القلوب كلبة حبلى ، وكانت الجراء تنبح في بطنها ، فتعجب وقال لنفسه : إن الحكمة من نباح الكلاب هي الحراسة، والنباح في بطن الأم ليس من قبيل الحراسة ، كما أنـه ليس طلبا للعون أو الرضـاع أو ما إليها ولا شيء يوجد من هذه الفوائد قط . وعندم عاد إلى وعيه نادى حضرة الله ﴿ وما يعلم تأويله إلا الله ﴾فكوشف أن هذه حالة قوم لم يخرجوا من الحجاب ولم تفتح منهم أعين القلوب ، لكنهم يدعون البصيرة ، ويتحدثـــــــون بالمقالات ، فلا قوة ولا عون تصل إليهم ، ولا تصل إلى مستمعيهم هدايـــــة ولا يصل إليهم رشـــــــد

قصة أهل ضروان وحسدهم للفقراء قائلين : كان أبونا من طيبته يعطي أغلب دخل الحديقة للمساكين ، فعندما كان العنب ينضج كان يعطي عشره ، وعندما كان يتحول إلى زبيب ودبس كان يزكي بعشره ، وعندما كان يصنع منه حلوى وفالوذج كان يعطي عشره ، وكان يعطي من القصيل " المحصول بالسنابل" العشـــر، وعندما يجهز حبوبه في البيدر يزكي بعشرها ، وعندما كان يفصل القمح عن التبن ، كان يزكي بعشره ، وعندما كان يطحنه كان يعطي العشر ، وعندما كان يعجنه كان يعطي أيضا العشر ، وعندما كان يخبزه ، كان يعطي العشر أيضا . فلا جرم أن الحق تعالى كان قد وضع البركة في هذه المزرعة

والحديقة ، بحيث صار كل أصحاب الحدائق يحتاجون إليه سواءً في الثمر أو في المال ، ولم يكن هو محتاجا إلى أحد منهم ، وكان أبناؤه يرون إخراج هذا العشر المتكرر ، ولم يكونوا يرون تلك البركة .. مثل تلك المرأة الشقية التي كانت قد رأت ذكر الحمار ولم تكن قد رأت القرعة

بيان أن عطاء الحق والقدرة ليسا موقوفين على القابلية ، لأن العطاء قديم والقابلية حادثة ، والعطاء صفة الحق والقابلية صفة المخلوق ، ولا يكون القديم متوقفا على الحادث ، وإلا استحال الحدوث .

في ابتداء خلق جسد آدمﷺ عندما أمر الحق سبحانه وتعالى جبريل بأن يمضي ويأخذ من هذه الأرض قبضة من التراب وفي رواية : من كل ناحية منها قبضة من التراب

إرسال ميكائيل لقبض حفنة من التراب من الأرض من أجل تصوير الجسد المبارك لأبي البشر خليفة الحق الذى سجدت له الملائكة الذين علمهم آدم عليه السلام

قصة قوم يونسﷺ بيان وبرهان على أن التضرع والنواح دافعان للبلاء السماوى ، والحق تعالى فاعل مختار ، ومن ثم يفيد التضرع والنواح لديه . ويقول الفلاسفة هوفاعل بطبع وعلة وليس مختارا، ومن ثم فإن التضرع لا يغير الطبع

إرســـــال اسرافيلﷺ إلـى الأرض قـائلا لـه : خـذ حفنـة من الـتراب مـن أجـل تركيب جسد آدمﷺ

إرسال عزرائيل ملك الحزم والعزم لحمل حفنة من الـتراب مـن أجـل أن يسوى منها سبحانه وتعالى جسم آدم ﷺ على وجه السرعة

بيان أن المخلوق الذى يحيق بك ظلم منه هو في الحقيقـة كالآلـة ، والعـارف هـو الذى يرجع إلى الحق لا إلى الآلة، وإذا رجع إلى الآلة فذلك في الظاهر فحسب ، ومن أجل مصلحة ، كما قال أبو اليزيد: لي سـنوات لـم أتحـدث مـع مخلـوق ولـم أسمع كلمة واحدة من مخلوق ، لكـن الخلـق يحسـبون أنـي أتحـدث معهـم وأسـمع منهم ، لأنهم لا يرون المخاطب الأكبر ، فهم عنـد حـالي بالنسـبة لـه كـالصدى ، ولا يهتم المستمع العاقل بالصدى . كما يقول المثل المعروف قال الجدار للوتد لـم تشقني ، قال الوتد : أنظر إلى من يدقني

جواب اللـه علـى عزرائيل : إن مـن لاوجـه نظـره إلـى الأسـباب والأمـراض والطعن بالسيف فإنه لا يقع عليك أيضا ، لأنك سبب مهمـا كنـت أخفـى مـن تلـك الأسباب ، وربما يكون خفيا على المريض لقوله تعالى : (وهو أقرب إليكم ولكـن لا تبصـــــــرون)

في بيان وخامة دسم الدنيـــا وحلوها ، ومنعـه لطعـام اللـه الـوارد فـي [الجـوع طعام الله يحيي به أبدان الصديقين] أى أن في الجوع طعـام اللـه ، وقولـه عليـه السلام [أبيت عند ربي يطعمنـــي ويسقينـــــي] وقوله تعالى ﴿ يرزقون فرحين﴾

الجواب على ذلك المغفل الذى قال : ما أحلى هذه الدنيـــا لو لم يكن موت ومـا أحلى ملكها لو لم يكن إلى زوال . وعلى هذه الوتيرة من " الفشارات "

فيما يرجى من رحمة الله تعالى ، معطي النعم قبل استحقاقها ﴿ وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا ﴾ ورب بعد يورث قربا ، ورب معصية ميمونة ورب سعادة تأتي من حيث يرجى النقم ، ليعلم أن الله يبدل سيئاتهـم حسنات

قصة إياز وامتلاكه لحجرة ليحتفظ فيها بحذائه القديم وسترة الرعي الخاصة بـه ، وظن الحاشية أن له فيها كنزا مدفونا ، وذلك لإحكامه غلق الباب وثقل القفل

بيان أن ما نذكره هنا هو مجرد صورة القصة لكي تكون مناسبـة لمن يأخذون بالصورة وجديرة بمرآة تصويرهم ، ومن القدسية التي هي حقيقة هذه القصة يخجل النطق من مجرد التفوه بها ، ومن الخجل يضل الرأس واللحية والقلـم والعاقـل تكفيـه الإشـارة

حكمة النظر في الحذاء القديم والسترة الجلديـة مصداقا لقوله تعالى ﴿ فلينظر الإنسـان مم خلـق ﴾

﴿ خلق الجان من مارج من نار﴾ وقوله تعالى في حق إبليس ﴿إنه كان من الجن ففسق ﴾

في معنى [أرنا الأشيـــــاء كما هـي] ومعنـى [لـو كشـف الغطـاء مـا إزددت يقينـا] وقولـــه : في كل ما تنظر إليه بعين الســـــوء إنمـــا تنظـــر إليـه من كـــوة وجـــــودك و" الدرجة العوجاء تلقي ظـــلا أعـــــــوج"

بيان اتحاد العاشق والمعشوق على وجه الحقيقة بالرغم من أنهما متناقضـان تـاقض الاحتيـاج والاستغنـــاء ، كـالمرآة الخالية ولا صـــورة فيهـا ، وانعـدام الصورة متناقض مـــع جودهـا ، لكن بينهمـا اتحـادا فـي الحقيقـة يطــــول شرحه
والعاقل تكفيـــه الإشـــارة

سأل معشوق عاشقا : هل تحبني أكثر أو تحب نفسك ؟ قال : لقد مت عن نفسـي وصرت حيـا بك ، وفنيت عن ذاتـي وصفـاتي وصـرت موجـودا بـك ، ونسـيت علمي وصرت عالما بعلمك ، ونسيت قدرتي وصرت قادرا بقدرتك ، فإن أحببـت نفسي فكأني أحبك ، وإن أحببتك فكأني أحب نفسي : كل من تكون له مرآة اليقين * يكون ناظرا إلى الله وإن كان ناظرا إلى نفسه ،أخرج من صفاتك إلي خلقـي ، من رآك رآني ، ومن قصدك قصدني ، وعلى هذا المنوال

مجيء ذلك الأمير النمام مع القواد والعسكر في منتصف الليـل لفتح حجـرة إيـاز ورؤيتهم للرداء الجلدى والحذاء القديم معلقين ، وظنهم أن ذلك حيلـة ومكـر وتعمية ،وحفرهم لأرضية الحجرة في كل ركـن يعن لهم ، وحفـر الحفـر ونقب الجدران ، وعدم عثورهم على شيء ، وخجلهم وشعورهم بالخيبـة ، كمـن سـاء

ظنهم وتوهموا ما ليس بكائن عن الأنبياء والأوليـــاء ، إذ كانوا يقولـــون أنهم سحرة صنعوا أنفسهم ، وتصوروا عليهم ، وبعد البحث والتفحص يخجلـون ويندمون ، حيث لا يجدى الخجل والندم

عودة النمامين من حجرة إياز إلى الملك وهم خـلاة الوفـاض خجلين مثل أولئك الذين أساءوا الظن في حق الأنبياء عليهم السلام عند ظهور براءتهم وطهرهم ، مصداقا لقوله تعالـــى﴿ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ﴾ وقولـه تعالى﴿ وترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة ﴾

تحويل الملك إلى إياز مسألة قبول توبة النمامين ومقتحمي الحجرة أو عقابهم ، بما يعني أن هذه الجناية قد حدثت في حق عرضـــــه

قول الملك لإياز : اختر بين العفو والعقـاب ، فكل ما تفعله من عدل أو لطف صواب هنا ، وفي كل منها مصالح ، ففي العدل أدرج آلاف من اللطـف ﴿ ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب﴾ وإن من يستكره القصاص إنما يأخذ في الحسبان حياة قاتل ، ولا ينظر في مائـة ألـف حيـــاة سوف تعصم وتحقن في حصن الخوف من العقاب

تعجيل الملك إيازا قائلا : إفصل سريعا في الأمر ولا تُنظـــــر ، ولا تقل : لتكن الأيام بيننـــا ، فالانتظار هو الموت الأحمر ، وجـــواب إياز على الملك

حكاية في بيان هذا الكلام : إنك قد جربت الكلام كثيرا فلتجرب الصبر والصمت فتـــــرة

في بيان الإنسان الذى يقول كلاما لا يناسب حاله أو دعواه ، مثل الكفرة ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ﴾ وسم يقدسون الأوثان ويضحون من أجلها بالأرواح والأموال ، فأى تناسب بين هذا وبين الروح التي تعلم أن خالق السموات والأرض إله سميع بصير حاضر مراقب مستول غيور ...... إلى آخـــــــــره

حكاية في بيـــان التوبة النصوح التي تشبه اللبن الذى يخرج من الثدى وليعود إليه ثانيـــة .. فكل من تاب توبة نصوحا لا يذكر ذنبه أبدا فيميل إليـــه ، بل يزداد كرها له كل لحظــــة ، وتلك الكراهية دليل على أنه قد وجد لذة القبول ، وأن تلك الشهوة الأولى قد صارت بلا لذة ، وحلت هذه اللذة محـــل تلك اللـذة كما قيــــل :

لايقضى على العشق إلا عشق آخـــــر * فلماذل لا تتخذ رفيقــــا أفضل

وذلك الذىيميل قلبه إلى ذلك الذنب مرة أخرى ، يكون دليلا على أنه لم يجـــد القبول ، ولم تحل لذة القبـــول محل لذة الذنب ، ولم تكن من نصيبه ﴿ سنيسره لليســـرى ﴾ وبقيت عليه لذة﴿ سنيســـره للعســـــرى ﴾

في بيان أن دعاء العارف الواصل ، وطلبه من الحق ، مثل طلب الحق من نفسه مصداقا لـ [كنت له سمعا وبصـــرا ولسانا ويدا] وقوله ﴿ وما رميت إذ رميت ، ولكن الله رمـــى ﴾ والآيات والأخبار في هذا كثيرة ، وشرح تهيئة

الحق للسبب ، حتى يأخذ بأذن المجرم جارا إياه إلى التوبة النصوح .

وصول الدور في التفتيش إلى نصوح ، ونداء : لقد فتشنا الجميع ففتشوا نصوح أيضا ، وفقدان نصوح الوعي خوفا ، وانفراج حاله بعد نهاية الشدة ، مصداقا لقول النبي ﷺ إذا أصابه مرض أو هم : [إشتدى أزمة تنفرجي]

العثور على الجوهرة واعتذار صاحبات الأميرة وجواريها لنصوح

استدعاء الأميرة لنصوح لتدليكها بعد ثبات التوبة وقبولها " من الله " وتعلله ورفضه

حكاية في بيان أن الذى يتوب ويندم ، ثم ينسى ندمه ، ويجرب المجرب يقع في خسارة الأبد إذ لايصل إلى توبته مدد من الثبات والقوة والحلاوة والقبول ، تكون كشجرة بلا أصل تزداد اصفرارا وتيبسا والعياذ بالله

تشبيه القطب العارف الواصل في اعطاء الخلق الرزق من قوت المغفرة والرحمة على المراتب التي يلهمه الحق إياها وتمثيله بالأسد الذى تكون الوحوش آكلة من قوته ومن بقاياه على مراتب قربهم من الأسد . ليس القرب المكاني بل قرب الصفة ، وتفاصيل هذا كثيرة ، والله الهادى

حكاية رؤية حمار الحطاب النعم التي فيها الخيول العربية الأصيلة في الإصطبل الخاص وتمنيه لذلك الإقبال ، وفي الموعظة أنه لا ينبغي التمني إلا في المغفرة والعناية ، فلو كنت في مائة شقاء وظفرت بلذة المغفرة تكون كلها حلوة ، أما فيما تبقى ، فكل حظ تتمناه بلا تجربة فهو قرين لشقاء لا تراه ، بحيث لا يظهر من كل فخ إلا الحب والفخ خفي وأنت في هذا الفخ تتمنى قائلا : ليتني أمضي إلى هذا الحب ، ظانا أنها حبوب بلا فخ

عدم قبول الثعلب قول الحمار " أنت راض بما قسم لي "

جواب الحمار على الثعلب

جواب الثعلب على الحمار

جواب الحمار على الثعلب

في تقرير معنى التوكل .. حكاية ذلك الزاهد الذى كان يمتحن التوكل فخرج من المدينة ومن بين الأسباب ، وابتعد عن أماكن تردد الناس وطرق مرورهم ، ووضع رأسه على حجر في سفح جبل مهجور مفقود وهو في غاية الجوع ، ونام قائلا لنفسه : توكلت على خلقك للأسباب ورزقك وانقطعت عن الأسباب ، حتى أرى أن التوكل سبب

جواب الثعلب على الحمار وحثه إياه على الكسب

جواب الحمار على الثعلب أن التوكل هو أفضل الكسب فكل إنسان محتاج إلى التوكل ، حي يدعو : اللهم هيء لي هذا العمل ، والدعاء يتضمن التوكل والتوكل كسب لا يحتاج إلى كسب آخر قط .... إلى آخره

ضرب الجمل للمثل في بيان أن المخبر عن دولة ونضرة ونعيم لا ترى أثرها عليه يكون موضع إتهامه بأنه مقلد في الحديث عنها

الفرق بين دعوة الشيخ الكامل الواصل وبين كلام الناقصين الذين يدعون الفضل لتعلقهم بفضلات العلم التحصيلى

حكاية ذلك المخنث وسؤال اللوطي له أثناء اللواطة ....

غلبة حيلة الثعلب على استعصام الحمار ...

حكاية ذلك الشخص الذى من خوفه على نفسه ...

أخذ الثعلب الحمار إلى الأسد ، وهرب الحمار من الأسد ...

في بيان أن نقض العهد والتوبة يكون موجبا للبلاء ...

عودة الثعلب إلى الحمار الهارب ليعاود خداعـــــــه

جواب الحمـــــار على الثعلب

جواب الثعلب على الحمـــــــار

حكايـــــة الشيخ محمد سررزى الغزنـــــوى

مجيء الشيخ بعد عدة سنوات من الخلاء إلـى مدينـة غزنـة ، وطوافـه بـالزنبيل متكديا" ...

في معنى [لولاك لما خلقت الأفلاك]

ذهاب ذلك الشيخ كل يوم أربع مرات إلى منزل أحد الأمراء ...

بكاء الأمير من نصيحة الشيخ ، وانعكاسا لصدقه ...

وصول الأمر إلى الشيخ من الغيب قائلا له : لقد أخذت طوال العامين المـاضيين وأعطيت ، ومن الآن اعط ولا تأخذ ...

معرفــــة الشيخ ضمير السائل دون أن يتحدث ...

سبب معرفة ضمائــــــر الخلق

غلبة مكــــــر الثعلب على استعصــــــام الحمــــار

في بيــــــان فضيلة الحمية والجوع

مثـــــــــــــــل

حكاية المريد الذى وقف الشيخ على حرصه وضميره ...

حكاية تلك البقرة التي كانت وحيدة في جزيرة كبيـــــرة ...

صيد الأسد لذلك الحمار ، وظمأ الأسد بعد افتراسه للحمه ...

حكايــــــة ذلك الراهب الذى كان يطوف نهارا بمصبــــاح وسط السوق ...

دعــــوة المسلـــــــم للمجوســــــــي

مثــــــل الشيطـــــــان على باب الرحمـــــــــن

جواب المؤمن السني على الكافر الجبرى ...

في بيان أن الإدراك الوجداني كالاختيار ...

حكاية في إثبات الاختيار أيضا ...

حكاية جوابـــا على الجبرى أيضا وصحة الأمر والنهي ...

معنى ماشاء الله كان ...

وأيضـــا [قد جف القلم] ...

حكاية ذلك الدرويش الذى رأى في هراة غلمـان عميـد خراسـان المزدانيـن علـى جياد عربية وفي أقبية مطرزة بالذهب ...

جواب ذلك الكافر الجبرى ثانية على ذلك السني ...

سؤال الملك إيازا عامدا ...

قول أهل المجنون له : إن حسن ليلى محدود وليس فائقا وأجمل منها كثيرات ...

حكاية جحا الذى تنقب وجلس بين النساء أثناء الوعظ ...

أمر الملك لإياز مرة أخرى أن : اشرح سر الحذاء والسترة ...

حكاية الكافـــر الذى قيل له في زمن إبي يزيد : أدخل في الإســـلام وجوابه

حكايـــة ذلك المؤذن قبيح الصوت الذى أذن في دار الكفر ....

حكاية تلك المرأة التي قالت لزوجها : إن القطة أكلت اللحم ...

حكاية ذلك الأميـــر الذى قال للغلام : أحضر خمرا ...

حكايـــة ضيــاء دلق الذى كان مفرطا في الطول وأخيـه شـيخ الإسلام تـاج بلـخ الذى كان شديد القصر ...

ذهاب الأمير غاضبـــا لمعاقبـــة الزاهد

حكاية غلبة المهرج لسيد شاه ترمذ في الشطرنج

هم المصطفى ﷺ بإلقاء نفسه من جبل حراء خوفا من تأخر نزول جبريل ﷺ ...

جواب الأمير على المتشفعين للزاهد وجيرانه...

قيام المتشفعين للزاهد وجيرانه بتقبيل يد الأمير ...

جواب الأمير عليهم مرة ثانيـــــــة

تفسير هذه الآيـــة ﴿ وإن الدار الآخـــــرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون ﴾ ...

استدعاء الملك لإيـــــاز مرة أخرى قائلا له : فسر لنا عملك ...

تمثيـــــل جسد الإنسان بدار ضيافة وأفكاره المختلفة بمختلف الضيوف ...

حكاية ذلك الضيف الذى قالت عنه ربة الدار : لقد انهمر المطـــــر وبقى الضيف فى رقابنـــــــا

تمثيل الفكر التي تحل كل يوم بالقلب بالضيف الجديد....

إكرام السلطـــــــان لإيـــــاز

وصية أب لابنتـــــه قائلا : احتاطى لنفسك حتى لا تحملى من زوجك

وصف ضعف قلب صوفي منعم ووهنه ...

نصح المبارزين له قائلين : بهذا القلب وبهذه الجرأة بحيث يغمى عليك من تقليـب كافر لعينيه ...

حكاية العياضي رحمه الله ...

حكاية ذلك المجاهد الذى كان يلقي كل يوم بدرهم من كيسه في الخندق ...

عودة إلى حكاية ذلك المجاهد في القتـــــال

وصف أحد الوشاة لجارية ...

إيثار صاحب الموصل الخليفة بتلك الجارية حتى لا يستحر القتل في المسلمين

ندم ذلك القائد على الخيانة التي ارتكبها ...

حجة منكرى الآخرة ، وبيـــــان ضعف تلك الحجة ...

مقاربة الخليفة لتلك الحسناء من أجل الجماع

ضحك تلك الجارية من ضعف شهوة الخليفة ....

إفشـــــاء تلك الجارية ذلك السر للخليفة خوفا من الضرب بالسيف ...

عزم الملك عندما عرف تلك الخيانة على أن يسترها ويعفو ...

في تفسير ﴿ نحن قسمنا ﴾ ...

اعطاء الملك وهو وسط الديوان والمحفل جوهرة لأحدالوزراء وسؤاله :...

وصول الجوهرة من يد إلى يد إلى إياز في نهاية الدور ....

تشنيـــــع الأمراء على إيـــــاز "وسؤالهم" إيـاه عن سبب كسرها ، وجواب إيـــاز عليهـــــم

هم الملك بقتل الأمراء وتشفع إيـــاز أمام عرش السلطان قائلا : العفو أولـــــى

تفسيــــر قول السحرة لفرعون عند توقيـــع العقاب عليهم ﴿ لا ضيـــــر ، إنا إلى ربنـــــا منقلبـــــون ﴾

اعتبار إياز نفسه مجرمـا في هذاالتشفع ...

الجزْءالخامس

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ٧٩١٨ / ١٩٩٧

الترقيم الدولى (I. S. B. N. 977 - 235 - 847 - 6)

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

٣٠١٦ - ١٩٩٧ - ٣٧١٩٤